

جمع وترتيب

الدكتور سيد بن حسين العفاني

المجلد الأول

الناشر

مكتبة آفاق

غزة - ت: ٠٠٩٧٠٨٢٨٦٠٠٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم



من سيرة واستشهاد

الشيخ أحمد ياسين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع

٢٠٠٤/١٣٢٩٨

الناشر

مكتبة آفـاق

غزة

ت: ٠٠٩٧٠٨٢٨٦٠٠٢٣

إهـــــــداء

- إلى شيخ المجاهدين وسيد القسّاميين الشيخ البطل أحمد ياسين شيخ فلسطين ـ وكل الكلمات تعجز أن توفيك حقك.
- إلى أسد فلسطين السائر على درب شيخه.. الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي.. يا لك من خير خلف لخير سلف.. نعم الرجل أنت ونعم البطل.
- إلى الأبطال الرجال القادة: صلاح شحادة.. دكتور إبراهيم المقادمة.. يحيى عيّاش .. عماد عقل .. إسماعيل أبو شنب .. محمود أبو هنود .. مهند الطاهر .. سائد عوّاد .. ريم الرياشي .. ـ وكل من روى بدمه في سبيل الله أرض الإسراء والمعراج. ـ تقبل الله الجميع في عداد الشهداء.
- إلى الحبيب الغالي شقيق نفسي.. العابد.. الخفيّ أبي إبراهيم مسلمة الأعرج ـ من فاح المسك من جثمانه الطاهر عُنوانا لحسن الخاتمة وعلامة على الشهادة في سبيل الله.
- إلى زوجة الشيخ ياسين وأولاده جميعا.. إلى زوجة الدكتور الرنتيسي وأولاده.. إلى والد مسلمة وأمه وإخوته وامرأة وأولاد كل قسّامي شهيد.
- إلى شيخ جباليا الدكتور نزار ريان وإلى ابنه الفتى البطل إبراهيم الذي قتله اليهود بعد أن دوخهم وقتل منهم.
- إلى كل قسّامي مجاهد نضعكم في حبّات العيون، وفي شغاف القلب، وحنايا الصدور.. نتقرّب إلى الله بحب أبطالكم وحبكم ونعدّ ذلك أرجى أعمالنا عند الله فلا تنسونا من شفاعتكم عسى الله أن يمّن عليّ بأفضل الشهادة في سبيله، وموتًا في بلد رسوله ﷺ وأن يحشرني إليه من حواصل الطيور وبطون السباع.
- إلى ولديّ أبي الفداء سيف الإسلام عبدالله العفاني، وأحمد ياسين رزقهما الله أفضل الشهادة.

فهذا طريق القوم إن كُنت تبتغي وتعقل عن مولاك آداب ذوي القَدْرِ

العفاني

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

❑ **أَمَّا بَعْدُ**

لِلَّهِ دَرُّ مؤمنِ آلِ ياسين وشهيدهم(١) .. شيخ المجاهدين بفلسطين الشيخ أحمد ياسين.. **«كَمْ مِنْ أُنَاسٍ مَوْتَى تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِمْ وَأُنَاسٍ أَحْيَاءَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ بِرُؤْيَتِهِمْ»**!!.

الشيخ ياسين .. لله دَرُّهُ في حياته، ويوم موته واستشهاده، وحسن الأحدوثة عنه بعد مماته.

شَيْخٌ وَقُورٌ يُزَيِّنُ النُّورُ صَفْحَتَهُ ... وَهُوَ الْهَصُورُ الصَّبُورُ الشَّامِخُ الْحُرُّ

كَأَنَّ هَامَتَهُ وَالْعِزُّ يَرْفَعُهَا ... إِطْلَالَةُ النَّصْرِ كَلَّا بَلْ هِيَ النَّصْرُ

يَا مَنْ تَفُوحُ عَلَى الْأَرْجَاءِ سِيرَتُهُ ... طِيبًا تَضَوَّعَ مِنْ أَعْطَافِهِ الْعِطْرُ

تَفْدِيكَ رُوحِي بَلِ الدُّنْيَا وَمَا حَمَلَتْ ... وَالْمَالُ وَالْأَهْلُ وَالْيَاقُوتُ وَالتِّبْرُ

● الشيخ «**أحمد ياسين**» الذي مَلأَ الدنيا عَبَقًا وَشَذًا، وخيرًا وصلاحًا، ودعوة إلى الإسلام،

---

(١) لا نجزم بالشهادة إلا لمن جزم له الله أو رسوله ﷺ، ولقد بوّب البخاري في صحيحه «باب لا يقال فلان شهيد» لكن نسأل الله للشيخ ياسين أن يكون من سادات الشهداء، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا، وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم «لن يُنجِيَ أحدٌ منكم بعمله، ولا أنا، إلّا أن يتغمدني الله برحمته».

وكانت حياته في الدعوة إلى الله أحلى متعة من نعيم المترفين، وأغنى منفعة، وأرجى أثرًا، كيف لا وقد حاز جوهرة الدنيا ونعيم الآخرة إن شاء الله؟!.

● ياسين الذي حمل كلمة الله في الأرض، وغسلها بدمه الزكي، ودفعها بعزمه القوي؛ فظلت غراس الخير في الأرض نامية، ومنابت الإحسان حانية.

● قال رسول الله ﷺ **«لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا، يَسْتَعْمِلُهُمْ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»** (١).

● ياسين الذي سار على درب غني الأوراد، فوَّاح بالمسك، منثور الأزاهير في موكب الإيمان، تتطلَّع إليه الدنيا، تغبطه على عطره الأقوى، ومسكه الأزكى، وفوحه الأنقى، عطر الإيمان والشهادة، ومسك التبتل والجهاد، وفوح التقى.

كل ساحات العمل للإسلام حملت لهفة الشوق إليه، وكل مراقي الصعود وجبال الهمم ـ مَهْمَا عَلَتْ ـ حَنَّتْ إليه، همسات الساحات، ولفتات القمم، ونجوى الوديان كلها حنين وحنان عليه...

عبق الإسلام وأيامه الخوالي تَلَفَّتَتْ إليه، وإلى يوم استشهاده، في نجوى مكبوتة، ووثبة أمل، ودفعة عطاء.

الشيخ **«ياسين»** الذي عاش مع دموع فلسطين وآلامها، وأنَّات الثكالى، وأنين اليتامى، نحيب العفيفات الطاهرات، وآهات الشيوخ، ودمع منابر الأقصى، فكان حداؤه **«وا إسلاماه»**؛ ليصنع من الجراح بسمات الشهيد، فميلاد الصباح من رحم الجراح.

وَيَشْرُفُ قَلَمِي الْمُتَوَضِّئُ الذي ما سجد لغير الله حين يتكلم عن سيرة الشيخ **«أحمد ياسين»** واستشهاده، أتقرب بهذا إلى الله، وأعدُّه من أرجى أعمالي عنده.. وأتقرَّب إلى ربي بحبي الغامر لهذا العبقري، وآخذ قطرة من بحار الشيخ وأنهاره.. وومضة من شموعه وأنواره.. وظلًّا من بساتينه وظلاله، أعمل بها عمل الفجر كلما أظلمت على الناس معاني الحياة، أمسح بها على آلام المسلمين بطهر **«ياسين»** وشفافيته ورقته، أوقظ بها أشواقهم.. وأوقظهم من غفواتهم وغفلاتهم؛

---

(١) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه عن أبي عنبة الخولاني، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٤٤٢)، وصحيح الجامع رقم (٧٥٦٩).

ليعيشوا المشاعر النبيلة في سيرة رجل نظر إلى الدنيا من زاوية الإسلام وفي ضوء الإسلام، عاش لله وبالله وفي الله.

إن لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ، وإن لم يكن النجم فلا تنتظر الشعاع، وإن لم تكن شجرة الورد، فلا تنتظر الورد...

إن لم يعتبر الناس ويفيقوا باستشهاد «**ياسين**» الذي سما به استشهاده عن قبضة الطين...

ويتلمسوا المعاني الإيمانية من سيرة الرجل وموته.. فَعُدَّهم موتى في صورة أحياء.. كما صَرَّحَ بذلك قادة يهود: «إن العرب سريعًا ما ينسون»، أو كما قال موشى ديان: «إن العرب لا يقرءون، وإذا قرءوا لا يفهمون»[١].

نَعَمْ: إن حضر قلبك فنسيمُ السَّحَرِ يُذَكِّرُكَ، وإن غاب فمئة ألف نبي لا يوصلون إليك موعظة.

وَصِحْ عَلَى الْقَبْرِ هَذِي أُمَّةٌ رَحلَتْ ... لَمْ يَبْقَ مِنْ شَأْنِهَا ذِكْرٌ وَلَا أَثَرُ

❑ وَفِي جَمْعِيَ الْمُتَوَاضِعِ هَذَا

«شَذَا الرَّيَاحِينِ مِنْ سِيرَةِ وَاسْتِشْهَادِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ يَاسِين»

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

❑ أَتَكَلَّمُ فِي:

- **الباب الأول: «عبق النسرين من سيرة أسد فلسطين الشيخ أحمد ياسين»:**

تكلمتُ فيه عن سيرة الشيخ من ميلاده إلى استشهاده .. تكلمتُ عن أرض الشام وفضلها، وفلسطين وشرفها ومكانتها العظيمة، وأطلتُ النفس في الحديث عن طفولته، ثم مررتُ بإيجاز على مشوار حياته وأهم المحطات فيه؛ لأن تلك المحطات سنتكلم عنها بتفصيل في بقية الكتاب؛ وذلك تفاديًا للتكرار.

---

(١) قال هذا عندما وضّح أن ما طبقه من استراتيجية في حرب ٥٦ هي نفس الاستراتيجية في حرب ٦٧.

❑ وَفِي:

• **الباب الثاني: «شذا الرياحينِ عِبَرٌ وَعِظَاتٌ من حياة شيخ المجاهدين»:**

وهو من أهم الأبواب، تكلمتُ فيه عن الدروس المستفادة من حياة الشيخ، وكون الشيخ مثالًا وقدوةً يحتذى به في إخلاصه، وصدقه، ودعوته، وعلو همته، وحرصه على العلم، وعبادته، وحرصه على الصلاة في جماعة في المسجد، ونصيبه الوافر من قيام الليل وصيام النهار - وهو في ذلك ولي من أولياء اللَّه - نحسبه كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا -، ونصيبه الوافر والمقام العاطر في توكله، وثقته بربه، وتفويضه الأمور إليه، والانطراح بالكلية على عتبة العبودية .. هجيراه: «**أَمَلِي أَنْ يَرْضَى اللَّهُ عَنِّي**»؛ يريد ذروة أعمال القلوب؛ مثلما كان طريقه ذروة أعمال الجوارح.

كما واصلتُ الكلام عن رحمته للضعفاء والمساكين، وجوده وكرمه الذي غطى فلسطين، وإنفاقه العظيم على الأرامل والفقراء والمساكين؛ فكم مسح على جراحهم وواساهم.

كما تكلمتُ عن عزته وثباته واستعلاء الإيمان عنده.

كما تكلمتُ عن كون الشيخ كان «**رجل عامة**»، عاش آلام الناس، وشاركهم، ومسح على جراحهم، وطاف الدنيا؛ ليجمع المال لهم؛ ليسد حاجتهم، وله أسوة بنبيه ﷺ: «**ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ**».

وَعَرَّجْنَا على فهمه العميق للواقع الذي يعيشه، وحكمته، وَأَنَاتِهِ، وبصيرته وإلهامه؛ حيث يخبر بالشيء فيقع مثلما أخبر، مُحَدَّثٌ يسير على درب الفاروق.

كما تكلمتُ عن زهده في الحطام الفاني، وزهده في الرئاسة والسلطة؛ فإن له بيتًا في الآخرة وَجَّهَ إليه صالح متاعه من بكاء وسجود في المحراب في ظلمات الليالي.

وتكلمتُ أيضًا عن «**ياسين**» الإنسان بكلام المقربين من أهله؛ زوجته وأولاده وأصهاره وحارسه الذي يرافقه لشلله، والمقربين من تلاميذه وآخرهم الدكتور الرنتيسي - رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

وَلَمْ نَنْسَ ذكر كرامات الشيخ «**ياسين**» العابد، الأوَّاب، راهب الليل وفارس النهار.. وذكرتُ قبل ذلك ورع الشيخ، وحرصه على جمع كلمة أهل فلسطين، وصبره على جفوة مَنْ عارضوه، وتجريمه البالغ للاقتتال بين أهل فلسطين.

* وَفِي:

● الباب الثالث: «الصبر الجميل للشيخ ياسين النبيل»:

تكلمتُ عن ياسين الصبار.. صبره على المرض والشلل .. وكم كان عجيبًا في هذا.. وصبره على السجن.. في غزة عند الإدارة المصرية.. وفي سجون إسرائيل.. وصورًا من حياته في السجن التي كانت ترجمةً عمليةً لقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «مَا يَصْنَعُ أَعْدَائِي بِي؟! أَنَا جَنَّتِي وَبُسْتَانِي فِي صَدْرِي .. أَيْنَمَا رُحْتُ فَهِيَ مَعِي .. إِنَّ مَعِي كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ .. إِنْ قَتَلُونِي فَقَتْلِي شَهَادَةٌ، وَإِنْ نَفَوْنِي عَنْ بَلَدِي فَنَفْيِي سِيَاحَةٌ، وَإِنْ حَبَسُونِي فَأَنَا فِي خُلْوَةٍ مَعَ رَبِّي».

وتكلمتُ عن خسة اليهود، ودناءتهم، وسومهم العذاب للشيخ الجليل، ثم تكلمتُ عن صبره الأعلى؛ وهو: الصبر على الطاعة .. وكم كان فيها عَلَمًا!!.

* وَفِي:

● الباب الرابع: «ياسين لا يعرف العيشَ إلا حسامًا ولا الموتَ إلا شهادةً»:

وهذا بيت القصيد، تكلمتُ عن الطريق الأوحد الذي يعرفه جيدًا ويعشقه؛ وهو: الجهاد في سبيل الله؛ فضله وشرفه وعلو سنامه .. وكم للشيخ فيه من حظ وافر ومشاركة عظيمة.. وبدايات العمل الإسلامي المسلح، والانتفاضة، وكتائب «**عِز الدين القسام**» .. وكيف أن «**ياسين**» يقيم الحجة لله وهو قعيد قد وضع اللَّه عنه الحرج.. يقيم الحجة على الأصحاء الأقوياء!!.

ثم تكلمتُ عن تمنيه للشهادة، وحرصه عليها، وشوقه البالغ إليها.. صدق اللَّه فصدقه.. ووقت الاغتيال، وتداعياته، ومكر اللَّه باليهود، ورفرفة روح الصادق، وانطلاق القعيد من قيده.. نسأل اللَّه له حواصل طير خضر تسرح في أرجاء الجنة أنّى تشاء ثم تأوى إلى قناديل من ذهب معلقة بأرجاء العرش..

وهذا درس «**ياسين**» الأكبر الذي لو وَعَتْهُ الأمةُ، لذهبت إسرائيل بالكُلية إلى مزابل التاريخ، ولقلنا لكل قوى الشرك في كل أرجاء الأرض: «صُمَّتْ أُذُنُ الدُّنْيَا إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لَنَا»، ولقلنا: «لِلَّهِ أَوْسٌ آخَرُونَ وَخَزْرَجُ».

ثم تكلمنا عن يوم موته واستشهاده .. ياسين الحبيب يوم موته أفصح خطيب .. يوم تَرَجَّلَ

الفارس قائلًا بلسان حاله لأهل البدع والمترفين: «**بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمُ الْجَنَائِزِ**».. فكم فاح المسك يوم جنازته.. وسلوا الطيور البيضاء حول نعشه تخبركم فعندها النبأ العجيب!!.

* **أَمَّا فِي:**

● **الباب الخامس: «من ثمارهم تعرفونهم»:**

وما أحلى وأعلى وأغلى ثمار «**ياسين**» وجميل أثره في وطنه وقومه وأمته حتى ربات الخدور والنساء من أهل فلسطين!!.

إذا أردتَ أن تعرف قدر الرجل، فانظر إلى غرسه وأثره «وَحُبُوبُ سُنْبُلَةٍ تَجِفُّ سَتَمْلأُ الْوَادِيَ سَنَابِلَ».. فهو القعيد الذي أحيا الأمة.. أحيا فيها الأمل، وعرَّفها الطريق جيدًا لعزها وفخارها، وستبقى هذه الآثار والثمار تُؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.. وتكون في ميزان الشيخ.. ثَقَّلَ اللَّه ميزانه.

* **وَفِي:**

● **الباب السادس: «بريق الماس من شهداء حماس»:**

مَنْ أراد أن يعرف غرس «**ياسين**» وطيبه، فلينظر إلى تلاميذه الذين غرس فيهم معاني الفداء وَرَبَّاهُمْ على عينه؛ فكانوا «**رُهْبَانَ اللَّيْلِ وَفُرْسَانَ النَّهَارِ**».. تربية عجيبة فذة لهذا العبقري أثمرت رجالًا أقرب نسبة إلى الجيل القرآني الفريد.. جيل الصحابة ومن بعدهم من القرون الخيرية .. همم سامية.. وحياة ملؤها التبتل والإخلاص ثم الشهادة .. فتكلمتُ عن نماذج من تلاميذ ياسين:ـ صلاح شحادة، ويحيى عياش، وعماد عقل، ومحمود أبو هنود، والدكتور إبراهيم المقادمة، وأبو شنب، ومسلمة الأعرج، وريم الرياشي، وأخيرًا الحبيب الغالي الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، كتبناها على عجالة... وقد يظن ظَانٌّ أن هذا خارج عن موضوع الكتاب والسيرة، لا واللَّه فهذه رياحين.. بل أعظم الرياحين في سيرة ياسين وبستانه الفوَّاح .. بل هؤلاء فلذات قلبه.. هؤلاء نَفَسه ودمه الزكي .. ولعل اللَّه أن يفسح في العمر حتى نوفيهم حقهم على أمتهم.

* **ثُمَّ عَرَّجْتُ فِي:**

● **الباب السابع: «عطر الياسمين من كلام شيخ القسَّامين»:**

وهذا الباب نقطة من بحر «**ياسين**» وعجائبه ـ بل الكتاب كله ـ نجلوها لقومنا، للأجيال الواعدة، كما نذكِّر بها الغافلين النُّوَّم؛ ليفيقوا من سكرتهم وغفلتهم، وليجعلوا من قضية القدس هجيراهم وديدنهم مثلما كانت لـ«**ياسين**» هجيراه وديدنه، وليشعر من كانت بقلبه حياة آلام إخوانه المسلمين من أهل فلسطين وعويلهم ودموعهم، ونجيع دمائهم، وآهات شيوخهم وأطفالهم، ونحيب أيتامهم والثكالى والعذارى، واستغاثات الحرائر..

ونذكر بيقين «**ياسين**»، وثقته غير المحدودة في اللَّه أن تزول إسرائيل وتمحى من الوجود عام (٢٠٢٧) ببصيرة إيمانية، ونذكر شيئًا من حوارات الشيخ.

* **وَفِي:**

● **الباب الثامن**: «**قتلة ياسين من اليهود والملاعين وحلفائهم الصليبيين**»:

تكلمتُ عن جرم اليهود قتلة «**ياسين**»، وكفرهم، ودناءتهم، وخستهم، والصليبيين الأمريكيين العالمين بالجريمة قبل وقوعها المباركين لها؛ فهم الذين أمدوهم بطائرات الأباتشي التي انطلقت منها الصواريخ لتقتل الشيخ «**ياسين**»، نسأل اللَّه أن يتقبله في سادات الشهداء وأن يجعله من أهل عليين.

إن على المسلمين أن يفيقوا من نومهم العميق، وأن يعلموا أن عَدَوَاتَنا لليهود والصليبيين عداوةٌ دينيةٌ بحتةٌ؛ فاليهود هم الذين قالوا عن اللَّه ـ مع كفرهم به ـ ما لم يقله أحد، وقتلوا النبيين والأولياء والصالحين، وَدَنَّسُوا أعلى مقدساتنا، وَسَمُّوا نبينا ﷺ، وَسَمُّوا الصديق، وكانوا وراء مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكيدة ابن السوداء... وَفَرَّقُوا دين المسلمين شيعًا، وأسقطوا دولة الخلافة العثمانية، واغتصبوا الحرائر، وذبحوا الشيوخ الركع السجود، وذبحوا الأطفال الرضع، وقتلوا القانتين من هذه الأمة، وآخرهم شيخ المجاهدين أحمد ياسين، وبعده بـ(٢٦ يومًا) الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، أسأل اللَّه أن يحشرهما في عداد الشهداء.

وخذ هذه من الصحافة، نَشَرَتْهَا جريدة الحياة اللندنية في عددها (١٥٠٤١) في يوم (الأربعاء ٢/يونيو/ ٢٠٠٤م) (١٤/ربيع الآخر/ ١٤٢٥هـ)؛ وفيها: «تصريحات الجنرال الأمريكي السابق (أنتوني زين) التي اتَّهَمَ فيها جماعات الضغط اليهودية والمحافظين الجدد بدفع واشنطن إلى شن حربها على العراق من أجل إسرائيل».

* وَفِي:

● **الباب التاسع: «ياسين الأُمَّة في عيون رجال وشعراء الأمة»:**

كم كان أثر الشيخ عظيمًا على الأقلام المتوضئة من شيوخ الأمة وشعرائها في انتفاضة أدبية لم يسبق لها مثيل في عصرنا؛ إذْ إنهم أَتَوْا بأنبل المعاني وأرقِّها عن سيرته واستشهاده وأثره؛ فكانت معانيهم قوية كعزم ياسين، رقيقة مثل روحه، جميلة مثل آماله واستشهاده.

وعذرًا للقارئ إن أطلنا؛ فقد أردنا أن نجمع ما وصلتْ إليه أيدينا للتاريخ.

* **أَمَّا فِي:**

● **الباب العاشر: «الأمة قعيدة الهمة»:**

فقد تكلمتُ فيه عن سفول همة الأمة، وواقعها الوحل، وكثرة المعاصي، وَبُعْدِهَا عن منهج اللَّه عَزَّوَجَلَّ، وكذلك عن ضعفها وخورها وتركها للجهاد وعدم غيرتها على الحرمات، وذكرنا طرفًا مما يعانيه المستضعفون في سجون أبي غريب بالعراق، والأمةُ عابثةٌ لاهيةٌ مترفةٌ ضَعُفَ عندها الولاءُ والبراءُ، وذكرتُ أن هذا العصر أقرب نسبةً إلى عصر «**ملوك الطوائف**» بالأندلس، وقت ضياع الأندلس، وكيف ننصر فلسطين إن كنا صادقين؛ فهناك الوسائل الكثيرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

* **وَفِي:**

● **الباب الأخير: «قادم فجري وإن طال المدى»:**

المستقبل كل المستقبل للإسلام، كلنا ثقة بوعد اللَّه عَزَّوَجَلَّ ووعد نبيه ﷺ.

لَا تُـهَـيِّـئْ كَـفَـنِـي يَـا عَـاذِلِـي فَأَنَا لِي مَعَ الْفَجْرِ مَوَاثِيقٌ وَعَهْدُ

ذكرنا على عجالة الآيات والأحاديث في ذلك.. سنفتح روما .. وسيعم الخير أرضنا .. سنقتل اليهود .. وتعود خلافتنا الراشدة على منهاج النبوة .. وسيملأ المهدي الأرض عدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا .. وسيخزي اللَّه الروم يوم الملحمة بالسيوف المؤمنة .. وسنفتح القسطنطينية ثانية بالذكر والتهليل .. وسينزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بشرع نبينا.. بالإسلام.. يكسر الصليب، ويضع الجزية، ويقتل الدجال.. دجال اليهود ومعه كبار يهود، عليهم الطيالسة .. فعلى درب ياسين

سيري أيتها الأمة الخيِّرة..

يَا وَيْحَ نَفْسِي وَمَا ارْتَفَعَتْ بِنَا هِمَمٌ	إِلَى الْجِنَانِ وَتَالِي الْقَوْمِ أَوَّابُ
إِلَى كَوَاعِبَ لِلْأَطْرَافِ قَاصِرَةٍ	وَظِلِّ طُوبَى وَعِطْرُ الشَّذْوِ يَنْسَابُ
إِلَى قَنَادِيلِ ذَهَبٍ عُلِّقَتْ شَرَفًا	بِعَرْشِ رَبِّي لِمَنْ قُتِلُوا وَمَا غَابُوا

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم صَلِّ على محمد وآله.

اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت اللَّه الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد:

أن تجعل هذا الكتاب في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم.. ضع له القبول في الأرض.. وافتح به قلوبًا غلفًا وآذانًا صمًّا وعيونًا عميًا.. أَظِلَّني في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك.. ارزقني أفضل الشهادة في سبيلك، وموتًا في بلد رسولك ﷺ.. مُنَّ عَلَيَّ بها يا منان وارزقني رفقة نبيك ﷺ.. واجعلني من أهل عليين.. اجعل لي في قلوب المؤمنين ودًّا ولا تجعل الحياة عَلَيَّ نكدًا.. مُنَّ عَلَيَّ بهذا يا حنان، يا منان، يا جواد، يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القاهرة

الثلاثاء ٣٠ صفر ١٤٢٥هـ

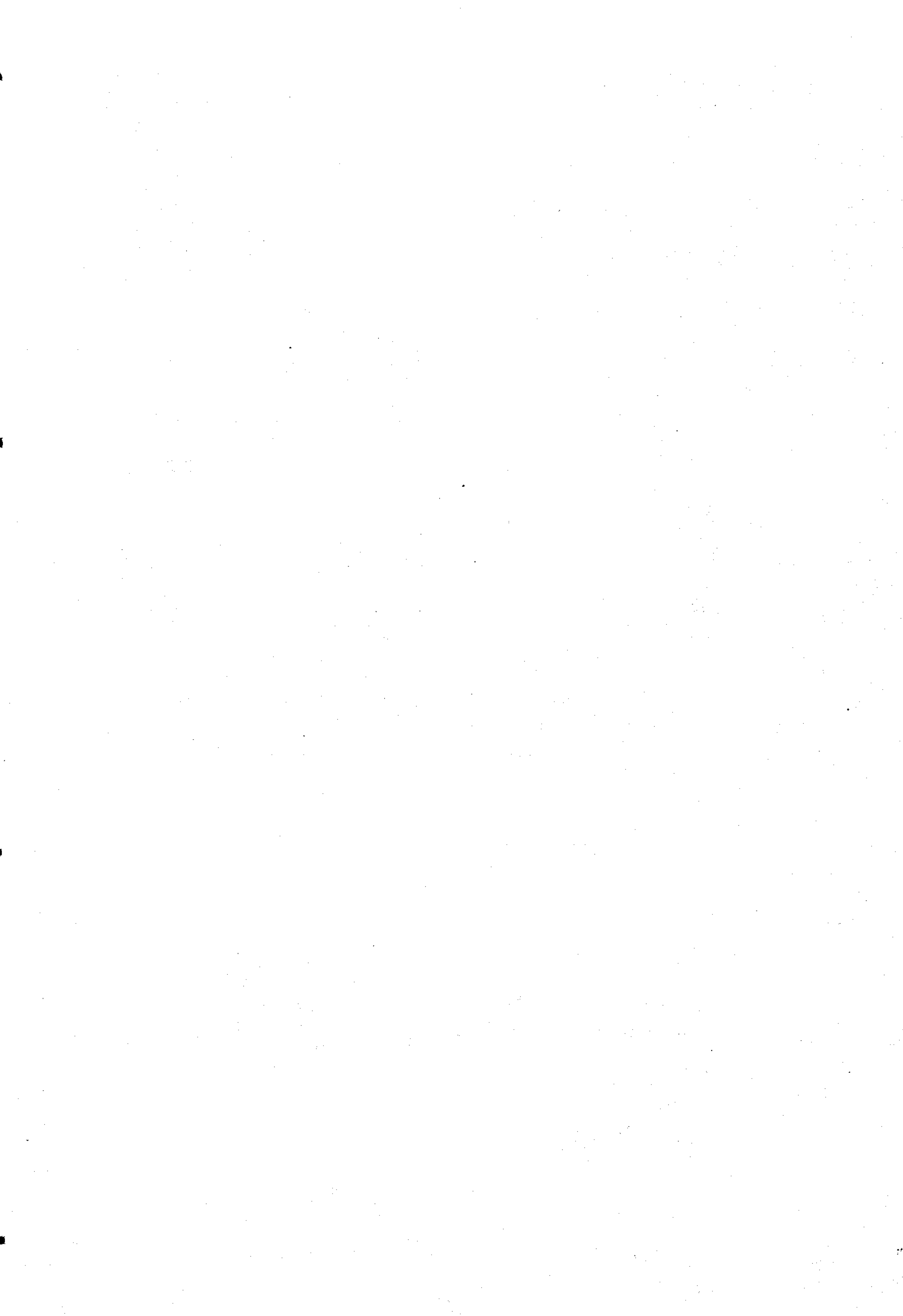
الموافق: ٢٠ أبريل ٢٠٠٤م

وَكَتَبَهُ

الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ،

وَسائِلُهُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِهِ

السَّيِّدُ بْنُ حُسَيْنٍ الْعَفَّانِيُّ



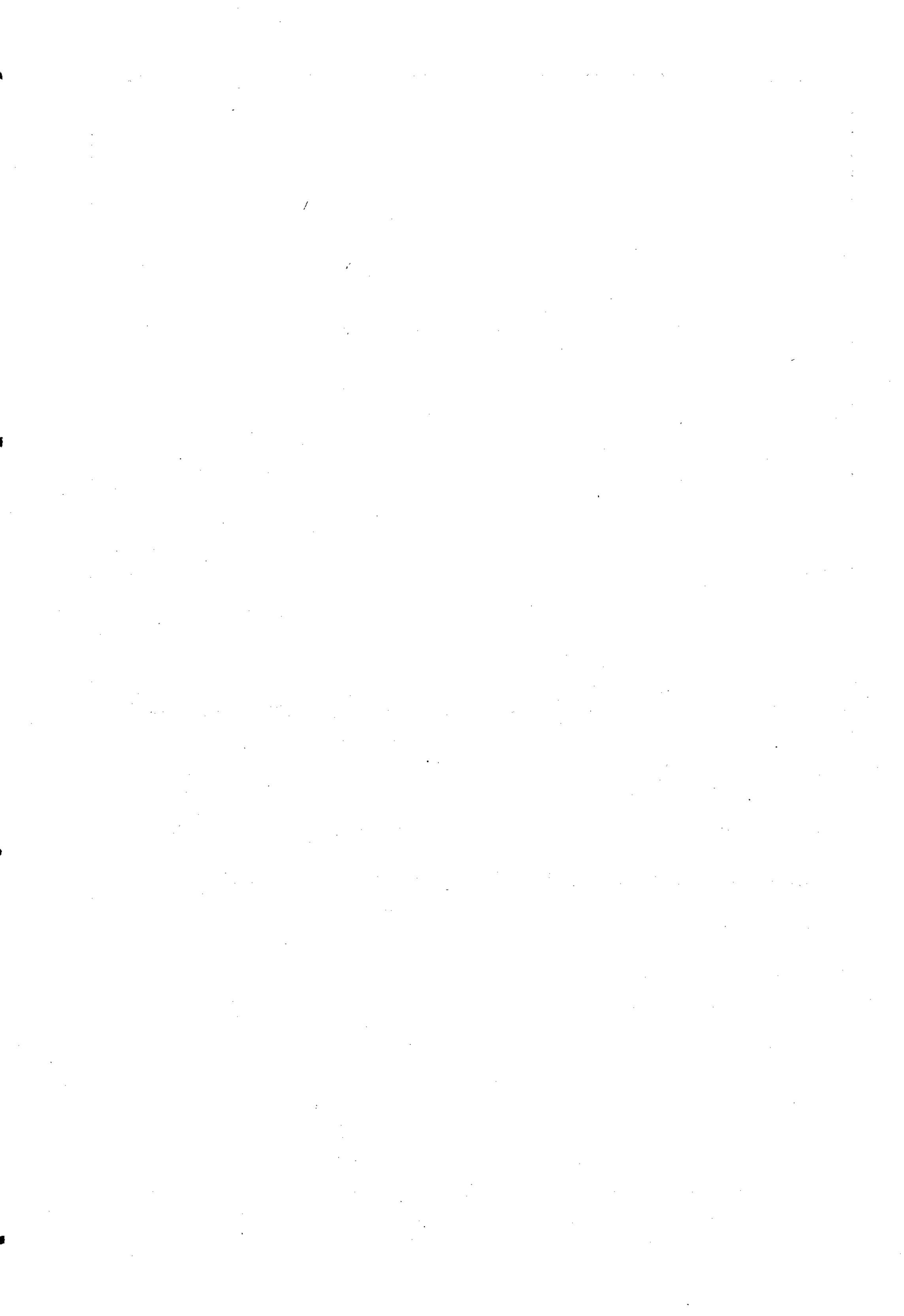
الباب الأول

عَبقُ النِّسْرين

من سيرة أسد فلسطين

الشيخ أحمد ياسين

عِـطْـرُ الـشَّـهَـادَةِ زَهْـرُهُ يَـاسِـيْنُ ... يَحْنُو عَلَى أَجْفَانِهِ النِّسْرِينُ
أَنْـبَـتَّ فِي قَـلْـبِ الـعَـرُوبَـةِ قَـلْـعَـةً ... فَهِيَ الـ«حَمَاسُ» وَدَرْبُهَا حِطِّينْ
قَدْ فَجَّرَ الصَّارُوخُ جِسْمَكَ سَيِّدِي ... لَـكِـنْ مَـبَـادِئُـكُـمْ لَـهُـنَّ رَنِـيْنُ
تَـرْجُو مِنَ اللهِ الشَّـهَادَةَ مُخْلِصًا ... فَأَتَاكَ وَعْدُ اللهِ وَهوَ ثَمِينُ



عَبقُ النِّسْرين
من سيرة أسد فلسطين الشيخ أحمد ياسين

عُـلُـوٌّ فِي الْحَيَـاةِ وَفِي الْمَمَـاتِ   لحقٌّ تِلْكَ إِحْدَى الْمَكْرُمَاتِ

❑ الشيخ أحمد ياسين:

درع غزة، وصباح القدس، وسكينة بيت لحم، وأمان يافا، وبشرى الجليل.

صدق وعدًا، ووفّي عهدًا، وأتمَّ قصدًا، وأثمر جهدًا، وولد جُندًا، وأقام سدًّا، وهزم ضدًّا، وأنار لحدًا[١]، وجنى شهدًا[٢].

ما كلّ عن الفداء، ولا رغب عن الدعاء، ولا حرص إلا على هذى السماء عاش وضاءً نيِّرًا، طيبًا طاهرًا زاهرًا عفيفًا، وترجل وسقط شهيدًا[٣] متهجدًّا، مصليًا، مكبرًا، مهللًا، صائمًا.

عاش وسقط على درب الأبطال من الرجال الرجال، ورأسه شامخ للسماء على محجة بيضاء ودرب خالد.

عاش وسقط عنوان الإباء والشمم، والعزم والقدرة على قهر الألم، واحتساب الأجر على خالق الثناء ورب الكرَمْ.

عاش وسقط وهو نير الدرب يُعين على الحق، ويتحمل الكرب، ويقف سدًّا منيعًا ضد الفتنة والشق.

عاش وسقط لم تفتنه عن مسيرته الخالصة بهارج ولا مفاتن، ولم تحرفه عن رسالته مراسم ولا كمائن.

---

(١)، (٢) حسن ظن بالله وكرمه وجوده.

(٣) نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا.

عاش.. وعلا وهو على الحق أمين، وعلى تخاذل الأمة حزين، وفي استنهاض الأمم ركين.

عاش لدينه.. ولقضية أمته فلسطين.

عاش وسقط يناجي ثرى فلسطين، وتعطر الدار بزهر المخلصين، وتستبشر بالقادمين.. يوم عرس الشيخ الأمين.

❑ «ياسين»

معنى كريم استقرّ في الضمائر، وليس جسدًا تطوف حوله الأجساد في حروف اسمه القلائل الصغار، خصال عبقرية كبار.. ائتلفت فأنشأت مزاجًا فردًا، عجيبًا في أخذه وعطائه.

طراز خارق للمألوف، وقوة نفسية وثقى، متوثبة ومتحدية، تفرض الهزيمة على القوى المضادة فرضًا، وتثبت ثبات طمّاح الذوائب الأشم يوجِّه الأعاصير، تتناوح من عن يمينه وشماله، ومن أمامه ومن خلفه، تريد زحزحته فترتد عنه وتبيد، وهو «هو» غير مضارٍّ.

❑ «أحمد ياسين»:

عنوان الأسماء العالية في التاريخ العربي الإسلامي الحديث، كالشمس يُذكرُ غيرَ ملقب؛ لأنه يسمو على التلقيب بالألقاب، والتحلية بالنعوت؛ إنه لا يُعرف بها، ولكن هي تُعرف به، وإن حِلْية مثله لفي عَطلِه، والجواهر تُذكَرُ أسماء مجردة، ولا تُوصف لأن معانيها هي أوصافها.

ويُقال: «الشمس» و«القمر» ولا يُحلَّيان؛ لأن حليتهما في كمالهما وتماسهما.

مَا كَلَامُ النَّاسِ فِي الشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا الشَّمْسُ لَيسَ فِيْهَا كَلَامُ

وهل يخفى القمر؟!

وإن من الأسماء نكرات، مغرقة في التنكير، حُلِّيت بالألقاب، ورُصَّت لها ألفاظ التفخيم والتعظيم رصًّا، سطورًا بعد سطور، لتُعَرَّفَ فتُعرَف، فما زادتها إلا تنكيرًا وضمورًا وخفاء، ومات أصحابها وما ذُكروا.

وَقَدْ يَمُوتُ أُنَاسٌ لا تحسُّهم كَأَنَّهُمْ مِنْ هَوَانِ الخَطْبِ مَا وُجِدُوا

وفي سمات «الياسين» جمال وجلال فِطرِيَّان، عليهما من الصدق والصفاء رونق ورُواء، وبالمعاني تُشادُ المعالي ويرفع البنيان.

«**أحمد ياسين**»: قيم خلقية صافية صفاءً ألق الضياء في يوم الصحو البهيج، ليس دونه حجاب.. ترفَّعت على شهوات النفس، وتحلَّت بالإيثار، يُصَرِّفُها عقل درَّاك وقلب يقظ، وترفدها الركانة والزكانة، والتصور الشمولي الذي يخرج من دائرة الفكر المحدود ليبسط أبعاده على الآفاق.

«**أحمد ياسين**»: جمع اللَّه فيه هذه الخصال جمعاء، متمازجة متحابة ومترافدة، ليجيء منه الإنسان العظيم، الذي يصنع الصنع العظيم.

«**أحمد ياسين**»: لم يكن من جنس من يأتون بالدعوات، ليضيفوا إلى أرقام المذاهب والطرائق المِذَق رقمًا جديدًا، ودعا لتحقيق **«الرقم الفرد الذي لا يقبل التجزئة وهو الإسلام»، فعاش للإسلام وبالإسلام عاملاً تحت راية الإسلام الذي علا سمكه وعزّ وطال.**

«**أحمد ياسين**»: كان إشراق النور من قلب ظلام مذاهب شتى وتصورات شتى، ونعرات جاهلية، وقومية زائفة.. كان إشراق حركته وهو القعيد مثار دهشة الغرب ومعشر يهود، فطفقوا يحاولون إبطاله وهو كالأتيِّ يتحدر دفّاقًا فتحًا وإنشاء وإعمارًا لا أجلّ منه ولا أروع.. وبطولات وملاحم تحكيها الأيام وتصغي لها الأزمان فأوحوا إلى وسائل إعلامهم أن تلقي الشبهات عليه وتشوّه صورته فرمته ورمت الناهض به بالعضائه، فنبزته «**بالإرهابي**»، وتلقفت هذا النَّبْزَ الأنباءُ الجوائب، ودونته الصحفُ اللقيطة صحفُ الضرار.

شنشنة معهودة في كل زمان ومكان، وعند كل جيل وقبيل، ولن تجد لسنة اللَّه في خلقه تبديلا.

لقد استصفى ذهن الشيخ الناقد الممحِّص المحض واللباب، وطرح الزؤان والزيف، وشخص الداء، وعيّن الدواء، وعنده عزيمته الحاضرة تتوثَّب به، وتحدوه على المضي بدارًا إلى غايته؛ وقد فعل، وقد وقر في نفسه أن يعود بالناس إلى راية الإسلام والإسلام فقط، وأن تنتظم فلسطين تحت راية القرآن لا راية العلمانية.

عودة إلى الأصل القويم: القرآن والسنة.. إلى المنبع الصافي والمشرب العذب؛ تتشرَّبه العقولُ، وتتضلَّع بِريِّه النفوسُ، وإنه لمطلب في مناط الثريا، ولن يناله إنسان قاعد غير قائم، ولا عامل ناصب، فلا بد لمن أراد مثله من العمل وطول الجهاد والمثابرة والصبر...

«الشيخ ياسين»:

صَقَل الأرواح، ووصلها بينابيع الحياة والحركة من كتاب اللّه وسنة رسولهﷺ .. والتربية الروحية علم دقيق.

والفتيان الأخيار الذين شرّفوا الإسلام في هذا العصر بجهادهم واستشهادهم، هم ثمار ناضجة لهذه التربية الروحية الموفقة، فروسيتهم بالنهار وليدة رهبانيتهم بالليل، ونجاح خطاهم في الحياة أثر صلتهم الموثَّقة بالله.

«الشيخ أحمد ياسين»: «من أبرز القادة الذين مدّوا رواق الإسلام في هذا العصر، ورَبُّوا جيلا يتعشَّقه ويفنى فيه. طراز خاص من أصحاب القلوب الكبيرة والمشاعر المشبوبة، ما إن تتصل بهم حتى تُحسَّ إحساسًا دافقًا يتغلغل فيك ويخلعك من حاضرك وماضيك، ويسيِّرك مع القافلة الهاتفة لله، العاملة لله.

«أحمد ياسين»: من أولئك الرجال الذين يظهرون في التاريخ على نُدرة، ويُحدثون بمسلكهم الفذّ موجات جارفة من الحركة والجهاد والاستشهاد والملاحم التي هي أقرب إلى الأساطير من دنيا الواقع. فلهجت الألسنة ثناء له ولتلاميذه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يحمده الناس عليه، ويثنون عليه به؟ فقال: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»(١).

لسنا عُبّاد أشخاص، وإنما نكرم المبادئ فحسب في الرجال الذين يحيون لها، ويتجرّدون إلا منها.

كان هذا العملاق رجلًا واسعًا، التف حوله ألوف وألوف، فأحسن توجيههم، وأمكنهم من العمل للإسلام فضربوا أروع البطولات، ما من أحد منهم إلا وفي حياته ومشاعره وأفكاره أثر من توجيهات «**ياسين**»، أثر يعتزّ به، ويغالي بقيمته، ويعتبره أثمن ما أحرز في دنياه.

«**ياسين**» أرسل نفعه فيضًا عذقًا، وكان ـ رحمه اللّه ـ في أفقه الداني البعيد، من هذا الطراز الهادي بطبيعته، لأن جوهر نفسه لا يتوقف عن الإشعاع، لقد امتاز «**ياسين**» بخاصة أتيحت له، ولم يرزق غيره منها إلا القليل، خاصة تأليف الرجال، والاستيلاء على أفئدتهم، وغرس علمه في

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

شغاف قلوبهم، وأخذهم بآداب الإسلام في تلطف وإحسان ساحرين، الحب لا الحقد، والشوق لا الوحشة، والعفو لا العقوبة : هي العناصر التي توجد مبعثرة لكثرتها في حياة كل رجل عظيم، وقد كان (ياسين) مثلا كريمًا لهذه العناصر الكريمة.

كان «ياسين» كالمطر لا يبالي على أي أرض سقط... فرس جهاد يغدو إليه طلاب الشهادة والجهاد خفافًا خماصًا، ويروحون ثقالًا بطانًا، قد أنعم اللَّه عليهم.

كانت ساحة الجهاد والشهادة في فلسطين قد أجدبت، وصوّح نبتها، وجفّت أغصانها، واسَّاقطت أوراقها، والناس من فوقها ينظرون يمنة ويسرة، علّهم يروْن فيها رجلًا يخلف الأولين الغابرين، ممن أعلى اللَّه بهم منار الجهاد والشهادة حتى جاء (ياسين)، بطل الجهاد في فلسطين، ومثل عمله وغرسه ينوء بالعصبة أولي القوة والجلادة ولكن فضل اللَّه قيض لهذا العمل ذلكم الرجل المبارك.

«ياسين»: ما عاش بعدك من لم يشغله مصرعك، وينفعه مبدؤك، ويشرق عليه سناك.

ظن الجاهلون أنه بانتهاء حياتك ستنتهي دعوتك، ولكنك حَيٌّ لم تمت: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[البقرة: ١٥٤].

فأنت حيٌّ تُرزَق، ورايتك عالية تخفق، وذكراك حارة تصعق، ولو جعلوا الأصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت، فاللَّه محيط بالكافرين.

«أحمد ياسين»: حقيقة خالدة، ورُوح مجمِّعة، وقوة دافعة، وراية خافقة، فتجمّعوا حول رايته، وتحققوا بسموّ أمانيه وغايته.

لقد حرّر **«أحمد ياسين»** نفسه من مغريات المجد الناقص، ومفاتن النجاح المبتور، وهذا غاية البطولة، ولذلك فلم يكن عجيبًا أن يقضى الرجل على هذه الصورة العجيبة فكان فيها شأنه دائمًا غير مسبوق.

«أحمد ياسين»: طيفٌ من النور ألمّ بهذه الدنيا إلمام الغريب الطارئ، أو الضيف العابر، ثم تركها ومضى.

ماذا يأخذ الطيف من الدنيا؟ أو ماذا يجمع لنفسه منها؟ لا شيء! وماذا يترك الطيف من هذا الدنيا حين يلمّ بها قدسيا من عالم القدس نورانيًّا من عالم النور؟ إنه يترك كل شيء حين يترك

للضمائر نورها، وللنفوس قدسها وطهرها!!

وهكذا كان ((**أحمد ياسين**))، لم يأخذ لنفسه شيئًا، وقد ترك للناس كل شيء!

قام «**أحمد ياسين**» في إشراق هالة لها مبادئها ومثلها العليا، هالة الفكرة الإسلامية، يحيا فيها بقلبه ويحيا فيها بعقله، ويحيا فيها بنفسه ويحيا فيها بوجدانه، وشعوره، وعصبه.. فكانت مبادئها عنده هي الحق، وما سواها باطل، وكانت مُثلها هي النواميس العملية الأصيلة، وما سواها وَهَمٌ خادع، وسراب لا معول عليه، وكانت زهرة الحياة الدنيا تتضاءل وتتقلص أمام عينيه إلى جانب ما يفيض عليه في هالة من سعادة رزق الله.

كان زهده في دنيا المادة لا يعدله إلا زهد أهل المادة فيما لديه من مثل إسلامية شريفة، ولقد عرضت الدنيا نفسها عليه وجاءته خاطبة وواتته الظروف، ولكن هيهات أن تروج هذه الأوهام في نفس مشغولة زاخرة بالحقائق النفسية العليا.

جاء «**ياسين**» فبعث الراكد، وحرّك الهامد وأثار الأشواق، وعلّق همم العاملين بالأفق الأعلى.. لم يأت (ياسين) بعلم جديد... إنما كان شأنه شأن غيره، غير أن الغير يعرض الفكرة الإسلامية ما استطاع، أما هو فكانت الفكرة الإسلامية تعرض نفسها حية سافرة، تعرض نفسها على لسانه بيانًا جزلًا مفصلًا، وتعرض نفسها في لهجة صوته خشوعًا وحنينًا وروحًا غريبًا تطمئن به القلوب، وتعرض نفسها على ملامح وجهه قوة ناطقة بما شاء، وتعرض نفسها في نور عينيه نظرات نافذة ملهمة، تلهم القلوب والنفوس جميعًا، تعرض نفسها في بياض لحيته كنقاء الإسلام وصفائه - فإذا نور جديد يشرق في جوانب النفس، وحياة جديدة تنشر ميت القلوب.

إن «**ياسين**» رجل سلكته فكرة، فاضت على عقله وقلبه، وعزيمته وعصبه، وسخرته لمشيئتها .. كان شحنة هائلة من روحانية الإسلام، ولأن الرجل كان فكرة، والفكرة وحدة متماسكة الأجزاء، إذا أسفرت شمسها الرائعة، أسفرت بكل عناصرها مرة واحدة على كل البيئات والأنحاء.. وهذا هو لب العبر في جهد هذا الشيخ المبارك.

بأثر ((**ياسين**» بدأت الحياة تدب في الجسد الهامد «**فلسطين**» مباركة باسم اللَّه زاكية، فذعرت جراثيم العفن، وتقلقلت الخلايا الميتة، وجزع ما كان يعيش عليه من حشرات سامة خبيثة، ولكن لن ينفع الجزع شيئًا، فقد تغلغلت الحياة في أطوائه، نامية متجددة، وتوالت عليه رجفات النشور

بالخلايا الجديدة تطهر العفن، وتطرد ما فوقها من قشور بالية.. وسكب «**ياسين**» آخر دفقة من حياته مع آخر نبضة من قلبه.

وقال: الناس مات «**ياسين**»، وقال قدر الله: لا فهو حي بشهادته ـ نحسبه كذلك ـ، وهو حيّ في أتباعه.. وهو حي أكثر من ذلك في تلك البراعم التي لم يرها ولم تره.

لم يمت «**ياسين**»، وإنما انطلقت مبادئه من إطارها الذي ألزمته حينًا، وتحررت الفكرة من نطاق اللحم والدم.. لتواصل أمرها في آخرين .. انطلقت الفكرة من قلب واحد لتربو من جديد في قلوب هيأها الله لها على قدر.. أما الإطار الطاهر والجسم العزيز فقد ردّ إلى أهله وذهب إلى ربه، وآن لدمع العجز المدرار أن يتوقف، وآن للمقل التي تهطل أن تتحجر، وللجسد القعيد أن يتحرر، آن للرجل المضيء ذي الشال الأبيض أن تسعى روحه بين الوريد والشريان كنبض حياة، يسعى نوره بين أيدينا، وفي كل شبر عربي يعاني ظلمة المحتل، ظلم ذوي القربى... وأخيرًا آن للفارس الجليل أن يترجّل بعد سبعين عامًا مشاها على الصراط المستقيم.

«**ياسين**»: كلمة سر الأمة التي فتحت أمامها ألف باب للأمل، وألف طاقة لشمس الانتصار على كل الذين أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وكل الذين عاشوا فسادًا بقوات العولمة، وبشرطة المتحالفين الموالين للطاغية المرتعش في البيت الأبيض، وعصابات الشياطين في حارات الأرض المحتلة، وللمختبئين خلف الجدار الهش.

«**ياسين**»: نفس مطمئنة عاشت، ثم عادت راضية مرضيّة، تدخل في عباد الله دخول إكسير الحياة على الأبدان العليلة، فتحيي مواتها، ترد البصر الواهن، وتجلو البصيرة المطموسة، تنشر السواعد فوق أزندة البنادق.

«**ياسين**» آية، ياسين راية، ياسين غاية، ياسين أمة.

هو آية لكل الذين صحّت أبدانهم، واعتلت عزيمتهم. هو آية بكرسيه المتحرك والذي قاد من فوقه كتائب الشرف العربي المسلم، وبنى للحماس بيتًا فوق رفات الوهن الطاعن في أعضاء الجسد.

كرسيّه ليس ككراسي أهل الصولجان، مقعده مقعد صدق، ومقاعدهم وقعودهم باطل، مقعده كتيبة مقاومة متحركة، ومقاعدهم ترسانات بطش واستبداد، احتشاد سرمدي بكل ألوان

الفتنة والزينة، مقعده بارجة تطلق صواريخ عِز الدين (القسام)، ومقاعدهم لا تعرف (القسمة) إلا على واحد، مقعد يخشى الوغي، وآخر يهرول إلى مغنم.

و«**ياسين**» راية منصورة، تخفق بنصر القلة المؤمنة، يلوذ بها كل المستضعفين، والعاجزين، المحاصرين، المكبّلين، الأسرى والمسجونين المُطَارَدِين والمُشَرَّدِين، إنها راية اليقين بالانتصار بعد انكسار، وبالغلبة من بعد ضعف، وبالحماس بعد الفتور، راية تؤكد قوة الضعف في مواجهة ضعف القوة، خاض «**ياسين**» تجارب السجن والتعذيب والاعتقال والحصار فلم يزده ذلك إلا إيمانًا ويقينًا.

تعرّض للاغتيال ونجا، فازداد قوة وتعملق جنوده الحماسيون فزلزلوا الأرض تحت أقدام بني قريظة، هددوه بالقتل فضحك وقال: مرحبًا بالزفاف في عرس الشهادة، نصحه متهكمًا نائب وزير دفاع العصابة الصهيونية بالاختباء، فرد «**ياسين**»: «إنه صَلى الجمعة في مسجد عام؛ لأنه لا يخاف الموت، وأن على اليهود أن يختبئوا خلف سورهم الزائف الهش، فهم الذين يبنون السور ليختبئوا خلفه، وأؤكد لهم أن هذا السور سوف يكون مقبرتهم».

وتحققت نبوءات الشيخ، فقد نال الشهادة التي طلبها، وقد اختبأ أهل عصابة صهيون في بيوتهم، وظهرت الشوارع خالية، لا يسير فيها أحد في أعقاب استشهاد ياسين، فالقاتل خائف مذعور يختبئ، والمقتول يطارده خلف جدرانه الفاصلة.

❑ (ياسين) غاية:

فقد نال الحُسنيين بالشهادة والنصر، وما نبغي سوى الحُسنيين؟!

واللَّه ما انهزم طالب حق، يرفع سيف المقاومة، فالمنهزم يتنازل، يتواطأ، يُؤمر فيأتمر يركع ذليلًا أمام جيش العدو، أو يقنع بالسكوت، ويؤثر الخرس، لكن «**ياسين**» لم يتنازل ولم يركع أو يسكت عن قولة حق، فقد رفض (أوسلو، ومدريد)، وكل موائد الاستسلام، وكان يردد دائمًا (أرض فلسطين عربية إسلامية اغتُصبت بقوة السلاح من قبل اليهود والصهاينة، ولن تعود إلا بقوة السلاح... الجهاد في فلسطين حق مشروع وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة[١])، وإن وصفه بالإرهاب من قِبَل أعداء اللَّه لظلم عظيم، كانت هذه آخر كلماته التي تضمنتها وصيته للحكام العرب.

---

(١) أي في فلسطين.

«أحمد ياسين» أُمّة:

لأنه ينتمي لأمة خير الأنام، تلك الأمة التي تلد المجاهد تلو المجاهد، لا تعرف العقم ولا تعترف باليتم، ولنا في مقاومي الأرض المحتلة آية، الأمة كشجرة وارفة الظلال والثمار، تُؤتى أكلها كل حين، وقد لجأ الصهاينة لسلاح الاغتيال الرخيص الدنيء، الدكتور المقادمة، ويحيى عيّاش، وعماد عقل، ومحمود أبو هنود، وصلاح شحادة وإسماعيل أبو شنب وأخيرًا مع ياسين [(١)]، ومع الموت تُولد الحياة، ومن رحم الاغتيالات يُولد الأبطال الجُدُد، وقد كان «**ياسين**» أمة في صموده ومقاومته، ومن كان أمة لا يموت [(٢)].

«**ياسين**» في فجر الإثنين ٢٢ مارس ٢٠٠٣م يختم آي الذكر الحكيم بعد قيام الليل، يضع مرافقاه عباءته فوق كتفيْه، ويسدلان الشال الأبيض فوق رأسه، يبدو وجهه مفعمًا بالنور، بأنفه الطويل ذي الشمم، وجبهته العريضة.. يدفع مرافقاه مقعده المتحرك صوب المسجد، مسجد المجمع الإسلامي بغزة، الذي طالما شهده مؤسسًا وداعية للجهاد، المسافة قليلة بين البيت والمسجد، وطوبى لمن تطهر في بيته وزار اللّه في بيته، وكان حقًّا على المولى أن يكرم زائره، اعتدلت عجلات المقعد السماوي باتجاه بيت اللّه لصلاة الفجر، وفي ذلك الوقت كانت قصور وقاعات وساحات تشهد حتى الصباح صياح مناضلي الفيديو كليب وفحيح الغانيات، وصليل الدولار والدينار.. وفي المسجد ختم الشيخ الصلاة.. وتحرك موكب الشيخ باتجاه البيت، وكان لسانه يلهج بالتسبيح وبالدعاء، حينما ونّست سماء غزة ثلاث طائرات من الأباتشي والإف١٦ خرجت الطائرات الجبانة من مكامنها كالثعابين السامة، وأطلقت صواريخها على كتيبة الفجر، يدخل الشهداء التسعة موكب النور، تحلق أرواحهم فوق الأرض المحتلة، يضيئون عتمة العجز، وظلمة المهانة بنور المقاومة ومصباح الجهاد ويأتي صوت الشيخ من محطات التلفزة: «لقد حاولوا اغتيالي في الماضي، وهم الآن يهددون بقتلي، وأقول لهم: إنني مستعد للشهادة في سبيل قضيتي المشروعة، وإن استشهادي لا يعني نهاية معركتنا مع اليهود، بل هو بدايتها، وهناك الآلاف من الفلسطينيين مستعدون للشهادة ومقاومة المحتل.

---

(١)وأخيرا مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي تقبله الله في عداد الشهداء وأسكنه عليين كرمًا منه ومَنًّا.

(٢)نحسبه من الشهداء والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا.. والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

«**ياسين**» أو أحمد إسماعيل ياسين، ذلك الرمز والمعنى الذي رحل فينا، سوف يظل آية وراية وغاية وأمة.

«**ياسين**»: ليس لحماس، بل لنا جميعًا، لأنه أعطانا الحماس بعد أن دب الفتور في السواعد فهاتوا إلينا رفات مقعده النوراني، لنرتاح قليلًا على أريكة الشهيد، ربما اشتد عزمنا، ودبّت في أبداننا الحياة، ورفعنا فوق مقعده راية المقاومة.. واللَّه أكبر.. ولله الحمد.. إنه جهاد: نصر أو استشهاد[(١)].

❑ ميلاد:

أيها السادة هل أتاكم حديث التوق إذ يغدو مقدسًا.. والمكرمات إذ تصبح رجلًا.. وأحمد ياسين إذ يَصّعّد عشقًا..؟

هو ذا أحمد ياسين (الخِرِّيت) في زمن التيه..

هو ذا أحمد ياسين.. شهيدًا..

دمه.. ثورة

وروحه.. كَرمة

وعيناه.. داليتان

هو الوعد يمتدّ ويمتدّ حتى تخوم البهاء..

القرون تترى والوعد في كفِّ القلب نصر ونجيع..

القرون تترى والوعد شجر وحجر يشير..

القرون تترى والوعد نبوءة... وسرٌ يسكن شغاف الزيتون..

أيها الآتي صوب الروح.. موتك ليس كالموت!..

وإنما هو صعود له طعم الكبرياء.. ولون الوطن.. ودفء الصلاة.. ووشوشات النور إذ تركض في الأزقة المظلمة!

منذ (أحد) والوجع هو ذات الوجع بقامة أولئك الرجال الذين يؤكدون في كل حين أن أعظم

---

(١) جريدة الأسبوع العدد ٣٦٨ السنة الثامنة، عّزازي علي عزازي ٢٩ مارس ٢٠٠٤م بتصرف كبير.

معجزات هذا الدين هو صناعة الرجال..

منذ (سيدنا حمزة) رضي الله عنه والرجال فينا غيوث تغسل وجه العشب..

كلما زحف إليه الذل بفعل سنن حضارية فاعلة..

كما الشمس.. يُشرق في مدانا الرجال فتهرب العتمة وتضوع الأنوار..

منذ اليوم قررت أن لا أحزن لشهيد.. فبعد كل مَن قضى نحبه هناك من ينتظر!..

لا... بل هناك جموع تنتظر ولم تُبدّل!!

لن أحزن.. فمن ذا الذي يحزن لميلاد نجمة..؟

أيها الشيخ.. اصعد واقترب![1]

يا فارس الكرسي

هُمْ أَكْسَبُوكَ مِنَ السِّبَاقِ رِهَانَا ... فَرَبِحْتَ أَنْتَ وَأَدْرَكُوا الْخُسْرَانَا

هُمْ أَوْصَلُوكَ إِلَى مُنَاكَ بِغَدْرِهِم ... فَأَذَقْتَهُمْ فَوْقَ الْهَوَانِ هَوَانَا

إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ بِنَارِهِم ... لَمَّا رَمَوْكَ بِهَا بَلَغْتَ جِنَانَا

غَدَرُوا بِشَيْبَتِكَ الْكَرِيمَةِ جَهْرَةً ... أَبْشِرْ فَقَدْ أَوْرَثْتَهُمْ خُذْلَانَا

أَهْلُ الإِسَاءَةِ هُمْ، وَلَكِنْ مَا دَرَوا ... كَمْ قَدَّمُوا لِشُمُوخِكَ الإِحْسَانَا

لَقَبُ الشَّهَادَةِ مَطْمَحٌ لَمْ تَدَّخِر ... وُسْعًا لِتَحْمَلَه فَكُنْتَ وَكَانَا

يَا أَحْمَدُ الْيَاسِين، كُنْتَ مفوَّهًا ... بِالصَّمْتِ، كَان الصَّمْتُ مِنْكَ بَيَانَا

مَا كُنْتَ إِلَّا هِمَّةً وَعَزِيمَةً ... وَشُمُوخَ صَبْرٍ أَعْجَزَ الْعُدْوَانَا

فَرَحِي بِنَيلِ مُنَاكَ يَمْزِجُ دَمْعَتِي ... بِبِشَارَتِي وَيُخَفِّفُ الأَحْزَانَا

وَثَّقْتَ بِاللهِ اتِّصَالَكَ حِينَمَا ... صَلَّيتَ فَجْرَكَ تَطْلُبُ الْغُفْرَانَا

---

[1] ميلاد في رثاء الشيخ أحمد ياسين بقلم نسيبه عبد العزيز مشوح الرياض موقع مجلة العصر ٢٤/٣/٢٠٠٤.

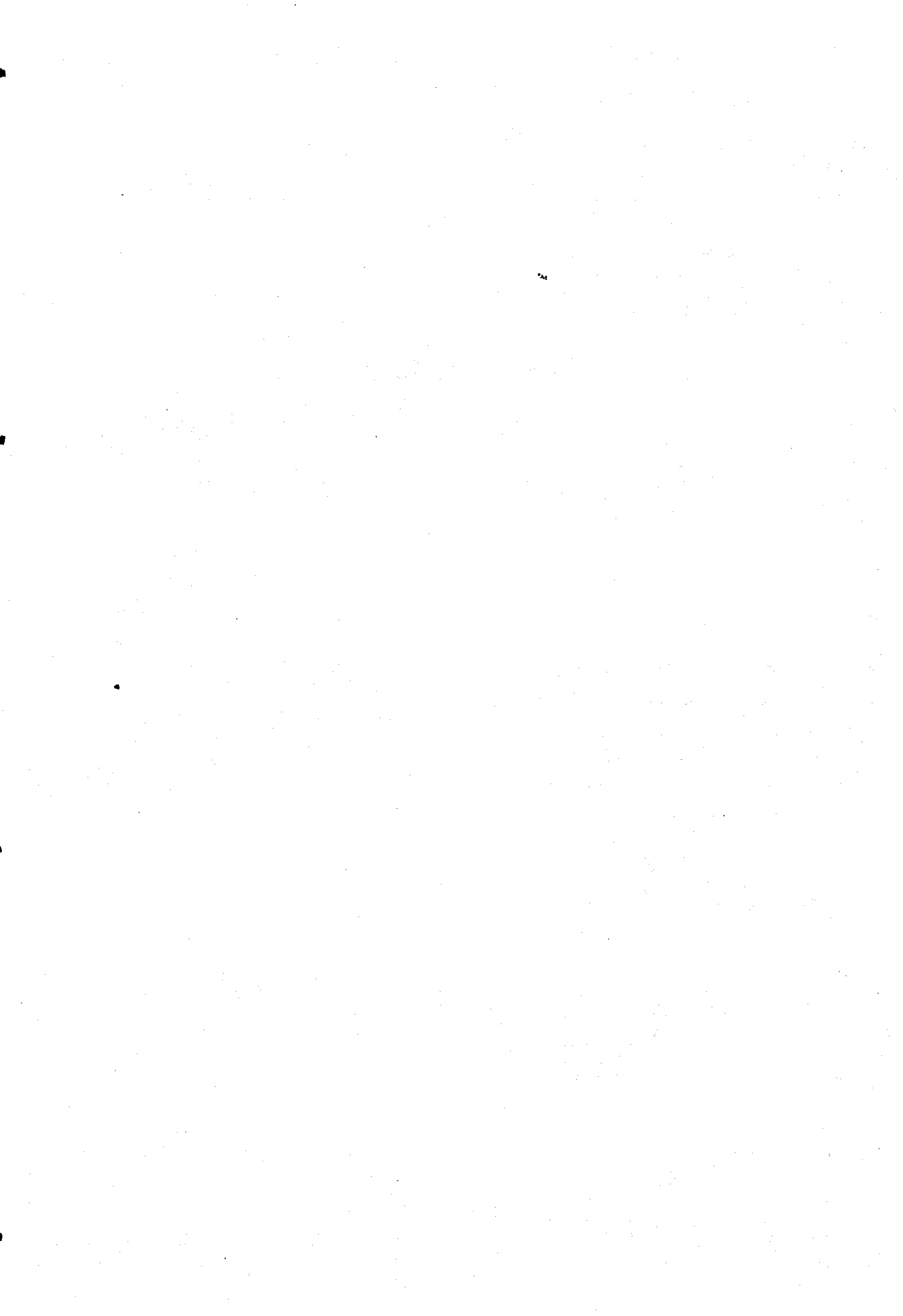
وَتَلَـوتَ آيـاتِ الْـكِـتَـابِ مُـرَتِّـلا ... مُـتَـأَمِّـلًا تَـتَـدَبَّـرُ الْـقُـرْآنـا
وَوَضَعْتَ جَبْهَتَكَ الْكَرِيمَةَ سَاجِدًا ... إِنَّ الـسُّـجُـودَ لَـيَـرْفَـعُ الإِنْـسَـانـا
وَخَرَجْتَ يَتْبَعُكَ الأَحِبَّةُ، مَا دَرَوْا ... أَنَّ الْـفِـرَاقَ مِـنَ الأَحِـبَّـةِ حَـانـا
كُرْسِيُّكَ الْمُتَحَرِّكُ اخْتَصَرَ الْمَدَى ... وَطَـوَى بِـكَ الآفَـاقَ وَالأَزْمَـانـا
عَلَّمْتَه مَعْنَى الإِبَاءِ، فَلَمْ يَكُنْ ... مِثْلَ الْكَرَاسِي الرَّاجِفَاتِ هَوَانا
مَعَكَ اسْتَلَذَّ الْمَوتَ، صَارَ وَفَاؤُه ... مَـثَـلًا، وَصَـارَ إِبَـاؤُه عُـنْـوَانـا
أَشْلَاءُ كُرْسِيِّ الْبُطُولَةِ شَاهِدٌ ... عَـدْلٌ يُـدِيـنُ الْـغَـادِرَ الْخَوَّانـا
لَكَأَنَّنِي أَبْصَرْتُ فِي عَجَلَاتِه ... أَلَمًا لَـفَـقْـدِكَ، لَـوْعَـةً وَحَـنَـانـا
حُزْنًا لِأَنَّكَ قَدْ رَحَلْتَ، وَلَمْ تَعُدْ ... تَمْشِي بِه، كَالطَّوْدِ لَا تَتَوَانَى
إِنِّي لَتَسْأَلُنِي الْعَدَالَةُ بَعْدَ ما ... لَقِيَتْ جُحُودَ الْقَوْمِ، وَالنُّكْرَانا
هَلْ أَبْصَرَتْ أَجْفَانُ أَمْرِيكَا اللَّظَى ... أَمْ أَنَّـهَـا لَا تَمْـلِـكُ الأَجْـفَـانـا؟
وَعُيُـونُ أُورُوبَّـا تُـرَاهَـا لَمْ تَـزَلْ ... فِي غَـفْـلَـةٍ لَا تُـبْـصِـرُ الطُّـغْـيَـانـا
هَلْ أَبْصَرُوا جَسَدًا عَلَى كُرْسِيِّهِ ... لَمَّا تَـنَـاثَـرَ فِي الـصَّـبَـاحِ عِـيَـانـا
أَيْنَ الْحَضَارَةَ أَيُّهَا الْغَرْبُ الَّذِي ... جَعَلَ الْحَضَارَةَ جَمْرَةً وَدُخَانا
عُذْرًا، فَمَا هَذَا سُؤَالُ تَعَطُّفٍ ... قَدْ ضَلَّ مَنْ يَسْتَعْطِفُ الْبُرْكَانا
هَـذَا سُـؤَالٌ لَا يُـجِـيـدُ جَـوَابَـه ... مَـنْ يَـعْـبُـدُ الأَهْـوَاءَ وَالـشَّـيْـطَـانـا
يَـا أَحْـمَـدُ الْـيَـاسِـيْنُ، إِنْ وَدَّعْـتَنَا ... فَلَقَدْ تَرَكْتَ الصِّدْقَ وَالإِيمَانا
أَنَا إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّمَا أَبْكِي عَلَى ... مِـلْـيَـارِنَـا لَمَّا غَـدَوْا قُـطْـعَـانـا
أَبْكِي عَلَى هَذَا الشَّتَاتِ لِأُمَّتِي ... أَبْـكِـي الْخِلَافَ الْمُرَّ وَالأَضْـغَـانـا
أَبْكِي وَلِي أَمَلٌ كَبِيْرٌ أَنْ أَرَى ... فِي أُمَّتِي مَنْ يَكْسِرُ الأَوْثَانا

يَا فَارِسَ الْكُرْسِيِّ، وَجْهُكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا رَبِيعًا بِالْهُدَى مُزْدَانَا
فِي شَعْرِ لِحْيَتِكَ الْكَرِيمَةِ صُورَةٌ لِلْفَجْرِ حِينَ يُبَشِّرُ الأَكْوَانَا
فَرِحَتْ بِكَ الْحُورُ الْحِسَانُ كَأَنَّنِي بِكَ عِنْدَهُنَّ مُغَرِّدًا جَذْلَانَا
قَدَّمْتَ فِي الدُّنْيَا الْمُهُورَ وَرُبَّمَا بِشُمُوخِ صَبْرِكَ قَدْ عَقَدْتَ قِرَانَا
هَذَا رَجَائِي يَا ابْنَ يَاسِينَ الَّذِي شَيَّدْتُ فِي قَلْبِي لَهُ بُنْيَانَا
دَمُكَ الزَّكِيُّ هُوَ الْيَنَابِيعُ الَّتِي تَسْقِي الْجُذُورَ وَتُنْعِشُ الأَغْصَانَا
رَوَّيْتَ بُسْتَانَ الإِبَاءِ بِدَفْقِهِ مَا أَجْمَلَ الأَنْهَارَ وَالْبُسْتَانَا
سَتَظَلُّ نَجْمًا فِي سَمَاءِ جِهَادِنَا يَا مُقْعَدًا جَعَلَ الْعَدُوَّ جَبَانَا

رحمك الله يا شيخنا(١)

* * *

(١) لعبد الرحمن العشماوي مجلة القدس العدد ٦٤ السنة السادسة ص١٠٧، ١٠٨، صفر ١٤٢٥هـ أبريل ٢٠٠٤م وجريدة آفاق عربية ص ١٣ العدد ٦٥١ السنة التاسعة ١١ صفر ١٤٢٥ أبريل ٢٠٠٤م.



فصل

شيخ المجاهدين
مؤمن آل ياسين
من الميلاد إلى الاستشهاد

«طالما أن الموت مكتوب علينا جميعًا فالشاطر[1] هو الذي يموت ميتة حلوة».

«الشيخ أحمد ياسين»

قال مالك بن دينار: «الحكايات تحف الجنة»، ولله در الجُنيد حين يقول: «الحكايات جند من جنود الله عَزَّلَ يُقوِّي بها إيمان المريدين». فقيل له: هل لهذا من شاهد؟ قال: قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، وقال الإمام أبو حنيفة: «الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبّ إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم».

سنذكر هنا سيرة الشيخ أحمد ياسين كما يرويها ويقصها هو بنفسه لنستخلص منها العبر، ونقف وقفات قد تطول أحيانًا وتقصر في مرات، والحكايات عنه ليست كقصص بني إسرائيل الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل لما هلكوا قصُّوا**»[2]، ولكن الحكايات عن

(١) الشاطر لغة هو السارق ولكنه في العامية بمعنى الذكي. وهذه كلمة يقصد الشيخ ياسين معناها بالعامية.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» والضياء في المختارة وأبو نعيم في الحلية عن خباب وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٨١)، وصحيح الجامع رقم (٢٠٤١) قال الشيخ الألباني في صحيح الجامع على هذا الحديث «أي لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص، وعولوا عليها، واكتفوا بها قاله المناوي. قلت: ولينظر المؤمن العاقل إلى حال كثيرين من المؤمنين اليوم، فقد أصابهم ما أصاب من قبلهم، فقد أخلد وعاظهم إلى القصص، وأعرضوا عن العلم النافع والعمل الصالح مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام «لتتبعن سنن من كان قبلكم».

الشيخ أحمد إسماعيل ياسين هي كما قال القائل:

«خير وسيلة لإشعال العزائم، أو إثارة الروح الوثابة، وقدْحَ المواهب، وإذكاء الهمم، وتقويم الأخلاق، والتسامي إلى معالي الأمور، والترفع عن سَفْسَافها، والائتساء بالأسلاف الأجلاء - هو قراءة سير النبغاء الصلحاء، والتمليِّ من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين، والاقتراب من العلماء النبهاء العاملين المُجَدِّين، فذلك خير مهماز لرفع الهمم، وشدِّ العزائم، وسمو المقاصد، وإنارة القلوب، واحتلال ذُرَى المجد الرفيع، واغتنام الباقيات الصالحات، وإخلاص النيات»[(١)].

وبعد قليل سنشرع في رواية السيرة الذاتية للشيخ المجاهد كما رواها هو بنفسه[(٢)].

موطن مبارك لشيخ مبارك

في بلاد الشام حيث تبسط الملائكة أجنحتها ولد الشيخ المبارك «**أحمد ياسين**»، في بلاد الشام صفوة بلاد الله، ويسكنها خيرته من خلقه، في بلاد الشام التي تكفّل اللَّه بأهلها فلا ضيعة عليهم، في بلاد الشام عمود الكتاب والإسلام وتمام الدين وظهوره سيكون بها، في هذه الأرض التي دعا لها النبي ﷺ بالبركة، ونصح النبي ﷺ أصحابه بسكناها.. بلاد الشام رباط وثغر إلى يوم القيامة، وهي عقر دار المؤمنين، وخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، وفي بلاد الشام الطائفة المنصورة.

وأهل الشام سوط اللَّه في الأرض ينتقم بهم ممن يشاء، وأخبر رسولنا ﷺ بكثرة شهدائهم وفضلهم العظيم عند اللَّه - تَعَالَى -، وهي بلاد مباركة مقدسة طاهرة وأرض صدق، وفي أرض

---

(١) «صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل» لأبي غدة ص١٧-١٨. نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

(٢) من برنامج «شاهد على العصر» في قناة الجزيرة القطرية خلال شهري إبريل ومايو عام ١٩٩٩م في ثمان حلقات، تم بث الحلقة الأولى في ١٧ إبريل ١٩٩٩م، أما الحلقة الثامنة والأخيرة فقد تم بثها في ٥ يونيو ١٩٩٩م، وحلقة أخرى في برنامج «الشريعة والحياة» في قناة الجزيرة القطرية في ٢٦ إبريل ١٩٩٨، وجمع محاوره الأستاذ أحمد منصور هذه الحلقات في كتاب «الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» - طبع الدار العربية للعلوم ودار ابن حزم - والطبعة داخل مصر للمكتب المصري الحديث - وقد كتب الشيخ أحمد ياسين مقدمة لهذا الكتاب.

فلسطين منها خاصة ولد الشيخ المبارك «**ياسين**».. أرض فلسطين التي أقسم اللَّه بها فقال: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [التين: ١، ٢]، أرض المحشر والمنشر، وفيها أولى القبلتين وثاني مسجد بُني على الأرض، وأحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، المسجد الأقصى نعم المصلى هو، الصلاة فيه بمئتين وخمسين صلاة فما أَجَلَّه وأعظمه، وأشرفه وأفخمه، وأعلاه وأجلاه، وأسماه وأسناه، وأيمن بركاته وأبرك ميامنه، وأحسن حالاته وأحلى محاسنه، وأزين مباهجه وأبهج مزاينه، أظهر اللَّه طُولَه وَطَوْلَه بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

في فلسطين مهاجر لوط وإبراهيم، الأرض التي سأل كليم الرحمن موسى -عليه السلام- ربه عند موته أن يدنيه منها رمية بحجر، الأرض التي شدّد اللَّه ملك داود بها وألان له الحديد، وفيها بشر اللَّه زكريا بيحيى، تهبط الملائكة إليها وتقبل اللَّه من امرأة عمران نذرها بها، وكفل زكريا مريم -عليهما السلام- بها، وفضّل اللَّه مريم على نساء العالمين فيها، وبشر اللَّه مريم بعيسى -عليه السلام- بها، وفيها كان الميلادان الفذان ليحيى وعيسى -عليهما السلام-، فيها آتى اللَّه الحكم ليحيى صبيًا، ولد فيها عيسى عليه السلام، وبها كان يحيي الموتى بإذن الله، وأنزلت عليه المائدة فيها، ورفعه اللَّه إلى السماء منها.. أرض النبوات والبركات، أرض الصدق، المقدسة الطاهرة، أرض الرباط والجهاد.. أرض الإسراء والمعراج، مبوأ الصدق، مستقر خلافة المهدي، وفيها يُقتل المسيح الدجال بيد عيسى عليه السلام، ويُهلك اللَّه اليهود بأرضها، وفيها ينطق الحجر والشجر: يا مسلم.. يا عبدالله ورائي يهودي -تعَالَى- فاقتله..

فَانْهَضْ فَهَاتِيكَ الرُّبَى قَدْ فَوَّحَتْ ... بِالْعِطْرِ مِنْ عَبَقِ الْجِهَادِ الْمُلْهَمِ
أَمْجَادُ تَارِيخٍ وَوَحْيُ نُبُوَّةٍ ... وَجَلَالُ إِسْرَاءٍ وَعِزَّةُ مُسْلِمِ
وَرَفِيفُ آيَاتٍ تَمُوجُ بِسَاحِهَا ... نُورًا فَيَغْمُرُ مِن رُبًى أَوْ مَعْلَمِ

وفي غزة بلدة الشافعي.. في عسقلان بلد إمام المحدثين ابن حجر العسقلاني كان مولد العبقري المبارك شيخ المجاهدين أحمد ياسين.

❑ عسقلان مسقط رأس شيخ المحدثين العسقلاني وشيخ المجاهدين ابن ياسين:

عرفت عسقلان بشيخ المحدثين الحافظ ابن حجر العسقلاني، وشيخ المجاهدين أحمد ياسين قال الشيخ أحمد ياسين:

«الحمد لله كانت بداية حياتي... الميلاد في عام ١٩٣٦م، في العام الذي كان يسمى في فلسطين عام الإضراب الذي استمر ستة أشهر، تحدثت والدتي[١] ـ رحمها الله ـ أنها رأت في منامها حين حملت بي هاتفًا يقول لها: أنت حملت فإذا وضعتيه فسمِّي المولود أحمد، واحتفظت لنفسها بهذا الهاجس والرؤيا في النوم حتى إذا ما تم الميلاد أسمتني أحمد، فثارت عليها ضرائرها وسلائفها، لماذا تسمينني بهذا الاسم؟ وخصوصًا أن كان في العائلة رجل من أقاربنا اسمه أحمد كان شديد البطش وكان مكروهًا، فرفضن أن يكون اسمي أحمد بهذا الاسم، إلَّا أن الوالدة ـ يرحمها اللَّه ـ أصرَّت على أن تسميني كما كان الهاتف قد هتف بها في أول حملها. وكان الميلاد من فضل اللَّه في صيف سنة ١٩٣٦م، أنا لا أذكر جيدًا يوم الميلاد، ولكنه تقريبًا كان في شهر ٦، في الشهر السادس من عام ١٩٣٦م».

---

(١) أم الشيخ أحمد ياسين هي السيدة سعدة عبدالله الهبيل وذلك كما يقول مؤلف كتاب «الشيخ أحمد ياسين الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي» وتزوج والد الشيخ أحمد من أربعة نساء، تزوج الأولى فلم تنجب إلا بنتًا وكانت زوجته الأولى أكبر منه وذلك لأنها تزوجت من أخيه الأكبر، فلما مات عنها تزوجها والد الشيخ أحمد ثم تزوج أخرى.

وكان والد الشيخ أحمد رجلا محترما له شأن ليس في عائلته فحسب ولكن في القرية بشكل عام إذ كان يرقى إلى منصب أكبر من المختار يسمى «أعظوي» وهذه التسمية نابعة من اختيار الرجل ليكون مندوبًا عن القرية في التجمعات أو القوى السياسية أو الاجتماعية الهامة، وكان من الرجال الميسورين إذ زاد ما يملكه في قريته في مناطق متناثرة أكثر من ٩٥ دونمًا، وكانت هذه المساحات مزروعة بيارات برتقال وكروم وقد توزعت هذه الأراضي في عسقلان وفي بئر أبو جرموع وفي منطقة صور.

يقول أبو نسيم ـ أخو الشيخ أحمد الأكبر ـ «كانت حالتنا الاقتصادية ممتازة وكنا من أغنى أهل الجورة تقريبًا وكنا نبيع البرتقال في المجدل».

نقلًا عن «الشيخ الشهيد ـ أحمد ياسين شموخ في زمن الانكسار» ص٢١-٢٢ لمحمد المنير ـ دار البشير ـ طنطا.

وطبعًا ـ والحمد لله ـ بدأت أنمو في أسرة طيبة هادئة، للعلم أنَّ أهل الجورة[1] أهلُ فلاحة، وزراعة وبحرية... يعملون في البحر وأنا ولدت في قرية جورة عسقلان، وهي على أرض عسقلان المدينة القديمة التاريخية، والتي كان لها تاريخ كبير في التاريخ الفلسطيني، طبعًا أنا بدأت حياتي صغيرًا، ـ والحمد لله ـ كانت الوالدة إنسانة مؤمنة وطيبة، الوالد أنا لا أعرفه جيدًا لأنه مات قبل أن يكون لدي الوعي الكافي في معرفته.

ربما مات الوالد وأنا عمري أربع إلى خمس سنوات، أنا لا أتصوره الآن، وكانت التربية منوطة بالوالدة ـ رحمها اللَّه ـ والحمد لله بدأنا حياة طيبة ونحن صغار، طبعًا كان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية، فعايشت الجيش البريطاني وهو يأتي إلى فلسطين، ويستجم الجنود على ساحل البحر، كنا نذهب إلى البحر معهم، وكنت من الأطفال المقربين جدًّا لقائد المعسكر في ذلك الوقت، لا أدري لماذا؟!، لا أدري لم أنا من دون أبناء القرية؟!!.

* **أحمد منصور:** كيف كان شكل هذا التقارب؟

* **أحمد ياسين:** لا أدري... أنا أذهب إلى معسكر الجيش فيستقبلني الكوبرول هناك استقبالًا غير الأطفال كلهم، وأدخل المخيم وأعبث فيه كما أشاء، فإذا نزلوا إلى البحر للسباحة أخذوني معهم، وأذكر مرة أنني نزلت قبلهم بثوانٍ إلى الماء فتعرضت للغرق وأخذت أشرب الماء، فقفز القائد ونزل عندي وانتشلني من الماء، وحينما نظرت إلى الماء إذا به إلى ركبتيه.

كان عمري خمس أو ست سنوات، طبعًا في هذا الوقت بالذات كانوا يسمونني يعني أهل الجورة أعرف أنهم كانوا ينادوني باسم عبداللَّه بلبل اللاميم، هذه العبارة كان البريطانيون يطلقونها عليّ في ذلك الوقت، لأن بيتنا كان على الطريق الأسفلت المؤدي إلى البحر، بيننا وبين البحر معدل فقط بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ متر، ولذلك كان الأمر قريبًا عليّ أنزل إلى البحر وأشاهد.

كثير من أهل بلدنا يعرفون هذا التاريخ، الناس الكبار يعرفون هذا التاريخ، طبعًا كنت أدخل المعسكر، أدخل المطعم، أحضر الطعام لأبناء القرية وأناولهم من فوق السلك، أحضر لهم علب بلوبيف، ولا أدري علب إيش وأعطيهم، يعني لم يكن أحد منهم يجرؤ على أن يدخل المخيم إلَّا أنا، وهذا من فضل اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ طبعًا أنا بذلك تعلمت شيئًا من اللغة الإنجليزية في ذلك

(١) قرية الجورة مهد الشيخ ياسين هي من قضاء المجدل جنوبي قطاع غزة.

الوقت، وصرت أتكلم اللغة جيدًا، وحينما ذهبت إلى المدرسة، كان دخول المدرسة في ذلك الوقت من العام السابع، لم يكونوا يقبلون أقل من سبع سنوات، فحينما ذهبت إلى المدرسة صار كل الأطفال صاروا يقولون للأستاذ: هذا يتكلم الإنجليزية يا أستاذ، فصار يسألني وأنا أجيبه في كل الأشياء التي أعرفها، والحمد لله دخلنا المدرسة وتعلّمنا.

لم أكن أعرف محتلين ولا غير محتلين، أنا طفل صغير أجد متعة في الذهاب إلى البحر، في اللعب هناك... فقط أنا لم أكن أعرف أن ذلك الأمر احتلال ولم يكن عندي هذا الوعي، ولم يكن عندي هذا الفكر.

❑ دخوله المدرسة:

دخلت المدرسة، وبدأت رحلتي التعليمية في المدرسة، ومضيت في هذه الفترة حتى أنهيت الصف الرابع الابتدائي في مدرسة الجورة الابتدائية التي كان فيها حتى الصف السادس، وانتقلت إلى الصف الخامس وطبعًا استلمنا الكتب، وبدأنا أول شهر، وبدأت النكبة[1] والرحيل من الجورة إلى منطقة غزة».

«كنت ما زلت مترفعًا إلى الصف الخامس، حيث إنَّ الجورة تعرضت لهجمات من الطائرات الإسرائيلية، فكان فيها دمار كبير في البيوت والمساكن، ولم أكن أعرف أنه المقصود ضرب الجورة بالذات أو كان المقصود ضرب المجدل، لأنه كانت هناك مدفعية للجيش المصري... تتصدى للطائرات وهي متجهة إلى المجدل فإذا ما تضايقت هذه الطائرات ألقت بحملها على الجورة، وأنا، لا أعرف هل كان هذا مخططًا أم لا؟ لكن الجورة أصيبت، فأخذ الناس يرحلون من البلد إلى الكروم والحقول حول البلد بعيدًا عن هجمات الطائرات، وطبعًا نحن كنا من الناس الذين خرجوا من بيوتهم إلى عسقلان، لأنَّ عسقلان كانت مرتفعة قليلًا، وطبعًا هناك ذكريات كثيرة في ذلك الوقت، لأنه في تلك الفترة كان الجيش الإسرائيلي قد قطع الطريق على الجيش المصري عند ديرسنيد، هناك عند ديرسنيد قطعت الطريق على الجيش المصري؛ فالجيش المصري أخذ ينقل معداته عن طريق البحر عبر الجورة وكان الجنود الذين يأخذون أجازات يذهبون إلى مصر بالبواخر عبر الجورة».

(١) النكبة هي حرب ١٩٤٨ .

يعني صارت الجورة مركزًا للتمويل والتنقّل.

يقول الشيخ أحمد ياسين عن قريته:

نعم كانت مركزًا... عن طريقها كان يتم تمويل الجيش المصري الذي كان محاصرًا من ديرسنيد ياة أسدود. وأنا أذكر من الأشياء التي رأيتها أنه كانت هناك باخرة مصرية تنزل وقودًا وإمدادات وتأخذ ضباطًا وجنودًا إلى مصر معها في طريق عودتها، فجاءت ثلاث بواخر إسرائيلية وحاصرتها في البحر من كل الاتجاهات، طبعًا القائد حينما رأى الحصار حوله أوقف الإنزال، وبدأ يرمي براميل البترول إلى البحر، وبعد ذلك بدأ هجومه على البواخر الإسرائيلية الثلاث.

وأخذ يضرب ضربات قاصمة في الثلاث حتى فرَّت من أمامه، وفتح خطًّا للانسحاب وخرج من بينهم... كان منظرًا جميلًا جدًا.

كما رأيت معركةً ثانية، حيث كنت أجلس يومها على قمة جبل عسقلان، كان معي عنزة صغيرة أرعى بها وكنت جالسًا أشاهد، وإذا بباخرة مصرية أمامي، أنا على التل وهي قدامي جاءت طائرات إسرائيلية تهاجم الباخرة المصرية، فكانت تختفي وراء الجبل ثم تهجم عليها، إلَّا أنه في الحقيقة كان القائد المصري ممتازًا جدًّا، فكان يقوم بعمل حركات لطيفة بحيث أن القنابل التي تلقيها عليه الطائرة الإسرائيلية كانت تسقط في البحر، ولا تصيب الباخرة.

يتحرك بشكل دائري ولا يمشي إلى الأمام أو الخلف بل كان يأخذ الشكل الدائري بحيث إنَّ القنبلة التي كانت تلقى عليه كانت تسقط في البحر، وبعد ذلك حينما أوشكت الطائرة على استنفاد وقودها، تركته ومشت ومشي فكان شيئًا مذهلًا، وأنت تشاهد معركة بحرية جوية بهذا الشكل فكانت طيبة للغاية، والحمد لله، رغم أني في تلك الفترة لم أكن على وعي كامل بالقضية.

❑ الهجرة من الجورة إلى غزة:

سأل أحمد منصور الشيخ ياسين عن مشاعره وأحاسيسه وهو يشاهد هذه المعارك؟

فأجاب الشيخ أحمد ياسين: «طبعًا أنت تعرف كلنا كنا في تعبئة وحب لإخواننا في الجيش المصري الذي كان يقاتل في ذلك الوقت، ويدفع ثمنًا غاليًا وشهداء كثيرين في كل معاركه، لكن المشكلة، فيما يبدو كانت لها جوانب كثيرة، منها ما يتعلق بتجهيزات الجيش المصري من حيث

المعدات والتدريبات ومعرفة طبيعة الأرض التي يدافع عنها، أضف إلى ذلك عدم معرفته بطبيعة العدو الذي يقاتله، هذا فضلًا عن تجريد أهل فلسطين من أسلحتهم وعدم الاستعانة بأصحاب الأرض في الدفاع عن أرضهم، إضافةً إلى أن مَنْ كانت بأيديهم مقاليد الأمور لم يكونوا على قدر المسؤولية؛ فالجيش المصري من أفضل الجيوش عندما تكون القيادة صالحة؛ لأنه كيف كان العدو يستولون على كوبري فننسحب ونسلم لهم المكان، والغريب أن الجيش المصري بدأ ينسحب بعدما قام بعمل خط من السلك على الشاطئ، وبدأ ينسحب عن طريق قرية هربيا إلى غزة، انسحب الجيش المصري من أسدود إلى غزة، ليس عن طريق الخط الأساسي وإنما أنشأ خطًّا جديدًا على ساحل البحر من الأسلاك، وأخذ يسحب دباباته وسياراته وجيشه من هذه المنطقة، مع أنه كان في إمكانه بكل بساطة أن يفتح النار على الإسرائيليين لا سيما وأنه كان لديه دباباته وطائراته وقواته، وكان يدك المستعمرات ويستولي عليها، لذا لم يكن صعبًا عليه أن يفتح الطريق التي أمامه... لكن شاء الله.

خرجنا بعد ذلك من الجورة طبعًا تحت التهديد والخوف من الإسرائيليين، لأنه حينما دخلت الجيوش العربية كان مخططًا لها أن تسحب الأسلحة من الناس... حتى لا تكون هناك قوة أخرى، وهذا أفقدنا القوة الذاتية والاعتماد على أنفسنا، لأنه حينما ينسحب الجيش طبعًا من المنطقة فليس لدينا إمكانات دفاع وإمكانات سلاح نهاجم بها العدو.

قبل ذلك كنا نعتمد على أنفسنا، وعندنا بنادق وعندنا أسلحة ونواجه اليهود ونهاجمهم في المستعمرات، فلما جاءت الجيوش العربية وانتزعت السلاح منا، أصبحنا معرَّضين لأي ضربات عندما تنسحب هذه الجيوش، وكانت مشكلتنا أنَّ الشعب الفلسطيني يُهاجَم في القرى وفي الجنوب، وتحدث مذابح يتعرض لها النساء والشيوخ والأطفال، فكل مذبحة كانت تخيف سكان القرية التي في جوارها فكان الناس يهربون وينسحبون من قراهم أمام الهجوم الإسرائيلي، حتى تمّ لإسرائيل استيلاؤها على المنطقة بشكل لم يكن متوقعًا، ولم يكن ممكنًا أن يحدث ذلك لو كنا نملك نحن الشعب الفلسطيني سلاحنا، ولم يكن من الممكن أن نسلم ونتحرك من أرضنا ووطننا، لكن ـ الحمد لله ـ هذا الذي قدَّره ربنا، لم نكن نملك إمكانات قوة عسكرية، ولو أن الأمة العربية اعتمدت... على دعم الشعب الفلسطيني وتسليح الشعب الفلسطيني لكان ذلك قد غيَّر

وجه المعركة تمامًا، لأنه هو أدرى ببلده؛ فنحن قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين كنا نتقدم على اليهود، وننتصر في معارك، ويُهزموننا في معارك، نأخذ منهم ويأخذون منّا، لكن عندما جاءت الجيوش العربية فقدنا السلاح، فقدنا القوة، وأصبحنا معتمدين على هذه الجيوش، فإذا انسحبت هذه الجيوش كنا مهدَّدين بالخطر، ولا بد أن ننسحب معها».

❑ حزن ياسين على نكبة ١٩٤٨:

لقد عايش الشيخ ياسين بعض حوادث حرب ١٩٤٨ رغم أنه كان طفلًا في الثانية عشرة من عمره...

قال الشيخ ياسين:

«والله إني حزين لأن الأمة العربية وُضعت في معادلة غير طبيعية في ذلك الوقت.

إسرائيل كانت تعلن عن نفسها أنها دولة صغيرة ضعيفة مسكينة ثم يهاجمها جيوش سبع دول عربية، فتحدث ضجة في العالم الغربي، سبعة جيوش تهجم على ناس ضعاف صغار فتعطيهم قوة وإمدادات ومساعدات، ثم كانت الدولة الكبرى تستخدم دائمًا حق النقض الفيتو ضد أي قرار يخدم مصلحة الفلسطينيين أو الأمة العربية، أما إذا كانت إسرائيل متضايقة من المعركة فإن الفيتو يستخدم لصالح الإسرائيليين ويصدر بشكل مباشر وتكون قرارات مجلس الأمن فورية بوقف القتال؛ إذا كانت المصلحة لإسرائيل فمجلس الأمن لا يجمع ولا يتخذ قرارات وقف لإطلاق النار، هذا لأن الأمر أصبح يتعلق بجيوش ودول، أما إذا كان الشعب الفلسطيني هو الذي يقاتل فإننا لا نخضع لمجلس الأمن أو قراراته التي كانت تقضي بوقف القتال، فإذا كانت المصلحة للعرب فلا تصدر أي قرارات وإذا كانت المصلحة لليهود تجد القرار فوريًّا وخلال ساعات يكون قد صدر القرار بوقف القتال.

الواقع أنَّ إخواننا في الجيش المصري بذلوا الكثير ودفعوا الكثير، ولولا الخيانة التي كانت تأتي من القصر والأسلحة الفاسدة التي زُوِّدُوا بها لكان لهم دور كبير ودور جيد في المعركة، أنا أذكر هنا أيضًا شيئًا طيبًا: إنه كان في جانب الجيش المصري مقاتلون متطوعون من الإخوان المسلمين المصريين وانضمَّ إليهم بعض الإخوان المسلمين من فلسطين، أذكر أن الجيش المصري فقد التبة (٨٦) شرقي مدينة دير البلح بعد هجوم إسرائيلي وغدر إسرائيلي، ولم يستطع استعادتها، إلَّا أنَّ

المقاتلين من الإخوان المسلمين تقدموا وفتحوها وأعادوها ثانية، تبة تستطيع أن تسيطر على طريق المواصلات، كما أن الجيش المصري دخل الأسفلت العام وترك مستعمرات على الطريق كان من المفروض ألَّا يتركها لأنها كانت تتحكم في الطريق...

مثلًا مستعمرة كفاردروم التي هي بالقرب من دير البلح كانت موجودة والتي استولى عليها الشيخ محمد فرغلي ـ اللَّه يرحمه ـ بالمقاتلين الذين معه بعد صلاة الجمعة واستولى عليها في وضح النهار، يعني بالمجاهدين المصريين ـ اللَّه يجزيهم الخير ـ المتطوعون من الفلسطينيين الذين انضموا إليهم كانوا يؤدون دورًا جيدًا، حتى لقد قرأت في كتاب «الإخوان المسلمين وحرب فلسطين» لمؤلفه كمال الشريف، كان يقول: إن قائد الإخوان اتجه إلى اللواء فؤاد صادق في ذلك الوقت، قال له: لماذا تنسحب؟ قال له: لأن الطريق مقطوع علينا، قال له: طيب أنا مستعد أفتح لك الطريق، أمهلني الليلة وأنا أفتح لك الطريق، فأوقف الانسحاب، وقال له: موافق، فجمع قواته والمقاتلين معه واتجه إلى بيت حانون ودير سنيد، وفتح الطريق، فوجد الانسحاب مستمرًا، قال له: ألم نتفق على أن توقف الانسحاب، قال له: هذه أوامر، قال له: ما دامت هذه أوامر فماذا أفعل أنا بعدك؟! فعاد!!

فكانت الأوامر تصدر بالانسحاب، لأن بريطانيا تريد المعركة هكذا، ولك أن تتصوَّر معركة قائدها (جلوب)، قائد الجيوش العربية (جلوب) قائد الجيش الأردني آنذاك فكان الملك عبداللَّه هو القائد العام وجلوب باشا البريطاني قائد الجيش، فلم تكن المعادلة صحيحة في معركتنا مع إسرائيل، وخسرنا المعركة وهذا من الأمور المؤلمة والتي نحمد اللَّه عليها الذي لا يحمد على مكروه سواه، هذا واقعنا، أنا عايشت الجيش المصري في غزة وأنا طفل، والفقر كان شديدًا والجوع كان شديدًا، كنا نذهب إلى الجيش نأخذ قطع الخبز التي تزيد عن الجنود أو الطبيخ الذي يزيد عن حاجة الجنود يعني لدرجة أنّ الناس كانوا في حاجة إلى هذا... محتاجين جدًّا، فكان الجيش متعاطفًا مع الناس، والذي كان يفيض من الجيش كانوا يوزِّعونه على الناس، عشنا هذه المرحلة بمرارتها ورأيناها وبعد ذلك فكرت في أن أعود إلى المدرسة.

❏ الهجرة إلى غزة بعد النكبة:

قال الشيخ «أحمد ياسين»: «انتقلنا أول الأمر من القرية إلى منطقة عسقلان بسبب قصف

الطائرات، المرحلة الثانية انتقلنا إلى الكروم في المنطقة الجنوبية، ثم ارتحلنا من منطقة كروم العنب جنوب الجورة تمامًا أو قريبًا من سكنة الجبلية كانت هناك وطلعنا إلى غزة مباشرة، وسكنّا في الغابة التي كانت منطقة الفرفيرة يسمونها «**العتة**» الآن أو منطقة السودانية، فعدنا فترة ثم انتقلنا وأقمنا في منطقة أبو مدين عند وادي غزة، الظروف صعبة وقاسية وماذا نعمل؟ في أي مكان نسكن؟ بنينا خصًّا من قش وسكنّا فيه، طبعًا بالرغم من الشتاء والبرد، إلّا أنه ـ الحمد لله ـ حمانا من... بفضل اللَّه سبحانه وتعالى».

ثم تحدث الشيخ عن الهجرة الجماعية لأهل الجورة فقال:

«الجورة كانت رحلتها عن طريق البحر كل الناس يضعون أمتعتهم في السفن، ويرحلون إلى غزة ثم يرجعون لنقل الباقي وهكذا، لم نكن مثل الناس الآخرين نستخدم البر... كنا نستخدم البحر في نقل أمتعتنا والارتحال إلى غزة، سكنّا في منطقة وادي غزة عام ٤٩ وبدايات ٥٠، فكرت في ذلك الوقت أن أرجع إلى المدرسة».

❑ حديث الشيخ ياسين عن إخوته وطفولته:

قال الشيخ أحمد ياسين: «كان أخي الكبير هو الذي يرعى الأسرة طبعًا، هو الذي كان يتعب، وأخي الثاني بعده كان يساعده في العمل الذي كانوا يقومون به في البحر طبعًا... بل كانت الأوضاع سيئة لأن الصيد في البحر كان ممنوعًا، كان الاقتراب منه ممنوعًا، على أساس الخوف من المعركة مع اليهود... فكنا نذهب إلى شاطئ البحر متخفين لنلقي بعض قطع الغزل ونصيد كمية بسيطة من السمك لنبيعها ونعيش من ورائها.

ثم قال: «كان إخوتي من أمي وأبي ثلاثة، أنا أصغرهم ولي أخت واحدة من أمي وأبي، يعني كنا ثلاثة إخوة وأخت، لي أيضًا أخوان من أبي من أم أخرى وهما على قيد الحياة، ولي أخت أخرى من أبي من زوجة سابقة متوفاة، طبعًا هؤلاء هم أفراد الأسرة».

ثم قال الشيخ «أحمد ياسين»: «أنا بالنسبة لي لم أشارك في صيد البحر، أنا في فترة الصغر لم أكن إلّا في المدرسة، لكن كنت أصيد... كنت أحب الصيد، كنت أخرج أصطاد الطيور والعصافير، وكانت هذه متعة فعلًا في الجورة، نعيش من الصباح إلى المساء ونحن نجري وراء العصافير... نصطاد بالفخ والقرابين التي كانت تلصق فيها العصافير كنا نضعها في العش.

فكانت متعة جدًّا أنك تتحرك وراء الطيور وتصطاد، كان... الواحد منا يمضي نهاره دون أن يدري عن حاله، لكن ـ الحمد لله ـ نحن طلعنا كما نرى، كنت أودُّ العودة للمدرسة مرة أخرى، فذهبت إلى مدرسة في (النصيرات)، كان التعليم في النصيرات هو أقرب الأماكن إلينا، فدرست هناك عدة أشهر، ثم تركت المدرسة وعدنا إلى غزة ثانية، لأن الأوضاع الاقتصادية كانت صعبة، لم يكن هناك مجال للحياة، وفي غزة بدأت أعمل في مطعم... يعني أشتغل في مطعم فوال على الميناء، واشتغلت فترة طيبة في ذلك الوقت حتى سنة... يعني أواخر سنة ٤٩ و٥٠، ثم عدت إلى المدرسة مرةً أخرى، وقد وجدت كل أبناء الحارة عندي وقد ذهبوا إلى الصف الرابع وأنا قلت لنفسي: أريد أن أذهب إلى الصف الخامس، لكني ذهبت معهم في الصف الرابع، ومن ثم عدت إلى المدرسة مرةً أخرى إلى الصف الرابع على الرغم من أني كنت قد انتهيت من هذا الصف حينما كنت في الجورة، وبعد سنتين أعود مرة أخرى على نفس الصف الذي كنت قد أنهيته فكان تأخري كبيرًا وكذلك عمري».

❑ الإصابة بالشلل:

قال الشيخ «**ياسين**»: «في صيف عام ١٩٥٢، كنت نزلت إلى البحر لألعب ومعي بعض الأصدقاء هناك في حركة معينة وأنا بأتشقلب على الأرض صار عندي التواء في العنق في الرقبة فصار كسرًا فسقطت على الأرض بدون إمكانية للحركة نهائيًا، ربما كان هذا في ١٥/٧/١٩٥٢، ونُقلت أولا إلى البيت ومن هناك نُقِلت إلى المستشفى وطبعًا عملوا إجراءات طبية، جبس على العُنق استمر ٤٥ يومًا، كنت في البداية لا أتحرك نهائيًا، ثم أصبحت أتحرك شيئًا فشيئًا، ثم بدأت بالوقوف على قدميّ، ثم بدأت بعد ذلك بالمشي، لكن طبعًا مشي الضعيف الذي لو دفعه شيء أو صادفته حصوة وهو يمشي لوقع، والحمد لله بعد ٤٥ يومًا خرجت من المستشفى، وأزلت الجبس عن عنقي».

❑ صمت نبيل من الشيخ ياسين:

قال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي ـ تقبله اللَّه في عداد الشهداء ـ عن هذه الحادثة:

«لقد كان الشيخ أحمد ياسين يمخر عباب ربيعه الخامس عشر عندما أُصيب بكسر في فقرات

العُنق على إثر مصارعة ودية بينه وبين أحد زملائه الشهيد عبدالله صيام، ورغم الإصابة الخطيرة التي حلّت بالشاب أحمد ياسين إلا أنه أخفى أسباب الحادث عن عائلته حتى لا تحدث مشاكل عائلية بين عائلته وعائلة صيام قائلًا: إن الحادث كان بسبب قفزة في الهواء وسقوطه على رأسه، ولقد أخبرني بالسبب الحقيقي للحادث عام ١٩٩٠م عندما كنت أشاركه زنزانته، أي بعد الإصابة بأربعين سنة، قائلًا: «إنها المرة الأولى التي يتحدث فيها عن حقيقة ما جرى وأن عائلته حتى هذه اللحظة لا تعلم ذلك» [١].

لله دره وما أجمل صبره وصمته... مثلما صبر الأحنف بن قيس على ذهاب بصر إحدى عينيه أربعين سنة ولا تعلم بذلك زوجه.

❑ إنهاء المدرسة الثانوية والبحث عن عمل:

ثم يقول الشيخ ياسين: «بدأت أعود إلى المدرسة في العام ١٩٥٢ إلى الصف السادس طبعًا، وأنا ضعيف لو حاولت أن أمسك القلم لا أستطيع أن أمسكه، وأمشي بضعف شديد لكن أي شيء يلمسني في الطريق أقع، مرت الدراسة الابتدائية والإعدادية ثم انتقلت للمدرسة الثانوية كان هذا أولًا في مدرسة الإمام الشافعي ثم مدرسة الكرمل...

كنت أذهب إلى المدرسة مشيًا على قدماي لم تكن هناك مواصلات، كنت أمشي إلى مدرسة الإمام الشافعي وأرجع بعد ذلك، انتقلت لمدرسة الرمال التي يسمونها اليوم مدرسة الكرمل، وأكملت دراستي الثانوية في مدرسة فلسطين الثانوية وبعدها كان أمامي خيار أن أكمل في الجامعة أو أشتغل، جاءني القبول من الجامعة في القاهرة لكن لم يكن لدي الإمكانات المادية التي تعينني على أن أسافر إلى مصر للدراسة... كان هناك فقر!! فاخترت الوظيفة، ولو أن الوظيفة أيضًا أتعبتني قليلًا.

أنا ـ الحمد لله ـ كنت جيدًا في الثانوية و... كان هناك خريجون كثيرون في قطاع غزة، لكن لم يكن هناك عمل، كان هناك خريجو تجارة، وخريجو زراعة، وخريجو معهد معلمين، وخريجو توجيهي، فالسلطة لم تكن تدري توظف مَنْ وتترك مَنْ؟!، والناس كانوا ثائرين يريدون أن يأكلوا، فعملوا مسابقة الـ ١٥٠٠ طالب كنت أنا منهم، فالحمد لله أنا كنت من الأوائل الذين

---

(١)من حديث الدكتور الرنتيسي على الإنترنت.

نجحوا وكان لا بدَّ أن أُعيَّنَ فورًا لأني كنت أريد أن أُعيَّنَ مع أول دفعة، لكن مستشار الحاكم الذي كان اسمه محمود شهاب قال لي: لن نعيِّنك، لماذا؟ قال: لأنك لا تصلح أن تكون مدرسًا، قلت: إذن فوظفني كاتبًا مثلًا، قال: لا هذه مسابقة مدرسين، وإذا كنت تريد أن تعمل كاتبًا فيمكنك أن تذهب وتتقدم لمسابقة كاتب، قلت: إذن لم أستفد بهذه الطريقة من العمل قال لي: على كيفك».

يقول الشيخ ياسين عن الوضع الاجتماعي والسياسي والحياتي في غزة في ذلك الوقت:

شعب مشرد في سجن كبير يعيش فيه، الناس ينتظرون المساعدات التي كانت تأتي من مصر آنذاك، حيث كان قطاع غزة يتبع مصر، والوظائف كانت تحدثها الإدارة المصرية في ذلك الوقت لم يكن هناك غير ذلك وكانت غزة محاصرة ليس هناك أي إمكانات مادية، ولذلك فعلًا فكرت في الخروج من غزة والذهاب إلى مصر ما دمت لم أحصل على وظيفة لأذهب إلى مصر للعلاج، فجأة وجدت المستشار الشهاب يرسل لي مندوبًا ويقول لي أريدك غدًا، فاستبشرت، وقلت: طالما أرسل لي فمن المؤكد أنه سوف يوظفني، فذهبت فعلًا إليه فاستقبلني وأجلسني إلى جواره وقال لي: يا بني، مبروك لقد تمَّ توظيفك، فقلت له شكرًا...

كان هذا في العام ٥٨... صيف العام ١٩٥٨، قلت له: شكرًا، قال: لا، إذا تريد أن تشكر فلا تشكرني أنا ولكن اشكر الحاكم لأني لم أكن أريد أن أعينك، ولكن عليك أن تشكر الحاكم لأني حينما حملت له ملفك قلت له: هذا رجل مريض ولا يصلح مدرِّسًا، فقال: وكيف درس؟ وكيف نجح؟ وكيف كذا وكيف كذا... ثم أمر بتعيينك وقال: نرجو له الشفاء.

أُعجبت بقرار الحاكم، حيث أنصفني، واعتمد مبدأ تكافؤ الفرص، ولم يترك المستشار يأخذ الأمر على هواه، ولكن أعاده إلى جادة الصواب عندما أراد هذا المستشار أن يأخذ القرار من الحاكم حتى يقفز عليَّ ويعينِّ شخصًا آخر، ولكني - والحمد لله... بدأت عملي في ٤/١٠/ سنة ١٩٥٨ مع أني كنت قد انتهيت فقط من دراستي الثانوية في شهر يونيو.

❑ **ثقة بالله وحسن توكل عليه:**

يقول أحمد بن يوسف في كتابه: «**أحمد ياسين: الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي**»: عن اتجاه أحمد ياسين للحصول على عمل في مدارس وكالة الغوث التي كان العمل فيها مغريًا؛ إذ

كانت المرتبات أعلى من المدارس الحكومية: «ولكن حظ الشيخ لم يواته للعمل في مدارس اللاجئين فقد كان (خليل عويضة) مدير التعليم لوكالة الغوث شيوعيًا، وكان مساعده فريد أبو وردة شيوعيًا أيضًا وبالتالي فقد تربّع على كرسي النظارة في مدارس الوكالة الشيوعيون أو الذين يسيرون في فلكهم، بل إن أكثر المفتشين كانوا من الشيوعيين أمثال بديع قفه وأوليت الطويل، إذن والحال هذا أين يجد الشيخ أحمد وأمثاله مكانًا لهم في مدارس يُشرف عليها الشيوعيون وهو الذي بدأ الناس يتحدثون عن ورعه وتقواه بين زملائه وجدّه وريادته المسجد وما إلى ذلك فلم يبق أمامه إذن إلا مدارس الحكومة».

وقدم الشيخ طلبًا إلى مديرية التعليم التي تشرف على تعيين المدرسين، وبعد مدة أرسلت اللجنة في طلبه للمقابلة إذ كانت الموافقة على العمل رهن نتيجة المقابلة التي كانت تنظر إلى الأمور الأخرى في شخصية المدرس غير النجاح أو التفوق العلمي، وفي يوم اللقاء ذهب الشيخ أحمد وهو يترنح يمينًا وشمالًا يقع تارة ويسير أخرى فقابله أحد الشباب المسلم ممن كانوا في مثل سنه فسأله إلى أين أنت ذاهب يا أخي يا أحمد؟ فقال الشيخ أحمد: لمقابلة اللجنة التي تشرف على التعيين فقد دعتني لمقابلتها، فأراد صاحبه أن يوفر عليه مشقة المشوار لأنه يعلم النتيجة مسبقًا إذْ وضع الشيخ الصحي وحده كفيل بأن ترفضه اللجنة حتى ولو كان من أبرز المتقدمين إلى اللجنة، فقال له: وهل تتصور أن اللجنة ستوافق على تعيينك؟!

فردّ عليه الشيخ أحمد قائلًا: «يا أخي وهل تتصور أني ذاهب للجنة لكي استعطفها لا والله فأنا مسلم وأثق أن الله إذا أراد لي التعين فلن يتمكن بشر من قطع رزقي، ألم تقرأ قول الله ـ تعالى ـ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣]، ثم هل فاتك حديث رسول الله ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ مَا نَفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ مَا ضَرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».
والله إني واثق من أن الله ـ تعالى ـ لن يخيبني فأنا متوكل عليه وماض في سبيله»[١].

وأكمل الشيخ طريقه وانتظر دوره ودخل على اللجنة المكوّنة من:

---

(١) أحمد ياسين شموخ في زمن الانكسار ص٣٤-٤٣.

١- بشير الرئيس مدير إدارة التربية والتعليم.
٢- محمود شهاب المستشار الثقافي للحاكم العام ورئيس البعثة المصرية التعليمية في قطاع غزة وناظر مدرسة فلسطين الثانوية.
٣- رامز فاخره مفتش اللغة العربية ومدير التعليم فيما بعد.

كان ترتيب الشيخ في المجموعة التي تقدمت لوظيفة مدرس اللغة العربية من العشرة الأوائل، وقد رأت اللجنة أن قدرات الطالب ممتازة ودرجاته مرتفعة إلا أنها سجّلت ملاحظة في الكشف المرفوع إلى الحاكم الإداري العام أنه «**أعرج**»، وكانت كافية بإخراجه من القائمة، لكن قدر اللّه كان أرحم بالشيخ من إرادة البشر إذْ كان للحاكم العام الفريق أحمد سالم ولدًا صغيرًا أعرج، وقد أثرّت هذه الملاحظة في نفسه فصاح معلقًا أمام مقدم اللائحة باللهجة المصرية: «وإيه يعتي أعرج! يعني ما يشتغلش يعني يموت من الجوع؟؟». وأشّر بقلمه الأحمر أمام اسم الشيخ ياسين خاصة له بكلمة «**يُعَيَّن**»، وهكذا أصبح الشيخ أحمد مدرسًا براتب قدره عشرة جنيهات مصرية في كل شهر في مدرسة الرمال الابتدائية التي كانت تحت إدارة محمد محمود الشوا ـ رحمه اللّه ـ.

نعم من وجد اللّه فماذا فقد... إن اللّه لا يضيع أهله...

لَا تُـدَبِّـرْ لَـكَ أَمْـرًا ... فَأُولُو التَّدْبِيْرِ هَلْكَى
سَـلِّمِ الْأَمْـرَ تَجِـدْنَـا ... نَحْنُ أَوْلَى بِكَ مِنْكَ

* **تردد الشيخ على القاهرة من أجل علاج حالته بعد إصابته في العمود الفقري.**

وَتَقَدَّمَ الشيخ «**أحمد ياسين**» لامتحان الثانوية العامة سنة (٦٤ م)، وَقُبِلَ في جامعة عين شمس في قسم اللغة، إلا أنه لم يتمكن من إكمالها؛ لأن الاعتقالات التي وقعت للإخوان المسلمين في مصر آنذاك والقبض على «**سيد قطب**» وإعدامه حَالَتْ دون عودة «**ياسين**» إلى مصر مرة أخرى.

وَاعْتُقِلَ الشيخ في غزة في (٦٥/١٢/١٨ م)، واستمر اعتقاله شهرًا ثم أُفْرِجَ عنه، وكانت التهمة الموجهة إليه الإخلال بالأمن، وقد حققوا معه على أساس علاقته بالإخوان المسلمين، ولم تكن للشيخ علاقة بهم آنذاك.

- قبل الاعتقال كان الشيخ يخطب في مساجد غزة.
- أصبح الشيخ «**ياسين**» في ظل الاحتلال أشهر خطيب عرفه قطاع غزة؛ لقوة حجته

وجسارته في الحق.

● عمل رئيسًا للمجمع الإسلامي في غزة.

● اعْتُقِلَ الشيخ «**أحمد ياسين**» عام (١٩٨٣م) بتهمة حيازة أسلحة، وتشكيل تنظيم عسكري، والتحريض على إزالة الدولة العبرية من الوجود، وَحُوكِمَ الشيخ «**أحمد إسماعيل حسن ياسين**» أمام محكمة عسكرية صهيونية أصدرت عليه حكمًا بالسجن لمدة (١٣) عامًا.

● أُفْرِجَ عنه عام (١٩٨٥م) في إطار عملية تبادل للأسرى بين سلطات الاحتلال وبين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة ـ بعد أن أمضى (١١) شهرًا في السجن.

● أَسَّسَ الشيخ «**أحمد ياسين**» في (٩ أو ١٠/ ديسمبر/ ١٩٨٧م) حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» في قطاع غزة، والذين اشتركوا معه في قرار التأسيس:

الدكتور إبراهيم اليازوري، والأستاذ محمد شمعة، والشيخ «**ياسين**» من غزة، والأستاذ عبدالفتاح دخان من المعسكرات الوسطى، والدكتور عبدالعزيز الرنتيسي من خان يونس، والمهندس حسين نشار من رفح، والأستاذ صلاح شحادة من بيت حانون.

● داهمت قوات الاحتلال الصهيونية منزله أواخر شهر أغسطس (١٩٨٨ م)، وقامت بتفتيشه، وهددته بدفعه في مقعده المتحرك عبر الحدود ونفيه إلى لبنان.

● في ليلة (١٨/٥/١٩٨٩ م) قامت سلطات الاحتلال باعتقال الشيخ «**أحمد ياسين**» مع المئات من أبناء حركة «**حماس**» في محاولة لوقف المقاومة المسلحة التي أخذت آنذاك طابع الهجمات بالسلاح الأبيض على جنود الاحتلال ومستوطنيه، واغتيال العملاء.

● في (١٦/١٠/١٩٩١م) أصدرت ضده محكمة عسكرية صهيونية حكمًا بالسجن مدى الحياة مضافًا إليه خمسة عشر عامًا، بعد أن وجهت إلى الشيخ لائحة اتهام تتضمن (٩) بنود؛ منها: التحريض على اختطاف وقتل جنود صهاينة، وتأسيس حكة «**حماس**» وجهازيها العسكري والأمني.

وقد حاول الأستاذ ناظم عويضة محامي الدفاع وضع حد للمبالغة الواردة في لائحة الاتهام، وذكر: «كيف يمكن لإنسان مشلول عاش تحت الاحتلال فترة طويلة يخطط لإبادة دولة إسرائيل التي لم تستطع دولة عربية هزيمتها، فكيف تَتَخَوَّفُ الحكومة من مثل هذا الرجل العاجز

صحيًّا»؟!!

ولكنَّ رَدَّ القاضي كان متشددًا؛ إذْ قال رَدًّا على الأستاذ ناظم عويضة: «لقد درست التاريخ، ولكن أخاطبك الآن من الحاضر، وإن أقرب تجربة في هذه المرحلة هي تجربة الخميني؛ إذ بدأ الخميني بفكرة، والفكرة أوجدت طريقة العمل، وأنا لا أستبعد أن إنسانًا يحمل هذا الفكر أن يحقق ما حققه الخميني خاصة؛ وأن عقله ولسانه ـ يقصد الشيخ أحمد ـ لا زالا يعملان».

● بالإضافة إلى إصابة الشيخ بالشلل التام، فإنه يعاني أمراضًا عدة؛ منها: «فقدان البصر في العين اليمنى بعد ضربه عليها أثناء التحقيق، وضعف شديد في قدرة الإبصار للعين اليسرى، التهاب مزمن بالأذن، حساسية في الرئتين، أمراض والتهابات باطنية ومعوية»، وقد أدى سوء ظروف اعتقال الشيخ «**أحمد ياسين**» إلى تدهور حالته الصحية؛ مما استدعى نقله إلى المستشفى مرات عدة.

● في (١٣/١٢/١٩٩٢م) قامت مجموعة فدائية من مقاتلي كتائب الشهيد عِزِّ الدين القسَّام بخطف جندي صهيوني، وعرضت المجموعة الإفراج عن الجندي مقابل الإفراج عن الشيخ «**أحمد ياسين**» ومجموعة من المعتقلين في السجون الصهيونية بينهم مرضى ومسنُّون ومعتقلون عرب اختطفتهم قوات صهيونية من لبنان، إلَّا أن الحكومة الصهيونية رفضت العرض، وداهمت مكان احتجاز الجندي؛ مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة المهاجمة قبل استشهاد أبطال المجموعة الفدائية في منزل في قرية (بيرنبالا) قرب القدس.

● أُفْرِجَ عن الشيخ «**ياسين**» فجر يوم الأربعاء (١/١٠/١٩٩٧م) بموجب اتفاق جرى التوصل إليه بين الأردن وبين إسرائيل للإفراج عن الشيخ، مقابل تسليم عميلين صهيونيين اعْتُقِلَا في الأردن عقب محاولة الاغتيال الفاشلة التي تَعَرَّضَ لها رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الأستاذ «**خالد مشعل**».

❑ الْإِقَامَةُ الْجَبْرِيَّةُ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ:

وفي أعقاب إحدى عمليات التفجير القوية التي نفذتها حركة حماس في قطاع غزة في شهر أكتوبر (١٩٩٨م) فرضت السلطة الفلسطينية الإقامة الجبرية على الشيخ «**أحمد ياسين**»، وهو القرار الذي عارضه الكثير من أعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني أنفسهم إلى جانب الشارع

الفلسطيني العام.

❑ خَمْسُونَ مِلْيُونَ دُولَارٍ يَجْمَعُهَا الشَّيْخُ يَاسِينُ:

وفي شهر (مايو/ ١٩٩٨م) قام الشيخ «**أحمد ياسين**» بحملة علاقات عامة واسعة لحماس في الخارج؛ حيث قام بجولة واسعة في العديد من الدول العربية والإسلامية، نجح خلالها في جمع مساعدات معنوية ومادية كبيرة للحركة؛ حيث قُدِّرَتِ المساعدات آنذاك بنحو (٥٠ مليون دولار)[١]، وقد أثارت هذه الجولة الحكومة الإسرائيلية آنذاك؛ حيث قامت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية باتخاذ سلسلة قرارات تجاه ما وصفته بـ«حملة التحريض ضد إسرائيل في الخارج» التي قام بها الشيخ «**أحمد ياسين**»، وقالت إسرائيل آنذاك: إن الأموال التي جمعها الشيخ «**ياسين**» سَتُخَصَّصُ للإنفاق على نشاطات وعمليات الجناح العسكري «**كتائب القسَّام**»، وليس على نشاطات حركة حماس الاجتماعية في الأراضي الفلسطينية في الضفة والقطاع التي تشمل روضات للأطفال، ومراكز طبية، ومؤسسات إغاثة خيرية، وأخرى تعليمية.

وقد سارعت إسرائيل إلى رفع شكوى إلى الولايات المتحدة للضغط على الدول العربية للامتناع عن تقديم المساعدة للحركة، وطالبت شخصيات إسرائيلية آنذاك بمنع الشيخ «**ياسين**» من العودة إلى قطاع غزة، ولكنه عاد بعد ذلك بترتيب مع السلطة الفلسطينية.

وقد أكد الشيخ «**ياسين**» مرارًا طوال هذه السنوات بأن الدولة الفلسطينية في فلسطين قائمة لا محالة، وأن تحرير فلسطين قادم؛ وذلك عبر الجهاد الذي تَتَبَنَّاهُ الحركة بشكل استراتيجي.

● مُحَاوَلَةُ اغْتِيَالٍ فَاشِلَةٍ فِي (٢٠٠٣/٩/٦م):

وَتَعَرَّضَ الشيخ «**ياسين**» في (٢٠٠٣/٩/٦م) لمحاولة اغتيال إسرائيلية فاشلة، حين قَصَفَتْ مروحيات إسرائيلية شقة في غزة، كان يوجد بها الشيخ، وكان يرافقه «إسماعيل هنية»، ولم تكن إصاباته بجروح طفيفة في ذراعه اليمنى بالقاتلة.

---

(١) وداعًا سيد المجاهدين ص١٦ دار الدعوة بالاسكندرية.

● **وَصَعَدَتِ الرُّوحُ إِلَى بَارِئِهَا مُشَيَّعَةً بِقُلُوبِ الْمَلَايِينِ وَدُمُوعِهِمْ:**

وأخيرًا أقدم إخوان الخنازير والقرود من يهود فَجْرَ الاثنين (غرة صفر ١٤٢٥هـ) الموافق (٢٢/٣/٢٠٠٤م) على اغتيال الشيخ ياسين؛ حيث قصفت طائرات إسرائيلية الشيخ بثلاثة صواريخ بعد اعتكافه في المسجد في الليلة السابقة لقتله .. وبعد أن نَوَى الصيام .. وبعد صلاته الفجر في المسجد القريب من منزله.

❑ مَحطَّاتٌ مِنْ حَيَاتِهِ سَنَتَعَرَّضُ لَهَا بِالتَّفْصِيلِ فِي أَبْوَابِ الْكِتَابِ:

هذه السطور القليلة محطاتٌ من حياته سَنَتَعَرَّضُ لها في أبواب الكتاب بالتفصيل حتى لا نكرر المعلومة.

● ذهب الشيخ إلى ربه شهيدًا ـ نحسبه كذلك إن شاء اللَّه ـ بعد أن صنع حياته أحسنَ صنعٍ، وأحسنَ اختيارَ طريقِهِ، ومات مثلما تَمَنَّى، بعد أن صنع الحياة للآخرين.

● صنع الأمل لكل مُعَاقٍ وَمُبْتَلًى؛ فإن المرء يستطيع فعل الكثير والكثير إذا أراد.

● وصنع الحركة؛ فأنشأ «**حماس**»؛ فجعل لحياة أبناء فلسطين وبناتها مذاقًا إيمانيًّا عجيبًا فريدًا ذا قوة عبر «**بستان الجهاد**» من خلال «**كتائب عِزِّ الدين القسَّام**»، بعدما كاد اليأس يفتك بالنفوس.

● وصنع الحياة لآلاف الفقراء الذين كفلتهم حماس، وأشرفت على تزويدهم بالطعام والدواء والكساء، وجعلت حياتهم نورًا بعد أن كاد الظلام يلفُّها .. فرحم اللَّه صانع الحياة الأُمَّة «**أحمد ياسين**».

بِأَبِي سَفَرٌ مَضَوْا، وَالْمَنَايَا ... رُفُقٌ وَالدَّرْبُ شَوْكٌ وَجَمْرُ
عَشِقُوهُ وَهُوَ مِنْهُمْ خَضِيبٌ ... وَالنُّحُورُ وَالسَّرَابِيلُ جَمْرُ
يَا رِجَالًا حَلَّقُوا فِي الأَعَالِي ... لَمْ يَشُدَّهُمْ تُرَابٌ وَتِبْرُ
مَا تَسَاوَى ضَارِعٌ فِي ضَرِيعٍ ... وَطُيُورٌ كَالْقَنَادِيلِ خُضْرُ[1]

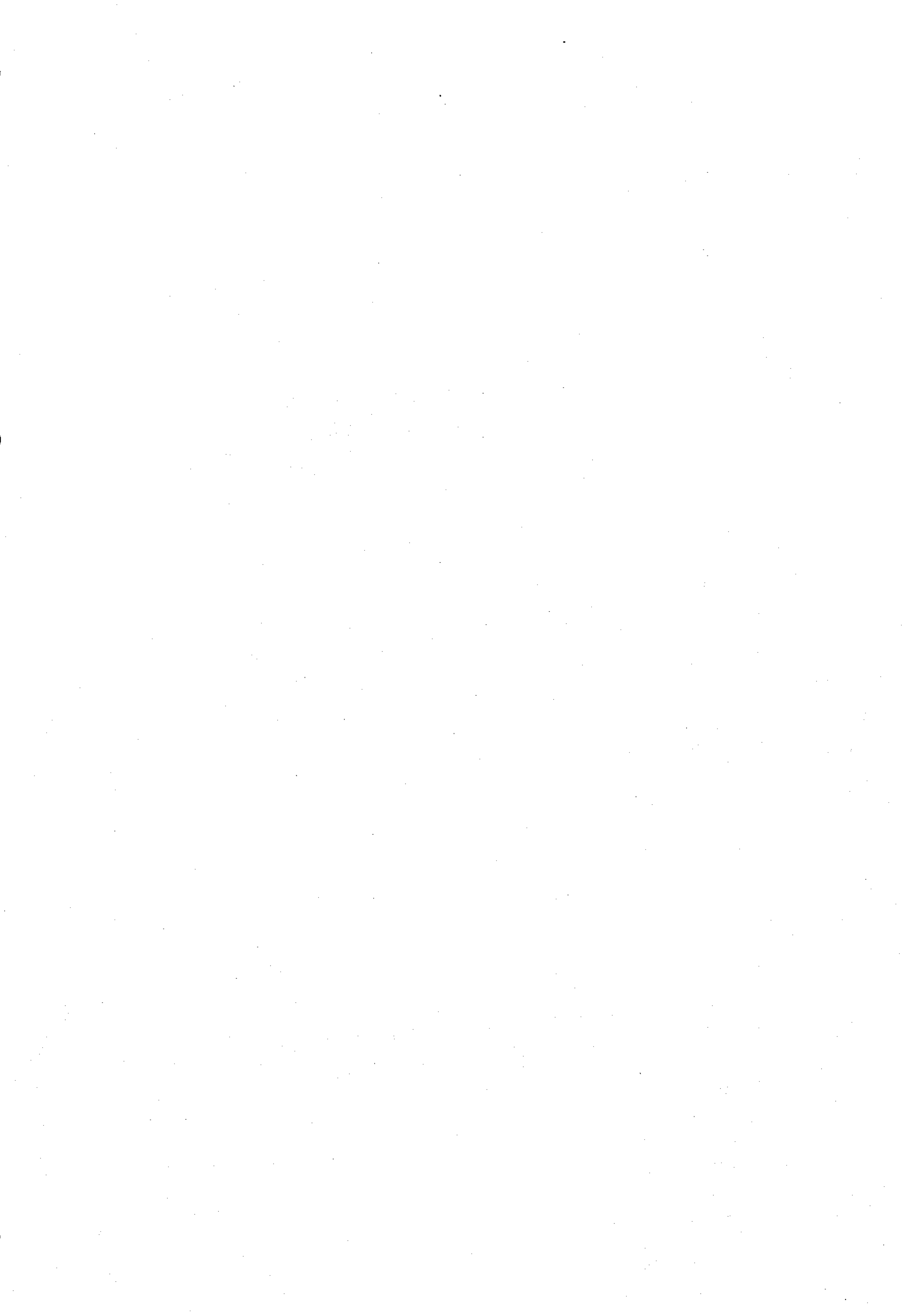
* * *

(١) شعر الدكتور عبدالرحمن بارود.

الْبَابُ الثَّانِي

شَذَا الرَّيَاحِينْ

عِبَرٌ وَعِظَاتٌ مِنْ حَيَاةِ الشَّيْخِ يَاسِينْ



الْبَابُ الثَّانِي

شَذَا الرَّيَاحِين
عِبَرٌ وَعِظَاتٌ مِنْ حَيَاةِ الشَّيْخِ يَاسِين

عبر ودروس وعظات أحلى من الشهد، وأعطر من الورد، وأرق من نسيم الفجر نستخلصها من سيرة شيخ المجاهدين.. الداعية العامل.. القدوة الشيخ أحمد ياسين..

هذه العبر والعظات منارات تهدى الحيارى.. وينتفع بها السائرون إلى اللَّه عَزَّوَجَلَّ .. والتربية بالقدوة من خير وسائل التربية.

فتعال معي إلى بستان شيخ المجاهدين أحمد ياسين.

* * *

١ـ أَحْمَدُ يَاسِينُ الدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ

ـ قال ابن القيم: «**مقام الدعوة إلى اللَّه أشرف مقامات التعبد**».

وقال: «فالدعوة إلى اللَّه ـ تَعَالَى ـ هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، واللَّه ـ سبحانه ـ قد أمر رسوله أن يبلِّغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس. وهكذا المبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ اللَّه وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له، وقد أمر النبي بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلَّغ عنه ولو حديثًا، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، ولأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا اللَّه منهم بمنه وكرمه، وهم كما قال فيهم عمر بن الخطاب، في خطبته التي ذكرها ابن وضاح في كتاب «**الحوادث والبدع**» له، قال: «الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم،

يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب اللَّه أهل العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيْوه، وضال تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، يقبلونهم في سالف الدهر وإلى يومنا هذا، فما نسيهم ربهم، وما كان ربك نسيًّا، جعل قصصهم هدى، وأخبر عن حسن مقالتهم، فلا تقصد عنهم، فإنهم في منزلة رفيعة، وإن أصابتهم الوضيعة».

وقال عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه : «إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليًّا من أوليائه يذب عنها، وينطق بعلاماتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله» ويكفي في هذا قول النبي ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه ومعاذ رضي الله عنه أيضًا : **«لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ»**، وقوله ﷺ : **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتُّبِعَ عَلَيْهِ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[(١)] وإنما ذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء، واللَّه ذو الفضل العظيم»[(٢)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]. «الدعوة إلى اللَّه أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات، فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ.

إن النهوض بواجب الدعوة أمر شاق، ولكنه شأن عظيم»[(٣)].

لله در الداعية! ما أجمل قول الحسن البصري فيه: **«هو المؤمن أجاب اللَّه في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب اللَّه فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، فهذا حبيب الله، هذا ولي الله»**.

الدعوة إلى اللَّه أمر عظيم ثقيل.. نذارة هذه البشرية، وإيقاظها، وتخليصها من الشر في الدنيا، ومن النار في الآخرة، وتوجيهها إلى طريق اللَّه والجنة.

الدعوة إلى اللَّه كريمة في كل اعتبار... كريمة في صحفها المرفوعة المطهرة... الموكل بها

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأبو داود.

(٢) «جلاء الأفهام» لابن الجوزية (٢٤٩- ٢٥٠).

(٣) «في ظلال القرآن» ٦/٣١٢١بتصرف.

السفراء الكرام البررة من الملأ الأعلى، ينقلونها إلى المختارين في الأرض ليبلِّغوها ـ وهم كذلك كرام بررة، فهي كريمة في كل ما يَتعلَّق بها، وما يمسها من قريب أو بعيد.

وهي عزيزة .. يشرف بها حاملها الذي يعرف كرامتها ويطلب التطهر بها؛ قال الإمام القرطبي: «جعل اللَّه ـ تَعَالَى ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقًا بين المؤمنين والمنافقين، فدلَّ على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسه الدعاء إلى الإسلام» (١).

والداعية مجاهد مهاجر، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان: ٥٢].

قال ابن القيم: «ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ فهذه سورة مكية، والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة» (٢) فالدعوة والأمر والنهي والتواصي نوع من الجهاد.

● ثم إن الداعية بعد ذلك له أجر المهاجر، كما قرر الإمام ابن تيمية في تفسير قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ [الأنفال: ٧٥] (٣).

● ويا لعظم أجر الداعي إلى اللَّه ـ تَعَالَى ـ حين يصلي اللَّه عليه وملائكته، فما يضره بعد ذلك؛ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»** (٤).

وانظر إلى الخير الكثير والثواب الجزيل لمن دعا إلى اللَّه حتى لا تحرم نفسك من هذا الفضل العظيم.

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»** (٥).

---

(١) تفسير القرطبي ٤/٤٧.

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٢/٥٨.

(٣) انظر إلى مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨/٢٨٤.

(٤) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» ٢/٣٤٣ رقم (٢١٥٩).

(٥) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[٢].

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»[٣].

وانظر إلى استمرار ثواب الداعي إلى اللَّه بعد موته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[٤].

من عِظم الشيخ ياسين أنه دعا إلى اللَّه عز وجل في أحلك الظروف، في وقت كان الجميع يهمسون: «لا تنطقوا إن الجدار له أذن»، في وقت كممت فيه الأفواه جميعها.

يقول الشيخ أحمد ياسين في حديثه مع أحمد منصور الذي بثته قناة الجزيرة:

«الحقيقة أنا كنت ـ كما ذكرت لك ـ إنسان إسلامي، وتفكيري كان هو التفكير الذي كان ينهجه الإمام حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في رسائله وفي كتبه، يعني أنا كنت أحب حركة الإخوان، وأتمنى أن يعود للإسلام دوره ووجوده في الأرض، وكنت أقوم بدور مدرس ودور خطيب في المسجد في ذلك الوقت، فطبعًا شملني الاعتقال في ذلك الوقت في عام ١٩٦٥م» وأنا استمررت في نشاطي[٥]، حتى طلعت يوم الخميس، ويوم الجمعة كنت أخطب الجمعة في المسجد؛ لأنه صحيح الضغوط كانت حولي كثيرة وقالوا لي: لا تخطب لا سيما أهلي ومَن حولي، لكن حينما وصلت إلى المسجد لم يأت الخطيب الذي كان بعدي حينما دخلت إلى

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه عن جبير بن مطعم، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤٥/١.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري.

(٤) روان مسلم.

(٥) أي بعد خروجه من السجن .

السجن، فصعدت المنبر وخطبت الجمعة، والحمد لله كنت أخطب الجمعة قبل الاعتقال في المسجد، وحينما خرجت عُدت إلى دعوتي وإلى نشاطي مرة أخرى دون أي تأثر».

وقال له أحمد منصور: خلال فترة وجودك وإقامتك في مصر ألم تسع إلى الذهاب إلى الإخوان والالتقاء بهم طالما أنك ذكرت أنك كنت تدرس كتبهم؟

فقال الشيخ: «لا.. لم تكن هذه قضيتي أن أعرف الإخوان في مصر أو لا أعرفهم، قضيتي هي الإسلام وفهم الإسلام، والإسلام غير مرتبط بالإخوان في مصر أو في غير مصر، أنا مسلم أريد الإسلام»[(١)] .

وقال: «نحن لم يكن بيننا وبين الإخوان في مصر علاقات تنظيمية أو غيره، ولكن ـ الحمد لله ـ نحن نتجه للإسلام مخلصين لديننا ولوطننا دون ربط بلد بأخرى، وكل بلد هي أدرى بنفسها»[(٢)] .

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «الحركة الإسلامية كان وضعها ضعيفًا بسبب الضغط المصري والهجوم المصري في ٦٥ وقبل ٦٥، والاعتقالات والإعدامات في ٦٧، كانت الناس تخاف وتنفر، فكان الوضع الإسلامي في قطاع غزة ضعيفًا جدًّا، لم يكن على المستوى الذي تتصوره، لم يكن عندنا حتى الكتب الإسلامية التي كنا نحارب عليها»[(٣)] .

وقال ـ أيضًا ـ: «جاءت هزيمة العام ٦٧ وكانت الحركة الإسلامية آنذاك في وضع لا تُحسد عليه.. لم يكن لديها أفراد، ولم يكن لديها طاقات، ولم يكن لديها قوة؛ لأن الحرب الشرسة التي كان يوجهها عبدالناصر في مصر إلى الإخوان المسلمين كانت تنتقل لأهلنا في غزة؛ يعني تصور أنا كنت أُلقي خطبة الجمعة في مسجد المعسكر الشمالي والشباب كانوا يهربون ولا يأتون للصلاة عندي ويذهبون للصلاة في مساجد أخرى»[(٤)] ، فقال له أحمد منصور: لأن مجرد الصلاة عندك شبهة؟

---

(١) الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (٥٨).

(٢) المصدر السابق ص (٥٩).

(٣) المصدر السابق ص (٦٦).

(٤) المصدر السابق ص (٧٧).

فقال الشيخ: مجرد أن يقوم الشباب بالصلاة عندي كان يسجل في قائمة الإخوان، ويمكن أن يُمنع من السفر للدراسة، ويمكن أن يُعرَّض للسجن، ويمكن ويمكن... فلم يكن أحد يريد هذه المشاكل، فجاءت هزيمة العام ١٩٦٧م ونحن في وضع لا نحسد عليه، ولم يكن من الممكن لنا أن نقوم بعمل مضاد، فلم يكن لدينا إمكانيات تمكننا من الانطلاق، فكان لا بدَّ من البدء بعملية تجميع وترتيب الصفوف، ونشر الدعوة من جديد في البلد حتى نتمكن من أن يكون لنا وجود، وفعلًا قمت بدعوة حوالي عشرة من أخلص إخواني الذين أعرفهم في القدس وقطاع غزة... جمعتهم من أجل أن يكون معي أناسٌ يعملون من أجل الإسلام، فوجدت عشرة أشخاص، وجلسنا جلسةً واتفقنا على أن نبدأ عملًا، لكن لم يكن الكل مستعدًّا لأن يعمل، بعضهم مستعد أن يكون معك، يؤيدك ويدعمك لكن لا يشاركك.

وفعلًا بدأنا نشاطنا في المساجد عن طريق المكتبات والخطب والدروس والكتب والنشرات. يعني مثلًا في الوقت الذي كان فيه الشخص الذي يحمل أي كتاب إسلامي لسيد قطب أو غيره كان يعتبر مجرمًا في نظر المجتمع، كان يُنظر إليه من الناس مثلما ينظر للبعير الأجرب.. أو كأنه مجرم.

* **أحمد منصور:** كانت هذه نظرة الناس؟

* **أحمد ياسين:** طبعًا، ومن أين أنت؟ كان هذا بسبب الدعاية، من صوت العرب وأحمد سعيد وعبدالناصر، والحديث عن أولئك الذين أخفوا المسدسات في المصاحف، والذين يريدون أن يفجروا... المجاري في القاهرة، والذين يريدون قتل أم كلثوم وعبدالوهاب وفريد، وكلام كثير من هذا القبيل... كلام كثير... لا نريد أن ندخل في تفصيلات قديمة، المهم أن وضعنا لم يكن يسمح لنا بعمل، لم يكن لدينا طاقات»(١).

وقال الشيخ أحمد ياسين عن فترة ما بعد هزيمة «**٦٧**»: «أذكر أني يومًا طلعت أخطب الجمعة في مسجد العباس سنة ٧٠... ١٩٧٠، كانوا يحاصرون معسكر الشاطئ، وأقول لنفسي: طيب أنا رايح يعني أخطب، وها دول الشباب يسقطون شهداء، طيب هم مقاتلون، فلم لا أكون مقاتلًا مثلهم، وكان المسجد الذي أخطب فيه مجاورًا لمركز الشرطة الإسرائيلي، فطلعت على المنبر

---

(١) المصدر نفسه ص (٧٧- ٦٨).

وبدأت الهجوم على اليهود، وقلت: لماذا يطاردوننا، ولماذا.. ولماذا يحاصروننا ولماذا كذا وكذا؟ وكانوا في ذلك الوقت يحاصرون مخيم الشاطئ، جزءًا منه دمروه، والله، أذكر أنه بعد خطبة الجمعة ثار الناس جدًّا، وقالوا: ماذا يمكننا أن نفعل؟! فلم يكونوا يعرفون ماذا يفعلون، فسألوني ماذا نفعل؟ فقلت لهم: أقلُّ شيء أن نقوم بعمل مظاهرة. فعلًا طلعت مظاهرة في ذلك اليوم وتوجهت إلى مركز الصليب الأحمر، وبعدها فكوا الحصار عن المخيم في اليوم التالي، وهذا من فضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فكنا في ذلك الوقت كان الفكر يقاوم والسلاح يقاوم.

وعن انطباع الناس في غزة بعد موت عبدالناصر قال الشيخ ياسين: «تصوَّرْ الناس طلعوا يهتفوا: الله حيٌ وناصر حي، مات عبدالناصر وكانوا يهتفون له حي... في الحقيقة كانت الدعاية المصرية في غرس القومية العربية في ذلك الوقت فظيعة جدًّا.. فظيعة جدًّا، لا تتصوركم كان مقدارها.. كان الناس في ذهول عند موته.. الغالبية، لكن الناس الواعين الذين كانوا على مستوى كانوا يفهمون من هو عبدالناصر،أنا كنت في ذلك الوقت أخطب الجمعة فوجدت الناس، يعني إلا القلة الواعية هي التي كانت تعي ما هو الخط الحقيقي لعبدالناصر.

طبعًا حينما صعدت لإلقاء خطبة الجمعة كان بعضهم يعتقد أني سوف أقوم بتأبين عبدالناصر، فحينما صعدت المنبر ألقيت عليهم خطبة على عكس ما يريدون... يعني استشهدت فيها بالآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ووضعت المبادئ التي يعيشها الإنسان، ولماذا يعيش، فإذا عاش للإسلام وللدعوة الإسلامية فهو الذي يستحق أن يُحزن عليه ويُبكى عليه، أما إذا عاش لغير الإسلام ولغير الدعوة الإسلامية فلا يُبكى عليه، كان هذا هو محور الخطبة، حتى إن أحد الكبار بعد الخطبة، قال لي: هل أنت تقول كلامًا لا يفهمه الناس، فقلت له: وهل أنا مجنون حتى أصعد إلى المنبر فأقول كلامًا لا يفهمه الناس؟!! أنا أريد أن يفهم الناس.

فقال لي: وماذا تريد من عبدالناصر؟ فقلت له: أنا لا أريد شيئًا، ولكن الله هو الذي يريد؛ فالله ـ سبحانه ـ ولاه أمر الأمة حتى تحكم بنظامه ودينه، فقال لي: وهل تريد عبدالناصر أن يطبِّق الإسلام

أن يتوجه إلى إسرائيل كي يحاربها؟ فقلت له: الاثنان شيءٌ واحد، فإذا لم يأخذ الإسلام سلاحًا له فمعنى ذلك أنه مهزوم. ولذلك، هو لم يؤد الأمانة التي استأمنه اللَّه عليها، وهذا ما يريده اللَّه وليس ما أريده أنا. أنا أذكر آنذاك أن بعض الخطباء كانوا إذا هاجموا عبدالناصر في خطبهم كان الناس يضربوهم... وهذا يشير إلى أن التعاطف مع عبدالناصر كان قد فاق كل الحدود...

* **أحمد منصور:** إلى هذه الدرجة كان؟!

* **أحمد ياسين:** واللَّه إلى هذه الدرجة، طبعًا الدعاية كانت قوية آنذاك، يومها... يومها وصل الأمر إلى أنَّ الشعب المصري خرج يهتف لعبدالناصر حينما أعلن استقالته بعد هزيمة العام ١٩٦٧م... يعني كان الشعب مخدَّرًا تمامًا... طيب عبدالناصر حقق الهزيمة وقال: أنا أتحمل مسئولية الهزيمة، ثم يعلن استقالته فيعيدوه ويهتفوا له مرةً أخرى. معنى ذلك، أنَّ الشعب مخدَّر تمامًا، لا يوجد في العالم شخص يعلن تحمله للهزيمة ثم يعود إلى الكرسي مرةً أخرى، لكن هذا هو الواقع الذي صار في بلدنا»[(١)].

يقول الشيخ أحمد ياسين عن فترة ما بعد الاحتلال: «كان همي دائمًا هو السعي لإعادة النشاط الإسلامي مرة أخرى، وبدأت نشاطي من جديد من خلال المسجد، من خلال تعليم الأطفال في المسجد الإسلامي تعاليم الإسلام والعلوم الدنيوية كذلك، فكانت هناك دروس تقوية في الصيف من خلال المسجد»[(٢)].

لقد تدرج الشيخ أحمد في العمل كخطيب للجمعة ومتحدث بعدها أو قبلها، فمن مسجد (الشاطئ) إلى مسجد (الكنز) إلى مسجد (العباس) ليصبح بعد الاحتلال أشهر خطيب عرفه القطاع، وبلغت شهرته كل مدن وقرى القطاع، كما أنه طوَّر العمل في المسجد طبقًا لرسالته الحقيقية الأولى، فجعل دروسًا للنساء، ودروسًا للرجال وثالثة للأطفال، ولأول مرة تشهد المساجد حركة نسائية تستمع إلى محاضرين أمثال الشيخ «**أحمد**» أو من ينتدبهم لذلك»[(٣)].

وعن بداية تنظيم الحركة الإسلامية قال الشيخ أحمد ياسين: «الذي بدأت حياتي به هو الذي

---

(١) الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (٨٢-٨٣).

(٢) المصدر السابق ص (٧١).

(٣) أحمد ياسين شهيد أيقظ أمة ص (٢٤) لعامر شماخ ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية.

انتهيت إلى العمل به، كنت كلما أجمع اثنين أو ثلاثة أو خمسة كنت أعمل لهم أسرة، وكانوا يجلسون ويتدارسون الإسلام مع بعض توجهات وإرشادات، وهكذا كل مجموعة بين ثلاثة أو أكثر...

* **أحمد منصور:** ما هي طبيعة الأشياء التي يدرسونها؟

* **أحمد ياسين:** قرآن وسُنَّة، في الأول قرآن + السُّنَّة + الحديث + الفكر الإسلامي من الكتب المطروحة في الساحة، أية كتب مطروحة يختارونها...

* **أحمد منصور:** ما هي طبيعة الأفكار التي كنت تبثُّها في نفوس هؤلاء الشباب؟

* **أحمد ياسين:** نحن فلسطينيون، ونحن مسلمون، ونحن نريد أن يكون الإسلام نظامًا في الحياة، وبما أن وطننا محتل فنحن نريد أن نحرِّر وطننا.. إذن، فنحن لدينا قضيتان هما: قضية المبدأ والعقيدة وقضية الوطن. العقيدة لا بدَّ أن تنتصر وأن يكون لها وجود على الأرض، لا بدَّ من إقامة دين اللَّه في الأرض، وبما أن أرضنا محتلة فلا يمكن أن نحقق هذا دون تحريرها، لهذا لا بدَّ أن نحررها... هذه هي الفكرة التي كان يدور حولها كل نشاطنا»[(١)].

❑ تَأْسِيسُ الْجَمْعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَام ١٩٧٦م:

«في البداية وجدنا الشباب في هذه المرحلة من الفراغ يحب أن يتجه إلى الرياضة، فطبعًا أسسنا جمعية إسلامية في الشاطئ كان معظم بنود قانونها ونظامها للتوجه الرياضي مع التربية الدينية والأخلاقية والإنسانية في سنة ١٩٧٦م».

ولما سأله أحمد منصور: «هل تذكر اسمها؟ قال الشيخ أحمد ياسين: «الجمعية الإسلامية»، ثم قال: «الجمعية مقرها كان في المسجد، غرفة في المسجد يلتقون فيها وينطلقون منها. هذه هي الجمعية» وكانت في «المسجد الشمالي الذي كنت أخطب فيه قبل ٦٧، طبعًا ومشت الجمعية وأخذت تقوم بنشاط ودور جيد. أهم شيء كان نشاطها الرياضي والنشاط الديني، ندوات ومحاضرات ورحلات، يعني كان لها اتجاه جيد في المجتمع في ذلك الوقت».

ولما سأله أحمد منصور عن مدى الإقبال الذي كان من الشباب. قال الشيخ أحمد: كان

---

(١) المصدر السابق ص (٨١).

الإقبال جيدًا.

نحن الآن في مرحلة استيقظ الناس من الهزيمة التي وقعت، وأصبحت قضية الإخوان بظلالها ورواسبها لدى الجيل القديم، أما في الجيل الجديد فقد بدأ يرفض الأفكار القديمة، وأنا حاولت - كما قلت لك - وأنا في مسجد العباس أن أكسر هذا الحاجز، فقمت بطباعة الجزء الثلاثين من تفسير «**في ظلال القرآن**» لسيد قطب - رحمه الله -، وقسَّمته إلى خمسة أجزاء، وطبعت كل جزء من ألف أو ألفين نسخة... ووزعته على الناس مجانًا، فملأ المكتبات وملأ المدارس وملأ الشوارع، فصارت النظرة أن سيد قطب وغيره شيء طبيعي عند الشباب والجيل الجديد، أما الحاجز النفسي القديم فلم يعد له وجود...».

* كان الشيخ أحمد ياسين في دعوته إلى الله يتمثل قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] ويعلم أن أول شروطها العلم، وكان الشيخ حريصًا عليه - يكفي أن تعلم أنه في أحلك الظروف - ظروف السجن - انتهى الشيخ من قراءة ١٨ مجلدًا من كتاب «**المجموع**» للإمام النووي».

لم يستهلك الحزن على واقع المسلمين الشيخ أحمد ياسين ويجعله ينعزل في مسجده وبيته يبكي الإسلام، ويترك الأجيال وجماهير الشباب الساذج لمن يربيها من دعاة الإلحاد والعلمانية والشيوعية والوجودية، ولمن يجرها إلى الفساد والحياة الشهوانية وإنما عمل للأمام وبشر به، ودعا الخلق، ونبَّه الجموع الغافلة، وترك العزلة والتواري، وعلم أن ذلك حزن قاتل، وتعبد مرجوح، وعزلة مضيعة، وبدعة هادمة.

عن عامر الشعبي أن رجالًا خرجوا من الكوفة، ونزلوا قريبًا يتعبَّدون، فبلغ ذلك عبدالله بن مسعود فأتاهم، ففرحوا بمجيئه إليهم، فقال لهم: ما حملكم على ما صنعتم؟ قالوا: أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبَّد. فقال عبدالله: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم، فمن كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا»[(١)] إنها كلمة الحق، وعنوان الوعي، وشارة التربية النبوية الكريمة، سيماهم في كلامهم، مثلما هي في وجوههم. من يقاتل العدو إذن لو اعتزل العابدون؟! من يردُّ كيد الصهيونية والماسونية، والدعاية الشيوعية الإلحادية، إذا بقي المصلون في مساجدهم لا

---

(١) «الزهد والرقائق» لعبدالله بن المبارك ص (٣٩٠).

يضمون جهودهم إلى جهود دعاة الإسلام؟!

كان الشيخ أحمد ياسين يقول: «أنا لا أقتنع بالقول أننا جلسنا وقرأنا القرآن وتدارسنا، فليس هذا هو العمل المطلوب فقط، إن العمل المطلوب هو بث الدعوة الإسلامية وعدم قصرها على الإخوان فقط»(١).

وانظر إلى فهم الشيخ لقضايا العقيدة ووعيه وبصيرته وشجاعته في مواجهه التآمر على الإسلام: «بعد عام ١٩٦٧م، واحتلال اليهود لقطاع غزة، قدم مستشرق سويدي يلبس ثوب الصوفية، ويعمم رأسه بعمامة خضراء، ويقلد رقبته بمسبحة تتدلى حتى وسط بطنه! قدم هذا المستشرق إلى القطاع بصحبة أحد الأدعياء لنشر «البهائية» في القطاع، كانت محطتهم الأولى عند الشيخ «إبراهيم الخالدي» شيخ الطرق الصوفية في القطاع ـ وكان هذا الرجل لا يعرف من الإسلام إلا التسابيح والأذكار، وعرض القوم خطتهم الخبيثة للتعاون معه في نشر «البهائية» في القطاع على أنها حركة إسلامية صوفية هدفها خدمة الإسلام والمسلمين، وكاد الشيخ «إبراهيم» يوافق؛ بل رحَّب بالفكرة! حتى حضر الشيخ «**أحمد ياسين**» وبعض مساعديه، وبعد حوار ونقاش مع المستشرق السويدي ومساعديه اكتشفوا أن اللعبة خطيرة، فقاموا بإفحامهم أولًا، وفضح أمرهم بين الناس في المساجد، وتحذير الناس من خطتهم؛ حيث كان مركز «البهائية» العالمي يقع في مدينة (حيفا) بفلسطين المحتلة، وقد فشل القوم في إيجاد موطئ قدم لهم في القطاع كله، وعادوا من حيث أتوا خاسئين»(٢).

❑ الدَّعْوَةُ الْفَرْدِيَّةُ:

كان للشيخ ياسين جهد مشكور في الدعوة الفردية، لا ييأس من دعوة أي إنسان إلى الالتزام بالإسلام «اتصل الشيخ بعبدالله نمر درويش في بلدة «أم الفحم» بفلسطين المحتلة ١٩٤٨م، وكان لا يزال يقوم بأعمال سكرتير الحزب الشيوعي في تلك البلدة، وفتح معه حوارًا ومناقشة هادئة أطلعه فيها على انحراف الشيوعية ومواقفهم العرجاء من القضية، وأن الإسلام كفيل بحل جميع مشكلات الناس؛ لأنه نظام رباني محكم، وكان مما أسفر عنه ذلك تحول الرجل من الشيوعية إلى

(١) أحمد ياسين شموخ في زمن الانكسار ص (٦٢).

(٢) شهيد أيقظ أمة ص (٢٣- ٢٤).

أن أصبح رجلًا مسلمًا يعمل للإسلام»[١].

❑ المُجَمَّعُ الإِسْلَامِيُّ عَامَ ١٩٧٩م:

قال الشيخ أحمد ياسين: «لم يكن أمامنا إمكانية للدخول في صراع معه ـ أي الاحتلال بعد ١٩٦٧م» إذن لنسع إلى فتح باب نحاول من خلاله أن نهيئ أنفسنا لمرحلة الدخول في صراع معه، ومن هنا بدأت فكرة قيام المؤسسات الإسلامية، طبعًا في ذلك الوقت كان هناك تأسيس مؤسسة ثانية أكبر من الجمعية وهي المجمع الإسلامي.

المجمع الإسلامي بدأ تأسيسه في نفس الوقت مع الجمعية، لكنه لم يأخذ تصديقًا من السلطات الإسرائيلية بالموافقة إلا في عام ١٩٧٩م.

بداية المجمع كانت عبارة عن بناء مسجد، وأنا حضرت الاجتماع الأول وتأسيس لجنة لبناء المسجد في منطقة «جورة الشمس» وجمعنا تبرعات من الجالسين، وفتحنا المجال لتسجيل الأسماء، وبدأ الناس ينشطون لبناء المسجد، طبعًا أنا كنت أقيم بعيدًا عن المنطقة، فقلت لهم: أنا أبعدوني دعوني بعيدًا، يكفيني نشاطي في منطقة الشاطئ»[٢]. وجاءت للشيخ سليم شراب فكرة أنه بدلًا من أن يكون مسجدًا ويسمى مسجدًا، وكان هناك مسجد قباء ـ أطلق عليه اسم المجمع الإسلامي، وكان الشيخ سليم شراب قد مشى إلى القدس وجمع لهم تبرعات، وبنى الشيخ سليم شراب الدور الأول وبنى فوقه المسجد، وصار هناك أنشطة كروضة أطفال، وانتخب الشيخ ياسين رئيسًا.

قال الشيخ ياسين عن الفرق بين الجمعية الإسلامية والمجمع الإسلامي: «الجمعية كان بنود نشاطها معظمه رياضي، أما نحن فكان نشاطنا يمتد إلى كل نواحي الحياة... يعني نحن كان في قانوننا دعوة للإسلام: تحفيظ قرآن، تربية شباب على الإسلام، بناء مساجد، بناء مدارس، بناء عيادات صحية ـ قانوننا كان أشمل».

فسأله أحمد منصور: والإسرائيليون سمحوا لكم بأن تقوموا بكل هذه الأنشطة؟

قال الشيخ أحمد ياسين: «هم لم يسمحوا بشكل عملي، لكن في القانون سمحوا بأن يقتصر

(١) المصدر السابق ص (٢٥).
(٢) الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (٩٠- ٩١).

نشاطنا فقط على مجرد النواحي الدينية، حينما فتحنا عيادة أغلقوها، ورفضوا أن يمنحونا تصريحًا، حينما سعينا لجمع الزكاة قيَّدونا، ورفضوا، قالوا: ممنوع أن نجمع وممنوع أن نوزع، إذا تجمع ما تجمع تضعه في البنك، ونحن حينما نسمح لك تأخذ منه بالقدر الذي نحدده، أما أن تأخذ ما تريد فهذا نرفضه، إذن قيَّدونا بشكل كبير.

حينما أردنا أن نفتتح فرعًا في خان يونس لم يقبلوا ورفضوا منحنا تصريحًا، لكني عاندت وأصررتُ على فتحه، وفعلًا فتحته في مواجهة الدبابات والمجنزرات، والدبابات والجنود كانت تحيط به من كل جانب، يعني كنا دخلنا في مرحلة المواجهة، حتى أعطونا تصريحًا في النهاية، وهكذا، كنا دائمًا في صدام دائم معهم»(١).

وظهر الشيخ أحمد ياسين كمسئول للمجمع الإسلامي باعتباره «ابن المجمع الإسلامي، وهو أكبر مؤسسة موجودة في غزة»، ولم تكن هناك تجمعات إسلامية أخرى اللهم بعض الزوايا والدراويش.

❑ نَشَاطُ الشَّيْخِ كَرَئِيسٍ لِلْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ:

كان العمل التنظيمي السري متواكبًا مع هذا العمل.. النشاط العام شيء، والسري شيء ثان..

وسأله أحمد منصور: متى بدأتم أول خلية أو تجمع أو أسرة في العمل السري؟

فقال الشيخ أحمد ياسين: «لقد ظل تنظيم الإخوان يعمل سرًّا بعد حل الجماعة في مصر؛ حيث أُغلقت شعب الإخوان في قطاع غزة، وصودرت محتوياتها، فتحول العمل إلى السرية، وفي سنوات ما بعد حل الجماعة وتأثُّرًا بالدعاية المسمومة، خرج كثيرٌ من الشباب من الجماعة وانخرطوا في تنظيمات أخرى؛ لأن التربية تحتاج إلى عدة سنوات، ولما كانت الفترة التي سمح فيها بالنشاط الإخواني العلني كانت محدودة قبل الحل، هذا، بالإضافة إلى حملات الدعاية المسعورة، كل ذلك دعا العديد إلى التحول إلى تنظيمات أخرى أو أنه انزوى طلبًا للسلامة. ولكن النواة لم ينقطع عملها إلى أن كانت ١٩٦٧م وبعدها مباشرة تداعى الإخوان من كل مناطق القطاع لتدارس الوضع الجديد ووضع خطة العمل، وعقد اللقاء في بيت الأخ محمد

(١) المصدر السابق ص (٩٣- ٩٤).

الغربلي ـ رحمه الله ـ في حي الشجاعية بغزة، وبعد مناقشة الأوضاع اتفق أن يكون على رأسها الأستاذ عبدالفتاح حسن دخان إلَّا أنه اعتذر عن الرئاسة معللًا ذلك؛ لأن الرئيس يجب أن يكون من سكان مدينة غزة أما هو فمن سكان معسكر النصيرات، وغزة هي مركز الثقل ومركز اللقاءات من كل أنحاء القطاع، وناشد الإخوة بأن خير من يكون رئيسًا للهيئة الإدارية هو الأخ أحمد ياسين، مؤكدًا للإخوة أن الأخ أحمد تتوفر فيه كل الشروط، فوافق الإخوة على ذلك وأصبحتُ رئيسًا للهيئة الإدارية، وهكذا أخذنا نعمل كلٌّ في مكانه، والتنسيق قائم بيننا، والكل منا يجمع ويربي، وحيث أقفل باب مصر اتصلنا بالإخوة في الضفة الغربية وجرى التنسيق بيننا على العمل والتشاور، وهكذا سارت، وأصبح وجودنا في كل ناحية من فلسطين في القطاع وفي الضفة وفي الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م». صار بشكل جماعي ويشكل تيارًا بعد عام ١٩٨٠م[١].

❑ تَأْسِيسُهُ لِحَرَكَةِ «حَمَاس»:

أنشأ الشيخ «**أحمد ياسين**» حركة «**حماس**» في ٩ أو ١٠ ديسمبر ١٩٨٧م، واشترك معه في قرار التأسيس «الدكتور إبراهيم البازوري، والأستاذ محمد شمعة من غزة، والأستاذ عبدالفتاح دخان من المعسكرات الوسطى، والدكتور عبدالعزيز الرنتيسي من خان يونس، والمهندس حسين نشار من رفح، والأستاذ صلاح شحادة من بيت حانون.

❑ نَشْرُ الدَّعْوَةِ هُوَ شُغْلُ الشَّيْخِ يَاسِينَ الشَّاغِلُ:

كان طموح الشيخ ياسين لتنمية الدعوة إلى الله لا حدَّ له، فهو يبذل كل وقته متحدثًا أو خطيبًا أو مجالسًا أو مناقشًا أو مدرسًا لبعض القضايا، فشغله الشاغل هو نشر الدعوة وتعميمها بين الناس، ليس في القطاع فقط وإنما خارج القطاع، فتراه ينظم طلاب الجامعة الذين في الخارج.

يقول عنه أحد تلامذته الدكتور عبدالله محمد: «كانت الدعوة إلى الله أكبر همه وشغله الشاغل، شاهدته مرة يودع أحد الطلاب الذين يدرسون في جامعات مصر، فبعد أن سلَّم عليه سأله الطالب إن كان يحتاج شيئًا من مصر فيرسله له، شكره الشيخ وأوصاه بتقوى الله وقال له:

---

(١) المصدر السابق ص (٩٥- ٩٦).

نريد عملًا جادًّا للإسلام، ونريد حركة دائبة لتغيير هذا الواقع المؤسف للأمة الإسلامية.

* لقد حمَّل الشيخ ياسين الشباب الناشئ عبء الدعوة، وشكل منهم مجالس، ووزع عليهم مهام الخطابة والدعوة في المساجد، وبدأ اتجاه الدعوة يذهب نحو الاعتماد أكثر فأكثر على عنصر الشباب الذي كان لديه حماس كبير للعمل الإسلامي، واستطاع الشيخ أن يغطي الساحة المصرية حيث وزع الكثير من تلاميذه لكي يدعو الشباب الفلسطيني الدارس في مصر.

* في المناطق التي لم يكن فيها وجود لدعوته، طلب الشيخ من بعض الشباب النشطاء الانتقال من أماكن سكناهم إلى هذه المناطق؛ لذا انتقل مصطفى أبو القمصان الذي كان يعمل مدرسًا بالوكالة من المعسكرات الوسطى إلى جباليا، وانتقل سيد أبو مسامح من رفح إلى مدينة خان يونس وغيرهم، وأرسى بذورًا طيبة في جميع مناطق القطاع أسفرت فيما بعد عن تنامي هذه البذور ونشر فكره.

* أما الإخوة القدامى والوجوه المعروفة في الدعوة الإسلامية فقد أوجد لهم أعمالًا تلائم مكانتهم؛ إذ تم استحداث لجان متعددة كلجان الصلح والزكاة وغيرها من اللجان التي تلائم قدراتهم، وكان يطلب منهم الاتصال بالكبار من رجالات المجتمع والفئة المؤثرة في حياته كالتجار والعلماء وغيرهم.

* اتجه الشيخ بدعوته الفردية للاجتماع بوجهاء الناس ونشطاء الطلاب والرموز والفاعليات التربوية والثقافية في مدراس «**وكالة غوث اللاجئين**»، وقد استطاع من خلال انطلاقاته وخلواته وجولاته الميدانية لتجمعات الطلاب أن يرصد نخبة منهم كانت نواة لمنهجية جهادية على نمط «**دار الأرقم**»، حيث اعتاد الشيخ أحمد ياسين ومعه الأستاذ «**محمد الغرابلي**» - يرحمهما اللَّه - للسفر معًا لزيارة المجموعات المنتقاة من الطلاب للالتقاء بهم، والتحدث معهم، وعرض الدعوة عليهم.

* أعاد الشيخ ياسين للمسجد دوره الذي أخذه على عهد رسول اللَّه ﷺ حيث كان يعقد فيه جميع الأمور التي تخص المسلمين، وتقرر فيه جميع القرارات سواء الصغيرة منها أو الكبيرة، وتركزت معظم أعمال الدعوة في المساجد، سواءً الجلسات أو الحلقات أو المواعظ أو المحاضرات أو الدروس الدينية التي تعقب كل صلاة تقريبًا؛ يقول الأستاذ أحمد بحر: «أذكر أننا كنا نتعلم

القرآن الكريم بعد صلاة الفجر في المسجد الشمالي، وكنت أذكر ذلك إذ كان عمري آنذاك ١٧ عامًا، وأذكر أنه كان يعطي درسين، واحدًا بعد صلاة العصر والثاني بعد صلاة الفجر، فإذا لم يقم هو بإعطاء الدرس يكلف أحدًا غيره بذلك».

* كانت خطبة الشيخ أحمد متميزة عن غيرها؛ إذ كانت ـ دائمًا ـ تخدم أغراض دعوته، وتطورت هذه الخطبة لتمس حياة الناس ومشاكلهم والمواقف والأحداث الجارية، وهذا أمر لم يعهده الناس في خطباء المساجد الذين كانوا يحصرون أنفسهم في مسائل فقهية صرفة لا تتعداها؛ يقول الأستاذ محمد شمعة: «كان يحضر الكثير من الناس كي يستمعوا إليه؛ لأن خطبته كانت نمطًا جديدًا غير معهود في الخطب التقليدية للمشايخ، بل كان يطرح كثيرًا من القضايا التي كانت موضع اهتمام الشباب، فكان مثلًا يطرح قضية الإسلام بمفهومه الحركي».

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يعطي درسًا في مسجد العباس بعد صلاة الجمعة، ودرسًا يجلس فيه الشباب في حلقة يسألونه ويستفسرون منه، وكانت الحلقة تستقطب الكثير، وكان كثير من الناس يأتون إلى المسجد من أماكن مختلفة للتعرف عليه والسماع منه.

❑ تَكْوِينُ الْمَكْتَبَةِ الإِسْلَامِيَّةِ:

افتقرت المساجد حتى عام ١٩٦٨م إلى مكتبات، فكانت تحوي فقط المصاحف التي توضع على الرفوف بدون أن تجذب اهتمام أحد، لم يأخذ الكتاب دوره في الدعوة حتى تلك المرحلة، إلَّا أن خطابة الشيخ في مسجد العباس دفعته للاهتمام بذلك، كانت مكتبة «**النور والأمل**» التي تشرف عليها أجهزة التبشير المسيحية قد أُنشئت بالقرب من المسجد، ولم يكن يرتادها إلا الشباب المسلم، وأدرك الشيخ أن المراد من هذه المكتبة التأثير على الشباب المسلم من خلال الكتاب، لذلك بدأ يدعو الناس إلى اقتناء الكتب الإسلامية ودراستها؛ يقول الأستاذ محمد شمعة: «لقد شكلت الدعوة إلى إنشاء مكتبات جزءًا من الدعوة الإسلامية التي تميَّز بها الشيخ، وأذكر أنه قد قام خطيبًا في مسجد العباس وقال للناس: «ألا تنظرون ما يقوم به المسيحيون إنهم يريدون أن يستقطبوا الشباب المسلم عن طريق الكتاب والمكتبات ونشر فكرهم التبشيري الفاسد بحجة الاطلاع والدراسة، وطالب الناس أن يأخذوا دورهم في هذا العمل ولا يكتفوا بالاستنكار، وطالب الجالسين بأن يتبرع كل واحد منهم بكتاب على أن يحضره قبل الجمعة

المقبلة»، وكان تجاوب الناس رائعًا، إذ إنه ما إن حضر الأسبوع التالي حتى كان في المسجد مكتبة ممتازة تحوي شتى العلوم، وتنامت هذه المكتبة حتى أصبحت مركزًا علميًّا يتردد عليه الشباب المسلم، وأصبحت مركزًا لإعطاء دروس التقوية في مختلف المجالات ولشتى فصول الدراسة بعد أن فصلت المكتبة على حِدَة.

* لم يقف دور الشيخ عند هذا الحدِّ ولكن تعدَّاه إلى إحياء النشاطات الرياضية والرحلات والجلسات الاجتماعية والمخيمات كوسائل لنشر الدعوة.

فأعد الملعب القريب من المسجد الشمالي، والذي أصبح - فيما بعد - ملعب الجمعية الإسلامية، وتنوعت الألعاب فيه ابتداءً من كرة القدم والسلة ثم ألعاب القوى.

* أما الرحلات فقط انقسمت قسمين: رحلات داخلية كان معظمها على البحر الغربي حيث كانت المجموعات تذهب وتقوم بإعداد الأكل جماعة، وذلك حتى ينمي روح التعاون والعمل الجماعي بين الشباب المسلم.

* والرحلات إلى داخل فلسطين المحتلة؛ إذ أنه كان يجمع ٤٠ - ٥٠ شخصًا في باص واحد يمرّ طيلة النهار على القرى والمدن الفلسطينية؛ ليذكر الركاب بالأرض الإسلامية السليبة، فكان خط سير الباص يبدأ من عسقلان إلى حيفا ويافا والقدس والخليل وجميع المعالم الجميلة في فلسطين، وكان الباص لا يمر على منطقة لها علاقة بتاريخ الإسلام إلا وكان المرشد السياحي المسلم يعطي نبذة عن هذه المنطقة، وتخللت هذه الرحلات ندوات اجتماعية وسياسية ومسابقات دينية، وعندما تحين صلاة الظهر أو العصر كان الباص يتوقف ليصلي الركاب جماعة ثم يُعطى درسٌ قصير لتستأنف الرحلة سيرها من جديد.

وفي أوقات الراحة والأكل كان تنظيم الحلقات الجماعية لربط الأخوة ببعضهم البعض، وتعويد الشباب على العادات الإسلامية في السفر والاجتماعات وتنظيم الأفراد والجماعات، وكانت الرحلات تستغرق يومًا واحدًا وأحيانًا عدة أيام؛ حيث يقوم الركاب بالمبيت في واحدة من القرى الفلسطينية.

❑ جُهْدٌ يُبَارِكُهُ اللَّهُ:

كان الشيخ ياسين - رحمه الله - يقول: «**لا بد وأن تجعل من نفسك الشمعة التي تضيء**

وتحترق من أجل هداية الناس».

❑ إِنْشَاءُ الْمُؤَسَسَاتِ الدَّعَوِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْمَسْجِدِ:

بعد تزايد المدِّ الإسلامي اتجه تفكير الشيخ ياسين إلى إيجاد المؤسسات والجمعيات التي يمكن أن تحتوي وتوجه هذا الاتساع الإيماني وتوجيهه الوجهة الإسلامية الصحيحة، وامتدت فروع الجمعية الإسلامية إلى النصيرات والبريج.

ولما برز المجمع الإسلامي كصرح إسلامي كان من أهدافه:

* رعاية الشباب الناشئ وحفظهم من الانحراف بتعليم مبادئ الإسلام وملء أوقات فراغهم بالرياضة البدنية.

* رعاية أفراد المجتمع وحمايتهم من المرض، ومعالجة المصابين منهم عن طريق العيادة، وتقديم الخدمات الصحية قدر المستطاع.

* رعاية الأفراد المعوزين اجتماعيًا ومدُّ يد المساعدة لهم بقدر الإمكان.

كتب الشيخ ياسين في الكتاب الصادر من المجمع الإسلامي بمناسبة عامه الثامن: «**بدأت فكرة إنشاء المجمع الإسلامي بغزة من أجل تركيز كل النشاطات الحيوية للإنسان المسلم حول المسجد، وبذلك تعود للمسجد مكانته التي اندثرت على مرِّ السنين بفعل أعداء الإسلام الذين حاولوا دائمًا فصل هذا الدين عن الدنيا وجعل المسجد مكانًا تؤدي فيه الصلاة فقط بالمفهوم السائد «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»** وهم بذلك يحاولون صرف أمتنا عن الدور الحقيقي للمسجد والذي تمثَّل في مسجد رسول اللَّه ﷺ؛ إذ كان مدرسة لبناء الروح والجسم معًا ومقرًّا للاجتماعات وفض الخصومات وإرسال البعوث واستقبال الوفود، وتصريف جميع شئون الأمة، ومركزًا لتقديم الخدمات الاجتماعية والمساعدات الإنسانية والصحية، من هنا كان لا بد من تصحيح المفاهيم بالقول والعمل معيدين بذلك للحياة من جديد دور المسجد وفاعليته في بناء أجيالنا وأمتنا محاولين بكل إمكاناتنا وقدراتنا التي نستمدها من اللَّه ثم من طاقات إخواننا المسلمين ومن دعمهم لنا ماديًّا ومعنويًّا لنترسم خطى رسولنا الكريم في البناء وفي الدعوة إلى الله؛ ليتحقق لأمتنا النصر والعزة والتمكين في الأرض ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ﴾ [النور: ٥٥].

وانبثقت عن إدارة المجمع الإسلامي عدة لجان وهي:

١ـ لجنة الوعظ والإرشاد.

٢ـ لجنة الزكاة.

٣ـ لجنة التعليم.

٤ـ اللجنة الاجتماعية.

٥ـ اللجنة الرياضية.

هذه اللجان عملت كلها بإشراف الشيخ أحمد ياسين وبتوجيه منه، وكثير من نشاطات هذه اللجان وفعالياتها كانت تتم بمبادرة منه هو حسب رؤيته وخبرته الطويلة في العمل الإسلامي الدعوي.

* ولقد وجه الشيخ أحمد ياسين الشباب المسلم الملتزم إلى الحصول على عضوية النقابات والجمعيات التي ينتمون إليها، أرادهم الشيخ أن يكونوا دعاة إلى فكر الإسلام.

* ولا يُنسى للشيخ المبارك جهده في إنشاء مراكز تحفيظ القرآن الكريم، وجهده المبارك في الجامعة الإسلامية بغزة.

٢ـ الشَّيْخُ يَاسِينُ رَجُلُ عَامَّةٍ

الداعية الفذُّ هو رجل العامة.. يقصد العامَّة .. يتصل بهم ويجالسهم ويعلمهم، مثل سيرة سلفه الجهابذة.

كانوا أئمة للعامَّة، يتصدون لإرشاد كل الناس، والغرس يقتضي مخالطة الناس، أما الذي يختار الخلوة والعزلة فهو كما وصفه مصطفى صادق الرافعي: «يحسب أنه قد فرَّ من الرذائل إلى فضائله، ولكن فراره من مجاهدة الرذيلة هو في نفسه رذيلة لكل فضائله، وماذا تكون العفة والأمانة والصدق والوفاء والبر والإحسان وغيرها، إذا كانت فيمن انقطع في صحراء أو على رأس جبل؟ أيزعم أحد أن الصدق فضيلة في إنسان ليس حوله إلا عشرة أحجار؟ وأيم الله، إن الخالي من مجاهدة الرذائل جميعًا، لهو الخالي من الفضائل جميعًا»[١].

كان الأئمة من سلفنا أئمة للعامة، يتصدون لإرشاد كل الناس، فيتزايد حب القلوب لهم، ويرون فيهم القدوة الصحيحة التي لا مطعن فيها، فيتبعونهم ويمتثلون أمرهم.

● منهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، يعدد بشر الحافي ثلاث خصال امتاز بها الإمام أحمد، وفُضِّل بها عليه، وقصر هو عنها؛ أحدها: «أنه نُصِّب إمامًا للعامة».

الإمام أحمد «كان إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد، أو قيام بحق، أو اتباع للأمر، سأل عنه، وأحبَّ أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله»[٢].

نعم لا يكون رجل عامة إلا من فتش عن الناس وبحث عنهم، وسأل عن أخبارهم، وزارهم في مجالسهم ومنتدياتهم.

● والإمام الأوزاعي وصفوه بأنه كان «رجل عامة»[٣].

يقول أبو إسحاق الفزاري: «ما رأيت مثل الأوزاعي والثوري، فأما الأوزاعي فكان رجل عامة، وأما الثوري فكان رجل خاصة، ولو خُيِّرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي»[٤].

---

(١) «وحي القلم» للرافعي (٢/٩٧).

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص (٢١٨).

(٣) تهذيب التهذيب (٦/٢٤١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/١١٣).

● والإمام أبو إسحاق الفزاري: كان رجل عامة.

«قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: قلت لأبي أسامة: أيهما أفضل فضيل بن عياض أو أبو إسحاق الفزاري؟ فقال: كان فضيل رجل نفسه، وكان أبو إسحاق رجل عامة»[١].

وأبو إسحاق الفزاري «هو الذي أدب أهل الثغور الإسلامية التي في أعالي بلاد الشام والجزيرة تجاه الروم، وعلَّمهم سنن النبيﷺ، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه»[٢].

وهكذا كان الشيخ أحمد ياسين.

سئل الشيخ يومًا: كيف يقضي وقته؟

فأجاب: «طوال عمري في العمل حتى حينما أكون في بيتي فأنا في العمل، ليس لدي ساعة فراغ واحدة، يأتيني المسلم يشكو من شيء فأسعى لحل شكواه، يأتيني الفقير يشكو، ويأتيني السجين أو أهله يشكون، تأتيني المطلقة تشكو شكواها، فبيتي مفتوح لكل الناس، وعلى كل مستوياتهم، للأرملة والفقير والمريض الذي يريد العلاج، والذي لديه مشكلة، والذي يريد أن يزور منطقة، والذي يبحث عن عمل.. العمل يأخذ كل وقتي»[٣].

يقول أحد تلامذته د. عبدالله محمد: «كنت أزوره في بيته يومًا مع بعض الزملاء وقد كان مجلسه ممتلئًا بالضيوف كالعادة يطرقون بابه باستمرار لزيارته واستشارته في أمورهم الخاصة والعامة أو للفصل بينهم فيما اختلفوا فيه من مسائل، واستمرت الجلسة إلى ساعة متأخرة من الليل، وقد بدا على الشيخ التعب والإرهاق، فهو يستقبل الناس من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد منتصف الليل أحيانًا، وإذا بالباب يطرق بشدة، ويدخل بعض الأشخاص يستنجدون بالشيخ أن يساعدهم؛ إذ إن قريبًا لهم في حاجة إلى عملية جراحية عاجلة وليس لهم إلا الشيخ ليتوسط لدى الطبيب المختص الموجود في مدينة خان يونس .. ويستأذن الشيخ من الحضور ويذهب معهم ليطمئنهم ويواسيهم، وكان بإمكانه أن يرسل معهم ورقة توصية للطبيب أو أن يدعو لهم ويتركهم يذهبون وحدهم، وهو المريض المتعب الذي يحمله أصحابه للركوب في السيارة أو النزول

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٥٤٣).

(٢) تهذيب التهذيب (١/١٥٢).

(٣) «أحمد ياسين شهيد أيقظ أمة» ص (٣١).

منها»[١].

ولقد شكل الشيخ للشباب أبًا روحيًا، فكانوا يبثون إليه مكنون صدورهم ويجدون عنده ما لا يجدونه عند غيره.

● ومن المواقف التي لا تُنسى في العمل الاجتماعي للشيخ في الفترة ما بين ١٩٧٥م و١٩٧٦م، ما تعرضت له «**بلدية غزة**» القائمة على نظافة المدينة من إهمال لقلة إمكاناتها، فأثار ذلك اهتمام الشيخ أحمد وشباب الحركة الإسلامية في القطاع، فقرروا مباشرة تنظيف الشوارع بأنفسهم في مجموعات كان يشرف عليها الشيخ أحمد؛ حيث تنقَّل من موقع إلى موقع، في سيارة متواضعة لأحد محبيه، يحث الشباب على الجدِّ والهمة والنشاط ويدعو لهم»[٢].

وأنشأ الشيخ في «**المجمع الإسلامي**» لجنة الإصلاح الإسلامية، وقد كان الشيخ أحمد ياسين نفسه هو الذي يشكل العضو الأول في اللجنة، وكانت هذه اللجنة لا تقوم بشيء يذكر دون وجوده. وقد استطاعت هذه اللجنة فض كثير من المنازعات المستعصية التي كانت تجد صعوبة بالغة في حلها، وقد انتهجت هذه اللجنة الأحكام الإسلامية لتكون حكمًا بين الناس بعد أن غابت عنهم الشريعة الإسلامية في دنيا الواقع.

وأصبحت دار الشيخ أحمد ياسين محجة المتخاصمين، فكان الناس يأتون إليه من كل حدب وصوب في الأرض المحتلة قاطبة، وقد تنقَّل الشيخ من القطاع إلى الضفة وإلى داخل ما يسمى بالخط الأخضر لفض كثير من النزاعات، وقد أدَّى نجاح الشيخ في ذلك إلى ارتفاع صيته كمحكم ومتابع، ولدرجة تصور الناس أن الشيخ ينفذ أحكامه؛ لأنه قوي البنية وتهابه الناس، «حدَّث أبو ناصر الكحلك وهو عضو لجنة الإصلاح حادثة غريبة إذ كان مرة في دار الأستاذ أحمد ياسين فجاء رجل يرتعد غضبًا وغيظًا فسأل عن الشيخ، فقال له أبو ناصر: «إنه سيأتي بعد لحظات لأنه في الحمام، ثم سأل عن حاجته، فرد الرجل: إنني أريد من الشيخ أن يشنق خصمي الذي لا يريد أن يدفع حقي، فقد علمت من الناس أن الشيخ لديه عضلات قوية، فسأله: وممن سمع ذلك؟ فقال: من أحد الناس في «**خربة العدس**» (وهي منطقة سكنية تقع قبل مدينة رفح من

---

(١) شهيد أيقظ أمة ص (٢٩).

(٢) المصدر السابق ص (٢٧).

الشمال بحوالي ٥ـ ٧ كيلومترات، وما هي إلا لحظات حتى قدم الشيخ على كرسيه المتحرك، فلم يعره الرجل اهتمامًا كبيرًا؛ لأن صورة الشيخ في ذهنه صورة الرجل القوي المعافى ذي العضلات المفتولة الذي ينقض على خصمه فيصرعه.

عندما دخل الشيخ قال الحاضرون: هذا هو الشيخ، فكاد الرجل يقع من الاستغراب وصاح: سبحان الله! هل هذا هو الشيخ أحمد ياسين؟! ثم بعد لحظات بدأ الرجل يعرض قضيته على الشيخ للحل»[١] .

❏ مَوْقِفٌ لَا يَنْسَاهُ صَاحِبٌ لَهُ:

● يروي الشيخ زياد عنان من مدينة غزة، الذي رافق الشيخ في فترة الثمانينات خلال عمل الشيخ القائد الرمز في الإصلاح، أنه لم يكل أو يمل يومًا، فكان يبدأ يومه منذ ساعات الفجر وحتى نومه يستقبل المواطنين في منزله المتواضع الذي قسَّمه نصفين نصف لأسرته ونصف للاستقبال ومتابعة شكاوى الناس وقضاياهم.

ويضيف عنان: إنه في أحد أيام رمضان انتهى الشيخ من حل قضية قبل الإفطار بدقائق، وأثناء نقلي له على كرسيه إلى داخل المنزل الذي كان فيه مع أهل بيته فوجئنا برجل يدخل علينا، ويرجو الشيخ أن يسمع شكواه، فما كان مني ـ شفقة على الشيخ ـ إلا أن عاتبت الرجل على حضوره في وقت غير مناسب، وطلبت منه أن يعود في وقت آخر. وتابع عنان: ردي لم يعجب الشيخ، وقال لي: أنا لم أطلب منك أن ترد على الرجل، وإذا كنت قد تعبت فاذهب إلى بيتك.. هذا كان رد الشيخ الشهيد الحي الذي أنهكه العمل على شكاوى الناس طوال اليوم، وحين جاء وقت تناوله الإفطار آثر أن يستمع للرجل حتى النهاية ليمتد الوقت بالشيخ دون إفطار لما بعد العشاء.

وأضاف عنان: «أن الشيخ ياسين قال لي بعد أن ذهب الرجل: أهكذا الدعوة يا زياد». وأردف عنان قائلًا: «هذا الموقف لم أنسه في حياتي.. علمني كيف أتعامل مع الناس، حيث قال لي: «أنت تريد أن توصل رسالة إسلامية للناس، فكيف تريد أن تكون إنسانًا داعية للحق بسلوكك هذه الطريقة، وكان دائمًا يوصينا أن نكون رفقاء بالناس، ولا نستخدم أي أسلوب قاس، مع أي

---

(١) الشيخ أحمد ياسين شموخ في زمن الانكسار ص (٩٣- ٩٤).

منهم حتى المعتدي».

يقول عبدالرحمن بارود:

مِنَ السِّلْكِ فِي رَفَحٍ وَالْجَنُوبِ ... إِلَى بَيْتِ حَانُونَ لَا يَقْعُدُ

وَفِي «جَوْرَةِ الشَّمْسِ» سَيْلُ الضيوفِ ... وَبَابُ ابْنِ يَاسِينَ لَا يُوصَدُ

يُبَلِّغُ، يَدْعُو، يُرَبِّي يَقُودُ ... تَعَالَوْا تَعَالَوْا هُنَا الْمَوْرِدُ

بِقُرْآنِنَا نَفْتَحُ الْعَالَمِينَ ... وَقَلْعَةُ أَبْطَالِنَا الْمَسْجِدُ

وَحَوْلَ ابْنِ يَاسِينِ إِخْوَانُهُ ... حَنِيفِيَّةُ الْمُصْطَفَى جَدَّدُوا

مَشَاعِلُهُمْ مِثْلُ نَارِ الْكَلِيمِ ... فَكُلُّ فِلَسْطِينَ تَسْتَوْقِدُ

* * *

❑ الشَّهِيدُ أَحْمَدُ يَاسِينُ... صَدِيقِي الَّذِي لَمْ أُقَابِلْهُ:

في موقع «**إسلام أون لاين**» كتب أحمد زين تحت هذا العنوان:

كثيرون سيقولون الكلام الكبير عن الشهيد بل كثيرون جدًّا.. وهو جدير بذلك، بل إن هذا الكلام الكبير الذي سيقال عن تضحياته وجهاده وعلمه ودأبه وصبره وإرادته.. لن يوفي الشهيد حقه.

أول ما علمت الخبر قلت: طبيعي جدًّا.. رجل مثل هذا كيف لا يموت شهيدًا.. من سيختار اللَّه من الناس ويصطفيهم إن لم يختر رجلًا كهذا ـ فيما نعلم ـ ويشاء اللَّه أن يختاره بعد أن يكون في ذمته أي بعد أدائه لصلاة الفجر.

قصتي مع الشيخ أحمد ياسين ببساطة.. أن لي صديقًا فلسطينيًّا من غزة كنا نتحاور عبر النت يومًا فجاءت سيرة الشيخ أحمد فتكلمت عن حبي له.. فقال لي: ما رأيك أنني أقابله كثيرًا.. فكانت مفاجأة بالنسبة لي.. أحسست فورًا بزيادة الحب والاحترام لصديقي هذا.

انتقل بمجرد معرفتي بهذه المعلومات من صديقي الذي أمازحه وأضاحكه إلى قيمة كبيرة أتكلم معه بحساب وأتحاشى معه المزاح.. وأقدم له كلمات الاحترام والتوقير.. لا لشيء إلا لأنه يعرف

الشيخ ياسين.

تصورت الشيخ مثل الزعماء لا يسير إلا بحراسة ولا يتحرك إلا بأوامر. نسيت أن الشيخ يصلي بجوارهم في المسجد البسيط، ويتمشى على كرسيه المتحرك في ذات الشوارع الفقيرة التي يسيرون فيها وتطاله أتربة الطرقات.. هو رجل منهم، وربما أبسط وأنقى وأكثر تواضعًا.

لما زاد الود بيننا تجاسرت على أن أطلب من صديقي المحترم جدًّا بالنسبة لي طلبًا.. ما نطقته إلا بعد أن حبست أنفاسي وتلعثمت وتطايرت الحروف من بين أصابعي.. لكنني توكلت وقلت له: باللّه عليك سأطلب منك أمرًا.. تقَبِّلْ يدَ الشيخ وتقول له: ابنك أحمد من مصر يقبل يديك ويطلب منك الدعاء.. كنت محظوظًا إذ رحب صديقي وقال بلهجته الغزاوية القريبة جدًّا من لهجة أهلي الصعيدية.. بس كدة؟ انت تأمر أستاذ أحمد.

وبعد يومين أخبرني: أحضرت لك مفاجأة.. خيرًا أخي.. فألقى علي قنبلته خذ هذا الملف.. أفتحه فأجد صوت الشيخ الشهيد ينساب عذبًا دقيقة كاملة من الخدر الساري في رأسي متأثرًا بالارتباك والدهشة وعدم التصديق.

رفض الشيخ أن يمرر تحيتي المتواضعة الخجلة مرورا عاديًّا.. أبى إلا أن أحمل هدية أورثها أولادي من بعدي.. وحكاية ندية تلمع عيني ويتألق جبيني كلما تذكرتها.. الشيخ المجاهد.. المهموم المشغول يأبى إلا أن يرد التحية بأحسن منها.. وقد كان.. رد التحية وسامًا وشارة أعتز بها إلى أن ألقاه يوم القيامة إن شاء الله.

قال للأخ: أحمد تذكرنا وكلف نفسه، وتحمل أن يقبل يدي على البعد، فليس أقل من أن نفرحه بكلمة مسجلة بسيطة ودعوة خاصة له يسمعها بأذنيه.

سبحان الله.. تذكرت من فوري رسولنا الكريم ﷺ.. فقد رأيت في موقف الشهيد أحمد ياسين معي قبسًا من مواقف الرسول ﷺ .. فأحمد ياسين لم تشغله مهامه الجسام وهمومه العاتية من أن يكون إنسانًا.. ودودًا .. هذا الإرهابي الذي يصفون.. هو الذي يحمل الحب والسلام للناس.. ويحمل للغرباء أمثالي بسمة صافية وعبارات ودودة نقية.. كأنه أبي الذي رحل عني منذ سنين يدعو اللّه لي.. وبقي علي عهد وأمانة في عنقي أسعى لإنجازها أن أحقق ما حلم به لي من جهاد وقوة وثبات وسداد، واللّه أسأل التوفيق.

❑ اهْتِمَامُ الشَّيْخِ بِالْمَرْأَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ:

يقول صاحبه الأستاذ أحمد بحر: إنه «**عندما بدأنا في قضية إعطاء الدروس للمرأة كان الإنسان يتحرَّج عندما يذهب لإعطاء درس للمرأة فقال لي كلمة لا زلت أذكرها: «يا شيخ أحمد: أنتركها للشيوعيين؟»** فشدَّتني هذه الكلمة ووضعتني أمام مسئولية كبيرة، وأعطينا الدرس الأول، وبدأت الدروس تنتشر بهذه الطريقة».

وكان الشيخ ياسين يقول: «**إذا تركنا المرأة، إذن ممكن أن تُستَغَلَّ من أطراف ثانية لا تتقي اللَّه في المرأة. وكان دائمًا يؤكد نحن أحوج الناس لكي نثقف المرأة ونكون مسئولين عن المرأة في المجتمع**». ووجد الشيخ أنه من الواجب أن لا يغيب عن ساحة المرأة فقد أفرد يومًا خاصًّا للقاء الفتيات والنساء المسلمات؛ إذ كن يزرنه ويوجههن، وانتهى به الأمر إلى أن ينظم النشاط النسائي على مستوى طيب، وقد كان لهذا التنظيم دور رائد في نشر الفكر الإسلامي خاصة عندما أُنشئت الجامعة الإسلامية؛ إذ بدأ يوصل الفكر من خلال النشرات والمجلات الحائطية والندوات، ثم نجاحه فيما بعد في السيطرة على مراكز اتحاد الطالبات في الجامعة طيلة مدة افتتاحها.

وإتمامًا لهذا الدور قام الشيخ بزيارات منتظمة للمؤسسات النسائية في القطاع والضفة الغربية والأراضي المحتلة، وكان يوجه الفتيات المسلمات إلى الالتحاق بالمؤسسات النسائية، واستطاعت الشابات المسلمات الإسهام في كثير من هذه المؤسسات.

تقول ابنته في الحديث عنه لأخت تُسمى أم الشهداء:

«**أحب أن أضيف هنا أن أبي كان يقدر الأخوات المضحيات أمثالك، ويفسح لهن من وقته ومن جهده الجهد الكثير، فما من شهيد إلا وذهب لتعزيته، وحرص على أن يلتقي بوالدته ويخفف عنها أيضًا.**

وكان دائمًا يقدر الأخوات ويشاركهن أنشطتهن رغم مرضه، وكان لا يرفض لهن أي طلب، ويرى فيهن نماذج للخنساء وأسماء والمسلمات العظيمات.

❑ رَجُلُ الْعَامَّةِ الْعَظِيمُ:

يقول له غلام مبارك ـ نحسبه كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا ـ من مصر يسمى أسامة

عبدالعزيز ١١ سنة: «أريد أن أجاهد وأصبح شهيدًا مثل شهداء الصحابة، وأرجوك لا تقل لي: ما زلت صغيرًا، لقد جاهد أشبال الصحابة، وهم أصغر من ذلك، ولم يمنعهم الرسول، فماذا أفعل حتى أكون شهيدًا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

«أولًا: أحييك أيها الشاب الصغير أسامة عبدالعزيز، وأحيي شعب مصر الذي احتضن أمثالك، هذا الجيل المؤمن الذي يحب الشهادة في سبيل الله، ويمكنك يا أخي، أن تكون شهيدًا إذا قاتلت أعداء الإسلام في كل مكان يقاتلون فيه المسلمين، ويمكن أن تدعو إلى الله، وتبلغ دعوة الله، وتحمل رسالة الإسلام إلى الناس؛ حتى تستطيع أن تنتقل إلى أي أرض فيها جهاد ضد أعداء الله الذين سيطروا على بلاد المسلمين، وثق أنك إذا نويت الشهادة أدركتها إن شاء الله، ولو مت على فراشك؛ لأن النية تجعلك في مقام الشهداء، وإن لم تحصل عليها فعليًا، وبارك الله فيكم».

لله درك يا ابن ياسين من رمز للجهاد بث هذه الروح حتى في الصبيان الذين هم في عمر الورود الزهور.

٣، ٤- إِخْلَاصُهُ وَصِدْقُهُ

كان للشيخ أحمد ياسين النصيب الأوفر من الصدق الذي هو عمود فسطاط اليقين، نعم كان له من الصدق الذي هو مفتاح الصديقة نصيب زاخر، كان مخرجه ومدخله الصدق، فجعل الله له لسان صدق في الآخرين، وهذا ما تمنى الخليل من ربه ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤]، وهو الثناء العاطر من الصالحين عليه، وكم تكلم الملايين في الثناء على أحمد ياسين بعد موته. فنسأل الله أن يسكنه الدرجات العلا من الجنة.

عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**» قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم!! قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وصح عن رسول اللهﷺ أنه قال: «**إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ**» وكل مُدخل ومخرج كان بالله فصاحبه ضامن على الله، وكان أحمد ياسين كما قال إبراهيم الخواص: «**الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه، أو فضل يعمل فيه**».

قال الأستاذ أحمد بن عبدالرحمن الصويان عن الشيخ أحمد ياسين: «إنه لم يكن رأسًا لحزب أو قائدًا لجماعة، فانتماؤه للإخوان المسلمين، وقيادته لحركة حماس، لم تجعله رجلًا حزبيًّا مغلقًا ينطلق لنصرة جماعته، بل أحسبه والله حسيبه - رجل أمة صادق اللهجة، اتسع أفقه لتربية الناس جميعًا على الولاء لدين الله والتناصر لخدمة قضيتهم الكبرى.. وهذه التي لا يقوى عليها إلا الخُلَّص من أولياء الله.

وما عرفت أن الإسلاميين بمختلف توجهاتهم أجمعوا في العقود الأخيرة على أحد كما أجمعوا على الشيخ ابن باز والشيخ أحمد ياسين - رحمها الله»[1].

* قالوا ثلاثة لا تُخطئ الصادق: «الحلاوة، والملاحة، والهيبة» وكان للشيخ منها قَدَح معلى... فلقد ألقى الله الرعب والهيبة منه في قلوب أعدائه.

كتب شارون إلى بوش في أوائل فبراير الماضي ٢٠٠٤م ما نصه: «إن الإرهابيين والإرهابيات من الفلسطينيين يتبعون تقليدًا معينًا وهو أنه وقبيل انطلاقهم مباشرة لتنفيذ العمليات ضد الإسرائيليين يذهبون أولًا إلى أحمد ياسين الذي يجالسهم لمدة تزيد على الساعة ليبارك لهم عملياتهم، ويحثهم على الإخلاص في تنفيذها حتى يقبلها الله في إطار عمليات الشهادة، وأنه يلهب حماسهم وروحهم المعنوية، وأنه في أحيان كثيرة يذهب العديد من الشباب الفلسطيني لمجالسته بالساعات، وأنه بفضل جلساته التي يعقدها أمام منزله، أو في المسجد، أو في بعض الأماكن الخاصة.. فقد ترتب على ذلك وجود طابور من الإرهابيين الشباب الذين سجلت حماس أسماءهم من أجل القيام بعمليات إرهابية في داخل إسرائيل، وأن أعداد هؤلاء تقدر بالمئات، كما أن ياسين أصبح هو المسئول عن ضبط حركة التسليح داخل حماس».

وقال شارون: «لقد كان ياسين مسئولًا عن قتل مئات الإسرائيليين». وقال وزير الدفاع الإسرائيلي: «زعيم حركة حماس كان «**ابن لادن**» الفلسطيني ويداه ملطخة بدماء الإسرائيليين».

---

(١) مجلة البيان - العدد (١٩٩) - مقال ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ لأحمد عبدالرحمن الصويان ص(٣٢).

يقول موفاز: «إن هذا العجوز المكون من جسم هامد يشكل أكبر مصدر للخطر على الدولة، لما له من تأثير واسع وقدرة كبيرة على تأطير الشباب الفلسطيني للانضواء تحت راية المقاومة الفلسطينية».

وأكَّد رئيس الموساد الأسبق وعضو الكنيست عن حزب العمل «**داني ياتوم**» أن الأجهزة الأمنية وضعت في الماضي عدة مخططات لاغتيال الشيخ ياسين إلا أنها فشلت جميعًا.

وزراء حكومة إسرائيل أعربوا عن سعادتهم باغتيال ياسين، فوزير الزراعة (يسرائيل كاتس) المقرب من شارون والذي اعتبر العملية بمثابة تصفية (ابن لادن الخاص بإسرائيل)[١].

فانظر كيف ألقى الله الرعب في قلوبهم منه؛ لصدقه مع الله عز وجل.

قال عنه ضابط عسكري عمل سجَّانًا في سجن «**كفاريونا**» في شهادة حق يقدمها لعدوه الكبير: «**كنت أشعر بالراحة لمجرد الوقوف بقربه، وأعتقد أنه كان يغمر أتباعه «رفقاءه» بهذا الإحساس، ولهذا أحبوه.**

وكان الضابط الإسرائيلي الذي لم يكشف عن اسمه يتحدث إلى برنامج دردشات الذي تبثه القناة الأولى في التلفزيون الإسرائيلي السبت ٢٠٠٤/٤/٣م حيث تابع قائلًا:

كنت أتابع وضعه داخل السجن وعلاقته برفيقيه، وطالما اعتقدت أن عناصر حماس سيحرقون الأرض إذا مسَّه أي مكروه، لقد كان أبًا روحيًّا بحق لهم».

* أحمد ياسين رجل بات يعامل الله بالصدق، يقول أبو تراب النخشبي: «لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحبُّ إلي من أن أضرب بسيفي في سبيل الله».

* لياسين صدق القصد كمال العزم وقوة الإرادة، وكان لا يتمنى الحياة إلا للحق، ولا يلتفت إلى ترفيه الرخص.. كان له العذر الشرعي، ووضع الله من أمثاله الحرج بترك صلاة الجماعة ولكنه ما تركها.

* **لقد صدق أحمد ياسين ربه في نيته وإرادته وفي عزمه على الشهادة** لم يكن عنده ميل ولا ضعف ولا تردد وصدق في الوفاء بالعزم، فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال؛ إذ لا مشقة في الوعد والعزم، فإذا حُقَّت الحقائق، انحلت العزيمة، ولم يتحقق الوفاء بالعزم.

قال ـ رحمه الله ـ قبل موته بأيام: «**نحن نؤكد أن الشهادة هي عرسنا المنتظر، وعندما يأتي**

(١) مقال «دماء الشيخ توحد حكومة شارون» ـ الأهرام العربي ـ العدد ٣٦٦ ـ ٢٧مارس ٢٠٧ـ ص(٢٥).

هذا العرس يكون عيدًا».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ في الأيام الأخيرة من حياته: «**أغلى أمنياتي .. أن أموت شهيدًا**».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ بعد خروجه من السجن: «طالما يموت الإنسان، فلماذا لا يموت ميتة حلوة وهي الاستشهاد في سبيل تحرير أرضنا فلسطين».

وقال: «**أمنيني أن أنال الشهادة**».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ في حديثه في قناة الجزيرة: «**لماذا الخوف؟ ولماذا التردد؟ ولماذا لا يكون الإنسان ينتقي موتة شريفة، شهادة عند اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ؟**»[١].

وفي لقاء لوكالة أنباء الشرق الأوسط في منزلة بغزة في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٠م كانت آخر كلماته للدكتور صلاح عبداللطيف مراسل الوكالة: «**طالما كُتِب الموت علينا، فالشاطر منّا هو الذي يموت ميتة حلوة**».

قال أبو تراب النخشبي: «**إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت عمله**» كأنس بن النضر وجد ريح الجنة قبل أن يقاتل في أحد..

انظر إلى الشيخ ياسين الصادق في سؤاله الشهادة.. المشتاق إليها. هي عرسه كما كان يقول.. يتمناها وينتظرها.

تقول ابنته مريم في لقائها مع شبكة «**إسلام أون لاين**»: «لقد كان أبي يعلم أنه مستهدف ومقصود، ولكنه كان مطمئنًا إلى قدر الله، وأن ما قدره اللَّه سيكون مهما أخذ من احتياطات، وأبي أخذ احتياطات أمنية من باب الأخذ بالأسباب، ولكنه كان يريد أن يقدِّم نموذجًا للشباب في ألا يخافوا من الموت، وأننا نطلب الشهادة بصدق.. ولذلك عندما خرج من المسجد وقبل ٥ دقائق من استشهاده قال له أخي عبدالغني: يا أبي هناك زنَّانة (طائرة الاغتيال) في الجو، فقال والدي: «وأنا أنتظرها».

قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»[٢].

---

(١) أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (٣٣٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٩٠٩)، وأبو داود والترمذي والنسائي، ولابن ماجه.

وقال ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ**»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»[٢].

❑ يَاسِيْن يُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ... وَفِي صَمْتِهِ أَبْلَغُ مِنْ كُلِّ خَطِيبٍ:

إن الواو والراء والدال لا تشم منها رائحة الورد، وإن شيخك من حدَّثك بلحظه قبل أن يحدثك بلفظه.. ومن لم ينتفع بصمت شيخه لا ينتفع بعلمه... علَّمت أشلاء ياسين المتطايرة ـ وهي في صمتها ـ الأمة بأسرها معنى الصدق.. وفاقت كل لسن وخطيب.. فالأمر ليس بالوعظ، والفصاحة وإنما بالصدق؛ يقول: «**أنا كرَّست حياتي للعمل وليس للكتابة، وحياتي كلها كانت تطبيقًا لما أقرأ وما أتعلم، أنقل ما تعلَّمت إلى واقع الحياة، فإن تعلَّمت آية أو حديثًا قمت وعلمته للناس**»...

لله درك يا شيخ ياسين «**العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه حلَّ، وإلا ارتحل**».

❑ يَاسِيْن الْقُدْوَةُ:

إن كلمات الشيخ ياسين السابقة يكتب في شرحها المجلد.. ما أحوجنا إلى قدوة كياسين يكون بالخير موصوفًا ولا يكون للخير وصَّافًا فقط.

قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ**»[٣].

كثير من أهل العلم في زماننا أعربوا في القول ولحنوا في العمل... وهم في الثرى بالنسبة للأمة، وياسين في الثريا.

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن أنس.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن حبان والحاكم عن معاذ، والحاكم في المستدرك عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٧٧).

(٣) إسناده جيد: رواه الطبراني، والضياء في «المختارة» عن جندب، وجوّد إسناده الشيخ الألباني في «اقتصاء العلم» ص (٤٩) وقيام رمضان ص (٥٠).

قال الجنيد: «متى أردتَ أن تشرف بالعلم، وتُنسب إليه، وتكون من أهله قبل أن تُعطي العلم ما له عليك احتجب عنك نوره، وبقي عليك رسمه وظهوره، ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أن العلم يشير إلى استعماله، فإذا لم تستعملْ العلم في مراتبه رحلت بركاته».

وهذا درس من دروس ياسين لأمته.

❑ الْإِخْلَاصُ دَرْسٌ مِنْ دُرُوسِ يَاسِينَ الْغَالِيَةِ لِأُمَّتِهِ:

لله در ياسين من عبد عقل، فلما عقل عمل، فلما عمل أخلص، فاستدعاه الإخلاص إلى أبواب الخير أجمع.

الإخلاص مِنَّة من الله، كحَّل بها عين قلب عبده ياسين.. انصبغ قلبه بالإخلاص لمولاه، آوى إليه فآواه، وسجد قلبه بين يدي ربه وحده ذليلًا منكسرًا، من كل جهة من جهاته... بقي قلبه الخالص عرشًا للمثل الأعلى، عرشًا لمعرفة محبوبه والإخلاص له، نزَّه سره أن يساكن سواه، قطع الأكوان ليسجد قلبه تحت العرش فطوباه وطوباه وطوباه.

تبحث عن مثله فتروعك ندرتهم.

مَحَاسِنُ مِنْ دُنْيَا وَدِينٍ كَأَنَّمَا　　بِهَا حَلَّقَتْ فِي الْجَوِّ عَنْقَاءُ مُغْرِب

كانت الآخرة همه.. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ له شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»**[1].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: **«سمعت رسول الله ﷺ** يقول: **«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»**[2].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٤٩، ٩٥٠) و«صحيح الجامع» رقم (٦٥١٠).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢/٥٢٤-٢٥٢)، وابن حبان (٧٢): وقال المنذري: «رواته ثقات، وقال البوصيري في «الزوائد» إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال الألباني إسناده صحيح انظر «السلسلة الصحيحة» (٩٥٠).

بعد خروج الشيخ أحمد ياسين من سجون اليهود في مايو ٨٥م وعودته إلى العمل سأله أحمد منصور في حديثه إلى قناة الجزيرة: «حينما رجعت، رجعت كمسئول أم كجندي بينهم»؟ ردَّ الشيخ ياسين قائلًا: «في الحقيقة لا، لم أرجع كمسئول، كان هناك مسئول آخر هو عبدالفتاح دخان». فسأله أحمد منصور: «وأنت قبلت العمل بهذه الطريقة»؟ فقال الشيخ: «وهل نحن نعمل من أجل أن نتولى مناصب ومسئولية»؟! فقال أحمد منصور: لا، أنا أسأل أريد أن أعرف الإجابة، فقال الشيخ ياسين: «يا أخي نحن نعمل كجنود، وليس مهمًّا من يكون، أحمد ياسين مسئول، أو دخان مسئول ليست القصة قصة مسؤولية»[١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللَّه ﷺ: «**طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**» رواه البخاري.

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «**إننا لا نريد السلطة، ولا نسعى إلى السلطة، ولا نسعى إلى أي كرسي في هذه السلطة ولا في هذا الوجود، نحن حركة مقاتلة مجاهدة نريد تحرير أرضنا وإزاحة الاحتلال عن صدرنا، هذه واحدة، لكنهم وحتى الآن لم يصدقوها، لم يفهموا هذا الكلام، واللَّه لو جاءتنا السلطة على طبق من ذهب لرفسناها بأرجلنا وركلناها، نحن لا نريد سلطة**»[٢].

وقال: «القيادات العسكرية الإسلامية في كتائب عِز الدين القسام قيادات أمينة ونظيفة، قيادات بايعت على الموت والاستشهاد، ولا تطلب من الدنيا كرسيًّا ولا مصلحة ولا مغنمًا ولا مالًا»[٣].

رحم اللَّه الإمام شعيب بن حرب القائل: من طلب الرياسة ناطحته الكباش، ومن رضِي أن يكون ذَنَبًا أبى اللَّه إلا أن يجعله رأسًا».

والله، إن عروش الدنيا أجمع لا تساوي لحظة من لحظات ياسين مع ربه.. وهو المتهجد الذي

---

(١) أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (١٥٤).

(٢) المصدر السابق ص (٢٩٤).

(٣) المصدر السابق ص (٢٩٦).

عرفته الليالي باكيًا في محرابه، وكما قال قتادة «كان يقال: قلما سهر الليل منافق».. ولا تساوي يوم استشهاده وثناء الملايين عليه، ولو بيعت تيجان أهل الأرض جميعًا وعروشها ما تساوي ما ادخر لياسين في الدنيا قبل الآخرة من مجد في هذا اليوم.. كثير من الملوك يذهبون ويجيئون وينساهم التاريخ.. ولا تنسى الأمة يوم ياسين الذي أحياها.

قال مجاهد: «إن العبد إذا أقبل على اللَّه ـ تَعَالَى ـ بقلبه، أقبل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بقلوب المؤمنين إليه»[١]

كتب الثوري إلى عباد بن عباد: «**إياك وحب الرياسة فإن الرجل تكون الرياسة أحبَّ إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقَّد نفسك واعمل بنية**»[٢].

انظر كيف ضيَّع الناس في أفغانستان دماء وجهاد عشرات السنين من أجل التنافس على الرياسة.. وانظر مجد ياسين العازف عن السلطة.

ولله در الإمام أحمد بن حنبل حين يقول: «**القلانس من السماء تنزل على رءوس قوم يقولون برؤوسهم هكذا**»[٣]، والمعنى لا يريدون الرئاسة وهي تقع عليهم.

يا إخوتاه، أخفُوا لله الأعمال، وسيجعل اللَّه عزكم وجاهكم يوم موتكم، وسينمُّ تراب القبر على جميل صنعكم، وسيرفعكم اللَّه بالإخلاص في الدنيا قبل الآخرة، فطريق المخلصين صاف نيِّر عليٌّ مستقيم رفيع أن يُنال، مستقيم أن يمال قال ـ تَعَالَى ـ عن طريق المخلصين: ﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ هكذا قرأ قتادة ويعقوب.

❑ إِجَابَةُ دُعَائِهِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى إِخْلَاصِهِ:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ**»[٤].

و«الإجابة مقرونة بالإخلاص لا فرق بينها» كما قال عبدالواحد بن زيد.. استجاب اللَّه دعاء

---

(١) انظر تهذيب الحلية (٢/١٠).

(٢) المصدر السابق (٢/٣٦٧).

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي.

(٤) حسن صحيح: أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك.

أحمد ياسين .. ورفعـه اللَّه يوم موته بإخلاصه، وكما قيل: ألسنة الخلق أقلام الحق، وكما قال النبي ﷺ للصحابة في جنازة مرَّت فأثنوا عليها خيرًا، فقال: «**وَجَبَتْ**»، وأخرى أثنوا عليها شرًّا، فقال: «**وَجَبَتْ**»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ**»(١).

❑ أَمَلِي أَنْ يَرْضَى اللَّهُ عَنِّي:

هذه أمنية أحمد ياسين .. المخلص .. ومن العجيب أن الرجل كرَّرها كثيرًا .. وكأنه بفراسة المؤمن كان يعلم أنه على موعد مع الشهادة. قال رحمه الله:

«**أنا إنسان عشت حياتي أملي واحد، أملي أن يرضى اللَّه عني**»(٢).

قال ابن القيم: «**إن المحبة والإخلاص والإنابة لا تقوم إلا على ساق الرضا**»(٣).

وقال: «**الرضا من أعمال القلوب، نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإن كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان. قال أبو الدرداء: «ذروة سنام الإيمان: الصبر للحكم، والرضى بالقدر»**».

وثمرة الإخلاص رِضا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عن المخلص، وكفى به شرفًا وجزاءً، فما بعده غاية تدرك، وهذا أعلى النعيم في الدنيا، كما أن رضوان اللَّه الأكبر أعلى نعيم أهل الجنان... هذا ما كان يتمناه ياسين، أسأل اللَّه أن يبلِّغه إياه. فيا لعظيم فقهه ويا لعلو همته حين يطلب ذروة سنام أعمال القلوب وأعمال الجوارح ويجمع بينهما في قوله.

ونختم درس الإخلاص الذي علَّمه لأمته بقوله: «**من أراد أن يفعل فليفعل ما يحلو له، واللَّه هو المحاسب في النهاية، وإذا لم يكن الواحد منا مخلصًا لدعوته مستعدًّا لخدمتها فأحسن له أن يترك من الآن ولا داعي لأن يتعب نفسه**»(٤).

* * *

(١) متفق عليه .. انظر «اللؤلؤ والمرجان» (٥٥٣) لمحمد فؤاد عبدالباقي.

(٢) «أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٢٤٦).

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٢٦).

(٤) «أحمد ياسين شموخ في زمن الانكسار» ص (٣٦).

٥ـ عُلُوُّ هِمَّةِ الشَّيْخِ يَاسِينَ دَرْسٌ شاهق لِيَاسِينَ الْغَالِي

قال رسول اللهﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ ـ تَعَالَى ـ يُحِبُّ مَعَالِي الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا وَيَكْرَهُ سِفْسَافَهَا**»[(١)] .

وعن سلمانرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : «**لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ مِثْلِهِ إِلَّا الْإِنْسَانُ**»[(٢)] .

نعم رجل بألف .. بل أمة.. وألف بِخُفٍّ.

وعلاة الهمم من أمثال الشيخ أحمد ياسين «قيام في مقام الدعوة، يدعون الخلق إلى معرفة اللهعزوجل ، لا يزالون يدعون القلوب»[(٣)] .

«من صحت تبعيته للرسولﷺ ألبسه درعه وخوذته، وقلَّده سيفه. ونحله من أدبه وشمائله وأخلاقه، وخلع عليه من خلعه، واشتد فرحه به: كيف هو من أمته؟ ويشكر ربه على ذلك، ثم يجعله نائبًا له في أمته، ودليلًا وداعيًا لهم إلى باب الحقعزوجل .

كان هو الداعي والدليل، ولما قبضه الحقعزوجل أقام له من أمته من يخلفه فيهم، وهم آحاد أفراد، من كل ألف ألف واحد، يدلُّون الخلق، ويصبرون على أذاهم، مع دوام النصح لهم، يتبسمون في وجوه المنافقين والفسَّاق، ويحتالون عليهم بكل حيلة حتى يخلصوهم مما هم فيه، ويحملونهم إلى باب ربهمعزوجل »[(٤)] .

❑ يَاسِينُ كَانَ عَيْـنُ الْعَيْـنِ:

كان ياسين من أعيان الجيل الحاضر بما وُهب من همة تحرص على الإصلاح، وتجرُّد يعيد ضرب المثال.

جرى فكره من عين الكتاب والسنة رقراقًا فروى قلوبًا قد اعتراها الجفاف، فانتعشت بعد ظمأ،

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وابن عدي، وأبو الشيخ، وأبو نعيم في الحليه، وابن عساكر وابن النجار عن الحسن بن علي، وصححه الألباني.

(٢) حسن: رواه الطبراني في الكبير، والضياء في المختارة، وتمّام، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٩٤)،والصحيحة رقم (٢١٨٣).

(٣) الفتح الرباني لعبد القادر الجيلاني ص (٧).

(٤) المصدر السابق ص (٨٣).

وسقت ساحات العمل، فنشطت وأنتجت.

كان ياسين نبيل أهل فلسطين، ومقدمهم وشريفهم.

والعين: الذهب، وكل معدن نفيس ثمين، أجْود كل شيء وأحسنه وخياره وكذلك كان ياسين.. وكان عين فلسطين الباصرة، تنظر بها واقعها، فتحلِّل وتصف وتعلل وتعرف بها الدروب، فتقتحم أو تكون الدليل.

والعين: الرقيب والرائد، والطليعة، وكان ياسين كذلك.

ومن معاني العين: المال، والجماعة، والشمس، والجديد، والحديدة في رأس آلة الحراثة وكذلك فكر ياسين، أغلى مال يتموله داعية من خلال عمل جماعي، واضح وضوح الشمس، يستنبط من التراث ما يدفع إلى الجديد من غير تقليد جامد، ويعلم الدعاة طريق الجهاد بآلة من حديد.

إن الإنسان ليتعجب من رجل قعيد كيف تعلو همته ويستقيم على درب اللَّه من محافظة على الجماعة والقيام والصيام.. صلاحه في نفسه، ويكون مضرب المثل في ذلك.. أما أن يقود غيره ويربيه ويسوقه نحو المعالي.. بل وينشئ خطًّا جهاديًّا وهو القعيد.. فهذا واللَّه عجب العجاب في حياة الفذ الشيخ أحمد ياسين.. كيف يقود الشباب وهو شيخ طاعن في السن «**شباب تسامى للعلا وكهول**» كيف علت همته في إحياء الإسلام ورفع «**راية الإسلام**» في نفوس أبناء فلسطين وعودتهم إلى دين الله، واتباعهم لمنهجه، وتطهرهم من المناهج الفاشلة والاتجاهات المنحرفة التي خدعوا بها زمنًا طويلًا.

عَـوَّذَتْ غَزَّةُ بِـالشَّـهِـيدِ وَمِسْكِـهِ ... فَـتَـرَاجَـعَ الـنَّـخَّـاسُ وَالْجَزَّارُ

فَإِذَا الْبِـلَادُ شَـمَـالُـهَـا وَجَـنُـوبُـهَـا ... أَطْـفَـالُـهَـا وَشُـيُـوخُـهَـا ثُـوَّارُ

وَإِذَا الْمَسَـاجِـدُ هَـبَّـةٌ عُـمَـرِيَّـةٌ ... وَإِذَا الْمَدَارِسُ ثَـوْرَةٌ وَمَـنَـارُ

وَإِذَا انْـتِـفَـاضَـتُـنَا مُـحِـيـطٌ هَـادِرٌ ... وَإِذَا الـسُّـجُـونُ كَـرَامَـةٌ وَفَـخَـارُ

نعم أول ما يلفت الانتباه، وتقف الأنظار مشدوهة والقلوب حائرة أمامه: هذا الجسد المقعد الساكن، كيف تسكنه هذه الروح المتوثبة والهمة العالية والإيمان اليقظ واليقين الراسخ:

يَـا مَـيِّـتَ الْجِسْـمِ الـصَّـغِـيرِ أَقَـمْـتَـنَا ... تُحْـيِـي هُـزَالَ جُـسُـومِـنَـا الْأَحْـجَـارُ

سُبْحَانَ رَبِّي إِنَّ هَذِي آيَةٌ ... وَبِهَا يَزُولُ الْخَوْفُ وَالْأَعْذَارُ

هِيَ حِكْمَةُ الْمَوْلَى بِأَنَّكَ مُقْعَدٌ ... يَهْوِي أَمَامَ حَمَاسِهِ الْفُجَّارُ

كم لاقى من علل وأوجاع، وكم عانى من شيخوخة منهكة، ولكنه يزدادُ عزمًا وحزمًا وهمَّة كلما ازدادت الأوجاع والعلل وتتابعت الخطوب والمحن.

عَلَى الْجَمْرِ تَشْوِيهُ أَمْرَاضُهُ ... وَأَشْرَسُهَا الشَّلَلُ الْمُقْعِدُ

وَتَنْهَشُهُ مِنْ عِجَافِ السِّنِين ... عَجَائِزُ خَمْسُونَ أَوْ أَزْيَدُ

وَلَكِنَّهُ أُمَّةٌ وَحْدَهُ ... إِذَا مَا هَوَى غَيْرُهُ يَصْعَدُ

مَعَارِكُهُ شَحَذَتْ عَزْمَهُ ... كَمَا يَشْحَذُ الْحَرْبَةَ الْمِبْرَدُ

ورغم علله وأوجاعه كانت حركته وجهاده الذي أخجل القاعدين غير أولي الضرر الساكتين المُخَلَّفين.

قَدْ أَقْعَدَتْنَا شَهْوَةٌ وَهَزِيمَةٌ ... وَتَقُومُ أَنْتَ يَمِينُكَ الْإِعْصَارُ

❑ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ يَاسِينَ: «مَتَى ارْتَحْتُ حَتَّى أَرْتَاحَ الْيَوْمَ؟»:

يقول مرافقه الدائم أبو محمد: «إنه[1] كان يستيقظ من نومه قبل الفجر بساعة على الأقل فيتوضأ ويبدأ بصلاة القيام حتى الأذان، فيصلي الفجر في المسجد أو في جماعة في مكتبه مع مرافقيه، وذلك حسب وضعه الصحي والأمني. وبعد الفجر مباشرة يبدأ بقراءة القرآن حتى الساعة السابعة صباحًا، مع العلم بأنه في صلاة النوافل يراجع جزءًا يوميًّا من القرآن.

ويشير أبو محمد إلى أنه بعد أن يتعب من الجلوس على كرسيه ينقله مرافقوه إلى سريره ليستلقي عليه، ويطالع الصحف من خلال لوحة عليها قصاصات الصحف وبعد قراءة الأخبار والمقالات ينام قليلًا، ويستيقظ مرة أخرى ليستعيد نشاطه من جديد، ويبدأ في استقبال الزائرين من الذين يؤمون مكتبه يوميًّا.

ثم يأتي موعد صلاة الظهر ليصلي الظهر في المسجد، فقد كان يصلي معظم الصلوات في

---

(١) أي الشيخ أحمد ياسين.

المسجد خصوصًا في الفترة الأخيرة، وبعد ذلك يواصل استقبال الزوار.

ويتابع أبو محمد قائلًا: وعندما كنا نطلب منه أن يرتاح من استقبال المواطنين كان يرد قائلًا: «**متى ارتحت حتى أرتاح اليوم؟**».

إن الشيخ لم يكن ينام قبل الساعة الواحدة ليلًا على الأقل، وإذا انتابه التفكير في شيء لا يعرف النوم.

تقول ابنته أمينة:

«أبي يعطي نموذجًا للرجل الذي عاش للإسلام، فكان كله للإسلام: أوقاته وجهده وماله لدينه، فكان يخرج من الصباح الباكر يدور على المساجد يدعو إلى اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ وهو الرجل المشلول، ويكون صائمًا؛ فيدركه المغرب وهو في مكان بعيد عن البيت، فيمر على بقالة فيأخذ كوب لبن يفطر عليه ثم يواصل الدعوة إلى اللَّه ومشواره في باقي المساجد، فما من مسجد من قطاع غزة إلا وألقى فيه درسًا أو خطب فيه خطبة، وما من مخيم إلا وحرص أن يوجد فيه فردًا يعمل للإسلام.

ودرس آخر في الجهاد والمقاومة: فرغم أنه المعذور عن الجهاد بسبب شلله وصحته فإنه أبى إلا أن يكون من المجاهدين الشرسين، فقام بتشكيل أول تنظيم إسلامي مسلح عام ١٩٨٤م، وقام باستثمار وتفجير الانتفاضة الأولى، ورغم تحذير الكثير من المفكرين له من أن المنظمة سوف تستثمر هذا الجهد الجهادي فإنه أراد أن يعذر إلى اللَّه أننا ما تركنا الجهاد ونحن قادرون على أداء أي جزء منه.

ودرس آخر في الزهد في الدنيا، فرغم أنه كان مسئول حركة عظيمة فإنه كان يعيش في بيت متواضع لا يقبل أن يسكنه أفقر الناس. ويرتدي ملابس بسيطة، ويتناول طعاما دون المتوسط.

ودرس أخير: وهو الثقة فيما عند اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، والاطمئنان على الأجل؛ فرغم أنه كان مهددًا ـ بالاسم ـ بالاغتيال، ورغم محاولة اغتيال فعلية فاشلة فإنه كان على ثقة بأمر اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ؛ فكان يجلس في البيت ويرفض أن يغادر حتى لقي اللَّه شهيدًا»[1].

---

(١) من حوار معها في موقع «إسلام أون لاين».

٦ـ عِبَادَتُهُ: الصَّوَّامُ الْقَوَّامُ الْمُحَافِظُ عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ اللَّهِجُ بِالذِّكْرِ

«كان الشيخ عابدًا صوَّامًا قوَّامًا، تاليًا للقرآن، يلهج لسانه بالذكر والتسبيح، وفي يوم استشهاده يصر على البكور إلى صلاة الفجر رغم مرضه الشديد، وكانت حقنة الجلوكوز في يده! وبالعزائم والقلوب المخبتة تُقاد الشعوب، قال الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

وما أحوج العمل الإسلامي للقادة الربانيين عبَّاد الليل الذين يُعرفون برقة القلب وطهارة النفس[١]».

❑ وَلَنَا فِي رِيَاضِ هَذَا الْبُسْتَانِ وَقَفَاتٌ نَبْدَأُهَا بِحِرْصِهِ عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَالْفَجْرِ:

نعم، من كان راهبًا بالليل يكون فارسًا بالنهار.

مَـنْ خَـانَ حَـيَّ عَـلَـى الـصَّـلَاةِ يَـخُـونُ حَـيَّ عَـلَـى الـسِّـلَاحِ

من صَفى صُفِّي له، ومن كَدَّر كدِّر عليه، من أحسن في ليله كُوفِئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، وإنما يُكال للمرء كما كال.

لن تنتصر هذه الأمة حتى تحرص على صلاة الفجر في جماعة بأعداد مثل أعداد صلاة الجمعة... هذا فرضٌ وهذا فرضٌ.

أول الأمر بذل الروح وإلا فدع عنك الترهَّات.

الحرص على صلاة الجماعة التي يختصم الملأ الأعلى في كتابة أجرها، والمشي إلى الجماعات من أسباب العيش بخير والموت بخير.. والمشي إلى الجماعات من أسباب محو الخطايا ورفع الدرجات، والخارج إلى الصلاة ضامن على الله، والخارج إلى الصلاة في صلاة حتى يرجع إلى بيته، والله ـ تَعَالَى ـ بكرمه ومَنِّه يُعدُّ نُزُلًا من الجنة لمن غدا إلى المسجد أو راح.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ،**

---

(١) مقال «لا ينال عهدي الظالمين» ـ للأستاذ أحمد عبدالرحمن الصويان.

وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحَةِ الضُّحَى، لَا يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلَاةٌ عَلَى أَثَرِ صَلَاةٍ لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ»(١).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

نسأل اللَّه لك النور التام يوم القيامة يا شيخ ياسين بمشيك في الظلم إلى المساجد مع أن لك عذرك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لَا يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُسْبِغُهُ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ**(٣) **اللَّهُ إِلَيْهِ كَمَا تَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِطَلْعَتِهِ**»(٤).

نسأل اللَّه يا شيخ أحمد أن يظلك اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله جزاء ما تعلَّق قلبك بالمساجد.. وحرصك على صلاة الفجر التي قال عنها رسول اللَّه ﷺ: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(٥).

ولكن الأمة ما فقهت، وما استشعرت جمال هذا الحديث، والحديث الذي سنسطره الآن.

قال ﷺ «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»(٦).

ولكأني بك يرافقك إلى المسجد في صلاة الفجر ملك:

عن مِيثم رضي الله عنه رجل من أصحاب النبي ﷺ قال:

بلغني «**أن الملك يغدو برايته مع أول من يغدو إلى المسجد، فلا يزال بها معه، حتى يرجع فيدخل بها منزله، وأن الشيطان يغدو برايته إلى السوق مع أول من يغدو فلا يزال معه حتى**

---

(١) حسن: رواه أبو داود عن أبي أمامة، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رق (٦٢٢٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي عن بريدة، وابن ماجة والحاكم عن أنس وسهل بن سعد.

(٣) البَشُّ: فرح الصديق بالصديق، واللُّطف في المسألة والإقبال عليه وبرُّه وإكرامه.

(٤) صحيح: رواه ابن خزيمة في صحيحه ـ كتاب الإمامة في الصلاة ـ باب ذكر فرح الرب بمشي عبده متوضئًا رقم (١٤٩١) ٢/٣٧٤ ـ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/١٩٤- ١٩٥).

(٥) رواه مسلم والترمذي عن عائشة.

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٠).

يرجع فيدخلها منزله»(١) .

* وللشيخ ياسين بصلاته الفجر في يوم موته صلاة الأبرار، وهو من وفد الرحمن يوم موته وفي ذمة الله، فانظر بماذا يرجع من الأجر!!

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«مَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى يُصَلِّيَ الْفَجْرَ كُتِبَتْ صَلَاتُهُ يَوْمَئِذٍ فِي صَلَاةِ الأَبْرَارِ وَكُتِبَ فِي وَفْدِ الرَّحْمَنِ»**(٢) .

وهو في ذمة الله، وهل هناك أعلى وأشرف وأوثق وأجل من ضمان الملك العزيز وعهده وأمانه في الدنيا والآخرة؟

وقال ﷺ : **«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يُتْبِعَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذِمَّتِهِ»**(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : **«مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»**(٤) .

وقال ﷺ : **«مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»**(٥) .

---

(١) صحيح: موقوف وله حكم الرفع: رواه ابن أبي عاصم، وأبو نعيم، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٢٧١، وقال ابن حجر: وهذا موقوف صحيح السند «الإصابة في تمييز الصحابة (١٤٨/٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٢/١- ٢٤٣).

وهو موقوف، لكنه مرفوع حقيقة فقد قال النووي «إذا قيل في الحديث عند ذكر الصحابي: يرفعه، أو ينميه، أو يُبلغ به، أو رواية، فكل هذا وشبهه مرفوع عند أهل العلم» انظر تدريب الراوي (١٩١/١- ١٩٢) وفتح المغيب شرح ألفية الحديث للسخاوي (١٢٥/١)، واختصار علوم الحديث لابن كثير ص (٤٥)، ونزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر (٧٨).

(٢) حسن: رواه الطبراني، وعنه المنذري؛ وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤١/١- ٢٤٢).

(٣) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٣٨).

(٤) حسن: رواه الطبراني في الكبير عن والد أبي مالك الأشجعي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٤٥).

(٥) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، وصححه المنذري، وكذا الألباني في صحيح الترغيب (٤٦٤).

وقال ﷺ: «**الْقَاعِدُ عَلَى الصَّلَاةِ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ**»(٢).

وقد جمع هذا كله الشيخ أحمد ياسين - إن شاء اللَّه - يوم موته. نسأل اللَّه أن يكتب له هذا الأجر العظيم: صلاة اللَّه وملائكته عليه، وتكتب صلاته في صلاة الأبرار، ويكون من وفد الرحمن، ويكتب في صلاة حتى قتله واستشهاده، ويكتب له أجر حجة وعمرة تامة تامة.

هذا هو الطريق يا أصحاب العيون الرمد.

وَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ إِيَّاكِ أَنْ تَرَيْ ... سَنَا الشَّمْسِ فَاسْتَغْشِي ظَلَامَ اللَّيَالِيَا

خَفَافِيشُ أَعْشَاهَا النَّهَارُ بِضَوْئِهِ ... وَلَاءَمَهَا قِطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ بَادِيَا

أكثر من فضل وخير ينتظر - إن شاء اللَّه - الشيخ أحمد ياسين الذي وضع اللَّه عنه الحرج، فأبى إلا الاعتكاف في مسجده يوم موته.. عكوف قلبه وجمعيته على اللَّه ﷻ، ثم يتسحر على الماء ليأخذ أجر المتسحرين والصائمين؛ قال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ**»(٣).

ويلقى اللَّه صائمًا؛ قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ خُتِمَ لَهُ بِصِيَامِ يَوْمٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٤).

❑ مَوْقِفٌ يَسْتَمْطِرُ الدُّمُوعَ:

تكلم ابن أخيه خليل حسن ياسين (أبو بلال) - ٤٠ عامًا عن المواقف التي تدل على تمسك عمه الشيخ المجاهد وإصراره على صلاة الفجر في المسجد، وفي تلك اللحظات لم يستطع أبو بلال أن

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان عن عقبة بن عامر، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٤٣٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن البراء، وابن ماجه عن عبدالرحمن بن عوف والطبراني في الكبير عن بشير، والبزار عن جابر.

(٣) حسن: رواه ابن حبان في «صحيحه»، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٤٤) والصحيحة رقم (١٦٤٥).

(٤) صحيح: رواه البزار عن حذيفة، وكذا رواه أحمد، ابن شاهين، ابن بشران، وأبو نعيم، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٢٤).

يتمالك نفسه فبكى وهو يذكر أحد المواقف قائلًا: «عندما كان يقيم الشيخ في معسكر الشاطئ خرج لصلاة الفجر برغم أنه كان مريضًا، ولم يرافقه حينها أحد، وتعثر الشيخ ووقع وبقى ملقى على الأرض حتى طلوع الشمس»[١].

لا تنتصر الأمة حتى يكثر فيها العباد، ويكون قادتها كياسين من العُبّاد، ولا يسمى الشخص عابدًا حتى يكثر من قيام الليل وصيام النهار حتى الممات مثلما فعل ياسين.

تعلمنا هذا من مفتاح الخير ثابت البناني الذي قال عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: **«إن للخير مفاتيحا، وإن ثابتًا مفتاح من مفاتيح الخير»**.

قال أبو محمد ثابت البناني: **«لا يُسمَّى عابدٌ أبدًا عابدًا، وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان، الصوم والصلاة؛ لأنهما من لحمه ودمه»**[٢].

وكان أحمد ياسين ـ والله ـ مفتاحًا من مفاتيح الخير لأمته، ولقد أخذ قيام الليل وصيام النهار من لحمه ودمه وهو الشيخ المقعد الطاعن في السنّ، وفي بصره وسمعه ما فيهما.

* * *

٧ـ قِيَامُ اللَّيْلِ زَادُ الشَّيْخِ يَاسِينَ وَزَادُ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ جِيلٍ.. دَرْسٌ عَظِيمٌ جَمِيلٌ مِنْ دُرُوسِ الشَّيْخِ يَاسِينَ النَّبِيلِ

حدثني الشيخ فكري عبداللطيف صاحب مكتبة «**آفاق**» بغزة «أنه سهر ليلة مع الشيخ في دراسة لأمهات الكتب في ليلة من ليالي الشتاء، وإذا به يطلب من الشيخ فكري أن يوضئه ثم يقوم الليل أكثر من ساعتين حتى أذَّن المؤذن لصلاة الفجر.. وكذا يحكي إخوانه عنه في السجن.. ويحكي عنه من لازموه من مرافقيه وأهل بيته.. ويكفي دلالة على ذلك اعتكافه وقيامه معظم الليل في الليلة السابقة لاستشهاده.

(١) مجلة المجتمع العدد (١٥٩٩).

(٢) حلية الأولياء (٢/٣١٨).

هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الْعَظِيمُ الَّذِي يُعَلِّمُهُ الشَّيْخُ النَّبِيلُ لِلْأُمَّة:

قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان: ٢٦]، وقال - تعالى -: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠].

قال ابن عباس وسفيان: كل تسبيح في القرآن فهو صلاة.

وقال ابن جرير: «**هي الصلاة بالليل من أي وقت صَلى**»، وقال ابن العربي: «**الصلاة تسمى تسبيحًا؛ لما فيها من التسبيح، ومنه: سبحة الضحى**».

«هذا هو الزاد حيث يلتقي العبد بربه في خلوة، وفي نجاء وفي تطلع وفي أنس تفيض منه الراحة على التعب والضنى، وتفيض منه القوة على الضعف والقلة، وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل، وترى عظمة التكليف وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت وما لا تلاقي من أشواك الطريق.. هو الزاد الحقيقي لهذه الرحلة المضنية في ذلك الطريق الشائك.. هو زاد أصحاب الدعوة إلى اللَّه في كل أرض وفي كل جيل، إنها حقيقة كبرى لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق»(١).

قال - تعالى - لنبيه الكريم ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾﴾ [المزمل: ١] إنها دعوة السماء.. وكلام الكبير المتعال.. قم للأمر العظيم الذي ينتظرك والعبء الثقيل المهيأ لك.. قم للجهد والتعب والكد والتعبد.. قم فقد مضى عهد النوم والراحة.. قم فتهيأ للأمر واستعد.

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش في البيت الهادئ لتدفع به في الخضم.. بين الزعازع والأنواء.. وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء.

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحًا، ولكنه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا.. فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير فماله والنوم، وما له والراحة؟ وما له وللفراش الدافئ والعيش الهانئ؟

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾

إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة.. قيام الليل أكثر من نصف الليل

---

(١) في ظلال القرآن جزء (٦) سورة الإنسان.

ودون ثلثيه.

إن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية والاتصال بالله والأنس بالوحدة معه - والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن.. إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول ﷺ وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل، وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلماء الحافة بهذا الطريق المنير.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾.

إن مغالبة هواتف النوم، وجاذبية الفراش بعد كدِّ النهار، أشد وطئًا وأجهد للبدن، ولكنه إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة الله، وإيثارًا للأنس به، ومن ثمَّ فإنها أقوم قيلًا؛ لأن للذكر فيها حلاوته، وللصلاة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها، إنها لتسكب في القلب أُنسًا وراحة وشفافية ونورًا، لا يجدها في صلاة النهار وذكره، والله الذي خلق القلب يعلم مداخله وأوتاره، ويعلم ما يتسرب إليه، وما يقع عليه، وأي الأوقات فيها أكثر تفتحًا واستعدادًا وتهيؤًا، وأي الأسباب أعلق به وأشد تأثيرًا فيه. والله - سبحانه وتعالى - وهو يعد عبده ورسوله محمدًا ﷺ ليتلقى القول الثقيل وينهض بالعبء الجسيم اختار له قيام الليل.

❑ قَدْ يَضْعُفُ الصَّبْرُ وَهُنَا تَبْدُو قِيمَةُ الصَّلَاةِ... وَصَلَاةِ اللَّيْلِ خَاصَّةً:

قال - تعالى -: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال رسول الله ﷺ: «**الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ**»(١). «أي دعوة تريد أن تستقيم إلى الله فعليها أن تدلف من باب الاستقامة، وبابها المحراب»(٢).

---

(١) حسن: رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم عن أبي ذر، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٦٤).

(٢) «الرقاق» لمحمد أحمد الراشد ص (١٥).

«وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة سيماء يحتكرها المؤمنون.. ولئن توهم الدنيوي جناته في الدنيا والنساء والقصر المنيف فإن جنة المؤمن في محرابه»(١).

«حين يطول الأمد، ويشق الجهد قد يضعف الصبر، الصبر على الطاعات، والصبر على بطء النصر، والصبر على بعد الشُّقَة، والصبر على انتفاش الباطل، والصبر على قلة الناصر، والصبر على طول الطريق الشائك، والصبر على التواء النفوس، وضلال القلوب، وثقلة العناد، ومضاضة الإعراض ـ أو ينفد إذا لم يكن هناك زاد ومدد، ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر، فهي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد، المعين الذي يجدد الطاقة، والزاد الذي يزود القلب، فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع، ثم يضيف إلى الصبر الرضا والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين.

إنه لا بد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل بالله حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة، حينما تواجهه قوى الشر الظاهرة والباطنة، حيثما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع، وحيثما تثقل عليه مجاهدة الطغيان وهي عنيفة، حينما يطول به الطريق، تبعد به الشُّقة في عمره المحدود، ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئًا، وقد أوشك المغيب، ولم ينل شيئًا، وشمس العمر تميل للغروب، حينما يجد الشر نافشًا والخير ضاويًا ولا شعاع في الأفق ولا معلم في الطريق..هنا تبدو قيمة الصلاة، إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني ومولاه الباقي.. إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض.. إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى الواقع الكوني الكبير.. إنها الرَّوح والندى والظلال في الهاجرة.. إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود، إنها زاد الطريق ومدد الروح وجلاء القلب.

إن قيام الليل وترتيل للقرآن هي العبادة التي تفتح القلب، وتوثِّق الصلة، وتيِّسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان، ومِن ثَمَّ يوجه الله المؤمنين هنا ـ وهم على أبواب المشقات العظام ـ إلى الصبر والصلاة».

إن قادة العمل الإسلامي محتاجون أشد الاحتياج إلى صلاة الليل.. إلى القيام، التهجد مدرسة الليل مدرسة الإخلاص.. محتاجون إليه، فقيام الليل شرف المؤمن، وهو باب التزكية الأعظم التي أقسم الله أن الفلاح منوط بها أحد عشر قسمًا متتالية أتت في موضع واحد من كتاب الله في

---

(١) المصدر السابق ص (٢٧).

سورة الشمس، محتاجون إليه، فهو عنوان علو الهمة، والتهجد سبيل للنصر على الأعداء، والجهاد يُسقى بدمع التهجد، محتاجون إليه، فهو أفضل الطاعات كما قال الحسن البصري، وهو صلة وقربة إلى الله، ويورث القلب نورًا ورقةً، ويجعل صاحبه طيب النفس، ويطرد الغفلة عن القلب، وهو ثبات على طريق الاستقامة حيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل وترى عظمة التكاليف وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت وما تلاقى من أشواك الطريق.. «هذا هو الزاد الحقيقي الصالح لهذه الرحلة المضنية في ذلك الطريق الشائك، هذا هو زاد أصحاب الدعوة إلى الله في كل أرض وفي كل جيل، إنها حقيقة كبرى لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق»[١].

ثم هو مجاهدة عظيمة للنفس، وأشرف الأعمال ما أُكرهت على النفس، فالمضاجع في الليل تدعو الجنوب إلى الرقاد والراحة والتذاذ المنام، ولكن هذه الجنوب لا تستجيب، وإن كانت تبذل جهدًا في مقاومة دعوة المضاجع المشتهاة؛ لأن لها شغلًا عن المضاجع اللينة والرقاد اللذيذ - شغلًا بربها، شغلًا بالوقوف في حضرته، وبالتوجه إليه في خشية.

إن مغالبة هواتف النوم، وجاذبية الفراش بعد كدِّ النهار، أشد وطئًا وأجهد للبدن، ولكنه إعلان لسيطرة الروح.

جَاهِدِ النَّفْسَ وَأَيْقِظْ لَيْلَهَا ... وَاعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تَنْقَطِعِ

وَمَعَ الْأَسْحَارِ قُمْ مُسْتَهْدِيًا ... صَادِقَ النَّجْوَى سَخِيَّ الْأَدْمُعِ

أَيُّهَا الْعَابِدُ.. يَا مَنْ يَرْتَجِي ... رَحْمَةَ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْأَوْسَعِ

عَفِّرِ الْجَبْهَةَ فِي أَعْتَابِهِ ... وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَلِينَ الْمَضْجَعِ

وَامْلَأِ الْأَعْمَاقَ نُورًا هَادِيًا ... وَارْشُفِ الْحُبَّ طَهُورَ الْمَنْبَعِ

أَيُّ مِعْرَاجٍ رَفِيعٍ تَرْتَقِي ... فِيهِ بَلْ أَيِّ انْتِصَارٍ أَرْوَعِ

يُعْبِقُ الرُّوحَ وَيَسْمُو بِالرُّؤَى ... فِي سَنَا فِكْرٍ وَإِيمَانٍ يَعِي

---

(١) الظلال (٦/ ٢٣٠).

مَا أُحَيْلَاهَا سُوَيْعَاتُ الصَّفَا تَغْمُرُ الْقَلْبَ بِفَيْضٍ مُتْرَعِ

فأصحاب الدعوات وقيادتها محتاجون إلى هذا الدرس العظيم: قيام الليل من حياة وسيرة الشيخ ياسين، فهو تربية على الصبر، وسبب للفهم عن اللَّه والتوفيق، وباب لتكفير السيئات، ومطردة للداء عن الجسد، وهو من موجبات الرحمة، ويورثهم العز الأعلى وهو محبة اللَّه لهم، ويباهي اللَّه برجال الليل الملائكة، ويعجب لعظيم فعلهم، ويستبشر بهم، ويضحك إليهم، ومن ضحك اللَّه إليه لا يعذبه أبدًا، وهو سبيل لسكن أعلى الجنان، وهو مهور الحور الحسان، وينجي من النيران، ويهون من طول الوقوف في عرصات القيامة. ثواب القيام لا تحيط به العقول، وتقصر عنه الأفهام.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

«قال ابن سيرين: المراد به النظر إلى اللَّه ـ تَعَالَى ـ، وقال الحسن البصري: أخفى القوم أعمالًا فأخفى اللَّه ـ تَعَالَى ـ لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[١].

وقال القاسمي في «محاسن التأويل»: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ من النفوس، لا ملك ولا نبي مرسل فضلًا عمن عداهم، فإن النكرة في سياق النفي تعم .. والفاء سببية»[٢].

تعبير عجيب يشي بحفاوة اللَّه ـ سبحانه ـ بالقوم، وتولِّيه بذاته العلية إعداد المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه، والذي يظل عنده خاصًّا مستورًا حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه عند لقياه، وإنها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله. مصداق ذلك في حديث المغيرة بن شعبة في سؤال موسى عليه السلام ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم منزلة «.. **قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر**»[٣].

قال ابن عباس: الأمر في هذا أجلُّ وأعظم من أن يُعرف تفسيره.

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٧٠).

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (٧/ ١٣٢).

(٣) جزء من حديث رواه مسلم، والترمذي، وأحمد في «المسند» عن المغيرة بن شعبة.

فطالب قلبك يا رجل الدعوة، وراعِ حالك، وواظب على صلاة الليل، فيحصل اليوم سرورك وكذلك غدًا، وعلى ذلك تُحشَر، فمن كان بحاله لقي اللَّه بها.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»[(١)].

❑ يَاسِينُ النَّبِيلُ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ جَيِّدًا لِرِضَى اللَّهِ عَنْهُ، وَهُوَ صَلَاةُ اللَّيْلِ:

كانت المقولة العذبة للشيخ ياسين: «**أملي أن يرضى اللَّه عني**»، وعرف الطريق إلى ذلك جيدًا؛ قيام الليل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: ١٣٠].

والرضىٰ وحده جزاء حاضر ينبت من داخل النفس، ويترعرع في حنايا القلب.

ويقول اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥ـ ١٧].

هؤلاء لهم رضوان من اللَّه... وهم أهل لهذا الرضوان ظله النديُّ ومعناه الحاني، وهو خير من كل شهوة وخير من كل متاع.. ويستجيش الأشواق ياللَّه!! إنها لآفاق ترف وأضواء تعلو بالنفس حتى تنتهي بها إلى الملأ الأعلى.

❑ الْإِقْبَالُ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عُنْوَانٌ لِحَيَاةِ الشَّيْخِ يَاسِينَ الْعَظِيمِ:

في حوار لموقع (إسلام أون لاين) مع الشيخ ياسين أجراه معه أحمد عِز الدين وشعبان عبدالرحمن سُئل: «هل يمكن استرجاع بعض ذكريات السجن؟»

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «**أنا أعتبر السجن محطة من محطات الحياة، وفيه يتم التزود بالروحانية والإيمان.. السجن هو مع اللَّه**»[(٢)].. الجدران الضيقة تتحول إلى فسحة عظيمة... تذوق بينها

---

(١) رواه مسلم، وابن ماجه.

(٢) معنى كلامه: أي في السجن يكون الإنسان في معية اللَّه.

طعم العبادة.. أنا الآن لا أتذوق العبادة مثل عبادة السجن.. الآن ـ ونحن في العبادة ـ مشاغل كثيرة تنتظرني.. فلان ينتظرني والآخر متعجل.. فلا أستطيع أن أتذوق العبادة.. كنت في صلاتي في السجن أقرأ جزأين من القرآن وأشعر أنني أقرأ في اليوم الواحد أربعة أجزاء من القرآن في فرائض وسنن.. وكنت أشعر بروح عالية.. ولذلك فالسجن متعة روحية لا يعرفها إلا من ذاقها، فهو في خلوة مع اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، كما ذكر علماؤنا السابقون: «سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة»[1] وهذا طبعًا بفضل الله».

* * *

٨ـ زُهْدُ يَاسِينَ فِي مَتَاعِ الدُّنْيَا دَرْسٌ لِمَنْ يُرِيدُون الْآخِرَةَ

والصدق ما شهدت به الأعداء:

«هو شيخ زاهد.. يكره المال.. لا يملك سوى ثوبين وسجادة صلاة.. نحيف.. يعيش على الخبز والماء وزيت الزيتون ـ مريض ـ قعيد مشلول ـ عاجز عن الحركة ـ يعاني حشرجة في الصدر.. وضيقًا في التنفس ـ واضطرابًا في الهضم.. وانسدادًا في شرايين القلب.. نظرات عينية باردة.. كلماته تخرج صفيرًا متقطعًا.. ينام ويأكل ويصلي ويتكلم في مكانه على كرسيه المتحرك..

لكن ذلك كله لا ينفي أن الشيخ أحمد ياسين يملك ثروة هائلة من الزعامة.. تساندها ذاكرة قوية.. وجرأة في السيطرة على رجاله تتجاوز حدود السحر.. وبراعةً في المناورة والمراوغة تحقق له ما يريد من مكاسب سياسية في الوقت الذي يختاره.. وموهبةً غريزية برجماتية تنقله من التشدد إلى اللين في لحظة واحدة».

إن هذه السطور القليلة هي خلاصة عشرات الصفحات العبرية، كتبها وعرضها ونطق بها إسرائيليون، تخصصوا في التعامل معه ـ آخرهم ميخاكوبي الضابط في جهاز الأمن الداخلي «**الشاباك**» الذي ظهر على القناة الإسرائيلية الثانية بعد ساعات من عملية اغتيال الشيخ أحمد

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ياسين»[١].

هكذا وصفه بالزهد أعداؤه من اليهود.

تقول ابنته مريم في حوار لها على شبكة الإنترنت الخميس ٢٥/٣/٢٠٠٤م: «بيت الشيخ - تعني الشيخ ياسين - يتكون من ثلاث غُرف، في البيت شبابيك متهالكة جدًّا.. بيت متواضع جدًّا.. أبي لا يحب الدنيا .. يحب بيوت الآخرة.

وقد عرض على أبي الكثير.. أن يكون له بيت مثل بيوت الرؤساء.. عُرِض عليه من السلطة بيت ضخم في أرقى أحياء غزة، لكنه رفض هذا العرض؛ لأنه يريد الآخرة ولا يهتم بهذه الشكليات الدنيوية.

البيت مساحته ضيقة، لا يوجد بلاط، المطبخ متهتك جدًّا، في الشتاء بارد جدًّا، والصيف حار جدًّا، لا يفكر مطلقًا في تجديد البيت؛ لأنه كان مشغولًا في تجهيز بيته في الآخرة».

لما سُئلت ابنته مريم عن الدروس التي يستفيدها الشباب المجاهد من سيرة الشيخ الكريمة قالت: «ودرس آخر في الزهد في الدنيا؛ فرغم أنه كان مسئول حركة عظيمة فإنه كان يعيش في بيت متواضع لا يقبل أن يسكنه أفقر الناس، ويرتدي ملابس بسيطة، ويتناول طعامًا دون المتوسط».

«بيت يثير في تواضعه استغراب أي شخص سمع عن الرجل الذي زلزل الكيان الصهيوني»[٢].

يقول ابن أخيه (أبو بلال) «**خليل حسن ياسين**» - ٤٠ عامًا -: «أنهم عندما أرادوا تركيب ستائر للمكتب ومع معرفتهم بأن الشيخ سيرفض ذلك، انتهزنا فرصة خروجه وقمنا بتركيب الستائر، وعندما رجع ورأى ذلك بقى يُقرعنا أيامًا عديدة بسبب ذلك وهو يقول: تكسون الجدران؟!. أليس من الأفضل إطعام فقير بثمن الستائر؟

ويقول أبو بلال: إن هذا أمر طبيعي بالنسبة للشيخ، فهو الذي يرفض بعد خروجه من السجن عام ١٩٩٦م العرْض بأن يغير مكان بيته إلى مكان آخر يليق به فرفض ذلك وأصرَّ على البقاء في المكان الذي عاش فيه طيلة حياته، وحتى أثناء حدوث الاجتياحات الأخيرة رفض تغيير مكان

---

(١) من مقال «خبراء عرب شاركوا في خطة شارون لتفجير الشيخ ياسين بالصواريخ» مقال لعادل حمودة بجريدة «صوت الأمة» - العدد (١٧٤) الاثنين ٢٩/٣/٢٠٠٤م - ٧ صفر ١٤٢٥هـ.

(٢) مجلة المجتمع الكويتي عدد ١٥٩٩.

بيته؛ لأنه كان يشعر بوفاء كبير لكل من يعرفه، فكيف بالمكان الذي عاش فيه»[١].

وفي لقاء مع أسرة الشيخ على موقع «إسلام أون لاين» ٢٠٠٤/٣/٢٢م - ١٤٢٥/٢/١هـ حاورهم فيه إبراهيم الزعيم.. «عندما سألنا أبو نسيم عن خصال أخيه الشيخ أحمد توقف برهة لتذرف دموعه بغزارة، ثم قال: «لقد كان عطوفًا كريمًا، توفي وليس في بيته مال».

يقول أخوه أبو نسيم عن بناء منزل الشيخ ياسين في «**جورة الشمس**» التي انطلق منها نور ياسين: «كان لنا قطعة أرض في منطقة نصر، فقمنا ببيعها، واقترض مني الشيخ ألفي ليرة، وكان هذا المبلغ هو مقدمة الثمن الذي دفعه للمكان الذي اشتراه في جورة الشمس عام ١٩٧٣م تقريبًا، وكان وضعه الاقتصادي حرجًا للغاية إلى درجة دفع أحد إخوته أن يدفع له بعضًا من المال لإعانته على وضعه فرفض قائلًا: «أنا لا أستحق الزكاة».

كانت زوجته تقدر الوضع الذي يعيشه زوجها، وكانت تعلم أن مرتبه البسيط كمدرس يحمل شهادة الثانوية العامة لن يكفي[٢]، لذلك كانت دائمًا تحاول تقديم العون للعائلة بتربيتها الدجاج والحمام والماعز، وتقوم ببيع نتاج هذه الطيور والماشية وتنفق منها على العائلة في حالة غياب الشيخ أو في حالة وجوده.

لذلك فإذا دخل أحد الدار في هذه المرحلة أو في السابق كان يرى الدجاج يسرح ويمرح في ساحة الدار، والأغلب أن الشيخ لم يضايقه ذلك على الرغم من زواره الكثيرين في بيته؛ إذ إنه يدري أن هذا الوضع هو نمط من حياة الفقر التي يعيشها قطاع كبير من سكان القطاع والذين هم بحاجة إلى إعالة وعون ماديين، وفي أحد المرات اشتكى له أخوه أبو نسيم من أنه يجب أن يوفر شيئًا من دخله لوقت الضيق وأن على زوجته أن تمسك يدها قليلًا؛ فأجاب: «**يا أخي، المدخول قليل ولا مجال للإدخار، ويادوب على قدّ الأكل والشرب**»[٣].

كان الشيخ يقدم الأكل والشراب لزواره على حسابه الخاص، وعندما عرض إخواته تقديم بعض الإعانات له تيسيرًا عليه رفض مؤكدًا أن الحال مستور، وأنه يطلب الأجر والثواب من الله.

(١) المصدر السابق.

(٢) وذلك قبل دخوله كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية.

(٣) هذا كلام بالعامية معناه أن الدخل قليل، وهو فقط على قدر الأكل والشرب.

سبحانه وتعالى -»[١].

لقد ظل الشيخ يعمل بالتدريس، وكان إخوانه يضغطون عليه للاستقالة والتفرغ للعمل الدعوي على أن يقوموا هم بكفالته ماليًا إلا أنه كان يأبى ذلك بكل قوه، ويقول: طالما أستطيع أن أزاول العمل إذًا لا داعي لأن أحمِّل الدعوة مصاريف إضافية»[٢] حتى أحاله اليهود للتقاعد.

❑ كَانَ لَهُ مِنَ الزُّهْدِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا وَهي الزُّهْدُ فِي السُّلْطَةِ وَالرِّيَاسَةِ:

قال ذو النون عن الزهد: «حقيقته الزهد في النفس»، وقال سفيان: «الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وأول ذلك زهدك في نفسك». وقال «ما رأيت الزهد في شيء أقلَّ منه في الرياسة؛ ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإذا نُوزع الرئاسة حامى عليها وعادى»[٣].

وقال يوسف بن أسباط: «الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا»[٤].. وقد مرَّ بك قول الشيخ ياسين: «واللَّه لو جاءتنا السلطة على طبق من ذهب لرفسناها بأرجلنا وركلناها، نحن لا نريد سلطة».

لله درك يا ابن ياسين.. نفتدي أقوامًا صابروا عطش الدنيا في هجير الشهوات زمان العمر حتى رُووا يوم الموت من شراب الرِّضى، وبقيت أذكارهم تُروَى فَتْروي صدى[٥] القلوب وتجلو صدأها.. لقد أراد ياسين محبة اللَّه له فزهد في الفاني.

قال ﷺ: **«ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»**[٦].

وقال ﷺ: **«الْبَذَاذَةُ مِنَ الإِيمَانِ»**[٧].

---

(١) شموخ في زمن الانكسار ص (٧١- ٧٢).

(٢) المصدر السابق ص (٩٦).

(٣) السير (٧/٢٦٢).

(٤) تهذيب الحلية (٣/٥٧).

(٥) صدى القلوب: عطشها.

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان، عن سهل بن سعد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٩٢٢).

(٧) صحيح: رواه أحمد في مسنده، وابن ماجه، والحاكم عن أبي أمامة الحارثي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٨٧٩).

وقال ﷺ: «صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ، وَيَهْلَكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ»(١). وكان ياسين زاهدًا متواضعًا.

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»(٢).

أيها المترفون من أمتنا، إن زينة الدنيا لا ترتفع إلى ذلك الأفق العالي الذي يتطلع إليه من يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، أما الهامات المتشامخة التي لا تخفف من غلوائها، ولا تطامن من ترفها وكبريائها، فهي وهمم أصحابها سفه ضائع حقير.

إن الحياة للأرض حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات والهوام والوحوش والأنعام.. الذين يرضون بالحياة الدنيا وترفها بما فيه وفيها من نقص وهبوط، ويرضونه ويرضونها ويستغرقون فيها، فلا ينكرون فيها نقصًا تهبط بهم ثم تهبط؛ لأنهم لا يرفعون رءوسهم إلى قمة، ولا يتطلعون بأبصارهم إلى أفق، إنما يخفضون رءوسهم وأبصارهم دائمًا إلى هذه الأرض وما عليها.

هذا هو الدرس الثمين من دروس ياسين لأمته.

❑ وَا أُمَّتَاهُ:

بينما ياسين يسطر لأمته دروسه الغالية في زهده - يخبرني أخ ثقة أنه شاهد تليفزيون الإمارات حيث اشترى رجل من رأس الخيمة «لوحة سيارة» بـ ٨ مليون درهم، وفي معرض آخر بيعت (٣٠) لوحة للسيارات أقل ثمن للوحة مليون درهم، وأخبرني نفس الأخ في نفس المجلس أنه يُدفع ٢٠ ريالًا سعوديًّا للإبقاء على أسرة مسلمة مكونة من أربع أفراد في غرب السودان «دارفور» للإبقاء على حياتهم ٢٠ يومًا .. يا سبحان اللَّه ريال يكفي للإبقاء على حياة أربعة أفراد يومًا واحدًا على ظهر الحياة.. بعدما بلغت بهم المعاناة أن أحدهم لا يستطيع أن ينطق باسمه من شدة الجوع.

وا أمتاه: اللَّه والإسلام أو الترف والدمار.

---

(١) حسن: رواه الإمام أحمد في الزهد، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان، عن ابن عمرو، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٤٥).

(٢) صحيح: رواه عبد بن حميد، وابن ماجه، عن أبي سعيد، والطبراني في الكبير، والضياء عن عبادة بن الصامت، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٦١).

٩ـ التَّرْبِيَةُ وَالتَّزْكِيَةُ عِنْدَ يَاسِينَ

في شبابه ومنذ أول يوم لاستلامه عمله كمدرس كان نعم المربي جعل «**أحمد**» من نفسه في مدرسته منذ وضع أول يوم قدمه فيها ـ النواة التي يلتف حولها الطلاب، ووجههم إلى المسجد ليكمل لهم ـ عقب صلاة العصر مرتين أسبوعيًا ـ ما لم تتسع له حصصهم المدرسية، وسر بذلك أولياء الأمور إلا بعضهم، فقد جاء أحد كبار ضباط السلطة ليشكو للناظر أمر هذا المدرس الذي يجمع الأولاد في المسجد، وهو ما لم يتعود الناس عليه، فأجاب الناظر الضابط بما أقنعه وأفحمه: «أنا سعيد جدًّا بهذا المدرس، وسأقدم له كتاب شكر على ذلك؛ فأين لنا المدرس الذي يدرس الدين عمليًا في المسجد؟! وحبذا لو كان في كل مدرسة في القطاع مدرس مثله».

وموقف آخر لأحد أولياء أمور الطلبة، وكان طبيبًا شيوعيًا، فلقد جاء شاكيًا للناظر، وقال: «قبلنا أن يصلي الولد، وقبلنا أن يذهب إلى المسجد، أما أن يصوم (اثنين) و(خميس) من كل أسبوع، فهذا أمر صعب، ولا نقبل به!» وكانت إجابة الناظر الإجابة الأولى نفسها في الموقف السابق.

وكان ياسين نعم المربي لأبنائه وأفراد حركته، رباهم على مفاهيم إسلامية نقية، وأخلاق زكية، وعلى عقيدة صحيحة.. رباهم على معالي الأمور وبذل النفس والنفيس والجهاد في سبيل الله، وعلى الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله.

والتربية شيء ضروري لازم لاستئناف الحياة الإسلامية.

إن الدعوة مكلفة بواجب تبليغي، وواجب تربوي، مقتدية في ذلك بالمنهج التربوي في فترة الدعوة الأولى بمكة.

«أما الواجب التربوي فهو أخطر ما تقوم به الدعوة في الحقيقة؛ لأنه هو طريق الخلاص، وهو عمل دائب مستمر لا يتوقف مهما كانت الأحوال في الشدة والرخاء سواءً، في السعة وفي الضيق سواء.

والتربية المطلوبة لإقامة القاعدة الإسلامية تهدف إلى إخراج نماذج فذة، لا مجرد إخراج مسلمين عاديين، نماذج كالأعمدة الراسية في البناء، لتحمل ثقل البناء فيما بعد. وهذا يحتاج أولًا

إلى عقيدة صافية لا غبش فيها ولا بدع ولا انحرافات، كعقيدة السلف الأول، خالية من كل ما علق بها خلال الأجيال من إضافات وانحرافات خرجت بها عن عقيدة التوحيد الخالصة الصافية.

ويحتاج - ثانيًا - إلى إدراك واعٍ لمقتضيات هذه العقيدة، ومقتضياتها هي كل التكاليف وكل التوجيهات التي جاءت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، ومن عظمة هذه التكاليف والتوجيهات، ومن شمولها لكل جوانب النفس، وكل جوانب الحياة كانت عظمة هذا الدين، وعظمة الأمة التي حملت هذا الدين، وأنشأت به ذلك الواقع الضخم الذي شهده التاريخ.

ويحتاج - ثالثًا - إلى تربيةٍ تحوِّل هذه العقيدة إلى حقيقة سلوكية قائمة في عالم الواقع، وهذه التربية تحتاج إلى ترسيخ معاني الألوهية وتعميقها حتى تصبح يقينًا قلبيًّا ينبني عليه سلوك واقعي، يقينًا لا يزلزله الابتلاء والشدة، ولا يزلزله الرخاء والسعة.

ترسيخ أخلاقيات لا إله إلا الله، حتى تصبح حقيقة سلوكية تنبثق انبثاقًا ذاتيًّا من داخل النفس مثل التكافل والجلد والصبر والشجاعة.

وتحتاج إلى الوعي السياسي بأحوال العالم المعاصرة، وأحوال المسلمين في ظروفهم الراهنة، ومكايد الأعداء ومؤامراتهم ضد الإسلام.

ومن أجل متطلبات هذه التربية، وهي كثيرة وشاقة، فلا ينبغي التعجيل في خطواتها، ولا ينبغي التعجيل في إدخال الجماهير في الدعوة على النطاق الواسع قبل أن يتيسر العدد الكافي من الدعاة والمربين الذين تربوا هم على المنهج الصحيح، والذين يستطيعون بدورهم أن يربوا على المنهج الصحيح، فهذا التعجيل لا يخدم الدعوة في شيء، إنما يعوقها في الحقيقة عن المسير»[1].

«المشكلة التي تعانيها الأمة اليوم أبعد من أن تكون مجرد انتشار لمعاصٍ ظاهرة، وإخلالًا بأحكام ظاهرة، وإن كان ما نذكر نذير خطر.

ومن ثَمَّ فالمشروع الإسلامي ما لم يأخذ على عاتقه إعادة صياغة متكاملة للفرد والمجتمعات الإسلامية في التفكير والتصورات والقيم والموازين فهو عاجز عن تحقيق الهدف الذي يسعى إليه.

وهذا التغيير وإعادة الصياغة يحتاجان جهدًا تربويًّا ضخمًا لتربية أدوات ووسائل التغيير من الدعاة والمصلحين، وجهد التربية مجتمعات المسلمين، ومن ثم كانت التربية الجادة ضرورة.

---

(١) «واقعنا المعاصر» لمحمد قطب ص (٥٢٢-٥٢٤) باختصار.

أما حين تكون مرحلة العواطف الجياشة، والحماسة المتأججة نهاية المطاف، ومنتهى الغايات فتُصاغ البرامج التربوية للوصول لها وتحقيقها فحسب فلن تحقق الدعوة غاتيتها»[١].

والله، إن الإنسان ليعجب من أولئك الرجال الصفوة من المجاهدين الذين رباهم الشيخ ياسين فكانوا ربانيين، صُوَّامًا قُوَّامًا تالين ذاكرين.. كل منهم نسيج وحده في القيام والذكر والصيام وبر الوالدين.. كأنهم رجال من السلف عاشوا في عصرنا.. صلاح شحادة، الرنتيسي، يحيى عياش، إبراهيم المقادمة، عماد عقل، محمود أبو هنود، مسلمة الأعرج، وغيرهم.. وغيرهم.

يقول الشيخ أحمد ياسين: «كنا في السجن نتابع كل ما يجري في الحياة، ونتفاعل مع ما يحدث، لنا ثقتنا في الله ـ سبحانه وتعالى ـ وفي إخواننا وفي تربيتهم الإسلامية القديمة، نعلم أن البوصلة إذا انحرفت قليلًا فستعود إلى مسارها؛ لأن هناك ضوابط إيمانية وضوابط «خلقية» إسلامية تضبط المسار، ومهما صار خلل فثقتنا في الله»[٢].

«سأل شخص يدعى «حسن» ابنة الشيخ (مريم أحمد ياسين) عن المواقف التربوية للشهيد، فردت عليه: «أخي حسن الفاضل، بارك الله فيك على هذه العبارات الطيبة وهذه المشاعر النبيلة وهذا الحس الصادق تجاه والدي الذي كان داعية همه الأول والأخير هو الإسلام، ومناقب أبي كثيرة وتحتاج إلى مؤلف، ولعل بعض الدعاة يقومون بذلك.

لكن كان له العديد من المواقف التربوية التي كان فيها يصحح المفاهيم: فذات يوم تبرع أحد التجار بكمية من القمصان الفاخرة جدًّا للتوزيع الخيري ليشرف الشيخ على توزيعها فرآه أحد أبنائه فاقترح عليه أن يستبدل بـ ٥ قمصان من الفاخر ٢٠٠ قميص متوسط الجودة حتى يغطي أكبر عدد ممكن، ولكن الشيخ رفض، وقال: أليس من حق الفقير أن يلبس قميصًا فاخرًا؟ أَلِأَنه فقير يحرم قميصًا فاخرًا؟ وهل عليه أن يبقى يرتدي قميصًا رديئًا فقط لأنه فقير.

إن الفقير من حقه أن يحكي كغيره، لقد قال مرة اشتريت ثلاجة جديدة وقدمتها إلى عائلة فقيرة ففرحوا فرحًا هائلًا، ولم تصدق أنها وهي الفقيرة تقدم لها ثلاجة جديدة.

مواقف كثيرة.. كثيرة».

---

(١) التربية الجادة ضرورة لمحمد بن عبدالله الدويش (٧ـ ٨) باختصار ـ دار الصفوة.

(٢) نقلا عن موقع «إسلام أون لاين».

١٠- كَرَمُ يَاسِينَ وَإِنْفَاقُهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، فَهُوَ عَلَى دَرْبِ «ثُمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ» ﷺ

«في شهر مايو ١٩٩٨م قام الشيخ بحملة دعاية واسعة في العديد من الدول العربية والإسلامية نجح خلالها في جمع مساعدات معنوية ومادية كبيرة للحركة قدرت بنحو ٥٠ مليون دولار»(١).

«يقول ابن أخيه أبو بلال خليل حسن ياسين: «كنت جالسًا معه في مكتبة ودخل أحد الزوار ومعه هدايا للشيخ مرسلة من الخارج فوضعها الزائر على الطاولة، وبعد أن انصرف الرجل أردنا أن ندخل تلك الهدايا للمنزل، فأمرنا الشيخ أن نتركها مكانها، وبعد وقت قصير حضر زوّار آخرون فوزّع الشيخ الهدايا عليهم، ولم يُبق لنفسه شيئًا».

وقال أبو مصعب (أحد مرافقي الشيخ): «إنه عندما كان ابنه عبدالحميد يتلقى معاش الشيخ، كان يقول له: اعطوا نصفه للمحتاجين، وأبقوا النصف الآخر، وعندما يأتي محتاج آخر يريد المساعدة يعطيه الشيخ نصف ما تبقى من المعاش، وهذا المعاش كان مصدر الدخول الوحيد للشيخ، فقد كان مدرسًا متقاعدًا، وعندما كانت تراجعه زوجته أم محمد وتقول له: «**وزّعت المعاش ونحن ماذا سيبقى لنا؟**» يردُّ عليها قائلًا: «**ربنا يبعث لنا**»(٢).

كوّن الشيخ في «**المجمع الإسلامي**» بغزة اللجنة الاجتماعية من «مجموعة من العاملين النشطاء في الحقل الاجتماعي؛ إذ يقوم هؤلاء بحصر الأسر الفقيرة وتقديم الدعم والعون المادي لها، كما أنها تقدم قوائم الأسر الفقيرة للأغنياء من القطاع؛ ليقوموا بتقديم العون المباشر لهم بأنفسهم، وأحيانًا تقوم بنقل وتوزيع هذه المعونات.

كذلك تقوم هذه اللجنة بأعمال الإغاثة لأبناء المجتمع المتضررين نتيجة للحوادث الطارئة، ففي شتاء ١٤٠١هـ سنة ١٩٨١م عندما اجتاحت العاصفة الثلجية منطقة دير البلح والمعسكرات الوسطى؛ لأنها مسقوفة بالقرميد وألواح الأسبست سارع شباب المجمع الإسلامي على الفور

(١) «ياسين قصة كفاح ومسيرة عطاء» مقال بجريدة الأسبوع - العدد (٦٥٠) - ٢٠٠٤/٣/٢٥/ - الصفحة الرابعة.

(٢) «مجلة المجتمع الكويتية» العدد (١٥٩٩).

للنجدة وإصلاح السقوف المتهشمة وترميمها، وقد كانت المواد المستخدمة في الإصلاح هدية من المجمع الإسلامي، وتم إصلاح ما يقارب من ألف منزل»[١].

لقد حرص ياسين على فعال الخير التي يحب الله فاعلها:

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَّادٌ يُحِبُّ الْجَوْدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سِفْسَافَهَا**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ** ﻷ **سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ، أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ**»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**»[٤].

قال الشيخ ياسين: «**نحن حركة تتلقى المساعدات اليومية من جيوب أهلنا وإخواننا، ثم ننفقها على شعبنا في الداخل، وأهل الأرض المحتلة جميعًا يعلمون كم تقوم حركة المقاومة الإسلامية، بمؤسساتها الإنسانية، من خدمات لشعبنا، هو أو غيره لا يستطيع أن يغمض العين عنها.**

ولقد شهدت المؤسسات الدولية بنزاهة هذا الموقف، وبقدرة هذه الجمعيات على أن تؤدي دورها فاعلًا بالرغم من دخولنا البسيطة»[٥].

---

(١) «شموخ في زمن الإنكسار» ص (٨٣).

(٢) صحيح. أخرجه ابن عساكر، والضياء عن سعد بن أبي وقاص، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٣٧٨و١٦٢٦.

(٣) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة، وابن عدي في «الكامل» عن ابن عمر، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٩٦).

(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٥) أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (٣١٠).

قال أخوه أبو نسيم عنه: «**إنه كان يحب الخير ويكثر من مساعدة الفقراء والأيتام والأرامل والطلاب المحتاجين والمرضى، وكان سخيًّا كريمًا في خدمتهم، وأذكر بأني في إحدى المرات أرسلت له العشرات ليخدمهم**»[١].

وفي بداية أمره أسس الشيخ صناديق في كل مسجد يتردد عليه، من حي «الشجاعية» في شرق غزة إلى مخيم الشاطئ في غربها، تلك الأحياء التي له فيها تلامذة يسعون على الأرملة والمسكين ويسدون للفقراء جوعهم وحوائجهم، وقد انتشرت هذه الصناديق، وأصبح الصرف منها سرًّا للفقراء في ظل الاحتلال، حتى لا تتعرض للمصادرة.

* * *

(١) «موقع إسلام أون لاين» ـ مع أسرة الشيخ ياسين ـ حوار إبراهيم الزعيم ٢٢/٣/٢٠٠٤. ١/٢/١٤٢٥هـ.

١١ـ اسْتِعْلَاءُ الْإِيمَانِ عَنْدَ يَاسِينَ وَإِبَاؤُهُ وَعِزَّتُهُ وَثَبَاتُهُ

كان ثبات ياسين أشد من الجبال الرواسي. وصدق الشيخ د. عبدالعزيز الرنتيسي حين قال: «**ما رأيت أصبر من الشيخ ياسين**».

قال ميخاكوبي الضابط في جهاز الشاباك الذي ظهر على التلفزيون الإسرائيلي بعد ساعات من عملية اغتيال الشيخ ياسين ليتحدث عن خبرته في التحقيق معه: «إننا لم نستخدم العنف معه[(١)] ـ العنف لا يُجدي مع هذا الطراز من البشر الذين يؤمنون بأن الموت يمنحهم قصرًا في الجنة ـ التحقيق معه كان يجري على طريقة رأس برأس.. وهو ما أجبرني على حفظ آيات عديدة من القرآن ودراسة تفسيراتها.. لقد كانت الترجمة العبرية للقرآن هي الكتاب السياسي الذي لا يفارقني طوال شهر التحقيق معه.. وقد كان من الصعب دفعه للانهيار خلال التحقيق ليخرج ما لديه.. فهو شديد المكر.. كان يبدو منهارًا في بعض الأحيان كي يختبرنا، وعندما تقرَّر الإفراج عنه كنت على رأس المعترضين على ذلك.. فحريته منحته حفر بنية تحتية قوية لحركة حماس .. وهو ما حدث بالفعل..»[(٢)].

يقول الشيخ عاهد عسَّاف من قرية كفر لاقف بقلقيلية وكان مرافقًا للشيخ في سجنه مدة تزيد عن النصف عام في سجن «كفار يونا الصهيوني»:

«للشيخ المجاهد مواقف عزة وكرامة وإباء، منها عندما حضر أحد ضباط الموساد إليه وقال له: إن كانت القسام تطالب بإطلاق سراحك في بيان نشر من بيروت مقابل الكشف عن جثة الجندي ايلان سعدون، فرد عليه الشيخ بعزة وكرامة: أنا لا أقبل على نفسي أن يفرج عني مقابل جثة، صعق الضابط الصهيوني من جواب الشيخ وقال له: أنت تعرف مكان الجثة، وخلال حديث ضابط الموساد مع الشيخ المجاهد يقول عاهد: التفت إليَّ هذا الضابط وقال لي: «أنت سيفرج عنك قريبًا، فماذا أوصاك الشيخ؟» فقلت له: «**أوصاني بالتمسك بديني ودعوتي**

---

(١) وكذب في هذا.

(٢) مقال عادل حمودة «خبراء عرب شاركوا في خطة شارون لتفجير الشيخ ياسين» صوت الأمة ٢٩/٣/٢٠٠٤.

وصلاتي ومساعدة الآخرين»، وكان جوابي له بالعبرية، وعلى الفور التفت إلى الشيخ قائلًا له: «ماذا أوصيت مرافقك، فرد عليه الشيخ بنفس الكلمات مع أنه لم يعلم ما جرى بيني وبين الضابط. وقتها غادر الضاط زنزانة الشيخ بلا رجعة مذهولًا»!

ويضيف الشيخ عساف: «جاء مدير سجن (كفاريونا) ذات مرة يطلب ود الشيخ في جلسة حوار، وكان رد الشيخ: ليس لدي وقت أضيعه معك، احمر وجه المدير الصهيوني أمام ضباطه ورجع يجر أذيال الخيبة والفشل».

ومن أراد أن يعرف عزة الشيخ واستعلاء الإيمان عنده فليقرأ ما كتبناه وما قاله هو في كيفية خروجه من المعتقل، وإصراره على الإفراج عن اللذيْن كانا يرافقانه في سجنه، وكيف تحقق له ذلك.

ويقول زوج ابنة الشيخ ياسين أسامة المزني:

«إن البيت قبل الاغتيال كان يعيش جوًّا من التوتر والقلق على حياة الشيخ نظرًا للتهديدات الكثيرة والمحاولة التي تعرض لها، وكنا عندما نسمع أزيز الطائرات تحدث حالة طوارئ، وقد كنت عنده يوم الجمعة الماضي، وكان مريضًا، فألححت عليه في الطلب بأن يخرج من المنزل للعلاج من ناحية، وخوفًا من الاغتيال من ناحية أخرى، إلا أنه كان يرد علي بالقول: سأتحدى شارون. وكان ـ رحمه الله ـ لا يحبذ التستر والتخفي، وأذكر بأن أحد الصحفيين قام بإجراء حوار معه قبل أسبوع من استشهاده؛ فكان أن جاء في مقدمة الصحفي قوله: «بأننا نجري حوارًا الآن مع الشيخ من مكان ما في غزة لا نحدده لدواع أمنية»؛ فغضب الشيخ، وقال: أنا مستعد أن أجري معك حوارًا في البيت، أنا لا أختبئ»[(١)].

وتقول ابنته مريم عن خروجه من المعتقل: «إن أبي كان يرفض أن يخرج لأي شرط مهما كان بسيطًا، وقال قولته المشهورة: «**لو اشترطوا عليَّ أن أخرج مقابل أن آكل البطيخ لرفضت ذلك**»، مع أنه كان يحب البطيخ، ولكنه يريد أن يبين أنه لا يقبل أي شرط»[(٢)].

وقال الشيخ ياسين عن الثبات والإرادة:

---

(١) موقع «إسلام أون لاين» ـ مقابلة مع أسرة الشيخ ـ ٢٢/٣/٢٠٠٤م ـ ١/٢/١٤٢٥هـ.

(٢) موقع «إسلام أون لاين» ـ الخميس ٢٥/٣/٢٠٠٤ ـ الأستاذة مريم أحمد ياسين.

«السر يكمن في الإرادة، وإيمان الإنسان بالمبدإ الذي يسير عليه؛ فالدنيوي لو أن الدنيا ذهبت منه فقد خسر كل شيء، لكن الإنسان المؤمن الذي يؤمن أنه ذاهب إلى جنة عرضها السماوات والأرض يريد أن ينتقل من دنيا فانية إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار عند رب العالمين، فهو ينتظر هذا اليوم، ويستبسل ويقاتل من أجل الفوز في هذا اليوم، ويثبت في الميدان حتى آخر رمق في حياته».

* * *

١٢- يَاسِينُ الْمُشْتَاقُ لِلْجَنَّةِ

«يقول الدكتور نسيم ياسين ابن شقيق الشيخ ـ وقد بدا عليه التأثر ـ:

في آخر زيارة للشيخ إلى منزلي والتي كانت قبل عشرة أيام تقريبًا جلسنا حتى الواحدة بعد منتصف الليل ونحن نتحدث في قضايا المسلمين، فقلت له: أريد أن أنام، فقال لي: اجلس، وهل تتكرر هذه الجلسات؟ اجلس لنتحدث عن الجنة، فكلمته عن الجنة والحوار العين، وأنا أقرأ عليه آية أو حديثًا، وهو يرد علي بآية أو حديث أو قصة عن الجنة حتى طلع الفجر؛ فشعرت أن أجله قد اقترب، فقلت له: هل أنت مستعجل للذهاب إلى الجنة؟ فقال لي: ومن لا يستعجل الذهاب إليها؟! ثم ذرف الدموع من عينيه، ثم ذكرت له رؤيا رآها أحد الإخوة الأفاضل حيث رأى أن الشيخ يمشي على قدميه؛ فسأله أين عربتك يا شيخ؟ فقال: تركتها. وبعد أن ذكرت له ذلك قلت له: إنك ستستشهد يا شيخ، فهز رأسه وابتسم»[(١)].

* * *

١٣- رَحْمَتُهُ بِالنَّاسِ

قال أبو محمد أقدم المرافقين للشيخ: «إن الشيخ المجاهد كان في مخبئه طوال المدة التي سبقت اغتياله، ولكن ما دعاه للخروج الأزمة الصحية التي ألَّمت به مساء الأربعاء ٣/١٧، وزاد مرضه

(١) موقع «إسلام أون لاين» - ٢٠٠٤/٣/٢٢- ١٤٢٥/٢/١هـ.

حدة يوم الخميس وذهبنا به إلى المستشفى ورأى الأطباء أنه يحتاج إلى البقاء في المستشفى، إلا أنه رفض ذلك لحرصه ألا يصاب المستشفى بمكروه؛ لعلمه أن المحتلين يمكن أن ينفذوا جريمتهم أثناء وجوده في المستشفى، كما كان حريصًا على ألا يقال: إنه مختبئ في المستشفى»[١].

* * *

١٤ـ تَوَاضُعٌ وَلِينٌ

أشار أبو مصعب مرافقه إلى أن الشيخ لحظات وجوده في الخارج كان يغضب إذا قمنا بإبعاد الناس عنه أثناء لحظات التدافع حوله، وبالرغم من مضايقات الصحفيين أحيانًا كان لا يحب أن ندفعهم ليبتعدوا عنه»[٢].

يقول الشيخ عاهد عساف رفيقه في زنزانته عن لحظة لقائه بالشيخ في الزنزانة: «نُقلت من سجن نابلس المركزي في بداية شهر أيار، مايو من عام ١٩٩٥م إلى سجن «كفاريونا» حيث الشيخ الشهيد، وعندما وصلنا السجن أنا وشخص آخر كي نكون مرافقين للشيخ كنا منهكين، وإذا بالشيخ كعادته كان في الفورة يقرأ في إحدى أمهات الكتب، وعرَّفنا أنفسنا إليه؛ لأنه لا يعرفنا، ولتواضع الشيخ عرَّف نفسه قائلًا: **«أخوكم في الله أحمد ياسين»** مع علمه المسبق أننا نعرفه وجئنا من أجله إلا أنه يتواضع مع كل من يلتقي معه. ويقول: «كان الشيخ يرفض أن يأكل قبلنا رفضًا باتًّا، وكان يقول: «أنا لقمة وأنت لقمة يا عاهد»، وكان أيضًا يقاسمنا حصته من الطعام التي كانت تأتيه من المطبخ؛ لأنه مريض، وكان يصرُّ على أن نتقاسم الفواكه واللحمة وغيرها من المأكولات.

* * *

---

(١) مجلة المجتمع ـ العدد (١٥٩٩).

(٢) المصدر السابق.

١٥ـ تَفْوِيضُهُ الْأَمْرَ وَتَوَكُّلُهُ عَلَى رَبِّهِ وَثِقَتُهُ بِهِ

منذ صغر الشيخ ياسين والرضا بما يقدره اللَّه سجية عظيمة عنده «يقول شقيقه الحاج شحدة (٧٧ عامًا):

«كنت أرى في شخص الشيخ منذ طفولته أنه سيصبح في يوم من الأيام ذا شأن كبير»، ويقول عن إصابة الشيخ: «كان الشيخ يمارس هوايته في اللعب إذا بمجموعة من الأطفال يحملون الشيخ أحمد ياسين بين أيديهم، وصُعقت من هول المشهد، لقد فقد الشيخ أحمد حينها القدرة على الحركة إلا أنه قال لي: **«لا تزعل يا أخي، هذه إرادة الله»**»[(١)].

وتقول ابنته مريم عن الدروس المستفادة من حياة الشيخ: « ودرس أخير وهو الثقة فيما عند اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ والاطمئنان على الأجل، فرغم أنه كان مهددًا ـ بالاسم ـ بالاغتيال، ورغم محاولة اغتيال فعلية فاشلة فإنه كان على ثقة بأمر اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، فكان يجلس في البيت ويرفض أن يغادر حتى لقي اللَّه شهيدًا».

وقال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي مرة: **«أنا لم أر إنسانًا في حياتي فوَّض أمره إلى الله كالشيخ أحمد ياسين»**[(٢)].

سأله الأستاذ أحمد منصور عن خروجه من سجن اليهود: «ماذا كانت مشاعرك وأنت لم تكن تتوقع أن تخرج؟ فقال ـ رحمه اللَّه ـ: «والله، أنت تعرف أنا كنت مسرورًا، لكن دائمًا السرور له حدود؛ لأني أعمل حسب قدر من اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، إذا كان قد قدَّر لي أن أخرج فسوف أخرج، وإذا قدَّر لي أن أبقى سوف أبقى، فإذا جاء الفرج فالحمد والشكر لله، وإذا غاب الحمد لله أيضًا، وليس هناك سوى الصبر، الأمر لم يكن يُشكِّل مشكلة عندي؛ لأنني كنت مطمئنًا دائمًا بأن اللَّه لن يضيّعني وسيأتي بالفرج يومًا ما»[(٣)].

نعم يا زين المجاهدين في فلسطين... هذا من حسن ظنك بربك وتفويضك الأمر إليه.

---

(١) مجلة المجتمع الكويتي العدد (١٥٩٩). لا تزعل كلمة عامية معناها لا تحزن.

(٢) موقع (إسلام أون لاين).

(٣) «الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (١٥١).

لَا تُـدَبِّـرْ لَـكَ أَمْـرًا فَأُولُوا التَّدْبِيرِ هَلْكَى
سَـلِّـمِ الْأَمْـرَ تَجِـدْنَـا نَـحْنُ أَوْلَى بِكَ مِنْكَ

هذا من إيمانك العظيم بالقضاء والقدر.

قال الشيخ المبارك أحمد ياسين: «أنا أحمد اللَّه أني أملك ثقة في اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، وأملك توكلًا كبيرًا على اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، وأقبل كل ما يصدر من اللَّه في قدره، إن كان خيرًا شكرت، وإن كان شرًّا صبرت ورددت ذلك إلى نفسي (ما أصابك من سيئة فمن نفسك، وما أصابك من حسنة فمن الله) فهذا هو موقفي إن شاء الله، سأبقى مجاهدًا ـ إن شاء اللَّه ـ حتى يتحرر وطني؛ لأني لا أخشى الموت؛ لأن الأعمار بيد اللَّه مقدرة، لا تزيد ولا تنقص، ولا أخشى الفقر لأن الرزق بيد الله مُقدّر، لا يمكن أن تموت ويبقى لك رزق في الدنيا إلا أن تستوفيه، وعلى ذلك فلماذا الخوف؟ ولماذا التردد؟ ولماذا لا يكون الإنسان ينتقي موته شريفة، شهادة عند اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ؟»[1].

فَهْم عظيم للإيمان بالقضاء والقدر وراء ثبات البطل ياسين، وهذا درس من دروسه لأمته.. لماذا الخوف؟ ولماذا التردد؟ وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**» قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[2]

❑ تَفْوِيضُ يَاسِينَ الْعَجِيبُ:

ما وصل ياسين إلى هذه الدرجة العالية في التوكل ـ وهي التفويض ـ إلا بعد معرفة بالرب وصفاته وقدرته، وكفايته وقيوميته، وانتهاء الأمور إليه، وصدورها عن مشيئته وقدرته.

وبعد ذلك إثبات في الأسباب والمسببات، ورسوخ قلبه في مقام التوحيد، فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصحَّ له توحيده.

والدرجة الرابعة: اعتماد قلبه على الله، واستناده إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها، بل خلع السكون إليها من قلبه، وألبسه السكون إلى مسببها.

---

(١) «أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٣٣٠).

(٢) رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ حسن الظن بإلهه وسيده، فاستسلم قلبه له، وانجذبت دواعيه كلها إليه، وترك منازعات نفسه وإرادتها مع سيده، ولذا صحَّ له تفويضه حتى شهد له تلميذه الرنتيسي بأنه ما رأى مثل تفويض أستاذه.

هذا الدرس الذي يتعلمه الدعاة من شيخ الدعاة بفلسطين ياسين: التفويض وهو رُوح التوكل ولبه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلبًا واختيارًا، لا كرهًا واضطرارًا، فهو يعلم ويوقن أن تدبير مولاه له خير من تدبيره لنفسه، وقيامه بمصالحه وتوليه لها، خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليه لها، فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويضه أموره كلها إليه، ولما رسخ قلبه في التفويض ذاق ثمرة التوكل ووصل إلى غايته وهو الرضا، فإنه إذا توكل حق التوكل، رضِي بما يفعله وكيله.

فالتفويض علامة صحة توكل ياسين، والرضا هو ثمرة توكله، فقد رضِي بما قدره له سيده ومولاه.

قال بشر بن الخافي: يقول أحدهم توكلت على الله، يكذب على الله، لو توكل على اللَّه لرضي بما يفعله الله. قال يحيى بن معاذ وقد سُئِل: متى يكون الرجل متوكلًا؟ فقال: إذا رضِي باللَّه وكيلًا.

كان توكل ياسين على طريق النبي ﷺ في إقامة دين اللَّه ودفع فساد المفسدين في الأرض.

يا سبحان الله!! ما أعظم توكل ياسين القعيد المشلول!! كان توكله على اللَّه في فتح بصائر قلوب قومه للإسلام، وأن يُعبَد اللَّه في ربوع فلسطين، وأن يوحده أهل فلسطين، وأن تشرق شمس الدين الحق على قلوب العباد، فملأ بذلك التوكل القلوب هدى وإيمانا، وهبَّت رياح نسمات التوكل على قلوب أتباعه فملأتها يقينًا وثباتًا لم يلتفت قلبه إلى سوى مولاه، وما رجى عونًا إلا منه، وما ارتكن إلا إلى حماه؛ واجه طغيان اليهود هو وتلاميذه بالإيمان، وواجه الأذى بالثبات مقالته مقالة الأنبياء ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٢].

إنها كلمة المطمئن إلى موقفه وطريقه، المالئ يديه من وليّه وناصره، المؤمن بأن اللَّه الذي يهدي السبيل لا بد أن ينصر ويعين، وماذا يهمُّ حتى ولو لم يتم في الحياة الدنيا نصر، إذا كان العبد قد ضمن هداية السبيل، والقلب الذي يحسُّ بأن عناية اللَّه ـ سبحانه ـ تقود خطاه وتهديه السبيل، هو قلب موصول باللَّه لا يُخطئ الشعور بألوهيته القاهرة المسيطرة، وهو شعور لا مجال معه للتردد في المضي في الطريق أيًّا كانت العقبات في الطريق، وأيًّا كانت قوى الطواغيت التي تتربص في هذا الطريق.

هذه الحقيقة لا تستشعرها إلا قلوب تزاول الحركة مواجهة طواغيت اليهود، والتي تستشعر في أعماقها رحمة اللَّه وعنايته وهي تفتح كوى النور، فتبصر الآفاق المشرقة، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة بالله، وتحس بالأنس والقربى ـ حينئذ لا تحفل بما يتوعدها به طواغيت اليهود، وتحتقرهم وما في أيديهم من وسائل البطش والتنكيل .. وماذا يخاف القلب الموصول باللَّه على هذا النحو؟ وماذا يخيفه من أولئك العبيد؟

إن أصحاب الدعوة إلى اللَّه لا بد أن يستيقنوا أن ربهم آخذ بناصية كل دابة، وأن الناس كل الناس بما فيهم من جبَّارين عتاة متمتعين متبطرين إنما هم دواب من الدَّواب.

والله، إن انتشار دعوة ياسين وهو الفرد القعيد الأعزل لا تفهم ولا يدرك مذاقها الإيماني الجميل إلا من باب التوكل على الله.. بل وقيادته لحركة جهادية وعمل عسكري بحت أذهل القريب والبعيد لا يفهم إلا في ضوء التوكل العالي والتفويض الغالي لياسين..

* * *

١٦ـ الشَّيْخُ أَحْمَدُ يَاسِينُ دَعْوَةٌ لِلتَّفَاؤُلِ وَالأَمَلِ وَالْيَقِينِ

قال الشيخ ياسين ـ رحمه اللَّه ـ: «**أنا متفائل دائمًا، أنظر إلى الكوب فأرى الجزء المملوء فيه ولا أرى الفارغ، أرى الجزء الجيد ولا أرى الناقص؛ لأن ذلك هو الذي أعطاني هذا الوجود الذي لا زالت فيه بالرغم من أني أعاني منذ ٤٥ عامًا الشلل**»[١].

---

(١) «الشيخ ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٣٣٠).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ ذَا لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ - كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابَ فَأَوَّلْتُ: الرِّفْعَةُ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةُ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «عِنْدَ اللَّهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالدِّينِ وَالرِّفْعَةِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»[٤].

وعند البيهقي: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ وَالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ بِالدِّينِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ وَالنَّصْرِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ».

وعن أبي عنبة الخولاني قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا، يَسْتَعْمِلُهُمْ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٥].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والضياء في «المختارة» عن سهل بن سعد، وكذا أخرجه ابن ماجه، وأبو يعلى في «مسند»، وابن أبي عاصم، والخرائطي، والطيالسي، والمروذي عن أنس، وحسّنه الألباني في «تخريج السنة» (٢١٩، ٢٩٦) و«صحيح الجامع» رقم (٣٩٨٧).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه عن أنس، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٣٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢١٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٣٤/٥)، وابن حبان في «صحيحه» والحاكم (٣١١/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٥/١، ١٦)، و«أحكام الجنائز» (ص٥٢» و«صحيح الجامع» رقم (٢٨٢٢).

(٥) حسن: أخرجه أحمد، وابن ماجه، والبخاري في «التاريخ» وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢)، و«صحيح الجامع» (٧٥٦٩).

نعم لأمل بسَّام نعيش به، ولا للمنى فهي رءوس أموال المفاليس والنَّوْكى[1].

أمل وضيء في وسط ظلام واقعنا الحالك، يُطَمْئِن في وسط الزلازل، وثقة لا تتزعزع في وعد الله، نستشرف النصر من بعيد ونراه رأي العين، ونوقن أن البشرية في طريقها إلى ربيعها المونق المزهر الذي يملأ حياتها بالعطر والدفء والنور ربيع الإسلام.

رحمك الله يا ياسين لكأنه يحدو أمته وشعبه قائلًا:

خُلِقْتُ لِأَنْسِجَ مِنْ كُلِّ مَوْتٍ حياةْ
وَمِنْ كُلِّ أَمْسٍ غَدًا وَاثِبًا فِي خُطَاهْ
وَمِنْ كُلِّ لَيْلٍ ضِيَاءْ
وَمِنْ كُلِّ دَمْعٍ صَفَاءْ
فَإِنْ شَجَرِي قَطَعَتْهُ أَيَادِي الْخَرِيفْ
رَبِيعِي سَيُحْيِيهِ غَضَّ الْقُطُوفْ
وَإِنْ زَهْرِي أَسْقَطَتْهُ الرِّيَاحْ
سَيَأْتِي مَعَ الْعِطْرِ عِنْدَ الصَّبَاحْ
وَلَوْ مَزَّقَ الشَّوْكُ أَحْلَامَ قَلْبِي
فَحُبِّي وَإِيمَانُ قَلْبِي وَرُوحِي
يَذِيبَانِ جَمْرَ الْأَسَى مِنْ جُرُوحِي!!
سَأُفْضِي بِدَرْبِي إِلَى كُلِّ فَجٍّ
وَلَوْ كَانَ مَا بَيْنَ رِيحٍ وَلُجٍّ
وَمَهْمَا بِرَوْضِيَ غُصْنٌ ذَبَلْ
سَيُحْيِيهِ لِلْفَجْرِ رَوْضُ الْأَمَلْ

---

(١) النوكي: الحمقى.

يقول الشيخ ياسين «**المستقبل لنا - إن شاء اللَّه - هو قادم لا محالة، وعد اللَّه لا يُخلف، إن اللَّه لا يُخلف وعده أبدًا**».

فقال له أحمد منصور: بالرغم من اليأس الذي يسيطر على الناس؟

فرد الشيخ ياسين: «**اليأس هذا لا قيمة له عند الناس الذين يقودون المركب، إذا كان قادة المراكب لا ييأسون ومصروِّن على خطواتهم، فالشارع دائمًا أينما وجهته يتجه، يعني أنا استشف من القرآن الكريم مثلما قال في المدينة:** ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ : يعني المسلمين لم يكونوا يظنوا أنهم يمكن أن يقدروا يستولوا عليهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢]؛ لأن هؤلاء معتدِّين بقوتهم، والمسلمون يقولون: ممكن نقدر؟!، وهو الواقع الآن، يعني صحيح أن أمتنا قادرة على تحرير فلسطين، نحن نشك في حالنا وإمكاناتنا وقدراتنا ومستقبلنا، وهم يقولون: نحن نملك أكبر ترسانة دولة فمن يقدر علينا؟! فهم يغترون بقوتهم، ونحن خائفون من ضعفنا، لكن إرادة اللَّه غالبة، وسوف تأتي الساعة التي ينهار فيها هذا الكيان في لمح البصر؛ لأن الفساد لا يدوم في الأرض، لقد قرر القرآن الكريم أنهم يفسدون في الأرض، أنهم يمزِّقون القيم في الأرض، واللَّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[1].

وَقَالَ الشَّيْخُ مَرَّةً أُخْرَى: «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ رَبًّا وَالْإِسْلَامَ دِيْنًا فَلَا يَعْرِفُ الْيَأْسَ وَلَا الْإِحْبَاطَ».

قال الشيخ - رحمه اللَّه -: «الإحباط يمكن أن يأتي لإنسان فقد الإيمان وفقد الثقة في الله، أما من عرف اللَّه ربًّا والإسلام دينًا فلا يعرف اليأس ولا الإحباط، صحيح أن عدونا قوى متجبر، يملك مقومات القوة لكننا نمتلك قوة أكبر منه، وقد ذكرت في الكثير من مقابلاتي صورة مما ذكره القرآن الكريم تعطينا الأمل، يقول اللَّه في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

وما أشبه اليوم بالبارحة، فالمعادلة القائمة هي نفسها الآن، فالمسلمون ظنوا أن اليهود لن يخرجوا، واليهود ظنوا أن قلاعهم وحصونهم سوف تحميهم من اللَّه فانتهوا إلى غير رجعة، واليوم

---

(١) «أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٢٤٤- ٢٤٥).

المسلمون يقولون: إن أحدًا لن يقهر إسرائيل. وإسرائيل تقول: إن أحدًا لن يقهرني؛ لأني أملك كل القوة. لكن القوة لله جميعًا، فما علينا هو العمل حسب استطاعتنا ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

نحن نعد استطاعتنا ونعمل بطاقتنا وجهودنا مستعينين بالله وواثقين من النصر في النهاية مهما طال الطريق، أما أن يكون هناك الكيان الصهيوني وتتكالب الدول لتأييده ومعها بعض دولنا لدرجة تصل إلى حد الاعتراف به، وبإعطائه فسحة الحياة، فهذا من قدر الله؛ لأن العالم لن يظل قويًا، وكم من دول قوية بادت، ونحن ضعفاء ولكن لن يظل الضعيف ضعيفًا للأبد، فكم من الضعفاء صاروا قوة وانتصروا وغيروا التاريخ، لكن ما أقوله دائمًا لأهلنا وشعبنا وأمتنا كما قال ربنا في كتابه على لسان سيدنا موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وكيف تعمل أنت إذا وصلت إلى سدَّة الحكم، ونحن نرى الذين يصلون لسدَّة الحكم لايعملون كما يريد الله أو يحب الله، فيحكمون على أنفسهم بالتغيير والإبادة. اليهود سعاة الفساد في الأرض، سعاة لإشعال الحروب في الأرض، اليهود سوس في الأرض، والله وعدهم ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤] وليس مرة واحدة، وإنما مرات ومرات والله قال فيهم: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨] لماذا؟ لأنهم أفسدوا وأفسدوا؛ ولذلك فإن نهايتهم التي لا يتوقعونها هي التي أشار الله إليها ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]، وهذه النهاية قادمة مهما طال الوقت، وإن شاء الله الطريق قادم ولديهم في كتابهم يقولون: (لأسوقنك يا إسرائيل إلى أرض المذبح) يعني هم سيذبحون في هذه الأرض التي يتجمعون فيها مصداقًا لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٤، ١٠٥]، فهذا الكتاب صادق، والمؤمن لا يعرف اليأس أو القنوط، بل يستمد من حالة عدوه القوة» اهـ.

نِهَايَةُ إِسْرَائِيلَ فِي عَامِ ٢٠٢٧ تَقْرِيبًا:

«وفي حوار مع مجلة البيان (العدد ١٩٢ ـ شعبان ١٤٢٤هـ ـ أكتوبر ٢٠٠٣م) أجراه عماد عبدالرحمن:

البيان: سبق أن حددتم زمنًا معينًا لزوال اليهود كما نشر في بعض الصحف؛ فما هي المرتكزات التي استندتم إليها في ذلك؟ أم أن هذا من باب التفاؤل بالمستقبل فقط؟

فأجاب الشيخ ياسين:

الحقيقة هذا عبارة عن استلهام من آيات القرآن الكريم واستلهام تاريخي من الواقع؛ الاستلهام القرآني أن ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ في كل أربعين سنة يغير الأجيال ونفوس الأجيال وطبائعهم، وهذا جاء في سيرة بني إسرائيل في القرآن قال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] حرمهم أربعين سنة؛ لأنهم رفضوا أن يدخلوا مع موسى عليه السلام للقتال ليموت الجيل الضعيف الجبان ويخرج جيل يقاتل ويَقتل ويُقتل هذه واحدة، الثانية من التاريخ؛ ففي الحروب الصليبية الأمة الإسلامية ضعفت أربعين سنة وبعد أربعين سنة ثانية بدأت المقاومة والمناوشات حتى بدأ زوال الصليبية؛ إذن نظرية الـ٤٠، ٤٠ هي معادلة تاريخية إيمانية صحيحة، وعندما خسرنا المعركة وطردنا وشردنا وخرجنا من بلادنا عام ١٩٤٨م واستكان الشعب الفلسطيني في الداخل، وبدأت المقاومة من الخارج من الأردن ولبنان من ١٩٤٨م إلى ١٩٨٧م هي الأربعين سنة الشعب الفلسطيني عندما انتفض وواجه، مع أنهم كانوا غير معترفين بحاجة اسمها الشعب الفلسطيني ولا بالقضية الفلسطينية كانوا مُنكرين تمامًا؛ وكانت القضية ملقاة على رفوف الأمم المتحدة، الانتفاضة قلبت الموازين: جلبت مبادرات، اعتراف بحق، اعتراف بوجود، اعتراف بشعب، وكشفت الوجه اليهودي البشع في العالم، ودفعت شعبنا الذي كان يواجه بالحجر وغيره الذي كان يخاف وبجيشه الذي هرب من فلسطين أمام مذبحة أو اثنتين أو ثلاثة وأمام الدعاية الصهيونية، اليوم صاروا يقتلون فيه ويواجه العدو بالحجر؛ إذن الشعب الفلسطيني بعد ٤٠ سنة تغيرت موازينه الإيمانية: نقول إنه بعد الأربعين سنة الثانية سيكون الانهزام والزوال لدولة إسرائيل إن شاء اللَّه ـ تَعَالَى ـ.

البيان: يعني زوالهم في عام ٢٠٢٧ تقريبًا؟

تقريبًا: وليس شرطًا أن يكون ٢٠٢٧م بالضبط؛ إذ يمكن أن يكون قبل خمس سنوات، ويمكن أن تزيد عشر سنوات، المهم في هذا المعدل حول العام ٢٠٢٧م تدور الدائرة وتزول الدولة العبرية ـ إن شاء الله» اهـ.

وهذا الكلام عن زوال دولة إسرائيل ردده الشيخ مرارًا وأصبح هجيراه، فلله دره من شيخ يغرس الأمل ويغرس في هذه الأمة غرسًا مباركًا لتفاؤله ويقينه بوعد الله عز وجل... وأشد الليل حلكة ينبثق منه نور الفجر.

كان ياسين بأمله وتفاؤله انتشالاً من وهدة، وتوجيهًا في ساعة حيرة، وأذانًا في نيام، وسلوة بين أحزان، ونبلًا عندما يسفل الواقع، وسموًّا إذا نطق الإغراء، ووفاءً في ساعة النكوص، واقتحامًا في مواطن الانخزال، ودفعًا للانزواء الذي كلكل على اليائسين القانطين، وترطيبًا للنفوس بعد اليبوسة والجفاف، وبعثًا للأمل، وترجمانًا لأشواق الصحوة التي تسري في ضمير الأمة، كما تسري جداول المياه العذبة في الرمال العطشى.

❑ اصْنَعْ لَكَ دَوْرًا فِي التَّارِيخِ فَالشَّيْخُ الْقَعِيدُ حُجَّةٌ عَلَيْكَ:

كان الشيخ بحياته حجة على من أخلد إلى الأرض، أو سفلت به الهمة أن ابتلاه اللَّه بعاهة.. فهذا الشيخ القعيد يهتف بك: لا تستصغر شأنك، ولا تستحقر أمرك ونفسك، فكم من صاحب عاهة كان إمامًا.. هل صُغت لك دورًا في التاريخ مثلما صنعوا!!.

* فهذا عبداللَّه ابن أم مكتوم يهاجر إلى المدينة ويدعو إلى اللَّه ويعلم الناس القرآن فكان ثاني معلم بعد مصعب بن عمير... وفي يوم القادسية يحمل راية مع كونه أعمى رفع ووضع اللَّه عنه الحرج، ولكنه عبداللَّه بن أم مكتوم سيد من سادات الصحابة.

* وعطاء بن أبي رباح فقيه أهل مكة وأعلم الناس بالمناسك قال عنه إسماعيل بن أمية: «كان عطاء يُطيل الصمت، فإذا تكلم خُيِّل إلينا أنه مُؤيَّد، وكان أسودَ أعورَ، أفطَسَ، أشلَّ أعرجَ، ثم عمي! ففي جسمه ستة عيوب، ولكنه كان ركنًا من أركان العلم والدين والصلاح والقدوة».

* وقتادة الإمام المفسر العظيم كان أعمى، وكذا الإمام الكبير الترمذي صاحب السنن.

* وكم من مولى صار سيدًا من سادات المسلمين، سالم مولى أبي حذيفة الذي قال فيه

النبي ﷺ «**الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَكَ**»، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وارت جثمانه الملائكة، وبلال بن رباح سيد من سادات المسلمين.

* * *

١٧- وَرَعُهُ عَنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ.. وَتَحْرِيمُهُ الاقْتِتَالَ بَيْنَ الْفِلَسْطِينِيِّنَ

قال الشيخ ياسين عن موقفه من السلطة الفلسطينية:

«نحن - إن شاء اللَّه - مهما اعتُدي علينا ومهما أوذينا ومهما تعذبنا وتعذب أبناؤنا لن نطلق النار في صدر شعبنا وأبناء شعبنا، سيبقى سلاحنا موجهًا للاحتلال - إن شاء اللَّه تَعَالَى -... وهذا عهدنا مع اللَّه - سبحانه وتعالى -، والباقي عليه - سبحانه -، فنحن لا ندري ماذا يجري في المستقبل، ولكن لن نعطي إسرائيل وأمريكا الفرصة لتمزيق صفوف وحدة شعبنا، ولن نسمح لهم بأن يحولوا شعبنا إلى مجزرة، ولن نسمح لهم بأن يمزقوا قواتنا هباءً»[1].

وقال مرة أخرى: «**أنا قلت للسلطة - الفلسطينية - كلمة واضحة وصريحة جدًّا، هي قول اللَّه - تعالَى -:** ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٤] **ليقتلوا... كم يستطيعون أن يقتلوا؟ وإذا قتلوا واحدًا.. عشرة.. مئة .. فالنتيجة أنهم الخاسرون، وإن شاء اللَّه لن تبقى لهم قوة ولا وجود عندما يحولوا سلاحهم إلى شعبهم، فليس هناك أحدٌ حوَّل سلاحه إلى شعبه إلَّا وفشل، ونحن متأكدون من النصر والتمكين لنا ولأمتنا؛ لأننا نسير على الحق.. وأقول كلمة قالها سيدنا سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه **عندما قالوا له في فتنة علي ومعاوية: يا عم وراءك مئة ألف مقاتل، فلماذا تجلس؟ قال: أعطوني سيفًا لا يقتل إلا كفارًا وأنا أدخل المعركة. فسكتوا.**

وأنا أقول: أعطوني سلاحًا لا يقتل إلا عدوًّا صهيونيًّا ومحتلًّا وأنا أدخل المعركة.. فلن نقتل أهلنا وأبناءنا، ولن نوجه السلاح لشعبنا حتى لو قُتِلنا، نحن نلتزم الصبر كما قال - تَعَالَى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]، فالصبر

(١) موقع إسلام أون لاين - أجرى الحوار أحمد عِز الدين، وشعبان عبدالرحمن.

هو طريق النجاح وطريق النصر إن شاء الله»[1].

❑ وَفِي حُوارٍ لِلشَّيْخِ مَعَ مَجَلَّةِ الْبَيَانِ:

البيان: راقب الإسلاميون بإعجاب وتقدير دوركم العظيم في الحيلولة دون نشوب حرب أهلية بين الفلسطينيين قبل الانتفاضة بسبب الدور المشبوه لعناصر من السلطة الفلسطينية ضد حماس وغيرها من الحركات الإسلامية؛ فهل من المستطاع المحافظة على هذه السياسة لو استمرت فيما بعد الاستفزازات ضدكم أو أن هناك خطوطًا حمراء غير مسموح بتجاوزها؟

نحن في الحقيقة أمامنا معادلة صعبة وقاسية، والمعادلة التي يسعى العدو الصهيوني لأن يوصلنا لها والتي يسعى لها كل الاستعمار والاحتلال في العالم بنظام وسياسة فَرِّقْ تَسُدْ، وهو أتى بالسلطة عبر اتفاق أوسلو ونقلها إلى هنا بهدف واحد فقط وهو الحفاظ على أمنه ضد المقاومة، والمقاومة متمثلة بالقوى الإسلامية، وكونه هو وضع نصف الشعب الفلسطيني في جانبه ضد بقية الشعب الفلسطيني فهذا يعني أنه رابح في هذه الحالة؛ ونحن في حماس قرأنا المعادلة مبكرًا: هل نمشي في السياسة نفسها؟ يعني هم يطاردوننا من أجل (الأمن الإسرائيلي) ونحن لو قاومنا ندخل في معركة الحرب الأهلية ويخرج المستفيد منها فقط (إسرائيل) وشعبنا هو الذي يخسر كما يحدث في الجزائر من مذابح باسم الإسلام والمسلمين، وهي من صنع المخابرات الأجنبية وعمل أعداء الإسلام؛ ليشوهوا الصورة الإسلامية؛ ولذلك نحن اخترنا الألم والصبر والتضحية على خيار الصدام مع السلطة وسفك الدماء الفلسطينية، ومن أجل هذا الخيار دخلت قيادات من كتائب القسام وقيادات من حماس السجون، ودخل السجون آلاف من إخواننا، وتحملنا كل هذا، والتعذيب القاسي الذي واجهه إخواننا في السجون أقسى مما كان يتصوره من العدو الصهيوني، خرجنا ونحن مقاتلون، ودخل أبناؤنا السجون وهم مقاتلون وليسوا مجرمين ضد أبناء شعبهم، وكي نحافظ على هذه الوتيرة ونحن دخلنا في السجون بشرف وخرجنا بشرف وغير مستعدين أن ندخل السجون ونحن قاتلون لأبنائنا، ونحن الآن بكل طاقتنا وإمكاناتنا سنحافظ على هذا الخيار مهما كان فيه من ألم؛ لتبقى بنادقنا فقط موجهة إلى العدو الصهيوني ودون أن تنحرف إلى الشعب الفلسطيني، وستستمر هذه المعادلة ـ إن شاء اللَّه مهما ـ بلغت الآلام

(١) المصدر السابق.

والتضحيات؛ هذا عزمنا، وهذا عهدنا مع اللَّه أولًا ومع شعبنا ثانيًا ومع أمتنا العربية والإسلامية.

البيان: لكن ألا يزيد ذلك من تمادي السلطة وتطاولها عليكم؟ ألا تقدِّر السلطة هذه المعاني التي تتحدثون عنها؟

الحقيقة أن كلامك صحيح؛ وهذا ما حصل في الماضي من بعض الأجهزة التي كانت تعذب الشباب بكل ما لم تعرفه الإنسانية: تعذبه حتى تخلع كتفه، تكسر فقرات العمود الفقري، إلى آخره من التعذيب إلى جانب التعذيب النفسي؛ لكن وأنا أتعذب بين يدي هذا المجرم أحس بالمعنوية العالية بأنني شريف وكريم ومقاتل ومجاهد، لكن هو وهو يعذبني مهزوم من داخله؛ لأنه يخدم العدو الصهيوني، وأنا أخدم الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية وأنا أسير في الشارع رافعًا رأسي؛ لأنني وطني مسلم مجاهد فيعتز بي الشعب الفلسطيني كله، وهو يمشي في الشارع وهو مستح، إذا هزم هو نفسيًّا وإذا هزم معنويًّا وفكريًّا فأنا أكون المنتصر، ومعنى ذلك أني غير مستعد أن أعطيه مسوغًا لأن يتغوَّل أكثر، إذا كان هو يتغوَّل عليَّ وأنا لم أقتله ولم أسفك دمه فما بالك لو أني سفكت دماءً منه وقتلته فما الذي يحصل؟ وأمريكا وإسرائيل تقول لهم: هذا هو السلاح كل السلاح تحت تصرفكم نفذوا التصفية للإسلام والمسلمين، والغرب يريد ذلك والشرق يريد ذلك؛ فهل من صالحي أنا أن أقتل هؤلاء الناس المتغولين فأعطيهم سببًا وأنا مجاهد أن يتغولوا أكثر، وأن أقتل أبناء شعبي؟ هذا هو المرفوض»[١].

❑ وعن تصفيته للعملاء الفلسطينيين الذين يخونون المسلمين بالتعاون مع اليهود قال:

«نقرأ ما الذي قال ـ أي العميل ـ ونسمع ما الذي نطق به، وبناء على الجريمة التي ارتكبها وحجم الجرائم نقرر هل يستحق الإعدام أوْ لا؟

فقال له أحمد منصور: يعني كانت محكمة؟!

فرد الشيخ ياسين: طبعًا محكمة، وهل نريد أن نلقى اللَّه وقد قمنا بقتل أناس أبرياء؟! هذا ليس ممكنًا، فأنا أبتدئ الجهاد في سبيل اللَّه بقتل أناس أبرياء، فأذهب إلى جهنم ونحن نلتمس رضا

---

(١) مجلة البيان العدد (١٩٢).

الله، لم نكن مستعدين»[١].

وقال: «العميل في الأصل محكوم عليه بالإعدام؛ لأنه عميل، لكننا قلنا: بما أنه لم يقم بارتكاب جرائم، لا نريد أن تقدم على هذه الخطوة ربما ننصحه، ربما نوجهه، ربما يرتدع إذا هددناه»[٢].

وأول عميل قُتِل بأمر من الشيخ ياسين كان مدرسًا فاستقال، وعمل في فرقة أفراح.. أسقط أخته وابنة عمه دفعهن إلى الزنا وأشياء قذرة جدًّا حتى سقطتا في العمالة لإسرائيل... بل لقد أسقط حوالي سبعين امرأة[٣] جرَّهن إلى الفاحشة ثم العمالة والخيانة؛ فكان لا بد من قتله وتطهير المجتمع الفلسطيني منه.

أمثال هؤلاء الخونة هم الذين أمدوا إسرائيل بالمعلومات التي مكنتها من اغتيال ياسين ومن معه من قيادات حماس كما هو متواتر في الشارع الفلسطيني .. طهَّر اللَّه الشارع الفلسطيني من رجسهم على أيدي الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذين يغضبون لمحارم اللَّه وحرمة دينه.

* * *

١٨- انْضِبَاطُهُ وَحِكْمَتُهُ

وهذه خصلة عظيمة عند الشيخ ياسين.. ولولا حكمته وانضباطه ما استطاع قيادة سفينة الدعوة في وقت استحكمت فيه الغربة في الستينات في فترة المد الشيوعي والناصري وسط الرياح والزوابع.. ولما استطاع أن يربي زرعه حتى استغلظ واستوى على سوقه.. وأن يقيم دولة الإسلام في قلوب أصحابه قبل إيجادها أو العمل لإيجادها على أرض الواقع.

❑ وانظر إلى حكمته حين حاورته مجلة البيان سائلة:

أنت لست مع مهاجمة المصالح الغربية المتحالفة مع الكيان الصهيوني في الخارج؟

فأجاب قائلًا: «في الحقيقة المهاجمة شرعًا جائزة ضد العدو، وضد من يقف مع العدو وضد من يساند العدو بالمال والسلاح، لكن هذا ليس قانونًا يُؤخذ على إطلاقه؛ لأنه لو قاومت هؤلاء الناس

---

(١) «أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (١٢٩).

(٢) المصدر السابق ص (١٣١).

(٣) المصدر السابق ص (١٣٠).

فهل يكون من مصلحتي أو ضد مصلحتي؟ أزيدُ من قوة العدو أو أخفف قوته؟ أنا أريد أن أفرّق هذه القوى عنه، ولا أريد أن أفتح معركة مع آخرين وأزيد قوته عليَّ، أنا في حاجة إلى أن أخفف أعدائي ومناصريهم؛ لذلك يجب أن أحصر معركتي معه هو، ولو كان مباحًا لي أن أقاتل غيره، لكني لا أريد هذه الإباحة اليوم؛ لأنها ليست فرضًا علي، ولا أريد أن أستخدمها في الوقت الراهن».

❑ وَمَوْقِفٌ آخَرُ:

سئل الشيخ: ما هو موقف حماس من التفجيرات الحادثة في المنطقة وخاصة السعودية؟(١)

❑ فأجاب:

نحن نحارْب عدوًّا على أرض فلسطين، ولا نريد أن نخرج معركتنا خارج فلسطين؛ لأن معنى إخراجها هو تجنيد دول أخرى جديدة تقف إلى جانب العدو، ونحن نريد إذا لم يكن الآخرون معنا فألا يكونوا ضدنا، ولا نريد أن نثير الأنظمة في العالم علينا، سنبقى على علاقات حسنة

---

(١) نحن نبرأ إلى الله تعالى مما يحدث في الديار السعودية من انتهاك حرمة المسلمين من أفراد الشرطة السعودية أو تكفيرهم أو قتلهم فهم مسلمون، نبرأ إلى الله من الجرأة على انتهاك حرمة دماء المسلمين وأموالهم.. فهذا عبث سيحرق الأخضر واليابس.. وننصح المسئولين أن يوسطّوا العلماء الربانيين ليزيلوا شبهات هؤلاء الشباب وأن يتعاملوا معهم وفق أحكام الشرع حتى لا يحدث ما حدث بمصر.. فالسعيد من وُعِظ بغيره ولعلّ الله أن يهدي هؤلاء الشباب وأن يتعظوا بحال الشباب في مصر ممن سبقوهم إلى هذا الطريق، وجرّوا الفتن العظيمة على الدعوة ثم بعد مرور عشرين عامًا أو أكثر.. رجعوا عن فكرهم.. فيا ليتهم قبلوا نصح أهل العلم لهم... نقول لهؤلاء الشباب من أبناء المملكة السعودية.. اتقوا الله في بلد الحرمين الله الله في دماء المسلمين وتذكروا قول رسولكم ﷺ «لا يزال المؤمن معنقا صالحا ما لم يصيب دمًا حرامًا فإذا أصاب دمًا حرامًا بلّح(*)» لا تجازفوا بالقتل والتكفير.. إياكم ودماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.. اذهبوا إلى أهل العلم.. فإنكم تخوضون في دماء وفتاوى لو عرضت على عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر وتذكروا مقالة عبدالله بن عمر عن الكعبة «ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك» لقد بلّغت.. اللهم فاشهد.

(*) أبو داود [٤٢٧٠].

معها، ولن نهدد مصالحها حتى لاتهدد مصالحنا.

إن الحملة العالمية من بعض الحركات الإسلامية ضد أمريكا تدل على عزة وكرامة؛ لأنها تريد مقاومة أمريكا، ولكن كل شيء له سلبياته وإيجابياته، فإذا أردت أن تكسر أنف هذا العدو اكسره في مكان محدد، ولا تنقل المعركة للدول الأخرى حتى لا تحول الناس ضدك، فإذا قمت بأية عملية ضد أمريكا في دولة فإن تلك الدولة ستقف إلى جانب أمريكا، وبدلًا من أن يكون معها دولة يصبح معها عشرة وعشرون...، ومعنى ذلك أنك جندت العالم ضدك، وهذا غير صحيح، بالإضافة إلى أنك ترى أنك أحيانًا من الممكن أن تقتل مدنيين، فهذا عمل ليس ضد أمريكا؛ بل إنه ضد بلد إسلامي، وهنا نحذر من هز كيان أي بلد عربي وإسلامي لصالح تغلغل أمريكا وإسرائيل، عندما خرجت في جولتي خارج فلسطين كان ندائي إلى الأنظمة كلها هو عمل مصالحة وطنية مع الأحزاب والمنظمات والحركات الإسلامية من أجل توجيه طاقاتنا ضد إسرائيل بدلًا من أن نفرغها في صراعات داخلية، هذا عرضته في كل مكان، فضرب أمريكا يجب أن يكون في المكان المناسب.

ولا نستبعد استغلال المخابرات الأمريكية والصهيونية لبعض العناصر الساقطة أو المتهورة في تنفيذ بعض الأعمال الإجرامية من باب خلق مبررات لوجودها، ولتدخلها في الشأن العربي والإسلامي الداخلي، ولتأليب الأنظمة ضد الحركات الإسلامية.

وسئل:

لماذا لم تؤيدوا حزب اللَّه والجهاد الإسلامي في التهديد بضرب السفارة الأمريكية والمصالح الأمريكية في العالم إذا نقلت الولايات المتحدة سفارتها إلى القدس؟

فأجاب:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

نحن نعتبر أن أمريكا هي العدو الأول بعد إسرائيل الذي يهدد مستقبل الشعب الفسطيني والأمة العربية والإسلامية، وأن عداءها لم يبدأ من نقل السفارة إلى القدس، وليس معركتنا مع أمريكا لمجرد نقل السفارة، بل معركتنا معها تبدأ من الوجود الإسرائيلي والكيان الإسرائيلي؛ لأنها تدعمه ليتفوق على الأمة العربية والإسلامية؛ ولذلك نرى أن أمر السفارة خطير، ولا يُسكت

عليه، ولا نقبل أن تتحول معركتنا مع أمريكا من ضرب الكيان الصهيوني وإزالته إلى ضرب سفارة، وإذا زال الكيان الصهيوني لم يعد هناك سفارات، وضرب إسرائيل أوجع لأمريكا من أن تضرب هي؛ لأنها تملك وسائل القوة والبقاء أكثر من إسرائيل؛ لأن أي ضربة في إسرائيل تهز كيانها وتشرد أبناءها؛ لذلك لا نريد أن نحول معركتنا من الكل إلى الجزء، بالرغم من كل تلك التصريحات التي عبرت عن رفض نقل السفارة إلى القدس، ولكننا لا نريد تحويل المعركة إلى جزئية بدلًا من كلية.

وسئل:

حفظك اللَّه يا شيخ أحمد ورعاك، وأمد في عمرك لتكون نبراسًا للمجاهدين الصادقين، وبعد: فعند طرح استطلاع للرأي عبر موقع الإسلام على الإنترنت حول توجه الشيخ أحمد ياسين وتوجه الشيخ حسن نصر الله، بشأن نقل السفارة الأمريكية إلى القدس الشريف، صوت إلى جانب رأي الشيخ حسن نصر اللَّه وهو الداعي إلى تحويل السفارة الأمريكية إلى ركام، ولا أدري سبب ترددكم في الرد العنيف على المشروع الأمريكي، وإن كنت أعتقد أن طرحكم هو الأسلم على المدى البعيد، فهل اعتقادي هذا في مكانه؟ أرجو من سماحتكم إلقاء الضوء على هذين الطرحين: من جانبكم، ومن جانب الشيخ حسن نصر الله، حفظكم الله، وأيد بكم قضايانا العادلة، ومصيرنا الباسم بإذن الله، وأرغم أنوف المتواطئين والمرجفين، والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

فأجاب:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

أولًا: اشكر لك هذه الدعوة وهذا الشعور، وأعتقد أن ما طرحته بالنسبة لموقف السفارة الأمريكية في القدس ينبع من باب المسئولية التي ترى أننا في حالة حرب مع أمريكا قبل أن تكون لها سفارة في تل أبيب أو القدس، أو أنه لو كنا نملك القوة لنقلنا معركتنا ضدها في كل المواقع في العالم، لكننا لا نملك القوة الكافية؛ لذلك لا يحسن أن ننقل معركتنا من أجل نقل سفارة، وهي التي تدعم إسرائيل بكل عناصر القوة، وهي التي تدعم وجود إسرائيل، ولا نريد أن نعطيها مبررًا لاستعداء العالم علينا بدلًا من جعل العالم مناصرًا لقضايانا ومساندًا لحقوقنا؛ ولذلك على المدى

القصير سهل أن نقول لأمريكا: سندمر ونعمل، ولكن على المدى البعيد ليس في مصلحتنا هذا، وأنا أعلم أن العالم الإسلامي والعربي تؤثر عليه العواطف الآنية أكثر مما تؤثر عليه المواقف المتعلقة التي توازن بين العاطفة والعقل للوصول إلى الأهداف، والله أعلم.

❑ يَاسِينُ وَالْهُدْنَةُ مَعَ إِسْرَائِيلُ:

سأله أحمد منصور: أعلنت أن لديكم استعدادًا لإعلان هدنة مع إسرائيل، وهذا يُعتبر تغيُّرًا في الموقف التكتيكي أو الحركي لحماس في هذه المرحلة؟

فأجاب الشيخ أحمد ياسين: بالعكس، حماس خطها الإستراتيجي واضح تمامًا، أن لنا وطنًا مسلوبًا محتلًا، لا نفرِّط في جزء منه، لكن العالم يريد منا أن يرى... أن يرانا نحب السلام، وهو لا يفهم أننا نحب السلام أكثر من كل العالم، فأردنا أن نقول للعالم: نحن نريد السلام، وها نحن نطرح مبادرة هدنة لكي تقبل إسرائيل وتعيد الأرض المحتلة التي خالفت كل القوانين فيها.

أحمد منصور: لكن ما هي شروط الهدنة؟

أحمد ياسين: ولكن ليس على شروط أوسلو ولا اتفاق أوسلو، على شرط ألَّا يبقى أي أثر للاحتلال، وألَّا يُتدخل في شئوننا، وأن يكون لنا كيان مستقل ودولتنا المستقلة، والهدنة ليس معناها الاعتراف بالمحتل، الهدنة معناها وقف الصراع والقتال بين طرفين.

أحمد منصور: يعني هل تعتقد أن إسرائيل التي تملك ٢٠٠ رأس نووي وتعتبر القوة العسكرية الأولى في المنطقة، ووقعت اتفاقات سلام، وحدودها صارت آمنة في أكثر من منطقة، وهناك سلطة فلسطينية تتعامل معها في الداخل، هل تعتقد أن إسرائيل التي بهذه القوة وبهذا الحجم يمكن أن تخضع لهدنة مفادها في النهاية أنها ستقضي على إسرائيل بالتصور الذي تطرحونه؟ هل يمكن لإسرائيل أن تقبل بهذا الأمر؟

أحمد ياسين: الهدنة مفادها وقف القتال، وليس القضاء على إسرائيل.

أحمد منصور: لا تحمل أنكم ستحاربون إسرائيل بعد ذلك وستقضون عليها؟

أحمد ياسين: نحن نتعامل مع واقع حاليٍّ في مرحلة تاريخية من حياتنا، نترك الواقع الإسرائيلي، التاريخ والزمن القادم هو الذي يحكم فيه، نحن الآن نتعامل مع واقع نحن نعيشه ونحن نعيش في ظل احتلال، فلماذا لا نزيح الاحتلال عن صدورنا، ويعيش شعبنا كأي شعب

في العالم لماذا؟

أحمد منصور: فلسطين ٤٨ ما هي أيضًا في مفهومكم تعيش بهذه...؟

أحمد ياسين: بمفهومنا الهدنة لا يمكن الاعتراف بما أخذت إسرائيل سابقًا، هي هدنة معناها وقف صراع، وليس اعترافًا بما سلبت إسرائيل، وليس إقرارًا بما هو واقع، ليس إقرارًا بذلك»[(١)].

❑ وَسَأَلَهُ عَادِلُ الْأَنْصَارِيُّ صِحَفِيٌّ مِنْ مِصْرَ عَبْرَ شَبَكَةِ (الإنترنت):

في تصوركم متى تنتهي الهدنة مع العدو الإسرائيلي التي سبق أن تحدثتم عنها؟ وهل ترون أن الكيان الصهيوني يتعامل مع الفلسطينيين والعرب المسلمين من منطلق أن هناك هدنة بين الطرفين؟

فأجاب ياسين ـ رحمه الله:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم

أولًا: يا أخي، لا يوجد هناك هدنة بيننا وبين العدو الصهيوني، وما تحدثنا عنه طرح سياسي لهدنة مشروطة، وليس هدنة بدون وقت محدد، وطرحناها على العدو الإسرائيلي؛ لنقول للعالم: أننا نحب السلام أيضًا، ولكن هذا هو طريقنا للسلام، إلا أن العدو الصهيوني لم يتعامل مع هذا الطرح، ووجد من يتعامل معه ويعترف به بشروط أقل وبشروط أفضل لصالحه وكيانه، وعلى ذلك لا يوجد بيننا هدنة بأي حال من الأحوال، والعدو الصهيوني لا يتعامل مع الفلسطينيين والعرب والمسلمين من منطلق أن هناك هدنة، بل يتعامل على أنه في حالة حرب مستمرة، يريد أن يسيطر على الأمة العربية والإسلامية ومقدراتها، ولكن في وجبات متباعدة ليتمكن من هضمها».اهـ.

فالشيخ ـ رحمه اللَّه ـ يريد هدنة مؤقتة مشروطة بوقت محدود وليست مطلقة وليس فيها اعتراف بسلطة الاحتلال، وإنما وقف مؤقت للقتل بدون أي شروط مقابل دولة فلسطينية حقيقية تمارس دورها بالفعل ولها مطلق الحرية في داخل أرضها وحدودها المفتوحة مع جيرانها، وقد أعلن الشيخ هذا مرارًا.

وحين سألته مجلة البيان:

---

(١) «الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٣٠٣ـ ٣٠٤).

لو افترضنا جدلًا أن السلطة ظفرت بدولة معترف بها، وأعطيت جزءًا من القدس لتكون عاصمة لها، فما طبيعة العلاقة التي ستكون بينكم وبين السلطة في هذه الحالة؟

فأجاب ـ رحمه الله:

نحن ننظر إلى القضية من طرفين:

الأول: ماذا حصَّلت السلطة من هذا العدو؟

والثاني: ماذا فقدت السلطة من حق الشعب الفلسطيني لصالح هذا الاحتلال؟ ونقول: إن أرض فلسطين وقف لا يملك أحد التنازل عنها، والتنازل في نظرنا مرفوض؛ إما أن نحصِّل من العدو أرضًا ومقدسات فهذا جيد.. أن تحصِّل من العدو سيادة على الأرض والحدود فأمر ممتاز، لكن هل هذا مقابل أن أتنازل له عن أرضي المحتلة عام ١٩٤٨م؟ هذا مرفوض عندنا، وهل هذه السيادة سيادة حكم ذاتي في ظل الأمن والقوة الإسرائيلية؟ أم سيادة حرية كاملة: معابر، وحدود، ومداخل، وزوال الاحتلال ومستوطناته وآثاره وجيشه؟ أم هي مجرد إعادة انتشار للجيش الإسرائيلي الذي كان على جبل نابلس وأصبح على جبل جنين أو انتقل من حدود رام اللَّه إلى حدود نهر الأردن إلى الشرق؟ هذه هي المواقف التي ننظر لها؛ ولذلك نقول: إن الاتفاقية القادمة هي نفسها التي تحدد العلاقة، والتنازل القادم هو الذي يحدد العلاقة، وأي تنازل عن حقنا في فلسطين مرفوض، ونحن سنستمر في المقاومة.

❑ **وَفِي حِوَارٍ مَعَ مَوْقِعِ «الْإِسْلَامُ الْيَوْمَ» أَجْرَاهُ إِبْرَاهِيمُ الزَّعِيمُ في ٩/١٠/١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣/١٢/٣:**

سُئِلَ:

ما هو تصوركم، أو ما هي شروطكم للقبول بأي شكل من أشكال الهدنة مستقبلًا؟

لا مجال عندنا للحديث عن هدنة، والذي يريد التحدث حولها هو العدو الإسرائيلي، وماذا يقدم؟! هذا هو الذي يجعلنا ندرس هذه الهدنة، أي على قدر ما يقدمه هو واستعداده لقبول الشروط الفلسطينية وإنهاء الاحتلال يكون تجاوبنا، فإذا ظن أنه إذا اغتال القيادات استسلمنا فإنه واهم، لن نستسلم وسنقاتل إلى آخر قطرة من دمائنا، ودماؤنا قبل دماء أي فلسطيني.

وقال الشيخ: «**المقاومة لن تتوقّف ولن نرفع الرايات البيضاء، وهو من يجب أن يرفع**

الرايات البيضاء».

❑ الشيخ ابن باز والهدنة مع اليهود

قال الشيخ ابن باز في تعقيبه على مقال الشيخ القرضاوي حول الصلح مع اليهود الذي نشر في مجلة (المجتمع) في العدد (١١٤٠) بتاريخ ١٤١٥/١٠/٦هـ:

«نقول للشيخ يوسف وفَّقه اللَّه وغيره من أهل العلم: إن قريشًا قد أخذت أموال المهاجرين ودورهم كما قال ـ سبحانه ـ في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر: ٨] ومع ذلك صالح النبي ﷺ قريشًا يوم الحديبية سنة ست من الهجرة، ولم يمنع هذا الصلح ما فعلته قريش من ظلم المهاجرين، في دورهم وأموالهم مراعاة للمصلحة العامة التي رآها النبي ﷺ لجميع المسلمين من المهاجرين وغيرهم، ولمن يرغب في الدخول في الإسلام.

ونقول ـ أيضًا جوابًا ـ لفضيلة الشيخ يوسف عن المثال الذي مثَّل به مقاله وهو: لو أن إنسانًا غصب دار إنسان وأخرجه إلى العراء ثم صالحه على بعضها، أجاب الشيخ يوسف: أن هذا لا يصح.

وهذا غريب جدًّا، بل هو خطأ محض، ولا شك أن المظلوم إذا رضِي ببعض حقه، واصطلح مع الظالـم في ذلك فلا حـرج؛ لعجزه عن أخذ حقه كله، وما لا يدرك كله لا يترك كله، وقد قال اللَّه ﷻ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، ولا شك أن رضا المظلوم بحجرة من داره أو حجرتين أو أكثر يسكن فيها هو وأصله خير من بقائه في العراء.

أما قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۝٣٥﴾ [محمد: ٣٥]، فهذه الآية فيما إذا كان المظلوم أقوى من الظالم وأقدر على أخذ حقه، فإنه لا يجوز له الضعف والدعوة إلى السلم، وهو أعلى من الظالم وأقدر على أخذ حقه، أما إذا كان ليس هو الأعلى في القوة الحسية فلا بأس أن يدعو إلى السلم، كما صرَّح بذلك الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ في تفسيره هذه الآية، وقد دعا النبي ﷺ إلى السلم يوم الحديبية؛ لما رأى أن ذلك هو الأصلح للمسلمين والأنفع لهم، وأنه أولى من القتال، وهو عليه السلام القدوة الحسنة في كل ما

يأتي ويذز؛ لقول الله ﷻ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولما نقضوا العهد وقدر على مقاتلتهم يوم الفتح غزاهم في عقر دارهم، وفتح الله عليه البلاد، ومكَّنه من رقاب أهلها حتى عفا عنهم، وتم له الفتح والنصر، ولله الحمد والمنَّة.

فأرجو من فضيلة الشيخ وغيره من إخواني أهل العلم إعادة النظر في هذا الأمر بناءً على الأدلة الشرعية، لا على العاطفة والاستحسان، مع الاطلاع على ما كتبته أخيرًا من الأجوبة الصادرة في صحيفة (المسلمون) في (١٤١٥/٨/١٩هـ الموافق ١٩٩٥/١/٢٠م) وقد أوضحت فيها: أن الواجب جهاد المشركين من اليهود وغيرهم مع القدرة حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها، كما دَلَّت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وعند العجز عن ذلك لا حرج في الصلح على وجه ينفع المسلمين ولا يضرهم؛ تأسيًا بالنبي ﷺ في حربه وصلحه، وتمسكًا بالأدلة الشرعية العامة والخاصة، ووقوفًا عندها، فهذا هو طريق النجاة وطريق السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة»[1].

* * *

١٩ـ فَهْمُ الشَّيْخِ يَاسِينَ لِلْوَاقِعِ جَيِّدًا

لم يتقوقع الشيخ ياسين وإنما كان ـ رحمه الله ـ على دراية تامة بالواقع الذي تعيشه أمته الإسلامية، وأعطاه الله بصيرة إيمانية لالتزامه بالشرع جعله يخبر بالشيء فيقع مثلما أخبر ـ رحمه الله.

❑ قِرَاءَةٌ خَاصَّةٌ لِنَتَائِجِ الْحَرْبِ فِي «٧٣»:

لما قاله له أحمد منصور: أرجو أن تقيم لي حرب ٧٣ برؤيتك كشاهد على العصر؟

أجاب الشيخ أحمد ياسين: أنا يمكن كان أول طلقة بتطلقها مصر بأقول أدعو الله أن تكون حرب تحرير وليست حرب استجداء السلام، هذا ما قلته لأخي الأصغر مني الذي هو (فتحاوي) ـ الآن عضو في حركة فتح ـ، فقال لي: لماذا أنت تفبرك الأمور؟ قلت له: أنا لم أقل شيئًا، فقط أنا

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز» (١٨/٤٥٥ـ ٤٥٨).

أدعو وهذا الدعاء مطلوب، أدعو اللَّه أن تكون حرب تحرير وليست حرب استجداء للسلام، يعني حرب لكن مجرد أن نصل إلى خط السلام. وكانت بالفعل حربًا من أجل الوصول إلى سلام وتسوية مع إسرائيل.

طبعًا الحرب في حد ذاتها ـ يعني ـ كانت نقلة نوعية في الوطن العربي، وتأكيدًا على أن الهزيمة لا تدوم، وأن من الممكن للشعب أن يستعيد قوته، ومن الممكن أن يحقق الانتصارات، هذا ليس غريبًا أبدًا على الشعوب؛ لأنها لا يمكن أن تبقى ضعيفة للأبد، وهذه من العبر الجيدة والقيِّمة في ذلك، وقد أنعشت هذه الحرب الأمة العربية وأعطتها أملًا بأن القوة الإسرائيلية يمكن أن تتحطم ويمكن للعرب أن ينتصروا عليها.

كانت ردود فعل جيدة وطيبة في الوطن العربي، وفي وسط الشعب الفلسطيني أيضًا، لكن للأسف بعض الناس يقولون عن هذا الاتجاه: كسر الطوق حول إسرائيل، وأخرج مصر من المعركة باتفاقية (كامب ديفيد)؛ لأن معنى أن تخرج مصر من المعركة أنه ليس هناك حرب مع إسرائيل؛ لأن مصر هي الثقل العربي الذي يمكن أن يغيِّر الموازين، وباقي الدول العربية ليست بثقلها، ولا تستطيع أن تواجه إسرائيل.

فكان هذا طبعًا يمثل مرحلة تغييرية في واقع الأمة العربية، وبدأ التراجع والتوجه نحو إسرائيل بعدما قامت مصر وهي القوة العربية الكبيرة بعقد معاهدة سلام مع إسرائيل، واستعادت سيناء، طيب وماذا تفعل الأردن، وماذا تفعل سوريا، وماذا يفعل الفلسطينيون؟ فكانت خطوة مصر نحو إسرائيل هي بداية التراجع العربي أمام الهجمة الصهيونية الاستيطانية.

أحمد منصور: هذه الرؤية التي أشرت إليها، بالنسبة لأول رصاصة أطلقت واستشعارك، في نفس الوقت في العام ١٩٦٥ ذكرت ـ أيضًا ـ استشعارك برفضك الدخول إلى فتح، ما هي مشاعرك بعد أن بدأ فعلًا بعد الحرب الاتجاه يتجه بعد العام ٧٦ إلى (كامب ديفيد) وإلى عملية الصلح والسلام مع إسرائيل؟

أحمد ياسين: هذا الأمر كما قلت لك كان متوقعًا عندي، لكن كانت ردود فعل شعبنا على (كامب ديفيد) ردود رفض؛ لأنه شعر أن القضية قد انتهت؛ لأن مصر سوف تخرج من المعركة، يعني القضية انتهت، يعني وضعنا أصبح سيئًا وصعبًا للغاية، وكانت المنظمة تقود المعارضين في

هذا الموضوع، حتى إن رجال المنظمة جاءوني وطرحوا عليَّ موقفًا ضد الاتفاقية.

أنا كان اقتناعي أن الاتفاقية خطيرة؛ لأنها تمثل بداية التراجع العربي كله، وكان موقفي شخصيًّا أني كنت أرفض اتفاقية (كامب ديفيد) على أساس أنها تفتت القوى العربية الواحدة، وتُخرج مصر من الساحة، وبدون مصر ليس هناك معركة إطلاقًا؛ يعني انتهت القضية خلاص، تراجعت إلى الوراء؛ ولذلك كنت أرفض أن تكون مثل هذه الاتفاقية، ولو أن مصر طلعت منها بسيناء وأخذت أرضها، ولكن القضية ليست قضية وطنية محلية فقط، بل قضية عامة، قضية عربية، قضية إسلامية.

أحمد منصور: الآن لو دخلنا إلى (كامب ديفيد) نفسها، وتقييمك لهذه الاتفاقية، وما حدث بعدها؟

أحمد ياسين: طبعًا أنا قلت لك هي كانت بداية التراجع العربي أمام الهجمة الإسرائيلية الاستيطانية، وأثبتت الأيام فعلًا أنها كانت كذلك.

الأمة العربية بعد (كامب ديفيد) هاجت، وماجت، وقاطعت مصر، ونقلت الجامعة العربية من مصر، وبعد ذلك هدأت كلها... هدأت، وعادت الجامعة العربية إلى مصر، وأعادت الدول العربية علاقاتها مع مصر، وبدأت هي في خط التراجع أمام إسرائيل، وبدأت تتجه إلى الوراء، واتجهت معركة الخليج التي خرجت منها أمريكا بالهيمنة والسيطرة على العالم، وجرت الدول العربية إلى مدريد، وجرَّت الفلسطينيين إلى أوسلو، وجرَّت الأردن إلى الاتفاق مع إسرائيل، وها هم يسعون لجر سوريا ولبنان ويلحقوها من أجل... يعني مزقت الوحدة العربية، ومزقت الجدار العربي أمام إسرائيل، وجعلت إسرائيل تستفرد بهم الواحد تلو الآخر على كيفها وتفرض ما تراه لمصلحتها ولوجودها.

❑ بَدَائِلُ أُخْرَى غَيْرُ التَّسْوِيَةِ:

أحمد منصور: لكن هل في تصورك أنه كان يمكن أن تكون هناك سيناريوهات أخرى لمعالجة الوضع بعد حرب ٧٣ غير الدخول في التسوية مع إسرائيل؟

أحمد ياسين: بكل تأكيد.

أحمد منصور: ما هي هذه السيناريوهات؟

أحمد ياسين: يعني أنت أمامك أن مصر لا شك دفعت ثمنًا غاليًا و كبيرًا من أبنائها، وجيشها، وإمكاناتها طيب هي بالكاد إمكاناتها تطعم شعبها، كانت مصر في حاجة لأن تدعّم ماليًّا، يعني أمريكا الآن تدعم إسرائيل بمليارات لتحافظ على توازن قواها، كان من الممكن أن تجتمع الأمة العربية وتخطط لجعل مصر قوة عسكرية تواجه القوة الإسرائيلية، وتنمي قواتها لتبقى قادرة على مواجهة إسرائيل، وتتحمل تبعات الجهاد الذي تطلع به مصر لا أن يتركوها وحدها تواجه وتتحطم دون أن يقدموا لها الدعم.

فلو كان هذا التخطيط دقيقًا وداعمًا لمصر والأمة العربية دفعت ما عليها... حتى تحافظ على قوة جيش مصر، فقط أعطونا التزامات مالية لنحافظ على هذا الجيش، ونحافظ على قوته، أنا أعتقد كان هذا الطريق أسلم وأصح لعلاج القضية الفلسطينية وليس الاستسلام بالشكل الذي حدث.

أحمد منصور: طيب وضع الدول العربية الأخرى، وقضية الاستنزاف التي كان يقال إنها...

أحمد ياسين ـ مقاطعًا ـ: تعرضت لها مصر.

أحمد منصور: نعم.

أحمد ياسين: أنا أذكر أن الملك فيصل كان يدعم مصر بشكل جيد في ذلك الوقت، والحقيقة فيصل قتل نتيجة لموقفه من فلسطين والقدس...

أحمد منصور: يعني أنت تعتبر أن مقتل الملك فيصل كان...

أحمد ياسين ـ مقاطعًا ـ : من أجل فلسطين، وهذا السبب الذي قتله؛ لأنه قال: أريد أن أصلي في القدس. وأنت تعرف أن فيصل كان يقف مع عبدالناصر بكل الإمكانات، يعني أذكر أن أحد الناس المقربين من فيصل حدثني الآن وأنا في زيارتي للسعودية أن أحد إخواننا العراقيين ابن الشيخ محمود الصواف وكان والده قريبًا من الملك فيصل، كان معه في أوربا عندما سقطت القدس، قال: أخذ يبكي، فسأله لماذا تبكي؟ قال له: أنا ملك في دولة عربية إسلامية وتسقط القدس، وأنا في أوربا ولم أفعل شيئًا. يعني كان يبكي لأن القدس سقطت.

أحمد منصور: هل كان هناك استعداد عربي للحرب، أو لحرب أخرى أو لاستمرارية الحرب؟

أحمد ياسين: في الواقع أن الأنظمة العربية لم تكن على استعداد للحرب، هذا بشهادتهم هم، كما قلت لك: عبد الناصر وضع الناس بنفس الخط المكشوف، لكن كانت المهارات العربية، كل

واحد يريد أن يظهر نفسه أنه هو الوطني وهو الذي يريد أن يحرر فلسطين، وهو الذي يريد أن يفعل ... كان هذا الكلام هو الذي يسيء إلى الأمة العربية، ليس هناك تخطيط؛ ولذلك لو اجتمع العرب ودعموا مصر لم يكن لليهود أن يصلوا إلى فلسطين بعدما عقدوا مؤتمرهم عام ٩٧، ١٨٩٧...

أحمد منصور: مؤتمرهم في بازل عام ١٨٩٧.

أحمد ياسين: فأول شيء فعلوه أنهم وضعوا صندوقهم لجمع المال اللازم لعمليات التهجير وشراء الأراضي في فلسطين؛ ومنذ ذلك الوقت كان واجب الأمة العربية أن تضع هي الأخرى صندوقًا لإحباط المخطط اليهودي ومواجهة إسرائيل، وأن تتحمل كل دولة عربية قسطًا معينًا، ابتداءً من المغرب التي هي بعيدة عن ساحة المعركة... والآن يمكن فعل هذا؛ لو أن الدول العربية تريد تحرير فلسطين بالفعل تفرض على كل دولة حصة لتأسيس جيش قوي وتقنية قوية، ونواجه العدو، والرجال كثيرون نحن لا ينقصنا الرجال...

فأول حاجة أسَّسوا الصندوق المالي لجمع المال؛ لأن المال عصب الحياة، ولا شيء بدون المال، فكان لا بدَّ للأمة العربية أول شيء لمواجهة إسرائيل أن نضع صندوقًا لجمع المال، أنت في المغرب بعيد عن المعركة، يا أخي نريد منك في السنة كذا، وأنت في تونس كذا... إذا كنتم أمة تريدون تحرير فلسطين، وتريدون الوطن المقدس، كل واحد يضع، فإذا تجمع عندنا رأس مال جيد حسب كل دولة وإمكاناتها، بذلك ممكن نعمل جيشًا قويًّا، وتقنيةً قوية، ونواجه العدو، والرجال كثيرون، لا ينقصنا رجال...» (١).

❑ تَوَقُّعُهُ لِأَحْدَاثِ أَيْلُولَ عَامَ ١٩٧٠ بَيْنَ الْأُرْدُنِ وَالْفِلَسْطِينِيِّينَ:

قال له أحمد منصور: قبل الدخول إلى مرحلة العام ١٩٧٦، هناك أحداث أيلول، والصراعات المختلفة التي وقعت في العام ١٩٧٠، ماذا كان وقع هذه الأشياء عليكم؟

فأجاب الشيخ أحمد ياسين: هذا الكلام بالرغم من أنني كنت في الداخل كنت أتوقع حدوثه تمامًا؛ لأنه كانت تأتيني قيادات حركة فتح، وأنا كما ذكرت لك ـ سابقًا ـ أن الكثير من شبابنا

---

(١) «الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٩٧- ١٠٢).

كانوا قد التحقوا بحركة فتح، فكان كثير من هؤلاء يأتون إليَّ ويتناقشون معي في قضية الأردن والصراع الدائر هناك، فأنا قلت لهم: هذه الساحة سوف تقع فيها معركة سيّئة وسوف نخسر معركة الأردن. قالوا: هذا ليس معقولًا. قلت لهم: كما أقول لكم سوف يحدث.

لأننا ... الوجود الفلسطيني في الأردن لم يكن يأخذ الحكمة الصحيحة، لم تكن هناك حكمة، كان هناك فوضى، وهذه الفوضى هي التي أدت إلى وجود نفور في وسط الشعب الأردني في الأساس من الفلسطينيين، لأني أنا كنت زرت الأردن سنة ١٩٦٨م، وقابلت شبانًا من شبابنا الذين كانوا عندنا في غزة... كانوا شبانًا بسيطين، وكانوا يقولون لي: نحن داخل حركة فتح. فكنت أقول لهم: هذا الكلام جميل، ولكن ماذا تفعلون؟ كانوا يقولون لي:... اسكت أنا استطعت أن أوقف ضابطًا أردنيًا على الخط وأنزلته وفعلت به كذا وكذا... فكنت أقول لهم: هذا الكلام لا يصح. فكانت هذه التصرفات غير المنضبطة، وغير الصحيحة، هي التي دفعت الملك حسين إلى أن يضرب ضربته في المخيمات الفلسطينية، وينهي الوجود الفلسطيني، فتمَّ ترحيل المقاومة بعد ذلك إلى لبنان؛ فأيلول الأسود كان حدثًا سيئًا للغاية...

أحمد منصور: هل كان هناك من يشاطرك نفس هذه المفاهيم وهذه التصورات؟

أحمد ياسين: طبعًا، وأنا قلت لك كيف كنت أجلس مع أناس من فتح، لدرجة أني قلت لهم: إن الأمور سوف تصل إلى هذه النتيجة. فقال أحدهم: بنطخُّهم... نضمهم إلى إسرائيل ونطخهم. فقلت له: وما الذي تكون قد فعلته أنت... أنت لا تفهم أين تذهب. وفعلًا عندما بدأ القتال في الأردن فَرَّ بعض المقاتلين إلى إسرائيل، وكانت هذه هي الكارثة، وعلى أي الأحوال، القضية الفلسطينية مرت بمراحل حرجة لا تحسد عليها، ولو استغل الفلسطينيون ذلك الوقت لكان شيئًا مثمرًا وطيبًا بالنسبة لهم، ولكان قد عمق الوجود الفلسطيني في العالم العربي...»[(١)].

❑ مُؤْتَمَرُ (مَدْرِيدَ) وَاتِّفَاقُ (أُوسلُو):

سأل أحمد منصور الشيخ ياسين: كيف كنت تتابع اتفاق أوسلو ومؤتمر مدريد من بدايته؟ وانطباعاتك عن هذه الأمور؟

---

(١) المصدر السابق ص (٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩).

فأجاب الشيخ ياسين: والله أنا كنت أرى أن مؤتمر مدريد لم يصل إلى شيء؛ لأنه مجرد مظاهرة إعلامية، المقصود منها امتصاص الشعور الفلسطيني والعربي، وأن إسرائيل لم تكن جادة في ذلك الوقت لعمل أية حلول، وهذا ما صرح به إسحاق شامير فيما بعد، كما قال: كنت أريد أن تبقى المحادثات تمتد إلى عشر سنوات ومدة أكبر. وهكذا كان شعوري في ذلك الوقت، لكن أمريكا كانت تريد أن تنهي الانتفاضة الفلسطينية التي كانت بمثابة جرح نازف بالنسبة لإسرائيل، كما أنها شوهت صورتها أمام العالم، في وسائل الإعلام العالمية، فكانت أمريكا تريد أن تنهي هذه المشكلة، ومن هنا بدأت الخطوط السرية تشتغل حتى وصلوا لاتفاق أوسلو اتفاق منفرد؛ لأن العرب دخلوا إلى مدريد على أساس سلام شامل، ودائم، وعادل، فأصبح هناك سلام جزئي مع أناس وتركوا آخرين، وصار كل واحد يريد أن يحل مشكلته لحاله مع إسرائيل، وهذا ما كانت تريده إسرائيل أن تنفرد بكل واحد على حدة، وتحقق مصالحها هي.

فكان طبعًا اتفاق أوسلو في نظرنا اتفاقًا ظالمًا وسيئًا، لا يحقق آمال وأهداف شعبنا، وأدى إلى تمزيق وحدة الشعب الفلسطيني الذي كان في خندق واحد في مواجهة العدو، وأدى إلى أن يصبح هناك تعاون أمني بين اليهود وبين السلطة ضد من يريد أن يعمل ضد إسرائيل وخصوصًا الحركات الإسلامية وعلى رأسها حركة حماس، فهذا التنسيق الأمني الذي كان موجودًا لكنه لم يكن معلنًا أعلنوه في الفترات الأخيرة باتفاق أمريكا.

ثم قال الشيخ بعدها لما سأله أحمد منصور: ما هي أهم السلبيات التي تركها اتفاق أوسلو أو سبَّبها بالنسبة لفلسطين والقضية الفلسطينية؟

فردَّ الشيخ: أنا في نظري لأول وهلة أدى اتفاق أوسلو إلى تفتيت وحدة الشعب الفلسطيني في المواجهة مع إسرائيل.

ثانيًا: القضاء على انتفاضة المواجهة مع الجيش الإسرائيلي التي كانت تستنزفه وتقتل منه كل يوم عددًا من جنوده، فالآن لم تعد هناك مواجهة؛ لأن اليهود طلعوا إلى المستوطنات التي في القطاع، ويعيشون في قلاع حصينة، ومن ثم فإن الشعب الفلسطيني سيكون وضعه ضعيفًا في مواجهتهم؛ لأنه لن يستطيع أن يتحدى هذه القلاع الحصينة التي يقيمون فيها، وهذا أدى إلى إضعاف الانتفاضة الأولى وساعد على تقويضها.

ثالثًا: أن هذا الاتفاق لم يحقق آمال الشعب، وعند التطبيق لم ينفذ إلا أقل القليل، وبذلك أصبح اتفاقًا ممسوخًا، يعني لا يساوي شيئًا، وليس هناك فلسطيني مقتنع أن هذا الطريق يمكن أن يحقق أي سلام، أو يؤدي إلى قيام دولة فلسطينية، أو يقيم حدودًا فلسطينية»[(١)].

❑ الأَوْضَاعُ فِي الْعِرَاقِ:

كيف تنظرون للوضع في العراق وما مدى تأثيره على المقاومة في فلسطين؟

العراق الوحل الذي لصقت به أمريكا، والوحل الذي نزع منها هيبتها فهي التي كانت تفرض قوتها على العالم؛ أصبح العالم ينظر لها باستخفاف؛ لأنها ذهبت وحدها وعندما غرقت تريد من يخرجها من هذا الوحل، وتدفع الثمن في وضع حرج جدًّا ولكنها تكابر، وتدَّعي بأنها ستنسحب لكنها كاذبة، وكانت تقول: إن عملية الانسحاب تحتاج إلى وقت طويل. وبعد أن تورطت في المستنقع وتتعرض للخسائر الضخمة أصبحت تقول: إنها تريد نقل الحكم. والنتيجة أنها في ورطة، ولقد ذهبت هيبتها، والشعوب أقوى من الأنظمة والدول، أسقطوا نظام صدام صحيح لكنهم سقطوا هناك!.

إن التأثير واضح، والمقاومة الفلسطينية هي ضد العدو الإسرائيلي المدعوم من أمريكا؛ فالقوة التي تدعم العدو مهزوزة ومهزومة في العراق، فكيف يمكن أن تقف مع إسرائيل هنا وهي مهزومة في مكان آخر، إذًا معنى ذلك أنه ستكون هنا هيبتها مثل هيبتها هناك، وستضعف إمكانية وقوفها إلى جانب العدو الإسرائيلي؛ لأنها ستقدم خسائر كبيرة أخرى، ولن تتقدم بجنودها كما فعلت في العراق، من الممكن أن تدعم الاحتلال بالمال والسلاح وهذا ليس بجديد، وعلمت الشعوب أن أمريكا كاذبة تريد الاحتلال والاستيطان، ثم تسخير الوطن العربي لصالح إسرائيل، ثم تركيع العراق للاعتراف بإسرائيل وتقديم البترول لها، إن أي ضربة لأمريكا في العراق هي خدمة للشعب الفلسطيني وللأمة العربية؛ لأنها تهدد الأنظمة أيضًا، فمن يرفع رأسه يفعل به مثل صدام، فالشعوب الآن تقول لأمريكا: أي مكان تدخليه تذلي فيه. لذلك هي تخاف ولا تستطيع أن تتجرأ وتفعل كما فعلت في العراق، الأمر الذي يعطي الأنظمة العربية شيئًا من التحمس للقول

---

(١) المصدر السابق ص (٢٢٤، ٢٢٦).

لأمريكا: لا ...»[١].

* * *

٢٠- يَاسِينُ الْإِنْسَانُ بِعُيُونِ أَهْلِهِ وَالْمُقَرَّبِينَ مِنْهُ

هذه صورة ياسين الإنسان نهديها لكل شعوب الأرض؛ لترى من يكون الإرهابي ياسين أم من قتلوه وساعدوا في قتله.

قال الشيخ ياسين: «أنا أحب الحياة جدًا، وأحب كل ما خلق اللَّه على الأرض، وأحب الحياة لي ولغيري من الناس، ولا أكره الحياة، ولا أحسد أحدًا على ما أعطاه الله، وأقبل ما قسم اللَّه لي، ولكنني أرفض الذل، وأرفض الخنوع والعدوان على نفسي، أحب العدل وأقيمه، ولو على نفسي، أقيمه بكل شدة، لا أتخاذل في ذلك، أريد الخير لشعبي ولأمتي ولكل العالم ... فهذا موقفي أحب كل العالم وأحب كل المخلوقات، لكنني أكره الظلام، وأكره الشر، وأقاومه وسأقاومه بكل ما أملك من طاقاتي»[٢].

الحاجة أم محمد أرملة الشيخ الشهيد تقول: «كان الشيخ يشعر في الأيام الأخيرة بأنه سوف يستشهد ولم يبلغني بذلك مباشرة، لكنه أبلغ بقية الأسرة قال لهم: «أشعر أنني سوف أستشهد وأنا أطلبها، أبحث عن الآخرة ولا أريد الدنيا».

وتقول سمية ابنة الشيخ: «**على غير العادة جمعنا والدي ـ رحمه اللَّه ـ أنا وأخواتي قبل استشهاده بيوم واحد، ورغم أن والدي اعتاد ما بين وقت وآخر جمعنا والجلوس معنا إلا أن جلسته الأخيرة هذه بدت أشبه بجلسة مودع، وقال خلالها: أنه يشعر بأنه سوف يستشهد وأنه يطلب الشهادة**».

عايدة كبرى بناته قالت ودمعة تسيل على خدها: «كان أبي دومًا حنونًا، والشيء الذي لن أنساه أنه كان يصفني مثله بالحنونة، فيقول: أنت أحب بناتي إليّ؛ لأنك كثيرًا ما كنت تساعدين

---

(١) حوار مع موقع الإسلام اليوم (٩/١٠/١٤٢٤هـ ـ ٣/١٢/٢٠٠٣م).

(٢) «أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٣٢٩، ٣٣٠).

جدتك في مرضها، والآن أنت تساعدينني يا ابنتي في قضاء بعض حاجاتي. قالت تلك العبارة بفخر، وكأنه منحها بها أجمل وسام للابنة البارة».

وحين سألتُها عن إحساسها بافتقاده حين كان أسيرًا في سجون الاحتلال؟

أجابت: «مسافة المكان التي كانت تفصلنا عنه لم تمنعنا من أن نشعر به ونتألم لأجله، مؤكدة أنها كانت تزوره باستمرار مع أخواتها ويستشيرونه في تفاصيل حياتهم، وإذ لم يتمكنوا من الزيارة كانوا يوصون أي شخص يذهب لزيارته لينقل لهم كل ما يرغبون في قوله».

عايدة كانت أكثر أخواتها قدرة على التعبير عن حقدها تجاه عدوهم الأكبر شارون فتؤكد: «أنا لست حزينة على استشهاد والدي؛ لأن الشهادة كانت أمنيته، ولكن حزني على فراقه، وعلى ما فعله شارون الجبان الذي أتمنى أن أخرج قلبه من صدره لأقطعه بيدي. وتضيف أن الشيخ كان حريصًا على الاجتماع بالعائلة مرة كل أسبوعين، وأنه كان دائم الزيارة لهم، وتختتم عايدة حديثها: استبشرنا خيرًا من اتصال هاتفي جاءنا فيه أن طفلًا عمره ٨ أعوام رأى الشيخ في منامه وهو يجلس على كرسي من ذهب وحوله يحيى عياش، وصلاح شحادة، وآخرون من الشهداء».

❑ الزَّوْجَةُ الصَّابِرَةُ:

تساؤل من الممكن أن يدور في ذهن أي شخص طرحناه على أم محمد زوجة الشهيد وهو عما إذا كانت قد ترددت في قبول الزواج من رجل مقعد كان عمره ١٦ سنة؟

أجابتنا بابتسامة تختصر صبر النساء الفلسطينيات: هو ابن عمي، وحين تقدم لي منذ أربعين عامًا قررت أن أرضى بنصيبي الذي اختاره اللَّه لي. وتستأنف حديثها: «تزوجنا وعشنا حياة سعيدة وأنجبنا ٣ أبناء و٨ بنات قمنا بتربيتهم على خلق الإسلام مشيرة إلى أن الشيخ كان مثالًا للزوج الحنون الذي يعطي كل ذي حق حقه، وهي كانت تعامله بالمثل بحيث أشرفت دومًا على كل شئونه الشخصية، ويذكر أن الشيخ لم يكن ينتظر في مسألة تزويج بناته سوى لاعتبار واحد هو التقوى؛ حيث صاهر من أنساب مختلفة «الغزاوي، والبدوي، والمجادلاوي، والحمامي... إلخ».

● خليل حسن ياسين (أبو بلال) ٤٠ عامًا ابن شقيق الشيخ وأحد الذين عايشوه عن قرب تحدث عن علاقة الشيخ بأقاربه ووصفها بأنها كانت غاية في المحبة والرحمة وقال: «كان يُعطي

كل ذي حق حقه من أقاربه وعائلته، فكان يأخذ من وقته المشغول دائمًا ساعة أو ساعتين ليختلي بزوجته وأولاده، لقد كان كريمًا مع زوجته يجب دائمًا أن يدخل السرور على قلبها، ففي أوقات مرضها وعندما كان يأتي لزيارته الدكتور محمود الزَّهَار أو الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي وكلاهما طبيبان كان حينها ينادي الشيخ على زوجته لتتحدث عن الآلام التي تشتكي منها، لقد كانت معاملته الحسنة تفوق كل تصور، وقد كان دائم الزيارة لرحمه».

● وقال أبو محمد ـ مرافقه الدائم ـ: «إن أهم حدث أثر في الشيخ هو استشهاد الشيخ صلاح شحادة فقد كان يعتبره أحد أبنائه، وبدا عليه الحزن واضحًا بعد استشهاد الشيخ صلاح من خلال تعابير وجهه والصمت الذي لازمه حِينَهَا.

أما الأشياء التي كانت تدخل السرور على الشيخ المجاهد فحينما كان يسمع عن عملية عسكرية ضد جيش الاحتلال أو عملية استشهادية داخل فلسطين المحتلة، كما كان يسر كثيرًا ـ حسب ما شاهد أبو محمد ـ عندما كان يزوره رفاقه وأصدقاؤه القدامى»(١).

❑ فِي لِقَاءٍ لِمَوْقِعِ (إسلام أون لاين) أَجْرَاهُ إِبْرَاهِيمُ الزَّعِيمُ في (٢٢/٣/٢٠٠٤ ـ ١/٢/١٤٢٥هـ):

«شقيقه أبو نسيم قال لنا: توفي والدي عام ١٩٤٠ وكنت حينها مسئولًا عن العائلة لأني الأكبر سنًا بين إخوتي، وكان الشيخ أحمد حينها في الخامسة من عمره، كان نشيطًا ومجتهدًا، وعاش فترة صباه ومراهقته في رحاب المساجد، ثم التحق في بدايات شبابه بالإخوان المسلمين، حتى أصبح قائدًا للجماعة في القطاع، وعندما انتقلنا للسكن في معسكر الشاطئ شارك في بناء المسجد الغربي، ثم المسجد الشمالي الذي بناه ثلاث مرات؛ حيث كان يهدم بفعل الأمطار.

وأضاف أبو نسيم أنه كان يحب الخير ويكثر من مساعدة الفقراء والأيتام والأرامل والطلاب المحتاجين والمرضى، وكان سخيًّا كريمًا في خدمتهم، وأذكر بأني في إحدى المرات أرسلت له العشرات ليخدمهم، حتى إننا أردنا أن نشتري له أرضًا ليبني عليها سكنًا له فلم نجد في بيته قرشًا واحدًا، فاشتريت أنا الأرض له، كما أنشأ العديد من المؤسسات والجامعات والمدارس، وكان

---

(١) مجلة المجتمع عدد (١٥٩٩).

ينوي شراء أرض ليبني عليها جامعة.

وعندما سألنا أبو نسيم عن خصال أخيه الشيخ أحمد توقف لتذرف دموعه بغزارة، ثم قال: لقد كان عطوفًا كريمًا، توفي وليس في بيته مال، كان يشاورني في كل أمر من أمور حياته صابرًا..؛ فقد عانى من المرض منذ عام ٥٣ إلا أنه لم يتأفف..، فهل يعتقد الصهاينة أنه مات أو أن حماس ستنتهي؟ لا.. فقد رَبَّى جيلًا مؤمنًا مجاهدًا».

● **وقال الدكتور نسيم ياسين ابن شقيق الشيخ:** «لم يبخل يومًا على الدعوة بجهد أو وقت، فقام بأعباء الدعوة، في مساجد غزة، وأنشأ المسجد الشمالي، الذي كان النواة الحقيقية لجماعة الإخوان في فلسطين، وأفنى حياته داعية حتى قوي وجود الإخوان في فلسطين، وكان من ثمرة ذلك تأسيس العديد من المؤسسات الخيرية الإسلامية التي بدأت بالمجمع الإسلامي عام ٧٣، وغيرها من المؤسسات، وتأسيس الجامعة الإسلامية عام ٧٨، وفي عام ٨٣ أسس الشيخ جناحًا عسكريًّا للجماعة لقتال الصهاينة، فاعتقل على إثرها مع الشيخ الشهيد صلاح شحادة وحكم عليه بالسجن ١٣ عامًا، إلا أنه خرج بعد اعتقاله بـ ١٠ أشهر في عملية تبادل للأسرى، التي أجرتها الجبهة الشعبية القيادة العامة بقيادة أحمد جبريل؛ فخرج وازداد نشاطًا وشوقًا للجهاد، ثم في عام ٨٧ أسس حركة حماس.

وأوضح أنه كان مثال الأب والأخ والعم الصالح الطيب الذي كان يعامل الجميع معاملة إسلامية، فيها من المرح والحب والرحمة ما فيها، لقد كان عطوفًا حنونًا على الجميع؛ فكان يساعد المحتاجين، كما كان عطوفًا على الأطفال لدرجة أنهم كانوا يتعلقون به، فقد كان ابني عندما يأتي الشيخ إلى منزلي يركض في أرجاء المنزل فرحًا لما يراه من مداعبة ومرح من الشيخ له».

● **أما أسامة المزيني - زوج ابنة الشيخ أحمد ياسين - فقال:** «لقد كان الشيخ يعامل الجميع معاملة حميمة وودودة، يعامل أصهاره كأبنائه، ولا يتوانى في مد يد العون لخدمتهم؛ فقد قدم بيتًا لصهره (خميس مشتهى) الذي استشهد معه؛ نظرًا لوضعه الصعب، ولم يمنعه انشغاله من تقديم الواجبات الاجتماعية تجاه الأهل والأقارب، فعندما حصلت على الماجستير دعوته لحضور المناقشة، وحضر من الساعة ٩ صباحًا وحتى ٢ ظهرًا، رغم مشاغلة الكثيرة».

●● تقول ابنته مريم أحمد ياسين: «الوالد كانت معاملته طيبة جدًّا لنا، كان أبًا حنونًا رحيمًا

بأطفاله وشعبه، وكان عطوفًا جدًّا.. كان يعطف على الصغير والكبير، لم يبخل على أي أحد، استشهد معه زوج أختي خديجة أحمد، واستشهد معه خميس مشتهى - رحمه الله».

❑ **وسُئلت:**

هل كانت قضية فلسطين تشغله عن بيته، أم أنه كان يجد متسعًا من الوقت ليوفق بين مختلف أمور حياته؟

❑ **فقالت:**

أخي الكريم، لا شك أن اهتمامه بقضية وطنه كانت تملأ عليه كيانه، وتأخذ معظم وقته، إلا أنه كان يقتطع من أوقات راحته القليلة ليتابع أمور زوجته وأولاده وأحفاده.

فهو رغم مشاغله لم ينقطع عني في أي مناسبة؛ فكان يشاركني أفراحي في ميلاد أبنائي، وكان في رمضان لا ينسى أن يمر في أوله وآخره.

وفي الأعياد كان يجلس بين أحفاده يداعبهم ويقبلهم، فكان رغم المشاغل الكثيرة مثالًا للأب الحنون والإنسان العطوف.

لم يكن لينًا فقط مع أبنائه وبناته، ولكن أيضًا مع جيرانه؛ فكان يشاركهم في جميع مناسباتهم كما لو لم يكن عنده مشاغل وهموم وطنية.

❑ **وسُئِلت:**

كيف كان الشيخ الجليل يوصي أبناءه بمستقبلهم؟

❑ **فأجابت:**

أخي الفاضل، الشيخ - رحمه اللَّه - كان حريصًا على أن يكون مستقبل أبنائه مستقبلًا إيمانيًّا؛ فكانت تهمه عبادة اللَّه وعلاقتهم مع اللَّه - سبحانه وتعالى.

كان يهتم بمستقبلهم الدنيوي؛ فعلمهم وأوصلهم إلى التوجيهية (الثانوية العامة)؛ حيث لم تكن ظروفه المادية تسمح له أن يدخلهم الجامعات.

ورغم أن أبي كان يستطيع أن يتصرف في كثير من الأموال فإنه لم يسمح لنفسه أن يستخدمها

مطلقًا في أمور شخصية.

ولذلك فالحمد لله جميع بناته منقبات، وجميع أبنائه من أبناء الحركة الإسلامية، وإخوتي عبد الحميد وعبد الغني كانا مشاركين لوالدي في مشواره الجهادي، والحمد لله كانت تنشئته لنا إيمانية، وضمن لنا مستقبلًا دنيويًا مستورًا.

❑ وَمَضَاتٌ مِنْ حَيَاةِ الْإِمَامِ الشَّهِيدِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ يَاسِينَ مِنْ مَوْقِعِ «إسلام أون لاين»:

كثيرة هي الومضات في حياة الشيخ الذي حاز على أعلى درجات الإعجاب ممن كانوا حوله أو عايشوه أو حتى ممن تعرفوا إليه من المشاهدة الأولى...

كان حريصًا على أن يكون قدوة في شتى المجالات ونجح في ذلك رغم عجزه، وكانت إرادته أقوى بكثير من الأصحاب الذين حوله لدرجة أن بعض من عايشوه كانوا يشعرون بالخجل أمام قدرة تحمله للمتاعب والمشاق خصوصًا في خدمة أبناء وطنه، لقد ترك شيخ فلسطين أطيب الأثر في كل مدينة وقرية في كل شارع وبيت وفي قلوب الملايين الذين أحبوه ليس في فلسطين وحدها بل في العالمين العربي والإسلامي، وصورتهم على شاشات التلفزة كانت وحدها تعبر عن هذا الحب الرباني الذي لم يسبقه أحد إلى هذه القلوب التي توحدت اليوم والتي جعلت من شيخ فلسطين إمامًا لهم.

شيخ فلسطين هو الأب لحركة حماس، وهو المؤسس والحريص على أن يجعل من الحركة حركة للمقاومة الفلسطينية التي تلقت صفعات من الذين يحاولون إنهاء القضية والمقاومة عن طريق المفاوضات والاتفاقيات الاستسلامية التي لا تخدم القضية الفلسطينية ولا تخدم الشعب الفلسطيني بل تحاول تهميشه وإضعافه والنيل من حقوقه المشروعة، ومن هنا كان الشيخ حريصًا على أن تبقى المقاومة هي الخيار الوحيد والإستراتيجي لمقاومة الاحتلال الصهيوني، فلم يترك الشيخ مجالًا أو جهازًا في الحركة إلا وكان مطلعًا عليها، وبفضل الله وعونه كبرت الحركة واتسعت؛ فكان لها الأثر المزلزل تحت أقدام الصهاينة.

❏ كَانَ شَيْخُ فِلَسْطِينَ الشَّهِيدُ الْقَائِدُ عَلَى رَأْسِ الْمُجَاهِدِينَ:

أحد مهندسي المقاومة الشعبية التابعة لـ(حماس) قال: «إنهم فوجئوا في إحدى المرات بالشيخ الشهيد الرمز يناقشهم في أدق تفاصيل عملهم في إطار الاستعدادات للتصدي لأي اجتياح صهيوني محتمل لمدينة غزة، مضيفًا أن حديث الشيخ الشهيد الرمز لم يكن مجرد حديثًا للترف أو للاستعراض، وأضاف المجاهد: أن الشيخ اقترح طرقًا لنصب الألغام الأرضية لمواجهة دبابات الاحتلال، واهتم بمعرفة طريقة وآلية توزيع المجاهدين على مناطق مدينة غزة، والمحاور التي يمكن أن تكون مداخل لاجتياح قوات الاحتلال الصهيوني، مواقف الشيخ الشهيد القائد الرمز كانت كثيرة في هذا المجال، ولا يمكن حصرها في فترة قصيرة من بعد استشهاده، رغم أن الشهيد لم يكن يتدخل في العمل العسكري إلا أنه كان يحب أن يسهم مع المجاهدين في أوقات الشدة».

❏ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ الْقَائِدُ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ:

كان الشيخ القائد الشهيد أحمد ياسين ـ رحمه اللَّه ـ يفرغ وقته لحل مشاكل المواطنين، وكان يستمع لكل القضايا التي تطرح عليه مهما كانت، كان هذا العمل لا يشغله عن العمل الوطني، فأي مشكلة أو قضية في الحركة كان يتابعها، ويعمل على حلها في مختلف المجالات؛ حيث كان وجوده ورمزيته، وكان الشيخ الشهيد حاسمًا في اتخاذ القرارات. ويقول المجاهد: إنه من بين المواقف الطريفة التي يذكرها أحد الأخوة أنه حضر خلال زيارته للشيخ الشهيد الحي في أحد الأعياد حينما تدخل الشيخ الرمز لحل مشكله تمثلت في خلاف وقع بين فريقين لكرة القدم لمسجدين في غزة؛ حيث تصاعد الخلاف إلى الشجار.. فكان الشيخ القائد يسأل عن كل صغيرة وكبيرة عن سبب الخلاف، واستغل الشيخ القائد زيارة الفريقين له، وقام بنقاشهم حول أسباب الخلاف لدرجة أظهرت علم الشيخ بقوانين كرة القدم، وفي نهاية الأمر توصل الشيخ إلى حل يرضي الطرفين يتناسب مع قوانين اللعب من جانب، وأخلاقيات المسلم، لقد كان شيخ فلسطين إنسانًا يحمل هموم الوطن وهموم الشعب رغم مرضه الشديد، كان قلبه كبيرًا يتسع لكل أبناءه من المواطنين حتى الأطفال الذين أحبوه، كان الشيخ يحتضنهم ويقبلهم بكل حنان، كان الأطفال ينتظرونه كل يوم عند خروج الشيخ لأداء الصلاة فيلتفون حوله ويذهبون برفقته إلى

المسجد، هذا هو الإمام الراحل، وهذه هي أخلاقه الإسلامية التي نقلها إلى أبنائه من شعبه الذي أحبهم وأحبوه، والذين عاهدوا اللَّه أن يسيروا على دربه بمواصلة المقاومة والجهاد في سبيل الله.

كان الإمام الشهيد يتابع حل الكثير من المشكلات وديًّا، دون لجوء أصحابها إلى المحاكم، من خلال لجان الإصلاح التي أسسها في الأراضي الفلسطينية، والتي كانت أحد الأسباب في حب شريحة كبيرة من المجتمع الفلسطيني للشيخ الشهيد المجاهد الرمز، رغم انشغال الشيخ القائد الشهيد في قيادته لحركة (حماس)، إلا أنه كان يعطي الجانب الاجتماعي والإصلاح بين الناس أهمية كبيرة توازي في تأثيرها الجانب السياسي، وكانت له صولات وجولات في هذا الأمر، وهو ما جنب الفلسطينيين إراقة الكثير من الدماء، من خلال عمله على حل مشكلات وقضايا معقدة ظلت عالقة لسنوات طويلة في المحاكم، لم يغلق الشيخ الرمز في يوم من الأيام باب منزله في وجه أحد قصده ليحل له مشكلاته، لا سيما الضعفاء من الناس، كما أن كافة شرائح وفئات وطوائف المجتمع كانت تتوجه إليه لحل مشكلاتها، بما في ذلك العديد من المسيحيين.

ويروي الشيخ زياد عنان من مدينة غزة الذي رافق الشيخ فترة الثمانينات خلال عمل الشيخ الشهيد القائد الرمز في الإصلاح، أنه لم يكل أو يمل يومًا، فكان يبدأ يومه منذ ساعات الفجر وحتى نومه يستقبل المواطنين في منزله المتواضع الذي قسمه نصفين؛ نصف لأسرته ونصف للاستقبال ومتابعة شكاوى الناس وقضاياهم.

❑ رافق الشيخ أحمد ياسين لأكثر من ٣٥ عامًا.

● الشيخ أحمد بحر: انتدبني للدراسة الشرعية وشجعني على الخطابة.

عاش معه في نفس المسجد والمخيم الذي انطلقت منه دعوة الشيخ أحمد ياسين، تعلم الخطابة وتجرأ على الوقوف أمام الناس على يديه، ورافقه في أغلب محطات حياته ودعوته وجهاده.

❑ الْبِدَايَةُ فِي الْمَسْجِدِ:

هذه العبارات المقتضبة تُلخص حياة حافلة عاشها الشيخ الداعية أحمد بحر برفقة معلمه الشيخ الشهيد أحمد ياسين، ويقول أبو أكرم عن بداية معرفته بالشيخ: «تعرفت على الشيخ من خلال المسجد الشمالي الكائن في معسكر الشاطئ الشمالي، وذلك في عام ٦٨ أو ٦٩م عندما كان هذا المسجد مسقوفًا بالاسبست والجزء الآخر منه كان معروشًا، وفي تلك الفترة كان يأتي الشيخ إلى المسجد يصلي كل الصلوات تقريبًا، وذلك بالرغم من بعد المسجد عن بيته؛ حيث كان يقيم في أطراف المعسكر من الجهة الشمالية.

❑ حَلَقَاتُ الْعِلْم:

ويتحدث الشيخ أبو أكرم عن نشاط الشيخ في هذه الفترة ويقول: استقينا على يديه القرآن الكريم والسيرة النبوية، وكان يجلس معنا في حلقات في المسجد، كما كان بيته مأوى لكل الشباب، بالرغم من أن بيته كان متواضعًا جدًّا، وفي تلك الأيام أشرفت أمه على خدماته في أغلب الأحيان.

ويشير أبو أكرم إلى أنه كان يبلغ من العمر ١٩، عامًا وكان الشيخ حينها عمره ٣٣ عامًا، وقد توثقت علاقته بالشيخ فهم أبناء المخيم نفسه والمسجد، وحتى إنهما من نفس البلد الأصلية (الجورة)، يذكر أن أغلب الناس في الحارة كانوا يلجئون للشيخ لحل مشاكلهم والإصلاح بينهم.

ومن نشاطات الشيخ في مسجده بالإضافة إلى الدروس وحلقات العلم إقامة مسابقات ثقافية للشباب في المسجد.

❑ الْحَدَثُ الَّذِي لَا يُنْسَى:

أما الحدث الذي لا يستطيع أن ينساه أبو أكرم فهو ذلك اليوم الذي طلب منه الشيخ إعطاء درس للمصلين في المسجد بعد صلاة العصر، وقال له: يا سيدي الشيخ ماذا أقول للناس؟ وكان الشيخ يريد أن يعلمه الخطابة، ويقول أبو أكرم: «عندما وقفت أمام الناس كانت أرجلي ترتجف وتصطك ببعضها، ولكن اللَّه أعانني، وبعد ما تكلمت أمام الناس ورغم أنني كنت أرتجف، لكنني وجدت تشجيعًا من الجميع، وكانت تلك فاتحة خير، والحمد لله أكرمني اللَّه وأصبحت خطيبًا

بفضل الشيخ ـ رحمه الله».

❑ الدِّرَاسَةُ فِي الْمَعْهَدِ الشَّرْعِيِّ:

مرحلة جديدة من مراحل حياة الشيخ أبو أكرم توثقت بها علاقته مع الشيخ أكثر وذلك عندما انتدبه الشيخ للدراسة في المعهد الشرعي بمدينة الخليل، وكانت هذه بداية تحول في صالح أبو أكرم عندما درس بالخليل الثانوية الشرعية والعامة في آن واحد، مع العلم أنه كان قد حصل على الثانوية المصرية في غزة، فأصبح يحصل على ثلاث شهادات ثانوية، ويقول أبو أكرم: «لقد كنت متشوقًا للدراسة الشرعية، وبالرغم من أنه كان اسمي من بين المرشحين للعمل في وكالة الغوث وكانت فرصة للعمل والخروج من حالة الفقر التي كنا نعيشها، إلا أنني رفضت في سبيل إكمال الدراسة الشرعية».

ويشير أبو أكرم إلى أن الشيخ في تلك الفترة كان يواصل نشاطه الدعوي ويتنقل بين المساجد في أنحاء القطاع ويقول: بعدما كنا نجتمع في المجمع الإسلامي ننطلق إلى مساجد القطاع، وأتذكر أنه لم يكن في هذه الفترة سوى إخوة قلائل؛ منهم: صلاح الصفدي، والدكتور أحمد أبو حلبية، وتذكرني هنا حادثة فقد كنت قد طلبت إذنًا من الشيخ وقلت له: أنا تعب ولا أريد أن أخرج معكم. فقال لي: أنت تعبان وأنا مش تعبان. فقلت في نفسي: إن هذا الرجل المشلول لا يعاني بالرغم من مرضه وأنا أعاني. وكان هذا يدل على الطاقة الموجودة في الشيخ التي لم تكن نراها في الأصحاء، وهذا السر العجيب في الشيخ.

❑ النَّشَاطُ النِّسَائي:

الأمر المهم الذي أسس له الشيخ الشهيد هو النشاط النسوي في القطاع، ويقول الشيخ بحر: «لقد أسس العمل النسوي وبدأ نشاطه في مسجد العباس، فكان يجمع النسوة هناك ويعطيهن المحاضرات، وفي أحد الأيام دعاني الشيخ لإعطاء درس للنساء في العباس وكنت قد ترددت في ذلك، فقال الشيخ: هل تترك الشيوعيين يعطوا الدروس. وذهبت يومها وأعطيت الدرس للنساء واستفادت النساء كثيرًا، وكانت هذه بداية أخرى كان للشيخ الفضل الكبير فيها.

❑ زِيَارَةٌ إِلَى الخَلِيلِ:

وانتقل الشيخ بحر للحديث مرة أخرى عن فترة وجوده في الخليل بعدما تخرج من الثانوية الشرعية، وعين إمامًا لمسجد «بيت أمر»، ومأذونًا شرعيًّا لمنطقتي بيت أمر والعروب وبيت صوريف أيضًا، وفي تلك الفترة زاره الشيخ في بيت أمر، ودخل المسجد في البلدة ورآه الناس - في القرى يحب الناس إمام المسجد وبالذات إذا كان غريبًا؛ ولهذا كان الشيخ بحر محبوبًا في القرية - ظنوا أن الشيخ يريد أن يطلب مساعدة فاجتمع حولي المصلون، وقالوا: ماذا يريد هل يريد فلوسًا. فوقفت أمام الناس، فقلت لهم: هذا شيخنا وإمامنا أتى ليعطيكم الدروس. وعندما أعطى الدرس انبهر الناس به، واجتمعوا حوله يسلمون عليه ويقبلونه.

ويصف الشيخ أبو أكرم شخصية القائد الشهيد ويقول: كان الرجل الذي تجمع عليه فرسان الحركة وأبناؤها، وإذا ما قال الشيخ كلمة فإن الجميع يبادر إلى تطبيقها، وذلك لثقة أبناء الحركة الإسلامية في صدق وإخلاص الشيخ، ولقد عرفنا معاني العزة والكرامة منه، وفي اعتقادنا فإنه كان يتحدث بعزة اللَّه وبقوة اللَّه وبنصر الله؛ ولذلك كان لا يخاف الموت.

ومن مواقف العزة التي أعزه اللَّه بها موقفه من عمر سليمان رئيس المخابرات المصرية، تلك المخابرات التي كانت تطارده في حياته الأولى أيام جمال عبدالناصر، وذلك عندما قال له في مكالمة هاتفية: يا سيدي الشيخ أتمنى عليك أن توقف الإشكالية وتوقف إطلاق النار. فقال له الشيخ: لا أستطيع أن أعطيك قرارًا، وسأعرض الأمر على مؤسسات الحركة. وحقيقة كان يستطيع أن يقول كلمة، ولكنه أراد أن يعلمنا الشورى الحقيقية.

ويشير أبو أكرم أنه قابل الشيخ قبل أسبوع من استشهاده وكان يتحدث عن المضي في الطريق ويبث في المتواجدين معه روح الأمل والنصر بأنه قادم - إن شاء الله.

❑ آثَارُ الصُّحْبَةِ:

وعن الآثار التي تركتها رفقته للشيخ يقول بحر: لقد كان سببًا في إعطائي دفعة في الخطابة والدعوة إلى اللَّه في المساجد، وتعلمنا منه التفاني والتضحية، وألا نكلّ أو نملّ في دعوتنا إلى اللَّه - سبحانه وتعالى -، وأعطانا قوة العزيمة والصبر والأمل في النصر، وعلمنا الشجاعة والجرأة وألا

نخاف الموت، وتوج هذا ـ أيضًا ـ بتقوى اللّه والقرب من الله، كما كان يحثنا على صلاة الفجر في جماعة، كما كانت آخر عباراته التي سمعتها هي ترديده للآية الكريمة ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٦].

وعن اللحظات التي تلقى فيها نبأ استشهاد الشيخ قال بحر: لقد كانت لحظات صعبة جدًا علينا، عندما سمعت النبأ في البيت، فأنا وزوجتي وأبنائي بكينا بكاءً شديدًا، وفي أثناء البكاء كانت في قلوبنا فرحة بأن ما تمناه الشيخ ناله، وهذا ما يشعر الإنسان بصدق هذا الرجل وبعمق إيمانه وبثقته بالله، فهو أولًا حقق أمنية كان يتمناها، ونحن نغبطه على هذه الشهادة، خاصة أنه كان مريضًا، وعرض عليه الأطباء أن يبيت في المستشفى؛ فرفض ليلقى اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ، وكان قد أدى قيام الليل وصلى الفجر، فكان من العبادة إلى الشهادة، فالشيخ في حياته أحيا أمة وفي مماته أحيا أمة أيضًا.

❑ خَسَارَةٌ كَبِيرَةٌ:

وعن الفراغ الذي تركه الشيخ يقول بحر: لا شك أنه خسارة كبيرة ليس لحركة حماس فقط، بل للشعب الفلسطيني، ولكن حقيقة عزاؤنا أنه تمنى الشهادة فأعطاه اللّه إياها، ولا شك أن شارون وحكومته المجرمة عندما أقدمت على اغتيال الشيخ إنما أرادت أن تضرب هذه الحركة وتفتت من عضدها وتخلخل صفوفها؛ لأنهم يعتبرونه المدير للعمل السياسي والعسكري والدعوي، ولكن ظن هؤلاء خاب وسيخيب، فالتفاف الحركة ومبايعة الدكتور الرنتيسي كان صفعة للكيان المسخ، وكان الزلزال الأول بوحدة الحركة.

❑ الشيخ عاهد عساف من قلقيلية يروي رحلته مع الشيخ الشهيد أحمد ياسين في سجن «كفار يونا»:

قِلْقِيلِيَّةُ ـ خَاصٌّ:

«في مقابلة خاصة ومميزة مع مرافق الشيخ في سجنه عاهد عساف ٣٣ عامًا من قرية (كفر لاقف) ١٥ كم شرق (قلقيلية)، والذي رافق الشيخ مدة تزيد عن النصف عام في سجن (كفار

يونا) الصهيوني والذي يطلق عليه سجن (بيت ليد).

الشيخ عاهد عساف وهو إمام مسجد قريته لم يكن بحاجة إلى أن يتذكر تفاصيل تجربته مع الشيخ أحمد ياسين، رغم أن التجربة يعود عهدها إلى عام ٩٥، فهي منقوشة في ذاكرته وظلت محفوظة؛ لأنها كانت مع رجل عاش لأمته وشعبه رغم إعاقته.

* الشيخ (عاهد) وبلهفة أراد أن يعبر عن شعوره عن اغتيال الشيخ الشهيد بادر قائلًا:

«عندما كنت أسمع عن الشيخ أحمد ياسين في وسائل الإعلام لم أكن أعلم أن هذا الشخص بهذه العقلية والقيادة، بل كنت أظنه رمزًا وعنوانًا وضعته (حماس) فقط لا غير، إلا أنه كان قياديًّا بالفطرة والخبرة بكل ما يعني ذلك ويستحق هذه المكانة بلا منازع، فهو ملم بكافة الأمور السياسية والاقتصادية والدينية والصناعية والتجارية حتى في الطب، ولديه زخم فكري لا يوصف، وكل من عرف الشيخ عن قرب يؤكد صحة هذه المقولة».

يضيف الشيخ عاهد:

«عندما كنت في الأسر لمدة ثلاث سنوات عرض علينا من قبل الأسرى مرافقة الشيخ أحمد ياسين في زنزانته فكنت أول من بادر إلى هذا العمل بالرغم من التعب والإرهاق الذي يرافق هذه المهمة، فأنت تتعامل مع شخص مشلول بشكل كامل، فهو يحتاج إلى كل شيء منك، ولم يقتصر الأمر على موافقتي بل صممت على هذا الأمر».

❑ لَحْظَةُ اللِّقَاءِ:

وعن لحظة اللقاء الأولى مع الشيخ الشهيد يقول الشيخ عاهد: «نقلت من سجن نابلس المركزي في بداية شهر أيار/ مايو من عام ١٩٩٥م إلى سجن (كفار يونا) حيث الشيخ الشهيد، وعندما وصلنا السجن أنا وشخص آخر كي نكون مرافقين للشيخ كنا منهكين، وإذا بالشيخ كعادته كان في الفورة يقرأ في إحدى أمهات الكتب، صافحته بحرارة وعرفنا أنفسنا إليه؛ لأنه لا يعرفنا، ولتواضع الشيخ عرف نفسه قائلًا: أخوكم في الله أحمد ياسين. مع علمه المسبق إننا نعرفه وجئنا من أجله إلا أنه يتواضع مع كل من يلتقي معه».

دخلنا زنزانة الشيخ يقول الشيخ عاهد: «هي عبارة عن غرفة صغيرة فيها ثلاثة أبراش وحمام صغير، وبعد أن أدينا صلاة الظهر من يوم اللقاء بدأت أشعر بسعادة كبيرة وأنا أقدم المساعدة له،

وكان عندما يطلب منا أي طلب يبادر بكلمة: إذا سمحت، وعند الانتهاء: شكرًا»

يقول عاهد: «**قلت له: يا شيخ لماذا دائمًا تقول لنا: إذا سمحت، وشكرًا، نحن جئنا لخدمتك فأنت لك أفضال على الأمة جمعاء؟ فرد علينا الشيخ قائلًا: من لا يشكر الناس لا يشكر الله. وذلك استنادًا لحديث رسول الله ﷺ**».

❑ طَرْحُ الأَسْئِلَةِ:

كنت أنا وزميلي أطرح على الشيخ عدة أسئلة وكنا نتحرج من طرحها كون الشيخ أحمد ياسين مريضًا والكلام يتعبه، إلا أنه كان لا يتردد بالإجابة الشافية والكافية، وكانت الأسئلة تنصب على الخبرة الدعوية وجذب الناس إلى الدين وطريقة حل مشاكلهم، وكان يكثر من قول اللَّه ـ تعَالَى ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ في دلالة منه أن الشاب المسلم والداعية يستطيع أن يؤثر في محيطة كونه على الحق المبين، وكان يحدثنا كيف أن بيته المتواضع كان مزارًا للقاصي والداني، وكان الناس يطرقون باب منزله لحل مشاكلهم حتى أنهم كانوا يأتون بالرجل السارق ويقيدونه أمام منزل الشيخ ليحكم عليه الشيخ أو يطلق سراحه.

مَرْحَلَةُ «حَمَاسٍ»:

وعن مرحلة تشكيل «حماس» قال الشيخ الشهيد لنا ونحن داخل الزنزانة: بعد حادث جباليا والذي استشهد فيه سبعة من العمال قررنا في اجتماع ضم عددًا من الدعاة الخروج بمظاهرات في كافة أنحاء مدن ومخيمات غزة، وأن لا تقتصر المظاهرات في جباليا فقط حتى نضعف قوة العدو، وبالفعل تم توزيع بيان في ١٩٨٧/١٢/٩م ولم يكن هذا البيان يحمل أي رقم سوى توقيع حركة المقاومة الإسلامية، ودون اختصار هذا الاسم إلى «**حماس**».

وفي ١٩٨٧/١٢/١٤م يقول الشيخ الشهيد اجتمعت الهيئة التأسيسية للحركة بشكل موسع وتم صياغة بيان يعلن ميلاد «حماس» بهذا الاسم، وحمل البيان رقم واحد.

وأضاف الشيخ عاهد عساف: «كان الشيخ يتمتع بذاكرة حديدية بحيث إنه يتطرق إلى أدق التفاصيل دون نسيان، وكان الشيخ يتقن اللغة الإنكليزية بشكل ممتاز».

وعن صفات إضافية للشيخ يقول الشيخ عاهد عساف: «امتاز الشيخ الشهيد بالإتقان في كل شيء، حتى إنه كان يعلمنا كيف ينظف أسنانه من خلال إرشادنا باستخدام السواك في المقطع

العلوي من أسفل إلى أعلى ثم الانتقال إلى المقطع السفلي ثم المرحلة الثالثة إلى المقاطع الداخلية التي لها طريقة مختلفة، حتى إننا كنا نستغرق في تنظيف أسنانه أكثر من عشرين دقيقة، كما أنه كان يقص أظافره بشكل دقيق يتوافق مع السنة النبوية من الإبهام الأيمن وبعدها بقية الأصابع، وقضية تنظيف وتنشيف الماء بالقرب من أذنيه وأصابعه خوفًا من الجراثيم».

ويضيف الشيخ عاهد: «لولا أن الشيخ كان حريصًا ودقيقًا لما كانت صحته هكذا، فهو يحب الإتقان حتى عند تناول الطعام يمضغه بشكل بطيء جدًّا».

❑ مَوَاقِفُ لِلشَّيْخِ الشَّهِيدِ:

يضع الشيخ عاهد عساف يده على رأسه مستذكرًا مواقف للشيخ الشهيد قائلًا:

«للشيخ المجاهد مواقف عزة وكرامة وإباء، منها عندما حضر أحد ضباط الموساد إليه وقال له: إن كتائب القسام تطالب بإطلاق سراحك في بيان نشر من بيروت مقابل الكشف عن جثة الجندي (ايلان سعدون). فرد عليه الشيخ بعزة وكرامة: أنا لا أقبل على نفسي أن يفرج عني مقابل جثة. صعق الضابط الصهيوني من جواب الشيخ، وقال له: أنت تعرف مكان الجثة. وخلال حديث ضابط الموساد مع الشيخ المجاهد يقول عاهد: الْتَفَتَ إِلَيَّ هذا الضابط وقال لي: أنت سيفرج عنك قريبًا، فماذا أوصاك الشيخ؟ فقلت له: أوصاني بالتمسك بديني ودعوتي وصلاتي ومساعدة الآخرين. وكان جوابي له بالعبرية، وعلى الفور الْتَفَتَ إلى الشيخ قائلًا له: ماذا أوصيت مرافقك؟ فردَّ عليه الشيخ بنفس الكلمات مع أنه لم يعلم ما جرى بيني وبين الضابط، وقتها غادر الضابط زنزانة الشيخ بلا رجعة مذهولًا!.

ويضيف الشيخ عساف: جاء مدير سجن (كفار يونا) ذات مرة يطلب وَدَّ الشيخ في جلسة حوار، وكان رَدُّ الشيخ: ليس لدي وقت أضيعه معك، احمر وجه المدير الصهيوني أمام ضباطه، ورجع يجر آذيال الخيبة والفشل.

وعن مواقفه المشرفة يقول عاهد: في عام ٩٥ عندما كان الحديث يدور حول توقيع وثيقة بين «**حماس**» و«**فتح**» رفض التوقيع على الوثيقة عندما طلب منه وفدًا من السلطة زاره داخل السجن، وقال لهم: يوقع قادة الحركة أولًا وبعدها أنا. وذلك لأنه لا يتفرد في القرارات ـ رغم عظم مكانته وقوة تأثيره على الآخرين ـ، فهو يعتمد الشورى كأساس في التعامل مع الجميع دون استثناء.

❑ الشَّيْخُ وَرَوْحُ الدُّعَابَةِ:

وعن روح الدعابة عند الشيخ يقول الشيخ عاهد: «يمتلك الشيخ قدرة على الدعابة الفورية الخالية من التكلف؛ فمثلًا عندما تعرفت عليه قال لي: أين تسكن. فقلت له: في قرية (كفر لاقف). فقال لي على الفور: آه، ساكن في قرية كفر زاقط. فقلت له: كفر لاقف. فكرر كفر زاقط، وابتسم.

كذلك كان يرفض أن يأكل قبلنا رفضًا باتًّا، وكان يقول: أنا لقمة وأنت لقمة يا عاهد. وكان أيضًا يقاسمنا حصته من الطعام التي كانت تأتيه من المطبخ؛ لأنه مريض، وكان يصر على أن نتقاسم الفواكه واللحمة وغيرها من المأكولات».

❑ يَاسِينُ الْإِنْسَانُ:

كان الشيخ يعاملنا كأب حنون وصديق وفيٍّ وقائد مخلص ومعلم فذ، يقول الشيخ عاهد: «كنا نتسابق في توفير الحماية له، حتى إننا لا نقوم بتقديم الطعام له إلا بعد أن نتذوقه ونأكل جزءًا منه، وبعد ساعة أو أكثر نقدمه للشيخ الشهيد، وكان الشيخ ياسين لا يبخل على مرافقيه بالعلم والعطاء، وكان دومًا يسألنا عن أوضاعنا وظروف أهلنا، وهل ينقصهم شيء أو تواجههم مشاكل -رغم عظم مشاغله، فهو زعيم حركة، وبرنامجه اليومي مليء بالزيارات -، وكان يأتي باستمرار أعضاء كنيست وضباط صهاينة وغيرهم، إضافة إلى برنامجه اليومي، وكل هذا كان لا يثنيه عن السؤال والاطمئنان عنا، حتى إنه في إحدى زيارات الأهل يقول عاهد: الشيخ اعتذر عن زيارة مهمة لكي يقابل أهلي والتعرف عليهم.

وكان يوم الشيخ بدايته قيام ليل، ثم تسبيح قبل الفجر، وبعد الصلاة ورده اليومي من المأثورات، وبعدها يأخذ قسطًا من النوم وقراءة القرآن، وبعد الظهر قراءة المجلات والصحف، وبعد العصر قراءة أمهات الكتب لمدة ساعتين، وبعد المغرب مشاهدة البرامج الإخبارية والتحاليل السياسية.

وعن توقعاته نحو المستقبل في وقتها قال الشيخ عساف: وقتها كان يقول لنا إن «حماس» ستواجه صعوبات جمة؛ لأنها ستعمل على الموافقة بين نقيضين؛ الأول حقن الدم الفلسطيني،

والثاني الاستمرار في المقاومة وضرب الاحتلال؛ حيث إن الاستمرار في المقاومة يدفع السلطة إلى منعنا من ذلك، وبعد عام فقط تحققت تصورات الشيخ ياسين؛ حيث لجأت السلطة إلى اعتقال أفراد الحركة في خطوة شملت الضفة الغربية والقطاع، إلا أن الحركة حافظت على حقن الدماء ومنع الاقتتال الداخلي، وتجاوزت المحنة بسلام.

❑ لَحْظَةُ الْفِرَاقِ:

بعد اقتراب لحظة الفراق مع الشيخ الشهيد أحمد ياسين في اليوم ١٩٩٥/١٠/٣١، وهو يوم الإفراج عني، ويقول الشيخ عساف: «شعرت بأني سأفقد أبًا ومعلمًا وصديقًا وقائدًا عظيمًا، وقلت للشيخ وقتها: أريد منك رسالة وصورة تبقى محطة تواصل وجداني معك. فسارع بإعطائي صورة لنجله عبدالغني، وطلب مني أن أكتب خلفها: هذا الرسم النبيل لولدي عبدالغني أحمد ياسين رمز تذكاري لولدي، عاهد عساف؛ ليكون ذكرى تاريخية في الفترة التي عشناها سويًا في سجن (كفار يونا) ثم سجن (هشارون) تلك الفترة التي عرفنا فيها بعضنا، وَكُنْتَ فيها نعم الولد والأخ والصاحب فجزاكم اللَّه عنا خير الجزاء، وسهل اللَّه لكم الطريق إليه في الدنيا والآخرة، ولا يعني في لحظة الفراق إلا أن أشد على أياديكم وأقول مودعًا: أستودع اللَّه دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك، وأسأل اللَّه ـ سبحانه ـ أن يجمعنا وإياكم في مستقر رحمته أنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والدكم أحمد ياسين».

وفي صباح يوم الإفراج ودعت الشيخ وداع الأحبة، وكانت الدموع هي لغة الحوار بيننا، وعند استشهاده كانت كلماته ورسالته هي كل ما أملك في حياتي كلها، رحم اللَّه الشيخ عاش عظيمًا ومات عظيمًا» اهـ.

❑ الْبَيَانُ فِي لِقَائِهَا بِالْمُقَرَّبِينَ مِنَ الشَّيْخِ يَاسِينَ(١):

● حارس الشيخ ياسين: أكثر ما كان يسعده العمليات الاستشهادية ورؤية الأطفال الحافظين لكتاب الله:

«ليتني استشهدت ولم أبق حيًّا أتجرع لوعة الفراق»... بهذه الجملة عبَّر عدنان أبو جبر، أحد

---

(١)«البيان» العدد (١٩٩) ص (٢٧- ٣١).

حراس الشيخ أحمد ياسين عن مشاعره التي تعصف بكيانه منذ فارق شيخه الياسين مع اثنين من رفاق دربه من حراس الشيخ.

متى التحقت بحراسة الشيخ ياسين؟

كنت مرافقًا للشيخ الدكتور الشهيد إبراهيم المقاومة ـ رحمه الله ـ، وذلك مدة عامين ونصف، ولم يرد الله لي الشهادة؛ حيث لم أكن يومها (٢٠٠٣/٣/٨م) برفقته.

بعدها نلت شرف مرافقة الشيخ الشهيد إلى أن حقق الله له أمنيته بالشهادة، ولم يكرمني الله ـ أيضًا ـ هذه المرة بالشهادة.

كيف تركت الشيخ أحمد ياسين؟

كان مريضًا جدًّا وذهبنا به المستشفى، ولقد توقعت ألا يعيش أكثر من أسبوع؛ حيث إنني لم أره مريضًا كهذه المرة من قبل، كان متعبًا للغاية.. ولقد قلت للشباب المرافقين الشيخ: العلم عند الله أن الشيخ لن يعيش حتى نهاية الأسبوع.

ما هي المهام الموكلة لكم في فريق حراسة الشيخ؟

نحن مكلفون بعدة مهام: أولها: حراسة الشيخ؛ حيث وفرت لنا الحركة «حماس» أسلحة أوتوماتيكية خفيفة، وثانيها: مساعدته على كافة أمور حياته؛ فالشيخ لا يستطيع تحريك أي جزء من جسده، كنا نحمله ونطعمه ونشربه ونساعده على قضاء حاجته، ونساعده على الوضوء والصلاة وكل شيء تقريبًا، وكذلك نساعده على قراءة الكتب والرسائل والأوراق الخاصة بالحركة، وننظم زيارات الناس والضيوف له.

ما أكثر ما كان يميز الشيخ؟

بساطته الشديدة وطيبة قلبه وورعه الشديد وحبه للناس وعشقه للجهاد في سبيل الله.. مهما تحدثت عن هذا الرجل فلا يمكن أن أوفيه حقه، وبخصوص الأمور الشخصية كان الشيخ قليل النوم، لا ينام أكثر من ثلاث أو أربع ساعات، وكذلك أكله خفيف جدًّا.

ما هو برنامجه اليومي؟

كان يستيقظ قبل الفجر بساعتين أو ثلاث، ونوضئه فيصلي ويتهجد ويقرأ القرآن، ثم يصلي الفجر في مسجد المجمع الإسلامي، بعد الفجر يقرأ القرآن، ويستمع للأخبار، ويقرأ نشرات خاصة يعدها المكتب الخاص به حول آخر الأخبار والمستجدات، وكان يهتم بشدة بالشئون الإسرائيلية، ويظل هكذا حتى الساعة السادسة أو السابعة صباحًا.

ثم ينام حوالي ساعتين ويصحو حوالي الساعة ١٠ أو ١١ فيتناول فطوره، وهو فطور خفيف جدًّا؛ حيث لا يكمل رغيف خبز واحد، بالإضافة إلى كوب من لبن الزبادي.

وكان يؤدي صلاة الظهر في مسجد المجمع، ويجلس مع الناس في المسجد، وبعد الظهر يجتمع مع قادة حماس وكوادرها، وكذلك مع الصحفيين أو مع الناس العاديين الذين يأتون لزيارته.

أنت عايشت اثنين من قادة الحركة الإسلامية: ما الفرق الذي لاحظته بين الشهيد إبراهيم المقادمة وأحمد ياسين؟

كان الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ صورة طبق الأصل من الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة؛ فكلاهما كان زاهدًا في الدنيا، كل وقته وجهده وتفكيره من أجل الإسلام، وكانا طالبي شهادة بحق، وكانا قليلي النوم والأكل.

كيف كان الشيخ يعامل حراسه، ويعاملكم؟

كان كالأب الحنون، كان بسيطًا للغاية، وكنا نحيا مع رئيس ليس بمستكبر أو متعجرف؛ نتحدث إليه ويحدثنا بكل بساطة ورفق ولين.

كان لا يرد أحدًا، وأذكر أنه في عيد الأضحى الأخير جاء إلى منزل الشيخ رجل معوق، فلم يأذن له الحرس بالدخول، فغضب الشيخ غضبًا شديدًا وطلب منا أن نحضره، ولما دخلنا به على الشيخ جلس إليه وتحدث معه وسأله: ماذا تريد؟ فقال: جئت (أعيِّد) عليك يا شيخ: فأنا أحبك.

ما أكثر ما كان يسعد الشيخ ياسين؟

العمليات الاستشهادية والجهادية، وكذلك رؤية الأطفال والأشبال الحافظين للقرآن والمهتمين بالدعوة.

هل كان الشيخ يغضب بسرعة، ومتى؟

لم أره غاضبًا إلا مرة واحدة وهي حينما قصفت طائرات الاحتلال منزل الدكتور محمود الزهار، وأسفر ذلك عن استشهاد ابنه ومرافقه؛ حيث رأيت الشيخ غاضبًا وأقسم قائلًا: «**واللهِ لأركِّعهم**» يقصد الصهاينة.

هل لمست كرامات خاصة للشيخ؟

كل حياة الشيخ كرامات.. وأنا أذكر أننا في أحد الأيام قمنا بنقل الشيخ من بيته إلى مخبإ؛ وذلك لأسباب أمنية، وكانت المنطقة مليئة بالبعوض، وكنا نعاني بشدة من قسوة لدغات البعوض؛ لدرجة أننا كنا نضرب أنفسنا، لكننا فوجئنا أن البعوض لا يقترب من الشيخ نهائيًّا، فسألنا الشيخ: لماذا لا يقترب منك البعوض يا شيخ؟

فقال: هذا من فضل الله. وبالفعل فهذا من فضل الله؛ فالشيخ لا يحتمل لدغات البعوض، ولا يستطيع أن (يهش) عن نفسه بعوضة.

هل كان يحب المزاح والمداعبة؟

نعم! كان ضحوكًا، تجده مبتسمًا دومًا، وكان صبورًا وكاظمًا لغيظه، وأذكر قبل استشهاده بيوم أنني تسلمت نوبة الحراسة من دون أن أعلم أن بذراع الشيخ (حقنة ومحلولًا)، فشددت قميصه بعنف كي أساعده على الوضوء؛ فتسبب له ألم شديد جدًّا لكنه ـ رحمه اللَّه ـ لم يغضب وتحمل الألم.

ما أكثر ما كان يزعجه؟

أي عمل منافٍ للأخلاق والدين، وأي تأخير في مواعيد الصلاة والعبادات.

وكذلك كان يغضب إذا ما عاملنا الناس بطريقة غير ملائمة، وكان لا يحب استعجال شباب حماس وتسرعهم، ويكره أي عمل يهدد الوحدة الوطنية.

❑ هل لا تزال حزينًا على فراق الشيخ؟

الفراق صعب جدًّا؛ فما بالك إذا كان هذا الفراق لإنسان مثل الشيخ ياسين؟! أنا حزين جدًّا على فراق الشيخ؛ ليتني استشهدت معه ولم أظل حيًّا أتجرع لوعة الفراق.

رغم التهديدات الإسرائيلية للشيخ: هل كان خائفًا ومتخذًا لاحتياطات أمنية؟

لا، الشيخ لم يكن خائفًا من الموت، كنا حينما نطلب منه مغادرة المنزل يقول: أنتم تريدون أن تحرموني الشهادة.

وبصراحة أنا أرى أن كل عمليات الاختباء التي كنا نقوم بها كانت شكلية؛ وذلك لأن الشيخ كان يرفض الاختباء ولا يخاف الموت، ولا زلت أذكر ذلك الصحفي الذي سأل الشيخ: هل أنت خائف يا شيخ من التهديدات الإسرائيلية بقتلك؟ فأجابه الشيخ: نحن طلاب شهادة.

أنا حزين جدًّا وطوال الوقت أتذكر الشيخ ومرافقتي له وذكرياتي معه، زوجتي تسألني دومًا فيمَ أنت سرحان؟ رافقت المقادمة عامين ونصفًا، ورافقت الشيخ ١١ شهرًا.

كَانَ سُجَنَاءُ الْيَهُودِ يَنْتَظِرُوه لِيُسَلِّمُوا عَلَيْهِ:

كان السجناء اليهود ينتظرونه لحظة خروجه إلى «النزهة» للتسليم عليه، هكذا يتحدث بعض من رافقه أثناء اعتقاله في سجون الاحتلال.

في السنة التي رافقه فيها أبو القاسم ـ أحد الأسرى الفلسطينيين ـ استشهد المجاهد يحيى عياش، وكان ذلك في ١٩٩٦/١/٦م؛ حيث حزن الشيخ كثيرًا لاستشهاده، وبكاه وتمنى لو أنه التقى به وتحدث معه، واحتجاجًا على اغتياله أضرب يومًا عن الطعام هو ومرافقوه جميعًا، وكان ذلك في سجن تلموند.

وَيَذْكُرُ أبو القاسم أنه في أحد المرات التي كان يُجرى له مساج لجميع أعضاء جسمه، كسر أحد أصابع قدميه؛ وبالرغم من الألم الشديد الذي تسبب به إلا أنه لم يغضب أو يرفع صوته، واكتفى بالقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ولم يكن أمام شيخ قعيد للدفاع عن نفسه ضد إدارة مصلحة السجون الصهيونية وقراراتها الظالمة بحقه سوى إعلانه عن الإضراب المفتوح عن الطعام والدواء، وهذا ليس بالأمر البسيط بالنسبة لشخص مصاب بعدة أمراض قد تصل في بعض الأحيان إلى سبعة أمراض معًا.

وكان برنامجه اليومي في السجن يبدأ منذ صلاة الفجر جماعة، ثم تلاوة القرآن حتى موعد الفطور، ويسبق صلاته الفجر قيام الليل ما تيسر له، تليها فترة قراءة ومطالعة حتى موعد الفورة وهي (النزهة) اليومية للمعتقلين في العاشرة صباحًا والتي تستمر حتى صلاة الظهر التي كان

يصليها دومًا في ساحة النزهة.

ثم يأتي موعد الغداء الذي تقدمه إدارة السجون، يلي ذلك فترة قراءة الكتب الثقافية والدينية التي تستمر حتى صلاة العصر، وبعد صلاة العصر يسمع الأخبار ويشاهد التلفاز في محاولة منه لِيَبْقَى على تواصل دائم مع شعبه خارج السجن.

يصلي المغرب مع مرافقيه، ولم يكن يحب أن يصلي فيهم إمامًا نظرًا لانخفاض صوته، ثم يكرر مشاهدة التلفاز ويتحدث في أمور الدنيا والأمور التي تهم الأسرى مع مرافقيه ومن تواجد داخل غرفته حتى صلاة العشاء التي تليها فترة قراءة تستمر عادة حتى الثانية عشرة أو الواحدة؛ حيث يخلد شيخنا الجليل للنوم.

❑ الشَّيْخُ عَبْدُالْعَزِيزِ الْكُجُكُ: هَذِهِ قِصَّتِي مَعَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ يَاسِينَ:

على مدار ٣٧ عامًا، عاشر رجلُ الإصلاح الفلسطيني المعروف الشيخ عبدالعزيز الكُجُك (أبو ناصر) الشيخَ أحمد ياسين، مشاركًا إياه درب الدعوة الإسلامية التي بدأها الشيخ في وقت كانت رياح الإلحاد تعصف بالمجتمع الفلسطيني، ومعًا شكَّلا أول لجان لإصلاح ذات البين، بين الناس حقنًا لدماء المسلمين.

❑ متى تعرفت على الشيخ؟

تعرفت على هذا الشيخ الفاضل في عام ١٩٦٧م، وكان الشيخ ـ يرحمه الله ـ يمشي بصعوبة، ولم يكن أصيب بالشلل الكامل بعدُ، وكان يأتي إلى حي الشجاعية؛ حيث أسكن وقتها لإلقاء الدروس والمواعظ، وكان يصعد منبر مسجد المحكمة ويلقي الدروس والندوات، وتعرفت منذ ذلك الحين على القائد الفذ الرباني أحمد ياسين ـ رحمه الله ـ وكان عمري وقتها حوالي ٣٠عامًا.

❑ أين كان موقع الدعوة إلى الله في حياة الشيخ؟

الشيخ أحمد ياسين ظهر في فترة كانت رياح الإلحاد تعصف بالمنطقة، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسل الشيخ أحمد ياسين في تلك الفترة لإحياء النفوس، فأخذ يتجول في مخيمات اللاجئين وأحياء القطاع يدعو إلى الله، ولم يكن هناك نشاط إسلامي على الإطلاق؛ فعندما كنت تدخل المساجد لم تكن تجد فيها إلا المسنين والطاعنين في السن، وحتى داخل البيوت، ولا تجد في

الشارع كله صفًّا واحدًا.

❑ من أين بدأ الشيخ دعوته؟

بدأ ـ يرحمه اللَّه ـ دعوته من المسجد الشمالي في مخيم الشاطئ، وبدأ يتحرك من ذلك المكان، وكذلك من بيته، ولم يقتصر على هذا المسجد فاعتمد كذلك على مسجد العباس بحي الرمال.

عرف عن الشيخ نشاطه المميز في مجال الإصلاح بين الناس، وكنتَ تشاركه في ذلك: كيف يمكن أن تصف لنا هذا النشاط؟

كان الإصلاح من أهم الأمور التي يهتم بها الشيخ ويوليها جُلَّ اهتمامه؛ لأنه كان يقول: إن إصلاح ذات البين هي أرضية ودعامة لبناء المجتمع الصالح وللعمل الإِسلامي، خاصة أن مجتمعنا قَبَلي، وكانت فيه عادة الثأر عميقة. كان الشيخ ذا وقار بين العائلات، واستطاع بحكمته ووعيه وذكائه أن ينال احترام جميع العائلات في قطاع غزة.

حينما كنا نذهب لحل أي مشكلة ويعلمون أن الشيخ موجود فيها.. صدقوني أننا كنا نحل ٩٠ منها فورًا؛ لأنهم يعلمون أن هذا الشيخ نذر نفسه لإصلاح ذات البين ولإِصلاح المجتمع كله.

❑ هل أقمتم لجانًا للإصلاح؟

خلال الانتفاضة المجيدة الأولى عام ١٩٨٧م ركزنا كثيرًا على مجال الإِصلاح؛ لأن العدو كان يبث العملاء داخل مجتمعنا لافتعال المشاكل بين العائلات والفصائل من أجل إِشعال المجتمع بمشاكل داخلية، وسبحان اللَّه فقد الْتَفَتَ الشيخ بفطنته إِلى ذلك الخطر الجسيم الذي كان يدبره العدو لشعبنا لتفتيت قواه، وكان الرجل متواضعًا برغم هيبته ووقاره، ولا يقطع في الإِصلاح أمرًا إِلا بعد أن يسأل ويستشير، واللَّه وفقنا في إِصلاح كثير من المشاكل وخاصة مشاكل (الدموم)[1] ـ القتل والثأر.

❑ هل تذكر حادثة معينة نجح الشيخ في حلها؟

اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ أجرى على أيادينا حل ما لا يحصى من المشاكل العادية، وكذلك لما يقارب من سبع مشاكل بين عائلات كبيرة كان بينها (دموم)، واللَّه أجرى الخير على أيادينا

---

(١) يعني: الدماء.

بفضل كرامة وبركة هذا الشيخ.

و(الدموم) كانت من أمور الجاهلية في القطاع، وكانت تأكل الأخضر واليابس، ولقد سن الشيخ سُنَّة حسنة في الإِصلاح بين الناس لم تكن موجودة من قبل؛ فلقد كان رجال الإِصلاح يعملون على حل المشاكل بشكل مؤقت، وكان بعضهم يقولون لأهل المقتول: خذ الدية اليوم، ثم خذ بثأرك بعد سنوات. وكانت حلولهم مؤقتة.

لكن الشيخ خط للجميع سُنَّةَ «**تحكيم شرع الله**» في أمور القتل؛ فكنا نرغِّب أهل المقتول في أخذ الدية (وهي مشروعة) وحينما يأخذها نبصِّره أنك أنت الآن عفوت، وأخذُك للدية أنهى القضية، ونبصِّره أنه إذا غدر فإن اللّه ـ سبحانه ـ سينتقم منه؛ لأن اللّه هو المنتقم.

وبهذا استطاع الشيخ إنهاء الكثير من نزيف الدم والاقتتال الداخلي وتفتيت المجتمع، واللّه ـ سبحانه وتعالى ـ وفقنا في حل الكثير من حالات الشِّجار.

ولقد تدخل الشيخ في حادثة أخيرة قبل شهور من استشهاده في حي الشجاعية عندما قتل شاب من عائلة (م) بعد أن انفجرت قنبلة في يده، وكان قد تشاجر قبلها مع أفراد من عائلة (س) فذهبنا أنا والشيخ واستحلفناهم على حقنهم الدماء، وللعلم أن تلك العائلتين هما أكبر عائلتين في قطاع غزة.

واللّه وفق الشيخ في حل جذري للمشكلة بعد أن وضع سند تحكيم، وأقام لجنة شرعية ولجنة تحقيق، والحمد لله بعد جلسات وإحضار أهل الخبرة ـ كان الشيخ يستعين بهم دومًا ـ من أطباء شرعيين وتشريح وخبراء متفجرات وخبراء تدريب عسكري تبين أن الشاب ـ يرحمه اللّه ـ قتل من القنبلة التي كان يحملها في يده وليس من العائلة الأخرى.

❑ وهل كان الشيخ بالرغم من مشاغلة في حركة حماس ومرضه يصلح بين الناس؟

هذا الرجل نقول ـ والقلب ينزف دمًا على فراقه ـ: إنه ترك فراغًا كبيرًا؛ فقبل وفاته بأسبوع فقط استدعاني لحل قضية شجار بين عائلة (ج) وعائلة (س) نتيجة عن مقتل شاب كان قد أصيب في ساقه، وتوفي نتيجة الإهمال الطبي، وأرادت عائلته الثأر.

فالشيخ رغم انشغاله وأمراضه أرسل لي وقال: يجب أن نحاصر هذه المشكلة فورًا وفي المهد؛

وذلك لأن أهل العرف ذهبوا للعائلتين، ولم يفعلوا شيئًا. فقلت له: أعطني وقتًا. فرد عليَّ قائلًا: يا أخي! يجب التحرك بسرعة لحقن دماء المسلمين.

وقبل استشهاده بيوم أرسل لي يقول: ماذا فعلت في هذه القضية؟ هل عملت سند تحكيم؟ هل ذهبت إلى العائلات؟ وكان الرجل لا يفكر إلا أن تعيش العائلات مستقرة وفي حسن جوار.. وحدِّث ولا حرج.

❑ كيف كان يتحرك في بداية حياته الدعوية رغم مرضه والشلل الذي كان يعاني منه؟

عندما بدأ الشيخ حياته الدعوية في السبعينيات كان يتحرك على دراجة هوائية يقودها أحد الإخوة، وأحيانًا كان يتحرك على رجليه، وحينما كان يأتي إلى حي الشجاعية شرق غزة يأتي مشيًا رغم أن المشي كان صعبًا جدًّا عليه، وكان اللَّه ـ سبحانه ـ يمده بمدد من عنده؛ فيأتي مشيًا لمسافات طويلة وهو يعرج، ويأتي لحي الشجاعية لإعطاء الندوات، ولم يكن الناس يعرفون قبله هذه الندوات والدروس.

❑ في فترة الستينات والسبعينات كانت تعصف رياح الشيوعية والإلحاد والعلمانية في المجتمع الفلسطيني؛ فماذا كان دور الشيخ في نشر الدعوة الإسلامية؟

الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ كان رجلًا صاحب خبرة؛ فحتى الشيوعيون والإلحاديون وكل أصحاب التيارات الإلحادية عندما كانوا يلتقون بالشيخ لا يجاهرونه العداء إطلاقًا، وكانوا يقبلونه رغم حقدهم عليه، وكان بسياسته الحكيمة لا يُغضب أحدًا، ولا يستثير أحدًا، ويعامل حتى الملاحدة برفق وطمأنينة، حتى إن كثيرًا من الناس هداهم اللَّه إلى الإسلام عن طريق الشيخ ومعاملته معهم، ولم يكن الشيخ يجد أنصارًا وأعوانًا، ورغم ذلك شق طريقه بكل صعوبة.

❑ ما حقيقة المزاعم أن الشيخ كان يعارض في البداية العمل العسكري ويركز فقط على العمل الدعوي؟

هذا صحيح؛ فالشيخ في البداية لم تكن لديه أرضية يرتكز إليها؛ فكيف يقاتل وهو لا يمتلك

قاعدة يقف عليها؟ كان في ذلك الوقت ييني؛ فكيف يترك الدعوة ويقاتل وهو لا يمتلك شيئًا؟ حينما امتلك العتاد والقوة كان من السابقين إلى الجهاد، كان الرجل حكيمًا ذا بُعد نظر، والله حقق له ما تمنى.

❑ يروج الصهاينة لادعاء أنهم موَّلوا حركة حماس في بدايتها من أجل محاصرة منظمة التحرير وخنقها، فكيف ترد على هذه الفرية؟

هذا هراء وكذب وافتراء، هذه فرية افتراها الشيوعيون في حينها، وكانوا يعادون الحركة الإسلامية، ويكرهون الإسلام والمسلمين؛ لأن حركتهم قامت على العداء للإسلام، وهم من روَّج لهذه الافتراءات.

وبالمناسبة لم تكن هذه الافتراءات وحدها يستخدمونها ضد الحركة الإسلامية في ذلك الوقت؛ فعندما بدأ الشيخ في عمله وانطلق من المجتمع الإسلامي، ولم تكن حركة حماس قد تكونت، كانوا يكيلون شتى الاتهامات للمجمَّع ولشبابه ويسخرون منهم.

فحينما كان أحد أفراد المجمَّع الإسلامي يطلق لحيته ينظرون إليه بمنظور أنه من (المجمَّع) ويتهمونه بشتى الاتهامات ويسألونه: كم تقبض على لحيتك؟ وكم تأخذ معاشًا شهريًّا؟ ويسخرون منه، وكانت هذه دعايات مغرضة.

والحمد لله هؤلاء الناس اندثروا اليوم وانتهوا؛ في حين تعاظمت قوة الحركة الإسلامية، وذلك لأنهم كانوا قائمين على حرب الله ورسوله.

❑ وهناك مزاعم كذلك أن إسرائيل منحت ترخيصًا للمجمَّع الإسلامي؟

إسرائيل منحت الترخيص للمجمَّع كجمعية عثمانية خيرية، كما منحت ترخيصًا لجمعية الهلال الأحمر (الشيوعية) قبل المجمع بسنوات، لو كانت كل جمعية تمنح ترخيصًا هي مشبوهة لكان الأوْلى أن نقول: إن المشبوهين هم من أخذوا ترخيصًا قبل المجمَّع بسنوات.

ثم إن الشيخ ياسين اعتقل في البداية بتهمة إنشاء المجمَّع الإسلامي دون ترخيص، وأفرج عنه بعد تدخل الحاج (هاشم الخزندار) الذي كان من أكبر الشخصيات في القطاع وقتها قبل أن يُقتل على خلفية تأييده لاتفاقية (كامب ديفيد).

وقام هذا الرجل بالحصول على ترخيص للمجمَّع الإسلامي من السلطات الإسرائيلية التي جاملته؛ لأنه أيد اتفاقية (كامب ديفيد) بين إسرائيل ومصر.

والحق يقال: إن هذا الرجل (الخزندار) لم يكن معاديًا للإسلام والحركة الإسلامية، وقد قتل على يد الشيوعيين لتأييده (كامب ديفيد).

وأذكر أن هذا الرجل الذي كان تاجرًا كبيرًا جدًّا يقوم وحده عام ١٩٦٧م بجمع جثث الشهداء الملقاة في الشوارع لدفنها، ونحن لا نغمط الناس حقهم.

❑ وُصِفَ الشيخ بأنه كان أشهر خطباء القطاع: كيف تصف طبيعة خطبه، والمواضيع التي كان يتحدث فيها؟

كان الشيخ محبوبًا في خطبه، كان لا يَطُولُ الناسَ، ويتطرق إلى القضايا المجتمعية، كان لا يسب ولا يشتم ولا يتطاول ولا يجرح؛ ولذلك كان الناس ينتظرون خطب الشيخ من أجل الروحانيات التي كان يبثها فيهم.

كان صوته في تلك الفترة أنقى من الفترة الأخيرة وأقوى، وكان صوته حنونًا رنانًا، كان يحث الناس على العمل للإسلام، ويركز أكثر من أي شيء آخر على قضية التربية والأخلاقيات، وعندما آتت جهوده ثمارها أصبح يحث على الجهاد والمقاومة.

❑ كيف كان قبل وفاته؟

الشيخ معجزة: تراه مريضًا لا يستطيع الحراك؛ لذلك تقول: إنه في الصباح سيموت. تأتي إليه في الصباح تراه جالسًا ووجهه يشع نورًا، ومن فضل هذا الشيخ أنه كان يداعب الصغير والكبير، ولا يُغضب أحدًا، دائمًا متفائل، وعندما تذهب إليه وتكون مهمومًا وتجلس بين يديه تجد جميع المشاكل قد انتهت.

❑ كيف كان تأثيره في الناس؟

كان بعض الشباب في قضايا الإصلاح تجده شرسًا، وكنا لا نقدر عليه؛ فنرسل به إلى الشيخ بطريقة ما، وسبحان اللَّه فما أن يجلس مع الشيخ حتى ينقلب الشباب ويصبح كرديف وسند لنا في حل المشكلة.

وحينما كان المحامي عبدالمالك دهامشة يزوره في سجنه، ويأتي إلينا لنسأله عن حال الشيخ يقول لي: الشيخ (مكيّف). نقول له: كيف؟ يقول: السجناء أجدهم يضجرون ويتأففون، وحينما أزور الشيخ أجده يضحك ويداعبني.

ويقول للمحامي: أنا بخير في روضة من رياض الله. ويقول له: كيف (ابن الداية) يقصدني أنا؟ ويقول له مداعبًا: انظر إنهم (الصهاينة) يضعون عليَّ الحراس، أنا أنام وهم يسهرون يحرسونني.

❑ يقال: إن الشيخ كان ذا ذاكرة قوية جدًّا، ما صحة هذه الأقوال؟

كان ذكيًا جدًّا، وكان اللَّه ـ تَعَالَى ـ يلهمه التقوى، صدقني كان يذكرني بأيام السجن، وعندما خرج كان يحدثنا بأحداث حصلت ونحن نسيناها، عندما كان يأتي يسلم عليه الشباب يسألونه: هل تذكرنا يا شيخ؟ فيقول: نعم! أنت فلان. يحدثنا عن أحداث حدثت قبل ١٥ عامًا يسردها كأنها حصلت قبل دقائق.

❑ هل تذكر يوم ذهبت للقائه بعد خروجه من السجن؟

عندما فرَّج اللَّه كربه جاء معه شاب من الضفة الغربية، وقال لي الشيخ: خذ هذا الشاب واصطحبه في بيتك، وأخذته وتعرفت عليه؛ وإذا بهذا الشاب كان يخدم الشيخ في سجنه، وهو من عائلة بلبول بالضفة الغربية.

قلت له: حدثنا عن الشيخ! قال لي: أنا خرجت بكرامة الشيخ. قلت له: كيف؟ قال: عندما جاء الحراس ليأخذوا الشيخ ذهبت لأعد حلوى له، وعندما رجعت لم أجده، ثم عاد، وقلت له: أين أنت يا شيخ؟ قال لي: أعدَّ نفسك، وأحزم أمتعتي وأمتعتك.

قلت له: إلى أين يا شيخ؟ قال لي: إلى أمر يعلمه الله.

وقال: بدأت أجمع كتب الشيخ وأمتعته، وبعد فترة جاء الحراس ليأخذوا الشيخ، فقال لهم: هذا الشاب سيكون معي. قالوا له: لا، أنت وحدك. قال لهم: إذًا أرجعوني إلى داخل السجن، واللَّه لا أخرج إلا ومعي هذا الشاب ـ انظر إلى الوفاء ـ. فقال لي الشاب: رفضوا بشدة، وقالوا له: هذا أمر خطير لا نقدر عليه.

قال لهم الشيخ: أنا لا أفهم هذه الأمور؛ أنا لا أعرف إلا أنني سأخرج مع هذا الشاب. فأرجعوا

الشيخ، ومكث في السجن، وهم يفاوضون القيادة السياسية والعسكرية الصهيونية لمدة ساعتين إلى أن خرجت معه بفضل اللَّه وكرمه.

وذكر لي الشاب قصة أخرى حدثت له مع الشيخ قال: في مرة جئت للشيخ وقلت له: يا شيخ! هل سمعت ماذا قالوا في التلفاز؟ يقولون: إن أحد المسؤولين العرب سوف يخرجك من السجن ـ هذا الكلام قبل أن يخرج الشيخ من السجن بعامين أو أكثر ؟.

ويضيف الشاب: نظر إليَّ الشيخ بعينه نظرة، وقال: اللهم يا رب العالمين! لا تجعل للظالمين عليَّ سبيلًا، ولا تجعل فرجي إلا بفضل منك ومِنّة منك وحدك. فقلت له مازحًا: يا شيخ! إذا قدر اللَّه لك الحرية فلا تنسني، خذني بجناحك. وبالفعل كان للشيخ ما تمنى، ولم ينسني، وخرجت معه.

❑ إِسْمَاعِيلُ هَنية: تَعَلَّمْتُ مِنْ رُفْقَتِي لِلشَّيْخِ فِي سَنَوَاتِهِ الأَخِيرَةِ أَكْثَرَ مِمَّا تَعَلَّمْتُ فِي كُلِّ حَيَاتِي:

تحدث الأستاذ إسماعيل هنية القيادي في حركة المقاومة الإسلامية حماس ومدير مكتب الشيخ أحمد ياسين عن أستاذه في سنواته الأخيرة التي رافقه فيها من خلال عمله كمدير لمكتبه.

❑ كيف كانت صفات الشيخ وأخلاقه؟

«لقد شرفني اللَّه بأن ألازمه هذه الأعوام منذ أن خرج من السجن عام ١٩٩٧م، وواللَّه لقد تربيت في تلك السنوات وتعلمت أكثر مما تربيت وتعلمت طيلة حياتي؛ فقد كانت أعوامًا مختلفة.

لقد عشت مع الشيخ وأكرمني اللَّه ـ وأنا من تلامذة تلامذة الشيخ ـ أن أكون إلى جنبه مصاحبًا ملازمًا له، لا أقول ذلك مبالغًا وتقديسًا؛ فنحن لا نعبد الرجال، ولكننا ننزلهم منازلهم.

كان الشيخ كالأب الحنون لعائلته الصغرى وعائلته الكبرى (حماس، والشعب الفلسطيني)، وأذكر أنه حين يشتد عليه المرض نجده يقول: أريد أن أزور ابنتي الفلانية. فيذهب ويُدخل عليهم السرور وهو الرجل المعذور الذي يُزار ولا يزور.

ولكنه ـ رحمه اللَّه ـ كان أبًا حنونًا يأخذ زوجته رغم كل ظروفها، ويصطحب أولاده معه ويزور

بناته وَرَحِمَهُ وَأَهْلَهُ، ولا يتخلف عنهم في أمر من الأمور.

ما أقام مناسبة في عمل إلا دعا أشقاءه الكبار ليستقبلوا معه المدعوين على طعام الغداء، وكم كان رحيمًا رءوفًا بزوجه (أم محمد)، فما أن يأتي الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، أو أبو خالد الزهار، حتى يدعوهما إلى قراءة تقاريرها الطبية؛ لأنها كانت مريضة؛ وذلك كي يسعدها ويدخل السرور إلى قلبها، ويشعرها باهتمام إخوانها بها.

أذكر يومًا جاءه شاب مسرع وقال له: إن سيارة دهست حفيده. فلم يهتز الشيخ ولم يسأل عن الذي دهسه، وإنما اطمأن على حفيده، ولم يسأل عن صاحب السيارة أبدًا ولم يطلب ملاحقته» اهـ.

❑ الجَاذِبِيَّةُ فِي شَخْصِيَّةِ الشَّيْخِ يَاسِينَ:

«**أحمد**»: أحمد ربي على أنك ـ بداخل المعمعة ـ لم تطأطئ راسك الشامخة، ولم تقدم تنازلًا قيد أنملة، ولم تخضع كغيرك بمطمع سلام ليس به عِز.. ولا حتى أثرة من ذلك، بل ولم تنهار، كما انهار سواك؛ فكانوا دون مستواك.

أحمد... أحمد ربي أنك قدمت لنا النموذج في زمن عِز علينا به مثلك..

أحمد.. أحمد ربي أنك ناضلت وناحرت، وناصرت قضيتك.

أحمد.. أحمد لك ربي أنك كنت وبقيت ومضيت على منهج لم تحد عنه، ولم تندم عليه، وقد قابلت به ربك، ناصرًا به رسالتك، ومنتصرًا به لهدفك.

أستاذي في الجهاد لن أعرف بك القارئ.. متى ولدت؟ وأين المنشأ ؟ومقدار حصيلك، أو شهادتك؟ فهي هوامش مقابل رصيدك الجهادي، ومتن مقامك النضالي، فيكفي أن يقال: «القائد الروحي لحماس» فذاك يعدل ـ أمامنا ـ كل تعريف عنك، أو ذكر خطى سيرتك، فنحن نتعلم أو نحرص على التحصيل لنصل، فما خانة ذلك أمام من وصل!! بل كيف لمن حصَّل ووصل!!

فأنت عَلَمٌ في رأسه نار أحرقت المغتصبين، وشوكة شجت حلوق الماردين، وخنجر أدمىٰ صدور الظالمي، وكسر القاعدة.

لَا يُكلِفُ اللَّهُ نَفسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ

إليك يا فخرنا هذه الكليمات في حلقي تتبعثر؛ لأنها دون ما لك في القلب النابض بسيرتك وذكرك وأثرك.

لم تمت يا أبي فأنت حي في قلوبنا، وأيضًا عند ربك: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

رحمك اللَّه وأنت تردد بصوتك الذي نعرفه، ونتلمسه بكل حواسنا: «**أملي أن يرضى اللَّه عني**»، وأبشر يا علم الجهاد - في هذا الزمن - أنك بلغت - بإذن اللَّه - مناك.

وحققها لك عدوك المحتل!!

قد يسأل إنسان عن سر الجاذبية في شخصية الشيخ أحمد ياسين، ومع أنها مزيج من طراوة دين وحسن خلق، إلا أن العناية الإلهية أودعت سرًّا عظيمًا من الجاذبية في عجزه الجسدي، وبالدقة في التباين الصارخ بين قدرته على القيادة وعجزه عن الحركة، وقوة رأيه وضعف قواه، وفتوة هيبته وشيخوخة لحيته، وأريحيته للناس، وعطائه للأمة وامتناعه عن الأخذ، وفوق ذلك كله حركة الروح الخفيفة وجمود الجسد الكلي، ولم يقف سر الجاذبية في شخصيته على المستوى الأممي عند هذا الحد، ولكنه تعداها إلى التناقض الفاضح بين طبيعة الأشياء وما ينبغي أن تكون عليه، كما هو جمود الواقع عندما تصلبت الكراسي السياسية المثقلة بالأرطال البشرية، وتحرك كرسي الشيخ ياسين السياسي وكانت جميعها فارهة على حين كان كرسيه طبيًّا من النوع الذي يلقى به للمعاقين ابتغاء الحسنة.

ألم تروا إلى شعبه العظيم كيف أمسك بقايا كرسي الشيخ وانتزع منها القوة الروحية ولوح بها فانجذب لها العالم في أنحاء الدنيا؟ ألم يلفت أنظاركم كم التقط المصورون آلاف الصور في ملايين النسخ الصحفية، وكم كتبوا من التعليقات؟ ألم تزدد جاذبيته أكثر في اللحظات الأخيرة؟ ألم تشعروا بالحزن نحو كرسي الشيخ؟.

تلك هي القدرة الإلهية التي وهبت العجز الجسدي صفة الجمال الجذاب، حتى إنه كلما ازداد ضعفًا ازداد جاذبية، وتأججت ذروتها عندما حمي الوطيس في ختام التسابيح الأخيرة[1].

---

(١) نقلًا عن «مجلة المجتمع».

❏ وَنَخْتِمُ بِمَا قَالَهُ الدُّكْتُورُ عَبْدُالْعَزِيزِ الرَّنْتِيسِيُّ ـ تَقَبَّلَهُ اللَّهُ فِي عِدَادِ الشُّهَدَاءِ عَنْ شَيْخِهِ وَأُسْتَاذِهِ يَاسِينَ

قال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي ـ رحمه اللَّه ـ: «**أنا لم أر إنسانًا في حياتي فوَّض أمره إلى اللَّه كالشيخ أحمد ياسين، فوَّض أمره لربه ـ سبحانه ـ في قسوة حياته حيث وُلد ونشأ، وفي الشلل حيث سلبه ريعان شبابه، وفي جهاده واعتقاله ومحاولات اغتياله، وأخيرًا في شهادته التي لقى اللَّه بها**».

❏ كَرَامَاتُ الشَّيْخِ يَاسِينَ:

جاء في مذكرات الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي عن كرامات الشيخ ياسين حينما كان الدكتور الرنتيسي يرافقه في زنزانته:

وكانت إدارة المعتقل تسمح لنا بالخروج إلى ساحة مغلقة في كل يوم تُسمَّى «الفورة» فيتمدد فيها الشيخ مستندًا بظهره إلى الجدار، بينما كنت وزميلي ـ الذي تم تغييره حيث أُحضِر الأخ «نصر صيام» بدلًا من المهندس ـ نتمشى في الفورة وكانت هذه الفورة في أوقات أُخرى من اليوم تستخدم من قبل سجناء جنائيين من يهود وفلسطينيين، وكانوا لا يهتمون بالنظافة مما أدى إلى امتلاء الفورة بالبراغيث، فذات يوم اكتشفت أن حشرات تقفز على ملابسي فأخبرت صاحبي فوجدته يعاني نفس الشيء، وقد تبيَّن لنا أنها براغيث، فذهبت إلى الشيخ أنظر حاله فلم نجد برغوثًا واحدًا على ثيابه، وشكونا الحال إلى إدارة المعتقل ولكن عبثًا، واستمر الوضع قرابة الأسبوعين عندما نصل إلى الفورة تقفز إلينا البراغيث بأعداد كبيرة، فقد كنت أقتل منها يوميًّا قرابة العشرة براغيث، والعجيب أنها كانت على مدى الأسبوعين لا تقترب من الشيخ، فسألته مداعبًا: ترى ما السبب؟ فقال: إنها تبحث عن السمان. فضحكت وقلت له: بل صدَّها اللَّه عنك لأنه يعلم أنك لا تستطيع حك جلدك. فضحك الشيخ وضحكنا.

❏ اسْتِجَابَةُ الدُّعَاءِ:

«ومن عجائب هذه الفترة التي امتدت أربعة أشهر ونصف الشهر أنه في يوم الجمعة كنا نستقبل أهلنا في زيارة عائلية؛ حيث يحضرهم الصليب الأحمر في سيارة خاصة، وفي أحد أيام الجمعة تم

استدعاؤنا لزيارة الأهل، وهناك في مكان الزيارة فوجئت أن أهلي لم يحضروا بينما حضر أهل الشيخ وأهل الأخ «نصر»، فمضى وقت الزيارة وهو نصف ساعة بطيئًا جدًّا؛ حيث أَنَّ أهل الشيخ وأهل زميلي كانوا يجاملونني على حساب زيارتهم، وأخذت أذهب بعيدًا في التفكير مسائلًا نفسي عن سبب تأخرهم وبدا عليَّ أثر الهمِّ وعدنا من الزيارة إلى الفورة. فقال لي الشيخ: ما بالك مهمومًا؟ فقلت له: لا أدري سببًا لتأخرهم، فهم لم يتأخروا يومًا من قبل. فقال: وهل هذا أمر يستحق الاهتمام؟!، فقلت: ولِمَ لا؟ فقال: اعتبرهم ماتوا. فقلت له: أنا لا أستطيع ما تستطيعه. وتركته وانتحيت جانبًا في إحدى زوايا الفورة بعيدًا عن الشيخ، ورفعت الأكفَّ ضارعًا إلى الله، وقلت: «**اللهم إن كنت راضيًا عن خدمتي للشيخ فطمئني على أهلي، فوالذي فطر السماء والأرض إذا بشرطي يناديني ويداي مرفوعتان ليقول: تعال للزيارة فقد حضر أهلك! والذي زاد من دهشتي أن هذا الشرطي لم أره من قبل، فإذا به ونحن منطلقين إلى الزيارة يقول لي: «اهتم بالشيخ»**، وكأن اللّٰه ألهمه أن يقول ذلك كي أعلم أن زيارة الأهل كانت استجابةً للدعاء!!» اهـ.

ذلكم هو أحمد ياسين ولي اللّٰه الذي بث الرعب في قلوب اليهود حتى وهو في سجنه حتى يقول الدكتور الرنتيسي عند دخوله لزنزانة الشيخ للإقامة معه: «**صُدِمت عندما وصلت باب الزنزانة وذلك لأن الباب كان موصدًا بالمزلاج وفوق ذلك عليه ثلاثة أقفال؟!**» فقلت للشرطي: الشيخ لا يستطيع الحركة فلماذا كل هذه الأقفال؟! فقال «**إنها الأوامر**».

❑ نُورُ الشَّيْخِ أَسْطَعُ مِنْ لَمْعِ الصَّوَارِيخِ لِلدُّكْتُورِ الرَّنْتِيسِيِّ

قال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي بعد استشهاد الشيخ ياسين:

«**لقد كان الشيخ أحمد رمزًا إسلاميًّا كبيرًا في حياته، وقد أصبح باستشهاده معلمًا بارزًا فريدًا في تاريخ هذه الأمة العظيمة، لم يخبرنا التاريخ عن قائد صنع من الضعف قوة كما فعل هذا العالم المجاهد، هذا القائد الذي لم يؤمن يومًا بالضعف المطلق لأي كائن بشري، ولا بالقوة المطلقة لكل من يتصف بأنه مخلوق؛ لأن القوة المطلقة هي من صفات الخالق ـ سبحانه ـ**: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

فالشيخ المؤسس لحركة المقاومة الإسلامية قد بلغ الثامنة والستين من العمر قبل أن تغتاله عصابات القتل اليهودية الصهيونية، ولقد أمضى منها ثلاثة وخمسين عامًا مشلولًا شللًا تامًا، فجميع العضلات من جسمه فيما هو أدنى من مستوى العنق قد أصاب قوتها الضعف الشديد بسبب حادث عرضي أدى إلى كسر عنقه، ثم ما لبث أن أصبح جسده الطاهر بلا حركة، فإذا بالشيخ وقد فقد الحركة يؤسس حركة أَرَّقَتْ مضاجع أعداء اللَّه وأعداء المسلمين، فصنع من جسده الضعيف قوة يحسب لها ألف حساب.

لقد استنهض الشيخ القعيد الشعب الفلسطيني المستضعف الذي لا يملك من أسباب القوة ما يدفع به عن نفسه شرور اليهود الصهاينة الذين لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة، فنهض الشعب الفلسطيني ليقارع الاحتلال بالحجر والسكين، ثم بالبندقية، ثم بحمم قذائف الهاون وصواريخ القسام، فصنع من ضعف هذا الشعب قوة لم يعد في مقدور محور الشر الصهيوأمريكي تجاهلها، وبدأ هذا المحور الإرهابي الظالم في الشعور بالقلق الشديد على مستقبل مخططاته الشيطانية، خاصة أن الشعب الفلسطيني بانتفاضته وصموده قد استعصى على الكسر في الوقت الذي ضعفت فيه الأمة عن مواجهة محور الشر، هذا وهو يكيل لها الصفعات صباح مساء، بل وضعفت عن نصرة هذا الشعب المنتفض المرابط الذي اعتمد على اللَّه أولًا، ثم على ما قام به هذا الشعب من لملمة لبقايا أسباب القوة.

وأما المفاجأة الكبرى فقد تجسدت في العمليات الاستشهادية التي صنعت من أجساد الرجال قنابل كان لها وقع الصاعقة على قادة الإفساد والتخريب والقتل من صهاينة وصليبيين، لقد عجزت الترسانة العسكرية الصهيونية بما تملك من أسلحة الدمار عن التصدي لهذا السلاح الذي قضى على أحلام اليهود الصهاينة في البقاء في فلسطين.

وهكذا تحول ضعف الأجساد للرجال وللنساء على سواء إلى سلاح إستراتيجي وجد فيه الضعفاء ملاذهم الأهم للدفاع عن أنفسهم في مواجهة فِرَقِ الموت الصهيوأمريكية التي باتت في فَرَقٍ من انتشار ثقافة العمليات الاستشهادية بين صفوف المستضعفين في العالم، وبدأت تشعر تلك الفرق المتوحشة أن ما يصبون إليه من بسط نفوذهم على أمتنا العربية والإسلامية ومن ثم على العالم بات أمرًا صعب المنال.

من أجل كل ذلك تجرأ اليهود أعداء الله على دم الشيخ كما تجرءوا من قبل على دماء الأنبياء والصالحين، لقد أرادوا بما يحملون من فكر شيطاني أن يجففوا نبع القوة، ومصدر الإشعاع الروحي والجهادي، عنوان الصمود والثبات والصبر، الذي أحيا الأمل في نفوس المستضعفين، وقد استطاع أن يحرك كل من حوله في وقت لا يملك هو فيه أن يحرك إلا عقله ولسانه، فهل حقق الصهاينة ما يريدون؟

لقد أخطأ قتلة الأنبياء الهدف وعلى ما يبدو أنهم لا يتعلمون من عبر الماضي، ولا ينتفعون من أخطائهم السابقة، لقد قتلوا الأنبياء من قبل ولكنهم فشلوا في إطفاء النور الذي جاء به الأنبياء، وما قتلوا الأنبياء إلا لأنهم يعشقون الظلام، وكانوا يهدفون من قتل الأنبياء الحفاظ على العتمة التي تشكل البيئة المناسبة لبقائهم.

فلن يكون هناك وجود لأمثال هذا العفن البشري إذا ما انتشر الضياء.

فماذا جنى هؤلاء القتلة اليوم من محاولة إطفاء النور المنبعث من هذا الجسد النحيل جسد الشيخ المجاهد أحمد ياسين؟ وهل نجح عشاق الظلام في إطفاء الشعلة؟ وما هي نتيجة ما اقترفوا من جريمة؟

أولًا: لقد جلبوا لأنفسهم غضب الله الذي يغار على أوليائه، وهو القائل في كتابه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، والقائل في الحديث القدسي «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**». أنا واثق أنهم سيسخرون من هذا القول، ولكننا ندرك ماذا يحمل هذا القول من تهديد مزلزل للمفسدين في الأرض، كما ندرك أنه الحق وما وراءه الباطل.

ثانيًا: لقد بقي الشيخ حيًّا فيما يحمل من فكر لا يقبل الظلم ولا يستسلم لمعاول الهدم والتخريب الإرهابية، لقد تجذرت مبادئه وترسخت في قلوب مريديه وتلاميذه، وسيقول أصحابه كما قال أصحاب محمد عندما ذاع نبأ استشهاده في موقعة أحد: «**موتوا على ما مات عليه**»، لقد استشهد الشيخ وغاب بجسده الطاهر ولكن لم تغب روحه الاستنهاضية، ولم تغب حجته التي أقامها على الأمة التي تتذرع بالضعف فتستسلم مستكينة أمام جزاريها، لقد غاب الشيخ عن الأنظار ولم يغب عن قلوب الملايين الذين آمنوا بفكره الجهادي، وفكره السياسي، فضلًا عن

فكره الإيماني الراسخ، بل لا أبالغ إن قلت: إن استشهاد الشيخ قد عمق حضوره بيننا، وزاد من وثوق مريديه بما بَشَّرَنَا به من نصر وتمكين.

ثالثًا: لقد برهن اليهود باغتيالهم الشيخ على كرسيه المتحرك أنهم أنذال جبناء، فالعملية فوق كونها استهدفت شيخًا قعيدًا، إلا أنها ـ أيضًا ـ لم تظهر أي إبداع عسكري أو استخباري، فالشيخ كان في طريقه من المسجد إلى البيت أمام الأنظار، ثم لم يترددوا في استخدام الطائرات الأمريكية الصنع في قصف كرسيه المتحرك، كل ذلك إنما يدل على حقارة كانت وما زالت من صفات الصهاينة اليهود، وحتى تكتمل حلقات العار الذي لحق بهم من جراء ارتكابهم هذه الجريمة البشعة خرج كبير إفكهم مزهوًّا يبارك ما تخجل من فعله النفوس الآدمية السوية مما زاده عارًا على عار، لقد مسخت هذه الفعلة النكراء صورة اليهود بدرجة غير مسبوقة، كما مسخ إخوانهم من قبل فكانوا قردة خاسئين.

رابعًا: لقد أججت هذه الجريمة النكراء الحقد على اليهود الصهاينة والصليبيين الأمريكان في نفوس المسلمين، بل ونفوس غير المسلمين ممن يحتفظون بشيء من صفات البشر، مما سيكون له أثره في المستقبل بالفعل التراكمي لما يقوم به أعداء اللَّه من اعتداءات متواصلة على الأمة العربية والإسلامية.

خامسًا: لقد وضعت هذه الجريمة النكراء كل المتساوقين مع المشاريع الأمريكية والصهيونية في قفص الاتهام، وأستطيع القول أن المخططات التصفوية للقضية الفلسطينية والوجود الفلسطيني قد لفظت أنفاسها الأخيرة مع صعود أنفاس الشيخ إلى بارئها.

سادسًا: قد يضحك القتلة ملء أشداقهم اليوم بفعلتهم الشنعاء، ولكن أذكرهم بما ينتظرهم مما يجعل قول اللَّه ﷻ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢] كأنه إنما نزل بهم. أهـ كلام الشيخ عبد عبدالعزيز الرنتيسي ـ غزة (٢٣/٣/٢٠٠٤).

هذه هي العبر والعظات وأهم الدروس التي تعلمتها الأمة من الشيخ ياسين فارعها قلبك لعلّ الله يبارك فيها وفي قارئها وتجعل منه «ياسين المستقبل» فحبوب سنبلة تجف ستملأ الوادي سنابل.

الْبَابُ الثَّالِثُ
الصَّبْرُ الْجَمِيلْ لِيَاسِينِ النَّبِيلْ

أَنَا فِي مَدَارِ الشَّمْسِ رَغْمَ سِيَاطِكُمْ رَغْمَ الْحَدِيدِ الْمُرِّ وَالْقُضْبَانِ

«أشهد أنه ـ أي الشيخ ياسين ـ أصبرُ من عرفت، ومن أراد أن يعرف معنى الصبر الجميل فعليه أن يصاحب هذا الرجل»

«من كلام د. الرنتيسي عن الشيخ ياسين»



الصَّبْرُ الجَمِيلْ لِيَاسِينِ النَّبِيلْ

أَنَا فِي مَدَارِ الشَّمْسِ رَغْمَ سِيَاطِكُمْ رَغْمَ الحَدِيدِ المُرِّ وَالقُضْبَانِ

لله در الشيخ **أحمد ياسين** وهو يقدم أعظم الدروس لأمته وللدعاة في صبره الجميل العجيب.

لقد عرف الطريق إلى الإمامة في الدين؛ إذ هي منوطة بالصبر واليقين؛ قال - تَعَالَى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

قال ابن تيمية: «إنما تنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين». وقال سفيان بن عيينة: «لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسًا».

وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: **«وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»**.

وأخبر رسول الله ﷺ أن الصبر ضياء.

وأخبر الله - تَعَالَى - عن محبته للصابرين، ولقد بشر الصابرين بثلاث، كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون، فقال - تَعَالَى -: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

وقال سليمان بن القاسم: كل عمل يُعرف ثوابه إلا الصبر؛ قال - تَعَالَى -: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ قال: كالماء المنهمر.

وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الجنة، لا يُعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

وكم كان **ياسين** كريمًا على ربه؛ لعظم يقينه وجميل صبره، ولقد كان ياسين في الذروة في صبره على المرض، والصبر على السجن والبلاء، والصبر على الطاعة والدعوة والاستقامة على الصراط.

* * *

صَبْرُ يَاسِينَ عَلَى الْمَرَضِ وَالْبَلاءِ

يضرب الشيخ أحمد ياسين أروع الأمثلة في الصبر العجيب على المرض، وهو يعلم ويُعلِّم الأمة أن الصبر على البلاء بضاعة الصدِّيقين؛ فإن ذلك شديد على النفس، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«أَسْأَلُكَ مِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيَّ بِهِ مَصَائِبَ الدُّنْيَا»** (١)، فهذا صبر مستنده حسن اليقين.

وصبر **ياسين** وتحمله المشاق، وتجشُّمه المكاره بالصبر دليل على صحة محبة **ياسين** لربه.

وهو يعلم حديث رسولنا ﷺ: **«أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، لَقَدْ كَانَ أَحَدُهُم يُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَجُوبُهَا** (٢)**، فَيَلْبَسُهَا، وَيُبْتَلَى بِالْقُمَّلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ، وَلأَحَدُهُم كَانَ أَشَدَّ فَرَحًا بِالْبَلاءِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ»** (٣).

❑ دَرْسٌ نَبِيلٌ مِنْ يَاسِينَ لِكُلِّ مُبْتَلًى.. صَبْرٌ لَا شَكْوَى مَعَهُ:

كتم سبب إصابته بالشلل عن أهل بيته؛ كما قال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي: قدوته الأحنف بن قيس؛ ذهبت عينه أربعين سنة ما شكاها إلى أحد

وَإِذَا شَكَوْتَ إِلَى ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا ... تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لا يَرْحَمُ

قال رسول الله ﷺ **«لَيَوَدَّنَّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ، مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلاءِ»** (٤).

صبر **ياسين** صبر الكرام على قضاء الله وقدره ملاحظًا حسن الجزاء، متلمحًا العواقب، ومطالعًا الغايات، ذاكرًا سوالف نعم الله عليه، معددًا أيادي المنن.

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي، والحاكم وصححه من حديث ابن عمر.

(٢) أي: يقطع وسطها ليلبسها.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه وأبو يعلى في مسنده، والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد، وكذا رواه ابن سعد، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٣١.

(٤) حسن: رواه الترمذي والضياء عن جابر، ورواه الخطيب وابن عساكر والطبراني في الكبير عن ابن عباس، وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٢٠٦)، وفي صحيح الجامع رقم (٥٤٨٤).

☐ الشَّيْخُ أَحْمَدُ يَاسِين يَسِيرُ عَلَى دَرْبِ أَبِي قِلَابَةَ الْجُرْمِيِّ تِلْمِيذِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -:

قال الذهبي في سيره عن أبي قلابة: «إن أبا قلابة ممن ابتلي في بدنه ودينه؛ أريد على القضاء فهرب إلى الشام، فمات بعريش مصر سنة أربع، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره، وهو مع ذلك حامد شاكر».

وقد روى ابن حبان قصة صبره الكريم الجميل النبيل؛ قال ابن حبان: «حدثني بقصة موته محمد بن المنذر بن سعيد، قال: حدثني يعقوب بن إسحاق بن الجراح، قال: حدثني الفضل بن عيسى، عن بقية بن الوليد، حدثني الأوزاعي، عن عبدالله بن محمد، قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا، وكان رباطنا يومئذ عريش مصر. قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة[1]، وفي البطيحة خيمة، فيها رجل قد ذهبت يداه ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وماله جارحة تنفعه إلا لسانه، وهو يقول: «اللهم أوزعني أن أحمدك حمدًا، أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ، وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلًا». قال الأوزاعي: قال عبدالله: قلتُ: واللَّه لآتينَّ هذا الرجل، ولأسألنه أنَّى له هذا الكلام، فَهْم أم عِلْم أمْ إلهام أُلهِمَ؟ فأتيت الرجل فسلَّمت عليه، فقلت: سمعتُك وأنت تقول: «اللهم ... تفضيلا»، فأيَّ نعمة من نعم اللَّه عليك تحمده عليها، وأيَّ فضيلةٍ تَفضَّل بها عليك تشكره عليها؟ قال: وما ترى ما صنع ربي؟! واللَّه لو أرسل السماء عليَّ نارًا فأحرقتني، وأمر الجبال فدمَّرتني، وأمر البحار فأغرقتني، وأمر الأرض فبلعتني، ما ازددت لربي إلا شكرًا؛ لما أنعم عليَّ من لساني هذا، ولكن يا عبداللَّه إذْ أتيتني، لي إليك حاجة، قد تراني على أيِّ حالة أنا، أنا لست أقدر لنفسي على ضُرٍّ ولا نفع، ولقد كان معي بنيٌّ لي يتعاهدني في وقت صلاتي، فيوضّيني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدتُه منذ ثلاثة أيام، فتحسَّسُه لي رحمك الله. فقلت: والله ما مشىٰ خلقٌ في حاجةِ خلقٍ، كان أعظم عند الله أجرًا ممَّن يمشي في حاجةِ مثلك. فمضيتُ في طلب الغلام، فما مضيتُ غيرَ بعيدٍ، حتى صرتُ بين كثبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سَبعٌ وأكل لحمه، فاسترجعتُ وقلت: أنَّىٰ لي وجهٌ رقيقٌ آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه، إذْ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي ﷺ فلمَّا أتيته

---

(١) البطيحة: المكان المتسع يمرُّ به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار. ومثله «الأَبْطَ» و «البَطحاء».

سلمت عليه، فردَّ عليّ السلام، فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرمُ على الله أم أيوبُ النبي؟ قال: بل أيوب النبي. قلت: هل علمت ما صنع به ربُّه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده، قال: بلى. قلت: فكيف وَجَدَه؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا. قلتُ: لمْ يَرضَ منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربُّه؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا. قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيّره عرَضًا لمارّ الطريق، هل علمت؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابرًا شاكرًا حامدًا، أوجز رحمك الله. قلت: إنَّ الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل، وقد افترسه سبعٌ فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر. فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقًا يعصيه، فيعذبه بالنار. ثم استرجع، وشهق شهقة فمات، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، عظمت مصيبتي، رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع، وإن قعدتُ، لم أقدر على ضرٍّ ولا نفع. فسجَّيته بشملة كانت عليّ، وقعدت عند رأسه باكيًا، فبينما أنا قاعدٌ إذ تهجَّم علي أربعة رجال، فقالوا: يا عبد الله، ما حالك؟ وما قصَّتُك؟ فقصصتُ عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه، فعسى أن نعرفه. فكشفت عن وجهه، فانكبّ القوم عليه، يقبلون عينيه مرة، ويديه أخرى، ويقول: بأبي عينٌ طالما غُضّتْ عن محارم الله، وبأبي جسم طالما كان ساجدًا والناس نيام. فقلت: من هذا يرحمكم الله؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي، صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي ﷺ. فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا، وصلينا عليه ودفناه. فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جنَّ علي الليل، وضعت رأسي، فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة، وعليه حلتان من حلل الجنة، وهو يتلو الوحي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤]، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى. قلت: أنّى لك هذا؟ قال: إن لله درجات لا تنال إلى بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية»(١).

وهذه همة إمام تستمطر الدمع... لسان حاله يقول: «إذا علمت أن لطف اللطيف لا ينفك عنه أبدًا، وأن اللطيف لطيف على الدوام، صار المنع عين العطاء».

* وانظر إلى الشيخ **ياسين** يصاب بالشلل منذ ١٥/٧/١٩٥٢م حتى يوم استشهاده؛ اثنان

(١) الثقات لابن حبان ٥/٢-٥.

وخمسون عامًا.. منها استخدام للكرسي المتحرك منذ عام ١٩٨٤م ياالله.. نعم الصابر أنت.. وبالإضافة إلى الشلل التام فإنه ـ رحمه الله ـ كان يعاني من أمراض عدة؛ منها: «فقدان البصر في العين اليمنى بعد ضربه عليها أثناء التحقيق، وضعف شديد في قدرة الإبصار للعين اليسرى، التهاب مزمن بالأذن» التهاب في العظام الخلفية للأذن، وهذا الالتهاب متجه إلى المخ، وحساسية في الرئتين، وأمراض والتهابات باطنية ومعوية ـ لسان حاله مع هذا يقول مستسلمًا راضيًا بأمر ربه:

عَذَابُهُ فِيكَ عَذْبُ ... وَبُعْدُهُ فِيكَ قُرْبُ
وَأَنْتَ عِنْدِي كَرُوحِي ... بَلْ أَنْتَ مِنْهَا أَحَبُّ
حَسْبِي مِنَ الحُبِّ أَنِّي ... لِمَا تُحِبُّ أُحِبُّ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ، فَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ إِسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ**»(١).

وعن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِي وَصَبَرَ عَلَى مَا بَلَيْتُهُ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ** عز وجل لِلْحَفَظَةِ: إِنِّي أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي هَذَا وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا لَهُ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الأَجْرِ وَهُوَ صَحِيحٌ»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: إِذَا سَلَبْتُ مِنْ عَبْدِي كَرِيمَتَيْهِ**(٣) **وَهُوَ بِهِمَا ضَنِينٌ لَمْ أَرْضَ لَهُ بِهِمَا ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ، إِذَا حَمِدَنِي عَلَيْهَا**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في سننه، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٢)، وصحيح الجامع (٤١٧٧).

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده، وأبو يعلى، والطبراني في المعجم الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والألباني في الصحيحة رقم (٢٠٠٩)، وصحيح الجامع رقم ٤١٧٦.

(٣) أي عيناه.

(٤) حسن: رواه الطبراني في المعجم الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن عرباض، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٠١٠)، وصحيح الجامع رقم (٤١٨١).

فِي عَصْرِنَا صِدِّيقٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ يَاسِين: الصَّبَّارُ فِي السُّجُونِ وَالْمُعْتَقَلاتِ

نعم، كم كان صبر **ياسين** جميلًا وهو يقضي شطرًا كبيرًا من حياته بين أقبية السجون.. فكان ـ رحمه الله ـ رهين المحابس؛ محبس الشلل، ومحبس السجن، ومحبس العمى، وضعف السمع.

● اعْتِقَالُ السُّلُطَاتِ الْمِصْرِيَّةِ لَهُ فِي ١٩٦٥م:

«السجن من العقوبات القديمة، وهو عريق في مصر خصوصًا، فأنت تجد قوم نوح هددوه بالرجم، وقوم لوط هددوه بالإخراج، وقوم إبراهيم أرادوا إحراقه، ولم نسمع بأمة قبل المصريين القدماء تهدد وتعاقب بالسجن، فسجنوا يوسف، وقال فرعون لموسى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، والسجن الطويل عقوبة فظيعة مدمرة؛ لذا لم يرد لها ذكر في الحدود الشرعية في الإسلام، وإنما كان في فترة مؤقتة عقوبة للزواني، ولم يكن حبسًا في سجن بل في البيوت؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [النساء: ١٥]، ونُسخ ذلك بالجلد والرجم كما قال النبي ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي.. خُذُوا عَنِّي.. قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا؛ الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِئَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِئَةٍ وَالرَّجْمُ**»(١). ولم يرد في الإسلام حبس طويل. واتخذ عمر سجنًا بمكة، لكن لم يُعرف عنه قط حبس لمدة طويلة كالسنوات المؤبدة، تلك العقوبات الجائرة التي اخترعها الغرب»(٢).

يقول الشيخ **ياسين** عن اعتقال السلطات المصرية له في أيام عبدالناصر: «وأنا في غزة اعتقلت في ١٨/١٢/١٩٦٥م، واستمر اعتقالي لمدة شهر، وأُفرِج عني بعد ذلك.

أنا لم تكن لي علاقات بقيادات إخوانية، أنا كنت إنسانًا أدعو إلى الإسلام وأحب الإسلام

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٠) في الحدود ـ والترمذي ـ في الحدود (١٤٣٤)، وأبو داود في الحدود (٤٤١٥)، وابن ماجه (٢٥٥٠)، وأحمد في المسند (١٥٤٨٠)، والدارمي (٢٣٢٧).

(٢) «تأملات إيمانية في سورة يوسف» للدكتور ياسر برهامي ص (١٠٢ـ ١٠٣) دار الإيمان.

ينتشر، وهذه طريقتي في العمل، لم يكن يعنيني من القيادات أو كذا، لكن ـ طبعًا ـ أنا حينما اطلعت على التهمة المسجلة في الورقة التي حملها الضابط الذي أخذني إلى السجن فوجدت فيها الإخلال بالأمن، التهمة كانت الإخلال بالأمن، فأنا ضحكت، وطبعًا الحمد لله مكثت شهرًا، هم حققوا معي على أساس علاقتي بالإخوان، وكيف كانت علاقتي، وأنا قلت لهم: ليس لي علاقات، ولم يكن هناك تهمة ثابتة في ذلك الوقت فأفرجوا عني بعد شهر»(١). وكان ذلك السجن في سجن غزة المركزي، وكان تحت القيادة المصرية، وكان مسئول المخابرات فلسطينيًّا في غزة في ذلك الوقت.

قال الشيخ **ياسين:** «والله، هم سألوني عن علاقاتي بأشخاص معينين، فمنهم من اعترفت أنَّ لي علاقات معهم، ومنهم من لم تكن لي علاقات معهم، وأنا قلت لهم: ليس لي علاقة في ذلك الوقت بالإخوان، سألوني عن بعض الأنشطة التي كنت أقوم بها والكتب التي كنت أقرأها، حتى كانوا ينكرون عليَّ أني كنت أحمل كتاب «خلق المسلم» للأستاذ محمد الغزالي في ذلك الوقت، يعني وأنا كنت مستغربًا جدًّا، والشيء الثاني أني أنا وُضِعْتُ لوحدي في غرفة انفرادية مساحتها (٦ × ٨) تساوي ٤٨ مترًا مربعًا وأنا لا أستطيع أغطي نفسي، ولا أستطيع أعمل أي شيء... يعني إذا أردت أن أنام أحتاج إلى نصف ساعة حتى أفرش البطانيات، حتى أضع جنبي حتى أضع رأسي... كنت أضع حذائي تحت رأسي كوسادة.

أحمد منصور: لم تكن تقدم لك أي مساعدة؟

أحمد ياسين: لا.. لا، لم يكن أحد يساعدني، يعني كنت أعاني من أنه ليس لي مساعد في ذلك الوقت، وطبعًا كان الغطاء قليلًا بطانيتين في (أربعينية) في ١٢... في شهر يناير، فعانيت بعض الشيء من البرد، بينما التحقيق لم يكن بالنسبة لي سوى عملية أخذ وعطاء، كان بالنسبة لي مجرد حوار»(٢).

صَبْرًا أَخِي فِي مِحْنَتِي وَعَقِيدَتِي ... لَا بُدَّ بَعْدَ السَّجْنِ مِنْ تَمْكِينِ
وَلَنَا بِيُوسُفَ أُسْوَةٌ فِي أَسْرِهِ ... لَمَّا قَضَى فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينِ

(١) الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (٥٢).
(٢) المصدر السابق ص (٥٣).

❑ «وَلَا يُنْبِيكَ مِثْلُ سَجِينٍ»:

كتبت أنا في السجن:

أَيُتْرَكُ مَنْ يَعِيثُ بِأَرْضِ مِصْرَ ... وَيُسْجَنُ مَنْ رَضِي الْإِسْلَامَ دِينَا

وَلَيْسَ السَّجْنُ حَبْسُ الْجِسْمِ قَهْرًا ... فَذَا أُنْسٌ بِرَبِّ الْعَالَمِينَا

سَجِينٌ مَنْ نَأَى عَنْ شَرْعِ رَبِّي ... سَجِينُ الرُّوحِ عَنْ هَدْيِ الْأَمِينَا

والله، إن أجمل فترات حياة المرء هي التي قضيتها خلف القضبان في سبيل الله؛ منها أربعة أشهر بسبب مؤلفي «اليهود إخوان الخنازير والقرود»، ويعلم اللَّه أن لذة الذكر والمناجاة والسجود وقيام الليل وفراغ القلب من كل شيء يشغل عن اللَّه ﷻ، وعكوف القلب وجمعيته على سيده ومولاه لا تساويها كنوز الدنيا، يمثلها أصدق تمثيل قول النبي ﷺ: «**وَلَأَحَدُهُم كَانَ أَفْرَحَ بِالْبَلَاءِ إِنْ نَزَلَ بِهِ مِنْ فَرَحِ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ**».

ولله در شيخ الإسلام ابن تيمية حين يقول: «لو يعلمون ما أسدوْا إليَّ من الجميل بسجنهم إياي في القلعة(١) ما كافأتهم عليها بملء القلعة ذهبا»، وقوله ـ رحمه اللَّه ـ: «ما يصنع أعدائي بي.. أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحت فهي معي، أن معي كتاب اللَّه وسنة نبيه، إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن سجنوني فأنا في خلوة مع ربي، وإن نفوني عن بلدي فنفيي سياحة، إن المحبوس من حُبس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه».

يا لها من أوقات طيبة ذاق فيها الإنسان طعم الإيمان، وباشر فيها الإنسان حلاوة التسليم لمولاه والرضا به، وبارك اللَّه فيمن قال وهو في سجنه:

حَذَارِ أُخَيَّ إِيَّاكَ ... مِنَ الْأَحْزَانِ تَغْشَاكَ

فَإِنَّ الْهَمَّ مُنْفَرِجٌ ... وَلَيْسَ الرَّبُّ يَنْسَاكَ

حَذَارِ أُخَيَّ مِنْ يَأْسٍ ... يَلُوحُ عَلَى مَحَيَّاكَ

وَلَا تُبْدِي وَلَا تَرْفَعْ ... لِغَيْرِ اللَّهِ شَكْوَاكَ

---

(١) قلعة دمشق.

فَـإِنْ أَحْـسَـنْـتَ يَـا حِـبِّـي فَـإِنَّ الـلَّـهَ يَـرْعَـاكَ

«إن الحرية حريتان، والحبس حبسان؛ حرية للروح والبدن، وحبس للروح والبدن، فلو قدر الناس على حبس البدن، فلا يقدرون على حبس الروح»(١).

يقول الدكتور ياسر برهامي ـ حفظه اللَّه ـ: «السجن لأهل الإيمان مكان فُرِّغوا فيه لذكر اللَّه وعبادته، وانقطعت فيه علائق الأسباب بغير ربهم، فهو وحده الذي يرجونه ويؤملونه ويتضرعون إليه ويعبدونه، يكاد الشيطان يتميز غيظًا عليهم؛ لما يرى من رحمات اللَّه عليهم وأفضاله النازلة إليهم، فأنى أن ينسيهم ذكر ربهم، وليس لهم في سجنهم ملجأ ولا منجى إلا إليه، ولا أنيس لهم سواه؟»(٢).

قال ـ تَعَالَى ـ عن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، والبضع من ثلاث إلى تسع، وفي هذا أعظم تسلية للمظلومين في السجون، فإن أكرم الناس بقي في السجن بضع سنين مع كرامته على اللَّه ومنزلته عنده.

فلو كان السجن إهانة دائمًا لما قدَّره اللَّه على نبيه الكريم يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ، بل كان السجن شرفًا ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبه صار أسوة لكل كريم ابتُلي بالسجن ظلمًا؛ ليصبح السجن له كقشرة البيضة للفرخ بداخلها، قد يحسب الجاهل أنها سجن له، وإنما هي حماية ووقاية حتى يكتمل نموه، فينقر القشرة نقرة أو نقرتين، فإذا هو خلق جديد سميع بصير، حتى يتحرك في فضاء الدنيا بعد أن كان صفارًا وبياضًا، ولو كُسِرت القشرة قبل الموعد المقدَّر، لكان أعظم الضرر على الفرخ وكان فيه هلاكه؛ إذ لم يستكمل نموه، فكذلك قلب المؤمن يحتاج إلى النماء ـ نماء حقائق الإيمان فيه ـ، والتزكية التي بُعث من أجلها رسول اللَّه ﷺ تتضمَّن معنى النماء، ومعنى الطهارة، فالنفس تحتاج إلى طهارة وتنقية ربما لا تبلغها الأعمال، فيكون البلاء لقلب المؤمن ونفسه سببًا للنماء والطهارة حتى إذا جاء الأجل الذي قدَّره العليم الخبير العزيز الحكيم، خرج المؤمن بقلب جديد قد وُلِد من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ومن ضيق الشهوات واتباع العوائد وأسْر التقاليد إلى

---

(١) تأملات ايمانية في سورة يوسف ص (١٠٧).

(٢) المصدر السابق ص (١٣٦).

سعة الإخلاص واتباع رضوان الله، ومن ذل عبودية العباد إلى عِزِّ العبودية لرب العباد، قد امتلأ حياة وسمعًا وبصرًا وحركة في فضاء التوحيد.

ووالله، لقد كان السجن شرفًا وعزًّا ليوسف عليه السلام؛ ازداد فيه إيمانًا وعلمًا وقربًا من ربه عز وجل، وازداد زهدًا في الدنيا واستهانة بها، فقد دخل السجن وهو أحبُّ إليه مما يدعونه إليه، وكان في هذا قمة عالية، وكان يسعى للخروج منه، وبعد السنوات التي قضاها انتقل إلى قمة أعلى، أشار إليها النبي ﷺ بتواضعه العظيم حيث يقول: «**وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِي**»(١)؛ أي: داعي الملك الذي بلغه طلبه، فقال له يوسف: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، فقد صار عنده الأمر أقرب مما كان، السجن والملك ليس الفرق بينهما كبيرًا، طالما كانت الطاعة وطلب أجر الآخرة، وليس هنا بالأمر الهين أن يصل الإنسان إليه، وأن تكون الدنيا بسعتها وضيقها عنده ليست هي مبلغ الهم وأكبر الهمِّ، لا ينافس في عزِّها، ولا يجزع من ذلها، صارت عنده كما هي عند اللَّه ـ سبحانه ـ لا تساوي جناح بعوضة، كما قال رسول اللَّه ﷺ «**لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تُسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»(٢)أو كجدي أسك ـ أي صغير الأذنينْ ـ ميت كما مرَّ النبي ﷺعلى جدي أسك ميت قال لأصحابه: «**أَيُّكُمْ يَوَدُّ أَنَّ لَهُ هَذَا بِدِرْهَمٍ؟**» قالوا: يا رسول الله، لو كان حيًّا كان عيبًا فيه أنه أسك، فكيف وهو ميت؟ ما نود أنه لنا بشيء، قال ﷺ «**الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»(٣).

صار يوسف عليه السلام لا يبالي كثيرًا بالبقاء في سجنه؛ لما نال فيه من أنواع القرب والحب والود والكرامة من ربه عز وجل، فصار عافية في حقه من جهات، وإنْ كان بلاءً من جهة، وكذلك المؤمن بثقته في جزاء المصيبة عند ربه الكريم الذي لا يُخلف وعده للصابرين، وبانتظاره روح الفرج الذي يجد به من لذة حسن الظن باللَّه ورجاء فضله، وبشهوده نعم اللَّه عليه حال نزول المصيبة، وما أبقى له من المنن السابقة وما جدَّد من عطايا اليسر ما يجعله فعلًا قد عظمت عنده العافية وهانت

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١)، وابن ماجه (٤٠٢٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٠) في الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) في الزهد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٧) في الزهد، وأبو داود (١٨٦) في الطهارة، وأحمد (١٤٥١٣) واللفظ له.

عليه المصيبة، قد استغنى بالله وبقربه وأنواع عبادته عن دنياهم، حتى استوى عنده قصْر مُلْكهم وزنزانة حبسهم، لولا ما في الخارج من أنواع الطاعات الأُخرى التي أُعِدَّ لها وهُيِّئ، لما طلب الخروج، وهذا بلا شك حال كمال أكمل من الكمال الذي كان فيه قبل دخوله السجن»[١].

«هذه قمة لا يصل إلها إلا الأفذاذ، وصل إليها يوسف عليه السلام حين قال للرسول الذي جاءه: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وظلَّ متبوءًا لها في ملكه، متواضعًا لله عز وجل مشاهدًا فضله ونعمته، مستحضرًا كرمه ومنَّته، وإنما وصل إلى هذه القمة بسنوات السجن، التي كانت شرفًا وسببًا لمزيد من الشرف، وكانت عافيةً وسببًا لمزيد من العافية، وكانت عزًّا وسببًا لمزيد من العز.

كان يوسف ـ فيما يبدو لمن سجنوه ـ من الصاغرين، وفي حقيقة الأمر كان ينتصر عليهم، ويعزُّ ويقهر باطلهم بإرادته وجه الله وطاعته، كان في ظنهم يضيع عليه نعيم القصور الذي كان فيه، ولكن في الحقيقة، كان يجتني نعيم القرب من الله ـ سبحانه ـ بما لا يجده في قصورهم وحياتهم بأسرها، ومثلما كانت الحبال التي ألقاه بها إخوته في غيابه الجب، في حقيقة الأمر أسبابًا موصلة إلى علوِّه عليهم، كانت سنوات السجن أسبابًا إلى الكمال والزكاة والنماء والطهارة، ثم النصر والتمكين والمُلك والعزِّ، على ما أراد قهره وصغاره، وكل هذا من صنع الله بعبده المؤمن، وكيده له، وحفظه وتوفيقه، فهو عز وجل، العليم الحكيم، يكره مساءة عبده المؤمن، وما يقدر له إلا ما فيه كمال سروره وراحته، وصلاحه في دنياه وأخراه، نسأل الله عز وجل أن يلحقنا بالصالحين»[٢].

فِرْعَوْنُ عَقْلُكَ لَمْ يَزَلْ مَخْدُوعَا ... وَزَمَانُ حُكْمِكَ لَمْ يَزَلْ مَقْطُوعَا
مَا زِلْتَ يَا فِرْعَوْنُ غِرًّا تَابِعًا ... وَتَظُنُّ نَفْسَكَ قَائِدًا مَتْبُوعًا
خَضِّبْ يَمِينك بالدماء وقُلْ لنا ... إنِّي أُنَفِّذُ أمريَ المشروعا
فَرْعَوْنُ أَنْتَ الرَّمْزُ سُمُّكَ لَمْ يَزَلْ ... يَجْرِي بِأَفْئِدَةِ الطُّغَاةِ نَقِيعَا
اسْرِقْ غِذَاءَ الْجَائِعِينَ وَقُلْ لَنَا ... إِنِّي أُحَارِبُ فِي الْبِلَادِ الْجُوعَا
قَطِّعْ رُؤُوسَ الْمُصْلِحِينَ فَإِنَّهُمْ ... يَبْغُونَ مِنْكَ إِلَى الْإِلَهِ رُجُوعَا

---

(١) تأملات إيمانية في سورة يوسف ص (١٢٧- ١٢٩).
(٢) المصدر السابق ص (١٣٠).

هُمْ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَأَنْتَ فِي ... أَوْحَالِ وَهْمِكَ مَا تَزَالُ وَضِيعَا

هُمْ يَلْجَئُونَ إِلَى الْإِلَهِ وَأَنْتَ لَا ... يُرْضِيكَ إِلَّا أَنْ تَسُوقَ قَطِيعَا

هُمْ يَنْظُرُونَ بِأَعْيُنٍ مَجْلُوَّةٍ ... فَيَرَوْنَ فَلَّكَ فِي الْعِبَادِ شَنِيعَا

أَبْشِرْ فَإِنَّ الْفَجْرَ سَوْفَ يُرِيقُ مِنْ ... كَأْسِ الظَّلَامِ شَرَابَكَ الْمَنْقُوعَا[1]

يقول الشيخ أحمد ياسين: «طبعًا أي اعتقال يؤثر في نفس الإنسان؛ لأن الإنسان بطبيعته لا يقبل أن توجه له تهمة لم يقم بها، لا يقبل على نفسه الظلم، ويشعر أنه بحاجة إلى سلطة عادلة، وتعطي الإنسان حقه في الحياة، وحريته في الحياة، والحمد لله تجاوزنا تلك المرحلة، وأنا استمررتُ في نشاطي، حتى طلعت يوم الخميس، ويوم الجمعة كنت أخطب الجمعة في المسجد؛ لأنه - صحيح - الضغوط كانت حولي كثيرة، وقالوا لي: لا تخطب، لا سيما أهلي ومن حولي، لكن حينما وصلت إلى المسجد لم يأت الخطيب الذي كان بعدي حينما دخلت إلى السجن، فصعدت المنبر وخطبت الجمعة، والحمد لله كنت أخطب الجمعة قبل الاعتقال في المسجد، وحينما خرجت عدت إلى دعوتي وإلى نشاطي مرةً أخرى دون أي تأثر، ولم يؤثر ذلك على وظيفتي الحكومية، كما واصلت دراستي»[2].

❑ يَاسِيْن فِي سُجُونِ الْيَهُودِ الْمَلَاعِيْن:

اعتُقل الشيخ أحمد ياسين للمرة الأولى على يد الإسرائيليين عام ١٩٨٤م، بعد اكتشاف الخلية العسكرية الأولى التي شكلتها الحركة الإسلامية، ومعه عشرة من إخوانه، وكانت التهمة الأساسية هي إبادة دولة إسرائيل وإقامة دولة إسلامية مكانها، وحكم عليه بالسجن ثلاثة عشر عامًا.

قال الشيخ أحمد ياسين: «أنا كنت في البيت، حوالي الساعة عشرة صباحًا، في إبريل، فجاءتني سيارة مخابرات، قالوا لي: إن الحاكم يريد أن يراك، تفضل معنا، أخذوني وأركبوني معهم نفس السيارة. ذهبت معهم في السيارة، ومشينا، وحينما وصلنا إلى المجلس التشريعي

---

(١) لعبدالرحمن العشماوي - الرياض ١٤١٣/٩/٢٩هـ.

(٢) الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (٥٤- ٥٥).

حملوني وطلَّعوني؛ لأن المجلس التشريعي له درج عالٍ، فأوصلوني إلى الداخل عند الحاكم.. القائد العام لمنطقة الجيش، كان حاكم غزة، وقال: نحن في حاجة إلى أن نسألك شوية أسئلة، نريد أن ننقلك إلى المجدل؛ سجن المجدل الذي كان موجودًا فيه المئات من شبابنا، فقلت لهم: افعلوا ما تريدون، الذي تريدون فعله افعلوه، لم أكن أستطيع أن أمشي فوجدتهم قد أحضروا لي كرسيًّا متحركًا مثل هذا الذي أجلس عليه الآن.. كانت هذه المرة الأولى التي كنت أجلس على كرسي فيها. كنت أمشي[1] لكنني كنت أتكئ على أخ يمسكني من تحت إبطي وأنا أمشي معه، فهم كانوا لا يريدون أن يمسكوني وأن يجعلوني أمشي، ولكن كانوا يريدون أن يجلسوني على كرسي، فجلست على الكرسي، ثم نقلوني إلى سجن المجدل، إلى سجن عسقلان، ودخلت التحقيق، كانت مدته خمسةً وأربعين يومًا... بقيت خمسةً وأربعين يومًا في التحقيق، بعدها خرجت إلى مستشفى الرملة لعدة أيام، بعدها نقلوني إلى غزة، ومن غزة نقلت إلى سجن بئر السبع، ووضعت في العيادة لمدة، ثم أعادوني إلى غزة.

أنا حينما دخلت إلى التحقيق في المرة الأولى وجدت إخواني الذين كانوا معتقلين قبلي، كانوا تحت التعذيب قد أعطوا اعترافات فيها شيء صحيح وفيها شيء به فبركة وغير صحيح للخروج من المأزق بشكل يخفف الضرب ويخفف...، ووجدت القياديَيْن اللذين كانا في الداخل قد اتفقا على خط معيَّن، فأوحوا لي أن نبقى ونكون على هذا الخط.. أننا لم يكن لدينا أي إمدادات مالية من الخارج.

أنا على المكشوف قلت لهم: نحن قادمون للجهاد، نحن نريد أن نجاهد، ولذلك أعطوا لي تهمة، أنني أريد أن أزيل دولة إسرائيل، وإقامة دولة إسلامية مكانها. كنت واضحًا تمامًا كل الوضوح. طبعًا تهمة حيازة السلاح؛ أصلًا تأخذ من سنة إلى أربع سنوات سجن، بعد أربع سنوات تخرج؛ لأنها كانت التهمة القصوى أربع سنوات، فحكموا عليَّ بثلاثة عشر عامًا.

أحمد منصور: هل مُورِسَ عليك أيُّ شكل من أشكال التعذيب، أو الضغوط مورست عليك في التحقيقات؟

أحمد ياسين: في المرة الأولى لم أكن بحاجة إلى أي تعذيب؛ لأنني حينما اعتقلت ووجدت

---

(١) أي قبل ذلك.

إخواني الذين سبقوني قد وضعوا طريقًا للاعتراف، لم يكن هناك مفر من أن أعترف على نفس الذي اعترفوا به، ولم يكن لدي مشكلة أن أقول لهم ما قالوه، وأعتبر أن الأمر قد انتهى، لذلك لم يمارس ضدي أي تعذيب، لكن مورست... يعني فبركة مخابرات.

❑ وَسَائِلُ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ فِي التَّحْقِيقَاتِ:

أحمد منصور: ما هي أشكال هذه الفبركات؟

أحمد ياسين: يعني على سبيل المثال، كان يريد أن يقوم بعمل هزيمة نفسية لي، وأول ما دخلت للتحقيق أحضر لي ملفًا ووضعه أمامي، وأخرج صورةً من صوري كانوا قد التقطوها لي وأنا جالس في بيتي في الغرفة مستندًا في الزاوية إلى المساند.

طبعًا صورة مثل هذه لي وأنا في بيتي تعني أن هناك قوةً لهم أن اخترقوا بيتي ودخلوا عليه وصوَّروني، ومن الذي صوَّرني؟ فيجعلني في حالة هزيمة نفسية، فقال لي: هل تعرف هذه الصورة؟ قلت له: نعم، قال: هل تعرف لمن؟ وأين؟ وكيف؟

قلت له: هذه ليست مشكلة. من الممكن أن يقوم أي شخص ويلتقط صورة مثل هذه وأنا جالس في بيتي. ماذا يعني ذلك؟ لكن أنا أعرف من الذي صوَّرها، والذي صوَّرها شخص من المخابرات جاءني على البيت، فأشعل سيجارة، وضرب ولاعة السجائر، وعندهم أجهزة تكون كاميرا في ولاعة السجائر، فصوَّرني وأنا جالس في الزاوية عن طريق الولاعة، فأنا متأكد من هذا، فجلست أضحك، قلت له: ولا يهمك.

ثم دخل في دور ثانٍ على أساس أنني في بعض الأحيان كنت أتدخل لحل بعض المشاكل لدى العائلات، فهناك امرأة لديها أربعة عشر طفلًا، وكان هناك خلافات بينها وبين زوجها، وكانوا فقراء فكنا قدمنا لهم مساعدات لبناء بيت، وكنت أحلُّ لهم مشاكلهم... وكنا نرسل لهم شهرية لإنفاقها على أولادهم، فقال لي: هل تعرف زهوة؟ لا أدري هل هذا اسمها أو أني نسيت اسمها، فقلت له: لا، لا أعرفها. قال: لا أنت تعرفها. قلت: لا أعرفها، أنا أعرف الحرمة التي تدعى أم فرج، هو كان يعطيني اسمها الحقيقي. قلت له: لا... لا أعرفها. فقال لي: أنت تختلي معها، وكذا وكذا؟ كأنه يلفق لي تهمة الزنى والعياذ بالله، وبعدين قال لي: لا تخف هذه أشياء طبيعية، هناك قيادات ومشايخ في لبنان يعملون معنا، نحن نحميهم، ونعطيهم كل... قلت له: طيب

وبعدين، أنا أقول لك إني لا أعرفها. قال: طيب. أم فرج؟ استغرقت في الضحك وقلت له: هل أنت تحكي عن أم فرج؟ قال: نعم. قلت له: لكن أنت مجنون، هذه واحدة عندها أربعة عشر ولدًا، أنا حينما كنت أذهب لهم إلى البيت كان الأولاد فوق بعضهم البعض، فكيف أختلي وإياها، وكل بيتها عبارة عن غرفتين ومنافعهم، ولو وضعت الأولاد الأربعة عشر إلى جوار بعضهم بعضًا لم يسعهم المكان، هل أنت مصاب بشيء في عقلك؟!

فقال: لا... لكني أمزح معك. وكان هذا رده حينما وجدني أطخ عليه، فقال: لا أنا كنت أمزح. وسحب كل كلامه، وهذه وسائلهم يسعى للبحث أولًا عن هزيمة نفسية لمن أمامه، ثم بعد ذلك يقوم بتوريطه، فيكشف له بعض الأشياء، ثم يقوم بتوريطه جنسيًّا أو أخلاقيًّا، ويهدده بفضيحة، ثم يوقعوه للعمل معهم.

أحمد منصور: نحن نود من خلال هذا الأمر أن تذكر لنا جانبًا من أسلوب الإسرائيليين في التحقيق؟

أحمد ياسين: في التحقيق والإسقاط... هذا إسقاط يعني يضع الإنسان في هزيمة نفسية أولًا، ويوهموك أنهم يعرفون كل شيء عنك وعن أحوالك وعن داخلك، إلى درجة أننا صورناك وأنت تجلس داخل بيتك، هذا ما يقومون به في البداية، هزيمة نفسية أولًا، بعد ذلك حينما يجدك صامدًا وغير متأثر يقول لك: أنا كنت أضحك.

الأمر الثاني: أنه يريد أن يورطك في قضية أخلاقية،... ربما لو كنت من النوع الذي فعلًا والعياذ باللَّه ـ ساقط، ربما كنت أخاف أو أهتز، وأقول خلاص بلاش تفضحوني، لكني أعرف جيدًا طبيعة ما يقومون به، وأعرف نفسي جيدًا؛ لذلك جلست أضحك مما يقوله»[1].

استغرق التحقيق مع الشيخ ياسين نحو خمسة وأربعين يومًا، يقول الشيخ ياسين: «هم كانوا قد وضعونا في الزنازين، والزنزانة كان طولها مترًا ونصف وعرضها مترًا، وفيها ثلاثة أو أربعة .. لا تستطيع أن تنام على جنبك.

قال الشيخ أحمد ياسين: «كان معي شاب أحضروه من مجموعتنا، حتى يقوم على خدمتي، وكانوا يأتون لنا بأناس آخرين يضعونهم معنا؛ ربما كانوا عملاء حتى يتجسَّسوا علينا، ربما تكون

---

(١) الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (١٣٤- ١٤٠) ملخصًا.

لهم تهم، طبعًا اليهود يقومون بعمل كبير، ونحن نعرف شغلهم، لكن الزنزانة كانت سيِّئة جدًّا، في أيلول والصيف حار جدًّا، وليس هناك مجال للتنفس، حيث كان منفذ الزنزانة من أعلى من السقف كانت لها فتحة، فكنا طوال النهار نتصبب عرقًا، وفي الليل كانت لمبة الكهرباء فوق رؤوسنا بنصف متر فقط، وهذا يجعل رأسك يغلي من الحرارة المندفعة منها؛ فالزنزانة كانت سيئة للغاية، وفي نفس الوقت تقضي حاجتك في فتحة داخل الزنزانة فكان شيئا رديئًا للغاية.

مكثت خمسة وأربعين يومًا في هذه الأجواء، وكانوا كل يوم يستدعونني فلان قال وفلان عاد، وفلان لم يقل، وأنت قلت..... متابعة للتحقيقات متواصلة طوال خمسة وأربعين يومًا»[(١)].

تبلور محور الاتهام في هذه القضية للشيخ ياسين قائلين له: أنت تعد للجهاد لإسقاط دولة إسرائيل، وإقامة دولة إسلامية مكانها.

قال الشيخ أحمد ياسين: «المحاكمة كانت علنية في وجود الأهل وعموم الناس وفي وجود محام، لكن الذي كانت تريده الحكومة الإسرائيلية كان يتم تطبيقه دون نقاش؛ يعني كان الحاكم يأتي بالأحكام جاهزة، أن هذا يحكم كذا وهذا يحكم كذا، ولم أكن أعول على المحامي بشيء؛ لأني كنت أعرف أن الحكم قد صدر من أعلى وكان جاهزًا، فقط هم كانوا يضعون غطاءً قانونيًا، وأمام العالم يقولون: هذا دفاع عن المتهمين، وهؤلاء شهود، وهكذا، لكن الأحكام كانت معدة سلفًا، وأنا متأكد من ذلك. لهذا لم تكن المحاكمة أو الحكم بذات أهمية عندي».

وكانت هذه المحكمة عسكرية، استغرقت قرابة ٣ أو ٤ جلسات، وكان الاتهام للجميع واحدًا. وصُنف الشيخ أحمد أنه رأس التنظيم، والشيخ عبدالرحمن تمراز نائبا له.

قال الشيخ ياسين: «الأخ عبدالرحمن تمراز حكم عليه باثني عشر عامًا، ومحمد شهاب صيدلي حكم عليه بعشر سنوات، وعرب مهرة عشر سنوات، ومحمد سمارة تاجر سلاح تسع سنوات، والدكتور إبراهيم المقادمة؛ لأنه فبرك القضية قبل أن يسلم نفسه إليهم، حكم عليه بثماني سنوات» و«بعد صدور الأحكام تم توزيعنا على السجون».

قال الشاعر في سجن أحمد ياسين:

شُلَّتْ يَمِيْنُ كَبَّلَتْكَ وَحُطِّمَتْ ... أَيْدِيهِمُ إِنْ حَرَّكَتْ أَطْرَافَهَا

---

(١) المصدر السابق ص (١٤٠- ١٤١).

لَـوْ تَـعْـلَـمُ الْجُدْرَانُ أَنَّـكَ أَنْـتَ لَانْعَطَفَتْ حَنَانًا لَيِّنَتْ أَحْجَارَهَا

سَرَقُـوكَ مِـنَّـا وَيْـلَـهُـمْ مِمَّا جَـنَـوا سَرقُوا النُّجومَ ومَا دَرَوا بظَلالِهَا

ظنُّوه في قَيدِ الضُّلُوع مكبَّلًا العقلُ نورٌ.. والجَوَارِحُ مَا لهَا

والقلبُ يبكي حُرقَةً في إثرهِ عِملاقَ دَعوَتِنَا وَخَيْرَ رجَالِهَا

* * *

وقال شاعر آخر:

يَا أَحَمَدُ اليَاسِينَ قَد عَلَّمتَنَا أنْ السُّجونَ سِياحَةٌ وفَخَارُ

علَّمتَنَا أنَّ الرِّجَالَ مَوَاقِفٌ وصَلَابَةٌ وتَوثُّبُ وقَرَارُ

* * *

قال الشيخ: «أنا، أولًا، عدت إلى سجن غزة، وبعد ذلك، نقلت إلى سجن بئر السبع، بقيت فيه فترة، ثم أُعدت إلى سجن غزة، ثم نُقلت إلى سجن نفحة (صحراوي سيِّئ جدًّا) وأنا كنت أعاني حساسية في الرئتين، فبقيت في سجن... سجن نفحة أربعة أيام، لم أستطع الحياة، ولم أستطع أن أتنفس؛ لأن البرد كان شديدًا، وأنا حساسيتي للبرد... أربعة أيام لم أذق فيها طعم النوم.

فدخلت على الطبيب وقلت له: ما هذا الذي يحدث؟ قال: ماذا أفعل لك، الطبيب الذي في غزة هو الذي أوصى بك أن تأتي إلى هنا؛ لأنك كنت تسبب مشاكل هناك، وكنت تقلقهم في الليل فقالوا: نتخلص منه ونرسله على نفحة، فنفحة كان أسوأ سجن، وفي النهاية قرروا أن يعيدوني إلى عسقلان، كان جوه هادئًا وكان دافئًا فارتحت.

قضيت بقية الفترة في سجن عسقلان، وضغط السجناء على الإسرائيليين فقرروا الإضراب الذي استمر حوالي أربعين يومًا، وقالوا لهم: أنتم لا تعتنون بالمرضى، فقرروا نقلي إلى عيادة خاصة في بئر السبع، داخل العيادة قضيت عدة أشهر، وبعدها جاء الإفراج عني فرجعت إلى عسقلان وخرجت».

ثم قال الشيخ: «إن الجبهة الشعبية، القيادة العامة» بقيادة أحمد جبريل تمكنت من أسر ثلاثة جنود إسرائيليين ففاوضت إسرائيل على أن تُطلق سراحنا، فأطلقت سراحنا مقابل الجنود الثلاثة».

فأطلقت إسرائيل سراح ١٢٠٠ معتقل كان منهم الشيخ أحمد ياسين.

«كان هناك شاب [(١)] جاء من الخارج، في عمليات خارجية، وأصيب وقُطعت رجله، وكان رئيس الجماعة في السجن تائب أحمد جبريل، فصار إسلاميًّا في السجن وصار رئيس الجماعة الإسلامية في السجن، وهو الذي تسبب بالإفراج عنا في ١٩٨٥». وكان ذلك في أول رمضان، وكان يوافق العشرين من مايو ١٩٨٥م.

أحمد منصور: ماذا كان مشاعرك وأنت لم تكن تتوقع أن تخرج وفجأة...؟

أحمد ياسين: «واللَّه أنت تعرف أولًا أنا كنت مسرورًا، لكن دائمًا السرور له حدود؛ لأني أعمل حسب قدر من اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، إذا كان قد قدر لي أن أخرج سوف أخرج، وإذا قدر لي أن أبقى سوف أبقى، فإذا جاء الفرج فالحمد والشكر لله، وإذا غاب الحمد لله ـ أيضًا ـ، وليس هناك سوى الصبر، الأمر لم يكن يشكل مشكلة عندي؛ لأنني كنت مطمئنًا دائمًا بأن اللَّه لن يضيعني، وسيأتي بالفرج يومًا ما» [(٢)].

❑ الِاعْتِقَالُ الثَّانِي بَعْدَ الِانْتِفَاضَةِ:

كان تأسيس حركة «حماس» في ٩ أو ١٠ ديسمبر ١٩٨٧م، واتخذ القادة قرار العمل العسكري في ١٧/١١/١٩٨٧م وبدءوا بالإعداد في تكوين مجموعات عسكرية، ومنها الخلية ١٠١ التي قامت بالهجوم على مستوطنة وإطلاق النار عليها، ثم قامت الخلية ١٠١ باختطاف جندي وقتله ودفنه، واختطفت الجندي الثاني وقتلته ودفنته، وفي حال عودة السيارة من داخل إسرائيل إلى الخارج اكتشف الإسرائيليون أمرها، وتحت التعذيب القاسي جدًّا، والذي لا يمكن لحدود العقل أن تتصوره، والذي يصل إلى حدٍّ أن يتصور الإنسان أنه يموت ويحيا من شدة التعذيب تحت أيديهم اعترف المحرك الرئيسي للمجموعة أنه كان يأتي بالمال من الشيخ أحمد،

(١) هذا الشاب هو حافظ الدلقموني كما قال الشيخ أحمد ياسين في كتاب «الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (١٤٧).

(٢) «الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (١٥١).

وكان هذا في ١٨ مايو سنة ١٩٨٩م، وهو الاعتقال الثاني في سجون إسرائيل.

قال الشيخ أحمد ياسين: «طبعًا أنا كنت في بيتي، وكان منع التجول مفروضًا من الساعة ٩ ليلًا إلى الفجر، حيث كان يخرج العمال إلى العمل، فميعاد منع التجول كان يبدأ بالساعة ٩ بالضبط - بيتي قبلها كان ممتلئًا بالناس، فشاء اللَّه أن ينطلقوا ويعودوا إلى بيوتهم، فوجدت الساعة... خمس دقائق بعد التاسعة، وإذا بقوات الجيش الإسرائيلي تحيط بالبيت، منهم من تسلق الأسوار، ومنهم من بقي في السيارة، يعني ربما كتيبة كاملة جاءت للقبض على الشيخ أحمد، ورجال المخابرات دخلوا عليَّ، وقالوا: نريدك قليلًا، قلت لهم: ماشي، لكن دعوني أرتدي ملابسي، فدخلت أرتدي ملابسي، وطبعًا أنا كنت أجلس على الكرسي المتحرك وكنت جاهزًا، فقالوا لي: أين ابنك؟ قلت لهم: ها هو، قالوا: دعه يأتي معك حتى يساعدك؛ ابني عبدالحميد الذي يرافقني الآن، كان في ذلك الوقت عمره ستة عشر عامًا، وكان لم يحصل على هويته بعد، فأخذوه وأوصلوني إلى السجن، وأجلسوني، مباشرة سبٌّ وشتائم، وبصق في الوجه وضرب على الوجه و...

أحمد منصور [مقاطعًا]: يعني بدءوا معك بالإهانة والتعذيب من أول لحظة؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: على طول... بشكل لا تتصوره، بصق في الوجه، ضرب على الوجه، يحضرون صينية يدقوا بها فوق رأسي، كنوعٍ من الإزعاج، يمسكون بعروق الرقبة ويجذبونها إلى أعلى بشكل سيئ... ولم يكتفوا...

أحمد منصور [مقاطعًا]: كل هذا وأنت قعيد هكذا؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: وأنا كما ترى والضرب على صدري، حتى صار صدري أزرقًا من شدة الضرب والتعذيب، ولم يكتفوا بذلك، وإنما قاموا بإحضار الولد الذي أحضروه لخدمتي، وبطحوه أمامي في الغرفة، وركبوا عليه أربعة...

أحمد منصور [مقاطعًا]: أربعة على ابنك؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: نعم، هذا عبدالحميد، وأخذوا يخنقونه ويضربونه، وضرب، والولد يصرخ تحتهم، أعطوا له أمامي علقة ساخنة من الضرب والتعذيب، ثم أصبحوا يقولون لي: حرام عليك، ارحم ابنك، اعترف، خلاص القضية انتهت، حركة «حماس» انتهت، وأنت ليس هناك

فائدة من إنكارك، اعترف وقل ما عندك حتى ترحم ابنك من الضرب والتعذيب، قلت لهم: أنا ليس عندي شيئًا لأقوله، فغابوا ساعتين، ثم أحضروا الولد مرة أخرى وبدءوا بتعذيبه أمامي، فبطحوه أرضًا، وركبوا فوقه وخنقوه، ومن شدة التعذيب على الولد الضعيف الصغير فوجئت به يثور ويقفز فجأة ويطرح الرجال الأربعة على الأرض...

أحمد ياسين [مستأنفًا]: هذا من شدة التعذيب ـ يعني ـ حرارة الروح، كان الولد يموت تحتهم، كان يختنق، بعدها أخذوه مرةً أخرى من عندي، وبعد ذلك أدخلوا لي الإخوة المتهمين بالقضية العسكرية، حتى يقولوا لي: لا بدَّ أن تعترف كما اعترفوا، وحتى يقولوا لي: ما الذي اعترفوا به، فجاء صلاح شحادة وقال: أنا جئت إليك وأخذت منك ألفين وخمس مئة دولار... دينار، وهذا ما عندي، بعد ذلك جاء الإخوة الآخرون الذين كانوا يحققون مع العملاء، قالوا: نحن جئنا إليك وأخذنا منك الفتوى بأن العملاء يجوز قتلهم، فقلت في نفسي: هكذا اتفقتم، هذا الذي اعترفتم به عليَّ، قالوا: نعم، قلت: طيب...

أحمد منصور [مقاطعًا]: كان ذلك في حضور الإسرائيليين؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: طبعًا أمامهم، هذا الكلام، طبعًا هذه...

أحمد منصور [مقاطعًا]: هل تذكر الشهر أو الوقت أو التاريخ؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: طبعًا، كان هذا ليلة ١٨/٥.

أحمد منصور: ١٨ مايو ١٩٨٩م.

أحمد ياسين: نعم، ١٨/٥ حدث هذا الكلام في أول ليلة.

أحمد منصور [مقاطعًا]: لكن دائمًا يُنظر إلى الإنسان الذي لو تعرض للتعذيب، واعترف ـ كثيرٌ من الناس الذين لم يجربوا طبعًا مثل هذه الأمور ـ ينظرون إليه نظرة دونية، وكأنه...

أحمد ياسين [مقاطعًا]: هؤلاء هم الذين لم يجربوا الواقع، ولا يعترفوا أن للإنسان حدودًا في تحمله للتعذيب، والله يقول: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] التعذيب أشد، الإنسان حينما تقتله يموت خلاص وينتهي، لكن حينما تظل تعذبه بحيث لا هو ميت، ولا هو طيب، لا يتحمل الإنسان كل هذا التعذيب، يعني شحادة نحن اخترناه لقيادة الخلية الأولى، لماذا؟ لأنه دخل السجن مرة، وتعذب جدًّا، ولم يتمكن اليهود من أخذ أي معلومات منه، واعتُقل للمرة

الثانية وعذَّبه اليهود عذابًا شديدًا، ولم يتمكنوا مرةً أخرى من أن يأخذوا منه أي معلومة، فهو مجرَّب في الأمور الصعبة، لكن كونه يضعف في هذا الموقف، معنى ذلك أن اليهود قد وصلوا معه في التعذيب ووسائله إلى مرحلة ليست سهلة ولا يحتملها بشر.

على أي حال، الإنسان أحيانًا يقول: أنا مستعد أن أقضي مئة عام في السجن ولا أبقى تحت التعذيب، هؤلاء الشباب، رجال أشداء وأقوياء، وكان لهم دور فاعل جدًّا في الأمن في الانتفاضة وفي العمل العسكري، وفي كل شيء»[١].

ثم تكلم الشيخ ياسين عما فعلوه به ووسائلهم الدنيئة معه كـ«استمرار منع النوم، يعني أن تجلس على الكرسي أربعة أيام دون أن تنام، وهم يضعون لك محققين في كل ساعتين أو ثلاثة، يغيِّروا اثنين يتكلمون معك، ويذهبون ثم يأتي غيرهم، يعني التحقيق يستمر معك طوال الأربعة أيام دون أن تنام، ودون أن يعطوك فرصة لكي تنام، حتى وصلت إلى مرحلة أني أصابني دوار وفقدت وعيي، ووقعت عن الكرسي.

أحمد منصور: ماذا كانت الأسئلة أو المحاور التي يسألك عنها المحققون؟

أحمد ياسين: طبعًا هم يريدون أن يعرفوا... كيف نشتغل، وأين نشتغل، ومن يشتغل، وحركتنا وتنظيمنا وشغلنا. طيب، أنت اعتُقِلت كيف يأتي الذين بعدك؟ ومن يختارهم؟ وكيف يختارهم؟ كيف يطلعوا؟ قلت لهم: هذه قضية شعبية. طبعًا في الحقيقة أنه كان هناك تنظيم مسلسل هرمي، إذا سقطت القيادة تخرج مباشرة قيادة جديدة، يعني هم كانوا يريدون أن يعرفوا كل شيء، ولكننا نحن الذين كنا نعطيهم المعلومات التي نريدها دون أن يعرفوا الأصول أو الجذور لحركتنا.

أحمد منصور: ما هي خلاصة ما دار بينك وبين الإسرائيليين في التحقيقات؟

أحمد ياسين: أنا طبعًا وجدت أن الاعترافات القائمة أصبحت حقيقة أمامي، وأن إنكارها لا يفيدني؛ لأني سوف أحاكم عليها ما دام هناك شاهد وشاهدان وثلاثة، إذن المكابرة والمواجهة وتحمل التعذيب عن شيء سوف تحاكم عليه أصبح أمرًا لا يهمك، ولن يكون له تأثير عليك.

ثانيًا: أنا يهمني أن أعترف على شيء أصبح معروفًا حتى لا أفتح خطوطًا جديدة على الحركة،

---

(١) «أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (١٩٠- ١٩١) باختصار.

ومنها اعترافاتي بالواقع الموجود لكن على شكل أني كنت أعطي لهم الفتوى، وأنا إنسان أعمل ضد الاحتلال، ومن حقي أن أعمل انتفاضتي، وأن أواجه؛ لأن هذا من حقي...

أحمد منصور [مقاطعًا]: يعني كنت تواجههم بقولك: إنهم محتلون وإنك تعمل ضدهم؟

أحمد ياسين: كنت أواجههم بكل الحقيقة، ولِمَ لا؟! يعني هذا حقي لقد كان همهم أن ينشروا اليأس في نفسي وأن يشعروني أن «حماس» خلاص انتهت وماتت، وعليَّ أن أفض هذا الأمر، يعني عليَّ أن أقبل قدر ربنا، وأن أعترف أمامهم بأن حركة «حماس» قد انتهت، ولكن بعد أربعة أو خمسة أيام من اعتقالي كان البيان الثاني قد صدر فصعقوا؛ لأنهم كانوا قد اعتقلوا حوالي ألف وخمس مئة شخص خلال يومين من «حماس»، وبعد ذلك فوجئوا بالبيان يصدر في اليوم التالي...

أحمد منصور: هل تعرض ابنك لعمليات تعذيب بعد الليلة الأولى لاعتقالك؟

أحمد ياسين: طبعًا، مرتين، لكن في الليلة الأولى وبعد ذلك سجنوه معي، كانوا يقعدونه مثل المساجين، ويضعون له كيسًا في رأسه.

كان هناك ممر طويل وكان المساجين يجلسون فيه على مقاعد خشبية على الجانبين، وكان عددهم حوالي خمسين، كل واحد فيهم يوضع فوق رأسه كيسًا، يعني كان مخنوقًا، وهو جالس ويديه مكبلة من الخلف إلى الكرسي الذي يجلس عليه، وذلك طوال أربع وعشرين ساعة.

أحمد منصور: بعد ذلك ما هي خلاصة ما تمَّ، أو ما انتهى إليه التحقيق، والاتهامات التي وجهت إليك؟

أحمد ياسين: وجهت إليَّ طبعًا تهمة عملية قتل الجنود، واتهمت بأني أنا وراءها بالرغم من أنني قلت لهم: إنني ليس لي علاقة بها... أنا فقط علمت بها لكن...

أحمد منصور: بعد توجيه الاتهامات إليك ماذا حدث؟

أحمد ياسين: طبعًا نقلت إلى السجن، ثم بدأت المحكمة، وكنت طبعًا في (إيريز) أكثر من مرة وانتهى الحكم. كان عندي سبعة محامين يحضرون محاكمتي، فكلهم أجمعوا...

أحمد منصور [مقاطعًا]: هل كان فيهم أحد من الإسرائيليين، أو كان كلهم من العرب؟

أحمد ياسين: لا، كلهم كانوا فلسطينيين من غزة، لكن كان الذي يرأس هيئة الدفاع عني من

إخواننا من الداخل من فلسطين ٤٨ وهو عبدالملك الدهامشة، كانوا مجمعين قبل صدور الحكم على أنه وفق الاتهامات الإسرائيلية قالوا: إنني من الممكن أن يحكم عليَّ بالسجن لمدة عشر سنوات وعلى الأكثر خمسة عشر عامًا.

لكنني كنت أضحك من هذا، وقلت لهم: إن هذا الكلام ليس معقولًا لا بد أن يحكموا عليَّ بالمؤبد، قالوا: يا رجل! قلت لهم: غدًا سوف ترون، طبعًا صدر الحكم بالمؤبد علاوة على خمسة عشر عامًا أخرى متداخلة...

أحمد منصور: يعني المحامين كانوا يرون أنك لن تقضي أكثر من خمسة عشر عامًا، ثم حكم عليك بالمؤبد علاوة على الخمسة عشر عامًا؟

أحمد ياسين: لأن المحامي قال لهم في دفاعه عني: بما أن هذا الرجل قد علم بالجنود بعدما قتلوا فلماذا توجهون إليه تهمة القتل؟! فالنيابة اقتنعت وقالوا: سوف نلغي هذه التهمة عنه. وقالوا: ما دام لم يقتل، وإنما فقط أعطى الفتوى بالقتل فسوف نلغي هذه التهمة، وبالفعل النيابة ألغت تهمة توجيه القتل إليَّ، ولكن المحكمة رفضت هذا الكلام، وأصر الحاكم على توجيه تهمة القتل إليَّ، وأخذ يصورها بشكل محزن، ويقول هذا قلبه قاس، وصار يكيل الاتهامات لي حتى يصدر حكمه.

نائبي الأول وهو صلاح شحادة، حُكِم عليه بعشر سنوات.

❑ سَنَوَاتُ السَّجْنِ:

أحمد منصور: كيف كان سجنك بعد الحكم عليك بالمؤبد؟

أحمد ياسين: واللَّه أنت تعرف كان السجن بالرغم من ضيقه وظلماته وضغوطه النفسية على الإنسان وتعرضه لسوء التغذية وسوء العلاج وسوء المعاملة من السجانين، إلَّا أن الإنسان المؤمن يجد في السجن متعة، المتعة هي في كونه يتفرغ لعلاقته مع الله، علاقة العبادة وعلاقة القرآن، أنا أكملت حفظ القرآن في السجن، لم أكن قد حفظته بعدُ، نعم كنت أحفظ أجزاءً كبيرةً منه، لكن لم يكن لدي الوقت للحفظ، في هذه السنة سنة ١٩٩٠م أنهيت حفظ القرآن الكريم، واطَّلعت على التفاسير، واطَّلعت على التاريخ الإسلامي، واطَّلعت على أصول الفقه، وعلى كتب اللغة العربية، وعلى دراسة الفقه الإسلامي في مجلدات، ثلاثة وعشرين مجلدًا للأستاذ

محمد نجيب المطيعي الذي كان يكمل كتاب الإمام النووي ـ رحمه اللَّه ـ...

أحمد منصور [مقاطعًا]: كتاب «المجموع» للنووي...

أحمد ياسين [مستأنفًا]: نعم «المجموع» للنووي، يعني كان الإنسان في فترة سجنه هي فترة دراسة وعلم، فترة عبادة ومعنويات روحية عالية جدًّا لا تتصورها أو تتصور قدرها، كان الإنسان كل يوم يصلي صلواته، ويقرأ القرآن، يعني أنا كنت أقرأ أربعة أجزاء في اليوم في صلاة السنن وحدها عدا ما كنت أقرؤه في الفرائض، لكن وأنا أقرأ في السنن انظر كيف تكون روحه المعنوية، كيف حاله؟! في الحقيقة هي كانت أعلى فترات حياتي المعنوية في ذلك الوقت.

أحمد منصور: كيف كان الإسرائيليون يتعاملون معك؟ صف لنا شكل الزنزانة التي قضيت فيها سجنك وأسلوب التعامل معك؟

أحمد ياسين: الذي كان يهمهم معي في التعامل كان في قضيتين، يضيقوا عليَّ من حيث الاتصال الخارجي، يعني المعلومات، الصحافة، من حيث التغذية، من حيث العلاج، فقط كان يهمهم أن يحافظوا على هذا الإنسان جتى لا يموت، يريدون أن يبقى حتى ولو كانت كل الأمراض فيه، ليس من المهم تلك الأمراض التي فيه، فقط لا يموت، وحينما يشعرون أني قد وصلت إلى مرحلةٍ من الخطر على الحياة تنقلب الدنيا عندهم، ويصيروا قلقين؛ لأنهم لم يكونوا يريدون أن أموت.

هم كانوا يدركون أن موت واحد مثل الشيخ أحمد في السجن ممكن أن يؤثر عليهم في الشارع ويؤثر على تاريخهم، ويؤثر على أشياء كثيرة، وسوف يجدون ردة فعل كبيرة في الشارع من المقاومة ضدهم، وقد واجهوا بالفعل مقاومة بالغة حينما قتلوا أحد إخواننا القياديين وكان قائدًا بسيطًا، فما الذي يمكن أن يحدث لو قتلوا في السجن واحدًا مثلي؟ لا شك أنها كانت ستكون طامة كبرى بالنسبة لهم.

أنا أذكر أنني أصبت بالتهاب رئوي في السجن، وارتفعت درجة الحرارة إلى ٣٩,٥ ـ عام ٩٧ ـ فارتبك المستشفى الذي كنت فيه داخل السجن، فنقلوني من مستشفى السجن مباشرةً إلى مستشفى خارجي في الرملة، منطقة مستشفى... في الرملة موجود مستشفى... ومدير الصحة في السجون كان حاضرًا والكل كان متوترًا، وأعطوني علاجًا خافضًا للحرارة، وأنا كنت نائمًا

أتطلع فيهم وأضحك، ويقول لي مدير صحة السجون: أنت تضحك ونحن قلقون حواليك؟ قلت له: هي كام موتة؟ ما الواحد يموت موتة واحدة، وما دام سيموت موتة واحدة ليش يزعل؟! أهلًا وسهلًا.

ثم قال الشيخ ياسين: هم كانوا يعطونني علاجًا للأذن طوال فترات وجودي في السجن، وانتهى هذا العلاج، قلت لهم: ظهري، ولا أستطيع أن أضع ظهري، هناك في السجن أخذت دواءً، ثم يقول لي الطبيب: وماذا أفعل لك؟ لذلك، كانوا يعطوننا العلاج الذي نحافظ به فقط على حياتنا، وطبعًا شيء جيد - أيضًا - أن يحافظوا على حياتك.

أحمد منصور: هل كنت في الزنزانة أو في المستشفى طوال الوقت؟

أحمد ياسين: لا، في المستشفى، كنت في غرفة فيها المرافقات اثنان، كانت الغرفة واسعة، كانت جيدة.

أحمد منصور: طوال فترة سجنك قضيتها في المستشفى؟

أحمد ياسين: لا، فقط من بداية ٩٦ و١٩٩٧م.

أحمد منصور: لكن قبل ذلك؟

أحمد ياسين: كنت في السجن.

أحمد منصور: كنت في الزنزانة؟

أحمد ياسين: كنت في... هم نقلوني ثلاث مراحل في السجن...

المرحة الأولى كانت بعدما خرجت من زنازين التحقيق وكنت في «كفاريونا»، وهناك اختاروا لي غرفة منفردة في قسم الجنائيين، كما قلت لك مترين ونصف في مترين، فيها الأسِرَّة، فيها دورة المياه وفيها الحمام وفيها المغسلة، يعني يدوبك تقدر تتحرك فيها. سجن، ولها كوة صغيرة بس ٣٠ سم التي تنفس عليك، وقعدنا فيها ٨٩ و٩٠ و٩١ و١٩٩٢، ثلاث سنوات فيها.

في ٩٢ من كثرة ما كنت أشتكي، وحينما كان رجال الصليب يأتون كنت أريهم، فقرروا أن يوسعوها، فكان إلى جوارها غرفة صغيرة مترين ونصف في مترين أضافوها إليها، صارت - يعني على كل حال - فيها تهوية فاعتبروها يعني أن هذه غرفة لوكندة ... خمس نجوم، فندق خمس نجوم.

وكان شباب «حماس» يقومون على خدمة الشيخ... كان اليهود يحضرونهم كل شهرين، أو ثلاثة، أو شهر، ثم يغيرونهم... يأتون باثنين من سجون أخرى وهم من المحكوم عليهم ... لم يكن الخيار لليهود بحيث يأتون بمن يريدون «كانوا في البداية هم الذين يختارون، ولكن بعد ذلك استطعنا نحن أن نختار من يأتي، فصارت إسرائيل تطلب من الحركة أن تأتي باثنين لخدمتي، فكان إخواننا في السجون هم الذين يرشحون من يأتي منهم لخدمتي، فكنا نحن نختار من نريد».

أحمد ياسين: قضيت فترة اعتقالي حتى آخر عام ٩٥م في سجن كفاريونا الذي هو في (بيت ليد) منطقة (طولكرم)، وفي آخر عام ٩٥م نقلت إلى سجن (تلموند) كانوا قد أعدوا قسمًا خاصًا معزولًا تمامًا لي فقط أوسع، كان فيه غرفة كبيرة طويلة وفيه حمام ودورة مياه... يعني فيه... لكن معزولًا تمامًا عن العالم، لا ترى إلَّا الجنود فيه، لا مدنيين ولا عسكريين، في السجون هذه كنا نرى المسئولين الأمنيين فقط ولا نرى أحدًا آخر، قضينا من ٩/١٧ حتى ١٩٩٦/١/٤ في هذا السجن، ثم نقلنا إلى المستشفى.

❑ مُعَانَاةُ الزِّيَارَاتِ فِي السُّجُونِ:

أحمد منصور: كيف كانت الزيارات تتم إليك؟ وهل كان يسمح لمن يريد أن يقوم بزيارتك؟

أحمد ياسين: لا، كان يسمح لأهلي، زوجتي وبناتي فقط، أما أولادي فكانوا ممنوعين، ولم يكن الإسرائيليون يسمحون لهم.

أحمد منصور [مقاطعًا]: يعني الذكور ممنوعون؟

أحمد ياسين: نعم كانوا ممنوعين. كانوا يسمحون للبنات فقط بزيارتي، كانوا في البداية يسمحون للذكور وحتى لبعض أقاربنا أن يأتوا وكذلك إخوتي، ولكن بعد ذلك منعوا الجميع، ولم يعد يأتني سوى بناتي وزوجتي، وفي النهاية فرضوا على البنات تصريحًا للزيارة، فأصبحت زوجتي تأتي وحدها، كانت عملية الزيارة في الحقيقة عملية صعبة، فكنت في بعض الأحيان تمضي عليَّ ستة شهور كاملة وأنا لا يزورني أحد...

أحمد منصور [مقاطعًا]: لا يزورك أحد طوال ستة أشهر؟!

أحمد ياسين: لا أحد يزورني من أهلي، يعني لم تكن هناك زيارات، كانت تمر عليَّ في السجن فترات صعبة لا أرى فيها أهلي ولا حتى أرى الناس، وكما ترى فإنَّ سمعي ضعيف،

فكانت زوجتي حينما تأتي لزيارتي كانوا يأتون بجندي إسرائيلي يقف إلى جوارنا حتى يسمع ماذا يدور بيني وبين زوجتي، حتى إن الشرطي كان يقف أحيانًا بيني وبينها لينقل لي ماذا تقول زوجتي كمان...

أحمد منصور [مقاطعًا]: الشرطي؟!

أحمد ياسين: يا نهار! كانت متعبة، فقررتُ ألَّا يزورني أحد، وقلت لهم: لا أريد زيارات، في آخر يوم طلعت فيه قلت لزوجتي: لا تعودي إليَّ أبدًا.

❑ مُعَاناة ياسين الصِّحِّيَّة فِي السِّجْنِ:

أحمد منصور: هل ضعف السمع عندك وكذلك عينك من آثار الضرب والتعذيب اللذين تعرضت لهما؟

أحمد ياسين: لا، هو التهاب قديم، لكن الإسرائيليين لم يكونوا يوفرون لي العلاج والعناية، فأخذ يلتهب ويمتد ويزيد، ولم يكونوا يهتمون بالمرة...

أحمد منصور: ذكرت لي أن بعض الأطباء الفلسطينيين المقيمين في الخارج كانوا زاروك وقالوا بإمكانية إجراء العملية، هل كان يُسمح لمثل هؤلاء بالزيارة؟

أحمد ياسين: لم يكونوا يسمحون لأي طبيب من قطاع غزة بزيارتي مطلقًا، فقط كانوا يسمحون لأطباء من أهلنا في منطقة ٤٨، وكانوا ـ أحيانًا ـ يسمحون لأطباء من الضفة الغربية، وكانوا يكتبون تقارير عن حالتي الصحيحة وضرورة توفير عناية خاصة، لكن الإسرائيليين لم يكونوا يهتمون بهذا، فكانت تقارير لا قيمة لها، فقط كانوا يسمحون لهم بالزيارة ثم يقولون لهم: مع السلامة.

إِيــهِ يَـا عَـسْـقَـلَانُ لَانَ الْحَدِيـدُ ... وَأَخُو الْحَقِّ ثَـابِـتٌ لَا يَـحِيدُ
إِيـهِ يَـا عَـسْـقَـلَانُ أَحْـمَـدُ قَـلْـبٌ ... صَـابِـرٌ صَـامِـدٌ وَرَأْيٌ سَـدِيـدُ
سَـمِـعَـتْ صَـوْتَـهُ الْـقُـيُـودُ يُـنَـاجِـي ... رَبَّـهُ فَـانْـثَـنَـتْ إِلَـيْـهِ الْـقُـيُـودُ
وَبَـكَـى الـسِّـجْـنُ حِـيـنَ أَصْـغَـى إِلَـيْـهِ ... وَهْـوَ يَـتْـلُـو وَالْـوَاهِـمُـونَ رُقُـودُ
أَيُّـهَـا الـشَّـيْـخُ مَـا لِـعَـيْـنِـكَ تَـهْـمِـي ... وَلِمَاذَا يَـطُـولُ مِـنْـكَ الـشُّـرُودُ

جَالِسٌ أَنْتَ وَالطُّغَاةُ وُقُوفٌ ... وَحَوالَيْكَ قَدْ أُقِيمَ الْجُنُودُ
أَنَا يَا شَيْخُ مَا رَأَيْتُكَ إِلَّا ... فِي صَلَاةٍ يَطُولُ فِيهَا السُّجُودُ
أَنَا يَا شَيْخُ مَا رَأَيْتُكَ إِلَّا ... دَاعِيًا مِنْ دُعَائِهِ يَسْتَزِيدُ
كُلُّهُمْ خَائِفُونَ مِنْكَ لِمَاذَا ... أَيَخَافُ الْقَعِيدَ جَيْشٌ عَتِيدُ
قَالَ لِي الشَّيْخُ وَهْوَ يُرْسِلُ نَحْوِي ... نَظْرَةً وَقْعُهَا عَلَيَّ شَدِيدُ
أَيُّهَا السَّائِلُ الْمُلِحُّ لِأَنِّي ... لَائِذٌ بِالَّذِي إِلَيْهِ نَعُودُ
خَافَنِي الْمُعْتَدِي وَإِلَّا فَإِنِّي ... أَيُّهَا السَّائِلُ الْمُلِحُّ قَعِيدُ
يَا ابْنَ يَاسِينَ أَيْنَ رِجْلَاكَ مَهْلًا ... فَثَبَاتِي عَلَى الْجِهَادِ أَكِيدُ
فِي دَمِي فَوْرَةُ الْغَيُورِ وَقَلْبِي ... مُشْرِقٌ بِالْهُدَى وَعَزْمِي جَدِيدُ
ثَقُلَتْ هِمَّتِي عَلَى الْجِسْمِ حَتَّى ... آدَهُ حَمْلُهَا فَلَمْ يَقْوَ عُودُ
شُلَّ جِسْمِي وَإِنَّمَا الْجِسْمُ طِينٌ ... سَوْفَ يَسْطُو عَلَيْهِ فِي الْقَبْرِ دُودُ
أَيُّ نَفْعٍ لِلْجِسْمِ وَالْقَلْبُ خَاوٍ ... أَيُّ نَفْعٍ لِلْجِسْمِ وَهْوَ بَلِيدُ
كَمْ نَرَى بَيْنَنَا جُسُومًا عِظَامًا ... نَفَّذَتْ مَا يُرَادُ لَا مَا تُرِيدُ
شَلَلِي لَمْ يُصِبْ مِنَ الرُّوحِ شَيْئًا ... وَبِرُوحِي أَطِيرُ حَيْثُ أُرِيدُ
أَنَا يَا سَائِلِي تَجَاوَزْتُ نَفْسِي ... وَتَجَاوَزْتُ مَا تَحُدُّ الْحُدُودُ
يَخْرُجُ الْحَزْمُ مِنْ عَبَاءَةِ صَمْتِي ... وَإِلَيْهَا إِذَا أَرَدْتُ يَعُودُ
قُلْتُ لِلْجِسْمِ حِينَ أُقْعِدَ مَهْلًا ... فَأَنَا لَنْ يَنَالَ عَزْمِي الْقُعُودُ
أَنَا قَلْبِي مُعَلَّقٌ بِإِلَهِي ... فَمَدَى مَا يُرِيدُ قَلْبِي بَعِيدُ
قَبْضَةُ الطِّينِ لَنْ تُكَبِّلَ رُوحِي ... فَالْفَضَاءَاتُ مَسْرَحِي وَالْوُجُودُ
حِينَ أَتْلُو الْقُرْآنَ يَخْصِبُ قَلْبِي ... وَيَطِيبُ التَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ

مِنْ عُبُودِيَّتِي لِرَبِّي انْطِلَاقِي ... أَنَا حُرٌّ بِهَا فَأَيْنَ الْعَبِيدُ
لَسْتُ عَبْدًا يَا سَائِلِي لِفُلَانٍ ... وَفُلَانٍ مِمَّنْ سَجَايَاهُ سُودُ
أَرْفَعُ الْكَفَّ لِلسَّمَاءِ وَحَسْبِي ... أَنَّ كَفِّي بِخَيْبَةٍ لَا تَعُودُ
خَالِقُ الْكَوْنِ مَالِكُ الْمُلْكِ عَوْنِي ... فَلْيَنَلْنِي بِكَيْدِهِ مَنْ يَكِيدُ
مُقْعَدٌ أَيُّهَا الصَّدِيقُ وَلَكِنْ ... مِنْ قُعُودِي هَذَا يَخَافُ الْيَهُودُ
أَوْعَدُونِي وَلَسْتُ أَخْشَى وَعِيدًا ... بَشَرِيًّا فَعِنْدَ رَبِّي الْوَعِيدُ
سَجَنُونِي مُؤَبَّدًا وَهْوَ وَهْمٌ ... إِنَّمَا فِي الْقِيَامَةِ التَّأْبِيدُ
يَا شَيْخَنَا تُضَامُ وَتُؤْذَى ... وَعَلَى مَا جَرَى تُقَامُ الشُّهُودُ
ثُمَّ تُنْسَى وَيُحْتَفَى بِسَلَامٍ ... سَاقَنَا نَحْوَهُ الْعَدُوُّ اللَّدُودُ
يَا ابْنَ يَاسِينَ كَمْ يُمَزِّقُ قَلْبِي ... ذُلُّ قَوْمِي وَلَهْوُهُمْ وَالصُّدُودُ
لَوْ شَكَا كَلْبُ سَائِحٍ أَجْنَبِيٍّ ... لَرَأَيْنَا مَا يَصْنَعُ التَّهْدِيدُ
وَالْيَتَامَى مِنْ أُمَّتِي وَالصَّبَايَا ... حَظُّهُنَّ الْإِرْهَابُ وَالتَّشْرِيدُ
أَيْنَ مِنْ أُمَّتِي عُمَيْرٌ وَسَعْدٌ ... وَالْمُثَنَّى وَخَالِدٌ وَسَعِيدُ
أَيْنَ مِنْ قَادَةِ الْجُيُوشِ صَلَاحٌ ... أَيْنَ مِنْ سَاسَةِ الْبِلَادِ الرَّشِيدُ
أَيْنَ قُطُزٌ لَمَّا تَهَاوَى تَتَارٌ ... عِنْدَ أَقْدَامِهِ فَعَزَّتْ بُنُودُ
يَا ابْنَ يَاسِينَ مَا يَزَالُ بِقَلْبِي ... لَهَبٌ مِنْ جِرَاحِهِ وَوَقُودُ
لَمْ أَزَلْ أَذْكُرُ الظَّلَامَ وَئِيدًا ... آهِ مِمَّا جَنَى الظَّلَامُ الْوَئِيدُ
لَيْلَةٌ أَظْلَمَتْ وَغَامَتْ فَسَلْنِي ... كَيْفَ كَانَتْ بُرُوقُهَا وَالرُّعُودُ
كَيْفَ سَالَتْ مَدَامِعُ الْمَجْدِ فِيهَا ... وَشَكَا فَوْرَةَ الدِّمَاءِ الْوَرِيدُ
كُنْتَ فِي السِّجْنِ تَشْرَبُ اللَّيلَ سُهْدًا ... وَعَلَى الذُّلِّ تَنْطَوِي «مَدْرِيدُ»

كُنْتَ فِي سَجْدَةِ التَّهَجُّدِ تَدْعُو ... وَصَلَاةُ الْمُفَاوِضِينَ الْكُنُودُ[١]

أَيْنَ «رِبْعِيُّنَا» الْمُفَاوِضُ عَنَّا ... أَيْنَ مِنَّا «الْمُغِيرَةُ» الصِّنْدِيدُ

أَنْذَرَا «رُسْتُمًا» فَلَا الْبَحْرُ بَحْرٌ ... عِنْدَمَا أَنْذَرَا وَلَا الْبِيدُ بِيدُ

أَيْنَ مِنَّا يَا شَيْخُ دُهْمُ الْمَطَايَا ... سَاقَهَا الْعَزْمُ وَالْإِبَاءُ يَقُودُ

قَالَ لِي الشَّيْخُ لَا تَخَفْ فَلَدَيْنَا ... أَمَلٌ فِي إِلَهِنَا مَعْقُودُ

لَا تَخَفْ يَا بُنَيَّ كَمْ مِنْ قُلُوبٍ ... مُظْلِمَاتٍ صَفَاؤُهَا مَفْقُودُ

كُلُّ مَنْ فَاوَضَ الْعَدُوَّ سَيَبْكِي ... حَالَهُ حِينَ يَضْحَكُ التَّهْوِيدُ

فَاوَضَ الْمُعْتَدِي ضَحَايَاهُ مِنَّا ... وَعَلَى مَا جَرَى رَقِيبٌ عَتِيدُ

لَيْلُهُمْ رَاكِدٌ وَهُمْ فِيهِ عُمْيٌ ... وَلَنَا فَجْرُنَا الْمُشِعُّ الْجَدِيدُ

مَجْدُهُمْ صُورَةٌ لِوَهْمٍ كَبِيرٍ ... وَلَنَا مَجْدُنَا الْعَظِيمُ التَّلِيدُ

يَا ابْنَ يَاسِينَ لَا عَدِمْنَاكَ شَهْمًا ... عَنْ حِمَى قُدْسِنَا الشَّرِيفِ تَذُودُ

عِشْ كَرِيمًا فَإِنْ تَمُتْ فَرَجَائِي ... أَنْ تَقُولَ الْأَمْجَادُ هَذَا الشَّهِيدُ[٢]

قَدْ يُسَامُ التَّقِيُّ فِي الْأَرْضِ خَسْفًا ... وَعَلَى اللَّهِ نَصْرُهُ الْمَوْعُودُ[٣]

❑ ثَبَاتُ الشَّيْخِ يَاسِينَ وَأَكَاذِيبُ الْإِعْلَامِ الْإِسْرَائِيلِي

سأل أحمد منصور الشيخ ياسين: أود ـ أيضًا ـ فيما يتعلق بفترة التعامل الإعلامي الإسرائيلي معك، في أحد الحوارات[٤] ذُكِر ـ نقلًا ـ عن التليفزيون الإسرائيلي أنك اعترفت بإسرائيل، أو أنك قلت: لا بأس أن يكون هناك تعايش ما بين اليهود والـ...

---

(١) الكُنود: كفر النعمة وجحودها.

(٢) لله ما أصدق فراسة العشماوي إذ أنه قال هذه القصيدة قبل موت الشيخ بكثير.

(٣) قصيدة «أحمد ياسين» من ديوان «من القدس إلى سراييفو» لعبدالرحمن العشماوي ص (٤٣) ـ طبع دار الصحوة.

(٤) أي: في داخل السجن.

أحمد ياسين: هذه كانت دبلجة إسرائيلية من المخرج؛ لأنه كان يسألني، أو طبعًا أنا لو اعترفت بإسرائيل من البداية كنت قد خرجت فورًا من السجن، هم كانوا يطالبونني بهذا الكلام؛ أنني فقط أعترف، أوقف، أعمل، فكنت دائمًا أقول لهم: هذا مستحيل إطلاقًا، لكن هو كان يسألني: ما هو موقفكم من السلطة؟ قلت له: نحن نرفض «أوسلو»، لكن لسنا مستعدين أن نتقاتل مع بعضنا بعضًا، قال: طيب هم لو وصلوا، وأخذوا القدس، وعملوا دولة فلسطينية هل توافق عليها؟ قلت له: أنا طبعًا أوافق عليها على أساس أنه شيء موجود، شيء قائم يعني، قال: طيب الدولة هذه أين ستكون؟ قلت: أين ستكون؟ ستكون إلى جوار إسرائيل، فهو اعتبر هذا الكلام أني أنا اعترفت بإسرائيل، أنا كنت أتكلم عن السلطة وموقف السلطة، وهي التي تعترف، وهي التي تريد، فاعتبر مني هذه الدبلجة أني أنا اعترفت بإسرائيل، وطنطنوا فيها وأذاعوها، لكن أنا ما كنت متأثرًا؛ لأني أعرف نفسي وأعرف موقفي، ثم إن الناس أهلي في الخارج هم يعرفون مَنْ أحمد، ليس سهلًا أن يعطي هذه المعلومات، لكن الحمد لله مرت بسلام، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهكذا طبيعة الصراع»[1].

* * *

الْمُؤْمِنُ حُرٌّ وَإِنْ كُبِّلَ بِالْحَدِيدِ[2]

«الْمُؤْمِنُ حُرٌّ وَإِنْ كُبِّلَ بِالْحَدِيدِ».. صورة جمالية تعكس حياة الشيخ الشهيد أستاذ المجاهدين «أحمد ياسين»، وإن كانت أقل جمالًا من قلبه النابض بالحياة وعزيمته التي لا تعرف الشلل ولا تكبلها قيود السجن، أفق واسع، وفكر حي لا يعرف حدود غرفة، هكذا كانت حياته في سجنه، وهكذا تروي قصة يوم عاشه داخل زنزانته على لسان أحد مرافقيه تفاصيل رجل يعجز عن الحركة، لكنه يحرك العالم.

---

(١) «الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٢٢١).

(٢) المصدر «موقع إسلام أون لاين».

❑ يَوْمٌ تَحْتَ المِجْهَرِ..

قال المهندس فريد «زيادة» هو أحد الأسرى السابقين الذين رافقوا الشهيد الشيخ «ياسين» في غرفته في سجن «كفاريونا»: «بدأت الحكاية عندما فتح الباب أمام أسرى «حماس» لتقديم طلبات للانتقال إلى سجن «كفاريونا» حيث كان يحتجز المجاهد الشهيد»، وأضاف: «إنها فرصة للتعرف على هذه المعجزة الإيمانية عن كثب، فسارعت إلى تقديم طلب للانتقال من سجن (نابلس) المركزي الذي كان يحتجز فيه عام ١٩٩٤م إلى سجن «كفاريونا» حيث يقيم الأستاذ الشهيد»، ويضيف «زيادة»: «كانت المنافسة شديدة جدًّا، وأحباب الشيخ ومريدوه كثر، وكلهم وجدوا فيما رأيت فرصة للوصول ورؤية الشيخ الشهيد القعيد وخدمته».

كانت حركة «حماس» في السجون المركزية تفتح باب الترشيح بين أسراها الذين أسرهم حب شيخها، والتسابق لنيل هذا الشرف المضاعف، فمن ينجح بالوصول للشيخ يحظى بشرف خدمته ورعاية شئونه، ووقوع الاختيار عليه يعكس ثقة تنظيمه به وبقدرته على تحمل صعاب المهام»، وأضاف «زيادة»: «في السجن تعرف معادن الرجال، «كفاريونا» سجن جنائي من السجناء الصهاينة، وليس فيه من الأسرى الأمنيين العرب إلا غرفة واحدة يقيم بها الشيخ ومرافقان اثنان».

الانقطاع عن الأسرى، والبعد عن من عايشوك، ومرارة سنين الاعتقال، وخدمة مضنية لرجل عاجز عن الحركة كلها قضايا ثانوية لا تمنع أسرى «حماس» من التسابق لهذا الظرف ما داموا برفقة أبيهم الشيخ.

❑ حُرٌّ وَإِنْ حَبَسُوا الجَسَدَ..

ويرسم «زيادة» في حديثه الوجداني عن ذكريات الأيام السالفة برفقة الشيخ سيرة ذاتية يلتقي فيها الحب والحنين والشوق والعذاب لفرقة الحبيب، وإن كان للحرية شوقًا وطعمًا آخر، فقال «زيادة»: «عندما تتحدث عن الشيخ «ياسين» فأنت تصف ظاهره، كان يضع لنفسه برنامجًا مفعمًا بالحيوية لا يقوى على تحمله صحاح الأبدان ضعاف العزائم».

ويصف المهندس «زيادة» حياة الشيخ بالقول: «كان الشيخ الشهيد يستيقظ يوميًّا في الساعة

الثالثة صباحًا، يتوضأ ويبدأ بتلاوة القرآن الكريم إلى أن يحين وقت صلاة الفجر».

دقائق معدودة يقضيها العبد بين يدي ربه يرى الشيخ فيها ضعف السجان وضيق دنياه أمام سعة رحمة الله، فيعود بعدها لتلاوة ورده من القرآن الكريم إلى أن تبزغ الشمس وتشرق الأرض بنور ربها حين يفتح السجان باب الغرفة.

إنه وقت الفورة، ولبدنك عليك حق، يتعاون «زيادة» ورفيقه في إنزال قائدهم الشيخ عن درج الغرفة إلى ساحة الفورة حيث يقول «زيادة»: «لم يكن الشيخ مستسلمًا للمرض، كان يفهم أن في رياضة الجسد حياة للروح، نمسكه من تحت إبطيه ونقوم بتدريجه مشيًا، كنا نشعر أنه يوجه الرسالة للمراقبين على أبراج الحراسة، ولسان حاله يقول: عدم قدرتي على الحركة لا يعني أني سأستسلم».

وأضاف المهندس «زيادة»: «كنا نقوم بعمل المساجات والتدليك لذراعي الشيخ وراحة يده وأصابعه، كنا نشعر بمعنى الحياة ينبض في كل جسده»، وتمضي ساعات الفورة ويعود الشيخ ومرافقوه إلى الغرفة، حيث يتوضأ من جديد ويتفرغ لصلاة الضحى التي تطول معه إلى أن يحين موعد العلم والفائدة حيث يلتجئ الشيخ إلى مكتبته الضخمة داخل غرفته الصغيرة يطالع ويتصفح ويقرأ ما يكفي لغذاء عقله المستنير، ويضيف «زيادة»: «كان الشيخ شديد الاهتمام بالقراءة والمطالعة، وكان ذكيًّا واضح الفراسة إلى الحد الذي جعله يحفظ ما يقرأه بسهولة، شديد الولع بقراءة «البداية والنهاية» في التاريخ وهو سلسلة من ١٢ مجلد، وكان يطلب منا أن نمتحنه فيه، فنسأله عن قصيدة أو مقولة أو أي فكرة في الكتاب فيخبرنا أنها موجودة في مجلد كذا صفحة كذا، وعندما يحين موعد الظهر، يتوضأ الشيخ ويصلي الظهر ثم ينام القيلولة التي تمتد لساعة أو ساعتين، ثم يستيقظ فيتسلى مع مرافقيه يشاهد برامج التلفاز ويستمع إلى الراديو وبرامج الأخبار والتحليلات السياسية، وكان يحب الاستماع إلى الأناشيد الإسلامية، ثم يعود إلى مكتبته للقراءة حتى يؤذن العصر فيصليه مع مرافقيه ويعود إلى كتاب اللّه يتلو منه وردًا، ثم يراقب مرافقيه وهما يعدان طعام الغذاء حيث كانوا لا يأكلون إلا ما يصنعون بأيديهم إلى أن يأتي موعد فورة العصر حيث يتقاسم الشيخ ورفيقاه فترة الفورة المسائية مع الأسرى الجنائيين بحيث لا يلتقي الفريقان معًا في نفس الساحة.

ويعود الشيخ إلى غرفته يتوضأ ويتجهز لصلاة المغرب مع رفيقه ثم يتناول العشاء وينصرف إلى صلاة نافلة إلى ما شاء اللَّه له أن يصلي إلى أن يؤذن العشاء حيث يساهر رفيقيه قليلًا، ويبدأ ورد حفظ القرآن والتسميع لدى الشيخ ثم ينام».

❑ رَجُلٌ غَيْرُ عَادِيٍّ...

ولم تكن الرتابة والروتين لتسيطر على حياة الياسين حيث يقول «زيادة»: «لم يكن الشيخ يطيل السهر، ولم يكن يحب شرب الشاي إلا قليلًا، ولا يشرب القهوة أبدًا، لكن مجالسته في غاية التسلية».

ويضيف «زيادة»: «كان الشيخ مرحًا بشوشًا، لديه روح الفكاهة وحب الدعابة، كنا نصغر دائمًا أمام نفسيته التي لا تعرف الانكسار، قليلًا ما كان أقاربه يتمكنون من زيارته فلا يشعر بالضيق ولا الإحباط الذي يعانيه الأسرى عمومًا عند الحرمان من الزيارة، وكان يواسينا عند كل ألم».

ويواصل «زيادة» حديثه عن آلام الشيخ التي لم تهز روحه حيث يقول: «كان يعاني من التهاب في الأمعاء والأذن لذلك لم يكن يسمع جيدًا، كنا نضع سماعة خاصة في التلفاز؛ ليتمكن من السماع، لكن ذلك لم يكن يؤثر عليه».

ويرى «زيادة» في عقلية الشيخ الفذة وشخصيته الجامعة للروحانية والهمة العالية والفهم السياسي والعقيدة الفكرية والدعوية أول دليل يقوده لبساطة العيش والتعامل مع الحياة بمرونة وسلاسة قائلًا: «كان لدى الشيخ كأس خاص قديم لشرب الماء، استخففت به ذات مرة وقلت له: «سنحضر لك كأسًا جديدًا»، فقال: «هذا الكأس هو رفيق اعتقالي الدائم»، ثم ضحك وهو يقول: «سعة هذا الكوب (أوقية) ماء، وأنا معتاد أن أشرب يوميًا ٢ لتر من الماء؛ لذلك لا أزيد ولا انقص في الشرب عن ٨ أكواب»، فقلت: لا بأس نحضر لك كأسًا جديدًا بنفس السعة، فأجاب: «ما ضرورة التجديد ما دام القديم ما زال يفي بالغرض».

❑ لَحَظَاتُ الْفِرَاقِ..

وتتجلى لحظات الوجدانية في حديث «زيادة» عند وصوله إلى لحظة فراقه للشيخ حيث

يقول: «أبلغتني إدارة السجن أن لي محكمة تخفيض الثلث (الشليش) وهي محكمة يعرض فيها الأسير على القضاء الصهيوني بعد إنهائه ثلثي محكوميته، لم أتحمس للأمر؛ لأن أسرى «حماس» عادة لا يحصلون على التخفيض، ولأني كنت أرى أن في إقامتي مع الشيخ خيرًا لي من الإفراج، لكن الشيخ شجعني للذهاب.

لم يكن «زيادة» يتوقع أن يخفض حكمه ويفرج عنه، لكنه لن يخالف رغبة لشيخه الأسير، فتوجه إلى المحكمة، وتحولت الفرحة التي تصيب كل أسير بإنهاء سجنه إلى دموع وألم في قلب «زيادة»، لقد قرروا الإفراج عنه، سيفارق الشيخ الذي أحب، ما أصعب فراق الأحبة، لكن الدنيا لا تمنحك كل ما تريد.

عاد «زيادة» من المحكمة إلى سجنه دامع العينين باكي الفؤاد، لكنه - كالعادة - وجد الشيخ مواس لجراحه، فقد سبق «زيادة» إلى السجن أحد رجال الشرطة الصهيونية المرافقين للمحكمة وأبلغ الشيخ أن رفيقه سيغادر إلى الحرية التي يرى فيها بعيدًا عن شيخه سجنًا وقيدًا، وبقي لموعد الإفراج حسب القرار أسبوعًا اعتزم «زيادة» أن يستغل كل لحظة ليغترف فائدة وعلمًا من الشيخ الذي لم يكن يضن على مرافقيه، لكن الفرحة تأبى إلا أن تتحول إلى الألم والحزن، فقد أُبْلِغَ بأن إخلاء سبله سيتم في اليوم التالي.

فرح الشيخ لحرية رفيقه الذي ازداد همًّا وكمدًا ووجد إلى المماطلة في المغادرة سبيلًا قائلًا: «لن أرحل قبل أن يحضر مرافق جديد بدلًا مني، كانت لدى «زيادة» آخر محاولة لاستبقاء روحه في السجن الذي عشقه، لكن إدارة السجن أحضرت مرافقًا آخر من سجن آخر؛ ليقيم فرحته بلقاء الشيخ على حزن «زيادة» المودع. وحانت لحظة المغادرة واستعرض «زيادة» أيامه مع الشيخ، كانت اللحظات صعبة على القلب، كان الشيخ في ساحة الفورة طلب «زيادة» الذهاب إليه لوداعه فسمح له، عانقه وقبله وانهمرت الدموع التي تبكي أول فراق بقرار الاحتلال، واليوم يأتي الفراق الثاني - أيضًا - بصواريخ الاحتلال.

❑ قَرَاوَةُ... قُرَّةُ عَيْنِ الشَّيْخِ..

ويفصل عدد من أسرى «حماس» الذين عايشوا الشيخ الشهيد في سجنه لحظات من الذاكرة الحية وهي تبكي رحيله؛ حيث يقول محمد عوض مرعي (أبو يحيى) من قراوة بني حسان في

سلفيت: «مكثت برفقة الشيخ الشهيد عامًا ونصف العام، وإن نسيت فلا أنسى أن يوم لقاءي به كان أجمل وأعز يوم في حياتي، غادرت معه سجن (تلموند) ورافقته آلامه في مستشفى سجن (الرملة) وحتى في العزل كنت رفيقه، كنت ورفيق اعتقاله الثاني نحميه بأجسادنا من اعتداءات الأسرى الجنائيين، وحتى ضباط السجن كانوا يقرون له بالاحترام رغم كونه العدو اللدود لهم، كانوا يقرون أنه الزعيم الذي لن يهدأ لهم قرار إن مسه مكروه وهو في سجونهم».

أما محمود عاصي وهو من (قراوة) كذلك فيقول: التقيت الشيخ في سجن الرملة، كانت الساحة الفلسطينية تشهد تغيرات سياسية عميقة لم أعهدها، فسألت الشيخ وقد اقترب موعد الإفراج عني ماذا أفعل؟ فأجاب: يا محمود، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ فافعل كما فعل، كما كان الشيخ يحس بعلاقة وجدانية خاصة تربطه بأسرى «حماس» من قراوة بني حسان، وهو يقول: كيف لا أحب أحبه عيّاش ورفاق دربه؟!».

ويتحدث أبو يحيى عن ذكرياته مع الشيخ بذكر الحوادث التي مرت بهما قائلًا: بعد اختطاف كتائب القسّام للجندي ايلان سعدون والمطالبة بإطلاق سراح أسرى فلسطينيين مقابل الإفراج عنه حضرت والدة سعدون إلى السجن وطلبت من الشيخ التدخل لإنقاذ حياة ولدها بدافع إنساني، فأبلغها الشيخ أن هذا الأمر غير مرتبط به، وأنه لا يستطيع الوصول للخاطفين ليطلب إليهم ذلك، فقالت له: «سأحضر لك التلفزيون الصهيوني لتوجه رسالة عبره للخاطفين، فأنا أم وأريد ولدي»، فأخبرها الشيخ أن هناك آلاف الأمهات من الفلسطينيات بعيدات عن أبنائهن الأسرى منذ سنوات، فإن تم إطلاق سراح أي منهم قد تحل المشكلة.

رحل الشيخ واستقامت روحه حيث تمنى، نال رضا الله، وصحبه آلاف من الشهداء الذين أحبوه في جنات السماء تاركًا ملايين القلوب على الأرض ترقب نظرة الوداع في عينيه وهي تكرر النداء الخالد ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

❑ الْخُرُوجُ مِنَ السِّجْنِ:

سأل أحمد منصور الشيخ ياسين: «كيف كانت عملية ترتيبات خروجك من المعتقل أو من السجن؟ وكيف تلقيت الخبر؟

أحمد ياسين: كنت في ذلك اليوم قد نبهت على زوجتي في الصباح ألا تعود لزيارتي، وجاءني

المحامي في المساء، وكان قد أعد لي عريضة يطالب فيها بإخراجي، ويسعى للحصول على موافقة أربعين عضوًا من الكنيسيت، فقلت له: انس هذا الكلام... هذا الكلام لن يصير، إذا لم أخرج رغمًا عن اليهود فلن أخرج، وفي الساعة الثامنة مساء طلبني اليهود، قالوا: نحن نريد الشيخ في الخارج، لكن الشباب الذي كانوا في الزنزانة رفضوا وقالوا: فلتأتوا أنتم إلى هنا، حتى يسمعوا ويشاهدوا، فقالوا للجنود: الشيخ مريض ولا يريد أن يخرج، فذهب الجنود وجاءوا مرتين والشباب يرفضون طلبهم، ولم أكن أعلم ما يدور، فقلت لهم: ماذا يحدث؟ فقالوا: اليهود يريدونك أن تذهب ونحن نرفض، فجاءوا بعد ذلك وقالوا لهم: الموضوع الذي نريده لأجله من مصلحته فدعوه يخرج، فخرجت، وجاء ثلاثة من ضباط الشرطة وضابط من الجيش، وكان هناك ضابطان آخران من الجيش يجلسان، فقالوا: أمامك فرصة جيدة، فقلت لهم: خير إن شاء الله، قالوا: تذهب إلى البيت... أوه... أوه.. هذا... مليح كويس، قالوا: موافق؟ قلت لهم: طبعًا موافق، قالوا: الملك حسين عمل مبادرة مع بنيامين نتنياهو اتفقوا إنك تطلع على الأردن، وبعد ذلك ما تتفق عليه مع الملك سوف يصير، قلت لهم: ... مبادرة، أنا موافق أطلع، لكن أذهب إلى الأردن وأتفق مع الملك حسين، لا... من الآن لا بدَّ أن تكتبوا لي ورقة تعهُّد أني أذهب إلى الأردن زائرًا، وأعود بعد ذلك إلى بيتي ووطني في غزة...

أحمد منصور: وهل كنت قد عرفت شيئًا عن محاولة اغتيال خالد مشعل؟

أحمد ياسين: أنا كنت أعرف أن هناك محاولة، لكن لم أكن أعرف من وراءها، لم تكن قد كشفت بعد، ولم نكن قد عرفنا شيئًا عن صفقة التبادل بينهم، فقالوا: طيب، لماذا الورقة؟ قلت لهم: لا بدَّ، وإلَّا فأنا لا أريد أن أخرج، قالوا: هذه فرصة والملك هو الذي... قلت لهم: مهما يكن، لا يمكن أن أقبل بالخروج إلَّا أن تكتبوا لي تعهدًا منكم وتوقعوا عليه أنتم الثلاثة.

أحمد منصور: هل كانت رتبهم عالية لدرجة أنهم لو وقَّعوا على تعهُّد يستطيعوا أن ينفذوه...؟؟

أحمد ياسين: أقل واحد فيهم ٣ نجوم، والثانيان مقصات... ألوية يعني... فقلت لهم: مش ممكن هذا الكلام، اتصلوا بالجهات العليا، فقضوا ثلاث ساعات في حواري معاهم...

أحمد منصور: ثلاث ساعات؟!

أحمد ياسين: ثلاث ساعات.

أحمد منصور: كان محور الكلام أنك ستذهب إلى الأردن، وتتفاوض من هناك على قضيتك؟

أحمد ياسين: نعم، كانوا يريدون أن يضعوني تحت الأمر الواقع، قلت لهم: لا... تكتبوا لي من هنا تعهدًا، وإلَّا فلن أخرج، لا أريد أن أخرج، فقالوا: ولكنك لا بدَّ أن تخرج، فقلت لهم: لقد حاولتم أن تخرجوني من قبل من غزة أكثر من مئة مرة وأنا رفضت، هل تعتقدون أنني مجنون؟؟ لن أخرج ولن أسلمكم حياتي، فالضباط قالوا: اللَّه أكبر... هل تريد أن تشنقنا؟ قلت لهم: هذه حياتي وهذا مستقبلي، وبعد نقاش طويل رضخوا في النهاية، أحضروا ورقة وكتبوا فيها، وكلما كتبوا شيئًا كنت أقول لهم: لا غيروا هذا وبدلوا هذا، وفي النهاية قلت لهم: لا بدَّ أن تكتبوا ما يريحني وما أريده أنا لا ما تكتبوه أنتم، وبالفعل كتبوا ما أريده، وقلت لهم: وقِّعوا عليه، فقالوا: طيب، وبعد قليل وقَّعوا عليه، فقلت لهم: بقي المرافقان أنا أريد المرافقين معي أن يخرجا معي؛ لأنهما يخدمانني ويعرفان احتياجاتي؛ فاحتجوا على ذلك ورفضوا، فقلت لهم: إذا كنتم لا تريدون خلاص، لن أخرج لا أريد أن أخرج...

فقالوا: هؤلاء الذين معك ما هي الأحكام التي عليهم؟ فقلت: أحدهما محكوم عليه باثني عشر عامًا وأمضى منها ثلاث سنوات، والثاني محكوم عليه بثماني سنوات أمضى منها خمس سنوات، قالوا: خلاص نعطيك هذا. فوافقوا على الذي أمضى خمس سنوات، فحينما وجدتهم متشددين قلت: خلاص ووافقت، وذهبنا إلى الغرفة وأخذنا الأوراق وخرجنا من السجن في سيارة إلى المطار، ومن المطار إلى عمان في الأردن حيث كان الملك حسين في انتظاري في المطار، وبمجرد ما وصلت الطائرة سلَّم عليَّ الملك وهنَّأني...

أحمد منصور: بالتفصيل - بعض الشيء - اذكر لنا كيف خرجت من المطار إلى ... من السجن إلى المطار؟

أحمد ياسين: أولًا حينما جئت إلى الغرفة لجمع حاجاتي كانوا يستعجلونني ويقولون لي: لقد أعقتنا، تأخَّرنا عن موعدنا؛ لأن معادهم أعتقد كان الثانية عشرة أو الواحدة في عمان، فأخذوا الشاب الذي رفضوا خروجه والذي كان معي، والآخر قالوا له: سوف نفرج عنك وتذهب إلى

بيت لحم، والشيخ يريد أن يذهب إلى غزة، أوهموه؛ فالشاب لم يكن يعرف، فحينما وجد نفسه سوف يخرج معي فرح كثيرًا، وجاء يُقَبِّلني، المهم جمعنا حاجاتنا الضرورية، وتركنا الأشياء الأخرى، وخرجنا إلى السيارة، وكان عندي كرسي متحرك جيد كانوا وضعوه في المخزن فطلبته، فلم يجدوه وأعطوني آخر مكانه ليس جيدًا، وبعد ذلك قلت لهم: أين الورقة؟ أعطوني الورقة التي تعيدني إلى غزة؟ فقالوا: حينما نقوم بتوصيلك سوف نعطيك إياها... فحينما وصلت إلى المطار، كانت الطائرة الأردنية في انتظاري، قلت لهم: أين الورقة؟ وجاء الأردنيون وسلَّموا عليَّ... قلت: أين الورقة؟ فقالوا: لا، ليست مهمة، قلت لهم: والله لن أخرج إلَّا أن تحضروا الورقة... فأحضروها لي غير موقَّعة، حيث قاموا بتبديلها، فقلت لهم: لا لن أقبل هذا الكلام، لا بدَّ أن توقِّعوها، فجاء قائد المنطقة الجنوبية ووقَّع الورقة وأحضرها لي، فقلت له: أنا أريد أن يقوم الضابطان الآخران بالتوقيع عليها أيضًا، وإلَا فلن أخرج، فجاء الضابط الأردني وقال لي: يا أخي الأمور مسهلة، وأنت مفرجٌ عنك في كفالة الملك، والذي تريده سوف يأتي لعندك، قلت له: والهويات... لن أخرج إلَّا ومعي الهويات وهم لم يعطونا الهويات حينما خرجنا من السجن، وأنا لن أخرج بدون الهويات، قالوا لي: لا تخف سوف تأتي الهوية إلى عندك، وأنت في عهدة الملك، فقلت لهم: هل تتعهدون بهذا؟ قالوا: نعم... قلت: خلاص هذه الورقة تكفي، وفعلًا أقلعنا من المطار هذه الليلة ووصلنا إلى عمان، وكما قلت لك: وجدنا الملك ينتظرنا في المطار، فهنأنا على سلامة الوصول، وأدخلت إلى مدينة الحسين الطبية، ونمت على السرير وجاء الملك مرةً أخرى وسلم عليَّ وأنا على السرير، وكان ـ ولله الحمد ـ إفراجًا عني بكرامة...

أحمد منصور: متى رجعت إلى غزة؟

أحمد ياسين: بعد خمسة أيام، رجعت في اليوم السادس...

أحمد منصور: عدت إلى غزة بعد غياب استمر حوالي ٨ سنوات...؟

أحمد ياسين: نعم ثماني سنوات ونصف...

أحمد منصور: كيف وجدت غزة بعد عودتك إليها؟

أحمد ياسين: في الحقيقة وجدت البلد وقد تغيرت، وأصبح هناك بنايات شاهقة لم تكن موجودة من قبل؛ وفي الحقيقة لم أكن أتخيل أن يكون شعبنا بهذا الحماس، فحينما وصلت إلى

المطار كان الناس فوق بعضهم البعض في انتظاري حتى إن الشرطة منعتهم من الوصول إليَّ، وحملوني في سيارة إسعاف سريعة، مشت بين الناس، وكانت الشوارع مليئة بالناس الذين كانوا ينتظرونني، فوصلت إلى ملعب اليرموك فوجدته مزدحمًا، حيث كان الشباب يقفون فيه بعضهم فوق بعض، وكانوا جميعًا ينتظرونني، وقفت أنظر إلى المشهد، فطلبوا مني كلمةً، لكن مشهد الناس أبكاني، فلم أكن أتصور مثل هذا الحماس، ولم أكن أتصور أن شعبنا لديه هذه العواطف نحو إنسان مثلي، فأنا لم أكن أعتبر نفسي شيئًا، إنسان متواضع بسيط، لكن ـ الحمد لله ـ كان الاستقبال ضخمًا وعدت إلى البيت، وكانت الوفود تأتي إلى بيتي، لكن بيتي لم يتسع للناس، فخرجت إلى ملعب نادي المجمع، وجلست فيه حتى أستقبل الناس، حتى إني جلست قرابة شهر كانت الوفود تأتيني من كل مكان، وأنا لا أستطيع استقبالهم إلَّا في الملعب، كذلك كانت الوفود تفد إلى بيتي، فكانت الوفود تأتي بالباصات، أربعة باصات أو خمسة باصات... الكل كان يأتي، والحمد لله...

أحمد منصور: ماذا كان شعورك في هذه اللحظة، وأنت حينما دخلت إلى السجن لم يكن الحماس لك بهذه الصورة التي وجدتها حينما خرجت؟

أحمد ياسين: حينما دخلت إلى السجن كنت أشتغل بشكل سري لم أكن معروفًا أني أحمد ياسين الذي أقوم بهذه الأعمال، أو أحمد ياسين الذي له دور في الانتفاضة، لكن حينما دخلت إلى السجن انكشف كل شيء، وعرف الناس عني كل شيء، والشعب الفلسطيني أصبح يعرف من هو أحمد ياسين، وما هو دوره في العمليات، وأنه كان يقف وراء كل الأعمال التي كانت تحدث، ثم إن مصداقية حركة «حماس» في الشارع وجهادها وصبرها، وموقفها من الفقراء والمحتاجين والتعليم أدى ـ أيضًا ـ إلى بروز دورها في الشارع الفلسطيني، والحمد لله فكل هذا من فضله ـ سبحانه ـ، فمن الممكن أن نزرع ولا ينبت الزرع، ومن الممكن أن نزرع وربنا ينمي هذا الزرع، وهذا من فضل اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ»[1].

---

(١) «الشيخ أحمد ياسين شاهد على الانتفاضة» ص (٢٢٧- ٢٣٣).

❑ ابْتِلَاءٌ وَصَبْرٌ يَسْتَمْطِرُ الدَّمْعَ:

إن الإيمان ليس كلمة تُقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يُتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للابتلاء والفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم.

وهذا الابتلاء وهذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية في ميزان الله ـ سبحانه ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ③﴾ إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل، وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص، وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء، إنها لأمانة قيادة الناس إلى طريق الله وتحقيق كلمته في عالم الحياة، فهي أمانة كريمة، وهي أمانة ثقيلة، ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء.

ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله، ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة.

وهناك فتنة الأهل ولأحباب الذين يخش عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه وهو لا يملك عنهم دفعًا.

وهناك فتنة الغربة في البيئة، والاسيتحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقًا في تيار الضلالة، وهو وحده موحش غريب طريد.. وهذه فتنة صبر عليها الشيخ ياسين في الستينيات أيام المد الشيوعي والناصري، وهو يصبر على الدعوة إلى الله ﷻ.

وهناك فتنة النفس وجاذبية الفراش، وثقلة اللحم والدم، والرغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوّقات والمثبطات في أعماق النفس، وفي ملابسات الحياة، وفي منطق البيئة، وفي تصورات أهل الزمان.

والصابرون هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان.. ويؤتمنون على تلك الأمانة الكبرى .. أمانة السماء في الأرض .. وأمانة الله في قلب الإنسان وضميره..

والنفس تصهرها الشدائد فتنفي عنها الخبث، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل.

وإنهم ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها عن غالي الثمن، وبما بذلوا لها من الصبر على المحن؛ وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات. والذي يبذل من دمه وأعصابه، ومن راحته واطمئنانه، ومن رغائبه ولذاته ثم يصبر على الأذى والحرمان، يشعر ـ ولا شك ـ بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل؛ فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات والآلام.

وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة، ويقع عليهم البلاء، أن يكونوا هم المختارين من الله، ليكونوا أمناء على حق الله، وأن يشهد الله بأن في دينهم صلابة، فهو يختارهم للابتلاء.

عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١).

وعند ابن حبان قال رسول الله ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِمْ، فَمَنْ ثَخُنَ دِينُهُ اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلاؤُهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ الْبَلاءُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي النَّاسِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(٢).

وعن فاطمة بنت اليمان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٣).

❑ صَبْرُ الشَّيْخِ يَاسِين عَلَى الطَّاعَةِ وَالدَّعْوَةِ وَهُوَ الصَّبْرُ الأَعْلَى:

وفي هذا الصبر يستمطر ياسين منا الدمع.. فلقد ضرب أروع الأمثلة في الصبر على الدعوة في أحلك الظروف، والصبر على قيام الليل والطاعات وأداء الصلاة في جماعة، وهو الشيخ المقعد الذي وضع الله عنه الحرج.

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، والدارمي، والطحاوي، والحاكم، والضياء، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٣)، وصحيح الجامع (١٠٠٣).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان عن سعد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٤)، وصحيح الجامع (١٠٠٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٤٥)، وصحيح الجامع (١٠٠٧).

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ؛ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**»[١].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا مِنْكُمْ**»[٢].

ولله ما أحلى عبادته وقيامه الليل وسط الفتن والهرج.

عن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عِبَادَةٌ فِي الْهَرْجِ وَالْفِتْنَةِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»[٣].
وعند مسلم، وأحمد، والترمذي وابن ماجه: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**».

واللَّه لكأن كلام ابن الجوزي عن الإمام أحمد وهو في سجنه وتعذيبه للشيخ أحمد ياسين منه أوفر نصيب: «هذا رجل هانت عليه نفسه في اللَّه ـ تَعَالَى ـ فبذلها، كما هانت على «بلال» نفسه. وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه كانت نفسه عليه في اللَّه ـ تَعَالَى ـ، أهون من نفس ذباب، وإنما تهون عليهم أنفسهم لتلمحهم العواقب، فعيون البصائر ناظرة إلى المآل لا إلى الحال، وشدة ابتلاء أحمد دليل على قوة دينه؛ لأنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ**». فسبحان من أيَّده وبصَّره، وقواه ونصره!!».

ويقول أيضًا: «وما زال الناس يُبتلوْن في اللَّه ـ تَعَالَى ـ ويصبرون، وقد كانت الأنبياء تُقتل، وأهل الخير في الأمم السابقة يُقتلون ويُحرَّقون، وينشر أحدهم بالمنشار، وهو ثابت على دينه، وقد سُمَّ نبينا ﷺ، وسُمَّ أبو بكر، وقُتل عمر وعثمان وعلي، وسُمَّ الحسن، وقُتل الحسين بن علي وابن الزبير، والضحاك بن قيس، والنعمان بن بشير، وصُلِب خبيب بن عديٍّ.

وقَتَلَ الحجَّاجُ عبدَالرحمن بن أبي ليلى، وعبداللَّه بن غالب الحدَّاني، وسعيد بن جبير، وأبا البختري الطائي، وكميل بن زياد، وحطيطا الزيات، وماهان الحنفي؛ صلبه، وصلب قبله ابن

---

(١) صحيح: رواه الترمذي: وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٨٧٩)، والسلسلة الصحيحة رقم (٩٥٥).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٤٩٤)، وصحيح الجامع رقم (٢٢٣٠).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٦٩).

الزبير.

وقتل الواثقُ أحمدَ بنَ نصر الخزاعي وصلبه.

فأما من ضُرِب من كبار العلماء:

فعبدالرحمن بن أبي ليلى: ضربه الحجاج أربع مئة سوط، ثم قتله.

وخُبيب بن عبدالله بن الزبير: ضربه عمر بن عبدالعزيز بأمر الوليد مئة سوط، فكان عُمر إذا قيل له: أبشرْ. قال: كيف بخبيب على الطريق؟!

وأبو الزناد: ضربه بنو أمية.

وأبو عمرو بن العلاء: ضربه بنو أمية خمس مئة سوط.

وربيعة الرأي: ضربه بنو أمية.

وعطية العوفي: ضربه الحجاج أربع مئة سوط.

ويزيد الضبيّ: ضربه الحجاج أربع مئة سوط.

وثابت البناني: ضربه ابن الجارود خليفة ابن زياد.

وعبدالله بن عون: ضربه بلال بن أبي بردة سبعين سوطًا.

ومالك بن أنس: ضربه المنصور سبعين سوطًا في يمين المكره، وكان مالك يقول: لا تلزمه اليمين.

وأبو السوار العدوي وعقبة بن عبدالغافر: ضربا بالسياط، ولأحمد بن حنبل في هؤلاء الأئمة أسوة»[١].

قيل لمالك بن أنس: إن الزهري قد أُقيم للناس وعُلِّقت كتبه في عنقه، فقال مالك: قد ضُرِب سعيد بن المسيب بالسياط، وحُلق رأسه ولحيته، وضُرِب أبو الزناد بالسياط، وضُرِب محمد بن المنكدر وأصحاب له في حمَّام بالسياط، قال: وقال عمر بن عبدالعزيز: لا تغبطوا أحدًا لم يصبه في هذا الأمر أذى»[٢].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص (٤٢٢- ٤٢٣).

(٢) المصدر السابق ص (٤٢١- ٤٢٢).

قيل للشافعي: يُبتلى الرجل أم يُمكَّن؟ قال: لا يُمكَّنُ حتى يُبتلى.

فلله در الشيخ ياسين الصابر المبتلى الذي عرف الطريق النيِّر جيدًا.. فسار عليه.. علم ووقر في خلده أن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل سُجن وضُرِب بالسياط في اللَّه وقام مقام الصِّديقين في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومئتين... فسار على دربه وكان له فيه أسوة.

ونختم هذا الدرس العظيم والمعنى الإيماني الكبير الذي تعلمّناه من سيرة الشيخ أحمد ياسين بأروع ما كتب مصطفى صادق الرافعي في صبر الإمام أحمد بن حنبل وسجنه، فواللَّه إن للشيخ ياسين منها أكبر وأعظم نصيب، يقول الرافعي: «كنت لا أزال أعجب من صبر شيخنا أحمد بن حنبل، وقد ضُرب بين يدي المعتصم بالسياط حتى غُشِي عليه، فلم يتحوَّل عن رأيه، فعلمتُ الآن أنه لم يجعل في نفسه للضرب معنى الضرب، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآدمي، ولو هو صبر على هذا صَبْرَ الإنسانِ لجزع وتحوَّل، ولوْ ضُرِب ضرْب الإنسان لتألَّم وتغيَّر، ولكنه وضع في نفسه معنى ثبات السُّنَّة وبقاء الدين، وأنه هو الأمة كلها لا أحمد بن حنبل، فلو تحوَّل لتحول الناس، ولو ابتدع لابتدعوا، فكان صبره صبر أمة كاملة، لا صبر فرد، وكان يُضرَب بالسياط ونفسُه فوق معنى الضرب، فلو قرضوه بالمقاريض ونشروه بالمناشير، لما نالوا منه شيئًا، إذْ لم يكن جسمه إلَّا ثوبًا عليه، وكان الرجل هو الفكر ليس غير.

هؤلاء قوم لا يروْن فضائلهم فضائل، ولكنهم يروْنها أمانات قد ائتُمِنوا عليها من الله، لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا، فهم يزرعون في الأمم زرعًا بيد الله، ولا يملك الزرع غير طبيعته، وما كان المعتصم وهو يريد شيخنا على غير رأيه وعقيدته إلا كالأحمق، يقول لشجرة التفاح: أثمري غير التفَّاح»[١].

قال الشيخ ياسين:

«علينا أن نصبر؛ لأن الإسلام سيأتي وسينتصر؛ لأن النصر للإسلام، وإذا ما صبرنا ودعونا اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ وبذلنا الجهد للعمل فإن مشوارنا سيكون أقصر»[٢].

---

(١) من «وحي القلم» المصطفى صادق الرافعي.

(٢) الشيخ أحمد ياسين «شموخ في زمن الإنكسار» ص (٥٦).

● وبعد يا أخي.. الآن عرفت صدق الدكتور الرنتيسي وهو يقول عن شيخه الشيخ ياسين «أشهد أنه أصبرُ من عرفت، ومن أراد أن يعرف معنى الصبر الجميل، فعليه أن يصاحب هذا الرجل، فهو على ما أصابه من بلاء لا يشكو أبدًا بثه وحزنه إلا لله سبحانه»(١).

يقول الدكتور محمد سليم العوّا: «عندما سجن عبدالعزيز الرنتيسي مع شيخه الشهيد أحمد ياسين للمرة الثانية في سجون الصهاينة، ورأى من آيات صمود هذا الشيخ المريض القعيد آيات يعجز عن وصفها البيان نطق شعر الرنتيسي يخاطب الشيخ صادقًا بقوله:

يا طودُ يا بركانُ .. يا عَلَمُ

ماذا يخطُّ لوصفِك القلَمُ

يا من على الآلام قد طويت

منك الضلوعُ وأنتَ مبتسِمُ!!!

فيوقفه الشيخ ياسين عن إكمال قصيدته ـ أو إكمال إلقائها ـ ويقول: «لا تمدحوا حيًّا»(٢).

* * *

---

(١) من حديث الرنتيسي مع شبكة الفرسان.

(٢) جريدة الأسبوع العدد(٣٨٠) ـ ٣ من جمادى الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤/٦/٢١ من مقال «رؤيا الشيخ ياسين» للدكتور محمد سليم العوا ص٤.

الْبَابُ الرَّابِعُ

الشَّيْخُ يَاسِينُ لَا يَعْرِفُ الْعَيْشَ إِلَّا حُسَامًا وَلَا الْمَوْتَ إِلَّا شَهَادَةً



الشَّيْخُ يَاسِينُ لَا يَعْرِفُ الْعَيْشَ إِلَّا حُسَامًا

❑ لله دَرُّ الشيخ ياسين القائل:

«أنا إنسان عشتُ حياتي أملي واحد، أملي أن يرضى اللَّه عني، ورضاه لا يُكتسب إلَّا بطاعته، وطاعة اللَّه تتمثَّل في الجهاد من أجل إعلاء كلمة اللَّه في الأرض، ومن أجل تطهير أرض اللَّه من الفساد الذي يقيمه أعداء اللَّه في الأرض، فإذا ما حققت الهدف الأول وهو تطهير الأرض الإسلامية من الاغتصاب، وقام عليها النظام الإسلامي، فهذه هي أمنيتي التي أسعى إليها، وأرجو اللَّه أن ألقاه عليها، فإذا تحققت فذلك فضله، وإن متُّ قبل أن تتحقق أكون قد بدأت الطريق وخطوتُ خطوات ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]»[١].

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «هذا هو طريق الجهاد، الذي يريد أن يجاهد لا بدَّ أن يتحمَّل، ممكن أن يُسجَن، ممكن أن يُعذَّب، الذي لا يريد أن يجاهد وأن يتحمَّل يذهب لينام في دار أهله، طريق الجهاد كله تضحية وفداء، سجن واستشهاد، وقتل وتعذيب إلى آخره، ونحن نعرف طريقنا واخترناه بإرادتنا، لم يفرض أحد علينا هذا الطريق»[٢].

ولله دَرُّ «**طاهر العَتَباني**» وهو يقول عن الشيخ ياسين في قصيدته المهداة للشيخ ياسين «**لأنك لا تعرف العيش إلا حُسامًا**»:

لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ الْعَيْشَ إِلَّا حُسَامًا

لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ الْعَيْشَ إِلَّا حُسَامَا
لِأَنَّكَ تَفْضَحُ فِينَا الْخِيَانَهْ..

---

(١) «الشيخ أحمد ياسين» «شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٢٤٦).
(٢) المصدر السابق ص (٢٤٦).

لَا تَشْتَهِينَا وُجوهٌ كَستْهَا الْبَلَادَهْ
سَيَقْرَؤُكَ الْقَادِمُونَ عَلَى كُلِّ لَحْظَهْ..
صِدْق...
وَيَرْسُمُكَ الطَّالِعُونَ خُطُوطَ إِرَادَهْ
لِأَنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّ الْحُسَامَ الَّذِي
يَسْتَكِينُ لِغَمْدٍ يَمُوتُ
وَأَنَّ السُّيُولَ الَّتِي لَيْسَ تجْرِفُ
كُلَّ الصُّخُورِ تَمُوتُ
وَأنَّ الْحِصَانَ الَّذِي لَا يَخِبُّ يَمُوتْ
تَحَدَّيْتَ هَذَا السُّكُوتْ
تَحَدَّيْتَ هَذَا الْهَوَانَ الْمَقِيتْ
وَأَعْلَنْتَ... وَاللَّيْلُ حَوْلَكَ يَضْرِبُ
أَطْنَابَهُ..
أَنَّ فَجْرَكَ آتٍ،
وَصُبْحَكَ يَرْكُضُ نَحْوَ بِلَادٍ،
يُعَشْعِشُ فِي قَلْبِهَا الْعَنْكَبُوتْ
الضِّيَاءُ الَّذِي فِي فُؤَادِكَ يَصْهلُ..
وَاللَّيْلُ لَيْلٌ مَقِيتْ
وَالْأَحِبَّةُ - حِينَ تَذَكَّرْتَهُمْ -
أَشْعَلُوكَ انْتِصَارًا لِمَجْدِكَ..
هَا أَنْتَ ذَا تَسْتَمِيتْ
وَالرِّيَاحُ الَّتِي حَوْلَ هَذِي الْقُبُورِ
يُصَفِّرُ فِيهَا الْمَسَاءُ الْمُمِيتْ

وَالْأَسَى فِي فُؤَادِي يَرْسُمُ
أُنْشُودَةً مُخْرَسَةْ
وَالنَّشِيدُ الَّذِي أَرْتَجِيهْ..
يُسَافِرُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ..
وَيَطْلُعُ فِي اللَّيْلَةِ الدَّامِسَةْ
وَرْدَةً مِنْ ضِيَاءٍ، وَرَيْحَانَةً هَامِسَةْ
فَلَعَلَّ جِهَادَكَ يُفْرِحُ أَجْوَاءَنَا الْعَابِسَةْ
وَلَعَلَّ الَّذِينَ يَبِيعُونَ وَجْهَكَ
يَا نِسْرَنَا
يُدْرِكُونَ بِأَنَّكَ لَنْ تَتَبَدَّدْ
وَسَتَبْقَى مَعَ الْخَالِدِينَ نَشِيدًا تَجَدَّدْ
«**لَكَ اللَّهُ يَا دَعْوَةَ الْخَالِدِينَ**
لَقَدْ أَوْشَكَ الْبَغْيُ أَنْ يَهْمَدَا
نَشَرْنَا دِمَانَا الزَّكِيَّةَ نُورًا
يُضِيءُ الظَّلَامَ، وَيَجْلُو الْهُدَى»

* * *

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَحِيدُ الَّذِي مَا تَبَلَّدْ
فَهَلْ نَفَرُوا مِثْلَمَا قَدْ نَفَرْتَ...؟
وَهَلْ سَهِدُوا مِثْلَمَا ـ أَنْتَ مُسْهَدْ؟
وَهَلْ عَرَفُوا لُغَةَ السَّيْفِ يَأْبَى الْمَذَلَّةْ
يَا سَيْفَنَا الْـمُشْرَئِبَّ الَّذِي
لَيْسَ يُغْمَدْ؟

وَهَا أَنْتَ طَاوَلْتَ كُلَّ النُّجُومِ...
وَهَا هُمْ عَبِيدُ الْقُرُودِ..
وَهَا هُمْ وِطَاءٌ لِكُلِّ مُشَرَّدْ
تَسَامَيْتَ كَالأُقْحُوَانِ..
وَأُرْهِفْتَ... فَالْكُلُّ جَلْمَدْ...
فَهُمْ كَالْحِجَارَةِ لَا حِسَّ فِيهَا
وَلَكِنَّكَ الْآنَ نَبْعٌ تَوَلَّدْ
وَمَا غَيْرُ وَجْهِكَ فِينَا - لِوَاءٌ
وَمَا غَيْرُ صَوْتِكَ فِينَا يُغَرِّدْ
فَيَا وَيْحَ مَنْ أَسْلَمُوا وَجْهَهُمْ
لِلْخِيَانَةِ...، وَارْتَكَنُوا لِلتَّجَمُّدْ
وَيَا وَيْحَ رِيحَ الْخِيَانَةْ...
حِينَ تَمُرُّ عَلَى كُلِّ أَرْضٍ،
فَتُطْفِئُ رُوحَ التَّمَرُّدْ
وَيَا وَيْحَهُمْ أَشْعَلُوا فِي الْمَدَى
شُعْلَةً مِنْ ضِرَامٍ، وَأُنْشُودَةً تَتَوَقَّدْ
هُوَ اللَّيْلُ... يَا نِسْرَنَا،
حَاصَرَ الْمُتْرَفِينَ بِقَاعَاتِ
هَذَا الْمَسَاءِ الْمُبَدَّدْ
هُوَ اللَّيْلُ... يَا نِسْرَنَا،
أُوغِلَتْ فِي الْقُلُوبِ نِصَالُ الْخِيَانَةْ...
وَالْكُلُّ أَرْمَدْ
وَمَا عَادَ يَمْلَؤُنَا غَيْرُ خَوْفِ الذِّئَابِ

وَزَهْوُ الْقُرُودْ...
وَصَمْتُ التَّبَلُّدْ
وَمَا عَادَ فِينَا حُسَامٌ جَرِيءٌ...
فَمَا ثَمَّ غُرٌّ، وَلَا ثَمَّ خَيْلٌ...
وَلَا ثَمَّ سُؤدَدْ
وَمَا عَادَ إِلَّا رُوَيْبِضَةٌ،
فَوْقَ كُرْسِيِّهِ يُتْقِنُ الدَّوْرَ..
فِي رِيبَةٍ يَتَرَدَّدْ
وَمَا عَادَ وَجْهُ الْأُلَى مَلَئُوا الْأَرْضَ
عَدْلًا...
وَصَارُوا عَلَى الشُّهْبِ عِزًّا
وَكَانَتْ لَهُمْ سَاحَةُ الْأَرْضِ
مَسْجِدْ
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا جَوَادٌ يَخِبُّ..
سَيْفٌ مُجَرَّدْ؟
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا كِتَابٌ..
سَيَقْرَؤُهُ الْقَادِمُونَ حُرُوفًا تُغَرِّدْ؟
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا الثَّبَاتُ الْأَبِيُّ...؟
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا التَّجَرُّدْ؟
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا الزَّمَانُ التَّقِيُّ..
يُخَاطِبُنَا عَبْرَ هَذِي الْفَيَافِي
فَنَشْقَى وَنَسْعَدْ؟
وَيَدْمَغُ مَنْ يَذْبَحُونَ الرُّجُولَةَ فِينَا

وَيَدْحَضُ مَنْ يَفْقِدُونَ الْيَقِينَ الْمُؤَكَّدْ

* * *

الْمَسَاءُ الْمُلَبَّدْ
وَصُورَةُ «**مَدْرِيدَ**» فِي صَفْحَةِ الْخِزْيِ
وَالْكُلُّ يَرْتَدْ
وَأَقْنِعَةٌ فَوْقَ هَذِي الْوُجُوهِ الْبَلِيدَةِ...
فِي قَاعَةِ الْعَارِ تُعْبَدْ
وَأَصْوَاتُ خَرْسٍ يَبِيعُونَنَا...
فَوْقَ هَذِي الْمَوَائِدِ..
لَا يَحْسِبُونَ حِسَابًا لِطِفْلٍ سَيُولَدْ
وَيَلْعَنُهُمْ حِينَ يَرْشَدْ
وَيَوْمًا سَيَرْجُمُهُمْ فِي قُبُورِ الْخِيَانَةِ
صَوْتُ السِّنِينَ الْمُنَدِّدْ
الْمَسَاءُ الْمُلَبَّدْ
وَهَذَا الْغَطِيطُ الَّذِي تَسْتَحِمُّ
الْخَرَائِطُ فِيهِ...
وَأُكْذُوبَةٌ تَتَرَدَّدْ
وَرِيحٌ تُفَجِّرُ مِنْ دَاخِلِ الصَّمْتِ..
تَعْلُو وَتَزْبِدْ
وَتَزْحَفُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
وَتَطْلُعُ مِنْ كُلِّ مَسْجِدْ
«سَئِمْنَا الْخِيَانَةَ وَالْخَائِنِينَا
سَئِمْنَا السِّنِينَ الْكَذُوبَةَ...

تَحْمِلُ هَذَا الْبَقَاءَ الْمُهِينَا
سَئِمْنَا بِلَادًا عَلَى صَدْرِهَا
يَجْلِسُ الْمُجْرِمُونَا (١)
سَئِمْنَا عُيُونَ الذِّئَابِ اللَّقِيطَةَ...
تَغْزُو الْجُلُودَ... وَتَسْمَلُ مِنَا الْعُيُونَا
سَئِمْنَا سَئِمْنَا...
سَئِمْنَا الْمُجُونَا
وَهَذِي الْكُئُوسَ الَّتِي خَدَّرتْنَا سِنِينَا
وَهَذِي الْعِبَارَاتِ مَا أَرْجَعَتْ أَرْضَنَا
فَأَعْتِقُونَا
وَمَا حَرَّرَتْ قُدْسَنَا
أَيُّهَا الْقَاتِلُونَا
سَئِمْنَاكُمُ كَالدُّمَى
فَوْقَ هَذِي الْخَرَائِطِ وَجْهًا خَئُونَا
سَئِمْنَا.. سَئِمْنَا
لِأَنَّ الْخَرَائِطَ أَضْحَتْ سُجُونَا»

* * *

الْمَسَاءُ الْمُلَبَّدْ
وَصَوْتُكَ يَا نِسْرَنَا
مُنْذُ حَلَّ الْمَسَاءُ...
وَأَوْغَلَ هَذَا الظَّلَامُ الْمُعَرْبِدْ

---

(١) يعني بهم اليهود.

وَعَادَتْ خَفَافِيشُهُ تَتَرَصَّدْ
يُسَافِرُ فِي زُمْرَةِ الْقَابِضِينَ...
عَلَى الْجَمْرِ... وَالْـجَمْرُ مُوقَدْ
وَوَجْهُكَ... يَا نِسْرَنَا رَاحَةُ الْقَلْبِ...
فِي زَمَنٍ أَقْفَرَتْ أَرْضُهُ...
مِنْ إِمَامٍ مُوَحِّدْ
فَلَا تَبْتَئِسْ،
إِنَّ فِينَا مِنَ الذِّكْرِ آيًا
تُصَبِّرُنَا فِي التَّهَجُّدْ
وَفِينَا مِنَ الْقَبَسِ النَّبَوِيِّ..
مَشَاعِلُ ضَوْءٍ تَبُثُّ الْيَقِينَ.. بِأَرْوَاحِنَا
فِي زَمَانِ التَّرَدُّدْ(١).

* * *

درس ياسين الأكبر لأمته صاغه بدمه، وَسَطَّرَهُ بنبض فؤاده «**أنه لا يعرف العيش إلا حُسامًا، ولا الموت إلا شهادةً**».

عَلَّمَ ياسين أمته أن النفرة للجهاد في سبيل اللَّه انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع من ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة.

علَّم أمته أنه بالجهاد الذي فيه الشُّقَّة والعَناء يَذْهَب الهمُّ والغمُّ، ولكنها الشُّقَّة البعيدة التي تتناحر دونها الهمم الساقطة، والعزائم الضعيفة، ولكنه الجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة المنخوبة، ولكنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبِنية المهزولة.

---

(١) قصيدة «لأنك لا تعرف العيش إلا حسامًا» من ديوان «الجواد المهاجر» لطاهر العَتَبَاني ص (٢١- ٣٠) دار الوفاء.

كثيرٌ هم أولئك الذين يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة، إنهم ليعيشون على حاشية الحياة، وإنْ خُيِّل إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا أداء الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه الرخيص.

* علَّم أمته ـ عملًا ونزولًا إلى أرض الواقع ـ قول الله ﷻ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

وهو ليس بِدْعًا من رجالات الإسلام؛ فعبداللّه بن أم مكتوم يحمل راية في يوم القادسية وهو أعمى ويقول: إني لا أَفِرُّ.

والمِقداد بن الأسود رُئي في «**حِمْص**» على تابوت صراف، وقد فضل على التابوت من سِمَنِهِ، وهو يتجهَّز للغزو، فقيل له: عَذَرَكَ الله، فقال: أَبَتْ علينا سورة «**البُعُوث**»: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

وابن الجَمُوح رضي الله عنه وهو أعرج يأتي متعرضًا للشهادة وهو يقول: «**والله لأقحزن عليها في الجنة**».

وأبو أيوب الأنصاري وهو شيخ طاعن في السن يجاهد في سبيل اللّه ويدفن تحت أسوار القسطنطينية.

وأبو طلحة رضي الله عنه قرأ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ فقال لبنيه: «**أيْ بَنِيَّ، جهزوني جهزوني، فقال بنوه: يرحمك الله، لقد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك، فقال: لا، جهِّزوني**»، فغزا في البحر، فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفعونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه فيها، ولم يتغيَّر رضي الله عنه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

فهم عُصْبة يحبها الله، وهل بعد حب اللّه لهم من فخر وسُؤْدَد، ويختارها الله؛ ليصنع بها في الأرض ما يريد، ويؤكد هذا الحب مرة ثانية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤]، فَبَذْلُ النفس في سبيل اللّه لا يكون إلا عند خلص

النفس في محبة الله، فيكافئها الله بمحبته.

فيا لها من تجارة مع الله أعلى الله ثمنها، قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف: ١٠-١٣].

من ذا الذي يشتاق أن يتاجر مع الله تجارة هي أربح التجارات، يجاهد المؤمن في حياته القصيرة، ثم يُعوَّض عنها تلك الجنات والمساكن الطيبات في النعيم المقيم وجوار الله.

والجهاد سبيل النبيين والصالحين، وثوابه عظيم في الآخرة:

قال - تعالى -: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٦- ١٤٨].

ماذا يريد الإنسان بعد وصف الله له بالإحسان!!

وقال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤].

وقال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالمجاهدين - وهم من سادات المحسنين - يهديهم ربهم إلى إصابة الطريق المستقيم.

وقال - تعالى -: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾.

وقال - تعالى -: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»(١).

وهذا هِتافٌ كريم للأمة لتسير في المُرتَقَى الصاعد إلى القمة السامقة، وإلا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ**»(٢).

وقال - تعالى -: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقال - تعالى -: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة: ١٢٠].

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال - تعالى -: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٧٩٠)، ومسلم (١١٦)، (١٨٨٤) بلفظ: «وأخرى يُرفع بها العبد مئة درجة من الجنة، ما بين كل درجتين، كما بين السماء والأرض.. قال: يا رسول الله، وما هي؟ قال: الجهاد في سبيل الله».

(٢) روه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ [النساء: ٧٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

لما رأى المفلحون عَظَمَة المشتري، وقدر الثمن، وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه، ومقدار الكتاب الذي أُثبت فيه هذا العقد، عرفوا أن للسلعة قدرًا وشأنًا ليس لغيرها من السلع؛ فرأوا من الخسران البيِّن والغَبَن الفاحش أن يبيعوها بثمن بَخْس دراهم معدودة، تذهب لذتها وشهوتها، وتبقى تَبِعَتُها وحسرتها، فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضىً واختيارًا من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله، لا نُقيلك ولا نَستقيلك، فلما تَمَّ العَقْد، وسَلَّمُوا المَبيع، قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالنا لنا، والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها. ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ٦٩].

لقد حرَّك الداعي إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبية والهمم العالية، وأسمع منادي الإيمان من كانت له أذن واعية، وأسمع الله من كان حيًّا، فهزَّه السَّماع إلى منازل الأبرار، وحَدَا به في طريق سيره، فما حَطَّتْ به رِحاله إلا بدا القرار، فقال ﷺ: «**انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ**»(١).

ليست الحياة لهوًا ولعبًا، ولا أكلًا كما تأكل الأنعام ومتاعًا، وليست الحياة سَلامَة ذليلة، وراحة بليدة ورضىً بالسِّلم الرخيص؛ إنما الحياة هي هذه: كفاح في سبيل الحق، وجهاد في سبيل الخير، وانتصار لإعلاء كلمة الله، أو استشهاد كذلك في سبيل الله، ثم الجنة والرضوان.

هذه هي الحياة التي يُدعى إليها المؤمنون بالله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٦/١)، والنسائي (١١٩/٨)، وابن ماجه (٢٧٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال - تعالى -: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء: ٧٥- ٧٦].

وقال - تعالى -: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

وقال - تعالى -: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقال - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التحريم: ٩].

وقال - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقال - تعالى -: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

وقال - تعالى -: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

قال القشيري في هذه الآية: «**ليس هذا تخييرًا لهم ولا إذنًا في إيثار الحظوظ على الحقوق؛ ولكنه غاية التحذير والزجر عن إيثار شيء من الحظوظ على الدين.**

من كَسَدَتْ سوقُ دينه كَسَدتْ أسواقُ حظوظه، وما لم تَخْلُ منك منازل الحظوظ لا تُعْمَرُ بك مشاهد الحقوق»[١].

❑ كَأَنِّي بِصَوْتِ يَاسِينَ يَصِيحُ فِي الْغُفَاةِ الْغَافِلِينَ النُّوَّمِ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

لِمَ التثاقل إلى الأرض؟.. إنها الأرض، ومطامع الأرض، وتصورات الأرض، ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ والمصالح والمتاع.. ثقلة الدَّعة والراحة والاستقرار، ثقلة اللذات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب... ثقلة اللحم والدم والتراب.

وما يَتَخَجَّم ذو عقيدة في اللَّه عن النُّفْرَة للجهاد في سبيله إلا وفي هذه العقيدة دَخَنٌ، وفي إيمان صاحبها بها وَهَنٌ.

والعذاب الذي يتهدد القاعسين ليس عذاب الآخرة وحده؛ وإنما هو كذلك عذاب الدنيا: عذاب الذِّلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغَلَبة عليهم للأعداء، والحِرمان من الخيرات، وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد؛ ويقومون على مذابح الذُّل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قَدَّمُوا لها الفِداء.

وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب اللَّه عليها الذل فَدَفَعَتْ مُرغَمةً صاغِرَة لأعدائها أضعاف ما

---

(١) لطائف الإشارات للقشيري (١٨/٢) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كان يتطلبه منها كفاح الأعداء.

إنَّ الاستعلاء على الأرض وعلى ضَعْف النفس، إثبات للوجود الإنساني الكريم، فهو حياة بالمعنى العُلْوِي للحياة.

وإنَّ التثاقل إلى الأرض والاستسلام للخوف إعدام للوجود الإنساني الكريم، فهو فَناء في ميزان اللَّه وفي حساب الروح المميزة للإنسان.

*وقال - تَعَالَى - للمُخَلَّفين بمَقْعَدِهم خِلافَ رسول اللَّه ﷺ الراغبين عن الجهاد؛ قال - تَعَالَى -: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

استحوذ عليهم سرورُهم بِتَخَلُّفهم، ولم يعلموا أن ثُبُورَهم في تأخُّرِهم، فنزع اللَّه الراحة بما عاقبهم، وَسَيَصْلَوْنَ سعيرًا في الآخرة، وسوف يتحسرون، ولاتَ حين تَحَسُّر.

بَدِّل اللَّهم مسرَّتهم بحَسْرَة، وفرحتهم بتَرْحَة، وراحتَهم بعَبْرة؛ حتى يَكْثُرَ بكاؤهم في العتبى كما كثر ضحكهم في الدنيا.

هؤلاء الذين قعد بهم ضَعْفُ الهمَّة وهِزَالُ النَّخْوَة، وطَرَاوةُ الإرادة، يُشْفِقُون من المتاعب، ويَنفُرون من الجُهْد، ويُؤْثِرُون الراحة الرخيصة على الكَدْح الكريم، ويُفَضِّلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز، وهم يتساقطون إعياءً خلف الصفوف الجادة العارِفَة بتكاليف الجهاد.

هؤلاء الذين آثروا الراحة على الجُهْد، وتخلَّفوا عن الرَّكْب أول مرة، هؤلاء لا يَصْلُحُونَ لكفاح، ولا يُرْجَوْنَ لجهاد.. بل ولا يَصْلُحون لِشَرَفِه.

❑ فَقِهَ الشَّيْخُ يَاسِينُ طَبِيعَةَ الدَّرْبِ وَسَارَ عَلَيْهِ أَجْمَلَ سَيْرٍ وَأَقْوَمَهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ:

إنَّ الجهاد يحتاج إلى طبائع صَلْبَة مستقيمة ثابتة مُصَمِّمَة، تَصْمُد في الطريق الشاق الطويل..

إنَّ الجهاد عِبءٌ لا يَنهَضُ به إلَّا مَن هُم له أهل، لا هؤلاء الذين تعللوا إلى السَّعة، ورَكَنُوا إلى اختيار الدَّعَة، واحتالوا في مُوجِبات التَّخَلُّف، الذين خصَّهم اللَّه بِخُذلانه، وَصَرَفَ قلوبهم عن ابتغاء رِضوانه.

إن للذُّل ضَريبة، كما أن للكرامة ضَريبة، وإن ضَريبة الذُّل لأفدحُ في كثير من الأحايين، وإن بعض النفوس الضعيفة ليُخيَّل إليها أن للكرامة ضَريبة باهظة لا تُطاق، فتختار الذل والمهانة؛ هربًا من هذه التكاليف الثِّقال، فتعيش عِيشة تافهة رخيصة، مُفْزعَةَ قَلِقَة، تخاف من ظلها، وَتَفْرَق من صَدَاها، ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، هؤلاء الأذِلاء يُؤَدُّون ضَريبة أفدح من تكاليف الكرامة.. إنهم يُؤَدُّون ضَريبة الذل كاملة، يُؤَدُّونها من نفوسهم، ويُؤَدُّونها من أقدارهم، ويُؤَدُّونها من سمعتهم، ويُؤَدُّونها من اطمئنانهم، وكثيرًا ما يُؤَدُّونها من دِمائهم وأموالهم، وهم لا يشعرون.

هل يستوي هؤلاء ومن بَكوْا شوقًا للجهاد: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢].

هذا - والله - بكاء الرِّجال.. بكاؤهم على مَوْطِن تَنذُر فيه الرءوس.

لا يستوي المُخَلَّفون والذين شعارهم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة: ٥١- ٥٢].

«قل: هل تنتظرون بنا إلَّا إحدى الخَلَّتيْن اللتين هما أحسن من غيرهما: إما ظَفْرًا بِالعَدُو وفتحًا لنا بِغَلَبِنَا لهم، ففيها الأجْر والغَنيمة والسَّلامَة، وإمَّا قتلًا من عَدُوِّنا لنا، ففيه الشَّهادَة والفَوز بالجنة والنَجاة من النار، وكِلتاهما مما يُحبُّ ولا يُكرَه»[1].

إنْ ظَفَرُوا بِعَدوهم فَنَصْرٌ وغَنيمة، وعِزٌّ للدين وَرِفْعَة، وإن قُتِلوا فَشَهَادَةٌ ورَحْمَةٌ، ورضوان من اللَّه وزُلْفَى. وإنْ كان الذي يصيبهم في الدنيا هزيمة وَنَكبَة، فذلك مُوجِبٌ للأجر والمَثوبَة، فإذَنْ لن يستقبلهم إلَّا ما هو حُسنى ونعمة، في كِلتا الحالتَين يُصَاحِبُهم رِضَا اللَّه عنهم ورضاهم عنه؛ رِضاهم باللَّه حَظًّا ونصيبًا، ربًّا وإلهًا ومعبودهم.

إنَّ لحظةَ اتصالٍ باللَّه لحظةُ شهودٍ لجلاله، لحظةُ انطلاقٍ من حَبْسَةِ هذه الأمشاج ومن ثقلة هذه

(١) تفسير الطبري (١٠/١٠٥)

الأرض وهمُومها القريبة، لحظةٌ تَنبثِق فيها في أعماق القلب البَشَري شُعَاعَةٌ من ذلك النُّور الذي لا تُدْركه الأبصار، لحظةُ إشراقٍ تُنَارُ فيها حنايا الروح بِقَبَسٍ من حب اللَّه وَوُدِّه ولُطْفه.

إنَّ لحظةً واحدة من هذه اللحظات التي تَتَّفِق للنُّدْرَة القَليلةِ من البَشَر في وَمْضَة صَفَاء، ليَتَضاءَلُ إلى جِوارها كُلُّ مَتاعٍ وكُلُّ رجاء، فكيف بِرضوان من اللَّه يَغْمُر هذه الأرواح، وَتَسْتَشْعِره بدون انقطاع.

❑ نَعَمْ.. لَا يَسْتَوِي الْمُجَاهِدُ وَالْمُخَلَّفُ:

ليس مَن أقبل كمَنْ أعْرَض وصُدَّ، ولا من قُبِل أمرُه كمَنْ رُدَّ، ولا مَن وَحَّد كمن جَحَدْ، ولا مَن عَبَد كمن عَنَد، ولا مَنْ أَتَى كَمَنْ أَبَى، فلا جرم رَبِحَتْ تجارتهم وجَلَّت رُتبتهم، راحاتهم موعودة، وإنْ كانت مشقاتهم في الحال موجودة مشهودة، وصَادِقُ يقينهم بِالثواب يُهوِّن عليهم مُقاساة ما يَلْقونَه من الأتعاب، صَدَقُوا في الولاء وما احتشموا من مقاساة العَناء.

وغيرهم في الولاءِ مُماذِق، وللصِّدْق مُفارِق، يَتعلَّل بما لا أصل له؛ لأنه حُرِم الخلوص فيما هو أهل له.

استوْطنوا مَرْكِبَ الكَسَل، واكتسوْا لِبَاسَ الفَشَل، ورَكَنُوا إلى مَخاريق الحِيَل، حُرِموا استحقاق القُرْبَة، أراد اللَّه هوانَهم، وأذاقهم خِذلانه.

قال - تعَالَى -: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وقال ﷻ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠- ١٤١].

❑ وَعَى يَاسِينُ وَمَنْ مَعَهُ فَضْلَ الْجِهَادِ وَجَمَالَ الْأَحَادِيثِ فِيهِ، وَنَسِيَ غَيْرُهُ:

إلى الذين نَسُوا أن رسولنا ﷺ بُعِثَ بالسيف[١].. وجُعِلَ رِزْقُه تحت ظِلِّ رُمحه[٢].

---

(١) رواه أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، بان مسند عبدالله بن عمر (٥٠٩٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح.

إلى الذين نَسُوْا صوت المعركة؛ لِمَيْلِهم إلى ظِل الدَّعَة الرقيق، نقولَ: لقد وَعَيَ ياسين النبيل ومَن معه الطريقَ، وكَفَى بقول الصادق الأمين ﷺ، فمن عَارَضَ قولَه قولَ الصادق الأمين ﷺ فهو الكذَّاب الخائن كائنًا من كان.

وهذي أحاديثه العَطِرَة في فَضْل الجهاد وعُلُوِّ منزلته:

عن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار يَحْفُرون الخَندقَ حول المدينة وينقلون التراب على مُتونهم(*) ويقولون:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا ... عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

والنبي ﷺ يُجيبهم ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَةِ، فَبَارِكْ فِي الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: دُلَّني على عمل يَعْدِل الجهاد. قال: لا أجده. قال: «**هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومُ وَلَا تَفْتُرُ، وَتَصُومُ وَلَا تُفْطِرُ؟**» قال: «**ومَن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إنَّ فَرَس المجاهد ليَسْتَنُّ(٢) في طِوَلِه(٣)؛ فيُكتب له حسنات**»(٤).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، فلما رأيته خَليًا قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يُدخلني الجنة قال: «**بَخٍ...**» فذكر الحديث، وفيه: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى رَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ أَمَّا رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، فَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ، وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ، وَأَمَّا ذُرْوَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ**»(٥).

وعن عبدالله بن أبي أوفى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ قال: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ**

(*) أي: ظهورهم.

(١) رواه البخاري (٢٨٣٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٥).

(٢) استن الفرس يستن استنانًا؛ أي عَدَا لمَرَحِه ونشاطه شوطًا أو شوطين، ولا راكب على ظهره.

(٣) الطِوَل والطِيل: الحبل الطويل يُشَدُّ أحد طرفيه في وتد أو غيره، والآخر في يد الفرس ليدور فيه وَيَرْعَى.

(٤) رواه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم، والنسائي.

(٥) صحيح: رواه أحمد في مسنده، وابن ماجه، والترمذي، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب، والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في «الإرواء» (٤١٣)، «وصحيح الجامع» (٥١٣٦).

ظِلَالِ السُّيُوفِ»(١).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ**(٣) **فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ**»(٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أيُّ الناس أفضل؟ قال رسول اللَّه ﷺ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ**»، قالوا: ثم مَن؟ قال: «**مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ خَيْرُ النَّاسِ فِيهِ مَنْزِلَةً مَنْ أَخَذَ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَطْلُبُ الْمَوْتَ فِي مَظَانِّهِ**(٦)**، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنْ هَذِهِ الشِّعَابِ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَدَعُ النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ**»(٧).

وعن فُضَالَة بن عُبَيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**أَنَا زَعِيمٌ ـ والزعيم: الحميل**(٨) **ـ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ**(٩) **الْجَنَّةِ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى**

---

(١) رواه البخاري (٢٨١٨)، ومسلم وابو داود.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن أبي أمامة رضي الله عنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وجود إسناده النووي ثم العراقي، وصححه السيوطي، والألباني في صحيح الجامع (٢٠٩٣)، وتخريج المشكاة (٧٢٤).

(٣) رَوحك: أي راحتك.

(٤) حسن: رواه أحمد في مسنده، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وحسّنه السيوطي، والألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٥٥٥)، وصحيح الجامع رقم (٢٥٤٢).

(٥) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه.

(٦) يطلب الموت في مظانه: أي يطلب القتل في مواطنه التي يُرجى فيها لِشدَّة رَغْبتِهِ في الشَّهَادَة.

(٧) أخرجه مسلم وابن حبان.

(٨) الزعيم: الحميل، أي: الكفيل، والظاهر أن تفسير «الزعيم» مُدْرَجٌ من بعض الرواه.

(٩) الرَّبَض قال في «النهاية»: «ما حولها خارجًا عنها تشبيهها بالأبنية التي تكون حول المدن». اهـ.

غُرَفِ الْجَنَّةِ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا، يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ يَمُوتُ»(١).

❑ الْمُجَاهِدُونَ فِي ضَمَانِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحِمَايَتِهِ:

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ: رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ**(٣) **الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ**»(٤).

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ**»(٥).

فللهِ ما أحلى عَيْشَ أحمد ياسين قبل استشهاده.

وقال رسول الله ﷺ: «**غُدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(٦).

---

(١) صحيح: رواه النسائي، وابن حبان في «صحيحه» والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٣/٢)، وصحيح الجامع (١٤٦٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك» وصححه ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي، والألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٩)، و«صحيح الجامع» (٣٠٥٣).

(٣) المُكاتَب: العبد الذي كاتبه سَيِّدُه على نُجومٍ إذا أدّاها عُتِق.

(٤) حسن: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، وقال: على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي، والألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٠).

(٥) صحيح: رواه أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك، والضياء في «المختارة»، والطبراني في «الأوسط»، وصححه الحاكم والذهبي، والألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٤١)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٠٦٣).

(٦) رواه أحمد، والبخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي عن سهل بن سعد رضي الله عنه ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**غُدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ**»[١].

وعن ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ** عز وجل وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مِنْخَرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا**»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ رَاحَ رَوْحَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْغُبَارِ مِسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٤].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»[٥]، وعند البخاري ـ أيضًا[٦] ـ: «**مَا اغْبَرَّتَا قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ**».

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**عَيْنَانِ لَا تُصِيبُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[٧].

❑ قِيَامُ سَاعَةٍ فِي الصَّفِّ وَأَجْرُهَا الْعَظِيمُ:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**قِيَامُ سَاعَةٍ فِي الصَّفِّ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ سِتِّينَ سَنَةً**»[٨].

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» والطبراني في «الكبير».

(٣) صحيح: رواه النسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٨٢٨)، و«صحيح الترغيب» (٢/١٦٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٦١٧).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه في سننه، والضياء في «المختارة» وحسّنه السيوطي، والألباني في الصحيحة رقم (٢٢٣٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٢٦٠).

(٥) رواه أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي. عن أبي عبس رضي الله عنه

(٦) برقم (٢٨١١).

(٧) صحيح: رواه الترمذي، وصححه السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» (٤١١٢)، و«صحيح الترغيب» (٤١١٢).

(٨) صحيح: رواه ابن عَدِّي، وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه أحمد والترمذي والحاكم، ورواه=

وقالﷺ : «مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ»(١) .

عن عمرو بن عبسةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : «مَنْ رَمَى الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَلَغَ سَهْمُهُ الْعَدُوَّ، أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، يَعْدِلُ رَقَبَةً»(٢) .

وعن أبي سعيدرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : «ثَلاثَةٌ يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ: الرَّجُلُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلاةِ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلْقِتَالِ»(٣) .

وعن أبي الدرداءرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : «ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ: الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عز وجل ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ وَيَكْفِيهِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسِهِ؟ وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُنِي، وَلَوْ شَاء رَقَدَ. وَالَّذِي إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ، فَسَهِرُوا، ثُمَّ هَجَعُوا، فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَّاءَ وَسَرَّاءَ»(٤) .

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»(٥) .

وعن عُقْبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»(٦) .

= أحمد عن أبي أُمامةرضي الله عنه، والحاكم، والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٠٢).

(١) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي في «شعب الإيمان» وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٦٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٦٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو يَعْلَى، وصححه السيوطي، ورواه ابن ماجه.

(٤) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» وقال: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٢٥).

(٥) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وصححه النووي، والألباني في «تخريج المشكاة» (٣٨٢١)، و«صحيح الجامع» (٣٠٩٠).

(٦) رواه مسلم.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ دَهْرٍ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمِنَ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَغُدِيَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ، وَرِيحِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عز وجل**»(١).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ**»(٢).

وعند ابن ماجه بلفظ: «**مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**».

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَاعَتَانِ تُفَتَّحُ فِيهِمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَقَلَّمَا تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ: عِنْدَ حُضُورِ النِّدَاءِ، وَالصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ(٤) وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(٥).

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا تَرَكَ قَوْمٌ الْجِهَادَ، إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ**»(٦).

---

(١) صحيح لغيره: رواه الطبراني في «الكبير»، وقال المنذري في «الترغيب»: رواته ثقات، وصححه السيوطي، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٢١٩): صحيح لغيره.

(٢) حسن لغيره: رواه النسائي (٦/ ٤٠)، والترمذي (١٦٦٧) وقال: حسن غريب، ورواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم (٢/ ٦٨) وزاد: «فَلْيَنْظُر كُلُّ امرئٍ لنفسه»، وهذه الزيادة مُدْرَجة من كلام عثمان رضي الله عنه غير مرفوعة، وقال الحاكم: على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وكذا أخرجه أحمد (١/ ٦٢)، والدارمي (٢/ ٢١١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان في صحيحه، وأورده ابن حجر، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٢٧).

(٤) العِينة: هي أن يبيع الرجل سِلْعَة بثمن إلى أجل إلى أجل آخر، ثم يشتريها منه بأقل من ذلك الثمن نقدًا: وهو مُحَرَّم؛ لما فيه من الاحتيال على الرِّبا.

(٥) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والطبراني في الكبير، وابن شاهين، وأبو نعيم في «الحلية»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١).

(٦) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٨٥١)، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٩٢).

وعن خريم بن فاتك ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُتِبَتْ لَهُ بِسَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ**»(١).

وعن زَيدِ بن خالد الجُهنيِّ ﵁ قال: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ حَتَّى أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْغَازِي شَيْءٌ**»(٢).

ونَخْتِمُ بهذا الحديث: عن عبداللَّه بن عمرو ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ، حُبُّ الدُّنْيَا، سُنَّتُهُمْ سُنَّةُ الْأَعْرَابِ، مَا أَتَوْهُ مِنْ رِزْقٍ جَعَلُوهُ فِي الْحَيَوَانِ، يَرَوْنَ الْجِهَادَ ضَرَرًا وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه النسائي؛ والترمذي ـ وقال: حديث حسن ـ، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٢٣٦).

(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم: رواه أحمد، والحميدي، وسعيد بن منصور، والدارمي، والترمذي، وابن ماجه ـ ولم يذكر: «خلفه في أهله» ـ والطبراني في الكبير، والصغير، وابن حبان ـ واللفظ له ـ.

(٣) إسناده جيد: رواه الطبراني في الكبير، وقال الألباني في الصحيحة (٣٣٧٥): وهذا إسناد جيد رِجاله ثقات.

الشَّيْخُ يَاسِينُ وَالْعَمَلُ الْمُسَلَّحُ

قال الشيخ أحمد ياسين: «أنا يمكن كانت رغبتي الشخصية وحماسي كنت أريد أن أبدأ المعركة منذ سنة ١٩٦٧م، لكن عندما ندرس المعطيات والإمكانات كنا نجدها غير كافية، فكنا نؤجل، ثم ندرس القضية مرة أخرى، ثم نؤجل، حتى جاء القرار في سنة ٨٢ فوجدنا أنفسنا خلاص نريد أن نبدأ المواجهة»[١].

وقال الشيخ ياسين: «التخطيط كان يقوم على أننا نرغب في جمع السلاح حتى نقوم باستخدامه في القتال ضد الإسرائيليين في المستقبل، وبدأنا بالفعل ندرب بعض أبنائنا تدريبًا عسكريًّا من أجل أن يدخلوا في مواجهة مع اليهود، ولكن للأسف كان بعض العملاء يتاجرون في السلاح، وكان بعض إخواننا الذين قاموا بشراء السلاح لم يعرفوا ذلك، وتبين أن سلطة الاحتلال كانت تتابع»[٢].

وسأله أحمد منصور: «هل تذكر متى اشتريتم أول قطعة سلاح؟» فقال: «كان ذلك في العام ١٩٨٣م. كان حوالي ٨٠ قطعة، أسلحة مختلفة بنادق وكله...».

ولما سأله: **«يعني أنتم كنتم تُعِدُّون لمواجهة جيش؟»**

قال: **«كنا نريد أن نرتب الأمور بحيث لو قُتِل واحد أو اثنان أو حتى خمسة يكون هناك عمل متواصل... لكن القضية أن السلاح كُشف عن طريق العملاء»**[٣].

وسأله أحمد منصور: ما هو الذي اختلف ما بين ٦٧ أو ٦٥ و٦٧، ٨٢؟ ما هي المعطيات التي أصبحت أمامكم؟

قال الشيخ ياسين: «هناك شيئان: أصبحت لدي قاعدة من الرجال والشباب مستعدة للقتال، أصبح عندي تعاطف ومصادر من الخارج مستعدة أن تدعمني وأن تقدم لي مساعدات مالية، فإذا توفر المال، وتوفر الرجال انتهت... المعركة بدأت... ومن هنا بدأنا نُدَرِّب عددًا من عناصرنا».

---

(١) أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص (١٢١).

(٢) المصدر السابق ص (١١٩).

(٣) المصدر السابق ص (١٢٠).

أحمد منصور: أين والمناطق كلها خاضعة للاحتلال؟

فقال ياسين: بكل تأكيد.. السلاح من أين كنا نشتريه؟ لقد كان التجار تحت الاحتلال يسرقونه من الجيش الإسرائيلي، يسرقونه من مخازن الجيش الإسرائيلي، أنت تفكر من أين كنا نحضره، يعني الاحتلال ليس معناه أننا لم نكن نستطيع أن نتحرك .. لا.. لا.. هناك حركة وتجارة وشئون داخلية، يعني اليهودي تعطيه بعض المخدرات، بعض الأفيون يعطيك سلاحه».

أحمد منصور: يعطيك سلاحه وهو يعرف أنك سوف تقتل به يهوديًّا؟!

فقال الشيخ ياسين: الذي يعرفه أنه يريد أن يشرب.. يريد مخدرات، لا يريد أن يعرف أي شيء آخر، هو يريد أن يبيع سلاحه حتى يحصل بسعره على ما يريد، لقد كانوا يَعْرِضُونَ علينا الأسلحة ويقولون: فقط أحضروا لنا أفيونًا، أحضروا لنا حشيشًا ونحن نحضر لكم السلاح.. نحن كنا نرفض هذا الكلام .. نحن لم نكن نقبل بالحصول على السلاح مقابل أن ندخل في الحرام، لم يكن من الممكن أن ندخل في الحرام، لذلك كنا نعطيهم المال وهم يعطوننا السلاح ويشترون بالمال ما يريدون شراءه، هذا ليس شغلنا، وطبعًا حينما كُشِفنا كان لا بد أن ندخل السجن» [(١)].

وقال الشيخ أحمد ياسين: «أنا كنت أشتغل في الدعوة في كل وجهات: احتفالات في المساجد، في ندوات، كل هذا مِن نشاطي اليومي، كان طبعًا متابعة التنظيم في المنطقة التي أنا موجود فيها، كنت رئيس التنظيم للجهاز العسكري وكان مَنوطًا بي...

فسأله أحمد منصور: في أي سنة أُنيطت بك هذه المسئولية؟

فقال الشيخ ياسين: منذ بداية التشكيل العسكري، وشراء الأسلحة.

أحمد منصور: هذا كان قبل الاعتقال الأول؟!

أحمد ياسين: وبعد الاعتقال بقيت...

أحمد منصور: بقيت أنت المسئول حتى بعد الاعتقال؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: أنا المسئول في هذا القِسْم، ومسئول التَّنفيذ.

أحمد منصور: لكن؛ هذا القِسْم لم يعمل في خلال فترة اعتقالكم؟

---

(١) المصدر السابق ص (١٢٢).

أحمد ياسين: لا؛ لم يعمل.

أحمد منصور: فلما رَجَعْتَ، رَجَعْتَ كمسئول أيضًا عن العمل العسكري؟

أحمد ياسين: نعم (١)

أحمد منصور: بعدما رَجَعْتَ لرئاسة الجهاز أو التنظيم العسكري في الحركة الإسلامية: هل كان اسمها الحركة الإسلامية، أو الجماعة الإسلامية، أو الإخوان المسلمين أو...

أحمد ياسين: لا؛ هو التنظيم كان إخوان مسلمين.

أحمد منصور: اسمه الإخوان المسلمون؟

أحمد ياسين: الداخلي.

أحمد منصور: الداخلي؟!

أحمد ياسين: لكن الظاهري حركة إسلامية.

أحمد منصور: كل هذا وأنت قلتَ لي: إن التنظيم هو تنظيم الإخوان المسلمين، لكن ليس لكم أي علاقة تنظيمية بالإخوان المسلمين؟!

أحمد ياسين: لم تكن علاقة بالإخوان المسلمين في مصر أبدًا، كانت علاقتنا بالإخوان المسلمين في الأردن.

أحمد منصور: بالإخوان المسلمين في الأردن. العمل العسكري والعودة له مرة أخرى، كيف بدأت؟

أحمد ياسين: أنا كنتُ حريصًا على أن أبدأ في فترة مبكرة، ولكن نظرًا للتطورات التي صارت وعدم الإمكانات، كان قرار البدء بالعمل العسكري في ١٩٨٧/١١/١٧م.

أحمد منصور: في ١٧ نوفمبر ٨٧ هذا القرار اتُّخِذَ؟

أحمد ياسين: للتنفيذ.

أحمد منصور: للتنفيذ؟!!

أحمد ياسين: نعم... الآن نريد أن نشتغل عملي.

---

(١) المصدر السابق ص (١٥٥).

أحمد منصور: يعني سندخل الآن في القنابل والمتفجرات؟

أحمد ياسين: طبعًا... شكَّلنا أول مجموعة عسكرية، وأعطيناها رقم ١٠١، بدأت فهَاجَمَتْ مُسْتوطَنَة وأطلقت النار عليها، لكن لم تُسْفِر عن شيء، هاجَمَتْ بعد ذلك مُسْتوْطِنًا «رجلًا يهوديًّا»، وكان مقاولًا يحفر بئرًا ـ في الشيخ رضوان ـ كان مُسَلَّحًا، فقالوا: نريد أن نقتله فذهبوا له، لكنه كان متدربًا عسكريًّا بشكل فظيع، استطاع أن يُفْلِتَ منهم، وكان يُدافِعُ عن نفسه، ويختبئ وراء الحديد والحواجِز، لما نفد[1] بالرغم من كثرة الطبخ... جماعتنا خافوا فشردوا، بعدها اتجهوا إلى داخل إسرائيل، واختطفوا الجندي الأول الذي كان هو...

*أحمد منصور [مقاطعًا]: في أي سنة كانت هذه العملية؟

*أحمد ياسين [مستأنفًا]: هذا الكلام في آخر... قبل الانتفاضة وأوائل سنة ٨٨، يعني بدأ هذا الكلام في آخر...

*أحمد منصور [مقاطعًا]: الانتفاضة كانت في ديسمبر ١٩٨٧م؟

*أحمد ياسين [مستأنفًا]: نعم؛ فهذا العمل بدأ بنفس مرحلة الانتفاضة، وأول سنة ٨٨.

*أحمد منصور [مقاطعًا]: هذه كانت أول عملية عسكرية مباشرة؟

*أحمد ياسين [مستأنفًا]: أول عملية عسكرية مباشرة قُمنا بها: اختطفنا جُنديًّا اسمه (سبورتاس)، أخذوا سلاحه وقتلوه ودفنوه، وروَّحوا[2] وأبلغوني، قلت لهم: اكتموا وخلاص، انسوا. بعدها اختطفوا جنديًّا آخر هو (إيلان سعدون) قتلوه ودفنوه أيضًا وأخذوا سلاحه وذهبوا...

أحمد منصور [مقاطعًا]: هذه كانت العملية الثانية... ماذا كان وقع هذه العمليات على الإسرائيليين؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: الإسرائيليون كانوا مُرتَبكين جدًّا، طلعوا[3] في التليفزيون، وهم يقودون مئات من الجنود يُفَتِّشون عن الجثث، يفتشون عن الجنود، ولم يجدوا أحدًا.

---

(١) أي: هرَبَ.

(٢) أي: رجعوا.

(٣) أي: ظهروا.

أحمد منصور: هل هناك بيانات طلعت؟[١] هل فيه أشياء؟

أحمد ياسين: لا؛ لم نُصْدِر أي بيانات. أنا كنتُ أحب أن أعمل وأخفي ما أقوم به على أساس «لماذا تصطدم»، يعني تقول له: ها أنا ذا قد بدأتُ العمل... سوف يعرفون ويقومون بضربنا، فخليه[٢] تايه، وربَّك سَتَرَ، لكن المجموعة كُشِفَتْ؛ حيث قاموا بالاحتفاظ بالسيارة التي قاموا فيها بعملية الخطف والقتل، وكان هذا خللًا؛ بدلًا من أن يتركوها ويتخلصوا منها فور الانتهاء من العملية، أخذوها معهم وعادوا بها، فكان من الطبيعي أن يتم كَشْفهم؛ لأنهم دخلوا بها من الحدود من غير المنفذ الطبيعي للدخول، فطبعًا اليهود تابعوا آثار السيارة، ووجدوا السيارة في مكان ما، السيارة لدى من؟! فقاموا باعتقال الذين حولها، وبدأ الشباب الذين قاموا بتنفيذ العمليات كلهم بالهروب..، منهم من هرب عن طريق سيناء، ومنهم من شَرَدَ إلى الخارج، وقد تمكنوا جميعًا من الهروب فلم يُقْبَض على أحد منهم عدا قائدهم، فقد قُبِضَ عليه؛ حيث بقي اعتقادًا منه أنه ليس له علاقة، وكل من لهم علاقة به قد هَرَبُوا، لكن اليهود بعدما تحروا عن المنطقة، هو كان له سوابق مع اليهود في السلاح وغيره، فاعتقلوه، اعتقلوه وعذبوه بأساليب وحشية كان يموت خلالها كل يوم مرتين أو ثلاث مرات، وبعد تحقيق تام ومُطَوَّل، قالوا له: نحن لدينا أوامر بقتلك، لكننا لن نقتلك إلَّا حينما نَسْتَخْرج كل المعلومات التي لديك؛ كانوا يقومون بِخَنْقِه حتى تكاد روحه تخرج منه ثم يضعون رأسه في الماء حتى يكاد يغرق، المهم الرجل في النهاية قال لهم: لا أعرف. لأننا حينما اتصلنا به حتى يعمل معنا قُلنا له بشكل غير مباشر: نحن سوف نبدأ القيام بأعمال عسكرية، هل تحب أن تعمل معنا، فقال: مستعد، فاتفقنا على نقطة ميتة كنا نُلقي له فيها الرسائل التي تحتوي على المعلومات والأوامر والأموال دون أن يعرف من أين تأتيه، فحينما وصل اليهود معه إلى مرحلة اليأس قالوا له: فيمن تَشُكُّ؟ (أي في الشخص الذي كان يصدر له الأوامر ويترك له الرسائل)، فيبدو أن الأخ كان عنده إحساس أن الذي كان يُرسِل له الرسائل كان أحد إخوانه القريبين منه، وهذا كان صحيحًا فكان المسئول الذي يرسل له الرسائل، فقال تحت التعذيب الرهيب: أنا أشُكُ في فلان، فجابوا[٣] فلان، في نفس القضية ـ وتحت التعذيب الرهيب القاتل ـ اعترف وقال لهم: نعم.

(١) أي: ظهرت.
(٢) أي: اتركه.
(٣) أي: أحضروا.

أحمد منصور: هل هناك حرج في أن تذكر لنا الأسماء؟

أحمد ياسين: المعتقل الأول كان محمد الشراتحة وحُكم عليه بالمؤبَّد وهو في السجن الآن، والثاني صلاح شحادة كان القائد العسكري وكان نائبي الذي كان يتصل بهم (استشهد صلاح شحادة في ٢٢ يوليو ٢٠٠٢م)، ولا زال في السجن هو الآخر إلى الآن وكان عليه غرامة خمسة آلاف شيكل إما أن يدفعها وإما أن يبقى في السجن، فحينما قررنا أن ندفع قالوا: لا، يدفع ثلاثين ألف شيكل، بعد ذلك ترددنا هل ندفع هذا المبلغ أم نتركه يقضي في السجن ستة أشهر، فقلنا: نعم؛ موافقون سوف ندفع، عندها تبطروا وقالوا: لا؛ عليكم أن تدفعوا مئة وعشرين ألف شيكل.

أحمد منصور: وإلَّا ستة أشهر في السجن؟

أحمد ياسين: أو ستة أشهر. قلتُ لهم: ليبق ستة أشهر طبعًا، كما أن إخواننا الآخرين الذين كانوا معنا في الأمن والذين قاموا بتصفية العملاء أيضًا قضية العملاء... خَليَّة تصفية العملاء.

*أحمد منصور [مقاطعًا]:** نعم قضية العملاء، نحن ربما تعرضنا لها في الحلقة الماضية بشكل سريع، لكن هنا نريد تفصيلات لها.

*أحمد ياسين [مستأنفًا]:** الضربة جاءت ضربتين مع بعضهما بعضًا؛ اليهود والعملاء في آنٍ واحد، كُشِفَ الأمران مع بعضهما بعضًا تحت التحقيقات والتعذيب الشديد...

أحمد منصور: معنى ذلك أنكم نفذتم عمليات كثيرة بهذه الطريقة خلال سنة ٨٧؟

أحمد ياسين: نعم، نفذنا عمليات عسكرية ضد اليهود، ونفذنا عمليات ضد العملاء.

أحمد منصور: العمليات المباشرة التي كانت ضد اليهود كانت اختطاف الجنديين وقتلهم؟!

أحمد ياسين: نعم، ومهاجمة مواقع يهودية.

أحمد منصور: والعملاء؟

أحمد ياسين: العملاء نحن لم نُصَفِّ [١] إلَّا ثلاثة.

أحمد منصور: فقط؟!

أحمد ياسين: حققنا مع واحد، وبعد التحقيق أعدمناه، والثاني كان عميلًا مشهورًا وكان

---

(١) أي: نقتل.

يحمل مسدسه على جنبه، بدأنا نحقق معه حتى نعرف، وحينما دفعه الشباب في السيارة كان في يد الشاب الذي دفع العميل مسدس، فلما أخذ العميل يقاوم حدث ضغطة من الشاب على المسدس بالخطأ فقتلته، فمات قبل أن... وهذا المسدس هو الذي كشف الأسلحة.

أحمد منصور: أي مسدس؟

أحمد ياسين: مسدسنا نحن ليس مسدسه، أما العميل الثالث، فكان أحد كبار العملاء وقد قمنا باختطافه للتحقيق معه، فأخذه الشباب وأوصلوه إلى المكان الأمن وقالوا له: لماذا هو هنا، فأنكر، فضربه أحدهم بالكف على وجهه، وقال له: نحن سَنُمهِلُك قليلًا وسنعود إليك لتعترف بكل شيء، وتركه الشباب وذهبوا لتناول العشاء ويتناقشوا، وحينما عادوا إليه وجدوه ميتًا بالسكتة القلبية.

أحمد منصور: لا إله إلَّا الله، وحده هكذا!

أحمد ياسين: نعم، ولكنه كان عميلًا مشهورًا لم يكن بحاجة إلى دمغة العمالة، كان معروفًا تمامًا.

أحمد منصور: وماذا فَعَلُوا؟ فَعَلُوا فيه مثل الآخرين أو أنهم تركوه؟!

أحمد ياسين: كيف؟

أحمد منصور: هل دفنوه مثل الآخرين؟!

أحمد ياسين: دفناه مثل الآخرين طبعًا، دفناه خلاص وانتهى.

أحمد منصور: ماذا كان تأثير اختفاء هؤلاء العملاء لدىَ الإسرائيليين ولدىَ أهلهم؟

أحمد ياسين: ما هي القصة كانت شايطة، لم يكن معروفًا مَنْ الذي يقوم بهذه الأعمال، ونحن لم نكن نُعْلِن، لكن هذا كان يُثير الرعب في نفوس العُملاء خصوصًا حينما يَشيعُ بأنَّ فلانًا خُطِفَ وفلانًا قُتِل، وفلانًا ضاع، فهذا أحدث رَبْكَةً كبيرة عِندَهم، فبدأوا يَنشُرون خيُوطَهم ويتجسسون ويريدون أن يعرفوا مَن وأين، ونحن كنا نراقب ونرى ونسجل لدينا المعلومات التي نريدها.

أحمد منصور: التنظيمات الفلسطينية الأخرى التي كانت موجودة على الساحة، هل كانت تمارس شيئًا من هذا؟

أحمد ياسين: كان تنظيم «فتح» يمارِس شيئًا من هذا لكن داخل السجون وليس في الخارج.

أحمد منصور: عمليات التصفية؟

أحمد ياسين: التصفيات في السجون وعملية التحقيق في السجون مع العُملاء، ونحن لم نَقُم بعدُ بشيءٍ من هذا؛ لأنَّ عددنا كان قليلًا، وكان الكل عندنا نظيفًا، ولم نكن بحاجة إلى تحقيقات.

أحمد منصور [مقاطعًا]: لكن على الساحة الفلسطينية الخارجية ألم تكن تتم عمليات اختطاف أو...؟

أحمد ياسين: نحن في غزة... لم أذكر شيئًا مثل هذا، لم يكن موجودًا، ربما في السبعينات كانت هناك عمليات تصفية كثيرة للعملاء في سنوات ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٢، كانت هناك تصفيات، تصفيات دائمًا على المكشوف، كانوا يقتلون العُملاء أمام الناس في الشوارع.

أحمد منصور: أمام الناس؟!

أحمد ياسين: نعم، أمام الناس؛ كانوا يأخذونه وراء المسجد من الخلف ويطلقون عليه الرصاص، ويرمونه، فيجد الناس في اليوم التالي جثة، أو جثتين مقتولتين، لكن لم يكن هناك ضوابط صحيحة للمُحاكَمات، كان كل واحد قائدًا لحاله.

أحمد منصور: لكن أنتم لكم مرجعية شرعية، ومرجعية إسلامية، ويعني أنتم جماعة تعتبر جماعة إسلامية بالدرجة الأولى؟

أحمد ياسين: بكل تأكيد.

أحمد منصور: فهذه الأمور من المُفتَرَض أن تَستَنِد إلى قواعد شرعية، فما هي القواعد الشرعية التي كنتم تَستَنِدونَ إليها في تنفيذ هذه العمليات؟

أحمد ياسين: أولًا: نحن في حالة حرب مع عدو، وهذا عميل يقوم بتجنيد عملاء للعدو، يقوم بإسقاط الناس والنساء والرجال لوضعهم... الإسقاط يعني: الزنى، الإسقاط يعني: اللواط، الإسقاط يعني: أخلاقيًا، ويُصَوِّره، وبعد ذلك يذهب به إلى اليهود، ويقولون له: تعال؛ نفضحك أو تشتغل معنا؟ بده[١] يصير عميل، وبعدين[٢] يروحوا يقولوا له[٣]: طيب، أسقط لنا فلانًا

---

(١) أي يرغب.

(٢) أي: وبعد ذلك.

(٣) أي: يقولون له.

وأسقط لنا فلانة، وهات فلانًا... مراكز... مراكز إسقاط، وفي أغلب الحالات كان الذي يعدم متورطًا في عمليات قتل لأبناء شعبه الشرفاء، وقد قرر ذلك الشهيد ياسر الحسنات ـ أحد أفراد كتائب القسام ـ في شريط فيديو عُرِضَ بعد استشهاده.

أحمد منصور: يعني كان الذي يتخذ قرار التصفية أناسٌ على فقه شَرْعِي وعلى وَعِي...

أحمد ياسين [مقاطعًا]: بكل تأكيد.

أحمد منصور [مستأنفًا]: بحيث إن هذا الأمر لا يحدث فيه أي نوع من الخلل أو يقتل إنسان بالخطأ؟

أحمد ياسين: مستحيل هذا الكلام، مستحيل!

أحمد منصور: يعني لم تحدث عمليات قتل بالخطأ ـ مثلًا ـ وقعتم فيها؟

أحمد ياسين: لا؛ أنا لم أقلْ أنه لم يحدث، ولكن حدث، ونحن دفعنا دِيَةً لأهله؛ لأنه ثبت أنه قُتِلَ؟ بالخطإ، مات بالخطإ، وهو لم تكن إدانته قد ثَبَتَت بعد، ولم يعترف بذلك، فإذا قُتِلَ الإنسان بالخطإ تُدْفَع له الدية»[1].

❑ النَّشَاطُ الْعَسْكَرِيُّ لِحَرَكَةِ حَمَاسٍ بَعْدَ إِنْشَائِهَا:

قال الشيخ ياسين: «اتخذنا قرار العمل العسكري في ١٩٨٧/١١/١٧م، وبدأنا بالإعداد في تكوين مجموعات عسكرية، بدأ بعضها العمل في الداخل في منطقة جباليا وبيت حانون، بعمل عُبْوات نَاسِفَة، ووضعها في الطريق للجيش وتفجيرها، وأصابت عدة سيارات إسرائيلية، لكن الإسرائيليين لم يعترفوا بقتلى؛ لأن السيارة كانت كلها تنحرق، حرق، تُحْرَق، ويقولون: إنه ليس هناك إصابات... وهكذا اليهود يُخْفُون إصاباتهم، وإذا قتل من جنودهم عدد يقولون: جُرح واحد جراحة بسيطة، وذلك لهدفين: الأول: حتى يظل شعبهم متماسكًا، والهدف الثاني: لا يريدون لنا أن ترتفع معنوياتنا، ولكن كل أهل فلسطين يعرفون هذا المكر الخبيث.

أحمد منصور: هذه كانت تفجر بالريموت أو بالتوقيت أو...؟

أحمد ياسين: لا والله، إحنا[2] كنا لا زلنا بدائيين، بالبطاريات... البطارية العارية توضع في

---

(١) المصدر السابق ص (١٥٧ـ ١٦٥).

(٢) أي: نحن.

بيارة بعيدة، وبأسلاك متواصلة إليها، توضع على جانب الطريق، ثم نوصلها فتتفجَّر، بعدين[١] طبعًا صارت تطورات.

أحمد منصور: العمل تطوَّر؟

أحمد ياسين: طبعًا، وبعدها هؤلاء انكشفوا، ودخلوا السجن مع القيادة في ذلك الوقت.

أحمد منصور: تذكر التاريخ؟

أحمد ياسين: التاريخ كان في ٨٨ تقريبًا شهر ٦ أو ٧ في هذا الوقت؛ لأن التفجيرات عملناها على العيد، قلنا بدُّنا[٢] نُعيِّد على عيد الأضحى بدنا نعيِّد.. ونحن نحاول طرد الاحتلال.

أحمد منصور: يعني كم نفيجرًا نجح؟

أحمد ياسين: يعني يمكن[٣] حوالي خمس[٤] تفجيرات.

أحمد منصور: خمس[٥] تفجيرات؟

أحمد ياسين: واحد في جباليا، واثنان ثلاثة في بيت حانون.

أحمد منصور: كانت خلية واحدة تقف وراء هذا الأسلوب من التفجير؟

أحمد ياسين: كانوا خليتين تقريبًا.

أحمد منصور: واعتقلت الخليتان معًا؟

أحمد ياسين: نعم؛ اعتقلوا نعم، وأخذوا حكمًا، حوكموا، وأمضوا مدة الحكم، وطلعوا[٦].

أحمد منصور: ما هي الأمور التي سارت بعد ذلك أيضًا؟

أحمد ياسين: طبعًا نحن خططنا لإنشاء خلايا جديدة، وأنشأنا الخلية رقم ١٠١، التي بدأت بعمليات القتل، والاختطاف، والدفن.

أحمد منصور: أخبرنا كيف كنت تختار هذه الخلايا، وكيف كنتم تضمنون أن هذه الخلايا

---

(١) أي: بعد ذلك (فيما بعدُ).

(٢) أي: نرغب.

(٣) أي: تقريبًا.

(٤)، (٥) الصواب: خمسة.

(٦) أي خرجوا من السجن.

ستقوم بدورها دون إخلال؟ لأن المبدأ الذي كنتم تتعاملون به هو مبدأ إسلامي؟

أحمد ياسين: نحن كنا نختار العنصر الذي نريده أن يقوم بهذه الأعمال، وقبل كل شيء يجب أن يكون عنصرًا مؤمنًا، له تاريخه المشهود له به بالإيمان، وحبه للجهاد، ولا بد أن يكون شخصًا لديه استعداد للتضحية، ويكون قد اعتُقِل من قبل لقياس ثباته وصبره، وتجربته، وكنا نتصل به عبر رسالة سرية مغلقة، دون أن يعرفنا، ونقول له فيها: نحن نريد أن نشتغل كذا وكذا، فما هو رأيك في المشاركة معًا، ونبعث له بالرسالة عبر نقطة ميتة بحيث لا يعرف من يتصل به.

أحمد منصور: يعني أنتم حريصون في تعاملاتكم مع الخلايا التي تعمل معكم على أن تكون هناك حلقات مقطوعة في عملية الاتصال.

أحمد ياسين: جدًّا جدًّا.

أحمد منصور: يعني نستطيع أن نقول: إن حماس حتى وخلايا عِز الدين القسَّام ليس من السهل الوصول إلى تسلسلها؟

أحمد ياسين: ليس من السهل إلا أن يشاء الله.

أحمد منصور: يعني أقصى شيء أن هذه الخلية لا تعرف إلا نفسها فقط؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: إلَّا نفسها، إلَّا إذا كان هناك عمل ميداني، مرات يجعلهم يتعرفون على بعضهم بعضًا، يعني لو أن هناك مواجهةً في مكان، حينما يطارد أحد فيهم أين يذهب؟ يذهب ليختفي عند الناس، فيبيت عند فلان، وفلان يحميه، وفلان ينقله، فطبعًا الناس يعرفون هذه الأشياء، فتصبح الأمور معروفة لبعضها من خلال الواقع العملي الميداني.

* **أحمد منصور:** لكن حتى الشعب يتعاون معكم في عملية إخفاء المقاتلين؟

أحمد ياسين: بكل تأكيد، وإلَّا كيف يعيش هؤلاء المقاتلون؟ كيف واحد مثل يحيى عياش ومعه محيي الدين الشريف وعادل وعماد عوض الله يعيشون سنوات في ظل احتلال، في ظل مواجهات ومطاردات، كيف يعيشون ما لم يتعاون الشعب معنا، كيف يعيشون؟

* **أحمد منصور:** كيف أسستم الخلية العسكرية رقم ١٠١؟

أحمد ياسين: كما قلت لك، اتصلنا بالأخ محمد الشرائحة برسالة عبر نقطة ميتة، وضعنا له فيها ما نريد، بعد ذلك هو أعطانا الرد في النقطة نفسها، وطلبنا منه أن يجند معه أناسًا ممن حوله،

ويعرفنا بهؤلاء الذين يقوم بتجنيدهم، فاختار عناصر...

أحمد منصور [مقاطعًا]: هل هناك شروط معيَّنة أيضًا تضعونها، أو أنكم تتركون له حرية الاختيار؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: لا؛ نترك له حرية الاختيار، لكن لا بدَّ أن يعرفنا من الذين معه، ومن الذين وقع عليهم الاختيار، إذا كانت هناك أمور مخالفة، كنا نقول له: أوقف هذا؛ ونبعث له رسالة نقول له: وقف، أما إذا كانت اختياراته مقبولة لدينا ومعروفة نقول له: ماشي اتوكل... وانطلق، لا غبار عليها عندنا، ومعروفة نقول له: توكل على اللَّه وانطلق.

أحمد منصور: يعني أنتم ـ أيضًا ـ لا بدَّ أن تَعرفوا من كل شخص و..؟

أحمد ياسين: بكل تأكيد... ربما يقوم بعمل وهو لا يدري عن حاله، فلا بد أن يكون هناك صمام أمان وراءه.

أحمد منصور: يعني حتى كل شخص يدخل عندكم كنتم تُعِدُّون تقريرًا عن حياته وخلفياته وعلاقاته...

أحمد ياسين [مقاطعًا]: لا بدَّ أن نعرف الخلية التي معه، من الذي معه، ومن شخصه؟ حتى أنه كان هناك شخص معي في السجن سنة ٨٥ وكان من الشباب المتحمسين جدًّا، جاءني على البيت ويريد أن يعمل...

أحمد منصور [مقاطعًا]: جاء لك أنت؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: نعم؛ جاءني كان يريد أن يشتغل، طبعًا أنا لا أستطيع أن أقول له: إنني أعمل وأريد له أن يعمل أيضًا...

أحمد منصور [مقاطعًا]: لا طبعًا، أنت بريء، ومالكش دعوة[1] بالحاجات دي...

أحمد ياسين [مستأنفًا]: أنا بريء. فقلت له: طيب اذهب، وربما يرسل لك اللَّه من يأخذك، ربما إخواننا يسمعوا عنك، ويتصلوا بك، ففعلًا أوحينا لإحدى الخلايا أن تتصل به، وأرسلت لهم رسالة، وبالفعل اتصلوا به وضموه إليهم، واشتغل معهم، وشاء اللَّه أن ينكشفوا بعد ذلك.

---

(١) أي ليس لك شأن...

أحمد منصور: ماذا فعلوا، وكيف كُشفوا؟

أحمد ياسين: قلت: إنهم بدأوا بالهجوم على إسرائيلي يريد أن يحفر بئرًا في الشيخ رضوان، ولكنه نفد(١) بأعجوبة منهم...

أحمد منصور [مقاطعًا]: كان متدربًا كما ذكرت لنا...

أحمد ياسين [مستأنفًا]: جدًّا.

أحمد منصور: نعم.

❑ اكْتِشَافُ الْخَلِيَّةِ ١٠١ واعتقال الشيخ ياسين:

أحمد ياسين: ثانيًا: هاجموا مستوطنة بإطلاق النار عليها، وهذه كانت الخطوة الثانية. أما الخطوة الثالثة: فقد انتقلوا إلى داخل إسرائيل، واختطفوا الجندي الأول وقتلوه ودفنوه، واختطفوا الجندي الثاني وقتلوه ودفنوه، لكن في حال عودة السيارة من الداخل إلى الخارج اكتشف الإسرائيليون آثارها، فتابعوها حتى وصلوا إلى مكانها، ومن هنا اكتشفوا أن هناك أناسًا يشتغلون، وهم أصبح لهم أثر.

فطبعًا المجموعة التي أخذت السيارة هربت، والمكان الذي وجدت فيه السيارة كان هو المكان الذي كان موجودًا فيه قائد الخلية، وكان يعتقد أنه يصعب التعرف عليه، وأنه لا يعرفه أحد لا سيما أن جميع أفراد الخلية قد تمكنوا من الهرب، ولو كان يدرك من قريب أو بعيد أنه يمكن للإسرائيليين أن يتعرفوا عليه لهرب هو الآخر، لكن شاء اللَّه أن يتم اعتقاله بالنهار على يد الإسرائيليين باعتباره كان آمنًا، ولم يعتقد أنه سوف يقبض عليه، وتحت التعذيب القاسي جدًّا، والذي لا يمكن لحدود العقل أن تتصوره، والذي يصل إلى حدٍّ أن يتصور الإنسان أنه يموت ويحيا من شدة التعذيب تحت أيديهم، قال لهم: أنا لا أعرف، وبالفعل كان لا يعرف، قالوا له: طيب خمن(٢) من يكون، من تظن؟ فكان يظن أن الذي يوجهه هو أحد إخوانه الذين يعملون معه في الجامعة هو الذي يوجهه، فقال لهم: أظن أنه فلان، فاعتقلوا فلانًا، وتحت التعذيب الأقسى من الأول اعترف أنه بالفعل كان يوجهه...

---

(١) أي: هرب.

(٢) أي: اقترح.

أحمد منصور [مقاطعًا]: وأنه هو المحرك الرئيسي للمجموعة؟

أحمد ياسين [مستأنفًا]: نعم. فقالوا له: من أين تأتي بالمال؟ قال لهم: أحضرته من الشيخ أحمد، قالوا: هيه[(١)]، هذا الذي نريده.

أحمد منصور: كان هذا في سنة ٨٩.

أحمد ياسين: من هنا جاء الاعتقال الثاني[(٢)].

❏ تَسْمِيَةُ كَتَائِبَ عِزِّ الدِّينِ الْقَسَّامِ:

قال الشيخ ياسين: «أنا بعد ما دخلت إلى السجن قلت لك: إني لم أكن أتدخل في عملهم، هم كانوا يعملون وأنا فقط كنت أرسل لهم نصائح وتوجيهات إذا وجدت خلل[(٣)]، أما من الذي أصبح قائدًا عسكريًا بعد ذلك لا أعرف، نحن كنا نسمي الخلايا العسكرية (المجاهدون الفلسطينيون) لكن الذين جاءوا بعدنا قالوا: نريد أن نسميها «**كتائب عِز الدين القسَّام**».

أحمد منصور: متى تم اختيار هذا الاسم؟

أحمد ياسين: يبدو أن هذا الكلام صار بعد ٩٠ و١٩٩١م.

أحمد منصور: ما هي أسباب اختيار اسم كتائب عِز الدين القسام؟

أحمد ياسين: كان الإخوة يتصورون أن الشهيد عِز الدين القسَّام كان قدوة في الاستشهاد في فلسطين، وكان قدوة في قتال اليهود والبريطانيين، ثم نفذ عمليات استشهاد على أرض فلسطين، وهو أصلًا سوري جاء من سوريا إلى فلسطين وقاوم، وعمل مجموعات لمواجهة الاحتلال البريطاني في قرية (يعبد) شمال فلسطين، وقاتل وقاوم واستشهد، فأن نعطي اسمه كرمزية للجهاد فهذا شيء جيد[(٤)].

أحمد منصور: حينما أسست أنت أول خلية عسكرية لحماس، من المؤكد أنك متابع ومطلِّع على الاستراتيجية العسكرية الحالية، أو التي تطورت بعد ذلك للحركة، فهل وجدت أن هناك

(١) أي: نعم.

(٢) المصدر السابق ص (١٨٥- ١٩١).

(٣) الصواب: خللًا.

(٤) المصدر السابق ص (٢٠٤).

استفادة من التجارب، وهل التجربة أصبحت ثرية؟

أحمد ياسين: بكل تأكيد.. بكل تأكيد.. أنا قلت لك: في البداية، جمَّعنا أسلحة لكن لم نستخدمها، ثم في النهاية بدأنا بعدد قليل من الناس، نفذوا عمليات جريئة، ثم بعد اعتقالنا بدأت عمليات أجرأ بإمكانات قليلة من السلاح، بندقيتين كانوا في قطاع غزة، يلفُّوا(١) قطاع غزة، ويطلعوا على الضفة، يلفون(٢) فيهما الضفة ويرجعوا على قطاع غزة، العمليات تقوم بالقطعتين هاتين، ومن خلال القطعتين استولوا على قطعة من العدو واشتروا قطعة جديدة، صار عندنا مجموعات وسلاح، وأصبحنا نهاجم الجيبات ونقتل من فيها ونرميهم ونصورهم أيضًا، يُقتل كل الجنود الذين في الجيب، نصورهم ونقف على جثتهم، هذه مرحلة ليست سهلة، ليست بسيطة في المواجهة العسكرية للمقاومة ضد العدو.

ثم قال: لا يهمني الحجم الكبير، أنا يهمني العدد الذي يجب أن يعمل في الميدان، إذا توفر العدد المناسب للميدان، ليس الحجم الكبير مهما؛ لأن الحجم من الممكن أن تجدده في كل يوم، من الممكن أن تطوره في كل يوم، ممكن تزيده في كل يوم، المهم في نوعية العمليات التي تنفذ ونوعية المنفذين.

أحمد منصور: هل خيار المواجهة العسكرية وكتائب القسَّام هو خيار لن تحيد عنه حركة حماس، وهو خيار استراتيجي مستقبلي، أو أن الظروف يمكن أن تجبركم على البحث عن وسائل أخرى؟

أحمد ياسين: على أي حال نحن حتى الآن هذه هي مواقفنا أن خيار الجهاد هو خيار استراتيجي لا حياد عنه، إلا إذا وافقت إسرائيل على الهدنة التي نطرحها ممكن في هذه الحالة أن نعمل هدنة»(٣).

---

(١)، (٢) المصدر السابق ص (٢٤٢، ٢٤٣).

(٣) أي يحيطوا.

❑ كَتَائِبُ الْقَسَّامِ تَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهَا

«نَبْذَةٌ تَعْرِيفِيَّةٌ عَنْ»
كَتَائِبِ الشَّهِيدِ عِزِّ الدِّينِ الْقَسَّامِ
الْجَنَاحِ الْعَسْكَرِيِّ لِحَرَكَةِ الْمُقَاوَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ «حَمَاس»

❑ النَّشْأَةُ:

لم تكن انطلاقة العمل الجهادي المقاوم للجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) مرتبطًا أساسًا بانطلاقة حركة (حماس) المجاهدة؛ ولكن الحقيقة المهمة هي أن الفعل الجهادي ظهر قبل انطلاقة الحركة في ١٩٨٧م، ففي منتصف عام ١٩٨٤م تكشف أن الحركة بقيادتها التاريخية وعلى رأسهم الشيخ المجاهد أحمد ياسين والدكتور إبراهيم المقادمة، والقائد صلاح شحادة، وثلة من إخوانهم الأفاضل كانوا في مرحلة تشكيل نواة عسكرية للحركة، وبغض النظر عن مستوى الفعل لهذا التشكيل، إلا أنه كان انعطافة مهمة في تاريخ الحركة من حيث تبنِّي سياسة جهادية واضحة ضد المحتل.

ومن جهة ثانية فقد شكلت الحركة جهازًا عسكريًّا في عام ١٩٨٦م بقيادة الشيخ القائد صلاح شحادة ـ رحمه اللَّه ـ باسم (المجاهدون الفلسطينيون)، وهذا الجهاز أنجز العديد من الأفعال الجهادية قبل الانتفاضة الأولى وفي أثناء الانتفاضة حتى منتصف عام ١٩٨٩م، حتى الضربة الشاملة التي لحقت بالحركة وقيادتها السياسية والعسكرية، وقد قام هذا الجهاز بالعديد من العمليات كان أهمها «**خطف الجنديين آفي ساسبورش وإيلان سعدون**»، كذلك إلى جانب عدة عمليات إطلاق نار، منها إصابة مهندس صهيوني في منطقة الشيخ رضوان بإصابات خطيرة.

وأفرزت الحركة العديد من الأجهزة المجاهدة قبل انطلاقتها، وظلت تعمل حتى عام ١٩٨٩م، من أهمها، المجاهدون الفلسطينيون، وجهاز مجد، وهو جهاز أمني في أساسه إلا أنه ساهم في ملاحقة عملاء الاحتلال قبل الانتفاضة الأولى، وفي أول أسبوعين منها خُطف وحُقق مع أربعة

من أشهر العملاء وتم تصفيتهم، وكتائب عبدالله عزام في الضفة ـ خاصة في وسطها وشمالها.

وفي منتصف عام ١٩٩١م، ظهر اسم كتائب الشهيد عِز الدين القسام وخاصة في منطقة رفح في وسط قطاع غزة، من خلال ملاحقة عملاء الاحتلال وتأديبهم، حتى أن هذا الاسم كان في ذلك الوقت ليس معروفًا أنه الذراع العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ولكن في ١/ ١/١٩٩٢م قام مجاهدو كتائب القسام في المنطقة الوسطى بقتل حاخام مستوطنة كفاردároم (ورون شوشان) من خلال إطلاق النار عليه، وهنا كان الإعلان الصريح عن اسم الكتائب وهويتنا الواضحة.

❑ تَوْحِيدُ الْعَمَلِ تَحْتَ اسْمِ كَتَائِبِ الْقَسَّامِ:

كان هناك وجهتي نظر حول تسمية الجهاز العسكري، ففي قطاع غزة تم طرح اسم كتائب الشهيد عِز الدين القسام، وكان من أكثر الموافقين على هذا الرأي الشهيد القائد ياسر النمروطي، وفي الضفة الغربية كان رأي إخواننا هناك اسم كتائب الشهيد عبدالله عزام، على اعتبار أن الدكتور عبدالله ـ رحمه الله ـ فلسطينيًا[1] من الضفة ويعتبر من رواد العمل الجهادي في العالم الإسلامي، وفعلًا عملت عدة خلايا تحت هذا الاسم حتى أن هناك معتقلين حتى الآن من أبناء حركتنا لا زالوا قيد الأسر على خلفية عملياتهم تحت هذا الاسم، ولكن بعد ذلك بمدة قصيرة تم توحيد الاسم «**كتائب الشهيد عِز الدين القسام**»، وقد ساهمت عملية الاندماج في العمل الجهادي في بدايات العمل بين أبناء الكتائب من القطاع ومن الضفة وتنفيذ عمليات مشتركة وخاصة في فترة انتقال الشهيد القائد عماد عقل إلى الضفة في تعزيز هذا الاسم.

❑ الْقَادَةُ الْمُؤَسِّسِينَ:

في مقدمة حديثنا عن الأعلام البارزة في نشأة وقيادة كتائب الشهيد عِز الدين القسام، وخاصة الشهداء والمعتقلين منهم، لا بد من ذكر الدور الكبير للقائد العام الشهيد صلاح شحادة ودوره المهم في تطوير ودفع هذا الجهاز، وكذلك الأخ الأسير القائد أبو إبراهيم «**يحيى السنوار**» وكذلك الشهيد القائد ياسر النمروطي قائد جهاز الكتائب والذي يعتبر أحد المؤسسين، وكذلك

---

(١) «أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة» ص (٣٣٠).

القائد الكبير الشهيد عماد عقل ودوره وعملياته البطولية التي زلزلت العدو الصهيوني، والشهيد جميل وادي، وكذلك الشهيد القائد المهندس يحيى عياش صاحب انعطافة العمل الاستشهادي التفجيري، ولا شك أن لمساته غيرت المعادلة في صراعنا مع العدو.

وكذلك الشيخ الأسير صالح العاروري قائد الكتائب في الضفة ١٩٩٢م، والشهداء الأبطال محمد عزيز، وخالد الزير، ودورهم المهم في قيادة الكتائب في مدن الضفة وأعمالهم البطولية المميزة. والمهندس محيي الدين الشريف. والقائد محمود أبو الهنود، المهندس عادل عوض الله، قادة الكتائب في الضفة ومهندسيها.

وكذلك الأسير المجاهد القائد عبدالناصر عيسى أحد تلامذة الشهيد يحيى عياش، وكذلك المجاهد حسن سلامة ودورهم المركزي في عمليات الثأر للشهيد المهندس يحيى عياش.

ولا نُزكِّي على اللَّه أحدًا؛ فنضع على رأس هذه الثلة المؤمنة المجاهدة صاحب النقلة الكبيرة في تأجيج وتأصيل روح الجهاد والمقاومة لأبناء الكتائب الشهيد القائد إبراهيم المقادمة.

❑ الأَهْدَافُ:

نعتبر نحن في كتائب الشهيد عِز الدين القسام أن أرض فلسطين التاريخية الكاملة مغتصبة من العدو الصهيوني، فلا فرق بين أرضنا المحتلة في ١٩٤٨م، والأرض في منطقة ١٩٦٧م، ولهذا جهادنا يستهدف الكيان الغاصب في كل بقعة وفي كل شبر من أرض فلسطين الحبيبة، فليس لهم أي حق تاريخي أو قانوني على هذه الأرض الطيبة، وكل صهيوني على أرض فلسطيني استوطنها يعتبر مغتصب[1] يَحقُّ لنا مقاومته واستهدافه.

فهدفنا واضح؛ وهو تحرير بلادنا المقدسة كاملة من الصهاينة، وهذه الأرض المباركة وقف إسلامي لا يحق لكائن من كان أن يفرط فيها أو بجزء منها، حتى لو كانت الأمة في مرحلة الضعف، وهذه القناعات لا تتعارض مع كوننا في بعض مراحل عملنا الجهادي نركز على أرض ١٩٦٧م لاعتبارات تفيد قضيتنا وشعبنا، ولكن من الناحية المبدئية جهادنا متواصل في كل بقعة يتواجد فيها صهيوني مغتصب.

---

(١) الصواب: فلسطينيٌّ.

والمستقرئ لمسيرة جهادنا منذ أواخر الثمانينات، منذ خطف الجنديين الصهيونيين في مارس ومايو ١٩٨٩م وحتى الآن يجد أننا لا نفرق في عملنا بين أراضي ٦٧ و١٩٤٨م، وحصاد جهادنا لتلك المرحلة يؤكد أن كل بقعة من فلسطين استهدفنا بها الصهاينة، فمن بئر السبع جنوبًا وحتى بيسان شمالًا، وكذلك كانت محافظة الضفة والقطاع تشهد ساحاتها وأزقتها لعملياتنا ضد المحتلين، فكتائبنا رفعت للحق راية، وهي ماضية في سبيل التمكين لها، والأمر من قبل ومن بعد لله ـ سبحانه وتعالى ـ.

❑ الْوَسَائِلُ:

لا بد من الإشارة إلى أن القفزة النوعية في القدرة العسكرية التي يشهدها الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) جاءت عبر تسلسل تدرجي منهجي في امتلاك القوة وتطويرها لمواجهة القوة التي يمتلكها جيش الاحتلال الصهيوني.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن عملية كفار داروم وقتل الحاخام (وورن شوشان) ١/١/١٩٩٢م كانت بواسطة مسدس قديم (٧) ملم.

فالمنهاج الذي نشأنا عليه هو رفض نظام الطفرة التي قد تؤدي إلى الهلاك بعد ذلك، وهذا منهج مستلهم من المنهج النبوي للمصطفى ﷺ، لهذا صمدت حركتنا وكتائبنا ـ بحمد الله ـ أمام أعتى الضربات التي ظن أعداؤنا أنها قاتلة ومميتة، لذا عندما نشاهد هذا التدرج السليم، يزيدنا ثقة بالله ـ سبحانه ـ ويجعلنا نقف على أرضية صلبة ومتماسكة في عملنا الجهادي، لهذا نحن الآن نشعر بأن الأمانة وصلت بالتدرج، وأن مراكمة القوة يجب أن يواكبها العديد من جوانب العمل الإسلامي والجهادي، وهذا الأمر نشعر أنه موجود في مسيرتنا، ولله الحمد والمنة، ونرجو من مولانا القدير أن يمدنا بمزيد من المدد من عنده حتى نواصل مسيرتنا.

وعلى الرغم من أن ما نملكه يعتبر مجموعة أسلحة متواضعة نواجه بها عدونا الغاصب الذي يمتلك أعتى آلة حرب في المنطقة.

ولكننا نؤكد أن مهندسي وفني كتائبنا يعكفون ليل نهار على تطوير قدراتهم لضرب العدو، وما تدمير دبابة الميركافاة بأقل من (٣٥) كجم من المواد المتفجرة في شمال القطاع في العالم الماضي إلا دليل على هذا الجهد.

ونطمئن الجميع أن الأمانة بين رجال مخلصين لا يبخلون بجهدهم لرفع راية الحق عالية في كل ميدان، ونحن من أصحاب نظرية التدريج في مراكمة القوة، ولهذا فإن المستقبل القريب زاهر لأبناء كتائب القسام ولأصحاب خيار المقاومة بإذن اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ..

❑ عَلَاقَتُنَا بِالْقِيَادَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِحَرَكَةِ حَمَاسٍ:

نؤكد على الانفصال الحاصل ما بين الذراعين السياسي والعسكري لحركة حماس، ولكن ذلك لا يعني الانقطاع وعدم معرفة مُبتَغَي القيادة السياسية؛ فنحن في كتائب القسام ندرك ما تتحدث به القيادة السياسية.

أَحْمَدُ يَاسِينُ لَا يَعْرِفُ الْمَوْتَ إِلَّا شَهَادَةً

يَاسِينُ الْحَبِيبُ يَوْمَ مَوْتِهِ أَفْصَحُ خَطِيبٍ

لطالما تمنى ياسين الشهادة.. كانت هجيراه في كل وقت.

قالوا له في أحد الحوارات قبل موته بأيام:

«ألا تخشى على حياتك من الاغتيال أو الاعتقال؟»

فقال: «الأعمار بيد الله، ولو أننا نخاف من الموت لما فعلنا شيئًا، ولو نام كل منا في بيته لن يترك العدو أحدًا من الفلسطينيين، فنحن نؤكد أن الشهادة هي عرسنا المنتظر، وعندما يأتي هذا العُرْس يكون عيدًا، وعلى العدو أن يفهم جيدًا أنه إذا مس أحدًا من القيادات الفلسطينية ـ وخاصة قيادات حماس ـ فسيدفع ثمنًا باهظًا وسيندم على فعلته أشد الندم».

وقال: «**إذا ظن الصهاينة أنهم إذا اغتالوا قيادات حماس فإننا سنستلم فهذا وَهْم؛ لأننا سنقاتل حتى آخر قطرة من دمائنا**».

وفي رده على سؤال: إذا ما كان قد اتخذ الإجراءات الأمنية بعد التهديدات الصهيونية المؤخرة؟ قال مجيبًا: بالتأكيد اتخذت أقصى درجات الحيطة والحذر، ودليل ذلك أنني أجلس في بيتي ولم أغادره، واغتيالي لن يؤثر على مسار حماس ولا على مسار المقاومة، وهذه التهديدات تزيد من قوة وإيمان هذا الشعب بخيار المقاومة، وأن الرد على محاولات الاغتيالات قادم والعقاب من جنس العمل».

وقال بعد خروجه من السجن: «**طالما يموت الإنسان، فلماذا لا يموت ميتة حلوة وهي الاستشهاد في سبيل تحرير أرض فلسطين؟!**».

وقال في الأيام الأخيرة من حياته: «**أغلى أمنياتي .. أن أموت شهيدًا**».

وقال في لقائه مع أحمد منصور الذي بثته قناة الجزيرة: «**سأبقى مجاهدًا ـ إن شاء اللَّه ـ حتى يتحرر وطني، لأني لا أخشى الموت؛ لأن الأعمار بيد اللَّه مُقدَّرة، لا تزيد ولا تنقص، ولا أخشى الفقر؛ لأن الرزق بيد اللَّه مُقدَّر، لا يمكن أن تموت ويبقى لك رزق في الدنيا إلَّا أن**

تستوفيه، وعلى ذلك فلماذا الخوف؟ ولماذا التردد؟ ولماذا لا يكون الإنسان ينتقي موتة شريفة، شهادة عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ؟» [١].

تقول الحاجة (أم محمد) أرملة الشيخ الشهيد: «كان الشيخ يشعر في الأيام الأخيرة بأنه سوف يستشهد، ولم يبلغني بذلك مباشرة، لكنه أبلغ بقية الأسرة؛ قال لهم: أشعر أنني سوف أستشهد وأنا أطلبها، أبحث عن الآخرة ولا أريد الدنيا».

وتقول سمية ابنة الشيخ: على غير العادة جمعنا والدي ـ رحمه الله ـ أنا وأخواتي قبل استشهاده بيوم واحد، ورغم أن والدي اعتاد ما بين وقت وآخر جمعنا والجلوس معنا إلَّا أن جلسته الأخيرة هذه بدت أشبه بجلسة مودع، وقال خلالها: إنه يشعر بأنه سوف يستشهد وأنه يطلب الشهادة» [٢].

يقول (أبو محمد) أحد مرافقي الشيخ القدامى: «**في ليلته الأخيرة اعتكف الشيخ في مسجد «المجمع الإسلامي» ونوى الصيام بعد أن تسحَّر بشربة ماء وصلى الفجر، وبعد الصلاة شعر الموجودون هناك بخطر، فخرج بعض الفتيان لإحضار إطارات سيارات لإشعالها حتى تغطي السماء بسحب الدخان، ولكن الشيخ خرج مع رفقائه فتم قصفهم من قبل طيران جيش الاحتلال ليستشهد مرافقاه وزوج ابنته «خميس مشتهى» علمًا بأن (مشتهى) هو صهره الثاني الذي يستشهد، فقد استشهد سابقًا صهره هاني أبو العمرين»** [٣].

قال خالد أبو العمرين:

يَـاسِـيـنُ هَـذَا يَـوْمُـكَ الْمُخْـتَـارُ ... فَالْأَرْضُ مِنْ صَفْوِ السَّمَاءِ تَغَارُ
كُنْتَ الْهِلَالَ سَجِينَ جِسْمٍ هَامِدٍ ... وَالْـيَـوْمَ تَمَّ الْـبَـدْرُ وَالْأَنْـوَارُ

ويقول آخر:

فَـقُـلْ لِابْـنِ يَـاسِـينَ إِنْ جِـئْـتَـهُ ... لَـقَـدْ رَبِـحَ الْـبَـيْـعُ يَـا أَحْـمَـدُ

(١) الصواب: مُغْتَصِبًا.
(٢) مجلة المجتمع عدد (١٥٩٩).
(٣) المصدر السابق.

❏ دَرْسُ تَمَنِّي الشَّهَادَةِ وَالْفَوْزِ بِهَا أَعْظَمُ وَآخِرُ دَرْسٍ مِنْ دُرُوسِ يَاسِينِ النَّبِيلِ لِأُمَّتِهِ، يُسَطِّرُهُ بِدَمِهِ يَوْمَ عُرْسِهِ وَاسْتِشْهَادِهِ:

الشهادة أعلى فضائل الإنسان، ارتقت معه إلى ذروتها العليا، واستعد بها النوع البشري لفهم العقيدة والإيمان، والشهادة حيث وُجدت مقرونة بفضيلة الفداء وبذل النفس والنفيس في سبيل الله، أقول في هذا:

يَا وَيْحَ نَفْسِي وَمَا ارْتَفَعَتْ بِنَا هِمَمٌ ... إِلَى الْجِنَانِ وَتَالِي الْقَوْمِ أَوَّابُ
إِلَى كَوَاعِبِ لِلْأَطْرَافِ قَاصِرَةٍ ... وَظِلُّ طُوبَى وَعِطْرُ الشَّذْوِ يَنْسَابُ
إِلَى قَنَابِلَ ذَهَبٍ عُلِّقَتْ شَرَفًا ... بِعَرْشِ رَبِّي لِمَنْ قُتِلُوا وَمَا غَابُوا

الشهيد من يُشهد اللَّه على صدقه وإنْ كذَّبه الناس، وخسر عندهم الحياة وحسن الأحدوثة على الأفواه بعد الحياة.

والشهيد من يبذل حياته في سبيل الحق، أو من يذهب مظلومًا في سبيله صابرًا غير متزعزع ولا ناكص على عقبيه.

والشهيد في الرفيق الأعلى، مع النبيين والصديقين والصالحين.

غاية لا يبلُغها كل طالب، ولا يطلبها كل من شاء، إلا أن يشاءها بما هي أهله من عدة الخلق والبصيرة والإيمان.

هَـذِي بَسَـاتِينُ الْجِنَانِ تَـزَيَّنَـتْ ... لِلطَّالِبِينَ فَأَيْنَ مَنْ يَرْتَادُ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١]،

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾:

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «إن الشهادة عند اللَّه من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم

خواصه والمقرَّبون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو ـ سُبْحَانَهُ ـ يُحِبُّ أن يتخذ من عباده شهداء، تُرَاقُ دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحبته على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المقتضية إليها من تسليط العدو»[1].

وقد دلت الشهادة باسمها على معناها الرفيع: الشهادة هي الحضور، والشهيد حاضر في ساعة الرَّوع حين يغيب الخائف الحريص على الحياة، والشهيد حاضر بذكراه، والشهيد حاضر بآثاره وآثار أعماله، وهي حية لا تموت.

والشهادة فضيلة عزيزة لا ينالها كل طامع فيها، ولا يدركها إلا من هو أهل لها، مستحق للإيمان بها، صابر على شدائدها وأهوالها.

الشهادة درجة عالية لا يهبها اللَّه إلَّا لمن يستحقها...

إنها اختيار من العلي الأعلى للصفوة من البشر؛ ليعيشوا مع الملإ الأعلى؛ حيث قال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

إنها اختيار واتخاذ واصطفاء للأفذاذ النبلاء من البشر؛ ليكونوا في صحبة الأنبياء؛ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

❑ ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾:

هو تعبير عجيب عن معنى عميق...

إن الشهداء لمختارون؛ يختارهم اللَّه من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه ـ سُبْحَانَهُ ـ، فما هي رزية ـ إِذَنْ ـ ولا خسارة أن يُسْتَشْهَدَ في سبيل اللَّه مَنْ يُسْتَشْهَدُ!!

إنما هي اختيار وانتقاء، وتكريم واختصاص.. إن هؤلاء هم الذين اختصهم اللَّه ورزقهم الشهادة؛ ليستخلصهم لنفسه ـ سُبْحَانَهُ ـ، ويخصهم بقربه.

ثم هم شهداء يتخذهم الله، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس... يستشهدهم فيؤدُّون الشهادة...

---

(١) زاد المعاد (٣/٢٢١، ٢٢٢).

يؤدُّونها أداءً لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله...

يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق، وتقريره في دنيا الناس...

يطلب اللَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ منهم أداء هذه الشهادة:

على أن ما جاءهم من عنده الحق..

وعلى أنهم آمنوا به، وتجردوا له، وأعزوه حتى أرخصوا كل شيء دونه، وعلى أن حياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق..

وعلى أنهم هم استيقنوا هذا؛ فلم يألوا جهدًا في كفاح الباطل، وطرده من حياة الناس، وإقرار هذا الحق في عالمهم، وتحقيق منهج اللَّه في حكم الناس..

يستشهدهم اللَّه على هذا كله فيشهدون، وتكون شهادتهم هي هذا الجهاد حتى الموت، وهي شهادة لا تقبل الجدال والمحال!!

إذا اقتضى الأمر أن يموت في سبيله؛ فهو ـ إِذَنْ ـ شهيد؛ أي: شاهد، طَلَبَ اللَّه إليه أداء هذه الشهادة فأدَّاها، واتخذه اللَّه شيهدًا، ورزقه هذا المقام..

هذا فقه ذلك التعبير العجيب ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾[1].

❑ لِلَّهِ مَا أَحْلَاهَا مِنْ كَلِمَةٍ!!

«الشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن دين الله أغلى عنده من حياته؛ ولذلك يبذل روحه وحياته فداءً لدين الله!!».

يَا شَهِيدًا رَفَعَ اللَّهُ بِهِ ... جَبْهَةَ الْحَقِّ عَلَى طُولِ الْمَدَى
سَوْفَ تَبْقَى فِي الْحَنَايَا عَلَمًا ... حَادِيًا لِلرَّكْبِ رَمْزًا لِلْفِدَى
مَا نَسِينَا أَنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنَا ... بَسْمَةَ الْمُؤْمِنِ فِي وَجْهِ الرَّدَى

إن الناس يعيشون ويموتون، لكن الشهداء يعيشون ويعيشون!!

إن الناس يعيشون؛ ليموتوا، ولكن الشهداء يموتون؛ ليعيشوا!!

---

(١) الظلال (١/٤٨١، ٤٨٢).

إنهم الذين يحسنون طريقة الموت.. الواحد منهم آنَسُ بالموت من الطفل بثدي أمه!!

إنهم الذين يخطُّون تاريخ الأمم؛ لأن صروح المجد لا تُبْنَى إلا بجماجمهم وأشلائهم، وهم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تذوى؛ لأن شجرة هذا الدين لا تُرْوَى إلا بالدماء، وهم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء، وبذكرهم تحيا القلوب؛ لأنهم قُتِلُوا؛ لتحيا أممهم، ويَحْيَونَ هم أنفسهم، هؤلاء هم عُشَّاق الموت الذين تُبْنَى بهم الحياة؛ فهم يبحثون عن الموت، ويبغونه في مظانه؛ ليبعثوا الحياة في أممهم وفي الأجيال التي تأتي من بعدهم؛ كما قال ﷺ **«مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ: رَجُلٌ مُمْسِكٌ عَنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ...»** (١).

فهم يبتغون الموت مظانَّهُ؛ أي أنهم حيثما ظنوا مكان الموت أسرعوا إليه ومضوا مُسرِعين يطلبونه.

ما العيش إلا معهم، وقُرْبهم حياة للأرواح، وبذكرهم تطيب المجالس وتحيا.

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «أخبر ـ سُبْحَانَهُ ـ أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وَأَعَاضَهُمْ عليها الجنة، وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء؛ وهي: التوراة والإنجيل والقرآن، ثم أَكَّدَ ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، ثم أَكَّدَ ذلك بِأَنْ أَمَرَهُمْ بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه، ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم، فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع، ما أعظم خطرَهُ وأجلَّهُ؛ فإن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ هو المشتري، والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك، والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من «**الملائكة والبشر**»، وإن سلعةً هذا شأنُهَا لقد هُيِّئَتْ لأمر عظيم وخطبٍ جسيم».

قَدْ هَيَّئُوكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ ... فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الْهَمَلِ

مَهْرُ المحبة والجنة بذلُ النَّفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين، فما للجبانِ المُعْرِضِ المُفْلِسِ وَسَوْمِ هذه السلعةِ، باللَّه ما هُزِلَتْ فَيَسْتَامُهَا المفلسون، ولا كَسَدَتْ فيبيعها بالنسيئة المُعْسِرُونَ، لقد أُقِيمت للعرض في سوق من يُريد، فلم يرض ربُّها لها بثمن دون بذل النفوس؛

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٩).

فَتَأَخَّرَ الْبَطَّالون، وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن، فدارت السلعة بينهم، ووقعت في يد ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

لما كثر المدَّعون للمحبة، طُولِبُوا بإقامةِ البينة على صحة الدعوى، فلو يُعْطَى الناس بدعواهم، لَادَّعَى الخليُّ حُرْقَةَ الشجيِّ، فتنوَّع المَدَّعون في الشهود؛ فقيل: لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ فتأخر الخلق كلهم، وَثَبَتَ أتباع الرسول ﷺ في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه، فَطُولِبُوا بعدالة البيِّنة وقيل: لا تُقْبَلُ العدالة إلا بتزكية: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فَتَأَخَّرَ أكثر المدَّعين للمحبة، وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فسلموا ما وقع عليه العقد؛ فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وعقد التبايع يُوجب التسليم من الجانبين، فلما رأى التجار عظمة المشتري، وَقَدْرَ الثمن، وجلالةَ قَدْرِ من جرى عقد التبايع على يديه، ومقدارَ الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد، عرفوا أن للسلعة قدرًا وشأنًا ليس لغيرها من السِّلَعِ؛ فرأوا من الخسران البيِّن والغَبْن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة، تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تَبِعَتُهَا وَحَسْرَتُهَا؛ فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء، فعقدوا مع المشتري بيعةَ الرِّضوان رضًى واختيارًا من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله، لا نقيلك ولا نستقيلك، فلما تَمَّ العقد، وسلموا المبيع، قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا، والآن فقد رددناها عليكم أوفرَ ما كانت وأضعاف أموالكم معها ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩﴾ [آل عمران: ٦٩]، لم نبتغِ منكم نفوسكم وأموالكم طلبًا للربح عليكم؛ بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أَجَلَّ الأثمان، ثم جَمَعْنا لكم بين الثمنِ والمثمَّنِ».

أَجْرُ الشَّهَادَةِ وَمَنْزِلَةُ الشَّهِيدِ

لقد مَنَّ الله على الشهداء بنعم لا تُحْصَى، وفضائل ومآثر لا تُنْسَى، ومن أَجَلِّ هذه النعم وأعظمها أن اللَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ جعلهم أحياء عنده يُرزقون من الجنة حيث يشاءون.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤].

إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق، شهداء في سبيل الله، قتلى أعزاء أحباء، قتلى كرامًا أزكياء؛ فالذين يخرجون في سبيل الله، والذين يضحون بأرواحهم في معركة الحق هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس، هؤلاء الذين يقتلون في سبيل اللَّه ليسوا أمواتًا؛ إنهم أحياء، فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتًا في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم: أموات بالشفة واللسان، إنهم إحياء بشهادة اللَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ، فهم لا بُدَّ أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررها هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد، وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.. وهؤلاء الذي يقتلون في سبيل اللَّه فاعليتهم في نُصْرَةِ الحق الذي قُتلوا من أجله فاعليةٌ مؤثرةٌ، والفكرةُ التي من أجلها قُتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وَتَأَثُّرُ الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد؛ فهم ما يزالون عنصرًا فعالًا دافعًا مؤثرًا في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى؛ فهم أحياء أولًا بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس، ثم هم أحياء عند ربهم؛ إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن كُنْهَهُ؛ وحسبنا إخبار اللَّه ـ تَعَالَى ـ به: ﴿أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾..

لأن كُنْهَ هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود، ولكنهم أحياء.

أحياء: ومن ثَمَّ لا يُغَسَّلُونَ كما يُغَسَّلُ الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها؛ فالغسل تطهير للجسد الميت، وهم أطهار بما فيهم من حياة، وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر؛ لأنهم بعد أحياء.

أحياء: فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء.

أحياء: يشاركون في حياة الأهل والأحياء والأصدقاء.

أحياء: فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم، ولا يتعاظمها الأمر، ولا يهولنها عِظَمُ الفداء.

ثم هم بعد كونهم أحياءً مكرمون عند الله، مأجورون أكرم الأجر وأوفاه.

في «صحيح مسلم»: «**إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا، وَأَيُّ شَيْءٍ نَبْغِي وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِمْ بِمِثْلِ هَذَا، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يُتْرَكُونَ مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا، قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا فَنُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى نُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى.**

لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ الشَّهَادَةِ!! فَيَقُولُ الرَّبُّ - جَلَّ جَلَالُهُ -: إِنِّي كَتَبْتُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ**»[1].

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧١].

عن مسروق قال: «**سألنا عبدالله عن هذه الآية** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾؛ فقال: أَمَا إِنَّا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي، وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟! فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ**

---

(١) أخرجه مالك والشيخان.

يَتْرُكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»(١).

وعن جابر بن عبدالله قال: «**نظَرَ إليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا؟!»** قال: قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك دينًا وعيالًا. قال: فقال: «**أَلَا أُخْبِرُكَ؟ مَا كَلَّمَ اللَّهُ أحدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّهُ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا؛ قَالَ: سَلْنِي أُعْطِكَ. قَالَ: أَسْأَلُكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا؛ فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. فَقَالَ الرَّبُّ** ﷻ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي الْقَوْلُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ حتى نفد الآية»(٢).

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهَرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ، فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم ـ كتاب «الإمارة» ـ باب: «بيان أن أرواح الشهداء في الجنة» (١٢١، ١٨٨٧)، وأخرجه الترمذي في كتاب «تفسير القرآن» ـ باب: «ومن سورة آل عمران» (٣٠١١)، وابن ماجه ـ كتاب «الجهاد». باب: «فضل الشهادة في سبيل الله» (٢٨٠١).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب «تفسير القرآن»، باب: «ومن سورة آل عمران» (٣٠١٠)، وابن ماجه في «المقدمة»، باب: «ما أنكرت الجهمية» (١٩٠)، وكتاب «الجهاد» ـ باب: «فضل الشهادة في سبيل الله» (٢٨٠٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٠٢/١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٥٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٣/٣، ٢٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٢٢/١٥)، وعزاه لابن مردويه السيوطيُّ في «الدر المنثور» (١٦٨/٢)، والواحديُّ في «أسباب النزول» ص (٨٦)، والبيهقيُّ في «دلائل النبوة» (٢٩٨/٣)، وَصَحَّحَهُ الحاكم، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وَصَحَّحَهُ ابن خزيمة وابن حبان.

(٣) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٦/١) رقم (٢٣٩٠)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣/٤)، وابن جرير (٣٨٧/٧، ٣٨٨)، وابن أبي حاتم (٤٤٩٤/٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٨٢٥/١٠) وفي «الأوسط» (١٢٣/١)، وقال الطبراني: «لا يُروى هذا الحديث عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد، تَفَرَّدَ به محمد بن إسحاق، قلتُ: وهو صدوق مدلِّس، وقد صرح بالتحديث هنا؛ ولذا جَوَّدَ إسناده المصنفُ، وَصَحَّحَهُ من طريقه ابن حبان (٤٦٥٨/١٠)، والحاكم (٧٤/٢) على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في موضعين من «المجمع» (٢٩٧/٥، ٣٠١)؛ قال في الأول: =

قال ابن كثير: «وكأن الشهداء أقسام: منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر؛ فيجتمعون هناك، وَيُغْدَى عليهم برزقهم هناك وَيُرَاحُ، والله أعلم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

والآية نصٌ في النهي عن حسبان أن الذين قتلوا في سبيل الله، وفارقوا هذه الحياة، وبعدوا عن أعين الناس أموات.. ونصٌّ كذلك في إثبات أنهم «**أحياء**»..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثم يلي هذا النهي، وهذا الإثبات وصف ما لهم من خصائص الحياة، فهم ﴿يُرْزَقُونَ﴾.

ومع أننا نحن ـ في هذه الفانية ـ لا نعرف نوع الحياة التي يحياها الشهداء، إلا ما يبلغنا من وصفها في الأحاديث الصحاح، إلا أن هذا النص الصادق من العليم الخبير كفيل وحده بأن يغير مفاهيمنا للموت والحياة، وما بينهما من انفصال والتئام.. وكفيل وحده بأن يعلمنا أن الأمور في حقيقتها ليست كما هي في ظواهرها التي ندركها، وأننا حين ننشئ مفاهيمنا للحقائق المطلقة بالاستناد إلى الظواهر التي ندركها لا ننتهي إلى إدراكٍ حقيقيٍّ لها، وأنه أولى لنا أن ننتظر البيان في شأنها ممن يملك البيان ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ.

فهؤلاء ناس منا، يُقْتَلُونَ، وتفارقهم الحياة التي نعرف ظواهرها، ويفارقون الحياة كما تبدو لنا من ظاهرها، ولكن لأنهم: ﴿قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وتجردوا له من كل الأعراض والأغراض الجزئية الصغيرة، واتصلت أرواحهم بالله؛ فجادوا بأرواحهم في سبيله، لأنهم قتلوا كذلك؛ فإن الله ـ سُبْحَانَهُ ـ يخبرنا في الخبر الصادق: أنهم ليسوا أمواتًا، وينهانا أن نحسبهم كذلك، ويؤكد لنا أنهم أحياء عنده، وأنهم يرزقون؛ فيتلقون رزقه لهم استقبال الأحياء.

ويخبرنا كذلك بما لهم من خصائص الحياة الأخرى:

= «رواه أحمد وإسناده رجاله ثقات، ورواه الطبراني في الكبير والأسط»، وقال في «الثاني»: «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات»، والحديث زاد نسبته السيوطيُّ في «الدر المنثور» (٢/١٧١) إلى عبد ابن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث». وأخرجه أيضًا الضياء وَجَوَّدَ إسنادَهُ ابنُ كثير في «تفسيره» (٣/٢٦٢)، وَحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٤٢)، و«الترغيب» (٢/١٩٦).

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾..

فهم يستقبلون رزق اللّه بالفرح؛ لأنهم يدركون أنه ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ عليهم؛ فهو دليل رضاه، وهم قد قتلوا في سبيل الله، فأي شيء يفرحهم - إِذَنْ - أكثر من رزقه الذي يتمثل فيه رضاه؟

ثم هم مشغولون بمن وراءهم من إخوانهم، وهم مستبشرون لهم؛ لما علموا من رِضَى اللّه عن المؤمنين المجاهدين: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٧١].

إنهم لم ينفصلوا من إخوانهم (الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم)، ولم تنقطع بهم صلاتهم؛ إنهم ﴿أَحۡيَآءٌ﴾ كذلك معهم، مستبشرون بما لهم في الدنيا والآخرة، موضع استبشارهم لهم: ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ .. وقد عرفوا هذا واسْتَيْقَنُوهُ من حياتهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، ومن تلقيهم لما يفيضه عليهم من نعمة وفضل، ومن يقينهم بأن هذا شأن اللّه مع المؤمنين الصادقين، وأنه ﴿لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

فما الذي يبقى من خصائص الحياة غير متحقق للشهداء الذين قُتِلُوا في سبيل الله؟

وما الذي يفصلهم عن إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم؟

وما الذي يجعل هذه النقلة موضع حسرة وفقدان ووحشة في نفس الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وهي أولى أن تكون موضع غبطة ورضى وأُنْس عن هذه الرحلة إلى جوار الله، مع هذا الاتصال بالأحياء والحياة؟!

إنها تعديل كامل لمفهوم الموت - متى كان في سبيل اللّه - وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم، وفي النفوس التي يخلفونها من ورائهم.. وإفساح لمجال الحياة ومشاعرها وصورها؛ بحيث تتجاوز نطاق هذه العاجلة، كما تتجاوز مظاهر الحياة الزائلة، وحيث تستقر في مجال فسيح عريض، لا تعترضه الحواجز التي تقوم في أذهاننا وتصوراتنا عن هذه النقلة من صورة إلى صورة، ومن حياة إلى حياة!!

ووفقًا لهذا المفهوم الجديد الذي أقامته هذه الآية ونظائرها من القرآن الكريم في قلوب المسلمين

سارت خطى المجاهدين الكرام في طلب الشهادة في سبيل الله».

❑ تَمَنِّي الشُّهَدَاءِ - دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَرَّةً أُخْرَى؛ لِمَا عَلِمُوا مِنْ عِظَم أَجْرِ الشُّهَدَاءِ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا الشَّهِيدُ؛ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ**»(١).

❑ وَمِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ أَنَّهَا الْمِيتَةُ الَّتِي تَمَنَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَالَهَا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثم أُقْتَلُ**»(٢).

وَنَالَهَا النبي ﷺ؛ فقد مات من جراء سم اليهودية له بالشاة المسمومة، وكان يعاوده حتى مات من جرائه؛ ولذا نعته الذهبي بأنه ﷺ النبي الشهيد.

❑ وَمِنْ فَضْلِهَا مَشْرُوعِيَّةُ سُؤَالِهَا خِلَافًا لِلْمَوْتِ:

ومن فضل الشهادة أن الشارع الحكيم رَغَّبَ في سؤالها خلافًا لما ورد في النهي عن تمني الموت، وأن من سألها بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه.

عن سهل بن حُنيف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٥)، (٢٨١٧)، ومسلم رقم (١٨٧٧)، والترمذي برقم (١٦٤٣)، وابن حبان برقم (٤٦٦١)، والبيهقي (٩/٤٦٣)، وأحمد (٣/١٠٣، ١٧٣، ٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، والنسائي، وابن ماجه.

(٣) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

❑ وَمِنْ فَضْلِهَا أَنَّهَا تُكَفِّرُ ذُنُوبَ الشَّهِيدِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ:

والله، إن غفران ذنب واحد خير من الدنيا وما فيها، وخير مما طلعت عليه الشمس أو غربت، انظر إلى الصحابي الفقيه الذي مُلِئَ علمًا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حين يقول: «**وددتُ أن الله غفر لي ذنبًا واحدًا ولا يُدْرَى لي نسب**»، «**وددتُ أن الله غفر لي ذنبًا واحدًا وأني عبدالله بن روثة**»؛ فكيف إذا جاءت الشهادة بمغفرة الذنوب كلها؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

فالموت أو القتل في سبيل الله ـ بهذا القيد وبهذا الاعتبار ـ خير من الحياة، وخير مما يجمعه الناس في الحياة من أعراضها الصِّغار: من مال، ومن جاه، ومن سلطان، ومن متاع.. خير بما يعقبه من مغفرة الله ورحمته، وهي في ميزان الحقيقة خير مما يجمعون، وإلى هذه المغفرة وهذه الرحمة يكل الله المؤمنين.. إنَّه لا يكلهم ـ في هذا المقام ـ إلى أمجاد شخصية، ولا إلى اعتبارات بشرية؛ إنما يكلهم إلى ما عند الله، ويعلق قلوبهم برحمة الله، وهي خير مما يجمع الناس على الإطلاق، وخير مما تتعلق به القلوب من أعراض.

وكلهم مرجعون إلى الله، محشورون إليه على كل حال، ماتوا على فراشهم، أو ماتوا وهم يضربون في الأرض، أو قتلوا وهم يجاهدون في الميدان؛ فما لهم مرجع سوى هذا المرجع، وما لهم مصير سوى هذا المصير، والتفاوت ـ إذَنْ ـ إنما يكون في العمل والنية وفي الاتجاه والاهتمام، أما النهاية فواحدة: موت أو قتل في الموعد المحتوم والأجل المقسوم، ورجعة إلى الله وحشر في يوم الجمع والحشر، ومغفرة من الله ورحمة، أو غضب من الله وعذاب.. فأحمق الحمقى من يختار لنفسه المصير البائس وهو ميت على كل حال!!(١).

عن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**أنه قام فيهم، فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجل فقال: يا رسول الله: أرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل الله، تُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نَعَمْ؛ إنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ**

---

(١) الظلال (٤٩٩).

مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»، ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**» قال: أرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل اللَّه أتُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي ذَلِكَ**»[١].

❑ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُوجِبَةٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ:

عن جابر رضي الله عنه قال: «قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحُد: أرأيتَ إن قُتِلْتُ، فأين أنا؟ قال: «**فِي الْجَنَّةِ**». فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قُتِلَ»[٢].

❑ تَظْلِيلُ الْمَلَائِكَةِ لِلشُّهَدَاءِ بِأَجْنِحَتِهَا:

عن جابر بن عبداللَّه ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: «**لما قُتِلَ أبي جعلتُ أكشفُ الثوبَ عن وجهه أبكي، وَيَنْهَوْنِي عنه، والنبي** ﷺ لا ينهاني، فَجَعَلَتْ عمتي فاطمة تبكي؛ فقال النبي ﷺ: «**تَبْكِينَ أَوَ لَا تَبْكِينَ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ!!**»[٣].

❑ دَارُ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ الدُّورِ:

عن سمرة بن جندب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال النبي ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَصَعِدَا بِيَ الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، وَقَالَا: أَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ**»[٤].

❑ عُلُوُّ مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ:

عن أنس رضي الله عنه: «**أن أم الرُّبيع بنت البراء**[٥] **ـ وهي أم حارثة بنت سُرَاقة ـ أتت النبي** ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٥)، والترمذي (١٧١٤)، والنسائي (٣١٥٦، ٣١٥٧، ٣١٥٨)، وأحمد (٥/ ٣٠٣، ٣٠٤)، والبيهقي (٩/ ٣٥)، وأبو عوانة (٥/ ٥١، ٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٦)، ومسلم (١٨٩٩)، والنسائي (٦/ ٣٣)، والبغوي (٣٧٨٩)، والبيهقي (٩/ ٤٣، ٩٩)، وأحمد (٣/ ٢٠٨)، وابن حبان (٤٦٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١)، والنسائي (١٨٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٩١)، ومسلم (٢٢٧٥)، والترمذي (٢٢٩٤).

(٥) كذا وقع في «البخاري» وهو وَهْمٌ نَبَّهَ عليه غير واحد، وإنما هي الرُّبيع بنت النضر.

فقالت: يا رسول الله، ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قُتِلَ يوم بدر؛ أصابه سهم غرب ـ؟ فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء. فقال: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»[١].

وعند الترمذي: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَّاتٌ في جَنَّةٍ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى، وَالفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُهَا، وَأَفْضَلُهَا»[٢].

❑ الشَّهِيدُ الْمُفْتَخِرُ فِي خَيْمَةِ اللَّهِ تَحْتَ عَرْشِهِ لَا يَفْضُلُهُ إِلَّا النَّبِيُّونَ:

عن عتبة بن عَبْدٍ السُّلَمِي رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْقَتْلُ ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَاتَلَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ؛ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ[٣] [الْمُفْتَخِر] فِي خَيْمَةِ اللَّهِ، تَحْتَ عَرْشِهِ، لَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ. وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ[٤] عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ[٥]، مُحِيَتْ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ؛ إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءُ الْخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ؛ فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ. وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[٦] حَتَّى يُقْتَلَ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي النَّارِ؛ السَّيْفُ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٧٤).

(٣) أي: المصفى المهذب، وكذا في «النهاية» قال: «محنت الفضة إذا صفَّيتها وخلَّصتها من النار»، وقال المنذري: هو المشروح صدره؛ ومنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾؛ أي: شرحها ووسَّعها. وفي رواية لأحمد: «المفتخِر».

(٤) قرف على نفسه من الذنوب والخطايا: أي: كسبها؛ قرف الذنب واقترفه: إذا عمله.

(٥) في رواية: «قاتل حتى يقتل؛ فتلك مُمَصْمِصَةٌ محت ذنوبه وخطاياه»، مُمَصْمِصَةٌ: أي: مطهِّرة من دنس الخطايا؛ يقال: مصمص إناءه: إذا جعل فيه الماء وَحَرَّكه؛ ليتنظَّف.

(٦) أي: فيما يبدو للناس، والحقيقة أنه إنما يقاتل نفاقًا.

(٧) حسن: أخرجه أحمد (٤/١٨٥، ١٨٦) واللفظ له، والطبراني (١٧/٣١٠ ـ ٣١١)، والبيهقي في «السنن» (٩/١٦٤)، والدارمي (٢٤١٦)، والطيالسي (١٢٦٧)، وابن حبان (٤٦٦٣ ـ الإحسان)،=

ولفظ ابن حبان:

«**الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ؛ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ فِي خَيْمَةِ اللَّهِ تَحْتَ عَرْشِهِ، لَا يَفْضُلُهُ إِلَّا النَّبِيُّونَ بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ، وَرَجُلٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ؛ فَتِلْكَ مُمَصْمِصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ؛ إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ لِلْخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ؛ فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُقْتَلَ؛ فَذَلِكَ فِي النَّارِ؛ إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ**».

❑ إِيثَارُ اللَّهِ لَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَدُخُولُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً. قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ؛ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ:** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾»[1].

= وابن المبارك في «الجهاد» (٧)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٩١/٥) وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح خلا أبي المثنى الأملوكي وهو ثقة»، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٧٠).

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١٦٨/٢) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (٧٢/٢) وصَحَّحَهُ ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٤٧/١)، والهيثمي (٢٥٩/١٠) وعزاه لأحمد والبزار والطبراني ثم قال: «ورجالهم ثقات، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عشانة، وهو ثقة».

وفي لفظ آخر عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَوَّلُ ثُلَّةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، إِذَا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، وَإِنْ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَى السُّلْطَانِ لَمْ تُقْضَ لَهُ حَتَّى يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا، فَيَقُولُ: أَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي، وَقُتِلُوا، وَأُوذُوا، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي؟ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَسْجُدُونَ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَنُقَدِّسُ لَكَ، مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي. فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ:** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾»[1].

❑ الشُّهَدَاءُ مِنْ أَوَّلِ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ:

لله دَرُّهم، وما أحسن ما لهم، وما أجملها من كرامة أعدها الله لهم:

عن عبدالله بن عمرو ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي؟**» قلت: الله ورسوله أعلم؟ فقال: «**الْمُهَاجِرُونَ؛ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَيَسْتَفْتِحُونَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ: أَوَ قَدْ حُوسِبْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: بِأَيِّ شَيْءٍ نُحَاسَبُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَسْيَافُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى مُتْنَا عَلَى ذَلِكَ؟! قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيَقِيلُونَ فِيهِ أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا النَّاسُ**»[2].

---

(١) صحيح: رواه الأصفهاني في «الترغيب والترهيب»، وأخرج نحوه أحمد (٢/١٦٨)، وابن حبان (٢٥٦٥)، والبزار (٤/٢٥٦، ٢٥٧ ـ كشف الأستار)، وأخرجه الحاكم (٢/٧١)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٤/٢٧، ٢٨)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وقال المنذري في «الترغيب»: «رواه الأصبهاني بإسناد حسن، ومتنه غريب»، قال الشيخ الألباني بعد رده على المنذري: «فالحديث صحيح عندي لا غبار عليه»؛ انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٥٥٩)، و«صحيح الترغيب» (١٣٧٣).

(٢) صحيح على شرط مسلم: أخرجه الحاكم (٢/٧٠) وقال: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٥٣): «إنما هو على شرط مسلم فقط؛ فإن عياشًا هذا ـ عياش بن عباس ـ إنما رَوَى له البخاري في جزء القراءة».

❏ ضَحِكُ اللَّهِ إِلَى الشُّهَدَاءِ، وَمَنْ ضَحِكَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الْجِهَادِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَلْتَقُونَ**[١] **فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فَلَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ مِنَ الْجَنَّةِ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى قَوْمٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ**»[٢].

وعن نعيم بن همّار رضي الله عنه: أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أي الشهداء أفضل؟ قال: «**الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يَقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَنْطَلِقُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ**»[٣].

❏ وَيَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّهِيدِ وَحُسْنِ فِعَالِهِ:

وعن عبدالله بن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْهَزَمَ ـ يَعْنِي أَصْحَابَهُ ـ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ**»[٤].

---

(١) في الأصل «يُلقون»، والتصويب من «المعجم الأوسط» (٤١٤٣/٨٠/٥). قاله الألباني.

(٢) حسن صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» (١/٢٤٩/أ)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٩٢/٥): «رواه الطبراني في «الأوسط» من طريق عنبسة بن سعيد، وثقه الدارقطني، كما نقل الذهبي، ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وَحَسَّنَ إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٧٢): حسن صحيح.
ويتلبطون معناها هنا: يضطجعون.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٢٨٧/٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٩٥/٢/٤)، والبيهقي (٢٢١/٢)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» برقم (٢٢٨)، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٧١).

(٤) حسن لغيره: رواه أبو داود، وأحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٨٤): حسن لغيره.

❑ الشُّهَدَاءُ أُمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ:

ذُكِر عند أبي عُتْبَة الخولاني الشهداء؛ فَذَكَرُوا المبطون، والمطعون، والنفساء؛ فغضب أبو عتبة وقال: حدثنا أصحاب نبينا عن نبينا ﷺ أنه قال: «**إِنَّ شُهَدَاءَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أُمَنَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ**[1] **فِي خَلْقِهِ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا**»[2].

قال المناوي في «**فيض القدير**» (١٦٥/٤): «**شهداء الله في الأرض هم أمناء الله على خلقه سواء (قُتِلُوا) في الجهاد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله، (أو ماتوا) على فرشهم من غير قتال؛ فإنهم شهداء؛ أي: في حكم الآخرة**» اهـ.

❑ الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ مِنْ أَلَمِ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَسِّ الْقَرْصَةِ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ**»[3].

ولفظ النسائي: «**الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ مَسَّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمُ الْقَرْصَةَ يُقْرَصُهَا**».

---

(١) وفي «صحيح الجامع» (٣٧١٦): «شهداء الله في الأرض أمناء الله على خلقه قُتِلُوا أو ماتوا».

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢٠٠/٤)، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٢٦/٤) حديث (١٩٠٢): «وهذا إسناد رجاله ثقات معروفون غير أبي عُتْبَة الخولاني؛ قال ابن أبي حاتم: «ليست له صحبة، وهو من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام»، وَرَجَّحَ الحافظ في «الإصابة» قول أحمد بن محمد بن عيسى: «أدرك الجاهلية، وعاش إلى خلافة عبدالله، وكان ممن أسلم على يد معاذ والنبيُّ ﷺ»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٧١٦).

(٣) صحيح: رواه النسائي (٦٢/٢)، والترمذي (١٩/٣) وابن ماجه (١٨٥)، والدارمي (٢٠٥/٢)، وابن بشران في «الأمالي»، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦٤/٨، ٢٦٥)، والبيهقي (١٦٤/٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١/١٤١/٣)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح». وقال أبو نعيم: «ثابت مشهور من حديث القعقاع عن أبي صالح»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٦٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٧٤٦).

❏ جِرَاحُ الشُّهَدَاءِ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ**(١)»(٢).

قال الحافظ ابن حجر في «**الفتح**» (٦/٢٥): «**ولأصحاب السنن، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث معاذ بن جبل**: «**مَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ لَوْنُهَا لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا الْمِسْكُ**»، وعُرِفَ بهذه الزيادة أن الصفة المذكورة لا تختص بالشهيد؛ بل هي حاصلة لكل من جُرِحَ، ويحتمل أن يكون المراد بهذا الجرح هو ما يموت صاحبه بسببه قبل اندماله لا ما يندمل في الدنيا؛ فإن أثر الجراحة وسيلان الدم يزول، ولا ينفي ذلك أن يكون له فضل في الجملة، لكن الظاهر أن الذي «**يجيء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا**» من فارق الدنيا وجرحه كذلك، ويؤيده ما وقع عند ابن حبان في حديث معاذ المذكور «**عليه طابع الشهداء**».

وقوله: «**كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ**» لا ينافي قوله: (كَهَيْئَتِهَا)؛ لأن المراد لا ينقص شيئًا بطول العهد، قال العلماء: الحكمة في بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذل نفسه في طاعة الله، واستدل بهذا الحديث على أن الشهيد يدفن بدمائه وثيابه» اهـ.

بل ورائحة المسك تفوح - والله - من دمائهم في دار الدنيا، سلوا الناس الذين حضروا موكب ياسين أو الرنتيسي أو صلاح شحادة أو الدكتور المقادمة أو عماد عقل أو مسلمة الأعرج وسلوهم عن المسك الذي كان يفوح من دمائهم.

---

(١) وفي رواية همام «والعَرْف»؛ وهو: الرائحة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٣، ٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦)، وأحمد في «المسند» (٢/٢٤٢)، والترمذي (١٦٥٦)، والنسائي (٣١٤٧) (٦/٢٨، ٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/١٦٤، ١٦٥)، ومالك في «الموطأ» (٢/٤٦١)، وابن حبان (٤٦٥٢)، والدارمي (٢٤١١)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٧٥)، والحميدي (١٠٩٢)، وأبو عوانة (٥/٢٣، ٢٤)، وسعيد بن منصور (٢٥٧١، ٢٥٧٢).

اللهم اكتب لنا أفضل الشهادة في سبيلك.

❑ الشُّهَدَاءُ لَا يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا يُصْعَقُونَ عِنْدَ نُشُورِهِمْ:

عن راشد بن سعد، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: «**أن رجلًا قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يُفْتَنُونَ في قبورهم إلا الشهيد؟! قال: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**أنه سأل جبريل عن هذه الآية:** ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، مَنِ الَّذِينَ لَمْ يَشَأ اللَّهُ أَنْ يَصْعَقَهُمْ؟ قال: هم شهداء الله عز وجل»(٢).

❑ وَيُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ:

عن نِمْرَان بن عُتْبَة الذماري قال: دخلنا على أم الدرداء، ونحن أيتام، فقالت: أبشروا؛ فإني سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**»(٣).

❑ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سَبْعُ خِصَالٍ كُلٌّ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا:

عن المقدام بن مَعْدَي كَرِب الكِنْدِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتَّ**(٤) **خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ**(٥) **مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ**

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٤/٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٢٥٣) وَصَحَّحَهُ، ووافقه الذهبي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/١٤٧) (١٣٨٧).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٥٢٢)، وابن حبان (٤٦٦٠)، والبيهقي في «السنن» (٩/١٦٤)، والآجري ص (٣٥٠)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٦٩): صحيح لغيره. وَصَحَّحَهُ في «صحيح الجامع» برقم (٨٠٩٣).

(٤) هو في هذا الحديث يجعل الإجارة والأمن من الفزع واحدة.

(٥) «في أول دُفعة»: بضم الدَّال؛ كما قال المنذري، وكما هو مضبوط بجامع الترمذي، وكذلك قال أهل اللغة: الدُّفعة: ما دُفع من إناء أو سقاء فانصب بمرة، وكذلك الدفعة من المطر.
أما الدَّفْعَة ـ بفتح الدال ـ: فهي المرة الواحدة من الدفع؛ وهو: الإزالة بقوة، فلا يصلح ههنا.

تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»(١).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سَبْعَ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ [اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً] مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»(٢).

وعن قيس الجذامي - رجل كانت له صحبة - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُعْطَى لِلشَّهِيدِ سِتُّ خِصَالٍ: عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُكَفَّرُ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُؤَمَّنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ»(٣).

وفي «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني، الحديث رقم (٣٢١٣): عن المقدام بن معدي كرب، عن رسول اللَّه ﷺ:

«لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ خِصَالٌ:

١- يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ.

٢- وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.

٣- وَيُحَلَّى حِلْيَةَ الْإِيمَانِ.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٠٤)، وعبدالرزاق (٩٥٥٩)، وأحمد (٤/١٣١)، وقال الترمذي: حديث صحيح غريب وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٣١) والطبراني، وقال المنذري: «رواه أحمد والطبراني، وإسناد أحمد حسن»، وَصَحَّحَهُ الألباني، وهذه رواية الطبراني، ولفظ أحمد: «ست»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٤)، وَصَحَّحَهُ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٢٩٣).

(٣) إسناده حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٢٠٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/١/١٤٣)، وابن سعد (٧/٤٢٦)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» برقم (١٤٦)، وَحَسَّنَ إسناده الألباني في «الصحيحة» في «المجلد السابع والقسم الأول» ص (٦٤٩، ٦٥٠) في الحديث رقم (٣٢١٣).

٤- وَيُزَوَّجُ [اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً] مِنَ الْحُورِ الْعِينِ.

٥- وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

٦- وَيَأْمَنُ الْفَزَعَ الأَكْبَرَ.

٧- وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

٨- وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[١].

❏ مَا تَفْعَلُ الْحُورُ الْحِسَانُ بِشَهِيدِ الْحَرْبِ وَالطِّعَانِ:

عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة[٢] رضي الله عنه وكان يزيد بن شجرة ممن يصدق قوله فعله -: خطبنا فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، مَا أَحْسَنَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، تُرَى مِنْ بَيْنِ أَخْضَرَ وَأَحْمَرَ وَأَصْفَرَ، وَفِي الرِّحَالِ مَا فِيهَا**»، وكان يقول: «**إِذَا صَفَّ النَّاسُ لِلصَّلَاةِ، وَصَفُّوا لِلْقِتَالِ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَزُيِّنَ الْحُورُ الْعِينُ وَاطَّلَعْنَ، فَإِذَا أَقْبَلَ الرَّجُلُ قُلْنَ: اللَّهُمَّ انْصُرْهُ. وَإِذَا أَدْبَرَ احْتَجَبْنَ مِنْهُ وَقُلْنَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ. فَأَنْهِكُوا[٣] وُجُوهَ**

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (١٣١/٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٢٥٤/٢٥/٤)، وابن عساكر في «التاريخ» (٥١٧/٥)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». قال الألباني: «قلت: وإسناده شامي صحيح، وما بين المعقوفتين للترمذي، وليست عنده الفقرة (٣)، وهي عند ابن ماجه وأحمد، لكن ليس عند ابن ماجه الفقرة (٧)؛ فمجموع الفقرات في «السنن» «سبع»، وفي «المسند» «ثمان»، ومع ذلك فلفظ الحديث عندهم «ست خصال»، وهذا من نوادر الاضطراب في المتن مع صحة السند، واختلف موقف الحفاظ المُخَرِّجِينَ لهذا الحديث: فمنهم من ذكره كما ورد «ست»، كالمنذري وابن كثير، وخالف السيوطي وتبعه النبهاني؛ فجعل مكان لفظ «ست» «سبع»، ولكن بقي الخلاف عندهم بالنسبة لرواية أحمد؛ فإن المعدود عنده «ثمان»؛ كما في سياق رواية البيهقي وابن عساكر دون لفظ العدد؛ فسلمت من الاضطراب المذكور»، ثم ذكر الألباني رواية أحمد للحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وَمَالَ الشيخ الألباني إلى ترجيح حديث المقدام؛ لأنها رواية الأكثر عن ابن عياش. انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٢١٣).

(٢) يزيد بن شَجَرة: قيل له صحبة، ولا يثبت، والله أعلم.

(٣) أَنْهِكُوا وجوه القوم: أي: أجهدوهم. قال الألباني: والصواب فتح الهاء، و«النَّهك»: المبالغة في كل شيء.

الْقَوْمِ فِدًى لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي، وَلَا تُخْزُوا الْحُورَ الْعِينَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ قَطْرَةٍ تَنْضَحُ مِنْ دَمِهِ يُكَفِّرُ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلَهُ، وَتَنْزِلُ إِلَيْهِ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يَمْسَحَانِ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولَانِ: قَدْ أَنَى[1] لَكَ. وَيَقُولُ: قَدْ أَنَى لَكُمَا. ثُمَّ يُكْسَى مِئَةَ حُلَّةٍ، لَيْسَ مِنْ نَسِيجِ بَنِي آدَمَ، وَلَكِنْ مِنْ نَبْتِ الْجَنَّةِ، لَوْ وُضِعْنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ لَوَسِعْنَ»؛ وكان يقول: «**نُبِّئْتُ أَنَّ السُّيُوفَ مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ**»[2].

[رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة، والبيهقي في «**كتاب البعث**» إلا أنه قال: «**فَإِنَّ أَوَّلَ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِ أَحَدِكُمْ يَحُطُّ اللَّهُ مِنْهُ بِهَا خَطَايَاهُ؛ كَمَا يَحُطُّ الْغُصْنُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَتَبْتَدِرُهُ اثْنَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيَمْسَحَانِ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولَانِ: قَدْ أَنَى لك. وَيَقُولُ: قَدْ أَنَى لَكُمَا. فَيُكْسَى مِئَةَ حُلَّةٍ، لَوْ وُضِعَتْ بَيْنَ إِصْبَعَيَّ هَاتَيْنِ لَوَسِعَتَاهُمَا، لَيْسَتْ مِنْ نَسْجِ بَنِي آدَمَ، وَلَكِنَّهَا مِنْ نَبَاتِ الْجَنَّةِ، مَكْتُوبُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِأَسْمَائِكُمْ وَسِمَاتِكُمْ**»[3] [الحديث].

---

(١) بالألف المقصورة، وهو الصواب، وقد جاء بلفظ «آن لك» و«آن لكما» في رواية عند ابن الأثير في «أُسْد الغابة»، وهي رواية البزار.

(٢) قد جاء من طُرُقٍ مرفوعة أحدها صحيح.

(٣) صحيح: رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة، والبيهقي في كتاب «البعث». قاله المنذري، ووافقه الألباني، وَصَحَّحَ الحديث في «صحيح الترغيب والترهيب» و«السلسلة الصحيحة» (٦/٢) ص(٣٧٤) حديث رقم (٢٦٧٢)؛ فقال: «رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة؛ كما قال المنذري (١٩٥/٢). وقال الهيثمي (٢٩٤/٥): ورجالها رجال الصحيح. قلت: أخرجه في «الكبير» (٢٤٦/٢٢، ٢٤٧) من طريقين: أحدهما عند عبدالرزاق، وهذا في «المصنف» (٢٥٦/٥، ٢٥٧)، وهذا إسناد صحيح موقوف، لكن له طريق أخرى مرفوع» اهـ. قال المنذري: «ورواه البزار والطبراني عن يزيد بن شجرة مرفوعًا ومختصرًا، وعن جدار أيضًا مرفوعًا، والصحيح الموقوف، مع أنه قد يُقَالُ: أنَّ مثل هذا لا يُقَالُ من قِبَلِ الرأي؛ فسبيل الموقوف فيه سبيل المرفوع، والله أعلم».

هِدَايَةُ اللَّهِ لِلشُّهَدَاءِ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [محمد: ٤، ٥].

قال ابن جرير: «**سيوفِّقهم اللهُ ـ تَعَالَى ذِكْرُهُ ـ للعمل بما يرضى**».

قال ابن كثير: ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾؛ أي: إلى الجنة؛ كقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾[1].

وقال ابن القيم: «فيحتمل أن لا يكون من هذا[2]، وتكون الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة؛ فإنه رَتَّبَ هذا الجزاء على قتلهم، ويحتمل أن يكون منه، ويكون قوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ إخبارًا منه ـ سبحانه ـ عما يفعله بهؤلاء الذين قُتِلُوا في سبيله قبل أن يُقْتَلُوا، وأتى به بصيغة المستقبل إعلامًا منه بأنه يجدد له كل وقت نوعًا من أنواع الهداية وإصلاح البال شيئًا بعد شيء.

فإن قلتَ: فكيف يكون ذلك المستقبل خبرًا عن الذين قُتِلُوا؟!

قلتُ: الخبر قوله: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾؛ أي: أنه لا يبطلها عليهم ولا يترهم إياها، هذا بعد أن قُتِلُوا، ثم أخبر ـ سُبْحَانَهُ ـ خبرًا مستأنفًا عنهم أنه سيهديهم ويصلح بالهم؛ لما علم أنهم سيقتلون في سبيله، وأنهم بذلوا أنفسهم له، فلهم جزآن: جزاء في الدنيا بالهداية على الجهاد، وجزاء في الآخرة بدخول الجنة، فيرد السامع كل جملة إلى وقتها؛ لظهور المعنى وعدم التباسه، وهو في القرآن كثير، واللَّه أعلم»[3].

وقال عن هدايتهم في الآخرة: «فهذه هداية بعد قتلهم؛ فقيل: المعنى: سيهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح حالهم في الآخرة بإرضاء خصومهم وقبول أعمالهم.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٦٤).

(٢) أي: من باب: أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الحسنة الأولى.

(٣) شفاء العليل لابن القيم (١٦١).

وقال ابن عباس: سيهديهم إلى أرشد الأمور، ويعصمهم أيام حياتهم في الدنيا.

واستشكل هذا القول؛ لأنه أخبر عن المقتولين في سبيله بأنهم سيهديهم، واختاره الزجاج، وقال: يصلح بالهم في المعاش وأحكام الدنيا.

قال: وأراد به: يجمع لهم خير الدنيا والآخرة، وعلى هذا القول فلا بد من حمل قوله: ﴿قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على معنًى يصح معه إثبات الهداية وصلاح البال»[1].

وقال أبو تراب النخشبي: «**إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت عمله**».

فَالشَّهَادَةُ سَبْقُ اخْتِيَارٍ مِنَ اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ، وَالشُّهَدَاءُ سَبَقَتْ لَهُمُ الْحُسْنَى مِنْ رَبِّهِمْ:

هم مُرادُ اللَّه قبل أن يُوجدوا.. منارات في سماء الهدى.. هداهم إلى طريق الجهاد وَمَنَّ عليهم بالشهادة.

- ﴿وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾:

قال ابن كثير: «**أي أمرهم وحالهم**».

وقال ابن جرير الطبري: «**يصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة**».

وقال ابن عباس: «**سيهديهم إلى أرشد الأمور ويعصمهم أيام حياتهم الدنيا**».

وقال الزجاج: «**يصلح بالهم في المعاش وأحكام الدنيا**».

«يتعهدهم بإصلاح البال وتصفية الروح من بقية أوشاب الأرض، أو يزيدها صفاء؛ لتتناسق مع صفاء الملإ الأعلى الذي صعدت إليه، وإشراقه وسناه؛ فهي حياة مستمرة في طريقها لم تنقطع إلا فيما يرى أهل الأرض المحجوبون، وهي حياة يتعهدها اللَّه ربها في الملإ الأعلى، ويزيدها هدى، ويزيدها صفاء، ويزيدها إشراقًا، وهي حياة نامية في ظلال الله.

حفظ اللَّه عليهم الإيمان، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وأبقى لهم حسن الأحدوثة بعد مماتهم.. وظهرت عناية اللَّه وإكرامه لهم ولذويهم في الدنيا وبعد رحيلهم.. لقد نَمَّ ترابُ قبورهم عن إكرام اللَّه لهم، فَشُمَّ من قبر سعد بن معاذ رضي الله عنه المسك، وَشُمَ من قبر أبي قريش

---

(١) شفاء العليل ص (٨٤، ٨٥).

العابد الطيب.

بل وانظر إلى حفظ النبي والصالحين لذويهم.. يضعون أكاليل الفخار فوق رءوسهم بما تتقطع دونه الأعناق علوَّ مكانة بين المسلمين.

يَا حَبِيبُ، مَا يُبْكِيكَ.. أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَنَا أبوك، وعائشة أمك؟

عن بشر بن عقربة قال: استشهد أبي مع النبي في بعض غزواته، فَمَرَّ بي النبي ﷺ وأنا أبكي، فقال لي: «**اسْكُتْ، أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أنا أبوك وعائشة أمك؟!**»[1].

وعند ابن عساكر: «**يَا حَبِيبُ، مَا يُبْكِيكَ؟ أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أنا أبوك، وعائشة أمك؟!**».

أي شرف وفخار أعظم من هذا وأعلى وأغلى يقوله النبي ﷺ لابن شهيد؟!.

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾.

قال -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾ [الحديد: ١٩].

قال ابن عباس: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ هذه مفصولة ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾.

وقال مسروق: هي للشهداء خاصة.

ثم قال ابن جرير بعد عرضه للأقوال: «**والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: الكلام والخبر عن** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مُتَنَاهٍ عند قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾، وأن قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ خبر مبتدإٍ عن ﴿ٱلشُّهَدَآءِ﴾، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وأن الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسْمَ شهيدٍ، لا بمعنى غيره إلا أن يُراد به: شهيدًا على ما آمن به وَصَدَّقَهُ، فيكون ذلك وجهًا، وإن كان فيه بعض البُعْدِ؛ لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه إذا أُطْلِقَ بغير وصل.

فتأويل قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ إذَنْ: والشهداء الذين قتلوا في سبيل

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «التاريخ» (١/٢/٧٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/٣٧٧)، وَصَحَّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٢٤٩).

الله أو هلكوا في سبيله عند ربهم لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم». اهـ[١].

وأي ثواب أعظم من ثوابهم الذي مر بك؟!

وأي نور أعظم من نورهم؟!

وهم أول ثلّة يدخلون الجنة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالثَّانِيَةُ عَلَى لَوْنِ أَحْسَنَ مِنْ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ**»[٢] الحديث.

وقوله ﷺ: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى أَثَرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً...**»[٣].

وهم سكان الغرف العلى من الجنة من أهل عليين...

إذا خرج الرجل منهم يسير في ملكه فما من خيمة في الجنة إلّا ودخلها من نور وجهه وطيب ريحه حتى يخرج أهل الجنة فيقولون: رجل من أهل عليين خرج يسير في ملكه...

نور الرجل منهم يضيء كل قصور وخيام الجنة التي عرضها السماوات والأرض، فاختر لنفسك!!.

أَنْتَ الْقَتِيلُ بِكُلِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ ... فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مَنْ تَصْطَفِي

* * *

---

(١) تفسير الطبري (١٣٤/١١).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٦٤).

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ، فقالوا: أن ابعث معنا رجالًا يعلموننا القرآن والسنَّة. فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار - يُقَالُ لهم: القرَّاء -، فيهم خالي حرام، يقرأون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون؛ فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفَّة وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ، فعرضوا لهم؛ فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان.

فقالوا: اللهم، بَلِّغْ عنا نبينا أنا قد لقيناك، فرضينا عنك، ورضيت عنا!!

قال: وأتى رجل حرامًا خالَ أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه؛ فقال حرام: فزت ورب الكعبة.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا!!**»[1].

خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا نَالُوا مِنْهَا وَلَا نَالَتْ مِنْهُمْ؛ فَتَمَّ أَجْرُهُمْ، وَنَالُوا الرِّضْوَانَ الْأَكْبَرَ:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ فَتَغْنَمُ؛ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ؛ إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ، فَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ**».

وبلفظ آخر: «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ إِلَّا [كَانُوا قَدْ] تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ أَوْ تُصَابُ، إِلَّا تَمَّ أَجْرُهُمْ**»..

انظر - بربك - إلى قول الصادق ﷺ: «**تخفق**» هذا عند أهل الدنيا، وعند الحق «**تم أجرهم**».. ورضوا عن ربهم ورضي عنهم ربهم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠١، ٢٨١٤، ٣٠٦٤، ٤٠٩٠، ٤٠٩١، ٤٠٩٥)، ومسلم برقم (٦٧٧) واللفظ له - في كتاب «الجهاد» - باب: «ثبوت الجنة للشهيد»، والبغوي (٣٧٩٠)، وابن حبان (٤٦٥١).

وَأَخِيرًا إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ:

عن شداد بن الهاد ﷺ: «**أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي** ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزاة، غنم النبي ﷺ [شيئًا] فقسَّم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: «**قَسَمْتُ لَكَ**». قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرْمَى إلى ههنا ـ وأشار إلى حَلْقِهِ ـ بسهم فأموت؛ فأدخل الجنة. فقال: «**إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ**». فلبثوا قليلًا، ثم نهضوا في قتال العدو؛ فَأُتِيَ به إلى النبي ﷺ يُحْمَلُ قد أصابه سهم حيث أشار؛ فقال النبي ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟!**». قالوا: نعم. قال: «**صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ**». ثم كَفَّنَهُ النبي ﷺ في جبَّته التي عليه، ثم قَدَّمَهُ فصلى عليه، وكان مما ظهر من صلاته: «**اللَّهُمَّ، هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**»(١).

الْبَيَانُ تَقْتَفِي خُطَى الشَّيْخِ يَاسِين(٢):

يوم ١/٢/١٤٢٥هـ الموافق ٢٢/٣/٢٠٠٤م، وهو يوم اغتيال الشيخ أحمد ياسين ـ رحمه الله ـ سيكون يومًا مفصليًا في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، وسيكتب التاريخ أن هذا اليوم شكَّل نقطة تحوُّل في المواجهة مع هذا العدو.

مجلة «**البيان**» تقدم هذه التغطية الخاصة... نتتبع الدقائق واللحظات التي سبقت اغتياله مع أقرب الناس إليه.

عبدالغني ياسين: هكذا اغتالوا أبي.

عبدالغني ابن الشيخ ياسين، بدا جالسًا على سريره في مستشفى الشفاء بغزة هزيلًا، غير قادر على الكلام، يتحدث وكأن في فمه ماءً، وبجواره جلس بعض رفاقه محاولين تخفيف آلام

---

(١) صحيح: رواه النسائي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٦).

(٢) انظر مقال «البيان تقتفي خطى الشيخ ياسين في فلسطين» لنائل نخلة ، مجلة البيان ـ العدد (١٩٩) ص (٢٦، ٢٧).

جراحه، وآلام فقدانه لوالده الشيخ.

عبدالغني يشبه في ملامحه إلى حد بعيد ملامح أبيه ـ رحمه اللَّه ـ، وهو ما يجعل مهمة التعرف عليه ليست صعبة.

ما الذي حدث ساعة القصف؟

صليت الفجر مع والدي يوم الاثنين أنا وشقيقي عبدالحميد، ثم سبقنا والدي للبيت، وكذلك شقيقي عبدالحميد الذي يعمل سائقًا للباص الذي يتنقل فيه الشيخ، وما هي غير ثوانٍ حتى سمعت صوت انفجار فخرجت مسرعًا من البيت.

هل بيتكم قريب من مكان الجريمة؟

نحن نقطن في حي الصبرا بغزة، وبيتنا لا يعد إلا أمتارًا عن مسجد المجمَّع الإسلامي الذي صَلى فيه أبي الشيخ صلاته الأخيرة.

هل لك أن تشرح لي ما حدث؟

ليلة الجريمة كانت الطائرات الزنانة (الاستطلاع) تحوم بكثرة في سماء غزة، وكان الكل يتوقع أن ترتكب قوات الاحتلال جريمة ما؛ حيث إنه ما إن تحوم الطائرات حتى نعلم أن هناك جريمة ستحدث، وحينما سمعت صوت الانفجار الأول الذي كان قويًا جدًّا توقعت أن هذه عملية اغتيال لأبي الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ، فخرجت مسرعًا إليه.

وفجأة أطلقت الطائرة صاروخًا ثانيًا، أُصبت جراءه ولم أدرِ بعدها ما الذي حدث.

من الذي أطلق الصواريخ: هل هي طائرات مروحية من نوع أباتشي كما قيل؟

لا لا؛ لم تكن هناك طائرات أباتشي في الجو، إنها الطائرات الزنانة (استطلاع بدون طيار) وكما سمعنا فإن إسرائيل طورت هذه الطائرات وجعلتها ـ بالإضافة إلى عمليات الرصد والاستطلاع ـ تقوم بعمليات إطلاق صواريخ؛ وذلك لأن المجاهدين حينما يسمعون صوت طائرات الأباتشي يتخذون احتياطات أمنية على الفور، لكن طائرات الاستطلاع هذه لا تصدر أصواتًا.

لماذا أطلقت الطائرات الصاروخين الآخرين؟

كما تعلم إسرائيل لم تُفْلِح في المرة السابقة في اغتيال الشيخ حينما أطلقت صاروخًا على البيت

الذي كان يتواجد فيه.. فأرادت هذه المرة التأكد من قتله، ومن أجل إيقاع أكبر عدد ممكن من القتلى.

هل شاهدت الشيخ وهو على الأرض شهيدًا؟

لم أرَ سوى جثث ملقاة على الأرض، وكانت الدنيا لا تزال فجرًا، ولم تشرق الشمس بعدُ، فلم أتبين شخصية أبي: إنما شاهدت جثثًا ملقاة على الأرض.

ما هو نوع هذا الصاروخ؟

إنها صواريخ صغيرة جدًّا، ومليئة بالمسامير، عرفت هذا من خلال إصابتي، وكذلك أخبرني الإخوة أن المكان الذي وقعت فيه جريمة الاغتيال مليء بالثقوب في الجدران والأرض.

كيف كان شعورك حينما أخبروك بأن أباك استشهد؟

كنت أتوقع هذا اليوم منذ زمن؛ فأنا كنت أشعر أن الشهادة هي نهاية أبي، وهو كان يتمناها بصدق، ويدعو اللَّه ﷻ في صلاته وتهجده أن يرزقه إياها، والحمد لله نال أبي ما تمنى، ولحق بإخوانه الشهداء.

كيف أصيب أخوك عبدالحميد؟

أخي عبدالحميد أصيب - أيضًا - من الصاروخ الثاني أو الثالث، وكان لحظتها سائقًا للباص الذي يستخدمه أبي في التنقل، وكان متوجهًا إلى البيت سابقًا أبي الذي يحب أن يعود إلى البيت على كرسيه، وحينما حدث الانفجار ترك الباص وتوجه إلى المكان، وعندها سقطت بقية الصواريخ فأصيب أخي.

كيف هي حالته الآن؟

الحمد لله اليوم زالت عنه حالة الخطر، ووضعه الصحي مستقر، كما أخبروني.

والدك كان مهدَّدًا بالتصفية؛ فلماذا كان يصلي في المسجد ويعيش في العلن؟

كان - رحمه اللَّه - مؤمنًا أن لكل أجل كتابًا، كما أنه كان لا يخشى الموت؛ بل يطلب الشهادة. كان أحيانًا يتخذ بعض الاحتياطات الأمنية، ويخلي البيت، ويومها كان معتكفًا في المسجد.

هل بقية الشهداء هم من المصلِّين؟

هؤلاء كانوا معتادين على توصيل الشيخ للبيت كل يوم.

هل استشهد الثمانية في نفس المكان؟

نعم؛ وفي نفس اللحظة.

حسب معلوماتك كيف أصيب الشيخ واستشهد؟

سمعت أنهم أطلقوا أول صاروخ على مرافقه كي يوقفوه، فجاء الصاروخ في مؤخرة رأس الشيخ، وسمعت أنه أصيب في بطنه مباشرة، لكن لا أدري بالضبط ما الذي حدث، هم أطلقوا الصواريخ على رصيف يبتعد أمتارًا قليلة عن مسجد المجمع.

هل كان الشيخ يشعر أن أجله قد اقترب؟

نعم؛ كان يشير إلى أنه في أيامه الأخيرة، وسمعت أنه قال لبعض أفراد أسرتنا قبل استشهاده بيوم واحد أنه يشعر أنه سيُستشهد، وأنه قال لهم: أنا أطلبها، ولا أريد الدنيا.

هل كنتم تبيتون في البيت في الفترة الأخيرة؟

ليس دائمًا. كان أخواتي يبتن خارج البيت، لكن أمي كانت تبيت في البيت وتسلم أمرها إلى الله، وكنا نتخوف من قصف بيتنا. كان أبي رغم أنه مطارد إلا أنه يحاول القيام بالكثير من الأعمال.

كيف كان يومه الأخير؟

كان معتكفًا في المسجد، وكان صائمًا؛ حيث اعتاد الصيام يومي الإثنين والخميس». اهـ.

في وسط الشارع بين منزل الشيخ ياسين ومسجد المجمع الإسلامي على بعد مئات الأمتار، بدت الدماء في كل مكان، وغطت الأشلاء جدران منزل مكون من طابقين في شرق الشارع. وقام عدد من رجال الإسعاف والمواطنين بجمع الأشلاء من الشارع وعلى أسطح بعض المنازل المجاورة.

وشوهدت بقايا المقعد المتحرك لياسين وقد كسته الدماء خارج المسجد، وإطاراته الصغيرة متفحمة. كما شوهدت سيارة جيب خضراء كانت متوقفة على باب منزل وقد لحقت بها أضرار، بينما التصقت على جنبات الجيب بعض الأشلاء الصغيرة والدماء.

واستشهد في الغارة نفسها تسعة فلسطينيين، وجرح ١٥ آخرون بينهم اثنان من أبنائه.

قال فلسطيني لم يفق بعد من هول الصدمة وهو يقف في حي صبرا: «**أطلقوا الصاروخ الأول**

على الشيخ، ثم سقط صاروخ ثان فتناثرت الجثث ودُمِّر مقعد الشيخ» كما قتل صاروخ ثالث اثنين من الحراس وخمسة مصلين.

وروى شاهد يعيش قرب المسجد ما حدث بعد الانفجار الأول، وقال: «**نظرت لأعرف أين الشيخ ياسين بعد الصاروخ الأول.. كان راقدًا على الأرض وكرسيه مدمر.**

الناس هناك اندفعوا يمينًا ويسارًا. ثم سقط بعد ذلك صاروخان آخران».

وقال شاهد عيان آخر: «**عندما أُطلق الصاروخ الأول باتجاه الشيخ رأيته مع اثنين من مرافقيه، وعندما أُطلق الصاروخ الثاني رأيت الشيخ يتحول إلى أشلاء تتطاير في الهواء**». وتابع «**رأيت ثلاث طائرات تحلق في الجو بعد الصواريخ الثلاثة، وعلى الفور أسرعت مع عدد من الناس المصلين لإنقاذ الشيخ والجرحى لكنه كان قد تحوَّل إلى أشلاء، رأيت وجهه وقد أصابته قذيفة في رأسه وتدلى دماغه على الأرض.. رحت أبكي وأغمى عليَّ**».

حاولت إسرائيل أكثر من مرة اغتيال الشيخ أحمد ياسين، آخرها في ٦ سبتمبر ٢٠٠٣م حين استهدفت مروحيات إسرائيلية شقة في غزة كان يوجد بها الشيخ وكان يرافقه إسماعيل هنية، لكنه نجا من الحادث.

ثم كررت المحاولة مرة أخرى في فجر يوم ٢٢ مارس ٢٠٠٤م ونجحت هذه المرة، وسقط الشيخ ـ إن شاء الله ـ شهيدًا أمام مسجده بجوار بيته بعد صلاة الفجر.

* * *

نَهْرُ الحَيَاةِ

❑ تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة/ نور الهدى زكى قائلة:

«لم أعرف أن الشيخ ياسين هو رمز للمقاومة في فلسطين، وفي غير فلسطين إلا يوم استشهاده، فقبل فجر الاثنين كنت أحسبه الزعيم الروحي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) وكفى، ولكنني لم أعرف أنه رمز للمقاومة في فلسطين بكل فصائلها، والمقاومة في العراق بكل ألوان طيفها، والمقاومة في لبنان، وفي الأردن، وفي اليمن، وفي السودان، وفي مصر المقاومة بالكلمة مثل المقاومة بالسلاح.

لم أعرف أن استشهاد الشيخ سيفجر كل براكين الغضب لحظة استشهاده، لم أعرف أن الشيخ المقعد أقوى من كل الأصحاب الرابضين فوق نفوسنا، وفوق ضمائرنا وفوق أيامنا التعسة، وأن مقعده المتحرك الذي تطايرت أجزاؤه أقوى من مقاعد عشعش فيها السوس.

ولم أعرف أن صوت الشيخ الواهن أصدق من كل حناجر الورق، ومن زعامات الخشب إلا يوم استشهاده، ولم أعرف أن كلماته القليلة القوية أشد من دولة العصابة بدباباتها وطائراتها وجيشها إلا يوم استشهاده.

والآن أعرف ـ بكل اليقين ـ في اتجاه حركة التاريخ، وبكل اليقين في جزاء المقاتلين، أن رأس الرجل الذي انفجر سيخلِّف ألف ألف رأس للمقاومة، وأن ذراعيه بعد أن تطايرتا تحولتا إلى ألف ألف ذراع للمقاومة، وأن جسده الذي تناثر إلى أشلاء قد سكن ألف ألف جسد لحظة استثنائية للوفاء بفرض الله، لحظة قال عنها الله في علاه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣][1].

تطاير جسده، فقد أصبح القعيد طليقًا.. تناثرت أشلاؤه إلى أعلى لسموِّه، لم يبق منه إلا الرأس؛ لأنه قمة، ظهر دماغه وانتشر مخه فسينتشر فكره وآراؤه.. احتاجوا للطائرات لقتله؛ لأنه عالي القدر .. «وكأن الصاروخ قد قصد إلى تقطيع الشيخ إلى ثمانية أشلاء ليدخل كل جزء من

(١) جريدة «العربي» ـ العدد (٩٠٢ـ ٢٨ مارس ٢٠٠٤م) ص (١٣).

جسده إلى الجنة من أحد أبوابها الثمانية، ولا أريد التأله على الله في ذلك، ولكن النبي ﷺ أخبر «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»، وما شهدنا إلا بما علمنا من جهاد الشيخ وصبره وتضحياته، فكان جزاؤه شهادة مستحقة يغبطه عليها العاملون المخلصون، ويتجنبها الجبناء المتخاذلون، فلا نامت أعين الجبناء»[1].

أَيْنَ الْأُلَى زَعَمُوا النِّضَالَ طَرِيقَهُم؟ ... أَيْنَ الزَّعَامَاتُ الْكِبَار تَغَارُ؟

أَيـنَ الـشِّـعَـارَاتُ الَّـتِـي أَوْرَاقُـهَـا ... ذَبُلَتْ؟ وَكَيْفَ يُفَاوِضُ الثُّوارُ؟!

أَيُفَـاخِـرُونَ إِذَا انْـحَـنَـتْ هَـامَـاتُـهُـمْ ... فِي بَيْتِ أَمْرِيكَا وَضَاعَ الثَّأْرُ؟!

بِاسْمِ الشَّهِيدِ تُبَاعُ أَرْضُ مُحَمَّدٍ ... أَيْنَ الْكِفَاحُ وَجَيْشُه الْجَرَّارُ؟!

وَمُـقَـامِـرُونَ مَـشَـوْا عَـلَـى آلَامِـنَـا ... زُعَـمَـاءُ أَوْ كُـتَّـابٌ أَوْ تُجَّـارُ

يَاسِينُ الْحَبِيبُ يَوْمَ مَوْتِهِ أَبْلَغُ خَطِيبٍ

الدرس الأخير لياسين بعد موته: «بيننا وبينكم يوم الجنائز»

نعم.. لقد كان ياسين الحبيب وهو مسجى في نعشه أبلغ خطيب...

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ**»[2].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة، فقال «**مُسْتَرِيحٌ أَوْ مُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**»، قالوا: يا رسول الله، ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: «**الْعَبْدُ المؤمن يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»[3].

قال علي رضي الله عنه: «**إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء،**

---

(١) مقال «وترجل الفارس» للدكتور جاسم بن مهلهل الياسين، مجلة البيان: العدد (١٩٩)، ص (٣٥).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٤/٣١٣) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، ووافقه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨٣).

(٣) أخرجه مالك، والبخاري (٤/٢٣٣)، ومسلم (٣/٥٤)، والنسائي (١/٢٧٢- ٢٧٣)، وأحمد (٥/ ٣٠٢- ٣٠٣).

وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مصلى ولا في السماء مصعد عمل، فقال الله ـ تعالى ـ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾»(١).

❑ يَوْمُ الجَنَائِزِ فَخْرٌ وَعِزٌّ يَاسِين:

وَقُلْ لِلُوكِ الْأَرْضِ تَجْهَدُ جُهْدَهَا ... فَذَا الْمُلْكُ مُلْكٌ لَا يُبَاعُ وَلَا يُهْدَى

كم سار في جنازة ياسين؟ ثلث مليون في غزة.. ولو منعهم الناس من خارج غزة لسار الملايين خلف نعشه... وملايين الناس في كافة أرجاء الأرض التي بكته يوم موته ودعت له وشهدت له، وكثر الثناء عليه.

كَثُرَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ كَمْ شَهِدُوا لَهُ ... بِالْخَيْرِ وَالْمَوْلَى عَلَيْهِ رَقِيبُ

شَهِدَ الْجَمِيعُ لَهُ وَهَذِي نِعْمَةٌ ... شَهِدَتْ لَهُ أَفْوَاهُهُمْ وَقُلُوبُ

طُوبَى لِمَنْ خَتَمَ الْحَيَاةَ بِطَاعَةٍ ... طُوبَى لِمَنْ قَدْ عَاشَ وَهْوَ غَرِيبُ

إن لحظة من هذا العز والفخار ودموع أهل الأرض تغزل منها تيجان ياسين..

دماء قلوب المحبين ودموعهم... يا الله، والله؛ إنه لمشهد تعجز عنه الألسن.

إن الأبرار ما نالوا البر إلا بالبر، فلا تخرج عنك الأيام والليالي عطلًا، فاحرص على حسن الخاتمة وألا يفضحك ميراثك يوم موتك.

«**بيننا وبينكم يوم الجنائز**» انظر إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه، ونعم مصير الصادقين إذا دُعوا إلى الله للوجاهة.. سعد الذي حملته الملائكة، وشيَّعه سبعون ألف ملك ما نزلوا إلى الأرض قبل موته قط.. سعد الذي اهتز لموته عرش الرحمن.

ولما مات ابن عباس رضي الله عنه بالطائف، فجاء طير لم يُر على خلقته، فدخل نعشه، ثم لم يُر خارجًا منه، فلما دُفن، تُليت هذه الآية على شفير القبر لا يُدرى من تلاها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٧].

قال الذهبي: هذه قصة متواترة»(٢).

---

(١) «زاد المسير» لابن الجوزي (٧/٣٤٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٥٨).

* وغسِّيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، وغسِّيل الملائكة حمزة بن عبدالمطلب، وحمى الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، ومن وارثْ جثمانه الملائكة عامر بن فهيرة والعلاء بن الحضرمي وكرامته عند موته والنور الذي تلألأ من قبره..

* والحسن البصري: قال الذهبي في «**سير أعلام النبلاء**» (٥٨٨/٤): «**كانت جنازته مشهودة، صلوا عليه عقيب الجمعة بالبصرة، فشيَّعه الخلق، وازدحموا عليه، حتى إن صلاة العصر لم تُقم في الجامع**».

* وعمرو بن قيس الملائي وخبر موته العجيب.

مات بالشام فرأوا الصحراء مملوءة من الرجال عليهم ثياب بيض، فلما صُلي عليه فقدوا!

* والأوزاعي خرج في جنازته أربعة أمم، فحمله المسلمون، وخرجت اليهود في ناحية، والنصارى في ناحية، والقبط في ناحية»[١].

* والليث بن سعد قال خالد بن عبدالسلام الصرفي: «**شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي، فما رأيت جنازة قط أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يعزي بعضهم بعضًا، ويبكون**»[٢].

* وبشر بن الحارث الحافي قال عن جنازته يحيى بن عبدالحميد الحمَّاني: «**رأيت أبا نصر التمَّار وعلي بن المديني في جنازة بشر بن الحارث يصيحان في الجنازة: «هذا ـ والله ـ شرف الدنيا قبل شرف الآخرة، وذلك أن بشر بن الحارث أُخرجت جنازته بعد صلاة الصبح، ولم يحصل في القبر إلا في الليل، أُخرجت جنازته بعد صلاة الصبح، وكان نهارًا صائفًا، والنهار فيه طول، ولم يستقر في القبر إلى العتمة**»[٣].

* ويحيى بن معين الذاب عن سنة رسول الله ﷺ، لما مات أخرج والي المدينة سرير النبي ﷺ فحمل عليه، ورجل ينادي بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله ﷺ[٤]

---

(١) السير (١٣٤/٧).

(٢) السير (١٦٢/٨).

(٣) تاريخ بغداد (٧٩/٧ ـ ٨٠).

(٤) تاريخ بغداد (١٨٦/١٣).

* والإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة القائل: «**قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز**»، كانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ الإسلام، سار في جنازته ألف ألف من الرجال وستون ألف امرأة على الأسوار.

قال المروزي: قبض الإمام صدر النهار، فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجَّت، وامتلأت السكك والشوارع.

لله دَرُّ أحمد وعلو مكانته بعد موته حين يقول الخليفة المتوكل لمحمد بن عبدالله الذي شهد جنازة أحمد وصلى عليه: «طوبى لك يا محمد.. صليت على أحمد بن حنبل ـ رحمة الله عليه ـ»[1].

* وقاضي القضاة بمصر بكار بن قتيبة لما «**توفي سنة سبع ومئتين شيَّعه خلق عظيم أكثر ممن يشهد صلاة العيد**»[2].

* وشيخ الحنابلة الإمام البربهاري.. مات في منزل أخت توزن مستترًا، فقالت المرأة لخادمها: انظر من يغسِّله، وغلَّقت الأبواب حتى لا يعلم أحد، فجاء الغاسل فغسله ووقف يصلي عليه وحده، فاطلعت فإذا الدار ممتلئة رجالًا بثياب بيض وخضر، فاستدعت الخادم وقالت: ما الذي فعلت؟ فقال: يا سيدتي رأيت ما رأيت؟ قالت: نعم. قال: هذه مفاتيح الباب وهو مغلق، فقالت: ادفنوه في بيتي فإذا مت فادفنوني عنده، فدفنوه في دارها، وماتت بعده فدفنت هنالك[3].

* وأبو بكر بن أبي داود السجستاني صلى عليه يوم مات نحو من ثلاث مئة ألف إنسان أو أكثر، وصُلِّي عليه ثمانين مرة. نقل هذا الخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٤٦٨/٩).

* والإمام ابن خفيف لما مات ازدحم الخلق على سريره، وكان هذا أمرًا عجيبًا، وقيل: إنهم صلوا عليه نحوًا من مئة مرة[4].

* وشيخ الإسلام محمد بن أحمد الخياط قال عن جنازته علي بن الأيسر العكبري: «**لم أر أكثر خلقًا من جنازة أبي منصور، رآها يهودي، فاهتال لها وأسلم.**

---

(١) ترجمة الإمام أحمد (٣٣٧/١١ـ ٣٤٢) من السير.

(٢) السير (٦٠٤/١٢).

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٤١٨ـ ٤١٩)، وطبقات الحنابلة (٤٤/٢ـ ٤٥).

(٤) السير (٣٤٦/١٦ـ ٣٤٧).

* والإمام الحافظ أبو موسى المديني الأصبهاني ذكر في آخر إملاء له أملاه قبل موته: أنه «متى مات من له منزلة عند الله، فإن الله يبعث سحابًا يوم موته؛ علامة للمغفرة له، ولمن صَلى عليه. فلما مات، لم يكادوا أن يفرغوا منه حتى جاء مطر عظيم في الحر الشديد، وكان الماء قليلًا بأصبهان»(١).

* وشيخ الإسلام الحَجْري عبدالله بن محمد بن علي الأندلسي «صادف وقت وفاته قحط، فلما وُضِعت جنازته سُقُوا، وما اختلف إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل، وهو رأس الصالحين، ورئيس الأثبات الصادقين»(٢).

* وصلاح الدين الأيوبي يقول قاضيه ابن شداد عن يوم موته: «كان يومًا لم يصب المسلمون والإسلام بمثله منذ فُقد الخلفاء الراشدون، وغشى القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمها إلا الله ـ تَعَالَى ـ. وبالله لقد كنت أسمع من بعض الناس أنهم يتمنون فداء من يعزُّ عليهم بنفوسهم وما سمعت هذا الحديث إلا على ضرب من التجوُّز والترخص إلا ذلك اليوم، فإني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قُبل الفداء لفُدِي بالنفس...

وارتفعت الأصوات عند مشاهدته ـ أي نعشه ـ وعظم الضجيج حتى أن العاقل يتخيل أن الدنيا كلها تصيح صوتًا واحدًا»(٣).

* وشيخ الإسلام ابن تيمية مات في سجنه بقلعة دمشق، فكانت جنازته ثاني أكبر جنازة في تاريخ الإسلام.. صَلى عليه من الرجال ستون ألفًا، ومن النساء خمسة عشر ألفًا، وحضرها الناس قاطبة، وكان يومًا مشهودًا لم يعهد مثله بدمشق، وضجَّ الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم عليه(٤).

قال ابن كثير: «اجتمعوا لجنازته اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوا في جنازته، وانتهوا إليها، هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسًا من جهة

---

(١) السير (٢١/١٥٦).

(٢) السير (٢١/١٥٦).

(٣) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لابن شداد (٢٤٦ ـ ٢٤٧).

(٤) انظر «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣١٤ وما بعدها).

السلطان»[١].

وما تخلف عن الحضور في جنازته إلا ثلاثة أنفس، وهم: ابن جملة، والصدر، والقفجاري، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته، فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قُتلوا وأهلكهم الناس[٢].

فانظر كيف سَجَنَ ابن تيمية يوم موته من سجنوه.. وانظر كيف سَجَنَ ياسين من سجنوه، وخلت شوارع اليهود منهم، وضجَّ الناس بالبكاء على ياسين، وكان يومًا مشهودًا في تاريخ قرننا لم يُشهد مثله...

وسل المسك ينبئك عن صدق ياسين، وكيف حوَّم الطير الأبيض حول نعشه.

فرحمة اللّه على ياسين الصابر المحتسب..

مَاتُوا وَغُيِّبَ فِي التُّرَابِ شُخُوصُهُمْ فَالنَّشْرُ مِسْكٌ وَالْعِظَامُ رَمِيمُ

قال ابن عقيل: «حاشا المبدئ، الخالق لهم على تلك الأشكال والعلوم، أن يرضى لهم في الوجود بتلك الأيام اليسيرة المشوبة بأنواع الغُصص، وهو المالك، وبتلك اللمحة التي عاشوها في الدنيا وقد مُزجت بالعلاقم، لا واللّه؛ لا رضا لهم إلا بضيافة تجمعهم على مائدة تليق بكرمه ـ سبحانه ـ نعيم بلا ثبور، وبقاء بلا موت، واجتماع بلا فرقة، ولذات بغير نغصة»[٣].

* * *

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/١٤٣ـ ١٤٥).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/١٤٣ـ ١٤٥).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/١٦٥).

❑ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

تَحْلِيْلٌ عَسْكَرِيٌّ

مَغْزَى تَوْقِيتِ تَنْفِيذِ عَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ الشَّيْخِ يَاسِيْنْ

• **تحت هذا العنوان كتب اللواء أركان حرب حسام سويلم المدير الأسبق لمركز الدراسات الاستراتيجية بالقوات المسلحة المصرية يقول:**

«جاء تنفيذ عملية اغتيال الشيخ ياسين في توقيت ذي مغزى على الساحتين الإقليمية والدولية، فمن ناحية واكب تصاعد الحرب التي تشنها الولايات المتحدة، ودول أوروبية، وروسيا ضد ما يسمى بالإرهاب، كما أعقبت مباشرة العمليات الإرهابية التي جرت في مدريد والعراق، والتحسب الشديد لعمليات أخرى يحتَمل وقوعها في الولايات المتحدة والبلدان الأوربية.

كما أعقبت عملية اغتيال رئيس الشيشان الأسبق ياندراييف في قطر بواسطة عملاء المخابرات الروسية، مما يعطي المبرر لإسرائيل لتوجيه ضرباتها ضد حماس باعتبارها مسجلة في القائمة الأمريكية للمنظمات الإرهابية في العالم.

ومن ناحية أخرى فقد واكب تنفيذ هذه العملية زيارة وليام بيرنز - مساعد وزير الخارجية الأمريكية - لبلدان المنطقة لإحياء عملية السلام، وما يعد ضربة لإجهاض جهود الولايات المتحدة في هذا المجال، إلى جانب حساسية المرحلة التي تمر بها الولايات المتحدة فيما يتعلق بالحملة الانتخابية للرئاسة، وبما يشل أيدي الإدارة الأمريكية عن ممارسة أي ضغط على إسرائيل وتوجيه لوم لها، بالنظر لنفوذ اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة وتأثيره في الحملة الانتخابية.

هذا بالإضافة لقرب انعقاد القمة العربية في تونس، وما يمكن أن تحمله عملية اغتيال الشيخ ياسين من رسالة ردع، وتهديد لهذه القمة، خاصة في توقيت تتكثف فيه جهود الوساطة لإحياء عملية السلام من قبل مصر والأردن، واللجنة الرباعية الأوروبية وبريطانيا، وبما يعد ضربة لهذه الجهود.

تأتي هذه العملية لتدشين مرحلة ثانية في مخطط ضرب قوى المقاومة الفلسطينية، بعد أن

انتهت المرحلة الأولى التي وجهت أساسًا ضد السلطة الفلسطينية بتدمير بنيتها الأساسية في الضفة وغزة، وقتل واعتقال نشطاء الانتفاضة، واحتجاز رئيس المنظمة «**عرفات**».

ولكن رغم كل هذه الإجراءات القمعية، فإن ضربات المقاومة استمرت مؤثرة، خاصة بالعمليات الاستشهادية التي يوجهها الجناح العسكري لحركة حماس داخل العمق الإسرائيلي، وتكبد إسرائيل خسائر بشرية ومادية جسيمة، كانت ذروتها في عملية أشدود في ١٤ من مارس الماضي، فكان يتعين من وجهة نظر الإسرائيليين أن توجه ضربتها ضد الرمز الروحي لحركة حماس لتدشن بهذه الضربة المرحلة الثانية من المواجهة مع حركة حماس بعد أن قوضت ركائز السلطة الفلسطينية السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، لا سيما أن إسرائيل على وشك تنفيذ انسحابها من غزة في إطار خطة الفصل أحادية الجانب التي وضعها شارون، والمواكبة لبناء الجدار الفاصل.

الْأَهْدَافُ وَرَاءَ عَمَلِيَّةِ الْاِغْتِيَالِ

١- تأتي إعادة المصداقية لاستراتيجية الرد الإسرائيلي في مقدمة الأهداف، بعد أن تآكلت هذه المصداقية بفعل عمليات المقاومة، وكانت آخرها عملية أشدود في ١٤ مارس الماضي، ولتؤكد مرة أخرى على أهمية تنفيذ الضربات الوقائية والاستباقية والانتقامية في الاستراتيجية الإسرائيلية.

٢- توجيه ضربة قاصمة لحركة حماس بالقضاء على رمزها الروحي، وبعد أن فشلت محاولات سابقة في اغتياله، واغتيال كبار قادة الحركة أمثال: الرنتيسي، وخالد مشعل، وبما يهيئ الأوضاع داخل الحركة لصراع داخلي على القيادة فيها، ويحدث فراغًا سياسيًّا، وفوضى ونزاعات داخلية يجعلها غير قادرة على الاستمرار في بسط سيطرتها على قطاع غزة كما كان الحال في عهد الشهيد الشيخ ياسين، الذي كان قادرًا على توحيد الحركة، والقضاء على أي تناقضات داخلية، خاصة بين جناحيها السياسي والعسكري، وبما كان يمثله من صمام أمان داخل الحركة، خاصة في منع الاقتتال الفلسطيني ـ الفلسطيني، لا سيما بين حماس والسلطة الفلبسطينية، وهو ما تستهدفه إسرائيل.

٣- دفع المواجهة مع الفلسطينيين إلى ذروتها باغتيال زعيم حركة حماس، وشل قدرتها وقدرة

السلطة الفلسطينية على الحركة داخل غزة بعد انسحاب إسرائيل منه، وانتظار رد الفعل من جانب حماس، وباقي المنظمات الفلسطينية، وبما يعطي المبرر لإسرائيل لتنفيذ خطتها في استكمال إبادة قادة هذه الحركات والمنظمات الفلسطينية، ونشطاء الانتفاضة، وتقويض باقي ركائز البنية الأساسية الفلسطينية في قطاع غزة، ويحوله إلى خراب ينشغل الفلسطينيون في إعادة بنائه لسنوات قادمة، ويبعدهم عن مقاومة إسرائيل.

٤ـ توحيد اليمين الإسرائيلي كله خلف شارون، لا سيما بعد الخلافات التي برزت بين أحزابه بسبب قرار شارون الانسحاب من قطاع غزة، وهددت التحالف الوزاري القائم داخل الوزارة الإسرائيلية، لا سيما بعد فضيحة الفساد التي اِتُّهِمَ فيها شارون وأبناؤه، وهددت شعبيته بين ناخبيه، فجاءت عملية اغتيال الشيخ ياسين لتوحد اليمين الإسرائيلي ومعه معظم الشعب الإسرائيلي وراء شارون، وتنسيهم خلافاتهم وصراعاتهم الداخلية.

٥ـ ألا يمثل الانسحاب الإسرائيلي القادم من غزة انتصارًا للمقاومة الفلسطينية على إسرائيل، كما حدث بالنسبة للانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان في أبريل ٢٠٠٠، والذي مثل انتصارًا للمقاومة اللبنانية وحزب الله على إسرائيل؛ حيث يعتقد شارون أن عملية اغتيال الشيخ ياسين سيحدث انهيارًا للروح المعنوية للشعب الفلسطيني لا تجعله يحتفل بانسحاب إسرائيل من غزة باعتباره انتصارًا للفلسطينيين؛ بل على العكس فقد تتسبب عملية اغتيال الشيخ ياسين في إثارة صراع داخلي بين حماس والسلطة الفلسطينية من أجل السيطرة على قطاع غزة، لا سيما وأن إسرائيل تسعى قبل انسحابها من القطاع إلى ترتيب أوضاع داخل القطاع تمكن عملاءها من السيطرة عليه، وهو ما قد يؤجج الصراع على السلطة في القطاع بين الفلسطينيين، ويؤدي إلى نشوب حرب أهلية، وهي إحدى أهداف المخطط الإسرائيلي لمستقبل غزة، والضفة الغربية، خاصة بعد أن رفضت مصر تحمل تبعة ومسئولية الأمن في قطاع غزة بعد انسحاب القوات الإسرائيلية منه.

كما رفضت الولايات المتحدة اعتبار الانسحاب من هذا القطاع هو نهاية المطاف من جانب إسرائيل، حيث لا تزال على إسرائيل استحقاقات في الضفة الغربية تتمثل في انسحابات منها يتعين من وجهة النظر الأمريكية على إسرائيل أن تنفذها طبقًا لخريطة الطريق التي تبنتها الإدارة

الأمريكية.

٦ـ قلب الطاولة على الجميع في الداخل والخارج، خاصة الجهات التي تحاول إحياء عملية السلام، وبما يشكل ضربة لجهود هذه الجهات (مصر، الأردن، الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة، بريطانيا)، وفرض معطيات جديدة على الجميع بما في ذلك إنذار عرفات وقادة السلطة الفلسطينية، وقادة حزب الله بأن الدور سيأتي عليهم بعد اغتيال الشيخ ياسين.

وما يشكله ذلك من ضربة لمنطق التفاوض، حيث يزعم شارون أنه لا يوجد في الجانب الفلسطيني من يمثل شريكًا له في مفاوضات الضغوط الدولية المفروضة عليه، لاستئناف المفاوضات مع الجانب الفلسطيني، والاجتماع مع رئيس وزراء السلطة الفلسطينية أحمد قريع.

٧ـ رسالة تحدي إلى القمة العربية المقبلة، ورمى القفاز في وجه القادة العرب، بأنه لا سلام إلا السلام الذي تريده إسرائيل، ويحقق أهدافها، ويتفق مع مصالحها القومية، وعدا ذلك من مبادرات سلام عربية، فهي مرفوضة مقدمًا من إسرائيل، وليفعل العرب ما يستطيعون فعله.

تَدَاعِيَاتُ اغْتِيَالِ الشَّيْخ يَاسَيْن

ـ لا شك أن عملية اغتيال الشيخ ياسين عكست أمام الرأي العام العالمي الوجه الإرهابي لدولة إسرائيل، والتي تمارس إرهاب الدولة على أوسع نطاق، كما أبرزت أمام الجميع السمات القبيحة لشخصية شارون التي تجسّد العنصرية والنازية والدموية في أحط صورها، وأكدت لهم ما سبق أن وصفوا به قادة إسرائيل السابقين شارون، أمثال بيجن، وجولدا مائير بأنه إنسان كاذب ولا عهد له.

لذلك من المستحيل أن يفي بتعهداته فيما يتعلق بالعملية السلمية، سواء التي قطعها للإدارة الأمريكية، أو التي سبق أن أبرمها رؤساء وزراء إسرائيل السابقون رابين ونتنياهو، وباراك، أوسلو، ووادي ريفر، واشنطن، وشرم الشيخ... إلخ.

لذلك فإن من يسعون لاستئناف العملية السلمية ـ سواء في الجانب العربي أو الأمريكي أو الأوروبي ـ قد أصابتهم خيبة أمل كبيرة في جهودهم هذه، وبما يقضي على فرص السلام في المنطقة، حيث أصبحت كل الأطراف مؤهلة ومستعدة لتصعيد مرتقب في العمليات العسكرية

سواء من جانب إسرائيل أو المقاومة الفلسطينية، أو الولايات المتحدة، والدول الأوربية التي تتوقع رد فعل عنيف من جانب تنظيم القاعدة الذي وعد بتوجيه ضربة انتقامية ضد المصالح الأمريكية والأوروبية على كل الساحة العالمية ردًّا على اغتيال الشيخ ياسين، بل إن الدول العربية التي وقعت معاهدات سلام مع إسرائيل ـ مصر والإردن ـ أصبحت بدورها أيضًا تتحسب وتتوقع أي مغامرات عسكرية من جانب إسرائيل، وفي عهد شارون ليس من الصعب أن يجد لها تبريرًا.

ـ ومما لا شك فيه أن عملية اغتيال الشيخ ياسين ستزيد الموقف اشتعالًا داخل الأراضي المحتلة، بسبب حالة الغضب التي سادت الساحة الفلسطينية عقب هذه العملية الخسيسة، وحيث أصبحت جميع احتمالات التصعيد واردة، سواء من جانب حماس وجناحها العسكري، أو من جانب الأجنحة العسكرية في الفصائل الفلسطينية الأخرى التي وعدت بضربات مماثلة على نفس المستوى داخل إسرائيل ضد قادتها وأهدافها الاستراتيجية وبنيتها التحتية.

وكذلك من جانب إسرائيل التي أعلنت أنها ستستمر في عملية اغتيال قادة المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وأن هناك قائمة بها ثمانون شخصية مخطط اغتيالهم من قبل إسرائيل.

وإذا كان قادة حماس قد أعلنوا أن الحرب أصبحت مفتوحة الآن مع إسرائيل، وأن الإسرائيليين لن يكونوا آمنين إلا خارج إسرائيل، وأن شارون فتح باب جهنم على نفسه وعلى الإسرائيليين، فإن الذعر والخوف من المستقبل ومن تداعيات هذه العملية قد أصاب كل الشعب الإسرائيلي، وما لذلك من انعكاسات سلبية على الروح المعنوية، والاستقرار السياسي، والنمو الاقتصادي، والاجتماعي، ومعدلات الهجرة، والهجرة المعاكسة في إسرائيل.

وفي ضوء التصعيد العسكري المتوقع من جانب جميع الأطراف، بعد أن حكم شارون على العملية السلمية بالإعدام، وما يتوقع أن يتكبده الشعب الإسرائيلي مستقبلًا من خسائر بشرية ومادية جسيمة، فإن من المؤكد أن شعبية شارون ووزراءه من الأحزاب اليمينية المتطرفة ستتدهور إلى الحضيض، بعد أن فشل في تحقيق أي من الأمن والسلام الذي وعد بهما الشعب الإسرائيلي خلال مئة يوم من بدء حكمه، فقد مضت أكثر من ثلاث سنوات، والموقف الأمني والاقتصادي والاجتماعي في إسرائيل في ظل حكم شارون يزداد تدهورًا.

وعلى النقيض من ذلك، فإن اغتيال الشيخ ياسين سيزيد من ترسيخ أقدام حركة حماس في غزة

والضفة الغربية، ويزيد من تأييدها ودعمها على الصعيدين العربي والإسلامي، وذلك على عكس ما كان يرمي ويستهدف شارون، حيث صار واضحًا شدة تماسك الحركة، وتضامن قادتها السياسيين والعسكريين، بل وتحالفهم مع السلطة الفلسطينية وحزب اللّه في لبنان؛ لذلك صدق أحد المحللين الإسرائيليين عندما قال: إن المستفيد الأكبر من عملية اغتيال الشيخ ياسين هي حركة حماس نفسها، التي عمقت حضورها فلسطينيًا، وعربيًا، وإسلاميًا، وازداد تلاحمها مع باقي منظمات المقاومة.

خُلَاصَةُ الْقَوْلِ

- إن اغتيال الشيخ ياسين سيكون بداية مرحلة جديدة لانتفاضة لها تداعياتها السياسية، والأمنية، والاقتصادية، والاجتماعية الخطيرة على إسرائيل، أو بمعنى آخر: ولادة جديدة للمقاومة ومشروعيتها، حيث من الغباء أن يتصور شارون أن بهذه العملية سيقضي على الانتفاضة بالقضاء على رمزها الروحي؛ حيث أثبتت تجارب الشعوب أنه في اللحظة التي تغتال فيها أيدي المحتلين المغتصبين أحد رموز المقاومة الشعبية، تولد عشرات الرموز التي تحل محله، وستكون أشد رغبة في الثأر، والانتقام لاستشهاد زعيمهم.

- وسيدرك الشعب الإسرائيلي الذي يقوده شارون بنفس العقلية التي كان يقود بها الوحدة ١٠١ مظلات في الستينيات من القرن الماضي، أن شارون يقوده إلى الهلاك فعلًا، طالما كان الإسرائيليون سائرين خلف الأفكار الشارونية الهدامة والعدوانية، لا سيما وقد ثبت للشعب الإسرائيلي أكثر من مرة أن شارون ينجح كثيرًا في دخول الحروب والمغامرات العسكرية، ولكنه يفشل أكثر وأكثر في الخروج منها، أو تحقيق مكاسب سياسية من ورائها، ثبت ذلك في الثغرة التي افتعلها في حرب أكتوبر ١٩٧٣ غرب قناة السويس، حيث اضطرت القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب منها بعد أن حاصرتها القوات المصرية وهددت بسحقها، وثبت ذلك أيضًا في اضطراره للانسحاب من لبنان عام ١٩٨٥، رغم نجاحه في دخول بيروت عام ١٩٨٢، بعد أن فتحت عليه المقاومة اللبنانية أبواب جهنم، ثم الانسحاب مرة أخرى في أبريل ٢٠٠٠ من الحزام الأمني الذي أنشأه شارون في جنوب لبنان، وها هو اليوم يجني ثمار المغامرة التي بدأها عندما

اقتحم المسجد الأقصى وسط الجنود الإسرائيليين في عهد باراك عام ٢٠٠٠، فأشعل انتفاضة الأقصى التي تؤرق الشعب الإسرائيلي ليلًا ونهارًا، ولا يعرف شارون كيف يقضي عليها أو يتخلص منها.

ـ أما على المستوى العربي: فقد أدرك الجميع في العالم العربي عبثية مقولة: «إن السلام هو خيار العرب الاستراتيجي»، وإنه لا بُدَّ أن تكون هناك خيارات أخرى، ليست بالضرورة تتمثل في الحرب الشاملة، أو المحدودة التي لا يريدها أحد، ولكن هناك خيار الردع العربي المضاد للأطماع والتهديدات والمخاطر الإسرائيلية الموجهة ضد الشعوب العربية وأمنها القومي، وأن هذا الردع المضاد لن يتحقق إلا إذا سعى العرب إلى تصحيح الخلل القائم في الميزان العسكري ببعديه: التقليدي، وفوق التقليدي حاليًا لصالح إسرائيل، خاصة في ظل الاحتكار النووي الإسرائيلي.

فإذا ما نجح العرب في إصلاح الميزان العسكري لصالحهم، وفي مقدورهم ذلك لتوافر إمكاناته، ونجحوا قبل ذلك في توحيد كلمتهم بعد القضاء على التناقضات والخلافات القائمة بينهم، وأدركوا أن الأمن العربي في بعده القومي خير دعم وسند للأمن العربي في بعده القطري في حدود كل دولة، عند ذلك فقط سيتحقق السلام العادل والشامل الذي ينشدونه، ولن يستطيع شارون أو غيره أن يعامل العرب بالصلف والتكبر والإذلال الذي يعاملهم به اليوم»[(١)].

* * *

(١) مقال: «الخلفية الاستراتيجية لقرار اغتيال الشهيد أحمد ياسين ، للواء أركان حرب/ حسام سويلم ـ مجلة القدس، العدد (٦٤)، صفر ١٤٢٥هـ، أبريل ٢٠٠٤م، ص ٤١ ـ ٤٥.

الرِسَائِلُ الثَّلَاثُ لِلصَّوَارِيْخِ الثَّلَاثَةِ

أحسب أن الصواريخ الثلاثة التي انطلقت لتنهي الحياة الدنيا للشيخ الجليل أحمد ياسين ورفاقه قد انطلقت معها ثلاث رسالات تستحق القراءة:

❑ الرِّسَالَةُ الأُوْلَى: التَّحَرُّرُ مِنَ الْعَجْزِ:

فاللحظة التي تحول فيها جسد الشيخ إلى أشلاء هي اللحظة التي تحرر من الأسر ما يزيد على النصف قرن داخل هذا الجسد العاجز، ولعل اللَّه قد أبدله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة، ولعله يقفز بين أنهارها وأشجارها بقدميه اللتين ما وطأتا الأرض منذ عشرات السنين، والشيخ وإن أصاب العجز جسده فإنه لم يصب قلبه وعقله ولسانه وعزمه وإرادته وخلقه، ولذلك فمحاولة إدانة اغتيال الشيخ من قبل بعض الرؤساء العرب من باب أنه لا يصح اغتيال الرجل العاجز، وأن اغتياله لا يستحق ما سوف يترتب عليه = هي في الحقيقة تكريس لعجز عقولهم إلا عن التفكير في العودة إلى مائدة المفاوضات، وعجز ألسنتهم إلا عن إعلان أن ما حدث سيعرقل مسيرة السلام، وعجز أيديهم إلا عن مصافحة مصاصي الدماء، فدولة إسرائيل تعرف الفرق بين من انتصر على عجزه ومن استسلم له، فاغتالت الأول لأنه يهدد وجودها، وأرسلت إلى الآخرين رسالة تقول «أروني ماذا أنتم فاعلون في قمتكم القادمة؟»، وما هم بفاعلين شيئًا إلا إذا تحرروا من عجزهم وهذه الرسالة ـ تحرروا من عجزكم ـ ليست موجهة إلى الحكَّام فحسب؛ بل إلى كل طوائف الأمة خاصة العلماء والمثقفين؛ ليبحث كل منهم عن نقطة العجز في خطابه أو في حركته ليتحرر منها وينتصر عليها.

❑ الرِّسَالَةُ الثَّانِيَةُ: كَيْفَ يَكُونُ الرَّدُّ:

وهذه الرسالة موجهة بالدرجة الأولى إلى فصائل المقاومة؛ على اعتبار أن تأخير الرد قد يكون أنجع وأنجح وأوجع لاستنزاف العدو نفسيًّا واقتصاديًّا، وأن استهداف مواطن القوة في الإدارة الإسرائيلية قد يكون أجدى من استهداف تجمعات الصهاينة، وأن حماية القيادات ونصب الكمائن لمن يستهدفهم قد يكون الآن هدفًا استراتيجيًّا، فصحيح أن موت القائد لا يعني موت القضية، ولكن صحيح أيضًا أن موت القائد لا يعقبه انبعاث مئة قائد.

❑ وَالرِّسَالَةُ الثَّالِثَةُ: أَقْنِعُونَا مِنْ جَدِيْدٍ:

وهذه الرسالة موجهة بالدرجة الأولى إلى القوة الوطنية وعلى رأسها الحركات الإسلامية ... أقنعونا من جديد بجدوى المؤتمرات والندوات والتظاهرات والهتافات والتنديدات. وليس المقصود بيان أهمية ما سبق؛ فهذا لا خلاف عليه، ولكن المقصود المحتوى والمضمون المراد إيصاله من خلال ما سبق: هل هو جمع أكبر عدد من المتحدثين ليقولوا نفس الكلام؟ هل هو المطالبة بطرد السفير وإغلاق السفارة وفتح باب الجهاد؟ هل هو مجرد تعبير عن الرأي والإشعار بالتواجد؟ هل هو تقرير ما هو مقرر سلفًا؟ أم هل هو تأكيد ما تم تأكيده في مواقف سابقة مشابهة؟

ربما يكون كل ذلك مطلوبًا، ولكنه ليس بكاف؛ لأنه مع تكرار الأحداث الدامية وتعاظمها من ناحية، وتكرار الاستجابة وحصرها في هامش المؤتمرات والتظاهرات ذات المضمون الواحد تقريبًا من ناحية أخرى = يعطي انطباعًا بضيق الفجوة بين موقف الحكومات وموقف القوة الوطنية فالكل يدين، والكل يسعى لعقد المؤتمرات، والكل يطالب الغير بالفعل، فالقوى الوطنية؛ تطالب الحكومة بالتصرف، والحكومة تطالب المجتمع الدولي بالحل.

وأحسب أن هذا من شأنه أن يجعل قطاعات متزايدة من الأمة يتكرس عندها الشعور بالعجز، الذي أشرت إلى ضرورة التحرر منه في بداية المقال، وتهتز عندها مصداقية القوى الوطنية، وعلى رأسها الحركة الإسلامية، وهذا ما لا نريده أن يحدث.

ولذلك أقترح إعادة النظر في مضمون محتوى المؤتمرات والتظاهرات بحيث يتم التركيز بقدر أكبر على الإضافة التي يطرحها الحدث الحالي: لماذا الحدث؟ ولماذا الآن؟ وما الرسالة الموجهة منه؟ وكيف تعاملت الجهات المختلفة مع هذه الرسالة؟ وتفنيد الخطاب العاجز حتى تستبين سبيل المجرمين، وتستبين سبيل المصلحين.

ومن ناحية أخرى محاولة كسب أرض جديدة في كل مرة لتوسيع هامش الدعم المادي للقضية.

ومن ناحية ثالثة التزام المصداقية؛ فلا نطالب أحدًا بعمل نعجز عنه إذا كنا مكانه، ولا ندين أحدًا بعمل نبرره لأنفسنا إذا كنا مكانه»[1].

---

(١) للدكتور / علاء مختار

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾

إِشْرَاقَاتُ الشَّهَادَةِ

أراد شارون شيئًا وأراد الملك - ملك الملوك - شيئًا آخر، ولا رادَّ لمشيئته.. مكر اللَّه بحفيد الخنازير والقردة الذي أراد تصفية المقاومة فإذا برصيدها يعلو:

وحُبوبُ سنبُلَةٍ تجفُّ ستملأُ الوادِي سنابلَ

فإذا بالجماهير تلتحم مع المقاومة وقيادة المقاومة، وتبايعها في مختلف ميادين وساحات الوطن وخارجه، هذه المبايعة تجاوزت الشعب الفلسطيني إلى الجماهير العربية والإسلامية، وإذا باستشهاد الشيخ يصبح فتحًا جديدًا، استمرارًا لفتوحات حياته الجليلة المليئة بالبذل والعطاء والإنجاز، وإذا بالشيخ ينتقل إلى اللَّه تاركًا خلفه مئات الآلاف من تلاميذه ومناصريه، وقد بنى بناءً قويًّا شامخًا ثابتًا متطورًا بكل المقاييس، غادر الدنيا بعد أن أشاد صرحًا من المجاهدين والمخلصين، وهو الذي بدأ دعوته بثلة مؤمنة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وإذا بالهدف الصهيوني لإضعاف المقاومة وحماس، ينقلب إلى عزة وقوة ومنعة للمقاومة وتعزيزًا لنهجها وبرنامجها، لقد توهم شارون أن غياب الشيخ قد يؤدي إلى شق صف الحركة أو إضعافه، وإذا بها تزداد وحدة ومنعة وتراصًا وتكاتفًا وإصرارًا على التمسك بالبرنامج.

لقد ادعى شارون وموفاز وشالوم وغيرهم أن عملية الاغتيال تأتي في سياق محاربة الإرهاب، ومحاولة توفير الأمن للصهاينة، ولضرب قيادة المقاومة وإضعافها، لتعيد التفكير في برنامجها، وتدفعها للتراجع عنه، وإذا بالسحر ينقلب على الساحر، وإذا بالحركة قيادة وقواعد تعلن تحديها لعصابة القتل الصهيوني، وإصرارها على المقاومة خيارًا وبرنامجًا ونهجًا.

وبالمقابل إذا بالمجتمع الصهيوني يهجر الأماكن العامة ووسائل المواصلات، وإذا بالشوارع تخلو من المارة، وأصبح الرعب سيد الموقف الصهيوني، فازدادوا فقدانًا للأمن أكثر مما كانوا عليه، وسيظلون يشعرون بهذا الرعب القاتل بانتظار الرد القادم حتمًا بإذن الله، حتى إنهم أنفسهم لا يرتابون أبدًا في أنه قادم، بل إن معظم كتاب الرأي في الصحف الصهيونية، انتقدوا الجريمة نظرًا

لانعكاساتها الحتمية المدمرة على الواقع الأمني والاقتصادي والاجتماعي والنفسي في المجتمع الصهيوني، فأي أمن حقق شارون بجريمته البشعة، لقد تبخر خلال دقائق أثر انتصاره الوهمي وحل محله الرعب الهائل من الرد المتوقع انتقامًا لدماء الشيخ الشهيد، أما المقاومة التي يصمها بالإرهاب فقد أصبحت أكثر مشروعية على الصعيد الفلسطيني والعربي والإسلامي والدولي.

❑ عَلَى صَعِيْدِ الْمُقَاوَمَةِ وَحَمَاس:

إن الدور المحوري المهم، والمكانة العظيمة، والرمزية الفائقة التي تمتع بها الشيخ حتى لحظة استشهاده، كان لها دور مركزي هام وفاعل على صعيد الحركة وقيادة المجتمع الفلسطيني، غير أن الحركة سعت ومنذ اللحظة الأولى لجريمة الاغتيال إلى محاولة ملء جانب من الفراغ الناجم عن الفقد العظيم، فتم - وعبر تنفيذ لوائحها الداخلية -، إعلان د. الرنتيسي قائدًا للحركة في قطاع غزة، بصفته نائب الشيخ الشيهد في حياته، وبذلك لم تسمح الحركة بحدوث أي فراغ قيادي إثر اغتيال الشيخ الشهيد، وقد تمت مبايعة القائد الجديد للحركة في القطاع في ملعب اليرموك بغزة، وتم الإعلان الرسمي عن مباركة المكتب السياسي لهذا الاختيار الشرعي والقانوني للدكتور المجاهد عبدالعزيز الرنتيسي.

لقد قلصت الطبيعة المؤسسية والشورية الجماعية لحركة حماس الكثير من سلبيات استشهاد الشيخ؛ حيث إن آليات القرار تتم بطريقة تضبط المسار وسياسات الحركة، وفقًا لمصلحة الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة، يعزز ذلك منظومة من القيم الأساسية الإسلامية والتنظيمية الراسخة، التي تكرس وحدة الحركة وتزيد بناءها قوة وصلابة، وخاصة عند المنعطفات السياسية الحادة.

وعلى صعيد آخر اكتسبت حماس وبرنامجها السياسي المقاوم، المزيد من المساندة والتأييد من الشعب الفلسطيني، والأمة العربية والإسلامية، فقد شهدت مختلف الساحات تفاعلًا كبيرًا، وفعاليات كثيرة، سياسية وجماهيرية، في وقت كان قد ضعف فيه صوت الجماهير والشعوب العربية، رغم العدوان المستمر على فلسطين والعراق. فجاءت جريمة الاغتيال لتعيد الحياة لحركة الجماهير وتفاعلها مع القضية الفلسطينية وحق المقاومة وحركة حماس.

هذا التفاعل يؤكد التفاف الجماهير حول الحركة والمقاومة، بما يزيد من تكريس شرعية المقاومة

وحركاتها؛ حيث إن استهداف المجاهد إنما هو محاولة لاستهداف المقاومة التي كان أحد أهم رموزها، استهداف لنموذج العزة والإباء والكرامة التي كان الشيخ عنوانها وتجسيدها في فلسطين والعالم العربي والإسلامي، وهذا ما يفسر التحرك الجماهيري في كل مكان يتواجد فيه عرب ومسلمون، تعبيرًا عن عقل جمعي واع لمكانة ورمزية الشيخ في الأمة، وبذلك فشل العدو في تسويق طرحه وتبريره لعملية الاغتيال، وفشل في الربط بين الشيخ وحماس وما يسمى بالإرهاب الدولي، وتعبيرًا عن هذا الموقف أدانت معظم دول العالم جريمة الاغتيال، بما في ذلك دول أوربية مؤثرة، ووصلت القضية إلى مجلس الأمن الدولي، ورغم أن الإدارة الأمريكية أجهضت قرارًا بإدانة العدو الصهيوني، فإن مجمل المواقف الدولية أكدت صراحة أو ضمنًا على مشروعية وحق المقاومة ضد الاحتلال، وعلى التفريق بين الإرهاب والمقاومة، الأمر الذي يزيد من قوة ومشروعية برنامج الحركة، وجهاد الشعب الفلسطيني.

لقد فاضت دماء الشيخ الشهيد ببركتها، لتشمل الواقع الفلسطيني بمجمله، فعززت الوحدة الوطنية، وشكلت حماية من محاولات البعض تفجير الساحة الفلسطينية، ومحاولة آخرين تقديم مزيد من التنازلات على صعيد حقوق شعبنا في مؤتمر القمة العربية، بل تجاوز ذلك إلى تأجيل فرض العقوبات الأمريكية على سوريا، وأعادت توحيد مشاعر الأمة حول المقاومة والقضية الفلسطينية، من إندونيسيا حتى موريتانيا، رغم الانقسامات والخلافات حول الكثير من القضايا.

❑ خِتَامًا:

لقد نسي أو تناسى هؤلاء القتلة أن المقاومة تحتضنها وتحميها الجماهير، وأن رحيل القادة واصطفاءهم للشهادة، يزيدهم رمزية وإلهامًا، يشكل لشعبنا وأُمتنا وقضيتنا قوة ودفعًا للأمام، ويبرز للأمة جمعاء رموزًا للعزة والكرامة تبقى خالدة في الأذهان والوجدان، تستلهم منهم المزيد من أسباب وعوامل النهوض والممانعة في مواجهة أعدائها والمتربصين بها.

أرادوا أن يقتلوا رمزًا ويحيدوا أثره في الشعب والأمة، فاكتملت باستشهاده الرمزية الكبرى في أبهى صورها، وأرقى معانيها، وإذا بالأمة جمعاء تبايع النهج والنموذج الذي مَثَّلَهُ لها الشيخ الشهيد، لقد أرادوا أن يضعفوا شعبنا والمقاومة، فإذا بها تستمد من مداد دمه قوة ومنعة وزادًا للاستمرار في هذا الطريق الطويل نحو التحرير الشامل.

لقد أثبتت الأحداث أن الحركة والقيادة التي تلتحم بشعبها، وتبذل في سبيل قضيته وحقوقه ما وسعها البذل، فإن الجماهير تبادلها بذلًا ببذل، وعطاءً بعطاء، حبًّا ووفاءً واقتداءً، لقد كان الشيخ نموذجًا فريدًا، في عطائه وزهده، والتحامه بهموم شعبه بكل شرائحه، فكان للجماهير القائد والموجه، وللشرائح الضعيفة السند والملاذ، وللمجاهدين الملهم والموجه الحكيم، الناظم للمسيرة، الضابط لإيقاع الأداء والمسار، صاحب الرؤية الثاقبة التي تدرجت بالحركة من إعادة الإحياء والدعوة، إلى البناء والتكوين، وصولًا إلى الثورة والجهاد والمقاومة، فكانت الشهادة مطلبًا ومسعى وأمنية، واصطفاء ربانيًّا مستحقًّا، لقائد رباني، أكمل بدمه الطاهر المسفوك ظلمًا على تراب الوطن، مسيرة عطاء وبذل وعرق، مسيرة تشهد عليها فلسطين بمساجدها ومؤسساتها وسجونها، أثمرت دعوة وصحوة، وجهادًا ممتدًا على مدى الزمن وفضاءات الوطن، لقد تم تغييب الشيخ الشهيد من بين ظهراني أبنائه وإخوانه وشعبه، لكنه باق فينا ما بقينا، وما بقيت في فلسطين آيات اللَّه تتلى في بيوت اللَّه بفضله ـ تَعَالَى ـ ثم بفضل عطائه، باق ما بقي لشعبنا أرض وقضية.

* * *

مَاذا سَأَشْدُو

ماذا سَأَشْدُو؟ والسَّمَاءُ بِقُدْسِهَا وَبِنُورِها.. فَرِحتْ لهَمْ..؟!!
.. والأرض لَمْلَمَتِ العبيرَ وَضَمَّختْهُ بعاطرٍ من ذِكْرِهِمْ
واللهُ قَرَّبَهُمْ وَمَدَّ العَرْشَ أَظْلاَلاً لِرَفْرَفِ خُلْدِهِمْ
وكَتَائِبُ الأَحْرَارِ شَدَّتْ في النِّضَالِ ضِيَاءَهَا مِنْ دَرْبِهِمْ
وخُطَا الشُّعوب تَضِلُّ إِنْ لَمْ تَسْتَمِدَّ حَيَاتَهَا مِنْ خَطْوِهِمْ
عَرَفُوا طَرِيقَ الخُلْدِ فاتَّجَهُوا إِلَيْهِ وَعَانَقُوهُ بِعُمْرِهِمْ
وبِرُوْحِهِمْ، وَبِسِرِّهِمْ
وَبِكُلِّ مَا حَمَلَتْ مَنَابِتُ كَرْمِهِمْ
وَبِكُلِّ مَا وَهَبَتْهُ أقداحُ الحياةِ لِدَمْعِهِمْ ولخمرِهِمْ
بالنُّورِ.. والأَغْلاَلِ تَرْفُضُ ضَوْءَهُ - مِنْ عِزَّةٍ - عَنْ لَيْلِهِمْ
بالحُبِّ .. وَالأَغْلاَلِ تَنْسَخُهُ لَظًى مُتَأَجِّجًا مِنْ سُخْطِهِمْ
بِالدَّم.. وَهوَ النَّارُ عَاطِشَةٌ مُدَمْدِمَةٌ لِسَاعَةِ ثأْرِهِمْ
بالحلْم.. وَهْو تميمَةُ الجُبَنَاءِ تَعْجِزُ أَنْ تَطُوفَ بِلَيْلِهِمْ
بِالرُّوحِ.. وَهْيَ الطَّائِرُ المَجْرُوحُ مِنْ غَيْظِ التُّرَابِ بِأَرْضِهِمْ
بِوُجُودِهِمْ.. وَوُجُودُهُمْ هَذَا التُّرابُ الحرُّ يَصْرُخُ تحتَهُمْ:
إِنْ لم أَكُنْ حُرًّا فَلاَ دَاسَتْ على وَجْهي عُرُوبَةُ وَجْهِهِمْ؛
رَدُّوا عليه بِأَنْ سَقَوْهُ بكُلِّ آخرِ قَطْرَةٍ في كأسِهِمْ
بِدمائِهِمْ، بِفدائهِمْ، بِمَضَائِهِمْ قَطَفُوا الحياةَ بِمَوْتِهِمْ
واللهِ مَا مَاتُوا.. ولا عَرَفَ الْبِلَى عِرْقًا يجِفُّ بجسْمِهِمْ
عَرَفُوا طريقَ الخُلْدِ فاتَّجَهُوا إليه وَبَايَعُوهُ بِعُمْرِهِمْ!!
مَنْ هؤلاءِ؟ هُمُ الَّذين مَشَاعِلُ الإِنْسانِ تحمِلُ ضَوْءَهُمْ

صَنَعُوا منَ الآجالِ مِصْباحًا عَرَفْتُ بِهِ أَشِعَّةَ شَمْسِهِمْ..
فَعَرَفْتُهُمْ لَمَّا رأيتُ العَارَ تَغْسِلُهُ الدماءُ بِجُرْحِهِمْ
وَعَرَفْتُهُمْ.. لَمَّا رأيتُ الذُّلَّ يَحْصُدهُ الإِباءُ بِكِبْرِهِمْ
وَعَرَفْتُهُمْ.. لَمَّا رَأَيْتُ اليأسَ بَدَّدَهُ اليقينُ بِعَزْمِهِمْ
وَعَرَفْتُهُمْ.. لَمَّا رأيتُ الأرضَ ترفَعُ رأسَها مِنْ بَأْسِهِمْ
وَبكلِّ يومٍ تَشْتَهِيهِمْ حاصدًا لِعَدُوِّهَا مِنْ تُرْبِهِمْ
وعَرَفْتُهم.. لما رأيْتُ كَرَامَةَ الأَوْطَانِ تَهْزَجُ بِاسْمِهِمْ
وَعَرَفْتُهُمْ.. لَمَّا اسْتَعْذَتُ وُجودَ وَجْهِيَ في الْوُجُودِ بِيَوْمِهِمْ
قَدْ كَانَ ضَاعَ وَضَاعَ.. حَتَّى عَادَ يَمْتَشِقُ الإِباءَ بِكَفِّهِمْ!!
شَهْدَاءُ تخْشَعُ كُلُّ ذَرَّاتِ الْفضَاءِ لِهالَةٍ مِنْ طُهْرهِمْ
وتَميسُ راياتُ المَعَارِكِ كُلَّمَا نَشَقتْ مَعارجَ عِطْرهِمْ
كُلُّ البطولَةِ قَطْرَةٌ شَرِبَتْ رَحِيقَ مِضَائِهَا مِنْ بَحْرِهِمْ
كُلُّ الثَّرى عَبْدٌ إِذَا لَمْ يَرْشُفُوهُ بِوَقْدَةٍ منْ جَمْرِهِمْ
شَهْدَاءُ.. صَوْتُ الحقِّ جَلْجَلَ كَالأَذانِ مُحَلِّقًا مِنْ صَوْتِهِمْ
شَهْدَاءُ.. رِيْحُ النَّصْرِ هَبَّتْ مِنْ لَظَى قَبَسِ اللَّظَى مِنْ صَدْرِهِمْ
ذَبَحُوا أَسَاطِيْرَ الطُّغَاةِ وَلَقَّنُوهَا آيَةً مِنْ دَرْسِهِمْ
وَمَضَوْا، ويَمْضِي كُلَّ يومٍ لِلْفَرَادِسِ زائِرٌ مِنْ رَكْبِهِمْ
حَتَّى تُغَرِّدَ في التُّرابِ حَقِيْقَةٌ تُشْجِي سَرَائِرَ طَيْرِهِمْ!!
حَيَّيْتُهُمْ في كُلِّ شِبْرٍ أَهْلَكُوا فِيْه سَلاَسِلَ قَيْدِهِمْ
وَطَرَقْتُ بَابَ الْخُلْدِ أَسْأَلُ أَيَّ رَوْضٍ في الأَرَائِكِ ضَمَّهُمْ؟
وَبِأَيِّ رَفْرَفِ جَنَّةٍ أَمْلاكُهَا وَطُيُورُهَا حَظِيَتْ بِهِمْ؟
فَعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ كَرَّمَهُمْ ونَعَّمَ بِالشَّهادَةِ قُرْبَهُمْ...
.. ماذَا أغني؟

والسَّمَاءُ بِقُدْسِهَا وبِنُوْرِهَا فَرِحتْ لهُمْ!!

.. أَنَا إِنْ شَدَوْتُ فلَن أكُونَ سِوَى صَدًى لِقَصِيْدَةٍ

مِنْ شِعْرِهِمْ؟؟[1]

---

(١)قصيدة «موسيقا من الشهداء» من ديوان «موسيقا من السر» لمحمود حسن إسماعيل (١٩٦٧ - ١٩٧٠)»، الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل دار سعاد الصّباح.

وفيها تصرف يسير لتوافق المعاني الشرعية.

الْبَابُ الخامس

مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ

وَحُبُوبُ سُنْبُلَةٍ تَجِفُّ ... سَتَمْلَأُ الْوَادِيَ سَنَابِلْ

***



الْبَابُ الخامس

مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ

● **مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ**

نعم، من ثمارهم عرفناهم؛ فكانوا ملء السمع والبصر.. وَتَزَيَّنَتْ بهم الدنيا.. فلله در الشيخ ياسين وما أعظم غرسه!!.

عن سهل بن سعد ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عِنْدَ اللَّهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ**»(١).

وعن أنس ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحُ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقُ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحُ لِلشَّرِّ مَغَالِيقُ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**»(٢).

لِلَّهِ مَا أَحْلَى قولَ القائلِ: «كَمْ مِنْ أُنَاسٍ مَوْتَى تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِمْ، وَأُنَاسٍ أَحْيَاءَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ بِرُؤْيَتِهِمْ»!!.

أحيا «**أحمد ياسين**» بعد موته قلوب الغافلين النوم.. فكيف في حياته.. كان - رحمه اللَّه - كالغيث لا يبالي على أي أرض سقط.. إن الغيث قد ينزل على الحبَّة في الحش ولا يمنعه نتن موضعها من أن تزهر ومن أن تثمر وتربو، لسان حال ياسين كان يقول:

إِنِّي أَنَا السِّفْرُ الَّذِي كَلِمَاتُهُ ... هَدْيٌ وَمِنْ كَلِمِ السَّمَاءِ بَيَانِي

---

(١) حسن : رواه الطبراني في المعجم الكبير، والضياء عن سهل، ورواه ابن ماجة ، وابن أبي عاصم في السنة، والخرائطي، والطيالسي، وأبو يعلى في مسنده، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤١٠٨).

(٢) حسن رواه ابن ماجة عن أنس، وحسنه الألباني في صحيح الجامعة رقم (٢٢٢٣)، الصحيحة برقم (١٣٣٢).

وَأَنَا أَنَا الْبَحْرُ الخِضَمُّ أَنَا الَّذِي ... حَاشَتْ غَوَارِبُهُ بِكُلِّ مَكَانِ
يُزْجِي إِلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ سَحَائِبًا ... وَلَقَدْ يَهِدُّ قَوَاعِدَ الطُّغْيَانِ
يَا مَعْشَرَ الْمُسْتَضْعَفِينَ تَحَصَّنُوا ... بِـ«الْفَتْحِ» وَ«الأَنْفَالِ» وَ«الرَّحْمَنِ»
هَذَا دَمِي مُتَوَهِّجًا يَا أُمَّتِي ... فَتَزَيَّنِي بِدَمِ الشَّهِيدِ تَحَانِي

ويا طيب ما غرس الشيخ أحمد ياسين في أمته وشعبه.

□ فِي حَيَاتِهِ: اللَّهُ أَوِ الدَّمَارُ... الإِسْلَامُ أَوِ العَفَنُ

إِسْلَامِيَّةُ الرَّايَةِ ثَمَرَةٌ غَالِيَةٌ مِنْ ثِمَارِ الشَّيْخِ يَاسِين

لقد أعطى الشيخ ياسين لأمته ولشعبه الكثير والكثير:

عَلَّمَ الجميع أنه لا حياة ولا عزَّ إلا تحت راية الإسلام، وإلا فلن ينتظر الجميع إلا الذل والعار.

عَلَّمَ أمته أنه لا آصِرَةَ أقوى من الإسلام، ولا راية إلا راية العقيدة، فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله.. ومن ثَم يتجمع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ما تتجمَّع عليه البهائم من كلأ ومرعى وقطيع وسياج!!

عَلَّم أمته وشعبه أن المسلم ذو نسب عريض، ضارب في شعاب الزمن، إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم، نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.. ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾.

هذا الموكب الكريم يواجه الضلال والعمى والطغيان والهوى والاضطهاد والبغي والتهديد والتشريد، ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو، مطمئن الضمير.

علمها أن هذه البشرية ـ وهي من صنع الله ـ لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله؛ ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده ـ سبحانه ـ، وأن في منهج الله وحده مفاتيح كل مغلق ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، ولكن هذه البشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه ولا أن تذهب بالمريض إلى

مبدعه، ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة المسكينة الحائرة.. البشرية التي لن تجد الرشد، ولن تجد الراحة، ولن تجد السعادة إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى خالقها.

يقول الشيخ «**أحمد ياسين**»: «أمتنا يوم خرجت عن منهج الله، حَطَّت عليها الهزائم ونزلت فوقها المصائب وتملَّكت قرارها أحطُّ الخلائق.. إنه ما من خلاص إلا بالعودة إلى الله، ومنهج السماء، ودعوة «**محمد بن عبدالله**». إن هذه الأمة ما كانت يومًا ذات عِز ومكانة إلا بالإسلام، وبدون الإسلام فلا غلبة ولا نصر، وسوف نظل نراوح الأقدام مع ما نحن فيه من تخلّف حتى يتسلم الراية والقيادة نفر من هذه الأمة ملتزم بالإسلام منهجًا وسلوكًا، حركة وتنظيمًا، ثقافة وجهادًا... هذا هو الطريق، فاللَّه أو الدمار»[١].

لقد كان الإسلام قد تسلم القيادة بعدما فسدت الأرض، وأَسِنَت الحياة، وتعفنت القيادات، وذاقت البشرية الويلات من القيادات المتعفنة؛ و﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن، وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن وبالشريعة المستمدة من هذا التصور.. فكان ذلك مولدًا جديدًا للإنسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته.

لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورًا جديدًا عن الوجود والحياة والقيم والنظم؛ كما حقق لها واقعًا اجتماعيًّا فريدًا، كان يعزُّ على خيالها تصوره مجرد تصور، قبل أن ينشئه لها القرآن إنشاء.. نعم! لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال، والعظمة والارتفاع، والبساطة واليسر، والواقعية والإيجابية، والتوازن والتناسق... بحيث لا يخطر للبشرية على بال، لولا أن اللَّه أراده لها، وحققه في حياتها.. في ظل الإسلام، ومنهج الإسلام وشريعته.

لقد صنع الإسلام في النفوس التي آمنت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، لقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم وأبعد آثارًا في أقدار الحياة، بل أبعد أثرًا في شكل الأرض ذاته. فكم غيَّر الإسلام والمسلمون من وجه الأرض، إلى جانب ما غيَّروا من وجه التاريخ؟!

---

(١) الشيخ الشهيد أحمد ياسين شموخ في زمن الإنكسار» ص ٥٥.

إن طبيعة الإسلام لتحتوي على قوة خارقة نافذة، والذين خالط الإسلام لحمهم ودماءهم من القرون الخيرية سيَّروا ما هو أضخم من الجبال، وهو تاريخ الأمم والأجيال، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض وهو جمود الأفكار وجمود التقاليد، وأحيوا ما هو أخمد من الموتى، وهو الشعوب التي قتلتها الأوهام وقتلها الطغيان.

أتى «**أحمد ياسين**» فقاد وطنه وأمته بالإسلام، وعاش عمره للإسلام وتحت راية الإسلام.. حوَّل الفكر من «**قومية القضية**» إلى «**إسلامية القضية**»، وصاح في قومه وأمته: «أينقص هذا الدين وأنا حَيٌّ» لا عذر لنا إن خلص إلى إسلامنا وفينا عين تطرف.

رأى الناسُ فيه جمال الإسلام وعظمته، ورأوا في غيره ثقلة الطين في كيانهم، وظلمة التراب، وكثافة اللحم والدم، وعرامة الشهوة والنزوة، رأوا في غيره اللبس والغبش في الرؤية.. والتأرجح والتردد في الخطوة والحيرة والشرود في الاتجاه والطريق البهيم الذي لا معالم فيه.

رأوا غيره عُميًا يلبسون أردية الفلاسفة والمفكرين والمشرعين والسياسيين.

رأوا في غيره من القوميين الذي لا يرفعون «**راية الإسلام فقط**» شقوة نكدة مكتوبة على قلوب تخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة، فما ذاقت طعم السلم والأمن في ذاتها.. رأوا في ظل الزعامات القومية والمنخوبة ظلمة التصورات والشهوات والنزعات والاندفاعات في التيه، وظلمة الحيرة والقلق والانقطاع عن الهدى والوحشة من الجناب الآمن المأنوس، وظلمة اضطراب القيم وتخلخل الأحكام والموازين بعيدًا عن طريق اللَّه ودين اللَّه المستقيم، المستقيم إلى اللَّه لا يلتوي ولا تلتبس فيه الحقائق والاتجاهات والغايات.

أتى «**أحمد ياسين**» فصاح في قومه بمقولة الصالحين من قبله: «**يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ أَنَّ لَهُ رِجَالًا**» فكان نعم الرجل على منهج الإسلام.

جاء «**ياسين**» وهو على يقين جازم أن قومه أهل فلسطين وأمته الإسلامية لن يستجيبوا إلا لنداء الإسلام، ولن يصلحوا إلا به، ولن يتفاعلوا إلا معه، وبهمته وعزيمته ارتفع نداء الإسلام وقوي واشتد، بارك اللَّه في حنجرته المؤمنة التي أطلقت نداء الإسلام، وبارك اللَّه في صوته المبارك الذي ارتفع بنداء الإسلام، وأسمع الأذن الواعية التي حَنَّت إلى سماع نداء الإسلام، والقلوب الحية التي تتفاعل بنداء الإيمان، والحياة الكريمة التي تزكو وتطهر بنداء الإسلام ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

نشر «**ياسين**» ضياء الإسلام بشموله، وحمل راية الإسلام مفتخرًا بها، لا يَتَدَسَّسُ بإسلامه؛ إذ ليس فيه ما يشين، بل فيه العزُّ كل العز.

* **أَسْمَعَ «يَاسِينُ» الدُّنْيَا نِدَاءَهُ:**

لَا لَـنْ نَـذِلَّ فَـهَـذِهِ رَايَـاتُـنَـا ... رَغْمَ الْعَوَاصِفِ وَالدُّجَىٰ لَمْ تَحْجُمِ

ظَمْأَى يُحَرِّكُهَا نِدَاؤُكِ كُلَّمَا ... عَصَفَ الطُّغَاةُ بِرَكْبِهَا الْمُتَقَدِّمِ

لَا عِـزَّ إِلَّا بِـالْـكِـتَـابِ يَـقُـودُنَـا ... أَكْرِمْ بِأَحْسَنِ قَائِدٍ وَمُعَلِّمِ

* **أَسْمَعَ «يَاسِينُ» أَهْلَهُ وَذَوِيهِ وَالدُّنْيَا كُلَّهَا «نِدَاءَ الْإِسْلَامِ» سَنَطِبُّ الْعَالَمَ بِدَوَائِنَا:**

عَائِدٌ أَنَا مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ
عَائِدٌ أَنَا لِمَسْجِدِي
عَائِدٌ إِلَى الصَّلَاةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ
عَائِدٌ إِلَى الطَّرِيقِ خَلْفَ أَحْمَدَ الرَّسُولِ
أُطْلِقُ الْخُطَا حَزِينَةً فِي إِثْرِهِ
عَرَفْتُ قِصَّةَ الطَّرِيقِ كُلَّهَا..
وَعَائِدٌ أَنَا بِرَغْمِهَا
كَالْفَجْرِ.. كَالصَّبَاحِ.. مُغْدِقٌ وَبَاسِمُ
وَالْخَطْوُ كَالرِّيَاحِ.. عَاصِفٌ وَعَارِمُ
لَا بَدِيلَ لِلْخُلُودِ
لَا بَدِيلَ لِلْإِسْلَامِ
لَا بَدِيلَ
لَا بَدِيلَ غَيْرُ ذِلَّةِ الرُّغَامِ
لَا بَدِيلَ غَيْرُ خُدْعَةِ السَّرَابِ
لَا بَدِيلَ غَيْرُ وَهْدَةِ الظَّلَامِ

لَا بَدِيلَ لِلْإِسْلَامِ غَيْرُ سَحْقَةِ الْأَقْدَامِ

* لَقَدْ صَاحَ «يَاسِينُ» فِي أَهْلِ فِلَسْطِينَ بِمَقَالَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ: «**نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَإِنْ ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ فِي غَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ**».

لقد رَدَّ - رحمه اللّه - على أهل فلسطين إيمانهم بأنفسهم، وثقتهم بماضيهم ورجاءهم في مستقبلهم، ردَّ عليهم إيمانهم بهذا الدين الذي يحملون اسمه ويجهلون كنهه.. وصاح فيهم «**وا إسلاماه**».

جرعة من كأس الإسلام بيد «**أحمد ياسين**» في أرض الإسراء أروت العقول والقلوب، وأعادت إلى الناس أذان بدر واليرموك، وجرس سورة الأنفال والتوبة، وسيف صلاح الدين، والقادسية، وعين جالوت، وحطين.

صنع أحمد ياسين بالإسلام الرجال العظام، لقد نقلهم بالإسلام من واقع بشري نكد واقع النعرة القومية والمستنقع الشيوعي والاشتراكي .. مستنقع جيفارا ولينين وكاسترو ذلك المستنقع الآسن الذي تمرَّغ فيه الثوار والمناضلون - بزعمهم - أراهم على الأفق الصاعد «**راية الإسلام**» راية النجاة تلوح للمكدودين في هجير الصحراء المحرق، والمرتقى الوضيء النظيف يلوح للغارقين في المستنقع؛ وعلمهم أن قيادة البشرية إنْ لم تُرَدَّ إلى الإسلام فهي في طريقها إلى الارتكاس الشائن لكل تاريخ الإنسان، ولكل معنى من معاني الإنسان.

*لقد غرس «**ياسين**» في قومه ذلكم الْمُعْتَقَدَ العظيمَ: «إن رصيد الإيمان الذي تقوم الأمة المسلمة حارسةً عليه في الأرض ووارثةً له منذ أقدم الرسالات هو أكرم رصيد وأقومه في حياة البشرية؛ إنه رصيد من الهدى والنور، ومن الثقة والطمأنينة، ومن الرضا والسعادة، ومن المعرفة واليقين». وما يخلو قلب بشري من هذا الرصيد حتى يجتاحه القلق والظلام، وتغمره الوساوس والشكوك، ويستبد به الأسى والشقاء، ثم يروح يتخبط في ظلماء طاغية، لا يعرف أين يضع قدميه في التِّيهِ الكئيب؟!

* لقد رَسَّخَ الشيخ «**ياسين**» في قومه أيضًا مُعْتَقَدَ أن «**راية الإسلام**» تحتها أرقى تصور للوجود والحياة، وأقوم منهج بلا مراء، وأن هذه الراية هي الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخاه ويحرص عليه، وغير الإسلام ينبغي للإنسان أن ينفر منه ويتقي أن يوصم به؛ فلا يعرض عن منهج الإسلام

و«**راية الإسلام**» إلا سفيهٌ يرفض الرشد؛ يترك الرشد إلى الغيِّ، ويدع الهدى إلى الضلال، ويؤثر التخبط والقلق والهبوط وَالضَّآلَةَ على الطمأنينة والسلام والرفعة والاستعلاء، لا يتولى عن هذه الراية «**راية العقيدة**» إلا موكوس منكوس مطموس، شاذ في هذا الوجود الكبير، ناشز في وسط الكون الطائع المستسلم المستجيب، دَجَّال يقود أمته إلى تِيهِ النفاق والدجل وويلات الضلال والعمى في نعرات «القومية»، و«الاشتراكية»، و«المد الثوري»، وويلات الضياع والخواءِ، وويلات التصور والاعتقاد وتمجيد جيفارا ولينين، وويلات التخبط والاضطراب.

*لقد التقط الشيخ «**أحمد ياسين**» قومه من سفح هذه النعرات وَدَرَكِهَا، وسار بهم في الطريق الصاعد إلى القمة السامقة، وجعلهم ينظرون من عَلٍ إلى سائر الأمم من حولهم في السفح، في كل جانب من جوانب الحياة.

عرف أهل فلسطين السفح؛ سفح النعرات الكاذبة، وعرفوا القمة «**راية الإسلام**»؛ فاختاروا لأنفسهم «**راية الإسلام**» حظًّا ونصيبًا.

* وأثمر غرس الإسلام في أرض فلسطين رياحينَ ونسرينًا، ورأينا الأعاجيب تخرج من دوحَةِ الإسلام المباركة في أرض فلسطين.

وهكذا ردَّ «**أحمد ياسين**» القضية الفلسطينية إلى أصلها؛ وهو أن الصراع ليس صراعًا بين شعبين على قطعة أرض، وإنما هو صراع أمة إسلامية كاملة ضد محتلين وضد تيار صهيوني وعقيدة فاسدة، صراع بين كفر وإيمان.

* * *

التَّمَرَةُ الثَّانِيَةُ

ثِمَارُ يَاسِينَ الْبَاسِقَاتُ فِي نِسَاءِ فِلَسْطِينَ الصَّالِحَاتِ

❑ خَنْسَاءُ مِنْ أَرْضِ الْإِسْرَاءِ:

أينعت ثمار بستان «**أحمد ياسين**» الداعي إلى «**إسلامية الراية**» للقضية الفلسطينية بظهور المرابطات.. المرأة الفلسطينية الملتزمة بتعاليم دينها، المجاهدة التي لا نملك نحن الرجالَ روحَها

الوثابةَ التي تهرول نحو الموت دون وَجَلٍ أو تراجعٍ .. لا نملك نحن الرجالَ يقينَهَا الذي يجعلها ترى فَقْدَ الأحبةِ آباءً وأزواجًا وأبناءً غنائمَ مؤجلةً، فتصبر وتحتسب .. لا نملك قدرتَهَا الأسطوريةَ على تحويل مرارة المأساة إلى حلوى توزعها يوم موت فلذة كبدها، وكأنها تزفُّه وتستعد لزيارته في بيت عرسه!!.

❑ وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ الْغَرْسِ الْيَاسِينِيِّ بِتَأْيِيدٍ مِنَ الْعَوْنِ الْإِلَهِيِّ:

● **أُمُّ مُحَمَّدٍ وَأُمُّ نِضَالٍ:**

كل أم فلسطينية ملتزمة تحت «**راية الإسلام**» فقط نموذج متفرد من التعالي على الزائل طمعًا في الأبقى، ومن تحويل لهفة الأمومة الدافقة إلى لهفة على المسجد الأسير الصابر، والوطن المسلوب.

أم محمد حلس (٢٠ عامًا) المجاهد الفتيّ، قَبَّلَتْهُ وهو ذاهب إلى مستوطنة «نتساريم» للقيام بعملية استشهادية، قتل وأصاب فيها أكثر من (٢٠ مستوطنًا)، ابتلعت دموعها وقالت: «**لَا حَمَلَتْ وَلَا وَلَدَتْ مَنْ لَا تُوَدِّعُ ابْنَهَا إِلَى الشَّهَادَةِ أَوِ الزَّنَازِينِ بِالزَّغَارِيدِ**».

وعندما جاءها خبر قتله في سبيل الله، وقفت تتلقى تهاني جاراتها، وتوزع عليهن الحلوى، وتقول: «**أحتسبه عند اللَّه شهيدًا، اللهم اجعل هذا العمل في ميزان حسناته، يا رب أنت أعلم وأدرى بالحال، ولكن الموت في ظل المقاومة أفضل ألف مرة من الموت على فراش المرض**».

كان البطل «محمد حلس» كثير الصوم والصلاة، بشوشًا متعاونًا، هكذا وصفته أمه، وهي تحكي كيف صارحها برغبته في الشهادة، فباركت هذه الرغبة، واشترطت عليه ألا يعود جريحًا، بل شهيدًا، وأوصته: «**لا تترك للأعداء الفرصة لقتلك قبل أن تثأر منهم، وَجِّهْ سلاحك بدقة في وجه الأعداء، وانتقم لأبناء شعبك وأهلك**».

يبدو أن المشترك بين أم نضال وأم محمد ليس الصمود الفذَّ فقط؛ فكلتاهما اختارتا محمدًا اسمًا لولديهما؛ ليكونا على خُطَا رسول اللَّه ﷺ، كلتاهما فرحتا لابنيهما بالشهادة، وأرضعتا، وأشبعتا؛ فالأمَّان شريكتان في الجهاد، وابناهما أيضًا شريكان؛ فمن المفارقات أن «محمد حلس» كان مرشحًا للقيام بعملية مستوطنة «عتصيمونا»، وفي آخر لحظة تَمَّ استبدال الشهيد «محمد فرحات» ابن أم نضال به؛ فحزن حزنًا شديدًا على حدِّ قول أمه التي واسته وقالت له: إنه عمَّا

قريب سينفذ عملية أخرى في قلب الأعداء. وقد حدث واستشهد «محمد» ورصاص العدو في جسده شاهدٌ على بطولته، وانضمَّت الأُمَّان إلى قائمة نورانية زَيَّنَتْهَا من قبلُ أمهات وزوجات تجاوزن أحزان الفقد، وصمدن، وصبرن، ولكن هاتين لم تنتظرا تلك الأحزان، لقد سعيا إليها، ودفعتا المُحَمَّدَيْنِ إلى الشهادة، اختارتا الفقد المؤقت لكسب ما هو أبقى وأدوم وأحبُّ.

❑ أُمُّ بَكْرٍ:

و«**أم بكر**» زوجة جمال منصور أحد قيادي حماس الذي اغتاله يد الغدر اليهودية تترمل لتصبح مسئولة عن أولادها الخمسة، صبرت واحتسبت وقالت بعد استشهاده: «**أحمدُ اللَّه أن اختار زوجي شهيدًا؛ ليفتح لنا طريقًا إلى الجنة، ونكون من السبعين الذين سيشفع لهم - إن شاء الله**»، وأضافت: «**اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها؛ فَقَدْ فَقَدَ أولادي الكثير باستشهاد والدهم الذي كان يتفنن في إدخال السعادة على قلوبهم**».

تقول «منى الزقة» أم بكر عن زوجها جمال منصور: «عندما خطبني طِرْتُ من السعادة؛ فلم أكن أتوقع أن أتزوج مثله، ولم أصدِّق أنني سأكون رفيقة دربه؛ فقد كان واسع الاطلاع، شديد الحساسية، حديثه يأسر الألباب، ولقد فقدتُ باستشهاده الصديق الصدوق؛ إذ كان الرسول ﷺ قدوته؛ ولذلك لم أعرفه إلا وقد أَتْبَعَ القولَ بالعملِ، والمصيبةَ بالصبرِ، والشدائدَ بالتحمُّلِ، تعلَّمت منه الصبرَ وَوَضْعَ الأمورِ في نصابها، كان يختم القرآن وهو معتقل يوميًّا، ويعالج شجار الصغار بالقرآن».

وتمسح أم بكر دموع الفراق المؤقت - إن شاء اللَّه - لتوجه رسالة لكل زوجة أو أم أو ابنة شهيد: «**كُنَّ يا أخواتي على ثقة بنصر الله، وإذا كنتنَّ قد تعبتنَّ وتألمتنَّ فاعلمنَ أن الجنة جزاء صبركنَّ؛ فشهداؤنا في الجنة، وقتلى اليهود في النار، وقال - سبحانه -:** ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾».

إن أهم وأعمق أدوار المرأة الفلسطينية في الانتفاضة هو أنها حوَّلت بيتها إلى ساحة جهاد صغرى تتفاعل وتتلاقح فيها قيم الوعي والبطولة والإيثار والتضحية، ويصبح حب العقيدة والوطن خبزًا يوميًّا تطعمه لأبنائها، وتربط على قلبها، وهي تنذرهم شهداء، وتمضغ مشاعر

أمومتها حتى لا تضعف أو تتراجع[1].

* * *

الثَّمَرَةُ الثَّالِثَةُ

يَاسِينُ يَنْقُلُ الصِّرَاعَ إِلَى الدَّاخِلِ

❑ **وهذه مهمة في غاية الأهمية؛ فقد كانت منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح تقود النضال الفلسطيني من خارج أرض فلسطين، وبالطبع كان ذلك هينًا على اليهود؛ لأن المقاومة كانت بسيطة؛ فعدم وجود القيادات داخل فلسطين يُبْقِي الحماسة ضعيفة. فكان من أوليات حماس أن تكون المقاومة من داخل فلسطين وليس من خارجها، وأن تكون قيادات حماس في أول الصف.**

* * *

الثَّمَرَةُ الرَّابِعَةُ

الشَّيْخُ يَاسِينُ يُعَلِّمُ النَّاسَ مَعْنَى الصُّمُودِ وَالثَّبَاتِ

ومن أهم الدروس التي تعلمها الناس من بستان ياسين معنى الصمود والثبات على الحق والمنهج بدلًا من الأرجحة، والتخبط، وغبش الرؤى، وانبطاح المستسلمين الخانعين أملًا في سراب كاذب، والتخلي عن أهم الثوابت في دنيا المسلم علم شعبه الثبات على المنهج، وما فائدة الحياة من غير صمود وثبات؟!.

أنتزعزع وإسلامنا عميق في منابت التاريخ، ضارب في الزمن، نابعٌ من السماء، أُنْزِلَ إلينا من الله؟!

(١) انظر «نساء من أرض الإسراء» للأستاذة نور الهدى سعد، رسائل القدس (٦).

أعن الجنة نَفِرٌ؟! أنرغب عن جوار اللَّه ورؤيته؟! أيملك القلب صبرًا عن العيش مع النبيين في دار غَرَسَهَا الرحمن بيده؟ أَنَفِرٌ عن الحور العين؟

لقد صدق في غيره قول القائل:

كُلُّ يَوْمٍ تَتَلَوَّنْ غَيْرَ هذا بك أَجْمَلْ

غيره بعد أن آتاهم اللَّه من آياته، وخلع عليهم من فضله، ودعاهم للهدى والارتفاع، رضوا بالهبوط من الأفق المشرق والالتصاق بالطين المعتم!!

ورضوا بعلمانية دولتهم قبل أن توجد في دنيا الواقع، وَتَخَلَّوْا عن كل ما دعوا إليه من ثوابت في كفاحهم المزعوم؛ فكان كل واحد منهم غرضًا للشيطان لا يقيه منه واقٍ، ولا يحميه منه حَامٍ؛ فكان مَنْ تزعزع مسخًا بائسًا نكدًا شائه الكيان هابطًا عن مكان الإنسان إلى مكان الحيوان:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

كالكلب الذي يتمرَّغ في الطين .. وكان له من الإيمان جناح يرفُّ به إلى عليين .. كان من فطرته الأولى في أحسن تقويم، فإذا به يَنْحَطُّ إلى أسفل سافلين!!.

هل هناك أشقى من إنسان ينسلخ ويتعرَّى من الهدى بعد أن عرفه؛ فلا يهدأ، ولا يطمئن، ولا يسكن إلى قرار، ويهبط حائرًا قلقًا لاهثًا أبدًا؟!

أيرضى عاقل بعد أن عرف الطريق، ووضحت له الآيات من كتاب الله، وصحت عنده الأحاديث من رسول الله، وعرف أقوال أهل العلم أن يكون حاله كحال الكلب الذي يأتي إلى السبع ملك الغابة.. فيقول له: يا ملك الغابة غَيِّرْ لي اسمي؛ فإن (كلبًا) اسم قبيح. فيقول له السبع: نعطيك قطعة من اللحم تبقى عندك إلى الليل، فإنْ بقيتْ عندك إلى الليل، أعطيناك ما تريد.

فإذا جاء وقت الظهيرة بقيظه وهجيره، يشتد بالكلب الجوع، فينظر إلى اللحم ويلتهمه ويقول: كلبٌ كلبٌ.. إن كلبًا اسمٌ جميل، ثم يأتي إلى السبع ليلًا لتغيير اسمه، فيقول له السبع: ائتمناك

على قطعة من اللحم فلم تحفظها، فكيف نأتمنك على الاسم الجميل؟!

● **كَمِ الفَرْقُ؟**

كم الفرق بين «**ياسين**» الذي كان على عهده دومًا يقول: «**أرض فلسطين أرض عربية إسلامية، اغْتُصِبَتْ بقوة السلاح مِنْ قِبَل اليهود الصهاينة، ولن تعود إلا بقوة السلاح، وهي أرض وقف إسلامي، لا يجوز التنازل عن شبر منها حتى وإن كنا لا نملك الآن القوة اللازمة لتحريرها**»، وبين غيره الذي أعطى كل شيء وتخلى عن كل شيء من الثوابت عنده من بنود الميثاق الوطني الفلسطيني...

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ ... إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

في تعليقه على اتفاق أوسلو قال الشاعر الشيوعي محمود درويش: «**إننا دخلنا بهذه الاتفاقية[1] إلى زمن بغير ماض، وتنازلنا ضمن ما تنازلنا عنه عن كل التاريخ الفلسطيني**»[2].

وقال شفيق الحوت: «**إن اتفاق أوسلو أطاح بكل الثوابت الفلسطينية**».

* * *

الثَّمَرَةُ الخَامِسَةُ

الإِنْتِفَاضَةُ الْمُبَارَكَةُ؛ فَالشَّيْخُ يَاسِينُ زَعِيمُهَا وَشَيْخُهَا

من ثمار بستان جهاد ودعوة الشيخ «**ياسين**» هذه الانتفاضة التي باركها أهل العلم.

*فَقَدْ سُئِلَ شيخ العصر، الشيخ ابن باز ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ما تقول الشريعة الإسلامية في جهاد الفلسطينيين الحالي: هل هو جهاد في سبيل اللَّه أم جهاد في سبيل الأرض والحرية...؟»[3].

* فَأَجَابَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «لقد ثبت لدينا بشهادة العدول الثقات أن الانتفاضة الفلسطينية

---

(١) اتفاق أسلو

(٢) انظر «سلام الأوهام ـ أوسلوا وما قبلها وما بعدها» لمحمد حسنين هيكل، ص ٣١٥، دار الشروق.

(٣) نشر في مجلة البحوث الإسلامية العدد ٤٨ عام ١٤١٠هـ وفي مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز، ٤١٦/١٨.

والقائمين بها من خواص المسلمين هناك، وأن جهادهم إسلامي؛ لأنهم مظلومون من اليهود، ولأن الواجب عليهم الدفاع عن دينهم وأنفسهم وأهليهم وأولادهم، وإخراج عدوهم من أرضهم بكل ما استطاعوا من قوة. وقد أخبرنا الثقات الذين خالطوهم في جهادهم وشاركوهم في ذلك عن حماسهم الإسلامي وحرصهم على تطبيق الشريعة الإسلامية فيما بينهم، فالواجب على الدول الإسلامية وعلى بقية المسلمين تأييدهم ودعمهم؛ ليتخلصوا من عدوهم وليرجعوا إلى بلادهم، عملًا بقول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقوله - سبحانه -: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

وقوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠- ١٣].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وَصَحَّ عن الرسول ﷺ أنه قال: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُم**»(١).

ولأنهم مظلومون، فالواجب على إخوانهم المسلمين نصرهم على مَنْ ظلمهم؛ لقول النبي ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ**» [متفق على صحته](٢)، وقوله ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟! قَالَ: «**تَحْجِزُهُ عَنِ الظُّلْمِ فَذَلِكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ**»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، مسند أنس بن مالك برقم (١١٨٣٧)، أبو داود في (الجهاد) باب كراهية ترك الغزو برقم (٢٥٠٤).

(٢) رواه البخاري في (المظالم والغصب) باب لا يظلم المسلم برقم (٢٤٤٢)، ومسلم في (البر والصلة والآداب) باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٠).

(٣) رواه البخاري في (الإكراه) باب يمين الرجل لصاحبه برقم ٦٩٥٢، والترمذي في الفتن باب ما جاء في النهي عن سب الرياح برقم (٢٢٥٥).

والأحاديث في وجوب الجهاد في سبيل الله، ونصر المظلوم، وردع الظالم كثيرة جدًّا.

فنسأل اللَّه أن ينصر إخواننا المجاهدين في سبيل اللَّه في فلسطين وفي غيرها على عدوهم، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يوفق المسلمين جميعًا لمساعدتهم والوقوف في صفهم ضد عدوهم، وأن يخذل أعداء الإسلام أينما كانوا، وينزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين؛ إنه سميع قريب».

يدلي الشيخ «**أحمد ياسين**» بشهادته حول الانتفاضة الأولى وكيف اندلعت في شهر ديسمبر عام (١٩٨٧)، والبيان الأول للانتفاضة وكيف أخذ الإسلاميون زمام المبادرة من البداية، والفارق الزمني بين بيان الإسلاميين وبيان الفصائل الفلسطينية الأخرى والذي صدر بعد بيان الإسلاميين بأكثر من شهر.

يقول الشيخ أحمد ياسين: «في الحقيقة إن الانتفاضة في بدايتها كانت حادثًا عابرًا في البداية؛ حيث كان رجلٌ إسرائيليٌّ يركب مقطورة فَدَهَمْ سيارة عمال فلسطينيين عائدين من العمل داخل إسرائيل؛ فَقَتَلَ أربعة متعمدًا؛ فَثَارَ الشعب الفلسطيني في غزة وَهَاجَ، وَاعْتَبَرَ هذا عملًا متعمدًا وعدوانيًّا من الإسرائيليين، وحينما جاء الإخوة في بلدة (جباليا) لدفن القتلى، حملوا النعوش وساروا بها في شوارع القرية مرة، واثنتين، وثلاثًا؛ حتى استطاعوا أن يجمعوا أكبر عدد من الناس في الجنازات.

اتجهت مسيرة الجنازة إلى المقبرة الكائنة بين قرية جباليا ومعسكر جباليا للاجئين، معسكر جباليا طَبْعًا ـ كما تعرف اللاجئين ـ في حالة ثوران وغليان دائم، فلما رأوا مسيرة الجنازة وصلت إلى المقبرة خرج المعسكر لينضم إليهم، بعد أن فرغوا من دفن الجنازات، الحماس والهيجان دفع الناس إلى التوجه إلى مركز الشرطة الإسرائيلي ـ وهو قائم بقرب المقبرة ـ وهاجموه بالحجارة، ورد الجنود الإسرائيليون بالنار، وسقط شهيد، وسقط العديد من الجرحى، نقلوا إلى مستشفى الشفاء في ذلك اليوم، اللي هو يوم (١٢/٨(ديسمبر)/ ١٩٨٧).

كانت هذه هي الشرارة الأولى التي كانت مصادفةً، وفي اليوم التالي، يوم الثلاثاء (٩ ديسمبر) انتقل الناس إلى المستشفى لإعطاء الدم للجرحى.

وكان على رأس المتوجهين طلاب الجامعة الإسلامية في غزة، والذين كانوا هم رأس الحربة في

مواجهة الإسرائيليين في غزة؛ في كل يوم كانت هناك مشاكل وصدامات وحصار للجامعة؛ فالطلاب كانوا يقودون مسيرة المواجهة مع إسرائيل في ذلك الوقت، وصارت مواجهات شديدة وصعبة في المستشفى، مولوتوف، وحجارة، وقنابل، وجرحى جدد، وصدامات جديدة، والعالم يتفرج على التليفزيون على هذا المشهد، كانت الحركة الإسلامية في يوم الثلاثاء ذاك قررت عقد اجتماع طارئ في المساء، وجلسنا ندرس هذا الواقع، وكيف نستثمره بشكل صحيح ونطوره، وفي أثناء الاجتماع جاءنا خبر أن السلطة الإسرائيلية أغلقت الجامعة الإسلامية ـ كَعَادَتِهَا ـ؛ حيث كانت في كل مواجهة تغلقها على أساس أنها تُنْهِي الصدام وتوقفه، هنا قررنا أن ننقل المواجهة إلى الشوارع؛ فالقيادات كانت كلها جالسة، وقلنا: من يستطيع أن يبدأ العمل غدًا؟ كنا يوم الأربعاء وبعده الخميس والجمعة... لم يكن هناك إمكانية؛ كانت لا زالت هناك استعدادات، فاتفق الجميع أن تُعْطَي مهلة يومين للإعداد، ثم نبدأ المواجهة من الشوارع».

* أَمَّا عَنِ اسْتِرَاتِيجِيَّةِ الْمُوَاجَهَةِ الَّتِي وَضَعُوهَا فَيَقُولُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ يَاسِين:

«المواجهة.. أن نواجه الجيش الإسرائيلي بالمظاهرات، والحجارة، والمولوتوف مواجهات شعبية، وبدأت المواجهات، طبعًا جباليا التي صار فيها صدام نامت؛ لأنها ليس هناك تخطيط خلفها، ونحن نقلنا المعركة من جباليا إلى خان يونس، وبدأت المسيرات تخرج من المساجد، والأناشيد الحماسية، وبدأت المواجهات في خان يونس يوم السبت صباحًا.

❑ الْبَيَانُ الْأَوَّلُ لِلانْتِفَاضَةِ:

بدأنا هذه المواجهة من خان يونس، ثم نقلناها إلى معسكر الشاطئ في غزة، ثم انتقلت إلى المعسكرات الأخرى، انتقلت إلى الحارات في غزة، بدأنا ننقلها، انتقلت إلى رفح، ننقلها كل مرة إلى مكان على حسب استعداد المنطقة في العمل والحركة، وكنا في هذه الجلسة قررنا أن نصدر البيان الأول، الذي صدر في (١٢/١٤)، الذي يمثل المواجهة، وأنا الذي كنت قد أمليتُ البيان الأول للأخ الذي كان قاعدًا بجانبي، أخذه وخرج فطبعه وزعناه في يوم (١٩٨٧/١٢/١٤).

* * * *

* **أحمد منصور:** وهذا يعتبر أول بيان صدر عن الانتفاضة؟

* **أحمد ياسين:** عن الانتفاضة الفلسطينية كان أول بيان...

* **أحمد منصور ـ مقاطعًا ـ:** لكن قادة فتح أو منظمة التحرير يقولون: إنهم وراء أول بيان صدر؟

* **أحمد ياسين ـ مستأنفًا ـ:** يا سيدي أول بيان...

* **أحمد منصور ـ مقاطعًا ـ:** وأنهم وراء ظهور الانتفاضة.

* **أحمد ياسين ـ مستأنفًا ـ:** ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾!! أول بيان لهم نزل بعد الانتفاضة في (٨ يناير ١٩٨٨) أول بيان للمقاومة التي تتبع حركة فتح، والجبهة الشعبية، والمنظمات... كان في (٨ يناير)؛ يعني: فرق شهر بين هذا وبين هذا، فلو كانوا هم الذين بدءوها لكانوا هم الذين نزلوا في هذه الساعة.

* **أحمد منصور:** هل تذكر المحتويات الأساسية للبيان الأول للانتفاضة؟ وهل كان يحمل استراتيجية طويلة المدى أو مجرد بيان مؤقت؟

* **أحمد ياسين:** لا، لا، كان مجرد أننا أصحاب حق، وأننا وصلنا إلى مرحلة لا نحسد عليها، وأننا فقدنا كل شيء، وأنه لا بدَّ لنا من أن نواجه هذا المحتل حتى يزول عن أرضنا، وأننا على استعداد أن نستمر في تضحياتنا، ولماذا لا نضحي؟! كما قلت في العبارة يومها في ذلك البيان: «**وَأَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ؟!**»، هذه كانت عبارة بالنص في أول بيان.

إحنا غرقانين[(١)]، إحنا ورطانين[(٢)] اقتصاديًّا، سياسيًّا، في كل شيء غرقى، نحن فقدنا كل شيء، فلماذا نخاف بعد ذلك؟! ومن أي شيء؟! «**وَأَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ؟!**»، وكانت هذه العبارة مجال نقاش طويل بين خبراء إسرائيليين على التليفزيون، يناقشون العبارة هذه، «**وَأَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ؟!**»، والحمد لله كان صدًى جيدًا، كان عملًا جيدًا، وكان عملًا مثمرًا، ونحن ـ في الحقيقة ـ في فترة بعد شهر أشفقنا على الشعب من كثرة المعاناة، حصار (١٥ يومًا) للمخيم، يفكون عنه منع التجول ساعة أو ساعتين فقط حتى يتزود بالأكل والشراب.

لكن كان شعبنا عظيمًا والله؛ كان يجمع الطعام من المناطق المفتوحة، ويُدخلها إلى المناطق المحاصرة في ساعات الفتح، فتجد الناس يتغذون بالطعام والشراب والمساعدات من كل جانب،

---

(١) أي غرقى.

(٢) ورطانين بالعامية ومعناها بالعربية متورطون.

وهذا عمل عظيم جدًّا، يعني لم نكن نتصور أن الشعوب قادرة على تحمل مثل هذا.

❑ مَسِيرَةُ الانْتِفَاضَةِ:

* **أحمد منصور:** في هذه الفترة أو في الأيام الأولى للانتفاضة الفلسطينية: هل كانت قاصرة - يعني الانتفاضة والحركة والمظاهرات - على الحركة الإسلامية وأنصارها، أو أن الشارع الفلسطيني دخل كمحورٍ رئيسي فيها؟

* **أحمد ياسين:** دائمًا الأحداث تحتاج إلى مَنْ يستثمرها، مَنْ يستفيد منها، نحن لو لم نستثمر هذه الحادثة ونطورها، ويتحرك الشارع معنا، لم يكن ليحدث شيء من هذا.

❑ نَحْنُ كَيْفَ بَدَأْنَا نَجْمَعُ النَّاسَ؟

أولًا: طلب أبناء الحركة أن يجتمعوا في مكان مسجد في خان يونس وإذاعة الأناشيد الحماسية في الميكرفون، وبدأت تُسْمِعُ كل الناس، بدأ الشباب يتجمعون من كل مكان، حتى صارت مسيرة ضخمة، وتَمَّ عمل جنازة وهمية، وَحُمِلَتْ النعوشُ على الأكتاف، وبدأت الهتافات، وخرجت في الشوارع، واصطدمت بالجيش، وبدأ الصدام والجرحى، والذي كان مجروحًا والذي كان مبطوشًا، وكل يوم تبدأ بيوم صباحي ومسائي حتى كان العدو الصهيوني يائسًا جدًّا من الموقف...

* **أحمد منصور:** كيف تحمَّل الناس في البداية القضية؟! طبعًا الذي كان يشارك في الانتفاضة لَا بُدَّ أن يتوقف عن عمله، لَا بدَّ أن يجهز من الليل ما الذي سيفعله بالنهار، قضية الحصول على الطعام، وهذه قضية عائلات، ومعروف أن قطاع غزة مكتظٌّ جدًّا بالسكان وبأعداد الناس؛ يعني: كيف كان يوازن الناس ما بين المشاركة في الانتفاضة وما بين ترتيب أمورهم الحياتية؟

* **أحمد ياسين:** الناس طبعًا كانوا في أشد السعادة، وهم يحسون أنهم يواجهون العدو الذي ظلمهم طول الوقت، والذي قهرهم طوال الوقت؛ يعني: كانت عبارة عن تنفس الصعداء الشعبي في مواجهة المحتل الغاصب، التاجر طبعًا كان هناك مستعدًّا أن يتحمل، والناس مستعدة أن تتحمل، وكل هذه الإمكانات كانت في ساعات فك الطوق، كله كان يتزود؛ يعني: الدكان بدل ما يفتح (٢٤) ساعة يبيع، في الساعتين المسموح فيهما يبيع نفس الشيء، لكن الناس كانوا

يأخذون حاجاتهم؛ فالأمور كانت تمشي طبيعية.

إسرائيل كانت بحاجة إلى العمال الذين يخرجون إلى العمل فيها، وكانت تريد منهم أن يخرجوا، لكن كان الناس في أول الانتفاضة يقولون للعمال: لا تذهبوا إلى الأعمال في إسرائيل، لا تعملوا عند اليهود، على أساس أن نقاطعهم، واليهود كانوا يريدون منا أن نعمل؛ لأن مصانعهم كانت تتوقف وكذلك مزارعهم؛ ولذلك كان الشعب الفلسطيني في ذلك الوقت في أعلى ساعات وعيه وصموده وتكاتفه وقوته، صحيح ما لم تتصوره أن الشعوب لها قدرة عجيبة لا يفهمها أحد إلا إذا جرَّبها وشاهدها.

❑ تَوْسِيعُ الانْتِفَاضَةِ:

بدأت أحداث غزة تُنْقَلُ على المستوى الإسرائيلي والعالمي، في كل العالم، في وكالات الأنباء والأخبار والصحافة، فهذا طبعًا أوجد في الضفة الغربية الحماس والحرارة، ثم على مستوانا نحن كانت لنا قيادة مشتركة بين الضفة وبين غزة، خرجت واجتمعت مع أهل الضفة، وأعطيتهم صورة للواقع، وطالبتهم بالعمل كما هو موجود في غزة، وفعلًا بدأ العمل بالضفة... بالضفة كما هو بغزة.

❑ الإِبْعَادُ وَتَأْجِيجُ الانْتِفَاضَةِ:

قال الشيخ أحمد ياسين: «الانتفاضة عَمَّتْ كل مكان بعد شهر، أو شهر ونصف تقريبًا، كل مكان وصلت إليه ـ يعني: الانتفاضة ـ، كنا مشفقين على شعبنا، وكنا نفكر في أن نخفف الوتيرة، لكن العدو ساعدنا، هو الذي ساعدنا؛ لأنه أصدر قرارًا بعد شهر بإبعاد مجموعة من إخواننا وشبابنا وأهلنا؛ فالإبعاد يقتضي مقاومة جديدة أيضًا، فأعطتنا عمليةُ الإبعادِ هذه دفعةً جديدةً للمقاومة والصراع؛ وبذلك كانت التهدئة قد انتهت، خلاص[1] ما فيش[2] حاجة اسمها تهدئة.

إن السلطة الإسرائيلية لم تكن تعرف من الذي وراء الأعمال في البداية، لكنها كانت تقول: «**إنهم إسلاميون**»، في هذا الصدد هي قد اختارت واحدًا من حماس من المبعدين، واختارت واحدًا من الجهاد الإسلامي من المبعدين، واختارت واحدًا من السلفيين أبعدته أيضًا، فكانوا ثلاثة

---

(١) ،(٢) هنا بالعامية ومعناها بالعربية ليست هناك حاجة إسمها تهدئة.

من المبعدين الخمسة أو الستة، نصفهم أو ثلاثة أرباعهم من التوجه الإسلامي.

كان الأخ «خليل القوقة» رئيس الجمعية الإسلامية في معسكر الشاطئ، وكان الشيخ «حسن أبو شقرة» من خان يونس من السلفيين، وكان «عبدالعزيز عودة» من الجهاد الإسلامي، كان واحدًا من فتح، وواحدًا من الجبهة هم الذين اختيروا من كل الجهات... لكن الانتفاضة بدأت من المساجد، الميكرفون، الأناشيد الوطنية، يتجمع الشباب من المسجد ثم تنطلق.

❑ مِيلَادُ حَرَكَةِ الْمُقَاوَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (حَمَاس):

قال الشيخ ياسين: البيان الأول للانتفاضة وقعته (ح. م. س)؛ لأن كلمة «حماس» بالذات لم تكن واردة في ذهني، لكن بعد بَيَانَيْنِ أو ثلاثة فإن الإخوة اجتمعوا وقالوا: خلينا نعطيها كلمة. وبدءوا يبحثون عن كلمة، فاهتدى أحدهم[1] إلى كلمة «**حماس**»؛ على أساس أنها تمثل الحروف الموقَّعَة.

يعني ذلك أنه قد ولدت حركة «**حماس**» يوم (٩ سبتمبر ١٩٨٧).

أنا لا تعنيني الأسماء، أنا يعنيني الجوهر، ويهمني الجوهر، أنا الآن أريد أن أبدأ طورًا جديدًا من الحركة الإسلامية في المواجهة والمقاومة، فسأعطي هذا الطور من الحركة الإسلامية اسمًا جديدًا يتماشى مع الواقع، والواقع يحتاج إلى أن تكون هناك مقاومة؛ ولذلك لا بدَّ ان تسمى الحركة بحركة المقاومة الإسلامية.

* **أحمد منصور:** وأنتم تختارون هذا الاسم هل كان في ذهنك أن المقاومة ستشمل أوجهًا متعددة؛ منها: المقاومة المسلحة التي كنتَ قد أشرتَ في الحلقة الماضية أنكم بدأتموها فعليًّا؟

* **أحمد ياسين:** نعم، نحن كنا نعد لها سابقًا، بكل تأكيد كان هذا واردًا.

* **أحمد منصور:** كيف رتبتم لِمَا بعد اجتماع (١٠ ديسمبر)؟ هل اجتمعتم بعده اجتماعات وقررتم؟ كيف بدأت فكرة الانتفاضة تنمو شيئًا فشيئًا حتى أخذت الاستمرارية التي أخذتها؟

* **أحمد ياسين:** يا أخي، طبعًا نحن كان لدينا اجتماع كل... بالكثير كل يومين أو ثلاثة؛ يعني: كانت اجتماعات متواصلة لمعالجة القضايا القائمة للتخطيط لما بعده، اليوم كنا نريدها في

---

(١) هو الدكتور عبد العزيز الرنتيسي

الشاطئ، غدًا ننقلها إلى جباليا، بعد غد ننقلها إلى ... فأخذنا لكي نخفف الضغط على الناس من مكان إلى مكان فأخذت تنتقل، ونحن الذين كنا ننقلها، وهذا طبعًا كان هو التخطيط اليومي، طبعًا كانت تنشأ هناك مشاكل في الشارع، كان هناك شهداء وجرحى يريدون علاجًا، هناك سجناء، هناك مشاكل بحاجة إلى علاج، فكان في كل يومين أو ثلاثة يكون لنا اجتماع.

❑ مُشَارَكَةُ الْفَصَائِلِ الأُخْرَى فِي الاِنْتِفَاضَةِ:

* **أحمد منصور:** هل الفصائل الفلسطينية الأخرى حتى ذلك الوقت كان بينكم وبينها أي عملية من عمليات التنسيق؟

* **أحمد ياسين:** لم يكن لهم عمل في ذلك الوقت في البداية، ثم نحن كنا دائمًا نعرف بعضنا بعضًا وكنا نتلاقى مع بعض، لكن لم يكن لهم دور في الميدان في ذلك الوقت، ثم حينما وجدوا أنفسهم خارج اللعبة في البداية بدءوا يتجمعون، واتخذوا قرارًا، وعملوا بيانًا، وبدءوا يتحركون على أساس أن يواجهوا الاحتلال كما نواجهه، وطبعًا دخلوا الساحة؛ ومن هنا كان هناك شبه تنافس بين الحركتين لإثبات الوجود في الشارع الفلسطيني.

ولكن هذا الوجود ماذا كانت مهمته؟ نحن كنا نقوم بعمل إضرابات؛ يعني نقول: اليوم إضراب، معنى الإضراب مواجهة مع اليهود؛ فتجد الشوارع أُغلقت، وتجد الإطارات أُشعلت، وتجد المتاريس وُضعت في الشوارع، وتجد المواجهات في كل مكان، في كل القطاع... فطبعًا الذي كان يقوم بهذا الشيء في أول الأمر هو نحن.

فلما دخل إخواننا في المنظمة في المواجهة بدءوا يصدرون بيانات، يريدون أن يعملوا إضرابات خاصة بهم، حتى صار الشعب مرهقًا من هذه القضية، فحينما أعمل إضرابًا يومًا في الأسبوع أو يومين، وهو يقرر أيضًا أن يعمل إضرابًا يومًا أو يومين، فهذا معناه أنه ستكون هناك مشقة؛ لأن الناس تريد أن تأكل.

* **أحمد منصور:** هل بعد اندلاع الانتفاضة، ومرور عدة أشهر عليها، أصبح لديكم استراتيجية مستقبلية، إلى أين ستتجه الانتفاضة، أو متى تتوقف؟

* **أحمد ياسين:** لقد أصبحت الاستراتيجية قائمة على استراتيجية أننا سنقاوم المحتل حتى يرحل، لن نتوقف حتى يرحل عنا وعن أرضنا، ونستعيد حريتنا وكرامتنا، هذا الذي كنت أطرحه

دائمًا آنذاك في وسائل الإعلام تمامًا، أقول لهم: نحن تحت الاحتلال، إذا المحتل يريدنا أن نتوقف عن مواجهته عليه أن ينسحب ويتركنا نقرر مصيرنا بأنفسنا.

* **أحمد منصور:** هل في هذه الفترة ظهرتَ كزعيم للانتفاضة؟

* **أحمد ياسين:** كان هذا واضحًا بكل تأكيد، لكني كنت أنفي عن نفسي هذه الصفة، وكانوا يسألونني لماذا تخرج المظاهرات والاحتجاجات من المساجد؟ كنت أقول لهم: اللَّه أعلم. ثم يسألونني من الذي يقف وراءها؟ كنت أقول لهم: هذه انتفاضة شعب...

* **أحمد منصور ـ مقاطعًا ـ:** هذه التصريحات كانت لوسائل الإعلام أو للإسرائيليين؟

* **أحمد ياسين ـ مستأنفًا ـ:** الإعلام كله، ليس الإسرائيلي وحده وإنما (رويتر) و...

❑ تَهْدِيدَاتُ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ:

* **أحمد منصور ـ مقاطعًا ـ:** إسرائيل لم تحتكَّ بك طوال هذه الفترة؟

* **أحمد ياسين ـ مستأنفًا ـ:** إسرائيل كانت تسأل، تأتي وتتناقش، كان لها اتصالات...

* **أحمد منصور ـ مقاطعًا ـ:** يعني اذكر لنا بعض هذه الأشياء... كيف كان الإسرائيليون يتعاملون معك في الشهور الأولى من الانتفاضة؟

* **أحمد ياسين ـ مستأنفًا ـ:** كانوا يطالبونني بوقف الانتفاضة، وكانوا يهددونني بالترحيل، كانوا يهددونني بكل المآسي؛ يعني: أذكر ضابط الشئون العربية في المخابرات الإسرائيلية قد استدعاني وجلس معي، وقال لي: اسمع، نحن نريد أن نوقف الانتفاضة.

قلت له: أنا مَا لي وقفها، أوقفها أنت.

قال: لا، أنت بيدك توقفها.

قلت له: أنا، ومن أنا حتى أوقفها؟

قال: لا، ورقة واحدة منك تنزلها توقفها.

قلت له: أنا لا أستطيع أن أفعل هذا، وأنا لا أستطيع أن أنزل ورقًا، ومش شغلي هذا.

قال: اسمع أنا اليوم بدي الانتفاضة تقف، ولما بيجي يوم الشجر والحجر بأحط [(١)] لك رقبتي،

---

(١) كلمة بالعامية معناها: أضع.

بأقول لك: اذبح.

قلت له: على أي حال أنا بأقول لك: إنني ليس لي علاقة بالانتفاضة، وليس شغلي الإنتفاضة.

قال: بأقولك: بدي تقف الانتفاضة، إذا لم توقفها أنا بأرميك في جنوب لبنان، بره بيتك هذا، وبعدين آخذ (كلاشن) وأطخك. قلت له: الذي تريده اعمله..

كانت هذه الصورة من بعض المواجهات التي كانت معهم، في لقاء كان مع (موردخاي) هذا وزير في السرايا، وكان يهددني بالمساجد، ويقول: أنتم تستخدمون المساجد. قلت له: المساجد عندنا لعبادة لله ـ تَعَالَى.

* **أحمد منصور:** حتى ذلك الوقت لم يكن للإسرائيليين اتهام مباشر لك بأنك أنت الذي تقف وراء الانتفاضة؟

❑ الِاعْتِقَالُ الثَّانِي عَامَ (١٩٨٩م):

* **أحمد ياسين:** اتهام مباشر، لأن أنا القيادة الأولى التي معي هي التي اتخذت قرار تفجير الانتفاضة وقد اعتقلت أنا بعد ذلك في العام ١٩٨٩م.

* **أحمد منصور:** طيب، كيف...؟!

* **أحمد ياسين ـ مقاطعًا ـ:** اعتقلوا بعض الناس قبلي، وهم الذين اعترفوا عَلَيَّ كمؤسِّس، وأنني أنا الذي بدأت الانتفاضة، والسلطات الإسرائيلية وجدت أنه ليس من مصلحتها أن تعتقلني، فتركتني حرًّا طليقًا حتى تقوم باصطياد مَنْ حولي، وتعرف كيف تسير الأمور، أنا في تلك الفترة اعتزلتُ كل الأعمال، وتركتُ الآخرين يشتغلون في عمل الانتفاضة وينفذون الخطط وكل شيء.

❑ تَوَاضُعُ الشَّيْخِ:

* **أحمد منصور ـ مستأنفًا ـ:** في الحلقة الماضية أنت ذكرت أنك حينما خرجت من السجن، كان هناك مسئول آخر عن الحركة الإسلامية، هل اخترتَ أنت بعد ذلك كمسئول عن الحركة الإسلامية؟ وَمِنْ ثَمَّ أعلنتَ تأسيس حماس وغيرها، أو أن الوضع سار على ما سار عليه، وأنت كنتَ مسئولًا عن الانتفاضة والعمل العسكري؟

* **أحمد ياسين:** نحن قراراتنا ليست فردية، ليس المسئول هو الذي يتخذ القرار، نعمل أو لا نعمل، بل قراراتنا قرارات جماعية شورية، يتخذ المجموع قرارًا ينفذ بعد ذلك، أنا لم أَدَّعِ أني أنا أسست، أو عملت شيئًا وحدي؛ لأن كلنا أسسنا مع بعض، وكلنا اشتركنا مع بعض بشكل جماعي، لكن حينما اعتقل إخواننا ـ كما قلت لك ـ في (٨٨) قبل القيادة، دخلوا واعترفوا لدى السلطات الإسرائيلية وقالوا: إن الذي جَنَّدَنَا هو الشيخ أحمد ياسين... والذي نظمنا هو الشيخ أحمد ياسين؛ يعني: لبسوني الطاقية فلبستها، ونحن كلنا كنا جهدًا واحدًا وطاقةً واحدةً، وأنا طبعًا تحملت نتائج كل هذا من محاكمات ومن سجون، أنت المؤسس وأنت المخطط، صحيح كلنا أسسنا مع بعضنا البعض، لم يكن هناك شخص مستقل، لكن هكذا أراد اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ أن القيادة التي دخلت السجن أعطت هذا الطابع للإسرائيليين ولليهود، وهذا ما نشر...

* **أحمد منصور ـ مقاطعًا ـ:** وأنت كنت على عِلْمٍ بما ذكروه لليهود؟

* **أحمد ياسين ـ مستأنفًا ـ:** الإخوة في القيادة أثناء التحقيق معهم سمعوا المخابرات تقول: لا نريد أن نحضر أحمد ياسين الآن، ولكن بعد أن يتورط في عمل أكبر، ونقل لي الإخوة ذلك عندما زارهم المحامي، وطلبوا منه أن ينقل لي ذلك، كنت على علم باعترافات الإخوة في الداخل، وصلتني الاعترافات، وأعرفها، فلما اعتقلت أنا، هم قالوا: إننا نعتقله حتى نضعه في السجن ستة أشهر أو سنة. يعني اتهام بعمل مقاومة لا، نحن نريده لاتهام أكبر بدنا إياه لحاجة أكبر، فلما اكتُشفت قضية القتل للجنود الإسرائيليين صاروا يصرخون ويصفقون ويغنون، وطلعوا فورًا ـ في نفس الساعة ـ داهموا البيت واعتقلوني»[١] اهـ.

❑ الإِنْتِفَاضَةُ وَمَنْ يَقِفُ وَرَاءَهَا:

* **أحمد منصور:** فضيلة الشيخ... أيضًا فيما يتعلق باندلاع الانتفاضة، ومن يقف وراء الانتفاضة، وادعاؤكم بأن حماسًا هي التي أشعلت فتيل الانتفاضة، أو ساعدت على استمراريتها، وأن أول بيان صدر عن الانتفاضة كان من حركة حماس، ولم يكن من فتح، في الوقت الذي تقول فيه فتح: إنها هي التي ـ أيضًا ـ أدت إلى اندلاع الانتفاضة، أو إلى استمرارية الانتفاضة، قضية الانتفاضة أيضًا من القضايا التاريخية المهمة، من الذي كان له الدور الرئيسي في

(١) «الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة»، ص ١٦٨، ١٨٣ باختصار.

استمرار الانتفاضة وفي اشتعالها؟ فتح أو حماس؟

* **أحمد ياسين:** أولًا الوضع الفلسطيني كله كان مهيئًا للانتفاضة، من مواجهات، من تضحيات، وأنا ذكرت ذلك في شهادتي عما كان يصير في جباليا وحول الجامعة الإسلامية، لكن الدور الريادي الذي قامت به حركة المقاومة الإسلامية حماس أنها بدأت المواجهة في ذلك التاريخ، وأطلقت حماس بيانها في (١٤/١٢ سنة ١٩٨٧) كبداية لمواجهة المحتل بالطرق... بالطريق الشعبي والمواجهة الشعبية، ولا أدعي أننا وحدنا فقط الذين قمنا بالانتفاضة، بل نحن الذين عملنا وبدأنا وكنا رأس الحربة للشعب الفلسطيني، الذي حرك هذا الجمهور، ووجهه للمواجهة مع العدو الإسرائيلي في ذلك الوقت، طبعًا فتح أو غير فتح تقول ما تشاء.

لكن أقول: إن القيادة الموحدة أصدرت أول بيان لها كان في (٨ يناير ١٩٨٨)؛ أي بعد شهر من اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة، هذا البيان الذي صدر موجود تاريخيًا، والبيان الذي أصدرته حماس موجود، وأنا أرسلت إليك صورة منه على الفاكس.

* **أحمد منصور:** نعم وصلني.

* **أحمد ياسين:** وبإمكانك أن تعرضه على الجمهور»[١].

* * *

الاِنْتِفَاضَةُ الْأُولَى (انْتِفَاضَةُ الْحِجَارَةِ) وَالاِنْتِفَاضَةُ الثَّانِيَةُ (انْتِفَاضَةُ الْأَقْصَى)

لو لم يكن للانتفاضة الأولى من ثمار إلا ميلاد حركة حماس لكفى بها فخرًا .. فكيف وثمارها عديدة، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

عقب مباحثات أوسلو ومدريد في أوائل التسعينات ومطالبة العالم بالسلام توقفت تدريجيًا الانتفاضة الأولى مع رفض فصائل المقاومة ـ وعلى رأسها حماس ـ لمشروع السلام المقترح؛ لأنه يعطي الحق لليهود في أرض فلسطين.

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٠- ٢٦١.

* وبعد مرور حوالي سبع سنوات على مسيرة السلام المزعومة، وبعدما لم يتحقق على الأرض أي شيء للفلسطينيين كانت الشرارة للإنتفاضة الثانية «انتفاضة الأقصى».

ففي (٢٠٠٠/٩/٢٩) انتهك السفاح شارون حرمة المسجد الأقصى وقدسيته وطهارته، وَدَنَّسَ ساحته؛ فتجددت الانتفاضة من جديد، فانطلقت المقاومة في كل مكان لتعلن من جديد أن هؤلاء لا يفهمون السلام، وأن منطق القوة هو المفهوم الوحيد الذي يفهمونه.

وزادت شراسة انتفاضة الأقصى، واستشهد أكثر من أربعة آلاف فلسطيني، وَقُتِلَ ما يزيد عن (١٥٠٠) صهيوني، وعرضت الولايات المتحدة على «**حماس**» قبل عدة أشهر الأمان لقادتها من الاغتيال مقابل التوقف عن العمليات الاستشهادية؛ فكان رد عبدالعزيز الرنتيسي: «**يُؤَمِّلُونَنَا فِي الدُّنْيَا.. نَحْنُ نُرِيدُ الشَّهَادَةَ، وَهِيَ أَسْمَى الْأَمَانِي.. فَلْتَكُنْ شَهَادَةٌ فِي سَبِيلِهِ أَوْ نَصْرٌ وَطَرْدُ الْمُحْتَلِّينَ**».

❑ لُغَةُ الْأَرْقَامِ لَا تَكْذِبُ:

لعلَّ لغة الأرقام والإحصائيات ـ لا سيما المستقاة من مصادر صهيونية ـ هي المخولة فقط في الحديث عن نتائج المقاومة.

* * *

ثِمَارُ الِانْتِفَاضَةِ ... وَأَثَرُ الِانْتِفَاضَةِ عَلَى الْيَهُودِ وَدَوْلَتِهِمُ الْمَزْعُومَةِ

إذا كان الأمن والعنف هما وَجْهَا العُمْلَةِ الصهيونية منذ جسَّدت إسرائيل أفكار (تيودور هرتزل)، فمنذ اشتعال الانتفاضة المباركة اختلت موازين الأمن الصهيوني، وَفَقَدَ المستوطن اليهودي إحساسه بهذا الأمن، ومعه انتماءه لإسرائيل، وهو ما عَبَّرَ عنه أحد المستوطنين بقوله: «**كيف أحب إسرائيل بينما يطلقون عليَّ النار في كل مكان**».

لقد حطمت الانتفاضة نظرية (الأمن الإسرائيلي أحد أعمدة الأيديولوجية اليهودية)، وَرَدَّتْ بقوة على الوجه الثاني للعملة؛ وهو العنف الذي يمارسه الكيان اليهودي دفاعًا عن أمنه المزعوم.

قال الدكتور عبدالوهاب المسيري: «**يلاحظ أن إسرائيل فقدت في الانتفاضة أكثر مما فقدته في بعض الحروب مع دول عربية لديها جيوش نظامية**»[١].

❑ حَصَادُ الإِنْتِفَاضَةِ:

وبالنظر إلى حصاد الانتفاضة من (٢٨/٩/٢٠٠٠ إلى ١/١/٢٠٠٣) نجد أن الدراسات أظهرت أن عدد قتلى اليهود إبان العامين الأوَّلَيْنِ من انتفاضة الأقصى المباركة قد بلغ (٦٤٤) قتيلًا، فيما بلغ عدد إصاباتهم (٤١٣٧) جريحًا.

وَتَبَوَّأَتْ كتائب عِزّ الدين القسّام (الجناح العسكري لحماس) مرتبة الصدارة بواقع (٣٠٨) من قتلى اليهود، وهو ما نسبته (٤٧,٨٪) من إجمالي عدد القتلى الصهاينة، و(١٨٧٧) جريحًا بنسبة (٤٥,٥٪) من إجمالي عدد الجرحى الصهاينة، وبلغ عدد قتلى اليهود إبان حكم شارون وحتى نهاية السنة الثانية لانتفاضة الأقصى (٥٨٦) قتيلًا بنسبة (٩١٪) من إجمالي عدد القتلى الصهاينة خلال العامين الأولين للانتفاضة، كما بلغ عدد الجرحى (٣٨٩٩) جريحًا بنسبة (٩٤,٢٪) من إجمالي عدد جرحى الصهاينة.

البيان	العدد	المعدل الشهري للقتلى	المعدل السنوي للقتلى	النسبة المئوية للقتلى
١ـ الفترة الواقعة ما بين (١٩٧٨ ـ ١٩٩٣) فترة ١٥ سنة ما قبل أوسلو.	٢٥٤	١ـ ٢ قتيل	١٧ قتيلًا	٢١,٤٪
٢ـ الفترة الواقعة ما بين (١٩٩٣ـ ٢٠٠٠) الفترة ما بعد أوسلو	٣٠٠ قتيلا	٣ـ ٤ قتلى	٤٣ قتيلا	٢٥,٤٪
٣ـ انتفاضة الأقصى (٩/٢٠٠٠ ـ ٩/٢/٢٠٠٢	٦٣١ قتيلا	٢٦ قتيلًا	٣١٥ قتيلا	٥٣,٢٪
الإجمالي	١١٨٥	ـ	ـ	١٠٠٪

(١) من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية للدكتور عبد الوهاب المسيري ص ٢٣، كتاب القدس (١٢)، مركز الإعلام العربي.

وفي مقارنة ما بين عدد القتلى اليهود خلال انتفاضة الأقصى وما قبل وما بعد أوسلو يتضح أن:

١ـ عدد القتلى اليهود في انتفاضة الأقصى مقارنة مع عدد القتلى في فترة ما قبل أوسلو هو ضعفان ونصف (٦٣١ قتيلًا مقابل ٢٥٤ قتيلًا).

٢ـ عدد القتلى اليهود في انتفاضة الأقصى مقارنة مع عدد القتلى في فترة ما بعد أوسلو هو أكثر من الضعفين؛ بمعنى: (٦٣١ قتيلًا مقابل ٣٠٠ قتيل).

٣ـ عدد القتلى اليهود في انتفاضة الأقصى فاق عدد القتلى اليهود منذ عام (١٩٧٨) حتى (٢٠٠٢/٩/٢٣)؛ بمعنى: (٦٣١ قتيلًا مقابل ٥٥٤ قتيلًا في أكثر من ٢٣ عامًا).

جدول يوضح عدد قتلى اليهود في كل عام من أعوام الانتفاضة

التاريخ	العدد	النسبة المئوية
السنة الأولى: شهر ٩/ ٢٠٠٠ وحتى شهر ٩/ ٢٠٠١	**١٨٣**	**٢٩٪**
السنة الثانية ٩/ ٢٠٠١ وحتى ٩/ ٢٠٠٢	**٤٤٨**	**٧١٪**
الإجمالي	**٦٣١**	**١٠٠٪**

قُتِلَ في العام الثاني من الانتفاضة أكثر من ضعفي العام الأول.

لقد طرح شارون خطة المئة يوم وخطة «**أورانيم ـ جهنم**»، وطرح شعار «**دعوا الجيش ينتصر**»، وَاسْتُخْدِمَتْ كل الأسلحة في الترسانة العسكرية الصهيونية، ووصل الإرهاب الصهيوني إلى الذروة (أو الهوة).

ومما لا شك فيه أن شارون أشبع شهوة المستوطنين للانتقام، إلا إنه أخفق تمامًا في تحقيق الأمن لهم، رغم تصاعد البطش الصهيوني وشراسته؛ فالفلسطينيون أبدوا صلابة لم يتوقعها الصهاينة، وهذا ما لَاحَظَهُ الصحفي الإسرائيلي (جدعون عيست) في يديعوت أحرونوت (٢٩/١/٢٠٠٢) إذ قال: «**إنه من الصعب بعض الشيء أن تُخَمِّنَ كيف يمكن لزيادة الرعب العسكري أن يؤثر في الفلسطينيين أكثر مما يفعل. إن شارون أخفق تمامًا في تحقيق أي أمن، وتحولت الانتفاضة إلى حرب استنزاف مستمرة**».

وتؤكد تقييمات جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (الجهة المخولة بتقديم التقييمات الاستراتيجية لجهة صنع القرار السياسي) أن الانتفاضة مرشحة للتواصل حتى عام (٢٠٠٦)، وأن

أسلوب القوة لن يؤتي أكله في إنهاء الانتفاضة.

وتشير الخبرة الانتفاضية إلى حقيقة مهمة؛ وهي: أن الجيش الإسرائيلي قد يتمكن من شل قدرة التنظيمات الفلسطينية على مواصلة العمل المسلح لفترة معينة، ولكن من المستحيل أن يضمن توقف العمل المسلح والعمليات الاستشهادية لفترة طويلة؛ بل إنه عندما يتأخر فعل التنظيمات سرعان ما تبرز إلى السطح مجموعات مسلحة غير مرتبطة بتنظيم بعينه؛ ولذا فالمستوطنون يعلمون تمام العلم أنهم حتى لو نجحوا في القضاء على الانتفاضة بعض الوقت فإن هناك الآلاف الذي سيشعلون جذوتها مرة أخرى في غضون سنة أو سنتين أو ربما عدة شهور.

لقد سقطت أسس نظرية الأمن الإسرائيلي تحت وطأة الانتفاضة، والتي قامت على أساس حرمان الفلسطينيين من السلاح، واستخدام أكبر قدر من القوة ضدهم، ولكن الجهاد يستمر بالإمكانات المتاحة، وإنتاج الأسلحة يتم داخليًّا أو من خلال المصادر الإسرائيلية.

وفشلت سياسة الاغتيالات واستهداف قادة التنظيمات، بل إنها أدت إلى ردود فعل فلسطينية أكثر قوة وإيلامًا للإسرائيليين الذين أصبحوا ينتظرون الرد الفلسطيني الموجع عقب أية عملية للاغتيال أو ضرب للمدنيين، وقد وصلت هذه السياسة إلى ذروتها ـ أو هوتها ـ مع عملية غزو كل المدن الفلسطينية والقبض على القيادات الجهادية الفلسطينية وأعلامها.

بل إنه حدث شيء لا شك في أنه أدخل اليأس والقنوط على قلب المستوطنين الصهاينة؛ فإبان حكم إيهود باراك (١٩٩٩ ـ ٢٠٠١) كان متوسط الخسائر البشرية بينهم هو (٣)، أما في حكم «المخلص الدجال» شارون فقد بلغ المتوسط (١٧)، وهو آخذ في الارتفاع. (يديعوت أحرونوت ٢/٩/٢٠٠١).

وَانْظُرْ إِلَى مَا تَقُولُهُ صُحُفُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الانْتِفَاضَةِ:

هي «**حرب استنزاف**» أغرقت إسرائيل في «**لجة من الدماء**» (هآرتس ١/٢/٢٠٠٢)، وأدخلتها في «**دائرة دموية**» (يديعوت أحرونوت ٢٩/١/٢٠٠٢)، إنها «**رقصة الموت**» ومباراة «**بينج بونج مرعبة**» (يديعوت أحرونوت ٢٩/١/٢٠٠٢)، تسببت في فيضان «**أنهار الدم**» (إعلان رافضي الخدمة العسكرية، هآرتس ٨/٢/٢٠٠٢). كما أدت إلى الغوص في مياه راكدة، وإلى الغرق في «**المستنقع الذي غرقت فيه قواتنا بدءًا من الثمانينيات**» (في إشارة واضحة

للمستنقع اللبناني).

وتشير الصحف الإسرائيلية إلى العام الأول للانتفاضة بأنه عام «**مضرج بالدماء**» (معاريف ٢٠٠٢/٢/١٠)، وأنه «الأسوأ في تاريخ إسرائيل في كل ما يتعلق بمواجهة الإرهاب» (معاريف ٢٠٠٢/٢/١١).

وقد وصف أحد الكتاب الموقف بهذه العبارة الدالة: «**صغيرة هي المسافة بين الخوف والذعر، والجمهور الإسرائيلي يعيش بين هذا وذاك**» (معاريف ٢٠٠٢/٢/١٠).

أَثَرُ الِانْتِفَاضَةِ عَلَى الِاقْتِصَادِ الْإِسْرَائِيلِيِّ

«أوضح وزير مالية العدو ـ كما أوردت صحيفة هآرتس في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٢/٩/١٥ ـ أن الضرر المالي اللاحق بإسرائيل من عمليات المقاومة في الانتفاضة المباركة هي (٢٤ مليار شيكل) مع فقدان (٨٠ ألف فرصة عمل)، كما فقدت دولة الكيان (٤٪) من إنتاجها الاقتصادي منذ بداية الانتفاضة حتى كانون الأول؛ أي: ما يعادل (١٢,٣ مليار شيكل)، كما بلغت الخسائر المترتبة على مكافحة المقاومة الفلسطينية (٥,٥ مليار شيكل)، وتضرر دخل دولة العدو بما يعادل (٥ مليارات شيكل).

❑ **هذا في العام الأول للانتفاضة**»[(١)].

«ولعل اعتراف الصهاينة لأول مرة بأن عام (٢٠٠٢م) أسوأ عام اقتصادي مر على الكيان الصهيوني منذ (٤٩ عامًا) هو دليل قوي على صحة تيار المقاومة؛ فقد نشرت دائرة الإحصاء المركزية الصهيونية تأكيدًا رسميًّا للتقديرات التي تفيد بأن عام (٢٠٠٢) هو العام الأسوأ من الناحية الاقتصادية منذ عام (١٩٥٣) المعروف بعام الانكماش، وبحسب تقرير نشرته صحيفة «**يديعوت أحرونوت**» العبرية فقد انخفض الإنتاج المحلي هذا العام (٢٠٠٢) بنسبة (١٪) استمرارًا للانخفاض بنسبة (٠,٩٪) في العام الماضي، مقارنة بارتفاع عالٍ نسبيًّا بلغت نسبته

---

(١) حصاد الانتفاضة ، لإسماعيل عبد اللطيف الأشقر، ومؤمن محمد بسيسو ص ١٥٣، مركز النور، غزة فلسطين، مركز الإعلام العربي ـ القاهرة.

(٧,٤٪) في العام (٢٠٠٠)، ولم يُسَجَّل انخفاض بهذا الحجم في الإنتاج إلا قبل (٤٩) عامًا في العام (١٩٥٣).

وبلغ مجموع إنتاج الفرد هذا العام (٧٣,٩) ألف شيكل؛ أي: ما يعادل (١٥,٦) ألف دولار.

كما أن الكيان الصهيوني أغلق أكثر من (٦٠) مصنعًا وشركة تكنولوجيا متقدمة خلال عام، كما أن الإغلاق يواجه حوالي (٩٠) مصنعًا آخر وحوالي (١٥٠) شركة تكنولوجيا متقدمة أخرى خلال عام (٢٠٠٣).

في حين أن الصناعات العسكرية الصهيونية قررت فصل (٩٠٠) عامل، وتخفيض الرواتب (١١٪)؛ بسبب الأزمة المالية التي تعانيها.

كما يتضح من تحليل شامل أجراه اقتصاديو «**دي آند بي**» لتحديد مستوى الخطر الاقتصادي في الفروع الاقتصادية في الكيان الصهيوني: أن نحو (٤٠ ألف) شركة ومشغلًا في الكيان تشكل (١٦٪) من بين (٢٥٠ ألف) شركة في الكيان على وشك الإغلاق الفوري، وقالت صحيفة «**معاريف**» في (٣١/١٠/٢٠٠٢): إنه في أيلول (٢٠٠٢) طرأ تقليص واقعي بنسبة (٨٪) في الصادرات الصناعية.

كما أن صناعة السياحة والفندقة في الكيان هي الأخرى تنتظر انهيارًا كبيرًا؛ حيث اضطرت إلى إقالة (٤٠٠٠ إلى ٦٠٠٠) عامل في الأسابيع الماضية إضافة إلى (٦٠ ألف عامل) أُقِيلُوا حتى الآن.

كما تَمَّ إغلاق (١٠٠٠) مطعم في الكيان الصهيوني خلال انتفاضة الأقصى حسب الإحصاء الصادر عن أصحاب المطاعم في الكيان الصهيوني، وحسب تقرير نشرته وزارة السياحة الصهيونية؛ فقد تراجع عدد السياح إلى إسرائيل خلال عام (٢٠٠٢) بنسبة (٤٥٪) مقارنة بعام (٢٠٠١م).

كما انخفضت الصادرات الصناعية بنسبة (٨٪)، وتشير التوقعات الصهيونية إلى ارتفاع نسبة البطالة من (١٠,٣٪)؛ أي (٢٦٠ ألف) عاطل إلى نسبة تصل حتى (١٢٪)؛ أي: حوالي (٣٠٥ آلاف) عاطل.

وحسب معطيات دائرة الإحصاءات المركزية: يوجد في الدولة العبرية (٢٧٠ ألف) عاطل عن

العمل، ويشكلون (٣,١٠٪) من مجمل القوى العاملة الصهيونية، وذكر في التقرير أن واحدًا من بين كل ستة صهاينة في جيل العمل كان عاطلًا خلال عام (٢٠٠٢).

كما أثرت الانتفاضة على المستوطنات والقرى الصهيونية؛ فهناك (٢٢٠) قرية تعاونية صهيونية الكيبونسات «**المستوطنات الزراعية**» من أصل (٢٧٠) مهددة بالانهيار؛ بسبب تفاقم الأوضاع الاقتصادية والأزمة التي تجتاح كافة القطاعات في الدولة الصهيونية.

وقد ورد في تقرير رسمي صادر عن مؤسسة «**التأمين الوطني**» الصهيونية أن عدد الفقراء في الكيان الصهيوني ارتفع إلى (١,٥ مليون) شخص في نهاية العام (٢٠٠٢)، كما أن النمو الاقتصادي في إسرائيل سَجَّلَ - ولأول مرة - نموًّا سلبيًّا يقدر بـ(٠,٩٪).

أما السياحة فقد تراجعت بنسبة (٤٥٪) في عدد السياح إلى الكيان الصهيوني خلال عام.

وأشارت مصادر إحصائية صهيونية رسمية أن العجز في الميزانية العامة للدولة العبرية لعام (٢٠٠٣م) سيبلغ بحسب التقديرات الأولية نحو (٣,٤ مليار) دولار أمريكي، هذا بالرغم من ضخامة الأموال التي تلقتها دولة العدو من الولايات المتحدة.

وذكر تقرير أمريكي أن جملة ما أنفقته الولايات المتحدة على (إسرائيل) منذ عام (١٩٧٣) وحتى نهاية عام (٢٠٠٢) بلغ نحو (١٦٠٠ مليار دولار)، وإذا ما تَمَّ تقسيم هذا المبلغ على سكان العالم اليوم، فسيكون نصيب الفرد منه ٥٧٠٠ دولار»[(١)].

❑ أَبْعَادُ أَزْمَةِ الِاقْتِصَادِ الْإِسْرَائِيلِيِّ فِي ظِلِّ الِانْتِفَاضَةِ الْمُبَارَكَةِ:

يمكن القول: أن أبعاد أزمة الاقتصاد الإسرائيلي في ظل الانتفاضة المباركة تتجلى في بُعْدَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ؛ هما: انهيار ثقة الجمهور ورجال الأعمال والمؤسسات المالية في الاقتصاد من جهة، وتدهور واضح في معظم المؤشرات الاقتصادية الأساسية من جهة أخرى. ويتبدى البعد الأول في أن الإسرائيليين يقومون بتحويل أموالهم إلى الخارج. وطبقًا لصحيفة معاريف (٢٠٠٢/٣/٢١)، فقد بدأ الإسرائيليون الخائفون يبحثون عن المستقبل خلف البحار، والمؤشر الأفضل أو «**بارومتر الوطنية**» يمكن إيجاده في الوضع الاقتصادي؛ وخصوصًا فيما يتعلق بالأموال التي يتم تحويلها

---

(١) ثمرات الانتفاضة للدكتور سامي الصالحي، ص ١٦، ١٩،رسائل القدس (٨)، مركز الإعلام العربي.

للخارج، والتي وصلت إلى (٢,٨) مليار دولار في عام (٢٠٠١)؛ أي: أنها ارتفعت بمعدل (٨٠٪) قياسًا بالعام السابق، وبأكثر من عدة أضعاف قياسًا بعام ١٩٩٨، كما أن الأموال الإسرائيلية في الخارج تزيد عن (٧١) مليار دولار تقريبًا (هآرتس ٢٠/٣/٢٠٠٢).

ويلاحظ أن إعداد الملجإ الاقتصادي في الخارج لا يتطلب وقتًا كبيرًا أو إجراءات معقدة، وكل ما هو مطلوب بضع عشرات من آلاف الدولارات، وتوقيع عدد غير كبير من المستندات؛ ولذلك صارت البنوك تواجه أزمة طلبات من الجمهور لفتح حسابات في الخارج؛ حتى إن الموظفين يضطرون إلى تأجيل اللقاءات مع الزبائن؛ بسبب تزايد الطلبات.

وتؤكد استطلاعات الرأي العام أن (٧٣٪) من الإسرائيليين يرون أن شارون فشل في معالجة الوضع الاقتصادي، فيما أكد (٧٨٪) منهم أن حكومته لا تمتلك خطة اقتصادية. وأكد (٣٤٪) ممن شملهم الاستطلاع الذي أجراه معهد (داحاف) في (نوفمبر ٢٠٠١) أن أوضاعهم الاقتصادية أصبحت أكثر سوءًا، وأعرب (٣٨٪) منهم عن تخوفهم من فقدان وظائفهم، وذلك بعد تسريح العاملين في بعض القطاعات الاقتصادية؛ مثل السياحة (البيان ١٨/١١/٢٠٠١).

وقد انهارت ثقة رجال الأعمال في الاقتصاد الإسرائيلي؛ فاتحاد رجال الصناعة الإسرائيليين يرسم صورة قاتمة للاقتصاد؛ على أنه اقتصاد على حافة الانهيار، يعاني من البطالة، وتوقف الاستثمار الأجنبي، وإغلاق المصانع، والركود. وقد كشف استطلاع للرأي أجرته المفوضية الأوربية بين رجال الأعمال الإسرائيليين في (يوليو ٢٠٠١) أن أكثر من (٥٩٪) منهم على يقين بأن الاقتصاد الإسرائيلي في أسوإ حالاته (البيان ٣١/٧/٢٠٠١).

ومع استمرار تدهور الوضع الاقتصادي اشتدت حدة التوتر بين الحكومة وبنك إسرائيل، وهاجم محافظ البنك (ديفيد كلاين) الحكومة متهمًا إياها بالتقصير في معالجة القضايا الاقتصادية؛ مثل البطالة وانخفاض النمو (معاريف ١٩/٣/٢٠٠٢). وقد ثارت الأزمة بين الطرفين إثر رفض البنك تدخل الحكومة في إدارة فائض العملة الأجنبية، وضمان استقلال البنك في استخدام السياسة المالية؛ حيث يخشى مديرو البنك من تدخل الحكومة في إدارة فائض العملة الأجنبية واستخدامها لتمويل العجز الكبير في الميزانية تحت وطأة الانتفاضة وتصاعد النفقات العسكرية. وقد قرر البنك خفض سعر الفائدة من (٨,٢٪) في نهاية (ديسمبر ٢٠٠١) إلى

(٣,٨٪) في مطلع عام (٢٠٠٢) (هآرتس ٢٠٠٢/٣/٢١).

ويمكن أن نرصد العديد من مظاهر الأزمة الاقتصادية العميقة في المؤشرات المالية والقطاعات الاقتصادية المختلفة على النحو التالي:

فعلى صعيد المؤشرات المالية الأساسية، فإن هناك ركودًا اقتصاديًّا عميقًا، والنمو صفري، والدخل من الضرائب ينخفض بصورة واضحة؛ ولذلك قررت الحكومة إجراء تخفيضات كبيرة مقدارها (١,٤) مليار دولار في ميزانية عام (٢٠٠٢)، وذلك بعد أن وصلت نسبة العجز في الميزانية لعام (٢٠٠١) إلى (٣٪)، ويتوقع لها أن تصل إلى (٦٪) في عام (٢٠٠٢) (معاريف ٢٠٠٢/٣/٢١).

ويرجع هذا العجز المتنامي إلى انخفاض الناتج المحلي الإجمالي بنسبة (٠,٦٪) في عام (٢٠٠١)؛ أي: أن النمو الاقتصادي بالسالب، وهذه أقل نسبة نمو في تاريخ إسرائيل. ونظرًا لتقلص الناتج المحلي وعدم النمو فقد انخفض متوسط دخل الفرد في إسرائيل من (٢٠) ألف دولار حتى أصبح (١٧,٢) ألف دولار في العام، وذلك وفقًا لبيانات المكتب المركزي الإسرائيلي (هآرتس ٢٠٠٢/٣/١٩).

ولا شك في أن متوسط دخل الفرد في إسرائيل يضعها في مرتبة الدول الصناعية المتقدمة، ولكن انخفاضه بهذه الوتيرة الكبيرة يجعل الإسرائيليين يشعرون بحدة الأزمة الاقتصادية، وبالقلق من تردي الوضع الاقتصادي واحتمال فقدان وظائفهم. وَيُقَدَّرُ عدد العاطلين عن العمل في إسرائيل بنحو (١٠٪) من القوة العاملة؛ أي: (٢٥٦) ألف شخص، ولكن بعض المحللين يرون أن نسبة البطالة أعلى من ذلك بكثير؛ حيث يضيف العلامة (أربيه أرنون) - من قسم الاقتصاد في جامعة بن جوريون - أن اليائسين من الحصول على عمل يصل بعدد العاطلين في تقديره إلى (٣٥٠ ألف) شخص (البيان ٢٠٠٢/٣/١٤). كما أن القطاعات الاقتصادية المختلفة تُسَرِّحُ الكثير من العاملين من وظائفهم؛ حيث ستقوم البنوك بتسريح نحو (١١٠٠) موظف في عام (٢٠٠٢)، وهو ما يرفع نسبة البطالة بصورة حادة.

وفي مقابل هذا التقلص الواضح في الناتج القومي وعجز الميزانية تضخمت نفقات الدفاع والأمن بصورة واضحة لمواجهة الاستنفار الأمني الشامل في مواجهة الانتفاضة، وتجنيد أعداد

كبيرة من القوى العاملة في الخدمة الاحتياطية، وارتفاع تكلفة الآلة الحربية؛ فتقرر زيادة الميزانية العسكرية لتصبح (١١ مليار دولار)، وهي تمثل (٢٠٪) من ميزانية عام (٢٠٠٢)، فالمؤسسة العسكرية تحصل في يسر وسهولة وبلا رقابة على ميزانية ضخمة على الرغم من تدهور الوضع الأمني والاقتصادي للإسرائيليين (ليندا عفروني جلوباس ٢٠٠١/١١/٥). وحسب تقديرات مؤسسة التأمين الوطنية والجيش فإن تكلفة استدعاء (٢٠ ألفًا) من الاحتياطي من أجل القضاء على الانتفاضة في نهاية (مارس ٢٠٠٢) ستصل إلى نحو (١٢٥ مليون دولار) شهريًّا، ولا يشمل ذلك تكلفة أيام العمل التي سيفقدها جنود الاحتياط (يديعوت أحرونوت ٣/٣١/ ٢٠٠٢).

وامتد الأثر الاقتصادي إلى بعض أهم قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي؛ مثل: السياحة والزراعة وقطاع العقارات؛ ففي قطاع السياحة بلغت الخسائر (١ و ٢) مليار دولار (الموقع الإخباري باللغة العربية ليديعوت أحرونوت ٢٠٠٢/٣/٢٦)، وانخفض عدد السُّيَّاحِ بعد الانتفاضة إلى (٨٧٠ ألف) شخص بعد أن كان (١,٧ مليون) سائح وفقًا لبيانات المكتب المركزي للإحصاء، ويتوقع أن يستمر التراجع بنسبة (٣٧٪) تقريبًا عام (٢٠٠٢).

ولأول مرة يحدث عجز في قطاع السياحة؛ حيث إن المبالغ التي أنفقت عليه زادت على الأرباح بحوالي (٦٠٠ مليون دولار). وقد تَمَّ الاستغناء عن (١٥) ألف عامل من أصل (٣٦) ألف عامل في قطاع الفنادق، وتسريح حوالي (٥٠) ألف عامل من أصل (٢٢٠ ألفًا) في قطاع السياحة، في حين أَغْلَقَتْ (٢٥) شركة سياحية أبوابها هذا العام. بل إنه حتى في الأماكن البعيدة الآمنة نسبيًّا كالبحر الميت انخفضت نسبة الحجز في الفنادق بنسبة (٦٦٪) عن مثيلتها عام (٢٠٠٠ م).

* ونظرًا لانهيار صناعة السياحة فقد تضررت شركة الطيران الإسرائيلية «العال» التي وصلت خسائرها إلى (١٦٠) مليون دولار، ومع تدهور الوضع الأمني قررت العديد من شركات الطيران العالمية إلغاء رحلاتها إلى تل أبيب، كان من أبرزها شركة «إير فرانس» (البيان ٢٠٠١/٩/٨).

* أما في قطاع البناء والعقارات فقد حدث تقلص بنسبة (١٠٪)، وبلغت الخسائر حوالي (٦٠٠) مليون دولار نتيجة منع العمال الفلسطينيين من الدخول إلى إسرائيل، وانخفضت نسبة

شراء البيوت والشقق الجديدة بنسبة (١٦٪) خلال الفترة من يوليو إلى نوفمبر (٢٠٠١ م)، أما في المستوطنات فقد انخفضت مبيعات الوحدات السكنية بنسبة (٦٦).

وامتدت الأزمة إلى المناطق العربية المحتلة في عام (١٩٤٨ م)؛ فمنذ قيام الانتفاضة وتضامن الشباب العربي معها في مظاهرات عنيفة في مدن؛ مثل: يافا وحيفا وعكا، أخذ اليهود يبيعون منازلهم في يافا ويخلون عكا مهاجرين إلى مناطق أخرى، ويقوم السكان العرب بشراء البيوت والشقق التي يبيعها اليهود بأسعار رخيصة؛ فأسعار الوحدات السكنية انخفضت في كل المدن المختلطة التي يسكنها العرب واليهود، وتصل نسبة الانخفاض أحيانًا إلى (٣٠٪) أو أكثر؛ وذلك بسبب رغبة اليهود في الهجرة (الموقع الإخباري باللغة العربية لصحيفة يديعوت أحرونوت ٢٩/٣/٢٠٠٢).

* وفي القطاع الصناعي حدث انخفاض بنسبة (٧٪) في بعض فروع الصناعة؛ خصوصًا الصياغة (الذهب)، كما تأثرت الصناعات التكنولوجية المتقدمة التي تعد القطاع الرائد في الاقتصاد الإسرائيلي؛ فقد قررت شركة (إنتل كورب) إلغاء قرار إنشاء مصنع جديد لإنتاج رقائق الكمبيوتر في إسرائيل بتكلفة (٣,٥) مليار دولار، كما قررت شركة (لوسنت تكنولوجيز) الأمريكية المتخصصة في معدات الاتصال إغلاق وحدة إنتاجها في إسرائيل التي تعمل تحت اسم «كرومايتس نتويركس».

وفي ظل انهيار قطاع التكنولوجيا المتقدمة في الولايات المتحدة واستمرار تأثير الانتفاضة تراجعت الاستثمارات الأجنبية في القطاع التكنولوجي الإسرائيلي من (١٣) مليار دولار عام (١٩٩٩ م) إلى أقل من مليار في الوقت الراهن. بل بدأت الشركات الأجنبية في الانسحاب من إسرائيل.

وخسر قطاع الزراعة حوالي (١١٠) مليار دولار، ويتوقع أن يشهد عام (٢٠٠٢ م) إغلاق (١٠٪) من الشركات التي تعمل في إسرائيل (البيان ١٩/١٢/٢٠٠١).

وقد تأثرت حركة التسوق بصورة كبيرة؛ ففي مطلع أبريل (٢٠٠٢)، وعقب عملية نتانيا الاستشهادية تقلص عدد زوار المجمعات التجارية بنسبة تتراوح بين (٣٠ - ٥٠٪) في أعياد الفصح اليهودي (الموقع الإخباري باللغة العربية لصحيفة يديعوت أحرونوت ٢/٤/٢٠٠٢).

* وعلى صعيد التجارة الخارجية بلغ العجز في الميزان التجاري (٢,٦) مليار دولار عام (٢٠٠١)، وانخفضت الصادرات بنسبة (١١٪) عام (٢٠٠١)، وشمل هذا جميع أنواع الصادرات؛ فقد انخفضت الصادرات الصناعية بنسبة (٧٪) منها (٧٧٪) في صادرات قطاع التكنولوجيا المتطورة. وانخفضت صادرات الماس المصقول بنسبة (١٧٪) والصادرات الزراعية بنسبة (٨,٣٪).

وانخفضت الواردات بنسبة (٤,٤٪)، وانخفضت المواد الخام المستوردة بنسبة (١٠٪)، والماس الخام بنسبة (٢٠٪)، والماكينات بنسبة (١١٪). أما الاستثمارات الأجنبية في إسرائيل فقد انخفضت بنسبة (٦٥٪) في عام (٢٠٠١)، وكان أكثر أنواعها تضررًا هو الاستثمار في قطاع السندات المالية الذي تراجع بنسبة (٩٤,٧٪). وفي القطاع الصناعي بلغت نسبة التراجع في النمو ٣٠٪ عام (٢٠٠١).

ولكن أمام هذه الأرقام يجب ألا ننسى أن أثر الانتفاضة على إسرائيل له وجه إيجابي - من منظور إسرائيلي -؛ فأمام تصاعد حدة المواجهات يلجأ شارون إلى استدعاء مزيد من قوات الاحتياط وهو ما يؤدي إلى تقليل نسبة البطالة والسخط الشعبي الناتج عنها؛ حيث تزايد الطلب على توظيف حراس الأمن من المجندين العاطلين عن العمل والطلاب، ويصل عدد العاملين في قطاع الحراسة (١٣٠) ألف شخص يحرسون دور السينما والمطاعم والمؤسسات التعليمية، وهو يعد الفرع الأكثر تشغيلًا في الاقتصاد الإسرائيلي (يديعوت أحرونوت ٢٩/٣/٢٠٠٢). وهكذا تحاول إسرائيل استخدام المخاوف الأمنية الناجمة عن الانتفاضة لحل بعض جوانب أزمتها الاقتصادية المستحكمة.

ومع تنامي العمليات الاستشهادية لجأت الحكومة إلى تخصيص خمسة عشر مليون دولار لتحصين وسائل النقل العام داخل الخط الأخضر والمستوطنات، إلى جانب ما تنفقه المؤسسات الاقتصادية والترفيهية من ملايين الدولارات على استئجار خدمات شركات الحراسة لإقناع عملائها بأنه بالإمكان ارتيادها دون الشعور بالخوف، ولكن الإسرائيليين أصبحوا لا يستخدمون وسائل النقل العام ويرفضون التوجه إلى المطاعم الكبيرة في المدن، ويخشون المشي في الشوارع.

ومع زيادة المخصصات المتعلقة بحماية قطاع غزة وتأمين المستوطنات والسياج الأمني حول

قطاع غزة يزداد الجدل داخل المجتمع الصهيوني حول الاستيطان.

وإزاء كل هذا التأزم الاقتصادي تتعالى الأصوات لمناقشة الوضع في إسرائيل. وفي استطلاع أجرته صحيفة معاريف في يناير عام (٢٠٠٢م) تبين أن (٧٩٪) من الإسرائيليين غير راضين عن الأداء الحكومي في الاقتصاد؛ فهناك من يرى أن الانتفاضة تُسْتَخْدَمُ كغطاء وتبرير للأداء السيئ للحكومة ولإخفاء عجزها في مواجهة المشاكل الحقيقية في الاقتصاد الإسرائيلي.

وفيما يلي جدول بخسائر الاقتصاد الإسرائيلي:

المؤشرات الاقتصادية	قبل الانتفاضة	بعد الانتفاضة عام ٢٠٠١	ملاحظات
نسبة النمو	٦٪	٠,٦٪	شهد الاقتصاد الإسرائيلي انكماشًا بنسبة ٠,٦٪ بعد أن كانت نسبة النمو ٦٪ عام ٢٠٠٠، فقد تقلص الناتج القومي بنسبة ٠,٦٪ أي أن النمو بالسالب (أقل من الصفر)، وهكذا يكون عام ٢٠٠١ هو أسوأ الأعوام منذ عام ١٩٥٣ ، من المتوقع أن يصل انخفاض الناتج القومي إلى ٠,٨٪ بحلول نهاية عام ٢٠٠٢.
البطالة	٨,٨٪	١٠,٢٪	يبلغ عدد العاطلين عن العمل ٢٥٦ ألف شخص
التضخم	صفر	٣,٥٪	
العجز في الموازنة	٠,٦٪	٣٪	يتوقع أن يصل العجز إلى ٥٪ في عام ٢٠٠٢
العجز في الميزان التجاري	٠,٦٪	٢٦٠٠ مليون دولار	انخفضت الصادرات بنسبة ١١٪ والواردات بنسبة ٤,٤٪ وانخفضت الصادرات إلى الولايات المتحدة بنسة ١٤,٨٪
عدد السياح	١,٧٪	٨٧٠ ألف سائح	بلغت خسائر هذ القطاع ٢,١٪ ويلاحظ أن عدد كبيرًا من السائحين هم في واقع الأمر أقارب المستوطنين الذين يأتون لزيارتهم.
القطاع العقاري: حجم المبيعات	٤٣ ألف وحدة	٣٥ ألف وحدة	نسبة الانخفاض في المبيعات ٢٢٪ وتقدر الخسائر البشرية زهاء ٤ مليون دولار.
الانتاج الصناعي	–	–	قلصت ٤١٪ من المصانع انتاجها
قطاع التكنولوجيا: نسبة النمو	١٢٪	٤٪	هذا القطاع هو محرك الاقتصاد الإسرائيلي، وتأثير الانتفاضة عليه غير مباشر، عن طريق تراجع الاستثمارات الأجنبية، ورغبة العمال من ذوى الكفاءات العلمية في الهجرة.
الاستثمارات الأجنبية	٦ مليارات دولار	٢,٥ مليار دولار	

تقدر مجمل خسائر الاقتصاد الإسرائيلي في أحسن الاحتمالات بنحو (٣) مليارات دولار؛ أي: ما يعادل (٣٪) من الناتج القومي (معاريف ٢٩/٣/٢٠٠٢)، في حين ترفع بعض تقديرات هذه الخسائر إلى (١٠) مليارات دولار (البيان ٨/٩/٢٠٠١). ويمكن إدراك فداحة هذه الخسائر وتأثيرها على الاقتصاد الإسرائيلي إذا علمنا أن حرب أكتوبر (١٩٧٣ م) كلفت الاقتصاد الإسرائيلي (٥) مليارات دولار.

والملاحظ أن للانتفاضة آثارًا غير مباشرة على إسرائيل؛ منها: تشجيع الدول العربية على تطوير المقاطعة العربية لإسرائيل التي إذا تَمَّ الالتزام بها بشكل كامل فإنها تجعل إسرائيل تخسر نحو (٣) مليارات دولار سنويًّا كما يرى الخبراء (القدس العربي ٢٧/٣/٢٠٠٢). وقد اضطرت الشركة الإسرائيلية «مرحاف» إلى بيع حصتها في مصاريف «ميدور» بالإسكندرية، وتقلصت علاقات التطبيع الاقتصادي مع عدد من الدول العربية (يديعوت أحرونوت ٢١/٣/٢٠٠٢). ويرى بعض الباحثين أن خسائر إسرائيل نتيجة غياب العمال الفلسطينيين في قطاعات الزراعة والبناء، وانهيار صادراتها إلى مناطق السلطة الفلسطينية تقدر بنحو مليار دولار.

ونظرًا لاندلاع الانتفاضة فقد تراجعت العمالة الفلسطينية من (١٢٤) ألفًا إلى (٤) آلاف عامل فقط، الأمر الذي يدفع إسرائيل إلى اللجوء إلى استيراد العمالة من دول شرق أوربا وتايلاند وأمريكا.

وفي الواقع فإن المساعدات الأمريكية الرسمية وغير الرسمية التي تتراوح بين (٦ - ٨) مليارات دولار سنويًّا تعد بمثابة العامل الأساسي الذي يحول دون انهيار الاقتصاد الإسرائيلي؛ ولذلك يتوقع أن يقوم الكونجرس الأمريكي بالضغط من أجل تقديم مِنَحٍ لا تُرَدُّ وقروض لإسرائيل لتعويض خسائرها جراء استمرار الانتفاضة»[1].

---

(١) من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية، ص ١٥٢- ١٥٥.

❏ فُقْدَانُ الإِحْسَاسِ بِالْأَمْنِ عِنْدَ الْيَهُودِ فِي إِسْرَائِيلَ .. ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾:

هذا من «**ياسين**» وصحبه المغاوير الاستشهاديين.. بلغ الخوف باليهود من الاستشهاديين كلَّ مبلغٍ حتى قال إسحاق رابين رئيس وزراء العدو السابق عن البطل «**يحيى عياش**»: «**لعله بيننا في الكنيست**».

إن مليون سياسي لا يثون الرعب بشجبهم واستنكارهم وحربهم الكلامية مثلما بثته «**نورا جمال شهلوب**» (١٥ عامًا) أو «**آيات محمد الأخرس**» (١٨عامًا)، فضلًا عن العمالقة العباقرة أمثال تلامذة الشيخ «**ياسين**»: «**محمود أو هنود**»، و«**صلاح شحادة**»، و«**عماد عقل**»، فما ظنكم بالرعب الذي يلقيه «**ياسين**» في قلوب اليهود ـ وإن كان مقعدًا ـ، هذا الأثر حكرٌ على المجاهدين فقط عبر التاريخ:

● **فَهَذَا الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ رَأْسُ الشُّجْعَانِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُاللَّهِ الْبَطَّالِ مَقَدَّم جَيْشِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِالْمَلِكِ:**

«قال البطال: سألني بعض ولاة بني أمية عن أعجب ما كان من أمري في مَغَازِيَّ في الروم. فقلت له: خرجتُ في سرية ليلًا، فدفعنا إلى قرية، فقلتُ لأصحابي: ارخوا لُجُم خيلكم، ولا تحركوا أحدًا بقتل ولا بشيء حتى تستمكنوا من القرية ومن سكانها. ففعلوا وافترقوا في أزقتها، فدفعتُ في أناس من أصحابي إلى بيت يزهر سراجه، وإذا بامرأة تُسْكِتُ ابنها من بكائه، وهي تقول له: لَتَسْكُتَنَّ أَوْ لأدفعنك إلى البطال يذهب بك. وانتشلته من سريره، وقالت: خذه يا بَطَّالُ. قال: فأخذته»[١].

● **أَوْ فَارِسُ الْمَغْرِبِ ابْنُ فَتْحُون:**

قال عنه الطرطوشي: «كان خال والدتي، وكان أشجع العرب والعجم،... وكانت النصرانية بأسرها قد عرفت مكانه وهابت لقاءه؛ فَيُحْكَى أن الرومي كان إذا سقى فرسه فلم يشرب، يقول

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٥/٢٦٨، ٢٦٩، والبداية والنهاية ٩/٣٤٥.

له: اشرب، أَوَ ابْنَ فتحون رأيتَ في الماء؟!»[1].

حتى الخيول تهابهم، وتظن أن في الماء خيالهم، سرى الخوف من البطل في دماء فرسان العدو وأوصالهم، ولا تموت أمة فيها أمثال هؤلاء.

وَلْنَأْتِ إلى هذه الرسالة المفتوحة التي كتبها جنديٌّ احتياطٍ إسرائيلي، ونشرت على موقع صحيفة يديعوت أحرونوت (٢٩/ أغسطس/ ٢٠٠١ م)، ونقلتها عنها الصحف الإسرائيلية الأخرى، والتي قال فيها بكل صراحة:

أخاف من الموت بلا سبب؛ كالأبله على الرمال النتنة المسماة قطاع غزة.. لا أعرف أن أطير عندما يطلقون عليَّ النار.. عدتُ من الانتفاضة الأولى، ومن حرب لبنان، ومن الانتفاضة الثانية.. عدتُ بحالة جيدة، بمحض المصادفة.. لا أؤمن بالمعجزات وبالحظوظ، ولا أعتقد أن لكل طلقة عنوانًا، لكن أنا أيضًا ليس لي عنوان... إذا ما مِتُّ فسأموت كالأبله.. أبله لم ينتبه له أحد.. أبله إحصاءات.. أبله عائلة ثكلى.. أشعر بأن أولئك الجالسين في أبراجهم العاجية أيضًا لا يتابعون إطلاقًا ما يحدث لي ولكتيبتي، وربما لنا جميعًا.. أشعر بأنهم لا يعيروننا انتباهًا.. وأسأل نفسي ما إذا كنتما أنتما الجالسان في برجيكما العاجيين؛ رئيس حكومتي ورئيس أركاني تعرفان فعلًا ما الذي يجب عمله كي أتمكن من العودة إلى البيت؟! وقبل هذا وذاك أرجو أن تبينا لي أنكما مَعْنِيَّانِ بخوفي من الموت كالأبله؛ ذلك بأنه لم يعد من الممكن أن تقنعاني بأنه جيد أن نموت من أجل بلدنا.. في غزة.

❑ وَالصُّورَةُ الْعَامَّةُ فِي التَّجَمُّعِ الصُّهْيُونِيِّ قَاتِمَةٌ لِأَقْصَى حَدٍّ:

ففي مقال لـ(يغئال موسكو) (يديعوت أحرونوت ٢٠٠٣/٣/١١) تحدث عن الصمت الذي يلف المدينة: «**لا توجد سيارات، وحتى المشاة القلائل يخفضون أصواتهم، كل المدينة كوادي الأشباح**».

وحاول الكاتب أن ينقل لنا حديث أهل المدينة:

«باستثناء العمل، أنا لا أخرج من البيت منذ أربعة أشهر؛ لا إلى المجمع التجاري، ولا إلى

---

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» لابن النحاس ٢/١٠٠٥ طبع دار البشائر الإسلامية.

المقهى.. كان المجمع التجاري خاويًا يا أخي...، أنا لا أسافر وحدي في الليل؛ لأنهم أطلقوا النار عدة مرات على الشارع، وأنا لا أسمح لابني أبدًا أن يخرج من الحي، قولوا لي: أية حياة أعيشها حين أعرف أن ابني يركب سيارة عابرة عائدًا إلى البيت؟! الآن كنت أنا نفسي أزور الأصدقاء ليلتين على الأقل في الأسبوع، إلى أن أطلقوا النار على جاري الذي كان يسافر بالضبط أمامي على الشارع».

ثم يعلق كاتب المقال على هذا بقوله:

«ليس هناك ملاذ في هذه البلاد؛ الأعصاب متوترة، ووصلت لدى البعض إلى حد الانفجار، ورغم ذلك سيطرت سلبيةٌ غريبةٌ على الجميع؛ الناس ينظرون إلى حجم الدم اليومي كقضاء وقدر؛ تمامًا مثلما ينظر البائسون في بنجلادش إلى الفيضانات، يدخلون في سياراتهم بعد العمل، يصغون إلى الراديو الذي تحول إلى بيان لإعلانات الجنازات، يصلون البيت ويغلقون الباب، يحتفظون بالأولاد قريبًا جدًّا منهم».

ولا تختلف الصورة التي يرسمها (سيما كرمون) في مقال له في (يديعوت أحرونوت ٢/٤/ ٢٠٠٢ م) عن الصورة التي رسمها (يغئال موسكو)، بل ربما تكون أكثر قتامة:

«هذه أيام عصيبة للمواطن العادي، أيام مجنونة، لم يسبق لبيت أن كان محصنًا مثل هذه الأيام، البيت هو الحصن، إنه غرفة عمليات، مع الهواتف، التلفزيون، والتأكد من أن الجميع على قيد الحياة، الوسادة كيس رمل، الغطاء سور أسمنتي، رائحة الربيع تطرق النوافذ، رائحة البرتقال، رائحة الياسمين، ولكن الأيدي خاوية، والأرجل ثقيلة لا تقوى على الخروج.

هذه أيام مجنونة، تنهض في الصباح مع ألم اليوم التالي ولحظات الخوف قبل أن نفتح المذياع لنسمع عن اليوم السابق، ندخل في يوم جديد مع خوف بأن لا يعود إلينا الجميع، لأمور يومية بسيطة يجب أن نفكر مرتين، ثلاث، أربع قبل أن نفعلها، هل نخرج مع الكلب؟! أن نتوجه إلى البقالة؟! أن نسافر في الحافلة للعمل؟! أن نذهب للتسوق؟! أنِ نجلس في المقهى؟! أن نرسل الأولاد للمدرسة؟! كل شيء يدرس بإمعان!! كل سؤال بسيط بات مشكلة وجودية!! هل نحن حقًّا في حاجة اليوم لشراء الحليب؟! ألا يمكن الانتظار ليوم واحد؟! ومن أجل ماذا نذهب إلى المقهى ما دام كل شيء في البيت لطيفًا؟! والتسوق يمكنه الانتظار، والأولاد يمكن أن يستقلوا

سيارة عمومية، وثمة وقت لحفل الزفاف، لسنا مضطرين لشراء فستان اليوم تحديدًا، وبصورة عامة ليس من المهم أن نشاهد هذا الفيلم؛ فبعد وقت قصير سَيُوَزَّعُ في أشرطة فيديو!! وَمَنْ له رغبة الآن لحضور العروض المسرحية؟! وَمَنْ أصلًا يفكر الآن بخارج البلاد في الوقت الذي يخدم فيه ابنه في المناطق؟!

ونحن ننظر إلى الأولاد وقلوبنا تتقطع؛ في إجازات عيد الفصح السابقة كانوا يَتُوقُونَ للخروج من هنا، الخروج إلى الخارج، ولكن كل ما يرونه الآن هو البقاء في البيت من أجل أن نراهم طوال الوقت».

وقد ظهر في إسرائيل ما يُسَمَّى «حضارة البقاء في المنزل»؛ وهي: أن الناس يفضلون البقاء في المنزل، ولا يذهبون إلى المطاعم إلا نادرًا؛ ولذلك فمعظم المطاعم فَتَحَتْ خدمة تيك أواي. وحتى حينما يذهبون إلى مطعم لا يجلسون في الموائد التي توجد في وسط المطعم، بل يفضلون الجلوس وراء العمود، وتبدأ علامات الراحة تظهر عليهم، كما لو كانوا يحاولون كبت أية مخاوف بداخلهم. ولكن «بانج» تفجر إحدى البالونات فينتفض كل المطعم هلعًا ليتذكر الجميع أنهم ليسوا في مطعم عادي ولا في بلد عادي. وهكذا في لحظة دالة حطمت الضوضاء واجهة الهدوء (مارتن آسر أون لاين ٢/٣/٢٠٠٢- ٦٠. BBC).

* وقد أكد (يوئيل ماركوس) في (هآرتس ١٣ نوفمبر ٢٠٠١): «الحقيقة المرة أننا لم ننجح في تصفية الإرهاب ودحره بالقوة؛ بل إن الفلسطينيين نجحوا في زرع الرعب في صفوفنا، وفشلنا في إخافتهم؛ وأكبر دليل على ذلك: أن الوزير داني نفسه وأبناء عائلته أخلوا بيتهم؛ خوفًا على أمنهم؛ وذلك بناء على نصيحة الشاباك (جهاز الأمن الداخلي)... وقال رعنان كوهين ـ عضو المعارضة ـ: إن الوضع خطير جدًّا؛ أنا أنظر بخطورة بالغة إلى الوضع الذي لا يستطيع فيه الوزراء أن يتجولوا بحرية داخل الخط الأخضر، وإن لم نشعر نحن الوزراء بالطمأنينة، فكيف سيشعر الجمهور؟!».

واستمر كاتب المقال في القول:

«إنجاز الفلسطينيين لا يكمن في إخافة وزير في إسرائيل، إنجازهم الحقيقي يكمن في أنهم وضعوا علامة على كل المستوطنين والإسرائيليين كأهداف، وألحقوا الأذى باقتصاد إسرائيل وبالسياحة الوافدة إليها، وزرعوا من خلال أعمالهم الإرهابية أجواء من الخوف والجزع، في

الوقت الذي لم تنجح فيه إسرائيل في زرع خوف مشابه في أوساطهم».

لكل هذا ليس من الغريب أن أحد استطلاعات الرأي في صحيفة معاريف وصفت الوضع السائد في إسرائيل بأنه يسوده «ارتباك شديد، وحيرة تزداد تعاظمًا؛ فالجمهور يتراكض بذعر من هنا إلى هناك، وهو على استعداد للإمساك بكل قَشَّةٍ تقع في طريقه من أجل محاولة التخلص من هذا الوضع، حتى لو كان ذلك بقول الشيء ونقيضه؛ فهو يريد هذا وذاك: الفصل من طرف واحد، والتوصل إلى اتفاق، الحوار مع القيادة الفلسطينية وكذلك تدميرها، والتحاور مع العرب في المناطق المحتلة، وأيضًا ـ بنسبة تأييد ملحوظة ـ طردهم إلى الدول العربية المجاورة».

ويكتب (حيمي شاليف) في معاريف: «إن أخطر ما في الأمر هو ذلك الإحساس العام بأنه لا أحد في البيت، وأن السفينة تهتز في بحر عاصف، وأنه لم تعد لدى قبطان السفينة أية أفكار أخرى، لا في الميدان السياسي، ولا في الميدان الاقتصادي الاجتماعي، وثمة تقدير سائد بأن القيادة الوطنية فقدت سيطرتها على الأحداث، وهذا وضع متطرف، يمكن أن يقود أيضًا إلى البحث عن حلول متطرفة».

وفي ظل ارتفاع الخسائر البشرية مع استمرار الانتفاضة زادت معدلات الخوف والقلق بين الإسرائيليين بصورة مطردة خلال الشهور الثلاثة الأولى من الانتفاضة.

معدلات الخوف

الشهر	مطلع اكتوبر	منتصف أكتوبر	مطلع نوفمبر
الشعور بالخوف على الأمن الشخصي أو أمن الأبناء عام ٢٠٠٠	**٥٧٪**	**٦٨٪**	**٧٨٪**

أكثر من مصدر: معاريف (٢٠ فبراير ٢٠٠١ م)، يديعوت أحرونوت (١٠ نوفمبر ٢٠٠١ م).

وفي شهر مارس لم يختلف الأمر كثيرًا؛ فقد نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت (١٤/٣/٢٠٠٢م) أن (٧٨٪) من الإسرائيليين لم يعودوا يسهرون في أماكن عامة؛ خشية الإصابة في عمليات تفجير فلسطينية.

إن جمهور المستوطنين (٦٣٪) يعتقد أن الدولة الصهيونية قد دخلت طريقًا مسدودًا؛ فهي لا يمكنها القضاء على الانتفاضة بالقوة؛ مما يعني أن الانتفاضة لن تنتهي. وفي الوقت ذاته لا يمكن

التوصل إلى اتفاقات سلام مع الفلسطينيين؛ فكل محاولات وقف إطلاق النار بَاءَتْ بالفشل (الجيروساليم بوست ٢٠٠١/٩/٣٠ م). أو كما يقول (أمنون دنكنر) في مقال نشرته جريدة معاريف: «أسوأ الأمور هو أن من الواضح أنه لم يعد ثمة حلول سحرية يمكن التوصل إليها بضربة واحدة، ولم يعد السلام الشامل والنهائي مغريًا، وحتى ليس ثمة حلول عسكرية تتكلل بأناشيد المنتصرين، ومن الجهة الأخرى لا يوجد أي إمكان للاستمرار في ظل الوضع الحالي من دون عمل شيء».

* وفي (٢٥ يناير ٢٠٠٢ م) أكد (يوئيل ماركوس) في (هآرتس) أن (شارون):

«أدخل الإسرائيليين في دائرة دموية مفرغة لا يمكن الخروج منها.. الناس لم يخرجوا مرة أقل خوفًا من الهجمات الإرهابية .. الجمهور متعب ومرهق ومتشائم.. طاقة إسرائيل تَمَّ تقويضها، ورغم أن إسرائيل عضو في نادي أقوى خمسة جيوش في العالم، ونادي الدول النووية الثمانية، فقد بلغت النقطة التي لا يمكن فيها أن تصل إلى حل عسكري مع الفلسطينيين».

* وقد عبر (دانمار روبنشتاين) أحد أبرز المعلقين الإسرائيليين على نفس الفكرة؛ إذ قال في صحيفة معاريف (٢٠٠١/٩/٢٠ م): «إن طريقة مواجهة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية للانتفاضة لم تفشل فقط؛ بل إنها أدت إلى انتقال حمى العمليات الاستشهادية إلى فصائل لم تكن قد تَبَنَّتْهَا من قبل، وحصلت إسرائيل على عكس النتائج التي راهنت على تحقيقها».

إن قوة الجيش ـ كما جاء في معاريف (٢٠٠٢/٢/١١ م) ـ تتآكل بمنهجية بعد أن غرقت في مستنقع الانتفاضة، وقد وصل الأمر إلى درجة أن المطلوب هو «جندي في كل دكان، في كل موقف سيارات، في كل محطة أتوبيسات، وسبعة منهم في كل مفترق». وبالفعل نشرت جريدة معاريف (٢٠٠٢/٤/٢ م) أن اللجنة القطرية لأولياء أمور الطلبة في إسرائيل اتخذت قرارًا بعدم استئناف الدراسة في المدارس بعد عطلة عيد الفصح إذا لم يوضع حراس مع أسلحة حول كل المؤسسات التعليمية.

ولكل هذا أعلن (أليكس فيشمان) في مقال له في يديعوت أحرونوت أن سياسة الأمن الإسرائيلية تحتضر، وأشار إلى أن الوضع الأمني الذي تعيشه إسرائيل يعتبر إفلاسًا أمنيًّا يلزم المطبخ الأمني باتخاذ قرارات تكسر دوامة ردود الأفعال التي تسحب الطرفين في عناق الموت نحو

الهاوية.

لقد وصل العقل الإسرائيلي مرة أخرى إلى حالة «إين بريرا»؛ وهي عبارة تعني: «لا خيار»، وكانت تعني في الماضي أن المستوطن الصهيوني محكوم عليه بالدخول في حروب مستمرة، الواحدة تلو الأخرى لمدة طويلة، ولكن كان الاعتقاد الصهيوني الراسخ أن ثمة مخرجًا في نهاية النفق المظلم من خلال ما يسميه الفكر الأمني الإسرائيلي «الحائط الحديدي»؛ أي: أن يبني المستوطنون حائطًا حديديًّا حول أنفسهم، لا يمكن للعرب اختراقه، وهو ما يضطرهم للرضوخ للأمر الواقع والاقتناع بأنه لا يمكن هزيمة هؤلاء الوافدين من الغرب.

وبدلًا من الحائط الحديدي ظهرت عبارة «العجز الأمني» فهي حالة من «إين بريرا» دون أمل. أو كما قال أحد الكتاب في معاريف (٣٠/١/٢٠٠٢ م): «إن المجتمع الإسرائيلي يشعر باليأس مثل قطيع بلا راع، محاط بذئاب مجنونة»، وكما قال آخر في يديعوت أحرونوت (١١/١١/٢٠٠١ م): «**ليلة سعيدة أيها اليأس... والكآبة تكتنف إسرائيل**». ولذا فإن هآرتس (٢٣/١١/٢٠٠١ م) تطرح شعارًا جديدًا للصهاينة: «**دعونا نأكل ونشرب؛ فسوف نموت غدًا**». ولو نجح شارون في تنفيذ مخططه لضرب الانتفاضة، لكَرَّسَ نمط الحائط الحديدي، وَلَبَعَثَ فيه الحياة، وفشله يعني في واقع الأمر سقوط هذا الوهم، وهو ما يعني سقوط الحلم الصهيوني (وهل يمكن للجيوب الاستيطانية أن تعيش دون حلم أو وهم أو أساطير؟!).

لكل هذا تدهورت ثقة الإسرائيليين في دولتهم ومؤسساتها، حتى فيما يخص جيش الاحتلال.. ويتبين هذا التراجع بالمقارنة بين ثقة الإسرائيليين في هذه المؤسسات بين عامي (١٩٩٦ - ٢٠٠٢ م)؛ فبينما كان (٦٠٪) من الإسرائيليين يثقون في الحكومة عام (١٩٩٦)، انخفضت النسبة إلى (٣٧٪) عام (٢٠٠٢). ويلاحظ نفس النمط في مؤسسات أخرى؛ فالثقة في الكنيست انخفضت من (٦٢٪) إلى (٢٥٪)، وانخفضت النسبة في الأحزاب من (٣٦٪) إلى (١٦٪) خلال نفس الفترة الزمنية.

ويمكننا الآن طرح سؤال: ما الأثر النفسي لهذا الإحساس بعدم الأمن؟ كفانا الباحثون الإسرائيليون مئونة البحث؛ فقد جاء في جريدة هآرتس (٦/١٠/٢٠٠١) أن عدد المرتادين لعيادات الأطباء قد زاد بشكل كبير في الآونة الأخيرة رغم أنهم ليسوا مرضى من الناحية

العضوية، وإنما يعانون من ضغوط وتوتر على خلفية الأحداث الأخيرة ـ أي الانتفاضة ..

وقد نشرت جريدة معاريف (٢/٤/٢٠٠٢) أن وزارة الصحة الإسرائيلية فتحت مراكز استعلامات هاتفية يستطيع المواطنون عبرها تلقي مساعدات نفسية. كما بَيَّنَتْ يديعوت أحرونوت (١٤/٢/٢٠٠٢) أن شركات الأدوية أفادت بأن هناك ارتفاعًا بنسبة (٥٠٪) في استهلاك المهدئات والمسكنات.

وقد نشرت كل من هآرتس وبنئيم (عدد ١٧) (صيف ٢٠٠١) عن ظاهرة يسميها علماء النفس ظاهرة «العجز المكتسب». ولشرح هذه الظاهرة تقول الصحف: إنه أجريت تجربة عُرِّضَ أثناءها كلبان لصدمات كهربائية، وَأُعْطِيَ واحد منهما الفرصة للفرار، أما الآخر فقد حُرِمَ منها، فاكتسب الأول حسًّا سريعًا بتجنب الصدمات الكهربائية من خلال القفز إلى الجهة الآمنة، أما الثاني فقد تكيف تمامًا وتقبل الموقف بخنوع، حتى إنه حينما أُتِيحَتْ له فرصة الهرب في تجربة أخرى، لم يغتنمها؛ فالعجز المكتسب هو سلوك سلبي ينشأ من الإدراك أن لا وسيلة لتجنب آثار مؤلمة، ومن عدم اليقين بخصوص أي شيء، فهي حالة «إين بريرا» بامتياز.

وقد توصل العلماء إلى أن ظاهرة العجز المكتسب في المجتمع الإسرائيلي تنطوي على أخطار كثيرة؛ مثل: الشلل من جهة، والتطلع من جهة أخرى إلى حلول سحرية قد تحل كل المشكلات بضربة واحدة، وهذا الاتجاه الأخير أرض خصبة لتطور توق قوي إلى ظهور مسيح دجال، والاستعداد لقبول مَنْ يقدم نفسه « كقائد قوي» يمكنه حل المشكلات كافة، (وهذا يفسر ظهور شارون الذي وعدهم بإعادة الأمور إلى نصابها).

ومن أطرف المؤشرات على حالة الذعر التي انتابت التجمع الصهيوني أنه مع تصاعد الانتفاضة بدأت حالة الذعر تنتاب الكلاب والقطط في المنازل الإسرائيلية؛ ولذا اقتضى تقديم المهدئات لها (الفاليم). وقال أطباء بيطريون: إن الكلاب تبدأ في النباح، وتصبح أكثر عدوانية، وترتجف لا إراديًّا، أو تفقد التحكم في مثانتها عندما تصل أصداء دوي إطلاق النار في الضفة الغربية إلى مباني القدس.

وقال (بيني سابير) وهو طبيب بيطري في القدس: اليوم فقط عالجت كلبًا من نوع السيشن كان قد امتنع عن الطعام ويرفض مغادرة منزله.

وقال طبيب بيطري آخر: إنه لم يرَ مثل هذا العدد من الكلاب المضطربة منذ أَمْطَرَ العراقُ تل أبيب بصواريخ سكود خلال حرب الخليج عام (١٩٩١).

وقال طبيب آخر: إن كلبه ـ هو شخصيًّا ـ يرفض الخروج من المنزل. إن الناس مصابة بالتوتر ولا يدرون ماذا يفعلون وعلى من يلقون باللوم؟! الناس متوترة وكذلك حيواناتها
(BBC ويديعوت أحرونوت ٢٠٠٢/٣/٦).

لقد بَثَّتْ الانتفاضة الرعب في قلوب اليهود، ودفعهم هذا إلى بناء جدارهم الحديدي العريض.. الذي يبلغ طوله (٢٥٠ كم)، وارتفاعه (٥ أمتار)، وأمامه حفرة بعرض (٥ أمتار)، وأجهزة إليكترونية ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾.

لقد بَثَّ ذِكْرُ «**أحمد ياسين**» الرعب في قلوب الإسرائيليين حيًّا وميتًا؛ فقد وصف (إفريم هاليفي) رئيس الموساد الإسرائيلي الشيخ «**ياسين**» بأنه «**بن لادن فلسطين**»، وفي هذا الوصف ما يكفي لتصوير رعبهم منه.

وقال المحلل السياسي الصهيوني (يرون لندن): إن «**يَاسِينُ الْمَيِّتُ أَقْوَى مِنْ يَاسِينَ الْحَيِّ، وَصُورَتُهُ كَكَبِيرِ الشُّهَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بَاتَتْ تُلْهِبُ خَيَالَ الْجَمَاهِيرِ وَتُقَلِّصُ حُرِّيَّةَ عَمَلِ الزُّعَمَاءِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ الْعَقْلَانِيِّينَ**».

الرُّعْبُ الَّذِي يَسْرِي فِي الْمُسْتَوْطَنَاتِ

يقول شيطان إسرائيل (شارون): «إن المستوطنات لها أهمية تاريخية واستراتيجية؛ لأنها تحمي مسقط رأس الشعب اليهودي، كما توفر لنا عمقًا استراتيجيًّا لحماية وجودنا»[1].

والاستيطان جوهر الصهيونية وعمودها الفقري، وكان اليهود يطلقون على المستوطن اليهودي كلمة «حالوتس»؛ أي: «**رائد**»؛ لأن تصورهم أن هذا المستوطن كان يأتي لأرض بكر عذراء فيستولي عليها من أصحابها الفلسطينيين ثم يحرثها ويزرعها، ويحرسها بنفسه؛ ولذا فهو يمسك بالبندقية بيد والمحراث باليد الأخرى، وهذا المستوطن يدين بالولاء للعقيدة اليهودية ويعد طليعة

(١) من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية» ص ٢٠.

الشعب اليهودي والقوة العسكرية اليهودية.

وبعد أن دَبَّ فيهم الترف بدلًا من التقشف، أصبح المستوطن الجديد شخصًا مُرَفَّهًا يبحث عن راحته ولذته ومنفعته؛ فهو «**مستوطن مكيف الهواء**»، أو كما يسميه المعلق العسكري الإسرائيلي (زئيف شيف) (هآرتس ١٩٨٦/٦/١٧) يطلق عليه اصطلاح «**الأمن ديلوكس**» أو «**الأمن الفاخر**»، فتحوَّل الحال بفضل الانتفاضة؛ فإذا بروادهم من المستوطنين حالهم «**يشبه ما تفعله الجدة الخائفة**»؛ أي: البكاء والصياح، وتحدثت الصحف عن المستوطنات باعتبارها «**مصيدة الموت**» (هآرتس ٢٠٠١/٩/٢) و«**مصنعًا للإرهاب**» (معاريف ٢٠٠١/١٢/٣).

«وقد وصف (أهارون مجيد) تصاعد السخط على الاستيطان في الضفة الغربية والقطاع في هذه الكلمات: «منذ أن توالت هذه العمليات ـ الفدائية ـ التي توقع الضحايا بالعشرات لم يمض يوم ولا ساعة لم توجه فيها إدانات وانتقادات للمستوطنين، من على كل منصة ومن كل ميكروفون، دم القتلة في رقبتهم، كُتَّابُ المقالات في الصحف لا يضيعون أية فرصة للتشهير بهم والبصق في وجوههم حتى حين يكتبون عن آخر فيلم شاهدوه أو عن معرض رسم في المعرض الفلاني. والمحللون الاقتصاديون أيضًا يعزون كل المشكلات التي ألمت بنا (تخفيض الفائدة، ارتفاع سعر الدولار، الفقر، البطالة، وغير ذلك) إلى المستوطنات التي تمص دم الدولة». (يديعوت أحرونوت ٢٠٠٢/١/١٣).

وقال (عكيفا الدار) (هآرتس ٢٠٠٢/٢/٤): «إن إعادتهم ـ أي المستوطنين الذين يتمسكون بالمستوطنات ـ ستكون أقل ثمنًا بالدماء والمال من إبقائهم في أماكنهم، وعندها سيتبين أن الطائفة التي ادعت حمل لواء الصهيونية الحديثة قد أفلست وغدت التهديد الأكبر على وجود إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية».

أما الروح المعنوية في المستوطنات فتعطينا إحدى المقالات النادرة التي نشرت في هآرتس (٢١/ ٢٠٠١/٩) صورة عن المستوطنات من الداخل؛ بدأ المقال بشكوى أحد المستوطنين بأن الجمهور في إسرائيل لا يعرف ماذا يحدث في المستوطنات؟ الإحصاءات الرسمية تقول: إن (٥١٠) أسرة قد تركت غور الأردن منذ بداية العام، لكن الرقم أعلى من ذلك بكثير. كما أن الإحصاءات لا تتضمن المستوطنين الذين يديرون حياتهم بالريموت كنترول ـ أي: عن بعد ـ، وهم كُثُرٌ؛ فهم

ظاهريًّا يعيشون في المستوطنات، لكنهم فعليًّا يقضون معظم أوقاتهم خلف الخط الأخضر ـ أي: فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ـ، ثم انهمرت الشكاوى.. قال أحد المستوطنين: «لقد سرت عدوى الرحيل في الوادي، ولا يبدو أنه يوجد أي علاج؛ مستوطنة «يافيت» التي كانت تقطنها (٣٨) أسرة تركتها (٨) أسر، ومستوطنة «جلجال» تركتها (٦) أسر من (٣٦) أسرة، أما «ماسوا» فقد تركتها (٥) أسر من (٣٥) أسرة، و«جيتيت» تركتها (٨) من (١٢)، أما مستوطنة «**ناعران**» فلم يبق فيها سوى (٦) أسر».

وقد ظهر في إسرائيل منذ منتصف الثمانينات مصطلح (dummy settlements)، والتي نترجمها بعبارة «**مستوطنات الأشباح**»؛ أي: المستوطنات التي تشيد ولا يقطنها سوى بضع أسر. ومن الواضح أن المستوطنات ستزداد شبحية؛ فقد كانت هناك بعض الأسر المترددة في مستوطنة «يافيت»، لكن بعد مقتل (روهار شورجي) أحد سكان المستوطنة في (٧/٨/٢٠٠١) تركت زوجته وأولادها المستوطنة، ثم تبعهم آخرون، ولكن أسوأ ضربة كانت حين هاجر (موسى هوفتمان) وزوجته (بريجيت)؛ فهما من مؤسسي المستوطنة، وكانت الضربة من القوة بحيث إن المستوطنين لا يحبون الحديث عن هذا الموضوع، ولكن حسب ما سمعه مراسل هآرتس من بعض المستوطنين، حينما عادت (بريجيت) من إجازة في فرنسا وجدت أن الجو في المستوطنة مختلف تمامًا عما كانت تعرفه، صدمها كل شيء فجأة: الحزن من أجل (شورجي)، رحيل بعض العائلات التي ساعدتهم على التأقلم والاستقرار، الحزن المخيم على الجميع؛ حينئذٍ شعرت (بريجيت هوفتمان) أن أسلوب حياة الأسرة قد تساقط أمام عينيها فقررت الرحيل.

لقد ازدادت مستوطنات الأشباح شبحية، وازدادت جيتوية «لم يعد أحد يفكر في أن يقوم برحلة، وإن سرتَ هنا بعد الظلام فلن تجد إنسانًا، نصف المنازل مظلمة، عدد كبير من الأطفال لم يعودوا بعد الإجازة الصيفية، مكان لعب الأطفال خال تمامًا، كل شيء توقف!!».

يقول صاحب أحد المطاعم: «انظر كم نحن مشغولون الآن؟!»، ويشير ساخرًا إلى درج النقود الفارغ: «سُوءُ طَالِعِنَا أننا انتهينا من تجديد المطعم قبل أن تُتَاحَ لنا فرصة أن نذوق العسل في أرض بلا شعب!! ما هو الوقت الآن؟ أربعة، إن جلستَ هنا حتى السابعة ـ أي: عندما أُغلق المطعم ـ لن ترى أكثر من جندي أو جنديين يأتون إلى المطعم». [بدلًا من الأطفال وضحكاتهم يأتي الجنود

وأسلحتهم.. أليس هذا هو مصير كل المستوطنين الذين اغتصبوا الأرض من أصحابها؟!].

وقد جاء في صحيفة معاريف أنه في (٤٥) مستوطنة من بين (١٤٤) مستوطنة في مجموعة مستوطنات (يشع) سجل عام (٢٠٠١) عددًا من المغادرين يفوق مجموع السكان الجدد والتكاثر الطبيعي. وينطبق نفس الوضع على المستوطنات القريبة من الخط الأخضر، وتحاول بيانات الحكومة الإسرائيلية التقليل من حدة الأزمة، حتى أصبحت أرقام النازحين عن المستوطنات من المحرمات؛ لأن الكشف عنها يؤدي إلى تدهور معنويات الإسرائيليين»[1].

«وكشفت صحيفة هآرتس العبرية نقلًا عن مكتب الإحصاء الصهيوني أنه في العَامَيْنِ المَاضِيَيْنِ فَرَّ من المستوطنات (٢٠) ألف مستوطن؛ بسبب الوضع الأمني وعمليات المقاومة الفلسطينية التي وصلت إلى (١٣٠٩٣٥) عملية»[2].

* * *

الِانْتِفَاضَةُ وَجَيْشُ الدِّفَاعِ الْإِسْرَائِيلِيِّ

«تزايدت ظاهرة التهرُّب من الخدمة العسكريَّة؛ بسبب انتفاضة الأقصى؛ فهناك أكثر من (٢٦٠٠) جندي صهيوني تهرَّبوا خلال العام (٢٠٠٢)، وتقول جريدة «**هآرتس**» العبرية والتي أوردت النبأ: «إن الجيش الإسرائيلي يشهد أزمة تهرُّب خطيرة من الخدمة العسكرية، تزداد بشكل حاد خلال الفترة الأخيرة مع تزايد الأوضاع الاقتصادية المتدهورة».

وهناك أكثر من (١٠٪) من الجنود في الجيش الصهيوني يحصلون على إعفاء لأسباب نفسية، معظمها بسبب المواجهات مع الفلسطينيين، ومعظمهم يتحولون إلى مجرمين رغم الجهود الكبيرة التي بذلتها قيادة الجيش الصهيوني لمكافحة الإصابات النفسية لدى الجنود.

وكشف النقاب عن وجود مجموعة كبيرة من الجنود، الذين أُصِيبُوا بانهيار عصبي وحالات نفسية مرضية إثر خدمتهم في الأراضي الفلسطينية، يتم حجزهم داخل قرية علاجية سرية تابعة للجيش.

---

(١) من الانتفاضة إلى حرب التحرير، ص ٤٤- ٥٢ باختصار

(٢) ثمرات الانتفاضة ص ٢٢، ٢٣.

كما أن أعباء الأمن والحراسة زادت كثيرًا؛ فقد صَدَّقَ برلمان العدو بتخصيص (١,٢) مليون دولار من أجل حراسة ثلاثة آلاف مستوطن يهودي في القدس المحتلة.

كما أن الاحتلال بدأ بتجنيد (٥٠٠) حارسٍ لحماية الحافلات الصهيونية من العمليات الاستشهادية، وتبلغ تكاليف تأهيل وتشغيل هؤلاء الحراس سبعين مليون شيكل؛ أي: (٢٥) مليون دولار.

وفي ظل هذا التأزم الأمني الداخلي في دولة العدو جاءت عملية (مومباسا) بـ(كينيا) لتعزز اضطراب صورة الأمن الإسرائيلي الخارجي وأسطورة الموساد، والتي قُتِلَ فيها ثلاثة إسرائيليين، وقد أصدرت وزارة خارجية العدو بيانًا أكدت على ضرورة تشديد الإجراءات الأمنية الدقيقة للصهاينة في العالم، حيث لا يوجد مكان في العالم يعد آمنًا للإسرائيليين؛ كما جاء في البيان»[1] ا.هـ.

* * وحركة رفض الخدمة العسكرية في وقت تعاظمت فيه المقاومة تشكل خطرًا حقيقيًّا على القدرة العسكرية الإسرائيلية؛ فهي تسمم الجيش الإسرائيلي من الداخل، وتؤدي إلى خفض المساهمة الكمية في الجهد العسكري (ناحوم يرنباع، يديعوت أحرونوت ٢٨/١/٢٠٠٢).

وظهر عدد من المنظمات تعتبر رفض الخدمة العسكرية جزءًا أساسيًّا من برنامجها؛ مثل: «نشطاء الرسالة الثمانية»، وحركة «مطهر جديد»، و«تجمع دعم رافضي الضمير»، وهناك ما يُسَمَّى بـ«الرفض الرمادي» وهذا يضم أعدادًا كبيرة من جنود الاحتياط الذين يلجئون إلى تأجيل الخدمة العسكرية لأسباب صحية: أي: أنهم يتمارضون.

وتحدث شارون عن بعث الروح القديمة (روح التقشف وتحمل المشقات) التي تَسِمُ الرواد الصهاينة.

وقال: إنه سيقود الإسرائيليين في حرب بحيث يمكنهم دخول معركة تمتد لعدة سنين، بل وربما عشرات السنين، يردون فيها الصاع صاعين للفلسطينيين.

ولكن شارون ـ كما يلاحظ جاكسون دايل في الواشنطن بوست في ٤/٩/٢٠٠١) ـ من القادة الإسرائيليين الذين فشلوا في إدراك أن عقلية الكيبوتس القديمة قد ولت وذهبت، وأنه حَلَّ

---

(١) ثمرات الانتفاضة، من ص ٢٠ ـ ٢٢

محلها مجتمع علماني مترف، مجتمع «الهاي تك»، الذي لن يقبل سنوات طويلة من الهجمات الانتحارية دون وجود أمل في تسوية دائمة. (نقلًا عن باري روبين الجيروساليم بوست ١٦/٩/ ٢٠٠١).

وهذا ما لَاحَظَهُ أيضًا (إتيان هابر)؛ فهو يشير في مقال له (يديعوت أحرونوت ١١/٢/٢٠٠١) إلى أن:

جيش الحفاة في فيتنام الشمالية قد هزم الأمريكيين المسلحين بأحدث الوسائل القتالية.. ويكمن السر في أن الروح هي التي دفعت المقاتلين وقادتهم إلى الانتصار.. الروح تعني المعنويات والتصميم والوعي بعدالة النهج والإحساس بعدم وجود خيار آخر.

ثم يتساءل الكاتب: لماذا نتذكر ذلك الآن تحديدًا؟ «لأنه من المهم أن نقول لليهود: إنه ليس الشاباك (جهاز الأمن الداخلي)، وليس إريل شارون هما اللذان ينتصران في الحرب ضد الفلسطينيين، وإنما هي الروح.. نفس الروح التي ميزت دولة إسرائيل طوال سنوات جيل كامل، ومكنتها من القتال من أجل حياتها، نفس الروح التي تبتعد عنا هذه الأيام». ويختم (هابر) مقاله بعبارة دالة: «**الكآبة تكتنف دولة إسرائيل.. ليلة سعيدة أيها اليأس**»، وهي نفس العبارة التي اختارها عنوانًا لمقاله.

وقد أدى التوجه نحو اللذة إلى تراجع الروح الاستيطانية الريادية القديمة؛ ولذا ينصرف المستوطنون الإسرائيليون عن الخدمة العسكرية ويفرون منها. وقد نشرت جريدة هآرتس (١١/ ٢/٢٠٠٢) أن الجيش الإسرائيلي يفكر جديًا في إغلاق المدرستين الثانويتين العسكريتين؛ لأنهما تخفقان في اجتذاب الطلبة، كما أن نسبة خريجي المدرسة الذين يلتحقون بالجيش آخذة في التناقص. أي: أن الشباب الإسرائيلي يعزف عن الخدمة العسكرية وقد بينت جريدة (ديلي تلجراف) البريطانية (١٣/١/٢٠٠٢) أن هناك (٦٠٠) جندي إسرائيلي محتجزون الآن في السجون الإسرائيلية عقابًا لهم على التهرب من أداء الخدمة العسكرية.

وأصبح الإحساس عند قطاع كبير جدًا من المجندين بأنه لا جدوى من الاستمرار في الحرب. وكما قال المعلق الإسرائيلي (يوئيل ماركوس) في صحيفة هآرتس (١٩/٢/٢٠٠٢): «نحن نستخدم الطائرات من طراز إف ١٦ (F16) فوق غزة، ونسقط قنابل زنتها طن ـ وهو ما يعادل

(٤) صواريخ سكود العراقية ـ، ويطرح قائد القوات شعار: كل صِدَامٍ مع الفلسطينيين لا بد أن ينتهي بانتصار إسرائيلي، ومن الواضح أنه فشل تمامًا في تنفيذ شعاره هذا، ورغم أن الجيش الإسرائيلي واحد من أقوى جيوش العالم؛ فقد أصبحنا غير قادرين على الحركة السريعة؛ فالعمليات العسكرية السريعة لم تعد حكرًا علينا؛ إذ تعلَّم الفلسطينيون كيف يفاجئوننا بعمليات رفيعة المستوى ـ كما يقول التلفزيون الإسرائيلي ـ؛ فبينما نعد القنابل، يرشنا إرهابي في أحد مراكز التسوق بمدفعه، إن سلاح الفلسطينيين السري هو الانتحاري المتفجر، ولم يعد التطوع للقيام بالعمليات الانتحارية مقصورًا على المتعصبين الدينيين؛ فالاستشهاديون ـ هكذا في الأصل ـ يأتون الآن من صفوف فتح».

وقد ورد في صحيفة يديعوت أحرونوت (١٠/١١/٢٠٠٠): أن معدلات الخوف بين المستوطنين الصهاينة في إسرائيل التي بلغت (٧٥٪) في مطلع أكتوبر (٢٠٠١) زادت إلى (٨٦٪) في منتصف أكتوبر، ثم إلى (٨٧٪) في مطلع نوفمبر. ولا شك في أن تصاعد معدلات الخوف مرتبط تمام الارتباط بتصاعد متوسط الخسائر البشرية في صفوف القوات الإسرائيلية التي زادت ـ كما أسلفنا ـ إلى (٤ ـ ٥) شهريًّا في الفترة من عام (١٩٩٢) إلى عام (١٩٩٥)، وانخفضت إلى (٣) في الفترة من عام (١٩٩٩) إلى عام (٢٠٠٠)، ولكنها قفزت إلى (١٧) شهريًّا منذ عام (٢٠٠١)؛ أي: إبان حكم شارون.

وقد اكتشف الجندي الإسرائيلي أنه بالرغم من معداته القتالية الفائقة، ومن التدريب المكثف الذي يتلقاه، فإنه أصبح صيدًا سهلًا، وهذا يتضح في نسبة الجنود والمستوطنين الذين سقطوا صرعى في العمليات الاستشهادية (وهي العمليات التي صرح رابين بأنه لا يوجد رد عسكري عليها).

وقد انتشرت ظاهرة جديدة في أوساط الجيش الإسرائيلي؛ وهي: قيام الجنود الذين لهم إمكانيات مالية جيدة بشراء سترات وخوذ دفاعية للدفاع عن أنفسهم، وقد كشفت الإذاعة الإسرائيلية في قناتها الثانية أن هذه السترات الواقية تصل أسعارها إلى (١٢٠٠) دولار للسترة الواحدة، وأن هناك الكثيرين الذين يشترونها من بين جنود الاحتياط، كذلك هناك مَنْ هم على استعداد لوضع تجهيزات دفاعية خاصة لسيارتهم، هذا في الوقت الذي يعاني فيه الفقراء من جنود

الاحتياط من الجوع؛ فقد صرح أحد الضباط أن بعض جنود الاحتياط لا يأخذون أية إجازات؛ لأنه لا يوجد طعام في منازلهم!!.

«وقد لوحظ أن عدد المستوطنين الصهاينة من المدنيين الذين تقدموا بطلب ترخيص بحمل السلاح قد تزايد، كما تزايد معه عدد الذين يبحثون عن العلاج النفسي» (يديعوت أحرونوت ٢٠٠٢/٣/١٨).

* وقد وصفت جريدة معاريف (٢٠٠١/١١/٤) حياة الجنود في الدبابات بأنه جحيم لا يطاق؛ فالأوامر الصادرة لهم تتضمن البقاء داخل الدبابة طوال الفترة المحددة لهم دون الخروج منها، بل إنه صدرت أوامر لهم تحظر عليهم حتى النظر من فُوَّهَاتِ الدبابة خوفًا من تعرضهم لرصاصات طائشة تأتيهم من المناطق المحاصرة، كما لا يستطيع الجنود الخروج من الدبابة لقضاء حاجتهم كالذهاب إلى مرحاض أو إلى حمام؛ وذلك خوفًا من تعرضهم لِقَنَّاصٍ فلسطيني ينتظر خروجهم من الدبابة. وأوضح التقرير أن الجلوس لفترة طويلة داخل دبابة مع الشعور بالخوف من المحيط المتواجدة فيه الدبابة يجعل الجنود في قلق دائم؛ بحيث ينتظر الجندي بفارغ الصبر انتهاء ورديته للخلاص من هذا الجحيم الذي لا يطاق. وأضاف التقرير أن وجود الجنود داخل الدبابة واحتكاكهم طوال الوقت مع بعضهم البعض يسبب مضايقات لهم؛ حتى إن نفسية الجنود أصبحت منهارة، وأصبحت العلاقة بينهم تتسم بالمشاحنات والمشاجرات، هذا إلى جانب الملل والضجر الشديدين.

ولا شك في أن انشطار الدبابة «ميركافا ٣»، وهي أكثر الدبابات تحصينًا في العالم قد رَسَّخَ الخوف في قلوب الجنود، وقد عبر هذا الخوف عن نفسه في كثير من الحوادث؛ لعل من أهمها ما حدث في مستوطنة «الحمرا» حين قام أحد الاستشهاديين الفلسطينيين بعملية أَدَّتْ إلى مصرع وإصابة (٩) إسرائيليين؛ فقد ظهر - حسبما جاء في (معاريف ٢٠٠٢/٢/١٠ م) - أنه حينما وصل تحذير إلى الحارسين الإسرائيليين من أن استشهاديًّا سيقتحم المستعمرة خشيا على أنفسهما ولم يبلغا عن ذلك.

وحينما التقى الجنود الإسرائيليون بالاستشهادي لم يشتبكوا معه، وفروا من أمامه، بل قال أحدهم بصراحة بالغة: «**حين بدأ القتال اختبأتُ تحت السيارة**».

الْهِجْرَةُ إِلَى خَارِجِ إِسْرَائِيلَ وَالْفِرَارُ مِنْهَا

بداية انخفضت نسبة اليهود القادمين من خارج إسرائيل إلى داخلها بنسبة (٢٢٪).

«من المعروف أن الصهاينة أحاطوا الهجرة الاستيطانية إلى إسرائيل بهالات من القداسة؛ فهم يرون أن علاقة اليهود بفلسطين «إرتس يسرائيل» علاقة مطلقة تستند إلى الوعد الإلهي؛ وهي لذلك لا تخضع لأية متغيرات تاريخية أو اجتماعية، وهي لنفس السبب تسمى «عالياه»؛ أي: «الصعود»، وكأن الاستيطان الصهيوني في فلسطين تجربة دينية روحية عميقة تسمو بالروح، وليس سفكًا للدماء الفلسطينية، هذا على مستوى التبريرات والديباجات، أما على المستوى الفعلي فَثَمَّةَ حاجة دائمة من جانب الجيب الاستيطاني للمزيد من المستوطنين؛ حتى يمكنه الاضطلاع بمهمته القتالية دفاعًا عن أمنه، وعن المصالح الغربية في المنطقة.

والنزوح عن إسرائيل أو الهجرة المضادة تسمى في المصطلح الصهيوني «يريداه»؛ أي: «الارتداد والهبوط»؛ وهي بذلك عكس الهجرة إليها «عالياه»؛ أي: «الصعود».

ويطلق على النازحين عن إسرائيل «يورديم»؛ أي: «الهابطين» أو «المرتدين»، وعدد النازحين عن إسرائيل منذ عام (١٩٤٨ م) يبلغ ما يزيد عن (٧٠٠ ألف)، وقد يصل إلى مليون؛ فإحصاء عدد النازحين أمر خلافي للغاية، وإن كانت بعض الصحف الإسرائيلية بدأت تشير إلى رقم مليون باعتباره أكثر الأرقام قربًا من الواقع.

وتفاقم ظاهرة النزوح يقوض من شرعية الحركة الصهيونية، ويكشف زيف الادعاءات الصهيونية بخصوص ارتباط اليهود ارتباطًا عضويًّا بأرض الميعاد، ولكن الأهم من هذا أن النزوح يعد ضربة في الصميم لمقدرات المشروع الصهيوني «الاستيطانية/ العسكرية»؛ فإذا كان اليهودي المهاجر من بلده إلى فلسطين المحتلة يتحول إلى مستوطن صهيوني مقاتل، فإن الحركة العكسية «النزوح» تؤدي إلى تحول المستوطن الصهيوني المقاتل إلى مواطن يهودي في بلد آخر.

وَقَدْ فَاقَمَتِ الانتفاضة من هذه الظاهرة؛ فقد نشرت جريدة «الجيروساليم بوست» (١٣/٩/٢٠٠١ م): أن (٢٢٪) من الإسرائيليين في المرحلة العمرية بين (١٨ - ٣٥ سنة) يفكرون في الهجرة، وهي نسبة عالية للغاية، إذا أخذنا في الاعتبار أن مَنْ ينتمون إلى هذه المرحلة هم أهم

قطاعات أي مجتمع؛ فهم أكثر القطاعات إنتاجيةً ونشاطًا، وأكثرها قدرةً على الإنجاب، والنسبة الحقيقية للراغبين في الهجرة لا بد أن تكون أكبر من ذلك؛ لأن كثيرًا من المستوطنين يخجلون من الإفصاح عن رغبتهم الحقيقية، وبعضهم لا يجرؤ حتى على مواجهة نفسه برغبته الدفينة، ومع هذا ففي استطلاع للرأي نشرته هآرتس عن الموقف من النزوح عن إسرائيل أَيَّدَهُ (٦٥٪)، ولا تزال نسبة الراغبين في النزوح آخذة في التصاعد؛ فقد جاء في نفس الجريدة بعد ثلاثة شهور (الجيروساليم بوست ٢٠٠٢/١/١٠م): أن عدد الذين يفكرون في الهجرة في نفس المرحلة العمرية قد بلغ (٣٥٪)، ثم أضافت أن هذا لا يتضمن الشباب الذي فَقَدَ وظيفته في قطاع التكنولوجيا المتقدمة «الهاي تك» في السنوات الماضية، ثم أشارت الجريدة إلى عدة حقائق تسترعي الانتباه؛ فعشرات الشباب الإسرائيلي بعد أن يخدموا في الجيش يقومون برحلات طويلة خارج إسرائيل، ويعيشون في مستعمرات إسرائيلية في وسط أمريكا وآسيا، فهم يفضلون البقاء هناك على العودة إلى حاضر غير أكيد، كما بينت الجريدة أن كثيرًا من الطلبة الإسرائيليين في الماضي كانوا يذهبون إلى الخارج، للحصول على شهادات في الطب البشري أو البيطري ثم يعودون لفتح عيادات في إسرائيل، أما الآن فإنهم يلتحقون بجامعات أجنبية وفي نيتهم عدم العودة».

وقد نشرت جريدة هآرتس مقالًا طويلًا (٢٠٠١/٨/٢٤) بعنوان «طريق الهروب» ترسم فيه صورة تفصيلية للمناخ العام الجديد في المستوطن الصهيوني، الذي أصبحت فيه ظاهرة النزوح - أي: الهجرة عن الكيان الصهيوني - مقبولة اجتماعيًّا؛ ففي استطلاع للرأي أبدت أقلية فقط من بين الإسرائيليين (٣٧٪) موقفًا سلبيًّا تجاه الإسرائيليين (النازحين)، وأبدى (٦٥٪) موقفًا إيجابيًّا، وأعرب (٤٣٪) عن لامبالاتهم؛ أي: أن النزوح من إسرائيل لم يعد مسألة ترفض، وإنما أصبح قضية تناقش، لها إيجابياتها وسلبياتها.

* لقد تَغَيَّرَ العقل الإسرائيلي بعد الانتفاضة؛ فكما يقول المقال: «إنه بسبب تردي الوضع الأمني والانكماش الاقتصادي بدأ الإسرائيليون يبحثون عن مصادر للأمان فيما وراء البحار: جوازات سفر، تأشيرات عمل - عقارات. لهذا السبب وجد الصحفي (بن تسيون تستيرين) نفسه مطلوبًا أكثر من أي وقت آخر؛ لأنه كتب كتابًا بعنوان « كل الطرق للحصول على جواز سفر آخر»، وقد

لاحظ (تستيرين) أن الكتاب الذي صدر منذ (٥١ عامًا) كان يحقق مبيعات كبيرة إلى أن تَمَّ توقيع اتفاقية أوسلو؛ «فالناس لم تعد تفكر في الرحيل، ولم يعد الكتاب يباع، ولكن منذ اندلاع الانتفاضة الثانية وأنا أتلقى عشرات المكالمات الهاتفية».

ولكن ما الذي يدفع المستوطنين الإسرائيليين إلى التفكير في الهروب؟!

تقول المقالة: إن الباحثين عن جواز سفر جديد يمارسون إحساسًا بالفزع والخوف والهستريا والإحساس بالعجز والقلق، ويرون أنه لا أمل في التوصل إلى اتفاقية سلام، إنهم يخافون من اندلاع حرب شاملة ومن صواريخ الكاتيوشا فوق رءوسهم، ولا يريدون العيش في ملاجئ، ولا يريدون تعريض أطفالهم للخطر، ويخافون على مصير أولادهم.

وفي مقال ساخر بقلم (موتي باسوك) في إسرائيل (هآرتس ١٩/٢/٢٠٠٢م) يقول الكاتب: إن إسرائيل تنضم للاتحاد الأوروبي لا كأمة وإنما كأفراد، الواحد تلو الآخر. وقد أطلق الكاتب طرفته هذه بعد أن تزايد عدد الإسرائيليين الذين طلبوا جوازات سفر أوروبية.

وتساءل كاتب مقال في إحدى الصحف الإسرائيلية (معاريف ٢٨/١/٢٠٠٢م): هل يبني أبناء هذه الشريحة العليا لأنفسهم حياة في بلاد أخرى؟! وماذا سيحدث للوطن ولمن سيبقون فيه؟! وماذا عن القيم العتيقة مثل الصهيونية وإعمار البلاد؟!

ونشرت إحدى الصحف في مقال لها قائمة بأسماء بعض أبناء النخبة النازحين تَضَمَّنَ أفرادًا من أسر رؤساء الوزراء السابقين: بن جوريون، ومناحم بيجين، وإسحاق رابين. وأشار (بيلين) إلى أن أولاد كل من وزير الدفاع بنيامين بن أليعازر، ووزير التعليم ماتان فيلاني يعيشون خارج إسرائيل.

وقد كتب (أمنون روبنشتاين) في هآرتس (٣١/١٢/٢٠٠١م) يحذر من خطورة هجرة الشرائح والطبقات الغنية والقوية في المجتمع الإسرائيلي؛ فمعناها: «إهدار لدماء الضعفاء ومن لا يستطيعون الحصول على تأشيرة لأمريكا، وتركهم فريسة لمخاطر أكبر من التي نواجهها اليوم»، ويصف الهجرة بأنها نوع من التطهير الطبقي؛ «فالفقراء سيضطرون للبقاء هنا»؛ فقد تحولت أرض الميعاد تحت ضغط الانتفاضة إلى جحيم، يضطر المرء إلى البقاء فيه؛ نظرًا لعدم وجود المال الكافي للهجرة.

وحالة المستوطن الإسرائيلي (عاموس ساهر)، الذي يعمل كمرشد سياحي، والبالغ من العمر (٣٥ عامًا) تستحق الدراسة؛ فقد قرر الرحيل هو وزوجته وابنه الصغير بعد أن يجد مشتريًا لشقته.

يقول (ساهر):

لم يكن الأمر هينًا؛ لقد استغرقتني أعوام من الانفجارات وأعمال القتل، من الأحزان والآمال، من المجادلات والقلق، لكنني في النهاية انهرت، سئمنا أن نجدهم في كل مرة نفتح المذياع يتحدثون عن انفجارات، عن دماء، عن موت، عن جنائز، هذا هو الواقع صراحة، ولستُ فخورًا بذلك، ولا أعتبر هذا شعارًا لي، ولكن من المستحيل أن تقولوا لنا: عليكم أن تبقوا هنا ما دام من المستحيل أن تضمنوا لنا حياتنا. أريد أن أمنح أسرتي أقصى قدر ممكن من السعادة.

ويضيف (ساهر):

الجميع الآن يعتقد أنه لا مجال نتقدم نحوه، ليس هناك ما نتقدم نحوه، المشكلة هي أننا على مدى السنوات الثلاث والخمسين الماضية لم ننجح في ضمان أمننا، هذا هو سبب الرحيل، نحن نشعر بعدم وجود مخرج، الحل هو الرحيل وليس تغيير السلطة. من الصعب عليَّ أن أقول هذا، ولكننا نعيش في إسرائيل كما لو كنا مسحورين، نحن نخرج إلى الشوارع ومن الممكن أن يحدث أي شيء وأن ينسفنا معه ويحولنا إلى أشلاء، أنا لا أرى أملًا في حدوث تغيير كبير، وإحساسي يقول - ليس فقط الإحساس ولكنه التحليل العقلاني -: إنه لا سبيل لضمان حياة الناس هنا. أعلم أن هناك أماكن لا تحدث بها مثل هذه الأمور، لا توجد أماكن محصنة من الموت، ولا توجد أماكن ليس بها مجانين، ولكن توجد أماكن يمكنك أن تصحو في الصباح، وتفتح عينيك، وتحتسي فنجان القهوة، وتخرج وتقول: صباح الخير للناس، وأهم شيء هو أن تصل إلى موقع عملك في الموعد المحدد، أنا ببساطة أشعر بالقلق على طفلي الرضيع..!! ويبدو أن من سيحاولون إقناعي أن أبقى يفضلون أن أموت هنا على أن أعيش في مكان آخر، أما أنا شخصيًّا فأفضل الحياة ولا أخجل من ذلك.

وقد نشر (ساهر) موقفه هذا على شبكة الإنترنت (موقع يديعوت أحرونوت ٤/٦/٢٠٠١م)، وَعَلَّقَ على كلام (ساهر) المستوطن (يوني) من مستوطنة (رحوفوت) قال: «أخيرًا.. لقد قال

أحدنا وفعل ما ترغب الأغلبية في قوله وفعله، ولكنها تخاف من أن تقوله وتفعله».

❑ نُزُوحٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ:

ويجب أن نشير إلى نزوح سكان المستوطنات عنها إلى ما وراء الخط الفاصل بين فلسطين التي احْتُلَّتْ عام (١٩٦٧ م)، وتلك التي احْتُلَّتْ قبلها؛ باعتباره شكلًا من أشكال النزوح؛ فقد ورد في صحيفة يديعوت أحرونوت (٢٩/٣/٢٠٠٢ م): أن عدد الإسرائيليين الذين أمضوا عيد الفصح خارج إسرائيل كان حوالي (٢٠٠) ألف إسرائيلي، وكل هذا بسبب الوضع الأمني، ويمكن اعتبار هذا نزوحًا مؤقتًا.

وقد ازدادت أزمة إسرائيل الاستيطانية تفاقمًا مع تزايد خوف أعضاء الجماعات اليهودية من الهجرة إلى إسرائيل؛ نتيجة الانتفاضة.

وقد نشرت صحيفة معاريف (٢٩/٣/٢٠٠٢م): أن حوالي رُبْعِ ضحايا الانتفاضة - حتى أواخر مارس ٢٠٠٢ م - هم من المهاجرين الجدد - ونسبة المهاجرين من بين السكان لا تزيد عن (١٥٪).

ولذا ليس من الغريب أن تنشر جريدة معاريف (في عددها الصادر في ٧ مايو ٢٠٠١ م): أنه لن يهاجر إلى إسرائيل خلال العقد القادم سوى (٣٠٠) ألف مهاجر من دول الكومنولث، مقابل حوالي (٩٠٠) ألف خلال العشر سنوات الماضية، وسيختار (٢٠٠) ألف يهودي التوجه إلى دول أخرى.

ويرى (سالي ميريدور) رئيس إدارة الوكالة اليهودية: أن عدد المهاجرين من روسيا ومن دول الكومنولث سوف يتقلص تدريجيًّا خلال السنوات القادمة؛ كنتيجة لتحسُّن الوضع الاقتصادي في روسيا والهجرة نحو الغرب وتدهور الوضع الأمني في إسرائيل.

ويشير (ميريدور) حسبما جاء في جريدة يديعوت أحرونوت: أنه وصل في عام (٢٠٠٠ م) إلى إسرائيل (٦٠١٣٠) مهاجرًا، مقابل (٦٧٧٦٦) مهاجرًا كانوا قد وصلوا إليها خلال عام (١٩٩٩ م) بانخفاض قدره حوالي (٢٢٪). ويرى التقرير أنه على ضوء الأحداث الأمنية خلال عام (٢٠٠١ م) (أي الانتفاضة) فمن المتوقع ألا يصل إلى إسرائيل خلال هذا العام سوى (٥٠) ألف مهاجر فقط. وقد ظهر فيما بعد أن عدد المهاجرين كان أقل من (٥٠) ألفًا، وحسب بعض

الإحصاءات لم يتجاوز العدد (٣٠) ألفًا.

ومن العناصر الأخرى التي تفاقم الأزمة الاستيطانية تزايد العرب بشكل ملحوظ، وقد بيَّن مركز أبحاث الأمن القومي في جامعة حيفا (حسبما جاء في جريدة يديعوت أحرونوت): أن (٦٨٪) فقط من سكان الدولة العبرية داخل حدود فلسطين المحتلة قبل عام (١٩٦٧) سيكون من اليهود في عام (٢٠٢٠)؛ وذلك بعد أن يرتفع عدد العرب من (١,٣) مليون (في الوقت الراهن) إلى (٢,١) مليون، وقد جاء في البحث أن عدد سكان الضفة الغربية وقطاع غزة سيرتفع من (٣) ملايين إلى (٥,٨) مليون.

ويرى البروفيسور (أرنون سوفر) الخبير الديموجرافي في مركز (بيجين ـ السادات) للأبحاث الاستراتيجية: أن العرب يشكلون حاليًا (٢٠٠٢ م) (٥,٩٤٪) من سكان الكيان الصهيوني المحتل قبل وبعد عام (١٩٦٧ م) والضفة والقطاع، ولكنهم في عام (٢٠٢٠ م) سيشكلون (٥٨٪). ويعتقد قادة مركز أبحاث الأمن القومي أن البعد الديموجرافي والتكاثر الطبيعي المرتفع وسط السكان العرب داخل الكيان الإسرائيلي؛ وخاصةً الضفة والقطاع سيقوضان الديمقراطية في الدولة العبرية ويهددان بخطر فقدان مناطق جغرافية مثل الجليل والنقب الشمالي»[1].

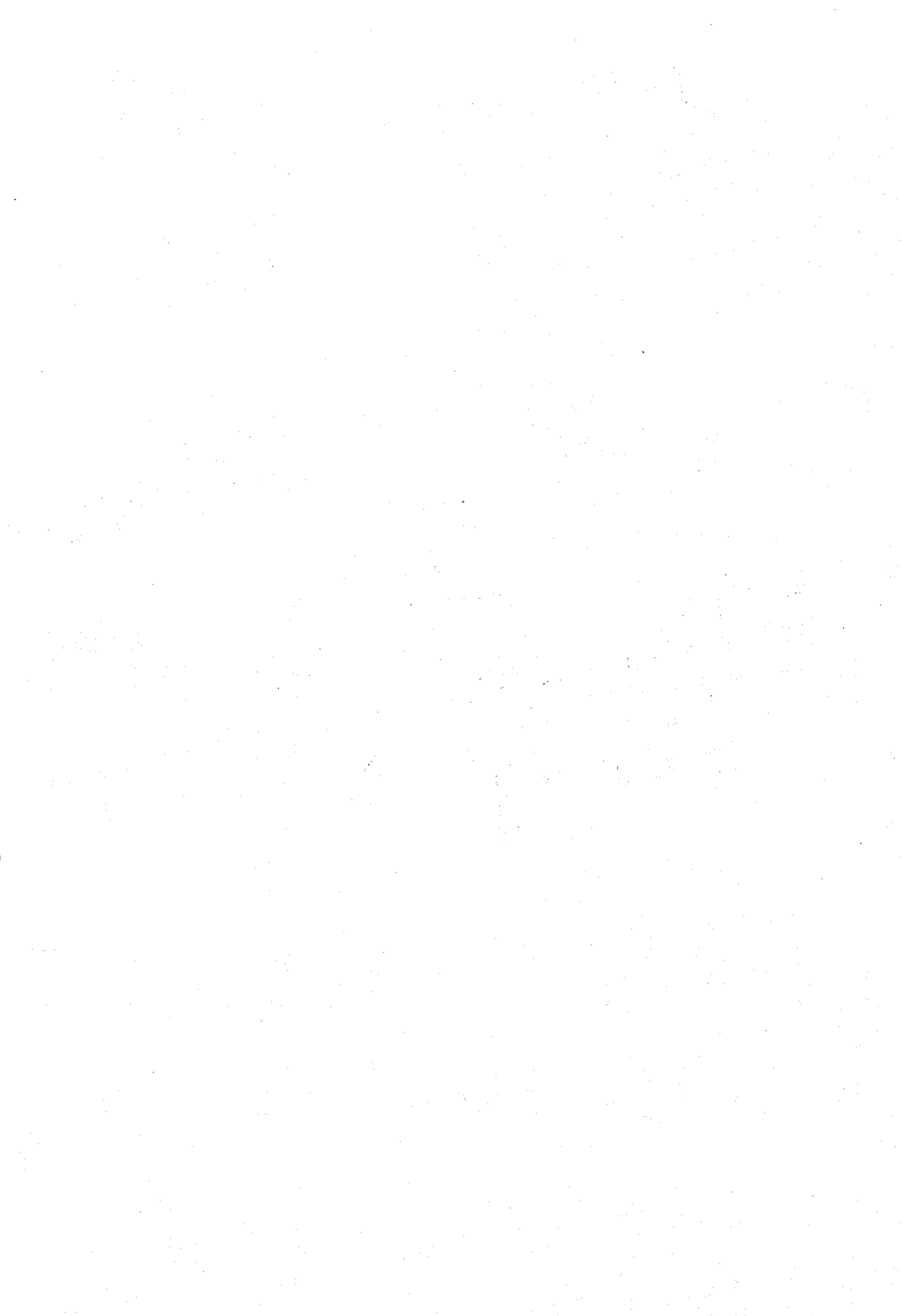
* * *

أَحْمَدُ يَاسِين هُوَ الاِنْتِفَاضَةُ، وَالاِنْتِفَاضَةُ هِيَ أَحْمَدُ يَاسِين

لقد أطلنا الحديث عن ثمار الانتفاضة التي هي من ثمار بستان «**أحمد ياسين**»؛ فإن جهاد «**أحمد ياسين**» نجمٌ ساطع في زمن الكذَّابين، والمزيفين، والوثنيين، و«الواقعيين» الانهزاميين، وهو نَجْمٌ بَدَّدَ كثيرًا من الظُّلْمَةِ والأكاذيبِ، وقد أثبت الشيخ «**ياسين**» ومعه شعبُهُ مقدرةً فائقةً على الصمود والمثابرة والإبداع والجهاد؛ من أجل شرف أمتنا وكرامتها وأمنها ودينها.

---

(١) من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية، ص ٨٥ ـ ١٠١ باختصار



الْبَابُ السَّادِسُ

بَرِيقُ الْمَاسِ

فِي ذِكْرِ

أَبْنَاءِ يَاسِينٍ ... شُهَدَاءِ حَمَاسٍ



شَجَرُ التُّفَّاحِ لَا يُثْمِرُ إِلَّا حُلْوًا

الأحمق هو الذي يقول لشجر التفاح: أثمري الحنظل.. شجر التفاح لا يثمر إلا حُلوًا، وما أطيب وأجمل غرس ياسين من تلامذته وبنيه الذين رباهم على الجهاد وحب الشهادة.. فجاءوا بما يشبه الأساطير، وسطروا أغلى وأطيب وأنور الصفحات في تاريخ أمتنا الحديث.

ونحن لا نجزم لمعين بالشهادة إلا من جزم له الله ورسوله ﷺ وحسن ظن منا بالله الجواد الكريم الذي لا يضيع عنده أجر من أحسن عملًا، نحسبهم عند الله من الشهداء، والله حسيبهم، ولا نزكي على الله أحدًا.

والشهادة درجة عالية لا يهبها الله إلَّا لمن يستحقها، إنها اختيار من العلي الأعلى للصفوة من البشر؛ ليعيشوا مع الملإ الأعلى؛ حيث قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].. إنها اختيار واتخاذ واصطفاء للأفذاذ النبلاء من البشر؛ ليكونوا في صحبة الأنبياء، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

إنهم الذين يحسنون طريقة الموت.. الواحد منهم آنسٌ بالموت من الطفل بثدي أمه!!

إنهم الذين يخطُّون تاريخ الأمة؛ لأن صروح المجد لا تُبنى إلا بجماجمهم وأشلائهم، وهم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تذوي؛ لأن شجرة هذا الدين لا تُروى إلا بالدماء، وهم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء، وبذكرهم تحيا القلوب؛ لأنهم قُتِلوا لتحيا أممهم، ويحيون هم أنفسهم، هؤلاء هم عُشَّاق الموت الذين تُبنى بهم الحياة، فهم يبحثون عن الموت، ويبغونه في مظانه؛ ليبعثوا الحياة في أمتهم وفي الأجيال التي تأتي من بعدهم، كما قال رسول الله ﷺ: **«مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عَنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَة طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ»**[1].

فهم يبتغون الموت مظانه؛ أي: أنهم حيثما ظنوا مكان الموت أسرعوا إليه، ومضوا مسرعين

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٩).

يطلبونه.

ما العيش إلا معهم، وقربهم حياة للأرواح، وبذكرهم تطيب المجالس وتحيا القلوب[١].

وهذه سطور قليلة من كتاب مجدهم ومجد شيخهم ياسين الذي غرس فيهم هذا الغرس الطيب الذي يؤتى أكله بإذن ربه.

هُمُ الْعُصْبَةُ الْمُثْلَى وَلَوْلَا جِرَاحُهُمْ ... لَظَلَّ بَهِيمُ اللَّيْلِ كَالْمَوْجِ عَاتِيًا

وَظَلَّتْ خَفَافِيشُ الظَّلَامِ تَنُوشُنِي ... وَظَلَّتْ كِلَابُ الْأَرْضِ تَوْلَغُ إِنَائِيا

إِلَى اللَّهِ أَمْضِي وَالْجِهَادُ يَهُزُّنِي ... أُسَدِّدُ فِيهِ السَّهْمَ يَوْمًا وَثَانِيًا

لِعَلِّي إِذَا مَا مِتُّ أَلْقَاهُ رَاضِيًا ... وَأَلْقَى أَحِبَّائِي هُنَاكَ وَجَارِيَا

كِرَامًا عَلَى دَرْبِ الْجِهَادِ تَوَسَّدُوا ... تُرَابًا يَفُوحُ الْمِسْكَ رَيَّانَ قَانِيَا[٢]

نتكلم هنا عن عمالقةٍ وأسودٍ من عرين الشيخ أحمد ياسين، وما أوسع عرينه، وما أكثر أسوده: صلاح شحادة، ويحيى عياش، ومحمود أبو هنود، وعماد عقل، ومحمد ضيف، وإسماعيل أبو شنب، والمقادمة، وعماد حسن إبراهيم، ومهند رجا أبو الهيجا، ومهند الطائر، وسائد عوَّاد، ومسلمة الأعرج، وعبدالعزيز الرنتيسي، وريم الرياشي.

* * *

(١) سنفرد لهم مجلدًا ضخمًا بعنوان هذا الباب «بريق الماس» إن شاء الله.

(٢) إنها الصحوة.. إنها الصحوة، لمحمود مفلح ص٤٤ ـ دار الوفاء.

الْمُجَاهِدُ الْبَطَلُ صَلَاح شِحَادَة
الْقَائِدُ الْعَامُّ لِكَتَائِبِ عِزِّ الدِّينِ الْقَسَّامِ...

«الْحُوتُ» أَوْ «الْقُنْبُلَةُ الثَّقِيلَةُ الْمَوْقُوتَةُ» كَمَا سَمَّاهُ الْيَهُودُ

بطلنا هو أحد المؤسسين لحركة «حماس»، والقائد العام لكتائب عِز الدين القسام، وهو من أهم الشخصيات التي ظهرت على ساحة المقاومة الفلسطينية خلال العشرين عامًا الأخيرة.

تقول عنه زوجه في حوار نشرته صحيفة الخليج الإماراتية في ٢٧ يوليو ٢٠٠٢م: «إن عددًا من السجّانين الإسرائيليين أحبوه داخل السجن وهم أعداؤه، حتى إن أحد الضباط الصهاينة قال له: «أنت أحبُّ إليَّ من أبي، فقد جئت هنا وأنا أكرهك أكثر مما أكره الشيطان، لكن ما إن رأيتك حتى أحببتك أكثر من أبي»، «كما أخبرني أن إدارة السجن أقالت ضابطًا آخر؛ لأنه كان يجلس طوال اليوم عند الشيخ صلاح شحادة، وتأثر به كثيرًا، وكان يفعل ما يأمره به، إذ كان الشيخ يطلب منه أن يحمل المرضى إلى العيادة ويحضر لهم الدواء، وكان الضابط يُطيعه فأُقيل. وبعد تكرار مثل هذه الحوادث أصدرت إدارة السجن قرارًا للضباط والسجانين بعدم الاقتراب منه؛ لأنه كان يعمل لهم غسيل دماغ، ولكنه كما أخبرني كان يحاورهم بالعقل، ويثبت لهم أن الاحتلال جريمة، وكان يبدأ معهم بتسلسل منطقي؛ حيث يقول لهم: «هل ترضى أن يأخذ أحد ساعتك أو قلمك أو بيتك، فماذا تفعل له؟»، ويتحدث لهم عن مآسي اللاجئين وباقي أبناء الشعب بأسلوب مسلسل منطقي من دون دخول في جدال، حتى إن مدير الشاباك امتدحه في كتابه «القادم لأقتلك».

وأخبرني - أيضًا - كم من العملاء تاب على يديه في السجن، كانوا ما إن يروه حتى يطمئنوا له ويعترفوا أمامه من دون خوف، فيتحولون على يديه من عملاء إلى مناضلين يستعد كل منهم للتضحية بنفسه من أجل الوطن»[١].

بطلنا صلاح قضى في سجون إسرائيل - قبل أن يفرج عنه في ١٤ مايو ٢٠٠٠م - حوالي أحد عشر عامًا عاد بعدها إلى ساحة الجهاد، وكان قتله - كما ذكرت مصادر كثيرة - بقرار مباشر من

(١) الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة ص٣٣٣، ٣٣٤.

مجرم اليهود وشيطانهم (أرييل شارون)؛ حيث تفاخرت الحكومة بتصفيته في هجوم استخدمت فيه طائرات إف ١٦، وألقت بقنبلة زنة ألف كيلو جرام على المبنى الذي يقيم فيه البطل صلاح شحادة؛ ليسفر الهجوم عن قتل البطل ومعه زوجه ورفيقة جهاده السيدة ليلى خميس، وابنته إيمان ومساعده القائد المجاهد زاهر نصار، إضافة إلى أحد عشر طفلًا أصغرهم في الشهر الثاني من عمره، وأصيب في الهجوم مئة وستون شخصًا، وتم تسوية خمسة منازل بالأرض، وتدمير المنزل الذي كان فيه البطل شحادة، وهو مكون من أربعة طوابق.

وقد اعتبرت قوات الاحتلال الإسرائيلي هذه العملية من أهم العمليات التي نفذتها منذ اندلاع الانتفاضة الثانية في ٢٨ سبتمبر من العام ٢٠٠٠م، وقال شارون عن عملية اغتياله: «إنها واحدة من النجاحات العظيمة التي قام بها الجيش الإسرائيلي»[١].

❑ قَالَ وَقَالُوا عَنْهُ[٢]:

قال: أعمل عامًا واقفًا خيرٌ من أن أعمل عشرات السنين تحت الأرض.. فالأجل إذا جاء فلا أحد يدفعه، والشهادة أسهل من شربة ماء يشربها أحدنا.

وقالوا عنه (الصحفي «ابن كسفيت» مراسل «معاريف»): هو أبرز الشخصيات التي تم اغتيالها حتى الآن بلا شك.

قال: الأصل في الحياة الصلح والعفو لا القطيعة والضغينة والعدوان والقتال، والشعب عندما يتحرك يهزأ بكل تهديد؛ فالانتفاضة جعلت الشعب قادرًا على أن يفهم كل ما يقال له.

وقالوا عنه (يعقوب بيري رئيس جهاز الأمن الصهيوني السابق [الشاباك]): «صلاح شحادة يمتلك شخصية قوية وصلبة، وقادر على امتصاص جميع وسائل التعذيب، ومواجهة أية إغراءات في التحقيق .. شحادة هو كاتم أسرار أحمد ياسين، وهو ضليع في الشئون الدينية، وحسن المحيا، يخفي وراء هذا القناع شخصية أحد القادة الأكثر قسوة في أوساط «حماس»».

قال: «لم يدع جنود الاحتلال شَعْرة في ذقني أو صدري إلا نتفوها حتى شككت أنه يمكن أن تنبت لي لحية مرة أخرى، واقتلعوا أظافر قدمي ويدي، ولكني ـ والله ـ ما شعرت بألم، ولم أتفوه

(١) المصدر السابق ص٣٣٤، ومجلة القدس العدد ٤٤ ص١١٤.
(٢) لاعتدال قنيطة ـ الجيل للصحافة ٢٠٠٢/٨/١٥.

بآهةٍ واحدة.. فقد كنت أردد القرآن».

وقالوا عنه (يعقوب بيري): «فشلنا في التأثير على شحادة، ودفعه إلى الاعتراف بالتهم الموجهة إليه، ولكي نؤثر عليه فقد حضر التحقيق معه إسحاق مردخاي وضباط آخرون رفيعو المستوى، ومع ذلك لم يفلح الجميع في التأثير على إرادته».

وقالوا عنه (يعقوب بيري): «لقد حرمناه من النوم لفترات طويلة، وحققنا معه بصورة مكثفة وطويلة، لكنه كان قويًّا ومصرًّا على عدم الخنوع».

قال: «يجب أن نرتقي إلى المحاربة بالدماء، وسنواصل المقاومة مهما كلفتنا، وإن فقدنا السلاح فسنقاتلهم بأيدينا، علينا أن ندرك أن الشعوب المُضَلَّلَة لا تستيقظ إلا بدفع الضريبة من دماء المسلمين، فلا بد من تقديم القرابين، وعلى مشهد من العالم، ولا بد من التحدي السري والعلني».

وقالوا عنه (الشيخ جمال أبو الهيجا): «كنت أقول له: يا أبا مصطفى لقد انتهى دورك في الجهاد ومقارعة العدو؛ فاليوم هو دور تلاميذك، أما أنت فقد كبر سنك، وإن المطاردة عليك ستكون صعبة، وبإمكانك أن تفيد الدعوة في المجالات السياسية أو الاجتماعية أو الدعوية، لكنه كان يبتسم، ويقول: «**لن نحيد حتى نلقى الله شهداء**»، وكان يردد قول الله ـ تعالَى ـ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾

قال: إذا كانت الأجواء ساخنة فيكفي عود ثقاب أو شرارة لإحداث الحرائق الكبيرة. علينا أن نتمسك بحقوقنا كاملة مهما اشتدت الكروب، فلا يوجد سقف للعطاء الوطني والإسلامي.

قالوا عنه (بوغي يعلون ـ رئيس هيئة أركان الصهاينة ـ): إنه «الحوت» أو «القنبلة الثقيلة الموقوتة»، فهو لم يكن يسيطر على «حماس» القطاع فقط، وإنما أرسل ذراعين للضفة؛ حيث قام بإعادة بناء البنية التحتية عن بُعد، وأطلق العمليات، ونقل تكنولوجيا الصواريخ و«القسام»، ومارَس الضغوط للبدء في إطلاقها باتجاه المدن الإسرائيلية. كما أجرى اتصالات مع «حماس» في الخارج، وألقى بظلاله على أحمد ياسين مكلفًا إسرائيل ثمنًا دمويًّا بصورة شبه يومية تقريبًا؛ فعمليتا «عمانويل» مثلًا كانتا من تنفيذ خلية أرسلت بإيحاء منه.

قال: «أيها الإخوة، رؤية النصر أمنية يتمناها كل إنسان مسلم.. فكل واحد منا يريد أعلام الحرية فوق كل ذرة من ترابنا، ولكن يا ترى من سيموت منا قبل ذلك؛ لأنها سنة الله في الحياة،

اقتضت أن يدفع أناس أرواحهم؛ لتنعم أرواح غيرهم بالحرية.. أناس يداسون ليرتفع غيرهم».

قالوا عنه (إليكس فيشمان ـ المحلل السياسي في (يديعوت»): «في البداية أعتبر قتله أمرًا رائعًا.. فحين تم إبطال مفعول قادة خلايا «عِز الدين القسام» ـ في منطقة (جنين) الواحد تلو الآخر خلال أسبوع تقريبًا ـ ظهر على الفور آخرون مكانهم.

كان واضحًا أن ثمة أحدًا ما من الخارج يدير هذه الشبكة بصورة وثيقة؛ حيث اتضح للأوساط الاستخبارية أنه رغم الحضور المكثف للجيش في المناطق والعمليات المكثفة من الاعتقالات والإحاطات.. تواصل خلايا «حماس» في الضفة الغربية الحفاظ على صلة دائمة مع أوساط داخل الأخضر، توفر لهم معلومات عن أهداف ممكنة لعمليات استشهادية، ثمة شخص ما يطرح الأسئلة، وثمة شخص ما يتلقى الإجابات، وثمة شخص ما ينقلها إلى الميدان، ومن أجل حث تصفية الخلايا السرطانية التي ترفض الزوال يجب الوصول إلى الدماغ.

وهناك كانت المفاجأة: اتضح أن هذا الدماغ يقيم في (غزة)، وفجأة في الأشهر الأخيرة أشارت المعلومات الاستخبارية إلى هذه الظاهرة الجديدة: «صلاح شحادة» الرجل الذي يعتبر رقم ١ لعز الدين القسام في قطاع (غزة)، وكان قد احتل مكان رجال «حماس» تمت تصفيتهم أو اعتقلوا في «السور الواقي» و«الطريق الحازم»، وشكَّل مرجعية روحية وميدانية في كل شيء. وبدأ الجهاز الاستخباري يحكم الطوق على هذا الشخص».

قال: «وكما خرج يوسف من السجن فستحمدون اللَّه ـ حتمًا وبإذن اللَّه ـ عندما يخرجكم من السجن وتجتمعون بالأهل، سيجمع اللَّه ما بين الإخوة الأعداء من الزعامات وداخل الشعب الواحد، كما عاد البصر لسيدنا يعقوب عليه السلام سيعود الكنز المفقود «الأقصى»، وستعود القدس، وكل ذرة من تراب أرضنا، وسنرى الفرحة بعيون أجيالنا ـ بإذن اللَّه ـ طالما كان الشعار هو نفس الشعار الذي نادى به يعقوب، وأنزله اللَّه من فوق سبع طباق: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾».

وقالوا عنه (كتائب الشهيد عِز الدين القسام): «إننا إذ نودع اليوم قائدًا عظيمًا ومربيًا كبيرًا.. فإننا نؤكد أن مسيرة الجهاد والمقاومة التي كان للشيخ القائد عظيم الأثر في تأجيجها مستمرة ومتصاعدة تاركة لدماء قائدها أن تحدد طبيعة الرد.

عهدًا شيخَنا أبا مصطفى نقطعه على أنفسنا أن نجعل للصهاينة في كل بيت عويلًا، وفي كل شارع مأتمًا.

عهدًا علينا شيخنا القائدَ أن نقدم لك الرد الذي يرضي الله، فقد تعلمنا منك كيف نرضي ربنا.

عهدًا أبا مصطفى ألا تقر لنا عين ولا يغمض لنا جفن حتى يرى الصهاينة أشلاءهم في كل مطعم وموقف وحافلة وعلى كل الأرصفة.

عهدًا علينا نقطعه ـ وأنتم تعلمون عهدنا ـ أن نجعل الصهاينة يلعنون أنفسهم ألف مرة على الساعة التي فكروا فيها بقتلك.

أبا مصطفى نم قرير العين، فقد نلت الشهادة التي تمنيت شيخنا القائد».

قال: «إن دماء الذين سقطوا لن تذهب هدرًا، وإن كنت أشد ما أخشاه ضياع هذه الدماء حتى أصبحت كابوسًا أعيش فيه حتى ألهمني اللَّه رشدي؛ فإن هذه الدماء هناك من يقدرها، وهو اللَّه عَزَّلَّ، ولن يستطيع أحد تجاوز هذا الخط وتبديده؛ لأن اللَّه وَعَدَ ووَعْدُهُ الحقُّ: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾.

قال: «لقد كانت المظاهرات بيانًا عمليًا يؤكد أننا أصحاب الحق الشرعي في هذه الأرض، والحجر رسالة لمن لا يسمع خطابنا، وهذا الجيل الذي سقط شهيدًا دليل على حياة هذا الشعب ودليل لمن بعده ليسير على طريق الإيمان؛ لقوله ـ تعَالَى ـ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

قالوا عنه (الشيخ أحمد ياسين): «إن شحادة تولى مسئولية الجناح العسكري لـ«**حماس**» عام ١٩٨٨م، ونجح شحادة خلال عامين في بناء الجهاز العسكري لكتائب القسام، ونجح من خلال عمله المؤسساتي أن يجد له تلاميذًا في الميدان يتولون القيام بمهمته فور غيابه».

❑ الزَّوْجَةُ الثَّانِيَةُ: شِحَادَةُ صَحَابِيٍّ فِي زَمَانِنَا(١):

- **كان أبًا للجميع.**

«**عشت شهرين في عصر الصحابة**».. بهذه الجملة وصفت ماجدة قنيطة حالها مع زوجها

(١) إسلام أون لاين ـ ٢٠٠٢/٧/٢٧م حوار اعتدال قنيطة ـ غزة.

صلاح شحادة قائد الجهاز العسكري لكتائب الشهيد عِز الدين القسام الذي استشهد في الغارة الإسرائيلية الغادرة على حي الدرج بـ(غزة) الاثنين ٢٠٠٢/٧/٢٢م.

شهران فقط هما عمر الحياة الزوجية التي قضتها ماجدة - ٢٧ عامًا - مع القائد شحادة المطلوب رقم (١) لجيش الاحتلال الإسرائيلي.

حاورتها شبكة «**إسلام أون لاين. نت**» في منزلها بحي الشيخ رضوان بقطاع (غزة) حيث أكدت أن حياتها كانت مليئة بالمغامرات، محفوفة بالمخاطر مع زوج روحه على كفه، عاشق للجهاد من الأعداء، إلا أنها كانت أفضل أيام عمرها.

وحول قصة زواجها من القائد الشهيد شحادة قالت ماجدة: «لم يسبق لي أن التقيت بالشيخ المجاهد شحادة قبل زواجنا، ولكن كنت أسمع عنه وعن بطولاته وجهاده، وتمنيت لو تسنح لي الفرصة بأن أفوز بمشاهدته ولو لحظة واحدة كحال غالبية الشبان الذين يحلمون بالحياة الجهادية».

وتتابع ماجدة: «فجأة تحول هذا الحلم إلى حقيقة عندما أرسل الشيخ شحادة إلى والدي مع بعض الإخوة المجاهدين يطلبني للزواج منه، فوقع الخبر على أهلي كالصاعقة.. ولم يدر أبي ماذا يفعل: أيضحي بابنته أم يرفض طلب قائد مجاهد ضحى بنفسه من أجل وطنه؟ فعرض أبي الأمر عليَّ.. ولا أنكر أنني في الوهلة الأولى خفت وارتعبت.. كيف؟ ولماذا اختارني أنا دونًا عن كل بنات (غزة)؟ ثم قلت لأبي ولا أدري من أين جاءتني كل هذه الجرأة: إنني موافقة على الزواج.. يكفيني أن أكون عروسًا له في الجنة، ولعل اللَّه يكرمني بالشهادة معه مقبلة غير مدبرة».

وقالت: إنها أخذت منه عهدًا بأن يشفع لها وأن تكون عروسه في الجنان - إن شاء اللَّه - إذا استشهد.

يشار إلى أن القائد شحادة من مواليد ١٩٥٣/٢/٤م، وقد خرج من المعتقلات الإسرائيلية بتاريخ ٢٠٠٠/٥/١٣م بعد اعتقال دام ١٠ سنوات و٢٠ شهرًا، ورزقه اللَّه من زوجته الأولى التي استشهدت معه في مجزرة (غزة) بست بنات، استشهدت إحداهن - أيضًا - في المجزرة.

❑ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ:

ورغم الأعباء الثقيلة المنوطة بالشيخ شحادة من إدارة للجهاز العسكري في الضفة الغربية وقطاع (غزة)، والتنسيق بين الجهاز العسكري والسياسي للحركة، فإنه كان يحاول أن يعطي

زوجه حقها، وعن هذا تقول ماجدة: «كان دائمًا يضع مخافة اللَّه أمام عينيه وكأنه يمشي على الصراط، وكأن الجنة والنار ماثلتين أمامه، يفتش عن نيته قبل أن يخطو خطوة، لا تغفو عينه إلا بعد الساعة السابعة صباحًا، ينام ساعتين أو ثلاثًا تقريبًا، ثم يصحو ليتناول طعام الإفطار معي، وكان يحب دائمًا أن يساعدني ويعمل معي حتى يخفف رتابة العمل، ثم يجلس في مكتبه يستقبل المكالمات، ويرد على الرسائل التي كانت تأتي إليه بكثرة من الشبان عاشقي الشهادة، أو رسائل إدارية تخص الجهاز، وإذا شعر بالتعب كان يخفف عن نفسه بأن يجاذبني أطراف الحديث عن ماضيه».

وتضيف زوجة الشهيد: «كنت أحاول أن أستفيد من كل كلمة يتفوه بها زوجي؛ لأنه كان يزن الكلمة قبل أن ينطق بها، وكل كلمة يلقيها بذرة يحرص على أن تنمو وتترك أثرًا إيجابيًّا في مستمعها».

❑ حَرِيصٌ عَلَى «حَمَاس»:

وأشارت ماجدة إلى أن القائد صلاح شحادة كان حريصًا جدًّا على أموال حركة «حماس»، «ويدقق كثيرًا كيف صرف الشيكل الواحد، ويحاسب معاونيه بشدة على ذلك» ودللت على هذا قائلة: «وجد رصاصة في المنزل ملقاة على الأرض فغضب غضبًا شديدًا وتناولها بسرعة وهو يقول: من يتهاون بالقليل يمكن أن يتهاون بالكثير».

❑ خمسةُ مَنَازِلٍ فِي شَهْرَيْنِ:

وعن احتياطاته الأمنية أوضحت ماجدة «أنه كان يهتم بشدة بهذا الجانب، وكان سلاحه الشخصي لا يفارقه حتى داخل المنزل».

وأشارت إلى أنه كان يقول: «لا يظنوا أن قتلي سهلٌ، فلست ممن يُقتل ولا يدافع عن نفسه، ولن يقتلوني دون خسائر». وتضيف: «كان لا يركب السيارة فورًا، بل كان أحيانًا يمشي قليلًا ثم يركب السيارة، وأحيانًا نأخذ سيارة أجرة إلى مسافة قصيرة؛ ليتأكد أنه غير مراقب أو أن أحدًا يتبعه، فننزل من السيارة الأجرة ونستقل سيارة أخرى، وأحيانًا كان يقود السيارة بنفسه، وكنا لا نستقر في بيت، ولا نمكث في البيت الذي نستأجره أكثر من ٧ أيام، وأحيانًا أقل؛ حيث تنقلت خلال الشهرين في ٥ بيوت».

كما أكدت ماجدة أن القائد شحادة كان في ساعات المساء الأولى يخرج برفقتها؛ ليروح عن نفسه وعنها، إما إلى شاطئ البحر، أو إلى وسط المدينة وبصحبة اثنين من مرافقيه.

وتضيف: «حياته حقًّا كانت في خطر، ولو علم اليهود بأمره لقصفوا المكان الذي به، أو أنزلوا جنودهم لخطفه، ولكن الخوف لم يعرف يومًا طريقًا إلى قلبي؛ لأنه كان يتعامل معي كإنسان عادي يريد أن يعيش ويغتنم كل فرصة في الحياة ليخدم دينه وحركته وجهاده، وعندما كنت أنهاه وأطلب منه أن يأخذ الحيطة والحذر أكثر فيقول لي: أريد أن أغتنم كل لحظة من حياتي؛ فأيامي معدودة، وسألقى ربي، وأريد أن ألقاه وهو راض عني؛ فالشهادة عندي أسهل من شربة ماء يتناولها أحدنا».

وتصف ماجدة ـ والدمع يفيض من عينيها ـ: «كان نعم الزوج المثالي، إذا شعر بالملل أو التعب ـ خاصة أنه كان ـ أحيانًا ـ يواصل الليل بالنهار ـ مارس الرياضة، وإذا وجد بعض الأعمال المنزلية كان يقوم بها بنفسه، فكنت أنهاه وأقول له: يكفيك ما عليك من أعباء جهادية؛ فيرد عليَّ بقوله: لست خيرًا من رسول الله، لقد كان يساعد أهل بيته فدعيني أُحْيي سنته». وأضافت أنه كثيرًا ما كان يجلس ليراجع حفظه من كتاب الله.

وسكتت برهة لتكمل بنبرة حزينة: «كان يتمنى ـ رحمه اللّٰه ـ أن ينهي مراجعته لحفظ القرآن الكريم الذي أجاد حفظه أثناء مُكوثه في المعتقل، ولكن لكثرة أشغاله لم يتمكن إلا من مراجعة بضعة أجزاء».

❑ السِّجْنُ عَلَّمَهُ الصَّبْرَ:

وحول أهم ما تعلمته من القائد القسامي تقول: إنها تعلمت منه التواضع وامتلاك الأعصاب الهادئة، والتصرف في الأمور بحكمة، مشيرة إلى أنه كان يقول لها: «إن القائد يجب أن يكون هادئ الأعصاب لا ينفعل».

وتضيف ماجدة أنها عندما سألته: «أين تعلمت هذا؟» قال لها: «في السجن، كان الوقت يمر ببطء، كنت في زنزانة عتمة طولها أقصر مني، وعرضها لا يكفي لأنام، وظلامها لا أرى منه يدي، ورائحتها كريهة، في الشتاء أبرد من الثلج، وفي الصيف رطوبة قاسية، لا أعرف فيها الليل من النهار، ومع ذلك عشت ولم أشعر فيها بأي ألم».

صَحَابِيُّ الْقَرْنِ الـ٢١:

وأضافت: «كان حقًّا صحابيًّا في القرن الحادي والعشرين، لقد كان أمَّة تفيض بالحب والتسامح، فقد كان يقول: يجب أن نربي الأجيال القادمة على الحب والتواضع».

وتؤكد ماجدة أنه كان شديد التواضع، لا يغضب أحدًا منه، وكان على استعداد لأن يخاطر بروحه في سبيل أن يزيل غضب أي إنسان عنه؛ لأن شعاره كان دائمًا: «**أحب أن ألقى ربي وليس في كتابي مظلمة لأحد، أريد أن أفوز بالجنان ورضى الرحمن**»، وتستكمل ماجدة: «كان يمتلك سحرًا عجيبًا يمكنه من أسر القلوب بنظرة واحدة منه، وفرض احترامه على العدو قبل الصديق».

وتكمل ماجدة ـ وقد شخصت ببصرها جانبًا وكأن شحادة ماثل أمامها ـ: كان إذا سمع صوت الأناشيد الإسلامية التي تحض على الجهاد خاصة نشيد «هيأت لي أمي فراشًا» يبكي بكاء شديدًا ويقول لي: «ودعت شهداء كثيرين من خير شباب الحركة الإسلامية سبقوني إلى الجنة، أوشك أن أقبل قدم أحدهم وأنا أودعه وأرجوه أن يسلم لي على صحابة رسول اللَّه ﷺ وأبي بكر وعمر، وأرجو من اللَّه أن يجمعني بأولادي الاستشهاديين وصحابة رسول الله ﷺ.

وَالِدٌ لِلاسْتِشْهَادِيِّينَ:

وتصف زوج الشيخ شحادة ليلة وداعه لجثمان أحد الاستشهاديين فتقول: «عاد إلى المنزل بعد منتصف الليل بعدما ذهب لذوي أحد الاستشهاديين بنفسه ليبشرهم بخبر استشهاده، وليخفف عنهم مصابهم، وأخذ يقول لي: إني أشم رائحة المسك تعطر ملابسي وتملأ المكان، وظلت رائحة المسك في أنفه حتى بعدما اغتسل وبزغ الفجر».

شَعَرَ بِأَجَلِهِ:

وعن آخر ما تلفظ به القائد شحادة معها قالت ـ وقد بدت معها ابتسامة حزينة على شفتيها ـ: «كان ـ رحمه اللَّه ـ يشعر أن منيته قد اقتربت، وأنه سيستشهد في هذا المنزل، وأكد أنه إذا بقي حيًّا سيغادره يوم الثلاثاء أي بعد استشهاده بيوم».

وذرفت الدموع من عينيها بغزارة قبل أن تكمل بصوت متقطع: إنه ظل يقول لها: «اعرفي

قدرك، أنت زوج القائد صلاح شحادة، فارفعي رأسك عاليًا، وحافظي على اسمه، واجعلي بيته مفتوحًا لكل محتاج[١].

* * *

صَلاحُ شَحَادَة .. قَائِدُ الْقَسَّامِيِّنَ يَتَكَلَّمُ[٢]

«راودتنا فكرة اللقاء به منذ زمن، فبحثنا عمن يوصلنا إليه. لم يكن الأمر بالشيء الهين، خاصة في ظل الوضع الأمني الراهن. لقاء كهذا يستحق الانتظار، فهو لا يحمل الـ (**VIP**)، وليس عضوًا في طاقم المفاوضات، إنه القائد الأعلى، رئيس هيئة الأركان، في كتائب الشهيد «عزِّ الدِّين القسَّام»، المطلوب الأول لقوات الاحتلال الإسرائيلي.

وبالفعل تم تحديد الموعد؛ وفي المكان المحدد حضرت السيارة، وبكلمة السر التي بحوزتنا أقلتنا إلى مكان ما من قطاع (غزة).

وفي غرفة صغيرة، جلسنا تحيط بنا قطع من الحديد أشبه بصواريخ القسَّام، وقطعة سلاح «إم ـ ١٦»، وتتوسط الغرفة طاولة عليها أوراق كثيرة، ثم دخل الرجل مرحِّبًا بابتسامة عريضة.. فجلس وجلسنا.. ولأن الوقت محدد بدأنا اللقاء:

❑ كَيْفَ تَخْتَارُونَ الِاسْتِشْهَادِيَّ؟

ـ يتم الاختيار وفقًا لأربعة معايير:

أولها: الالتزام الديني.

ثانيها: رضا الوالدين، فنحن نتحرى أن يكون الشاب الاستشهادي مرضيًا لوالديه، ومحبوبًا من أسرته، كذلك لا يؤثر على حياة الأسرة عند استشهاده، بمعنى ألا يكون ربًّا للأسرة؛ و ـ أيضًا ـ أن يكون له إخوة آخرون؛ أي لا نأخذ وحيد أبويه.

---

(١) من موقع «إسلام أون لاين . نت»

(٢) فلسطين ـ الجيل للصحافة، ونشر على شبكة الانترنت في ٢٠٠٢/٥/٢٩.

والمعيار الثالث: القدرة على تنفيذ المهمة التي تُوكَل إليه، واستيعاب شدتها.

المعيار الرابع والأخير: أن يكون استشهاده دعوة للآخرين للقيام بعمليات استشهادية، وتشجيعًا للجهاد في نفوس الناس.

هذه القوالب ليست جامدة، وليست مفصولة عن بعضها، وإنما يرتبط كل واحد منها بالآخر، ونحن نفضل غير المتزوجين دائمًا. وقيادة المنطقة في الجهاز العسكري للحركة التابع لها هي التي تقوم بدورها في ترشيحه لنا؛ ثم يتخذ القرار بالموافقة عليه أو عدمه.

❑ **ولكن كيف تفسّر هذا الإقبال من الشباب على التدافع نحو الانضمام إلى قوائم الاستشهاديين؟ وهل هذا دليل صحة أم هو هروب من حالة الإحباط واليأس التي يعيشها الفلسطينيون؟**

- إن إقبال الشباب على نيل الشهادة دليل على صحة ووعي المجتمع الفلسطيني، وليس خطأً أو هروبًا من حالة يأس أو إحباط، والأفراد الذين يقبلون على الجهاد كثيرون، ولديهم استعداد لتقديم أرواحهم، وهو أغلى ما يملك الإنسان. وشتان بين من يقدم المال والقربان ومن يقدم روحه في سبيل اللَّه ـ تَعَالَى ـ مقابل سعادة الأمة ليرفع عنها البؤس والشقاء.

رغم هذا فإننا لا نستطيع أن نوفِّر لكل إنسان عملية استشهادية يقوم بها؛ لأن الأهداف محدودة وأماكن العدو التي نريد أن نصل إليها محصنة جدًّا. وإن لم يلتزم بعض الشباب بقرار الجهاز العسكري، ولم يكن لهم ارتباط رسمي؛ فهذا دليل على أن الأمة أصبحت أمة جهادية؛ وهي على أعتاب التحرر، وترفض الهوان والذل.

❑ **اسْتِشْهَادُ الْأَطْفَالِ:**

وكيف تقومون ظاهرة الاستشهاديين الأطفال؟

- إن قضية روح الجهاد، وإقبال الأطفال على الشهادة قد يُساء استغلالها، ونحن لا نشجِّع أي إنسان أن يقدم على اقتحام مستوطنة بأسلحة بيضاء؛ فلا بد من اختيار الوسيلة المناسبة، ورغم أن هذه الظاهرة ظاهرة صحية، فإنها تحتاج إلى ترشيد، وترشيدها يتم عن طريق توعية الأشبال وتجنيدهم في الجهاز العسكري في قسم خاص، حتى يتم تربيتهم تربية جهادية عسكرية، ومن

خلالها يستطيع الشبل التمييز بين الصواب والخطأ، ومتى يستحق أن ينفذ عملية استشهادية ومتى يطلق النار؟

❑ وكيف يحدد الجهاز العسكري الهدف؟

ـ لدينا مجموعات رصد (استخبارات عسكرية)، مهمتها ملاحقة الدوريات الإسرائيلية والمستوطنين، وملاحظة تحركات العدو على الحدود، ومن ثم ننتهز أي ثغرة أمنية نجدها في الجدار الأمني للعدو، وبعدها نحدد الهدف، وكيفية الانقضاض عليه، سواء كان مستوطنة، أو موقعًا عسكريًّا أو سيارة عسكرية إلى غير ذلك.

ويتم تصوير هذا الهدف عبر كاميرات الفيديو، ثم يعرض على لجنة تحددها هيئة أركان العمل العسكري، وبعد إقرارها يتم تدريب الاستشهادي المنفِّذ على الهدف بعد معاينته، وبالتالي تكون العملية جاهزة للتنفيذ، بعد أن يقرر الخطة مجموعة من الخبراء، وتحدد عوامل النجاح والفشل.

❑ هل يمكن تقديم نماذج من هذه العمليات؟

ـ كتب لنا الشهيد الريَّان العديد من الرسائل يطالبنا فيها بضمه إلى قائمة الاستشهاديين، وهو يُعتبر أول استشهادي من الأشبال؛ فهو لم يُكمل بعدُ عامه السابع عشر.

وكنا قد رصدنا مستوطنة (إيلي سيناي)، وقمنا بتصويرها مباشرة عن طريق الشهيد جهاد المصري، وزميل له استشهد في مستوطنة (دوغيت) فيما بعد، واستطاعا تصوير الموقع العسكري من الداخل، ثم قاما بالتصوير بالفيديو ـ من داخل موقع عسكري مهجور ـ لسيارات المستوطنين، وأماكن دخول كل من الشهيد إبراهيم وعبداللَّه شعبان. وبعد أن تم التصوير، أخبر إبراهيم بالهدف، وتم تدريبه على الهدف وطبيعة المهمة الملقاة على عاتقه.

ونحن في هذه المناسبة نودُّ أن نعرب عن فخرنا بجهاز الرصد الخاص بالكتائب، الذي حقَق الكثير بفضل اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ.

وفي عملية (دوغيت) المشابهة، بات أفراد جهاز الرصد في داخل الموقع حتى اقتربا تمامًا من طريق حركة السيارات الإسرائيلية؛ وكان معهما جهاز اتصال بقائد المجموعة، وأخبراه بطريقة حركة السيارات، وقالا له مثلًا: هذه سيارة مصفحة تمر أمامنا ولم نطلق النار.. وهذا جِيب

مصفح لم نطلق عليه النار.. وهذا جيب قادم.. سنطلق!! وفعلًا أطلقا النار على الجيب العسكري؛ وكان يحمل عالمًا نوويًّا صهيونيًّا، وأحد أكبر عشرة علماء في داخل الكيان الصهيوني، وقتلوه وأطلقوا النار من وسط الشارع الرئيسي لطريق المستوطنين؛ لأنهم باتوا في داخل المستوطنة.

وكانت هذه فاتحة خير لعمليات أخرى نفذها الشهداء مازن بدوي، ومحمد عماد، وغيرهما.. وكانت العملية المشجعة لعملية الشهيد محمد فرحات.

❑ **وما الضوابط التي تحكم اختياركم للأهداف؟ وماذا عن قتل المدنيين الإسرائيليين؟**

ـ نحن لا نستهدف الأطفال أو الشيوخ أو المعابد، رغم أن هذه المعابد تحرض على قتل المسلمين، ولم نستهدف المدارس؛ لأننا لا نأمر بقتل الأطفال، وكذلك المستشفيات، رغم أنها سهلة وأمامنا. فنحن نعمل وفق مبادئ جهادية نلتزم بها وشعارنا: إننا لا نقاتل اليهود لأنهم يهود، وإنما نقاتلهم لأنهم محتلون لأرضنا، ولا نقاتلهم لعقيدتهم(١)، وإنما نقاتلهم لأنهم اغتصبوا أرضنا. ومن يسقط من الأطفال فذلك خارج عن إرادتنا.

❑ **كم تتكلف العملية الاستشهادية؟**

ـ تكاليف العملية تتفاوت حسب نوعها. فعملية هجوم بالسلاح الأتوماتيكي تكلفتها هي ثمن السلاح مع الذخيرة التي لا تقل عن ٢٥٠ طلقة، بالإضافة إلى عشر قنابل يدوية تقريبًا. ولكن بعض العمليات تحتاج إلى تكاليف أكبر، تشمل عملية توصيل ودفع أموال وشراء سيارات وشراء ذمم من اليهود. وبعض العمليات تكلفنا ثمنًا باهظًا، بالإضافة إلى الأموال التي تتراوح ما بين ٣٥٠٠ دولار إلى ٥٠ ألف دولار أمريكي حسب المستهدف.

❑ **الأسلحة التي اشتُهرت كتائبُ عزِّ الدِّين القسَّام بصناعتها مثل القسَّام ١ و٢ والبنَّا.. كيف طورتموها؟**

ـ من الطبيعي أن حركة مثل «حماس» تطور سلاحها حسب المشكلات اليومية التي تواجهها

---

(١) قلت: بل ـ عفا الله عنك ـ نحن نعاديهم لكفرهم وسبهم لله سبحانه وتعالى وقتلهم النبيين وأما حالهم مع المسلمين: فإما الإسلام وإما الجزية وإما السيف وفي هذا كفاية.

من العدو الصهيوني من سياج أمني، وآخر واق، فلا بد من اختراقها عبر الصواريخ والهاونات. واستطاعت ـ بفضل اللَّه ـ أن تتوصل إليها بالاستفادة من التجربة العملية والعلمية، فلدينا أناس متخصصون من الناحية العلمية لتطوير الأسلحة، تطالع وتقوم وتجرب اليوم صاروخ البنَّا الذي يجمع ما بين «الآر. بي. جي»، و«اللاو»، وهو يختلف عن القسَّام ٢ بأنه مخصص كمضاد للدروع المتوسطة.

أما القنابل اليدوية فقد تمت صناعتها لتلبي حاجة الجهاز وأفراده. وبفضل اللَّه أثبتت هذه القنابل مفعولها؛ وشهدت بذلك وزارة الصهيونية بأن هذه القنابل قوية.. وجميع هذه القنابل والصواريخ يتم صناعتها محليًّا وبشكل سهل وبسيط. فالمادة المتفجرة في صواريخ قسَّام ١ و ٢ والبَنَّا مصنعة من مواد أولية بسيطة، تستطيع النساء في البيت أن تُحَضِّرَها؛ واللَّه ـ سبحانه ـ يمنح هذا العلم لمن يستحقه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾.

* * *

❑ وماذا بعد الهيكل التنظيمي لكتائب القسام؟

الكتائب بشكل عام عبارة عن جيش صغير محكوم بقرار سياسي ـ كأي جيش في العالم ـ تتواجد فيه كافة تصفيات الجيش والهيكل. نحن جنود، والجهاز السياسي لا يقول لنا: افعل كذا أو كذا، ونفَّذ هذه العملية أو تلك، إنما رؤية الجهاز السياسي رؤية سيادية بالنسبة للجهاز العسكري، والقرار السياسي على القرار العسكري، دون أن يتدخل بالعمل العسكري.

ونجاح العملية لا يُقيَّم بعدد القتلى في صفوف العدو، وإنما بإمكانية وصول مجاهدينا إلى الهدف، وآلية التنفيذ والتخطيط الجيد مهم جدًّا لقياس نجاح العملية، أما عدد القتلى فهو بمشيئة اللَّه وإرادته.

❑ وكيف تُقَيِّمُونَ مشاركة كتائب شهداء الأقصى التابعة لـ(فتح) في العمليات الاستشهادية؟

ـ لم تكن مشاركة «شهداء الأقصى» في العمليات الاستشهادية مفاجأة لنا، وسعدنا جدًّا لدخولهم هذا الميدان، وتخطي حاجز أراضي ١٩٦٧م وأراضي ١٩٤٨م. وأذكر أنه في شهر

يوليو من عام ٢٠٠١م صدر أول بيان مشترك في (غزة) لكتائب عزِّ الدِّين القسَّام وشهداء الأقصى؛ تبنت كلتاهما عمليات في العمق الصهيوني. وأحدث هذا البيان هزة كبيرة؛ لأنه عبَّر عن توحُّد ما بين رؤى ووجهات نظر كلتيهما في (غزة) للمستقبل، في حال توغل العدو الصهيوني وارتكاب مزيد من الجرائم. وتوعد بأن يكون الرد في العمق الصهيوني، مستهدفًا حتى المنازل، رغم أن شهداء الأقصى لم تكن موجودة في (غزة) في هذا الوقت. وقد عبَّر البيان عن توحد لرؤى سياسية بين قادة كتائب القسَّام، وإخوة لنا في حركة (فتح)، والحمد لله جاء الوقت الذي يمكن أن نصبح نحن وهم على قلب رجل واحد.

❑ ما المعوقات التي تواجه كتائب القسام؟

ـ أهم هذه المعوقات ندرة السلاح النوعي كالصواريخ المضادة للطائرات، الصواريخ بعيدة المدى، وضبابية الرؤية السياسية الوطنية التي تربك العمل العسكري، وعدم تحديد موقفها من العمل العسكري، أهي معه أم ضده؟ وهل هي سلطة تحرر وطني أم سلطة حكم ذاتي؟ وبالتالي هذا الأمر حيَّر الكثيرين من المجاهدين.

بالإضافة إلى ارتفاع أسعار السلاح من قبل مصاصي الدماء «تجار السلاح»، حيث بلغ ثمن قطعة السلاح (إم ١٦) خمسة آلاف دولار، وثمن الرصاصة الخاصة به ١,٥دولار، أما سلاح الكلاشنكوف ٢٠٠٠ دولار، والرصاصة الواحدة له بـ ٤ دولارات.

وقد استطاع الجهاز العسكري أن يتجاوز محنة ندرة السلاح، عبر التغلب نوعًا ما على مشكلة المال من جمعها لبعض التبرعات الشخصية، أو من خلال تبرع أناس تحت دعم مسيرة الجهاد في سبيل الله. كما استطاعت الحركة تصنيع جزء من الأسلحة المتوسطة؛ وبالتالي قلَّلت من قيمة التكلفة. فتكلفة الصاروخ مثلًا لا تتجاوز واحد في المئة مقارنة بسعره إذا كانت الحركة ستشتريه!

❑ يقول البطل شحادة ناصحًا المجاهدين الذين يتعرضون للسجن في سجون اليهود:

«الأخ المجاهد لا بدَّ أن يكوم مدركًا إدراكًا جيدًا أنه لن يذهب إلى نزهة، وإنما يذهب إلى قساة القلوب.. غلاظ النفوس، إلى أناس جبناء، والجبان هو أشد الناس قسوة على الآخرين عندما يسيطر، هذه طبيعة الجبان، ولكنه ينكسر بالإصرار، يعني الجبان ينكسر بالإصرار، ويحتاج إلى

صمود في الموقف، عدم إظهار الضعف والجبن أمام العدو الصهيوني، يعني أذكر في الفترة الأولى من الممكن أن الإنسان يتعرض لضغوط شديدة جدًّا أو يصاب بعلة، ولكن هذه العلَّة كأنه أصيب في قتال، وهذا وسام شرف للإنسان في حياته وفي آخرته بإذن الله.

قد يستخدمون الضغط على الخصيتين، يستخدمون الخنق هذا ممكن في فترة من الفترات، يُترك أسلوب ويأتون إلى أسلوب آخر، والخنق.. كتم النفس.. إلى الشَّبحْ، إلى ربط الإنسان يديه وقدميْهِ من الخلف والضرب في المعدة وهو مشدود من الخلف، من الممكن ضرب رأس الإنسان في الأرض، ضربه في الطاولة، في المكتب، هم يعني مجموعة جبناء لا يجدون من يردعهم إلَّا المجاهدون في سبيل اللَّه عز وجل.

لِلَّهِ دَرُّكَ يَا شِحَادَةُ وَدَرُّ أُمٍّ أَنْجَبَتْكَ:

يقول البطل شحادة ـ تقبَّله اللَّه في عداد الشهداء ـ: «نحن دعاة إلى اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ قبل أن نحمل السلاح، وحمل السلاح هو دعوة، هو دعوة إلى الله، دعوة إلى تحكيم شرع اللَّه في الأرض، دعوة إلى نصرة المستضعفين في الأرض، دعوة إلى رفع الظلم والقهر عن إخواننا، دعوة إلى تحرير الأسرى، والمأسورين، دعوة إلى إشباع الجائعين، هذا هو حملنا للسلاح، وهذا هو موتنا في سبيل اللَّه عز وجل.

فالجهاد في مفهومنا في الجهاز العسكري في حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» أنه عملية أخلاقية، وليس هو مجرد عملية قتال، عملية أخلاقية تقوم على دعائم شرعية في كل منطلقاتها وفي كل أهدافها وفي كل غاياتها[١]».

مُسْتَقْبَلُ الصِّرَاعِ مَعَ إِسْرَائِيلَ:

قال ـ رحمه اللَّه ـ عن الشعب الفلسطيني:

«هذا الشعب سيكون بركانًا، وأقول هذا الكلام ليس كلامًا إنشائيًّا أو كلامًا عربيًّا؛ وإنما من خلال مشاهداتي للانتفاضة ومن خلال استقرائي لأهدافها، ومن خلال معايشتي للشباب الذين أصبحوا أبطالًا سطروا تاريخ الأمة الفلسطينية بمداد من الدم، وبمداد من العرق والدموع بآلف من

(١) الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الإنتفاضة ص٣٤٦.

... أو مئات الصهاينة حينما دمعت أعينهم من فعل هؤلاء، هؤلاء لم يكونوا دائمًا في صف واحد، وإنما الفعل الجهادي وحّد الصف، وانطلقوا في مسيرة واحدة.

كثير من الناس كانوا خصومًا، ثم أصبحوا بنفس المسار الجهادي، والآن، والحمد لله رب العالمين، إنهم مجاهدون نفخر بهم، فهذا الفعل الجهادي سيوحد.. ويصحح مسارنا، بإذن الله تبارك وتعالى، والمنطق كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ عن اليهود: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فبأيديهم خطُّوا هذه الاتفاقيات، وأرادوا بها التنكيل بالشعب الفلسطيني، وإحداث انشقاق في الشعب الفلسطيني، فبأيديهم التي كتبت سيتحول هؤلاء في يوم ـ ولن يكون بعيدًا بإذن الله ـ إلى أناس حينما تنقشع الغمامة عن الفكر الذي يسود المنطقة الآن، وسيتحولوا إلى مجاهدين، وإلى أسلحة تحرير، وليس إلى أسلحة تدمير للشعب الفلسطيني كما أراد الصهاينة.

كلي فخر بأني عشت مع المجاهدين في سبيل الله ﷻ في التحقيق، وفي الزنازين، في السجون، وكلي فخر بأنًا والحمد لله رب العالمين واجهنا مخابرات العدو الصهيوني. إنهم يعملون عملاً مؤسساتيًا، ولكن خاليًا من الإرادة الإنسانية، وخاليًا من التفكير المنطقي، وخاليًا من الأخلاق، فنحن اليوم في حاجة إلى إعادة وصياغة مفهومنا الجهادي، ومفهومنا الجهادي داخل وخارج فلسطين في حاجة إلى وحدة الفهم لما نريد أن نقوم به، نحن الآن في حالة صياغة للشخصية الإسلامية التي ستحكم بإذن الله ـ تبارك وتعالى ـ، وجزاكم الله كل خير، وبارك الله في كل أخ بذل جهدًا معنا، ونسأل الله اللقاء في جنة الخلد مع الشهداء والصديقين والنبيين بإذن الله ـ تبارك وتعالى ـ»(١).

* تقول ابنة الشيخ أحمد ياسين عن موقف أبكى شيخ المجاهدين ياسين: «أما عن موقف بكى فيه ـ وقلَّ أن يبكي أمثال أبي ـ، فقد كان يوم استشهاد الشيخ صلاح شحادة، فقد كانت للشيخ صلاح في قلبه مكانة عظيمة، فكان لوقع خبر استشهاده بصاروخ يزن طنًّا أثرٌ بالغ الألم، كما كان لوصية الشيخ صلاح ألا يصنع له عزاء، وألا ترفع له صورة، أثرٌ زاد من حزن الشيخ عليه؛ لذلك شيَّع شيخنا الشيخَ صلاح بكرسيه وليس وهو راكب سيارته مثلما كان معتادًا».

(١) المصدر السابق ص٣٤٧، ٣٤٨.

❏ سَيَخْرُجُ لَهُمْ مِئَةُ صَلاح شِحَادَة:

في حوار أجرته شبكة «إسلام أون لاين. نت»[١] مع الشيخ أحمد ياسين بعد المجزرة التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية في (غزة) مساء الاثنين ٢٢/٧/٢٠٠٢م والتي قُتل فيها شحادة قال الشيخ ياسين: «سيخرج لهم مئة صلاح شحادة.. لن نوقف العمليات الاستشهادية .. نحن في حل من كافة المبادرات التي طرحناها.. والعدو لا بد أن يُلَقَّنَ درسًا يعيد له صوابه إن كان له صواب، فالعقاب قادم، والرد سيكون مزلزلًا، ولن تذهب دماء الشهداء هدرًا».

وقال: «العدو الإسرائيلي يريد أن يحطم إرادة الشعب الفلسطيني ولن تؤثر فينا عملياته، واغتيال الشيخ صلاح شحادة يشكل دافعًا جديدًا للمقاومة، ولعلهم نسوا التاريخ، فهم اغتالوا يحيى عياش فخرج لهم ١٠٠ يحيى عياش، واغتالوا صلاح شحادة وسيخرج لهم ١٠٠ صلاح شحادة، ولو اغتالوا أحمد ياسين سيخرج لهم مئة أحمد ياسين.. فهم واهمون إذا ظنوا أن الاغتيال ينهي المقاومة، بل يزيدها قوة فوق قوتها واشتعالًا».

❏ كيف يقرأ الشيخ أحمد ياسين هذا الحشد الذي شارك في مسيرة الجنازة؟

«حقيقة أقول وبكل تأكيد: إن الجماهير التي خرجت بالأمس والتي تجاوزت ربع المليون مشيع تؤكد على التفاف الشعب الفلسطيني حول المقاومة والعمل الجهادي الاستشهادي، وعدد سكان قطاع (غزة) حوالي مليون، وعندما يخرج مثل هذا العدد فهذا يعد استفتاء يبايع فيه الشعب على المضي في العمل الجهادي والاستشهادي». اهـ.

* «قبل موت البطل شحادة الذي قال عنه رئيس هيئة أركان الإرهاب بالجيش الصهيوني: «**إنه كلف إسرائيل ثمنًا دمويًّا بصورة شبه يومية تقريبًا**»، طلبت منه زوجته أن يزداد في الحيطة والحذر أكثر فقال لها: «أريد أن أغتنم كل لحظة من حياتي، فأيامي معدودة، وسألقى ربي وأريد أن ألقاه وهو راضٍ عني، فالشهادة عندي أسهل من شربة ماء يتناولها أحدنا.

وكان يقول: «ودعت شهداء كثيرين من خير شباب الحركة الإسلامية سبقوني إلى الجنة، وأوشك أن أقبِّل قدم أحدهم وأنا أودعه وأرجوه أن يسلم لي على صحابة رسول الله ﷺ وأبي بكر

---

(١) إسلام أون لاين . نت - غزة - مصطفي الصواف ٢٥/٧/٢٠٠٢.

وعمر، وأرجو من اللَّه أن يجمعني بأولادي الاستشهاديين وصحابة رسول اللَّه ﷺ».

كتب في وصيته: أن يكون قبري بجوار الصالحين إن أمكن، وألا يبنى قبري أو يجصص، أو يكتب عليه الشهيد وإن استشهدت، فاللَّه أعلم بعباده.

وكتب ـ أيضًا ـ: «أدعو اللَّه أن يرحمني وإياكم، وإلى لقاء عند رب غفور رحيم كريم بإذنه ـ تَعَالَى ـ»[(١)].

رحم اللَّه بطل بيت حانون.. بل فلسطين كلها.. الشيخ صلاح شحادة الذي كان استشهاده بركة على المقاومة في الضفة الغربية وقطاع (غزة) فازدادت بنسبة ٣٠٠٪.

* * *

---

(١) «عظماء الإسلام عبر أربعة عشر قرنًا من الزمان» لمحمد سعيد مرسي ص٢٨٧،٨٨٨.

أُسْطُورَةُ غَزَّةَ.. صَقْرُ الْجِهَادِ الْقَسَّامِيِّ

الْقَائِدُ عِمَادُ عَقْل[1] «٢٤ عامًا» ـ مُخَيَّم جَبالْيَا

الْقَائِـلُ: «قَتْلُ الْجُنُودِ الإِسْرَائِيلِيِّينَ عِبَادَةٌ نَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ»

وُلِد بطلنا القائد عماد عقل في التاسع عشر من يونيو من عام ١٩٧١م في مخيم جباليا شرقي مدينة (غزة).. سماه والده بهذا الاسم تيمُّنًا بالقائد المسلم عماد الدين زنكي.

نشأ عماد وتربى على طاعة اللَّه في هذا البيت المتدين الفخور بإسلامه وعقيدته، وبدا واضحًا ـ منذ نعومة أظفاره ـ تمتعه بالذكاء والعبقرية، ولهذا صمم والداه على مواصلة مسيرته التعليمية التي بدأت بالتحاقه في إحدى المدارس الابتدائية في المخيم فأنهى هذه المرحلة وحصل على ترتيب بين الخمسة الأوائل بين أقرانه، ثم انتقل إلى المدرسة الإعدادية، وبرز تفوقه هناك ـ أيضًا ـ بحصوله على مرتبة متقدمة بين الأوائل في هذه المرحلة. أما في المرحلة الثانوية، فقد شهدت مدرسة الفالوجة في بيت حانون للشهيد تفوقه لدرجة أنه جعل من مادة التربية الإسلامية والدين همه الأول الذي يتخصص به إلى جانب علم الجغرافيا الذي أتقنه. فقد كان يعرف كل صغيرة وكبيرة عن عواصم دول العالم ورؤسائها والطبيعة الجغرافية الموجودة في تلك الدول حتى أن شقيقه عادل ـ الذي أبعد ضمن المجموعة التي أبعدتها حكومة إسحاق رابين في السابع عشر من كانون أول (ديسمبر) من عام ١٩٩٢م إلى مرج الزهور ـ، يروي عن عماد في هذا المجال بأنه ـ أي عماد ـ كان يساعد مدرس الجغرافيا في شرح هذه المادة.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المستوى العلمي المتقدم الذي وصل إليه الشهيد في مادة الجغرافيا على وجه التحديد. وكما كان متوقعًا، أحرز الشهيد عماد الترتيب الأول على مستوى المدرسة وبيت حانون والمخيم في شهادة الثانوية العامة (التوجيهي)، ليزداد مع هذا التفوق إصرارًا على مواصلة مسيرته التعليمية وتحقيق طموحه العلمي الذي كان يحلم به.

فتقدم بأوراقه وشهاداته العلمية إلى معهد الأمل في مدينة (غزة) لدراسة الصيدلة، وما أن أتم

---

(١) الترجمة من موقع: «المركز الفلسطيني للإعلام»، وموقع «كتائب عز الدين القسام» على الانترنت باختصار وتصرف.

إجراءات التسجيل ودفع الرسوم المقررة حتى وجد جنود الاحتلال يقفون له بالمرصاد ليودع السجن في ٢٣ من أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٨٨م ويقدم إلى المحاكمة بتهمة الانتماء لحركة «حماس» والمشاركة في فعاليات الانتفاضة المباركة. وخرج الشهيد القائد من مدرسة يوسف عليه السلام أصلب عودًا وأكثر إصرارًا على مواجهة الاحتلال وتحدي جلاديه. فهو يحب الجهاد وقتال اليهود وزاده السجن حبًّا لذلك.

وفي نفس الوقت واكب حب الشهيد وقتال اليهود حب من نوع آخر وهو حب التفقه في الدين والعلوم الشرعية والتسليح بهذا العلم إلى جانب البندقية؛ لما له من أثر بالغ في نفس المجاهد عند ملاقاة الأعداء. فأرسل شهاداته العلمية إلى شقيقه الأكبر الشيخ عبدالفتاح الذي يعمل إمامًا لأحد المساجد في مدينة عمان طالبًا منه المساعدة بتسجيله في برنامج الشريعة الإسلامية الذي تقدمه المعاهد وكليات المجتمع ابتداءً من الفصل الأول للعام الدراسي ١٩٩١- ١٩٩٢. ولكن سلطات الاحتلال التي تعرف عماد وما قدمه من أعمال بطولية خلال مشاركته في فعاليات الانتفاضة، منعت الشهيد كغيره من الأبطال من مغادرة قطاع (غزة) على الرغم من حصوله على قبول للالتحاق في برنامج السنة الأولى المقرر في تخصص الشريعة الإسلامية.

* تربى عماد في أحضان المساجد القريبة من مسكنه التي أعتاد ارتيادها منذ أن بلغ الثانية عشرة من عمره، وانضم إلى حركة «حماس»، ويروي أحد الذين عرفوه وعايشوا التحاقه بالدعوة بأن العقل لم يقتصر على أداء ما هو مطلوب منه من فعالية الانتفاضة وبرامجها الجهادية وكفى، بل عمل على صعيد الدعوة في المسجد وفي الشارع وفي المدرسة وفي كل مكان عاش فيه. كما تميز الشهيد - رحمه الله - بعمله الدءوب لما تطلبته تلك المرحلة من ضرورة الوجود الإسلامي المركز في مخيم جباليا، فشارك إخوانه في استنهاض همة الشباب وتجميع الصالحين منهم دينًا وخلقًا لدعوتهم، وتجنيدهم في صفوف حركة المقاومة الإسلامية «حماس».

عِمَادُ فِي الِانْتِفَاضَةِ

واكبت حركةُ عماد ونشاطه وقوة حبه للجهاد وقتال اليهود اشتعالَ الانتفاضة الفلسطينية المباركة وتصاعد وتيرتها وامتدادها على طول رقعة الوطن المحتل. وما إن أطلقت حركة «**الإخوان**

المسلمون» في قطاع (غزة) لشبابها وأنصارها العنان لقيادة المظاهرات وتوجيه الجماهير منذ الثامن من كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٨٧م، حتى تقدم الشهيد الصفوف مشكلًا المجموعات من الشباب المسلم في المخيم لملاحقة جنود الاحتلال وقطعان المستوطنين الذين كانوا يعيثون فسادًا وتخريبًا. كما شارك الشهيد - رحمه اللَّه - في كتابة الشعارت الجدارية ضد العدو الصهيوني، وعرف عنه اهتمامه الشديد بالمظاهرات والمسرات الاحتجاجية، فشارك في الكثير من فعاليات الانتفاضة ضمن مجموعات «السواعد الرامية» التي تكونت في المخيم بعد انبثاق حركة المقاومة الإسلامية «حماس» جناحًا ضاربًا لجماعة الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع (غزة).

وأقلقت المظاهرات والمواجهات الجهادية التي قادتها «حماس» مضاجع اليهود وأرعبت جندهم ومستوطنيهم على حد سواء، فراحوا يبحثون عن قادتها وكوادرها ويودعونهم السجون والمعتقلات في محاولة لوقف المد الإسلامي المتنامي في أوساط شعبنا المرابط على أرض الإسراء، ولكن أنَّى لهم ذلك، فاللَّه - سبحانه وتعالى - متم نوره ولو كره الكافرون. وباعتقال مجموعة كبيرة من كوادر وشباب «حماس» فيما سمي في وقت لاحق ضربة آب (أغسطس) ١٩٨٨م، تعرض عماد وشقيقه عادل للاعتقال في الثالث والعشرين من أيلول (سبتمبر) من ذلك العام حيث أودع السجن ثمانية عشر شهرًا إثر صدور الحكم عليه من محكمة عسكرية صهيونية بتهمة الانتماء لحركة «حماس» والمشاركة في فعاليتها وتكوين مجموعات مجاهدة وإلقاء زجاجات حارقة. وما إن خرج الشهيد - رحمه اللَّه - من المعتقل في آذار (مارس) ١٩٩٠م، حتى عاد إليه مرة أخرى إذ وجهت إليه سلطات الاحتلال تهمة تجنيد أحد الشباب المجاهدين في تنظيم «**حماس**». فقضى الشهيد في المعتقل هذه المرة شهرًا آخر بعد أن تيقنت أجهزة المخابرات الإسرائيلية أنه حوكم في المرة السابقة بالتهمة التي وجهت إليه.

لم يؤثر السجن والاعتقال على شهيدنا البطل، فقد استمر في حركته ونشاطه الذي عهد عنه وهو في مخيم جباليا، وإن كان قد حددت حريته ومجالات حركته، إلا أن حبه الشديد للإسلام وقتال اليهود أكسبه طاقة إضافية وشحنات مقوية، فقام بالتحقيق مع العملاء والساقطين داخل المعتقل إلى جانب نشاطه المتميز في تجنيد بعض الشباب المعتقلين في صفوف حركة المقاومة

الإسلامية.

وخرج من السجن بعزم وتصميم لا يلين على مواصلة طريق الجهاد ونيل الشهادة في سبيل الله حيث كان دائم الحديث عن جهاد الرسول والشهادة والشهداء وبطولات خالد بن الوليد وصلاح الدين وعمر المختار وغيرهم من قادة الفتح الإسلامي والحركات الجهادية في العصر الحديث. ولذلك لم يرق لشهيدنا البطل أن يظل مقتصرًا في جهاده على الحجر والمقلاع، بل راح يبحث عن درجة أعلى من ذلك ما من شأنه إلحاق الخسائر الفادحة في صفوف جنود الاحتلال والقضاء على المستوطنين والعملاء وتجار المخدرات. فبدأ اتصالاته وتحركاته فور خروجه من المعتقل للالتحاق بالجهاز العسكري لحركة «حماس» المسمى «كتائب الشهيد عِز الدين القسام»، الذي يلبي رغباته وطموحاته العسكرية. فكان له ما أراد، إذ أفرز في مجموعة «الشهداء»، وهي من المجموعات الأساسية الأولى التي بدأت العمل في المنطقة الشمالية من القطاع بملاحقة العملاء الخطرين وتصفية بعضهم، ثم اندمج تلقائيًا في كتائب القسام وبدأ بممارسة مهامه الجهادية على أفضل ما يكون.

❑ ضَابِطُ مَجْمُوعَةِ الشُّهَدَاءِ:

استجابة لأمر الله - تبارك وتعالى - وتلبية لندائه الخالد ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كان الالتقاء والتجمع ثم الفرز والنفير والجهاد، فالتحمت القلوب المؤمنة وتشابكت الأكف وهتفت الحناجر تحت راية واحدة ولشعار واحد: «**الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا**» لينطلق المارد الفلسطيني المسلم عبر سنوات الهجر والطمس والتغييب القسري معلنًا قراره التاريخي في يوم من الأيام الخالدة بنسماتها وإشراقاتها من شهر أيار (مايو) من عام ١٩٩٠م بإشعال أحد أهم قناديل الجهاد على أرض الرباط.. كتائب الشهيد عِز الدين القسام. ويستمر العطاء ويتصاعد لا تحاصره اعتقالات ولا دماء ولا قيود، فتنتقل شعلة الجهاد والكفاح المسلح من مدينة رفح في أقصى جنوب قطاع العز والكرامة إلى مدينة (غزة) ومخيماتها في أقصى الشمال لتنطلق من بعدها مجموعة «الشهداء» بعد أن طورد مجاهدوها إلى الضفة الغربية تدرب شبابها وتشاركهم الجهاد على أرضنا الطاهرة الطيبة.

شكلت قيادة كتائب الشهيد عِز الدين القسام مجموعتها الأولى في المنطقة الشمالية من قطاع (غزة) في بداية عام ١٩٩١م، وعرفت هذه المجموعة باسم «مجموعة الشهداء» تعمل بشكل أساسي في قتل رموز العمالة الخطرين إلى حين الحصول على قطع سلاح لتسليح أفراد المجموعة استعدادًا لتنفيذ عمليات عسكرية ضد دوريات وجنود الاحتلال. وعلى الرغم من وجود من هو أكبر منه سنًّا وأقدم منه في المرتبة التنظيمية، إلا أن ما يتمتع به الشهيد عماد عقل من ذكاء وفطنة وخفة حركة إلى جانب حذره واستعداده الدائم جعلت قيادة الكتائب ومجاهدي المجموعة يختارونه ضابطًا لهم ينقل التعليمات والأوامر والخطط وكل ما يتعلق بشأن المجموعة من وإلى القيادة.

تكونت المجموعة من تسعة مجاهدين هم: عماد عقل ضابطًا، ومحمد أبو العطايا، ومحمد أبو عايش، ومجدي حماد، وغسان أبو ندى، ومحمد حرز، ونهرو مسعود، وطلال صالح، وبشير حماد. وراح هؤلاء المجاهدون يصوبون سكاكينهم وخناجرهم إلى صدور المجرمين الساقطين في شباك العمالة والخيانة بتخطيط متقن وعمليات نوعية جريئة أثارت جنون اليهود. فقد كانت المجموعة تخطف العميل وتحقق معه مستفيدة مما لديه من معلومات ومسجلة اعترافاته على أشرطة تسجيل كوثائق للإدانة وأدلة لا يمكن إنكارها ثم تنفذ فيه حكم اللَّه إذا رفض التوبة.

وكان لهذه العمليات الناجحة وقع بالغ عند الجماهير؛ لما لها من أثر واضح في تطهير المجتمع من العناصر الفاسدة التي سَمَّتْهَا المخابرات الإسرائيلية. وظل الناس يتابعون في شغف عمليات الكتائب التطهيرية في (غزة) وجباليا والشيخ رضوان ومخيم الشاطئ.

استمرت المجموعة تعمل في مجال التحقيق وتصفية العملاء الخطرين في المنطقة الشمالية من القطاع بانتظار تزويدها بالسلاح لمواجهة اليهود، حيث كان العميل يحيى الأحول أول عميل يتم تصفيته من قبل المجموعة.

ومنذ الاستعراض العسكري الذي أقيم في مخيم جباليا في الرابع عشر من ديسمبر ١٩٩١م منذ ذلك التاريخ، أصبح القائد عماد عقل مطلوبًا لقوات الاحتلال وأجهزة مخابراتها الخاصة والمستعربة التي تتخفى بالملابس المدنية التي تشابه ما يلبسه المواطنون الفلسطينيون، وفي بعض الأحيان تستخدم ملابس النساء العربيات للتخفي بهدف اختراق المجتمع العربي والاقتراب إلى

أقرب نقطة ممكنة من المطلوبين ليتم اعتقالهم أو إعدامهم ميدانيًّا بدون محاكمة.

لكن شهيدنا الذي هزم الخوف منذ أن بايع على الشهادة، راح يواجه واقعه الجديد بشجاعة وإقدام، وإذا كانت المخابرات الإسرائيلية قد توصلت إلى أن عماد عقل هو ضابط المجموعة، إلا أن الشهيد القائد لم يرتعب ولم يضعف، بل زاده هذا الأمر شجاعة، وفرض عليه في نفس الوقت أن يظل على أهبة الاستعداد يحمل روحه على كفه وبندقيته على كتفه.. فقد عزم على الجهاد حتى الشهادة، ورفض أن ينسحب من الميدان، إذ نقل عنه ـ رحمه اللَّه ـ عند بداية مطاردته قوله: **«من الآن فصاعدًا فأنا مطارد للاحتلال، وعليه سوف أذيقهم العلقم بإذن الله»**.

عاش شهيدنا البطل مع إخوانه الخمسة المطاردين: (أبو العطايا، أبو عايش، حرز، بشير، وطلال) حياة الأخوة بمعناها الحقيقي، ومما يسجل للشهيد ما يرويه أحد الإخوة المجاهدين الذين عرفوه، إذ يقول هذا الأخ: «في أحد مكامنه كنت وأحد الإخوة معه فقمنا نصلي ففضل البقاء في حراستنا ثم صَلى بعد ذلك حتى لا نؤخذ على حين غرة، كان خلال ذلك يحرس الغرفة جيئة وذهابًا وكأنه يفكر في أمر يشغله، وضع بعدها لنا الطعام فلم يتناول سوى لقيمات قائلًا: لا أريد الإكثار حتى لا أتثاقل إلى الأرض فيشغلني ذلك عن مقارعة أعداء الله».

وعلى الرغم من الأعباء الجهادية المضنية التي ألقيت على كاهل المجموعة بعد مطاردتها كونها كانت تقوم بملاحقة أخطر العملاء وتجار المخدرات حيث تمكنت المجموعة من النيل من أخطر العملاء أمثال جمال البنا من مباحث الأمن سابقًا، ويوسف كسكين إلى جانب الإطاحة برؤوس ثلاثة عشر عميلًا آخرين، إلا أن ذلك لم يمنع عماد عقل ولم ينسه زيارة والديه والاطمئنان عليهما ومتابعة أخبار إخوته وأخواته.

ضاقت مدينة (غزة) بمطاردي مجموعة الشهداء، فقد انضم عشرة إخوة مجاهدين من كتائب الشهيد عِز الدين لاقسام إلى قائمة المطاردين الجدد، والخوف من أعمال التمشيط العسكري للبيارات والملاجئ والمنازل أصبح هاجسًا يتملك المطاردين في هذه البقعة الصغيرة، إلى جانب قلة السلاح الناري لدى هؤلاء المطاردين، فمطاردو مجموعة الشهداء على سبيل المثال والذين لم يكونوا يملكون قطعة سلاح واحدة قبل المطاردة، أرسلوا في طلب بندقية (كارل غوستاف) التي كان قد حملها مجدي حماد في استعراض ذكرى الانطلاقة، من المجموعة غير المطاردة، فهم

أولى الآن بها، واستلمت المجموعة بندقية أخرى من النوع نفسه من قيادة الحركة بالإضافة إلى شراء بندقية ثالثة ومسدس.

وأمام هذا الوضع الجديد، وحفاظًا على الإخوة المطاردين، وتوفيرًا للجهد المضني في توفير الملجأ، ولسهولة الحركة لهذه الأعداد، تم التخطيط لخروج مطاردي مجموعة الشهداء من قطاع (غزة) والانتقال إلى الضفة الغربية للالتحاق بالجهاز العسكري لحركة «حماس» هناك.

وفي الرابع من مايو ١٩٩٢م أطلق عماد عقل رصاصة مستخدمًا بندقية كارل غوستاف ضد قائد الشرطة اليهودي في قطاع (غزة) الكولونيل يوسيف أفني عند مفترق الشيخ عجلين، غير أن العملية لم تسفر إلا عن إصابة ركاب سيارة المخابرات الموافقة له بإصابات مباشرة وتحطيم زجاج سيارة المجرم اليهودي.

❑ الِانْتِقَالُ إِلَى الْقُدْسِ وَمِنْهَا إِلَى الْخَلِيلِ وَتَوَلِّيهِ مَسْئُولِيَّةَ الْقَائِدِ الْعَسْكَرِيِّ فِي الْخَلِيلِ:

انتقل البطل في الثاني والعشرين من مايو ١٩٩٢م عبر حاجز إيرز إلى القدس بهوية مزوَّرة، ورتب أمره مع اثنين من مجموعته لتنفيذ عملية طعن بالسكاكين في مدينة القدس، وقبل تنفيذ العملية بيوم واحد قُبض على محمد أبو العطايا أحد أفراد المجموعة، واضطر بطلنا إلى ترك القدس إلى الخليل حيث طلب منه الشيخ صالح العاروري مسئول الضفة الغربية أن يتولى القيادة العسكرية للعمليات في الخليل، وتم ترتيب الوضع الأمني له حيث استأجر الشيخ صالح العاروري لبيت اعتبر آمنًا وبعيدًا عن أعين المخابرات الصهيونية وعملائها، اتخذه عماد مَقَرًّا لسكنه ومكانًا يلتقي به مع نشطاء حركة المقاومة الإسلامية، كما عهد لمجموعة من المساعدين من شباب «**حماس**» بمسئولية المحافظة على الشهيد القائد والالتزام بتوفير كافة السبل والوسائل الكفيلة بتسهيل تنقلاته وتحركاته بأمان ويسر.

وقد تنقل الشهيد خلال فترة إقامته التي امتدت قرابة الأربعة شهور بين مختلف مناطق ومساجد خليل الرحمن مستخدمًا اسمين حركيين، فمرة يقدم نفسه باسم (حسين) وتارة أخرى باسم (أيوب).

مَجْمُوعَةُ شُهَدَاءِ الْأَقْصَى:

شكل تزايد أعداد المعتقلين من أبناء شعبنا ومن كتائب الشهيد عِز الدين القسام إلى جانب الأعداد الكبيرة من معتقلي حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وأجهزتها الأمنية والعسكرية، وعلى رأسهم شيخ الانتفاضة المجاهد أحمد ياسين، وما يعانونه من تعذيب وظروف صحية واجتماعية ونفسية صعبة داخل المعتقلات والسجون الإسرائيلية، هاجسًا سيطر على تفكير الشهيد منذ أن تولى مسئولية العمليات في منطقة الخليل.

ولهذا الغرض شرع القائد عماد عقل بالتخطيط لأسر جندي من جيش الاحتلال الصهيوني أو أكثر، واستخدام هؤلاء الأسرى كرهائن من أجل مبادلتهم بالأبطال المعتقلين سواء من «حماس» وكتائب عِز الدين القسام أومن مختلف الفصائل والتنظيمات الفدائية.

فبعث عن طريق المجاهد عباس شبانة (٢٢ عامًا) الذي عينه الشيخ صالح العاروري ليكون المسئول عن تنسيق العمليات بين مدينة الخليل وقطاع (غزة)، وراء المجاهد القسامي محمد عبدالفتاح دخان (مخيم النصيرات) ليساعده في التخطيط للعمليات وتوصيل الأسلحة ونقل المعدات. كما طلب من مساعديه في وقت لاحق إيجاد مغارة كبيرة مناسبة في التلال المجاورة لمدينة الخليل تصلح لأن تكون مكانًا آمنًا يمكن إخفاء الجنود الأسرى فيها. وفي هذه المغارة ـ أيضًا ـ تم تدريب الشباب الذين تم فرزهم من بين صفوف نشطاء الحركة على السلاح وتنظيمهم في إطار كتائب الشهيد عِز الدين القسام باسم (مجموعة شهداء الأقصى) حيث ضمت التشكيلة الأولى لهذه المجموعة سفيان جمجوم (٢٢ عامًا)، المعلم في مدرسة الشريعة التابعة للجمعية الخيرية الإسلامية في الخليل، والذي قام بتجنيد أربعة مجاهدين من منطقة الخليل؛ هم: موسى عمرو (٢٢ عامًا)، هارون ناصر الدين (٢٣ عامًا)، حامد سلهب (٢٠ عامًا)، وأمجد شبانة (١٩ عامًا) إلى جانب الشهيد القائد حاتم المحتسب وغسان مدبوح، وإياد أبو حمدية، وجهاد عوالمة، وجميل عبدالنبي النتشة (٣٠ عامًا) الذي تولى قيادة السيارة ذات اللوحة الصفراء وهي لوحة خاصة، بالإسرائيليين والمناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨م تم شراؤها بهدف استعمالها في عمليات المجموعة.

وبهذه المجموعة المجاهدة، مضى الشهيد القائد في ثبات وتفاعل رغم كثرة التبعات وجسامة التحديات ليكتب قصة المجد والجهاد عبر خطوات القسام في مدينة الخليل.

وإذا كان عماد عقل قد تولى مسئولية قيادة كتائب القسام في مدينة الخليل وما يتبع هذه المسئولية من الإشراف على تجنيد المجاهدين وتدريبهم على استخدام الوسائل القتالية وإعدادهم للقيام بعمليات ضد قوات الاحتلال، إلا أن ذلك لم يحل دون مشاركته في العمليات العسكرية الجريئة التي نفذتها مجموعة شهداء الأقصى تخطيطًا وتنفيذًا.

ففي الحادي والعشرين من تشرين أول (أكتوبر) خطط الشهيد القائد لعملية هجوم بالأسلحة الأوتوماتيكية ضد سيارة (رينو ـ ٥) عسكرية كانت تسير على طريق الظاهرية باتجاه مدينة الخليل حيث قامت السيارة التي أقلت عماد وإخوانه بتتبع السيارة العسكرية، ومن ثم إطلاقه النار من البنادق الرشاشة على السيارة عند الاقتراب منها مما أدى إلى إصابة جميع ركباها بإصابات مختلفة.

وبعد أربعة أيام من هذه العملية البطولية نفذ الشهيد القائد ـ رحمه اللَّه ـ بالاشتراك مع اثنين من إخوانه عمليته العسكرية الثانية في منطقة الخليل وصفها أحد ضباط القيادة في جيش الاحتلال بأنها من أجرأ العمليات التي استهدفت المواقع العسكرية الإسرائيلية في الضفة الغربية، إذ اقترب عماد عقل وهارون ناصر الدين من معسكر جيش الاحتلال القريب من الحرم الإبراهيمي الشريف، ووصلا إلى مسافة أقل من ثلاثين مترًا من الجنديين اللذين كانا يتوليان حراسة المعسكر، وبادر البطلان بإطلاق الرصاص من أسلحتهم الرشاشة دون أن يتمكن جنود الاحتلال من الرد عليهما أو تعقبهما عند انسحابهما في السيارة التي كانت تنتظرهما، وقد اعترف الناطق العسكري الإسرائيلي في وقت لاحق بمقتل ضابط صف لم تنقذه واقية الرصاص التي كان يرتديها في حين أصيب الجندي الثاني بجروح خطيرة.

لم يقتصر نشاط الشهيد عماد عقل ومجموعته المجاهدة على هاتين العمليتين البطوليتين، ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده الناطق العسكري لجيش الاحتلال الجنرال أوديد بن عامي وخصصه للإعلان عن كشف واعتقال الشيخ صالح العاروري وعدد من أعضاء مجموعة شهداء الأقصى، اعترف القائد العسكري لمنطقة الخليل الكولونيل يوسي بأن هذه المجموعة شاركت في خمس عمليات إطلاق نار، وإلقاء قنابل يدوية على سيارات وحافلات عسكرية كانت تقوم بأعمال الدورية في منطقة الخليل.

في ضوء هذا النشاط الملحوظ الذي طرأ على الضفة الغربية ومنطقة الخليل بالذات في أعقاب سلسلة العمليات العسكرية الناجحة لكتائب الشهيد عِز الدين القسام، نشطت فرق جهاز المخابرات الإسرائيلية (الشاباك) وعملائه في تحركاتهم السرية في محاولة لكشف سر المجموعة التي نفذت هذه العمليات التي وجهت بشكل خاص ضد جنود ودوريات الجيش، وجعلت قيادة الاحتلال تعيد النظر في تقليص حجم القوات الإسرائيلية المنتشرة هناك. ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل، وذهبت جهود ضباط الشاباك الذين نشروا عملاءهم بين صفوف الجماهير لعلها تأتي بخيط يقود إلى مجموعة شهداء الأقصى، سدى.

واستمر الشهيد القائد ـ رحمه اللَّه ـ ماضيًا في جهاده المبارك، ينظم ويدرب ويخطط في همة وحيوية وتفاعل ممتشقًا سلاحه باستمرار ومتابعًا لتحركات العدو ودورياته أولًا بأول، وفيما هو كذلك، جاء قضاء اللَّه وقدره بأن يبدأ العد التنازلي لإقامة الشهيد القائد في مدينة خليل الرحمن التي أحبه أهلها وشبابها ممن عرفوه والتقوا به أو سمعوا حديثه عن الجهاد مع بداية حملة الاعتقالات الكبيرة التي استهدفت بشكل أساسي القبض على النواة الصلبة لحركة «حماس» في المدينة بشكل عام.

فقد شملت الاعتقالات العشوائية تلك الشيخَ العاروري (٢٦ عامًا) الذي لم يعتقل في البداية لدوره القيادي في كتائب القسام وإنما لنشاطه الجماهيري الفعال في المدينة ومشاركته في فعاليات الانتفاضة عبر توليه عدة مسئوليات تنظيمية حيث أودع الاعتقال الإداري في معتقل النقب الصحراوي مما ضيَّقَ الخناق على الشهيد القائد ومجموعته التي كانت تستعين بالشيخ في موضوع الحصول على الأسلحة وتوفير الشقق والسيارات والوثائق. واشتد الخناق على مجموعة شهداء الأقصى إثر اعتقال أحد كبار نشطاء حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في المدينة حيث أدت التحقيقات والتحريات التي أجراها ضباط الشاباك والاستخبارات العسكرية في جيش الاحتلال إلى كشف واعتقال عدد من مجاهدي القسام في حين تمكن عدد آخر من الاختباء عن أعين ضباط الشاباك والالتحاق بركب المطاردين الأبطال.

❑ عِمَادُ يَرْفُضُ الِانْسِحَابَ مِنَ الْمَيْدَانِ:

لم تكن الضربة التي تعرضت لها كتائب الشهيد عِز الدين القسام في الضفة الغربية بالأمر

البسيط؛ إذ اعتقل الشيخ صالح العاروري ومسئول التنسيق مع قطاع (غزة) واثنا عشر مجاهدًا، وأصبح عدد آخر مطاردًا ومنهم المجاهدان حاتم المحتسب ومحمد دخان، وصودر جزء من السلاح الذي كانت تملكه مجموعة شهداء الأقصى، وشمل استنادًا إلى ما أعلنه الناطق العسكري الإسرائيلي عوزي مع مخازن رصاص: ٤ مسدسات، ٨ قنابل يدوية، نصف كيلو جرام بارود، قطعة سلاح جاليلي، وكلاشنكوف تم استعماله في الهجوم على الموقع العسكري القريب من المسجد الإبراهيمي.

كما أسفرت التحقيقات التي أجرتها الشاباك بالتعاون مع جيش الاحتلال عن الكشف عن علاقة القائد عماد عقل بمجموعات الخليل، ودوره ضمن البناء الهيكلي والتنظيمي للجهاز العسكري في حركة «حماس» بالضفة الغربية مما جعل إقامته صعبة للغاية؛ نظرًا لتكثيف قوات الجيش والوحدات الخاصة والمستعربة من عملياتها وتمشيطها مختلف الأماكن والمخابئ التي قد يكون موجودًا فيها، ناهيك عن صعوبة حصوله على المساعدة في التنقل وإيجاد المأوى في ظل هذه الظروف وبعد اعتماد سلطات الاحتلال سياسة قصف المنازل بالصواريخ والمدافع قبل الشروع في اقتحام المنازل التي يتوقع جيش الاحتلال أنها تقدم الملجأ للمجاهد.

في ظل هذه الظروف المعيشية الصعبة، وحفاظًا على جهد الحركة وإمكانياتها في تلك المنطقة خاصة بعد الضربة الصعبة التي تلقتها، غادر شهيدنا البطل مدينة خليل الرحمن في الثالث والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) متجهًا إلى قطاع العز والكرامة حيث استطاع اجتياز كافة الحواجز العسكرية ونقاط التفتيش التي أقامها جيش الاحتلال، والدخول عبر بوابة حاجز إيرز الذي يربط القطاع بالمناطق المحتلة عام ١٩٤٨م متخفيًا في زي وشكل مستوطن يهودي يقطن إحدى المستوطنات المقامة في القطاع. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جرأة وشجاعة منقطعة النظير ناهيك عن مقدرة فائقة على التأقلم وسرعة البديهة. وترك عماد في الخليل حاتم المحتسب الذي تولى مسئولية العمليات خلفًا لشهيدنا وإلى جانبه محمد دخان اللذين أذاقا جنود الاحتلال المر والعلقم بعملياتهما الجريئة، والتي كان أبرزها الكمين الشهير الذي نصب لسيارة الجيب في منطقة الحاووز في الثالث عشر من كانون الأول (ديسمبر) مما أدى إلى مقتل جنديين وإصابة ثالث بجروح.

لم يكن الوضع في قطاع (غزة) بأخف وطأة على الشهيد القائد وإخوانه المطاردين، فقد اشتدت الإجراءات الصهيونية وازدادت قساوة في مختلف مدن وقرى ومخيمات القطاع مع التصعيد الجهادي المتميز لكتائب الشهيد عِز الدين القسام والذي تمثل بمجموعة من العمليات النوعية والجريئة أفقدت العدو صوابه. ومنها ـ على سبيل المثال لا الحصر. عملية اختطاف وقتل الجندي ألون كرفاتي وتجريده من ملابسه وسلاحه دون أن يتمكن جيش الاحتلال من الظفر بأي من منفذي هذه العمليات.

وفي ضوء ازدياد أعداد المجاهدين المطلوبين لسلطات الاحتلال اضطر الجهاز العسكري للحركة تخصيص جزء كبير من مجهوداته إلى هؤلاء المطاردين. ولكن ازدياد الضغط الذي يشكله وجود عشرات المطاردين وصعوبة توفير الملجأ الآمن في أعقاب سياسة تدمير المنازل التي أشرنا إليها، قررت قيادة كتائب الشهيد عِز الدين القسام الطلب إلى عدد كبير من هؤلاء المطاردين الاستعداد لمغادرة القطاع وعبور الحدود باتجاه مصر حيث بدأ المجاهدون المطارَدون بالخروج على شكل مجموعات صغيرة ابتداء من القائد عماد عقل، وكان زملاؤه الثلاثة الذين تبقوا من مجموعة الشهداء قد سبقوه والخروج اعتذر بطلنا عن الخروج بإصرار، فقد كان ـ رحمه اللَّه ـ عازمًا على الجهاد حتى الشهادة. وبقي وفيًا، لقسمه، قسم المؤمنين بالجهاد حلًّا وحيدًا لتحرير كل فلسطين حتى أكرمه اللَّه بالالتحاق بركب قافلة شهداء كتائب عِز الدين القسام.

ومما قاله لمسئوليه الذين عرضوا عليه الخروج تلك العبارة الخالدة: «**سأبقى في فلسطين حتى أنال الشهادة وأدخل الجنة**».

فهنيئًا لعماد تلك الشهادة التي نالها بعد عام واحد بالتحديد من مغادرته مدينة خليل الرحمن متوجهًا إلى قطاع (غزة).

❑ قَائِدُ غَزَّةَ الْعَسْكَرِيُّ:

«**هذا جهاد نصر أو استشهاد**» هكذا ردد الشهيد المجاهد عِز الدين القسام الذي عبر عن البعد الإسلامي لقضية فلسطين بعد قدومه إلى فلسطين من سورية في بدايات العشرينيات من هذا القرن.

وبهذا الشعار عمل مجاهدنا البطل، الذي كان يفتخر بعضويته في كتائب الشهيد عِز الدين

القسام. فمضى برغم عمق الجراح وشدة الآلام بتفكك مجموعة الشهداء التي كان ضابطها في مدينة (غزة) واعتقال معظم مجاهدي شهداء الأقصى التي دربها وقادها في مدينة الخليل يسطر بدمه ودماء إخوانه الطاهرة وتضحياتهم الجسيمة أبهى وأنصع الصفحات حتى أفقد العدو صوابه. وتحولت دماء الشهداء الزكية الطاهرة في الصبرة، والزيتون، والبريج، والتفاح، والخليل، والقدس، إلى قناديل ترسم معالم الطريق لعشاق الشهادة حين ارتدت رصاصات الغدر الصهيونية إلى نحور وأكباد الصهاينة خلال عشرات الكمائن، وإطلاق النار على جنود الاحتلال ودوريات جيشه وحرس حدوده التي نفذها وقادها شهيدنا البطل في المنطقة الشمالية من قطاع (غزة) والتي تشمل مدينة (غزة) وأحيائها وبيت لاهيا ومخيمي جباليا والشاطئ. كان من أبرزها عملية الشيخ رضوان التي استهدفت جنود الحراسة في معسكر لجيش الاحتلال بعد يومين من قدومه من الخليل، وعملية مفترق الشجاعية في السابع من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢م، وعملية مقبرة جباليا في الحادي والعشرين من آذار (مارس) ١٩٩٣م، إلى جانب الكمين الجريء في حي الزيتون في الثاني عشر من أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣م والذي قتل فيه ثلاثة من جنود حرس الحدود وتم الاستيلاء على قطعتي (إم - ١٦) وعتاد ووثائق من السيارة العسكرية فيما بعد.

وإذا كانت المعلومات عن حياة الشهيد القائد عماد عقل في قطاع (غزة) بعد قدومه من مدينة خليل الرحمن محدودة، إلا أن دراسة العمليات العسكرية الجريئة والنوعية التي نفذها الشهيد خلال تلك الفترة تعطي فكرة عن هذا البطل الذي لفت أنظار الأعداء قبل الأصدقاء بنوعية عملياته وشجاعته التي قلما نجد مثيلًا لها.

فمن الملاحظ خلال النظر في قائمة العمليات والكمائن التي نفذها، أن الشهيد كان يتميز بالحذر والاستعداد الدائم، حيث كان كثير التنقل ولا يستقر في مكان واحد لأكثر من ثلاثة أيام، وفي أثناء ذلك يكون مستعدًّا للتحرك. يخطط لعملياته جيدًا ثم يتوكل على اللَّه بعد أن يرصد العدو وتحركاته على مدار الساعة، مما كان يسهل عليه اقتناص أهدافه بسهولة. كما عرف عن الشهيد الذي تولى بجداره مسئولية المنطقة الشمالية من القطاع في إطار كتائب عِز الدين القسام، سرعة الحركة والقدرة على التأقلم، فأحبه الناس، ودعوا له مما كان له الأثر البالغ في إنقاذه من كمائن كثيرة نصبتها له الوحدات الخاصة والمستعمرية لإلقاء القبض عليه.

❑ الْمُطَارَدُ ذُو الْأَرْوَاحِ السَّبْعَةِ:

كان اليهود يسألون عنه في كل مكان، وكان - رحمه الله - حديثَ الناس في مجالسهم يتحدثون عن جرأته وإقدامه، ويتداولون أخبار عملياته، ويدعون اللَّه أن يحفظه ويحميه، وقَلَّما تجد أحدًا في القطاع لم يسمع بعماد عقل الذي حظي بدعم وغطاء السكان الذين تعاطفوا معه وأحبوه. ومع ذلك كان شكله مجهولًا لليهود، وهم دائمًا كانوا يسألون عن أوصافه حيث كان يمر من بينهم وعن حواجزهم دون أن يظفروا به. فلم يكن يسمح - رحمه اللَّه - على الإطلاق بأن تلتقط له صور، وعلى عكس مطلوبين عديدين، حرص عماد على عدم الظهور علنًا، ولم يخرج عن خطه هذا طول العامين الماضيين.

عرف الشهيد القائد برشاقته وخفة حركته وسرعة بديهته وخبرته العسكرية التي أذهلت القادة العسكرية الإسرائيلية وجعلتهم يعتبرونه أخطر مطاردي الضفة الغربية وقطاع (غزة) ويطلقون عليه (المطارد ذو الأرواح السبعة)؛ وذلك لتمكنه من الإفلات من قبضة جيش الاحتلال ووحدات المستعمرين أكثر من سبع مرات على الرغم من وجود عشرات الحواجز العسكرية في الطرقات ووجود صورة الشهيد لدى الجنود والضباط الإسرائيليين.

كما درج الشهيد القائد على خداع القوات الإسرائيلية وضباط الاستخبارات الذين يلاحقونه ويتابعون تحركاته بالتنقل داخل قطاع (غزة) وبين القطاع وجبال الخليل مُتَنَكِّرًا في صور مختلفة حتى إنه كان أحيانًا يلبس لباسًا أشبه ما يكون باليهودي أو المستوطن المتدين بطاقيته المميزة بسروجها ويستخدم سيارات تحمل لوحات تسجيل إسرائيلية صفراء للمرور بين الحواجز العسكرية دونما تفتيش ولا مساءلة.

وبفشل سلطات الاحتلال وأجهزة مخابراتها في محاولاتها اعتقال الشهيد أو تصفيته، لجأت إلى أسلوب الضغط النفسي وإشاعة جو الإرهاب ضد عائلة الشهيد فاعتقلت شقيقه عادل تسع مرات بسبب العمليات التي كان ينفذها البطل عماد عقل. وفي المرة التاسعة تم إبعاده إلى جنوب لبنان ضمن نشطاء حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في السابع عشر من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢م. ولكن الشهيد القائد لم يرضخ ولم يلن، بل ازداد إصرارًا وثباتًا معلنًا بصوت عال: «لن أعود إلى السجن أبدًا... لن اختار السجن أبدًا». وهنا نتوقف عن ما ذهب إليه رئيس

الوزراء الإسرائيلي (إسحق رابين) في محاولة للتخلص ولو بشكل مؤقت من الشهيد البطل الذي تجاوز بجهاده كل القادة وزعماء الثورات الذين خُلدت أسماؤهم. فقد طلب (رابين) أثناء زيارته لقطاع (غزة) وتجوله في مخيم جباليا من شقيق الشهيد نقل اقتراح لعماد بالاتفاق على وقف ملاحقة القوات الإسرائيلية له إذا وافق على الخروج من الأراضي المحتلة مؤقتًا لمدة ثلاث سنوات على أن يتولى الصليب الأحمر الإشراف على تنفيذ هذا الإتفاق، ولكن هيهات لمن تربى على مائدة القرآن وفي مدرسة محمد أن يخضع لابتزاز المحتلين، ولهذا رفض الشهيد القائد الذي يحب الجهاد إلى درجة العشق ويتمنى الموت شهيدًا فوق ثرى الوطن الغالي، هذا الاقتراح بشكل قاطع.

وإذا كان جنود الاحتلال وضباط مخابراته قد تفاجئوا بالشجاعة التي تحلى بها الشهيد الذي كان يبادر إلى الاقتراب من دوريات الجيش وحرس الحدود ويطلق النار على الجنود داخلها من مسافة قصيرة، فإنهم قد تفاجئوا ـ أيضًا ـ بمقدرته الفائقة على التأقلم وسرعة الحركة والإفلات من الطوق العسكري الذي تضربه قوات الجيش والوحدات الخاصة حول الأماكن التي كان يختبئ بها.

ففي إحدى المحاولات العسكرية الفاشلة التي نظمها جيش الاحتلال لاعتقال القائد المطارد عماد عقل، حاصرت قوات ضخمة من جيش الاحتلال ضمت المئات من الجنود وعددًا كبيرًا من المظليين المزودين بسلالم ومعدات متطورة إلى جانب الستر الواقية والأسلحة الرشاشة الحديثة حي الرمال في مدينة (غزة) يوم الخميس الموافق ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٣م، وباشرت هذه القوات حملة تمشيط واسعة أطلقت عدة صواريخ مضادة للدبابات باتجاه منزل مواطن فلسطيني كان يعتقد أن القائد البطل داخله. وعلى الرغم من مشاركة طائرتين مروحيتين في هذه الحملة، إلا أن البطل تمكن ـ بعناية اللّه وحفظه ـ من خداع القوات الإسرائيلية والنجاة من الطوق العسكري المحكم منسحبًا من المنطقة؛ ليترك سلطات الاحتلال وجيشها تجر أذيال الخيبة والإخفاق. وقد حاولت قوات العدو التغطية على فشلها في هذه الحملة باتهام سكان الحي بالتواطؤ مع عماد وتقديم تسهيلات له للخروج من الطوق العسكري. وكان قائد وحدة «**الناحل**» التي تعمل في إطار جيش الاحتلال الصهيوني قد نقل أحد جنوده إلى الجبهة الخلفية وأمر بعرضه

على الطبيب النفسي إثر معاناته من كوابيس ليلية لازمته بعد إخفاقه في إصابة الشهيد القائد في السابع والعشرين من آذار (مارس) ١٩٩٣م حين اصطدمت وحدته العسكرية التي كانت تقوم بأعمال الدورية الروتينية فجأة بعماد ومجموعة كتائب الشهيد عِز الدين القسام في قلب مخيم الشاطئ. وتقول صحيفة معاريف العبرية التي نقلت الخبر بأن هذا الجندي «بادر إلى فتح النار على المطلوب عماد عقل بعد أن تيقن أنه كان مسلحًا إلا أنه أخطأ المطلوب، الأمر الذي أسفر عن فراره هو ورفاقه دون إصابة أحد منهم».

إنها عناية اللَّه التي لازمت الشهيد وحرسته عن أعين مخابرات الاحتلال وعملائها، وليست «لأسباب غير واضحة» كما ادعت الصحيفة العبرية في معرض تقريرها عن نقل الجندي الإسرائيلي إلى الطب النفسي في أعقاب إخفاقه في إصابة الشهيد القائد.

المعلق الإسرائيلي المعروف «عما نويل روزن» كتب تقريرًا في صحيفة معاريف حول المطارد ذي الأرواح السبعة جاء فيه: «تبني هذا الشخص وهو مطلوب رقم واحد في المناطق أساليب عمل ذكية جعلت مهمة اقتفاء آثاره من قبل قوات الأمن الإسرائيلية مهمة شاقة. ويرى فيه الفلسطينيون بطلًا وطنيًا، وأطلقوا عليه لقب (الشبح)، وذلك تعبيرًا عن قدرته الفائقة في الفرار والانتقال من مكان لآخر بسرعة كبيرة... وقد عرف عقل بصلابته وقسوته الكبيرة وقدرته التنظيمية العالية... لقد تنقل ما بين قطاع (غزة) ومنطقة الخليل، وحظي بدعم وغطاء السكان الذين تعاطفوا مع نهجه». وأضاف روزن: «أن مطاردة عماد عقل كانت من العمليات الصعبة والمعقدة والمحبطة في تاريخ عمليات المطاردة التي قامت بها أجهزة الأمن الإسرائيلية».

❑ الْبَطَلُ الْقَسَّامِيُّ الْأُسْطُورَةُ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ:

«هل يمكن لرابين أن يمنع شبابًا يريد أن يموت»:

لقد حقق المجاهد القسامي عماد عقل وإخوانه في الجهاد العسكري لحركة «حماس» في عامي ١٩٩٢م و١٩٩٣م أضخم الإنجازات العسكرية كمًّا ونوعًا بالقياس إلى الأعوام السابقة وما حققته المنظمات الفلسطينية الأخرى، فعلى المستوى الكمي نفذت كتائب عِز الدين القسام معظم العمليات وإطلاق النار على جيش الاحتلال وحرس الحدود ورجال الشرطة الصهاينة. وأما على المستوى النوعي، فقد حقق الأبطال ـ أيضًا ـ تطورًا كبيرًا وملحوظًا في مستوى تخطيط

وتنفيذ وتطبيق العمليات العسكرية دفعت بقيادة الجيش الإسرائيلي إلى إرسال المزيد من التعزيزات، واستبدال قوات الاحتياط بوحدات مقاتلة عاملة وتخفيف التعليمات المتعلقة بإطلاق النار. وبكل إصرار وثبات على الحق، مضى شهيدنا ـ رحمه اللّه ـ في عمليات التصعيد الجهادي الشامل الذي أقرته حركة المقاومة الإسلامية «حماس» مع بداية العام الخامس للانتفاضة الفلسطينية المباركة،منتفضًا على عوامل الهزيمة والذل ليزغرد الرصاص القسامي في مختلف المواقع والمدن التي وطئت أرضها قدماه.

ففي (غزة) هاشم وخليل الرحمن اكتملت خيوط الجهاد وتجمعت السواعد الفلسطينية المقاتلة؛ لتؤكد أن البندقية المقاتلة تزرع الأمل والرصاص القسامي يختصر الطريق إلى الوطن.

وإذا كان الشهيد بلسعاته القاتلة لجنود الاحتلال قد عبر عن قدرته التخطيطية وجرأته العقائدية من خلال عشرات الكمائن والهجمات التي فاقت الخمس والأربعين باعتراف الناطق العسكري الإسرائيلي، فإن قوات العدو من جيش وحرس حدود وقفت عاجزة عن دخول حلبة صراع لا تدخل في تفاصيله وظروفه الاعتبارات الكلاسيكية الخاصة من هجوم وتقدم والتفاف وقصف طيران.

وطالما نحن بصدد توثيق هذه المرحلة المهمة من تاريخ فلسطين الحديث والتي أضحى عماد عقل وإخوانه في كتائب القسام عنوانها الأبرز، فإن ذلك يقودنا إلى دراسة هذه الظاهرة العسكرية المتميزة في كفاح شعبنا واستشفاف بعض الخصائص الأساسية في عملياته الفدائية الكبيرة، آخذين بعين الاعتبار أن العمليات التي يذكرها العدو أو يعترف بها تكون ضمن أقل حجم يمكن لسلطات الاحتلال أن تصل إليه، ومثال ذلك أن عددًا من الكمائن الناجحة التي نفذها الشهيد القائد ضد دوريات الجيش وأدت إلى إصابات قاتلة. ومع ذلك فإن هذه الكمائن ـ بإعلان الناطق العسكري ـ تكون إما أنها أسفرت عن إصابة جندي ودائمًا بجروح طفيفة أو أنها لم تحدث أي إصابات أو أضرار مادية.

وإذا كان هناك من العمليات التي نفذها عماد عقل ولم يستطع العدو تجاهلها لأسباب مختلفة، ومنها أن تكون العملية قد وقعت في منطقة مأهولة بالسكان، أو أن يكون للمصابين عائلات في فلسطين المحتلة؛ لذا من الصعب إخفاء ما حل بهم، وفي هذه الحالة تلجأ سلطات

الاحتلال العسكرية إلى الاعتراف بتلك العمليات، ولكن تنسب الإصابات التي نتجت عنها إلى حوادث الطرق. ففي الكمين الناجح الذي قاده الشهيد عماد عقل ضد سيارتي جيب كبيرتين بالقرب من مقبرة الشهداء في مخيم جباليا، سقط ثلاثة قتلى من جنود العدو، ولكن الناطق العسكري الإسرائيلي اعترف بمقتل جندي واحد فقط ونسب القتيلين الآخرين إلى حادثي طرق أصاب سيارتهما العسكرية في ذلك اليوم بالقرب من إحدى المستوطنات اليهودية؟!

❑ **أَشْهَرُ الْعَمَلِيَّاتِ الَّتِي نَفَّذَهَا عِمَادُ عَقْلْ وَاعْتَرَفَتْ بِهَا سُلُطَاتُ الِاحْتِلَالِ:**

الرقم	التاريخ	الموقع	خسائر العدو البشرية (حسب مصادر العدو)
١-	١٩٩٢/٤/٥م	الشيخ عجلين/ (غزة)	تحطيم سيارة مخابرات وإصابة ركابها.
٢-	١٩٩٢/١٠/٢١م	منطقة الحاووز/ الخليل	أربعة جرحى بينهم ضابطة.
٣-	١٩٩٢/١٠/٢٥م	موقع عسكري/ الخليل	مقتل جندي وجرح آخر.
٤	١٩٩٢/١١/٢٥م	الشيخ رضوان/ (غزة)	مقتل جندي.
٥-	١٩٩٢/١٢/٧م	طريق الشجاعية بيت لاهيا	ثلاثة قتلى بينهم ضابط.
٦-	١٩٩٣/٢/١٢م	مفترق الشجاعية	جريحان.
٧	١٩٩٣/٣/١٢م	الطريق الشرقي للشجاعية	أربعة جرحى.
٨	١٩٩٣/٣/٢٠م	مقبرة الشهداء/ جباليا	ثلاثة قتلى وأربعة جرحى.
٩	١٩٩٣/٥/٢٨م	غرب الشيخ رضوان	سبع إصابات.
١٠-	١٩٩٣/٥/٣٠م	حي قرقش (المشاهرة)	غير محدد.
١١-	١٩٩٣/٩/١٢م	حي الزيتون/ (غزة)	ثلاثة قتلى.
١٢-	١٩٩٣/١٠/١٩م	بيت لاهيا	جريحان.

نستطيع أن نقول، بعد معرفة ودراسة تفاصيل تلك العمليات البطولية: إن القائد عماد عقل أثبت أنه ـ بفضل الله ـ أقوى من كل مخططات وإجراءات الصهاينة العسكرية والأمنية. كما أنه

فاق بعملياته النوعية إنجازات أصحاب النجوم والرتب العسكرية الذين حفل بهم تاريخ الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني، وهذا ما يؤكده الصحفي الإسرائيلي تسفي غيلات الذي يكتب لصحيفة (يديعوت أحرونوت) حيث قال: «إن ما يقلق إسرائيل من هذه الخلايا هو نوعية الأهداف التي يختارونها، وخبرتها وقدرتها تشير إلى قدرة عسكرية تستحق الثناء... فكل العمليات كانت بحاجة إلى رصد، وإعداد، ومنطقة داعمة تمكن السمك من الغوص في مياهه، وللحرب في الإسلام شروط هي: إخراج الأطفال والنساء والشيوخ، ومواجهة الجنود. هكذا تفعل حركة «حماس» الآن، مما يمنحها الاحترام والتقدير في الشارع الفلسطيني».

ولأهمية الإحاطة ببعض الخصائص الأساسية لعمليات الشهيد القائد ـ رحمه الله ـ كونها تعطي الأجيال القادمة توهجًا وحمية في مقارعة اليهود واستنزاف قواهم البشرية بفعل الخسائر الكبيرة التي يتكبدها جيش الاحتلال، يمكن تحديد أهم هذه الخصائص وما أكدته بالنقاط التالية:

الإيمان وحب الشهادة وروح التضحية العالية: وقيمة هذه الميزة أنها المنبع والمحرك لكل الخصائص الأخرى، كونها ترتبط بقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[١]. أنها روح الإيمان الجياشة التي تدفع بالمجاهد إلى الحرص على طلب الشهادة طريقًا للوصول إلى وعد اللَّه بتحرير البلاد، حيث نفذ المجاهد عملياته تحت ظروف قاسية، وكان يدرك مسبقًا إمكانيات وقدرات العدو. ومع ذلك فقد كانت استعدادات اقتحام الصعوبات ومواجهة العدو كبيرة مما يدل على الحالة المعنوية المرتفعة التي كان يتمتع بها المجاهد البطل.

السرية وعدم النزوع للعمل الإعلاني والدعائي: ولا يخفى أن قيمة هذه الخاصية تشير إلى: أين يجب أن يكون التركيز والعمل، وهذه الخاصية لعمليات عماد من تجنبه أخذ الصور مكشوف الوجه خلال فترة مطاردته، وعدم الظهور في استعراضات عامة، والعمل بصمت ودون ضجيج أعطته القوة والاستمرارية.

وبالمقارنة بين إنجازات الشهيد القائد وما فعله بعض المطاردين من المنظمات الأخرى الذين كانوا يتجولون دون لثام بلباسهم العسكري وأسلحتهم الظاهرة، ندرك أهمية هذه السرية.

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

الثقة العالية بالنفس والاحتراف القتالي الرفيع المستوى في إتقان الهجوم والانسحاب المنظم دون خسائر وإجادة التمويه:

رغم أن الشهيد لم يتدرب في كلية عسكرية أو يتعلم من خلال دورة في هذه الدولة أو تلك، الأمر الذي أزعج أوساط جيش الاحتلال الإسرائيلي، فقد اعترف ضباط كبار بدقة إتقان تخطيط هذه العمليات إلى جانب قناعتهم بأن عمليات الشهيد القائد كانت تتحسن من حيث التخطيط والتنفيذ من عملية إلى أخرى.

الكثافة الكمية والنوعية:

فلا يمر أسبوع دون اشتراك الشهيد القائد في عملية عسكرية في الحد الأدنى، وكل هذه العمليات اتسمت بنوعية محددة وهي تكتيك الكمين والهجوم والمواجهة الذي يعتمد على الأسلحة الرشاشة. ولعله من المفيد هنا الإشارة إلى أهمية النمط من العمليات، كونه يترك للمجاهد الحرية الكبيرة في التحرك وفي مفاجأة العدو بتوجيه الضربة أولًا. وهذا النمط من العمليات، يحتاج إلى عامل الرصد وبث العيون والمراقبة الدقيقة للموقع، لذلك قد تستغرق عملية الرصد فترة طويلة إلى أن تأتي اللحظة الحاسمة في تنفيذ العملية. مما دفع المسئولين العسكريين الصهاينة إلى إطلاق صيحات الخطر والخوف؛ حيث نقلت صحيفة معاريف في أعقاب عملية ليلة القدر بأن «الوسائل التي يعتمدها الجيش لم تعد تكفي، فنحن نواجه عصابات فعلية على غرار ما واجه الجيش الإسرائيلي في بيروت».

الهجوم على دوريات الجيش المتنقلة وجنود الحراسة:

معظم عمليات عماد عقل - إن لم يكن كلها - كانت موجهة لأهداف عسكرية بحتة، وهذا بحد ذاته يعد قمة التحدي الحماسيِّ لدولة بأسرها. فالمقصود من هذه العمليات قتل جنود عسكريين؛ أي تحدٍّ عسكري بحت (جندي أمام جندي) مع أن كتائب القسام تستطيع - وهي القادرة وبطريقة أسهل - أن تبيد حافلة مستوطنين، ولكنها ترتفع لمستوى التحدي، ورابين الذي يشغل وزارة الدفاع إضافة إلى رئاسته لمجلس الوزراء يفهم معنى ذلك جيدًا.

ومن أهم مميزات توجيه الهجمات نحو الآلة العسكرية الإسرائيلية أنها تترك العدو في حالة استنفار وطوارئ مستمرة، وتصرف جزءًا كبيرًا من جهده في مراقبة الحدود والمستوطنات. وأكبر

دليل على ذلك، دعوات القيادة الإسرائيلية لمستوطنيها بالتطوع في الحرس المدني والتدرب على السلاح لمواجهة كتائب الشهيد عِز الدين القسام.

ويترافق هذا الاستنزاف لآلة الحرب الصهيونية من جراء هذه العمليات، ما يعنيه الهجوم على جيش الاحتلال ودورياته بالنسبة لكبرياء الجيش الإسرائيلي وعلى مستوى الصراع الإعلامي الدولي.

وفي هذا الإطار، نشير إلى ما كتبه رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية السابق (الجنرال شلومو غازيت) في يديعوت أحرونوت يوم ١٢/٨/١٩٩٣م والذي جاء فيه: «نواجه في الآونة الأخيرة عمليات تتلخص سياستها في التركيز أكثر فأكثر على الجنود ورجال الأمن، وهذه تغيرات في التوجهات تترتب عليها نتيجتان: الأولى ـ أنها تسلب منا المبررات الأخلاقية بخصوص الطابع غير الإنساني للعنف الفلسطيني الذي يوجه للمدنيين الأبرياء والأطفال والنساء والشيوخ. وعلى مستوى الصراع الإعلامي الدولي لا يرفض أحد انتفاضة شعب يرزخ تحت الاحتلال العسكري منذ ٤٥ عامًا، عندما يخوض هذا الشعب صراعًا ضد جنود الاحتلال. أما النتيجة الثانية فهي نجاح العمليات التي تقوم بها خلايا رجال المنظمات بتوجيه ضربة قاسية لكبرياء الجيش الإسرائيلي ولصورته التي لا تهزم ولقوة ردعه. وإذا استمرت هذه التوجهات فلا ريب في أنها قد تؤدي إلى زيادة جرأة خلايا العنف وتماديها، وقد تشجع شبان فلسطينيون آخرون على الانضمام لصفوف هذه الخلايا».

الشجاعة والثبات وتنفيذ أصعب العمليات العسكرية:

فقد خاض المجاهد القسامي ـ رغم إمكانياته المحدودة قياسًا إلى إمكانيات العدو وما لدى المنظمات الأخرى ـ العديد من العمليات الصعبة، وهذا يدل على قمة الإصرار والتحدي على مواجهة العدو رغم ظروف الإرهاب والبطش، وما استيلاء المجاهد عماد عقل على أسلحة الجنود ووثائقهم وما بحوزتهم من ذخيرة إلا شاهد على هذه الشجاعة التي تحلى بها إلى جانب تأكيد المبدأ القائل بأن خير مصدر للأسلحة بالنسبة لحركة «حماس» هو الغنائم من العدو نفسه.

الدقة في التخطيط وفي التنفيذ وإصابة الهدف: حققت غالبية العمليات التي نفذها الشهيد القائد ـ رحمه الله ـ نتائجها العسكرية المرجوة، وكان اختيار الهدف من النواحي السياسية

والعسكرية عاملًا كبيرًا في نجاحها، واستطاع المجاهد عماد عقل اختراق كافة الإجراءات والحواجز الأمنية التي اتخذتها قوات الاحتلال للحيلولة دون تنفيذ كتائب القسام لعملياتها العسكرية.

ومما يدل على دقة العمليات التي نفذها الشهيد عماد عقل من حيث التخطيط والتنفيذ وإصابة الأهداف الخسائر البشرية العالية التي أصابت قوات العدو دون وقوع إصابات في صفوف المجاهدين في المقابل.

تطوير التكتيك وأساليب الهجوم:

وهنا ظهر الإبداع القسامي في تحديد الدور غير المتوقع، والذي أظهر بحق التفوق الإسلامي على أجهزة الأمن الإسرائيلي في حرب الأدمغة. فقد جاءت الهجمات التي شارك عماد عقل في تنفيذها على الشكل التالي:

أ ـ الهجوم من مكان ثابت ضد هدف متحرك، ومثال ذلك عمليات مصعب بن عمير وليلة القدر.

ب ـ الهجوم من مكان متحرك ضد هدف متحرك، ومثال ذلك عملية مفترق الشجاعية.

ج ـ الهجوم من مكان ثابت ضد هدف ثابت، ومثال ذلك عملية الحرم الإبراهيمي.

د ـ الإعلان الفوري عن العمليات عند القيام بها عبر مكبرات الصوت في المساجد أو المنشورات العسكرية التي تلقي في مكان العملية كما حدث في عملية مفترق الشجاعية على سبيل المثال.

● **أما بالنسبة للحقائق والمعالم التي أفرزتها العمليات الفدائية الجريئة لعماد عقل وإخوانه:**

فإن عودة الوعي إلى المقاومة الفلسطينية بالتأكيد من جديد على أن حل القضية الفلسطينية لن يكون إلا عبر البندقية والحرب الشعبية المنبثقة من داخل الأرض المحتلة بضرب جيش الاحتلال وإرباك جنوده يعتبر أبرز وأهم هدف وأهم هذه الحقائق، إلى جانب تعزيز إيمان شعبنا بمقاومة كل الصعاب التي تحيط به بتحطيم حاجز الخوف من الجيش الصهيوني مما ساهم في زيادة الثقة والوعي لدى الجماهير وتأججت فيها مشاعر الثورة والجهاد والفخر، فزادت عمليات الطعن، وارتفعت وتيرة الصدامات الجماهيرية بين المواطنين الفلسطينيين وقوات الاحتلال في الضفة

والقطاع. ولذلك يصور مثقف فلسطيني من مدينة القدس العمليات التي نفذها المطاردون بالأمل الذي تنام عليه الأسر المكلومة، فيقول لمراسل إحدى وكالات الأنباء: «ترى ماذا يتبقى لأم فقدت ابنًا، أو زوجة فقدت زوجًا، وماذا يتبقى لأسر المعتقلين والشهداء والمبعدين سوى التلذذ بلحظات الانتصار في المعارك الصغيرة التي يخوضها المطاردون ضد جيش يفوقهم عددًا وعدة؟».

وتبقى التواريخ التي سجلت الوقائع الحية المشرقة للأجيال الفلسطينية المتعاقبة شاهدًا على عمليات التضحية والفداء التي واكبت حياة الشهيد القائد عماد عقل الذي ظل يسير تحت لواء عِز الدين القسام ويتنقل من مكان إلى آخر محطمًا كل القيود وكل الحواجز، فمن عملية قائد الشرطة في الشيخ عجلين إلى عملية مصعب بن عمير في حي الزيتون مرورًا بعمليات الرينو العسكرية، والحرم الإبراهيمي، الشجاعية، وليلة القدر.

لم يتوقف قطار العمل الجهادي لعماد عقل الذي أذاق العدو الصهيوني وأذنابه الويلات قبل أن يترجل فارسنا شهيدًا لاحقًا بإخوانه الذين سبقوه ملتحمًا بقافلة شهداء القسام في جنات الخلد والنعيم.

❑ وَتَرَجَّلَ أُسْطُورَةُ غَزَّةَ:

مضى على مطاردة القوات الإسرائيلية للقائد عماد عقل أكثر من سنتين، ظل خلالهما شهيدنا ـ رحمه اللّٰه ـ يجوب الضفة الغربية وقطاع (غزة) بحثًا عن (الذئاب) الإسرائيلية من جيش وشرطة وحرس حدود.

ومع نجاح البطل ومجموعاته في اصطياد عدد كبير من هؤلاء دخلت عمليات صيد (الحرباء) أو (الشبح) أو (العقرب) ـ وهي التسميات التي أطلقتها سلطات الاحتلال العسكرية على شهيدنا الغالي ـ طورًا جديدًا حيث تم توسيع دائرة عمل الوحدات الخاصة المستعربة التي قتلت منذ تشكيلها أكثر من مئة مطارد من مختلف الفصائل والتنظيمات الفلسطينية بتشكيل قوة خاصة لمطاردة عماد بالذات ووضع ضابط الشاباك المدعو (أبو ياسمين) لمتابعة المارد رقم واحد بحيث لم يدع له مجالًا حتى للاقتراب من منزل والديه في مخيم جباليا. ولكن هذه الإجراءات، لم تنل من القائد عماد عقل الذي تهيج مشاعره سخطًا على هذا العدو اليهودي، وتشتد لهفته لمقاتلة أعداء اللّٰه دون أن يعرف المهادنة أو الرضوخ. فتمضي أيام (أسطورة غزة) الخالدة بين قراءة القرآن وقيام

الليل والدعاء المتواصل لله ثم التفكير في أحوال المسلمين وما يعانونه من ظلم، متزينًا بصور ومآثر أبطال الإسلام وبنادق الحق التي تزغرد برصاص القساميين البواسل.

ومثلما جسَّد الشهيد القائد ببطولاته وعملياته الهجومية الجريئة رغم حملات المطاردة المكثفة أسطورةَ الأجيال القادمة على المقاومة والدفاع عن الحقوق المشروعة والاستهانة ببطش العدو، غدا عماد عقل ـ أيضًا ـ أسطورة الأجيال القادمة على تحدي الأخطار المحدقة بشجاعة وبطولة واستعدادًا للشهادة مقبلًا غير مدبر حتى اعترف جيش الاحتلال الذي هاجمه بأنه كان المهاجم لا المتصدي.

ولم يكن ذلك بالأمر الغريب على أسطورة (غزة)، فقد صدق اللَّه وطلب الشهادة بصدق فصدقه اللَّه ونالها في نهاية الأمر. ولعل تيقن شهيدنا البطل بالانتصار والفوز بالشهادة والتي بدأت في نفس اليوم الذي حمل فيه السلاح ضد جيش الاحتلال تحت راية كتائب الشهيد عِز الدين القسام، كان مصدر قوته وبطولته فانتصر وفاز خلال عملياته الشجاعة ضد جيش العدو وقوات أمنه.

وفي هذا السياق نترك الشهيد القائد يحدثنا عن حبه للشهادة من خلال اللقاء الوحيد الذي أجراه مع وسائل الإعلام، والذي كان مع مندوب وكالة رويتر (تشرين الثاني ١٩٩٣م) حيث قال: «قل لي: هل يمكن لرابين أن يمنع شابًا يريد أن يموت.. أيًّا كان عدد أعضاء «حماس» الذين تقتلهم أو تأسرهم إسرائيل فإن أشخاصًا آخرين سوف يأخذون مكانهم».

في الرابع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٨٩م، كان قائد المجاهدين العرب على أرض أفغانستان الشيخ الدكتور عبداللَّه عزام ـ رحمه اللَّه رحمة واسعة ـ على موعد مع الشهادة والفوز الكبير بالارتقاء إلى جانب الخلد شهيدًا كما كان يتمنى. وبعد أربع سنوات بالتحديد وفي نفس التاريخ حقق اللَّه لحفيد القسام الذي دوخ جنود الاحتلال ببطولاته ومطارداته منذ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠م ما أراد وما كان يصبوا إليه. فقد رحل أسطورة (غزة) وهو قابض على قبضة مسدسة ويده على الزناد كما أحب أن يرحل دائمًا. ولكنه ترك من خلفه أسودًا من جند القسام تعلموا من عماد عقل أن يبقوا على درب الجهاد والمقاومة ما دام في الأجساد عروق تنبض. ولهذا، لم تنته المقاومة برحيل البطل الذي استحق بجدارة لقب (أسطورة

غزة)، بل ازدادت الأرض اشتعالًا من تحت أقدام الغزاة اليهود؛ لأن المعركة معهم أزلية منذ خيبر وحتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها.

❑ عُرْسُ الْبَطَلِ عِمَاد عَقْل:

تختلف قصة استشهاد (أسطورة غزة) وحقيقتها عما أذاعته وسائل إعلام العدو التي نقلت عن المتحدث العسكري بلسان جيش العدوان الصهيوني بأن سيارة من نوع فولكسفاجن تحمل لوحة تسجيل خاصة بقطاع (غزة) تقل وحدة خاصة تابعة لمجموعات المستعمرين الإسرائيلية السرية المسماة (شمشون) طاردت سيارة كانت تقل مجموعة من المطاردين في المنطقة الشرقية لحي الشجاعية، وانتهت عملية المطاردة في شارع العرايس حيث توقفت سيارة المطاردين وترجل منها عماد عقل.

وزعمت الرواية الإسرائيلية الرسمية، بأن الشهيد القائد ـ رحمه اللَّه ـ ترجل من السيارة وأمر سائقها ومطاردًا آخر كان معه بمغادرة المنطقة. وفي هذا الوقت ـ تتابع الرواية ـ وصلت تعزيزات من الجيش وبدأت بمحاصرة مداخل الجزء الشرقي من الحي حيث تمكنت من اعتقال سائق السيارة والمطارد الآخر والذي تبين أنه القائد القسامي عبدالفتاح السطري (مهندس العمليات العسكرية). وفيما اعتلى الجنود أسطح البنايات، دخل عماد عقل الذي بادر بإطلاق النار على السيارة الإسرائيلية من إحدى البنايات المجاورة ليتسلق سطح جدار منزل تابع للمواطن فتحي فرحات، وبدأ يتنقل من مكان إلى آخر. وإلى هنا، نتوقف عن إكمال سرد الرواية الإسرائيلية التي حاولت الإيحاء بأن العملية تمت بتعاون وتنسيق ناجح بين جهاز المخابرات الإسرائيلية والوحدات الخاصة المستعربة في جيش الاحتلال مع أن الحقيقة غير ذلك. ففيما يتعلق بالقائد عبدالفتاح السطري، قال بيان موقع باسم (كتائب عِز الدين القسام) أنه تمكن من العودة إلى قاعدته سالمًا، ووصف البيان الأنباء الإسرائيلية عن اعتقاله بأنها «محض كذب وافتراء». كما عادت سلطات الاحتلال ـ أيضًا ـ لتنفي اعتقالها مهندس العمليات العسكرية في كتائب الشهيد عِز الدين القسام في تعديل على روايتها السابقة حول ظروف استشهاد البطل عماد عقل. ومهما زعم العدو وروجت إليه وسائل إعلامه، فإن عماد عقل الذي كان رمزًا للأجيال القادمة في المقاومة والعيش بكرامة، كان رمزًا لهذه الأجيال في الموت ـ أيضًا ـ بكرامة مقبلًا غير مدبر.

ولعل رواية شهود العيان الذين نقلوا تفاصيل قصة استشهاد (أسطورة غزة) الحقيقية، تؤكد أننا أمام بطل وقائد من نوع قلما نجد مثيلًا له في هذه الأيام.

لبى شهيدنا البطل الذي كان صائمًا في ذلك اليوم، طلب بعض الشباب بأن يتناول طعام الإفطار معهم في بيت لآل فرحات بجانب سوق الجمعة ومسجد الإصلاح بحي الشجاعية. وبعد تناوله الإفطار بمدة نصف ساعة، أي في الساعة الخامسة والربع من مساء الأربعاء الموافق ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٣م، شعر البطل بأن المكان محاصر من قبل قوات كبيرة من الجيش وحرس الحدود لم يشهد لها سكان الشجاعية مثيلًا من قبل، حيث قدرت بأكثر من (٦٠) سيارة عسكرية من مختلف الأنواع والأحجام، إضافة لسيارة إسعاف عسكرية وسيارة لخبراء المتفجرات ومطاردة طائرة مروحية حلقت فوق المكان إلى جانب عدد من سيارات الوحدات الخاصة. وشمل الحصار العسكري الذي شارك فيه المئات من الجنود الصهاينة وعدد من ضباط الاستخبارات بقيادة قائد الجنوبية كافة أنحاء المنطقة الشرقية من حي الشجاعية ومنطقة سوق الجمعة، واعتلى العشرات من هؤلاء الجنود أسطح المنازل المحيطة بالمنزل الذي تحصن فيه الشهيد القائد.

وفيما بدت المنطقة أشبه بثكنة عسكرية حيث تواصل قدوم التعزيزات العسكرية، أخذ أسطورة (غزة) بالانتقال من مكان إلى آخر مطلقًا النار خلالها باتجاه جنود الاحتلال من مسدس عيار ١٤ ملم كان بحوزته. وبعد أن تمكن بطلنا من تغطية انسحاب إخوانه الذين كانوا يرافقونه، يروي أصحاب المنزل بأن الشهيد القائد قال: «**حضر الآن موعد استشهادي**»، ثم صعد بعدها إلى سطح المنزل وقام بأداء ركعتين لله ـ تَعَالَى ـ. وفي هذه الأثناء، كانت قوات الاحتلال التي فرضت منع التجول على تلك المنطقة تقوم بعملية تمشيط واسعة بحثًا عن المجاهدين الذي نجحوا في الانسحاب والعودة إلى قاعدتهم، شملت البيارات المجاورة والعديد من المنازل، كما قصف جنود العدو منزل آل فريحات بالصواريخ المضادة بالدبابات وأطلقوا النار بغزارة من أسلحتهم الرشاشة باتجاه المطارد الذي لم تحدد سلطات الاحتلال شخصيته حتى تلك اللحظة. فأصيب بطلنا وهو يصلي برصاصة في ساقه، إلا أن تلك الإصابة لم تمنعه من القفز من أعلى المنزل باتجاه الأرض صارخًا الله أكبر وتبادل إطلاق النار مع جنود الاحتلال الذين يحاصرون المنزل حتى فاز

بالشهادة. فقد أصابت إحدى القذائف المضادة للدروع الشهيد ومزقت جسده أشلاءً حيث كانت الإصابة مباشرة في منطقة الرأس التي تناثرت إلى عدة قطع، لدرجة أن أجزاء من رأسه قد أزيلت، وملامح وجهه الطاهر لم تعد تظهر على الإطلاق طبقًا لما رواه الشاب نضال فرحات (٢٤ عامًا) الذي قام بنقل جسد الشهيد خارج المنزل. وإذا كان الموت قد نال من عماد عقل وفاز بالجنة التي عمل وسعى لها، فإن الشهيد القائد قد أحاط بجنود العدو قبل أن يتمكنوا منه وأوقع فيهم عدة إصابات قبل أن يتمكن المجرمون منه.

وعلى الرغم من أن سلطات الاحتلال تزعم أن الرصاص القسامي الذي أطلقه الساعد المبارك لم يصب سوى خوذة أحد الجنود الصهاينة(!)، إلا أن هذه المزاعم تدل على دقة تصويب الشهيد القائد ناهيك عن أن استدعاء القوات الإسرائيلية التي حاصرت المنزل لسيارة إسعاف ثانية ثم ثالثة بعد ساعة من وقوع الاشتباك يؤكد وقوع إصابات بشرية في صفوف جنود الاحتلال.

❑ جُنُودُ الِاحْتِلَالِ يَخَافُونَهُ مَيْتًا:

مثلما كان الشهيد ـ رحمه الله ـ عظيمًا بقدرته على زعزعة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية من جيش وشرطة وحرس حدود وأجهزة مخابرات ببطشها وجبروتها، كانت جثته الطاهرة عظيمة ـ أيضًا ـ بما أوقعت من خوف ورعب في نفوس المئات من جنود الاحتلال وعلى رأسهم الجنرال اميتان فيلنائي قائد المنطقة الجنوبية الذين وقفوا عاجزين عن كتمان ما اعتراهم حتى بعد أن تيقنوا أن المطارد الذي يحاصرونه قد قتل. فما إن أبلغ الجنود الذين اعتلوا سطح بناية مجاورة لمنزل آل فرحات بأن إحدى القذائف أصابت المطلوب بشكل مباشر حتى بدا الارتباك على وجوه المجرمين الذين أخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض ماذا يفعلون ومن الذي سيدخل أولًا. ولكن جبن حفدة القردة والخنازير منع أيًّا منهم من دخول المنزل، وعندئذ لجئوا إلى منزل المواطن زهير أسليم القريب من مكان الحادث واقتادوه تحت الضرب وتهديد السلاح إلى منزل آل فرحات بعد أن أخبرهم عن اسم أصحاب هذا المنزل. وبعد ذلك قالوا له: نريدك أن تحضر لنا أصحاب المنزل من الداخل وتبلغهم أن يخرجوا، فرفض المواطن الفلسطيني في البداية خشية أن يتعرض لإطلاق النار. ولكنه اضطر للدخول ونادى على أصحاب المنزل من الداخل بعد أن اعتدى المجرمون عليه بالضرب وألبسوه الخوذة العسكرية وهددوه بإطلاق النار عليه إن استنكف عن الدخول.

خرج الشاب نضال فرحات أولًا، فبدأ ضباط الشاباك باستجوابه والتحقيق معه حول ما إذا كان يوجد مسلحون أم لا، وسألوه عن الشخص الذي قتل في الداخل ولماذا جاء إلى المنزل، ثم طلبوا منه أن يُخرج جميع أهل البيت حيث تم اقتيادهم إلى مكان قريب من المنزل. وعندئذ، قال ضباط العدو للشاب نضال بأنهم لن يدخلوا المنزل حتى يدخل هو ويحضر لهم الجثة الموجودة في الداخل. وبالفعل، حمل نضال الجثة ووضعها خارج المنزل أمام جنود العدو الذين لم يخفوا حقدهم الأعلى على الشهيد القائد الذي دوخهم حيًّا وميتًا، فأخذوا يطلقون النار بغزارة على الجثة الطاهرة التي أصيبت مجددًا بحوالي (٧٠) رصاصة في حين قام بعض المجرمين بطعنها عدة طعنات بالسكاكين، وبعد إجبار نضال وشقيقيه وسام ومؤمن على خلع النصف العلوي من ملابسهم وتقييدهم بالحبال، اقتحمت قوات الجيش الصهيوني المنزل وقامت بتفتيشه بصورة دقيقة والعبث وحفر عدة أجزاء من أرضيته مما أحدث بالمنزل أضرارًا بالغة. ولم تنته عمليات التمشيط والتحقيق مع أصحاب المنزل إلا في الساعة العاشرة ليلًا حيث غادر عندها جنود الاحتلال المنطقة وهم يطلقون العيارات النارية من أسلحتهم الأوتوماتيكية في الهواء تعبيرًا عن فرحتهم بهذا الحدث العظيم، كما قام عدد منهم بالرقص فرحًا وطربًا لمقتل البطل القائد، وأخذوا ينشدون (عماد... عماد!!).

❑ الشَّجَاعِيَّةُ تَجْمَعُ أَشْلاءَ الشَّهِيدِ:

وسط مشاعر الغضب التي سادت الشارع الفلسطيني، أظهرت جماهير شعبنا في حي الشجاعية مقدار الاحترام الذي تكنه لكتائب الشهيد عِز الدين القسام وقائدها البطل عماد عقل، وجسدت الشجاعية موقفها بالفعل الجهادي اليومي، وفي التصعيد الذي شهدته فعاليات الانتفاضة المباركة في أعقاب الإعلان عن استشهاد القائد القسامي إلى جانب إطلاق اسم الشهيد على مجموعة المدارس في الحي.

ولعل التحدي الذي أظهره أهل الشجاعية للوجود العسكري الإسرائيلي المكثف بتجميعهم الأجزاء التي تركها المجرمون على حائط وأرض المنزل من رأس الشهيد ودماغه وفمه ووضعها داخل علم فلسطيني كتب في وسطه عبارة (لا إله إلا الله)، ودفن هذه الأشلاء في إحدى مقابر الحي كان تعبيرًا صادقًا عما تكنه الشجاعية لشهيدنا؛ حيث شارك نحو خمسة آلاف شخص

يرفعون المصاحف إلى جانب نحو (٨٠٠) امرأة فلسطينية توافدن إلى المكان في تشييع هذه الأشلاء ودفنها في موكب مهيب يليق بحفيد القسام.

وهذا لم يكن غريبًا على الشجاعية، فقد «عاش عماد بيننا معظم أيامه التي طورد فيها، وهنا نفذ الكثير من عملياته، والسكان هنا تعاطفوا معه دائمًا، ووفروا له الملجأ» كما جاء على لسان الشاب الذي قام بلف الأشلاء داخل العلم.

❏ وَفَرِحَ الْجُبَنَاءُ:

قال إسحاق رابين: «إن مقتل عماد عقل يمثل إنجازًا مؤثرًا وهامًّا في الحرب ضد الإرهاب»، وقال يهودا باراك: «كان أخطر إرهابي يعمل في قطاع غزة»، وقال أحد قادة الشاباك: «إن مطاردة عماد عقل كانت من العمليات الصعبة والمعقدة والمحبطة في تاريخ عمليات المطاردة التي قام بها جهاز الأمن الإسرائيلي ـ الشاباك ـ منذ تأسيسه»، وقالوا عنه: «كان من أخطر الإرهابيين والمطلوبين الذين عملوا في قطاع (غزة) ـ رجل ميداني بارع لم يخش شيئًا ـ كان من الخطورة بمكان الاصطدام به ليلًا».

وكتب أحد الضباط اليهود، وهو داني بن تال، لصحيفة الأندبندنت البريطانية تحت عنوان **«ذكريات جندي إسرائيلي في جحيم الانتفاضة»**:

« حين جاء الخبر من الإذاعة ليلة الرابع والعشرين من تشرين الثاني عن مقتل عماد عقل، رئيس الجناح العسكري لـ«حماس»، عِز الدين القسام، وأحد سكان جباليا، فإن كثيرًا من زملائي الجنود أطلقوا صرخات الارتياح، فقد قام عقل، بأعصاب باردة بقتل كثير من الناس، بمن فيهم ما لا يقل عن عشرة جنود، ومع أنه كان بالنسبة لنا «شيطانًا» فقد مات، في نظر الفلسطينيين، بطلًا، مناضلًا من أجل الحرية وشهيدًا.

فعندما تمت تطويقه داخل بيت، خرج وهو يرش سيلًا من الرصاص بدلًا من أن يواجه الاعتقال».

لقد ساد ارتياح كبير في الأوساط السياسية والأمنية والعسكرية عقب عملية استشهاد البطل عماد عقل في حي الشجاعية، وأعرب مسئولون إسرائيليون عن سعادتهم لمصرع المطارد الذي يصنف لدى دوائر الاستخبارات الإسرائيلية والجيش كأخطر مطلوب فلسطيني.

ففي سياق نشرة الأخبار باللغة العبرية التي بثها التليفزيون الإسرائيلي في الساعة الثامنة من مساء يوم الأربعاء ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر)، أوضح مصدر مسئول في جهاز المخابرات الإسرائيلية (الشاباك) بأنه ينسب لعماد عقل الذي يعتبر الهدف الأول للشاباك عشرات العمليات ضد جنود الجيش وقوات الأمن. ولذلك اعتبر رئيس الوزراء الإسرائيلي نجاح جيش الاحتلال بتصفية «الإرهابي الأخطر والأكثر نشاطًا في قطاع غزة» يشكل «إنجازًا ضد الإرهاب خصوصًا ضد «حماس» وعناصرها المتطرفة المستمرة في أعمال الإرهاب وقتل السلام». وتابع إسحاق رابين تصريحه لمراسل التلفزيون الإسرائيلي: «إن المخرب عماد عقل كان قاتلًا حقيرًا (....) قتل جنودًا ومواطنين إسرائيليين»، وعلق على مقتله بأن «ذلك سيكون مصير كل المتطرفين الذي يحاولون قتل الإسرائيليين». وأعرب الجنرال يهودا باراك رئيس أركان الجيش الإسرائيلي عن ارتياحه لمقتل عماد عقل وعن تقديره لقائد المنطقة الجنوبية الجنرال اميتان فيلنائي وقائد قوات الجيش الإسرائيلي في قطاع (غزة) البريغادير دورون الموج ورئيس جهاز الشاباك. وأشاد بالقوات الإسرائيلية ووحدات المستعربين التي قال بأنها أظهرت «يقظة في هذه العملية» موضحًا بأن ذلك يعتبر «نجاحًا كبيرًا في حربنا ضد الإرهاب». ولكن رئيس الأركان الإسرائيلي حذر جنوده ودعاهم إلى التزام أقصى درجات اليقظة والحيطة في الأيام المقبلة؛ لأن ««حماس» ما يزال لديها نواة قوية، وغالبًا ما أدت الحملات الصارمة ضد الجناح العسكري للحركة الذي يعرف باسم مجموعات عِز الدين القسام إلى عمليات انتقامية دموية». كما أعرب زفي هندل رئيس مجلس المستوطنات اليهودية في قطاع (غزة) هو الآخر عن ارتياحه لمقتل عماد قائلًا: «إن تصفية كل من يقتل اليهود أو الجنود مهم لاجتثاث الإرهاب» لكنه أعرب في الوقت نفسه عن امتعاضه لسماع النداءات الموجهة لذبح اليهود من مآذن المساجد. واللافت في تصريحات المسؤولين الإسرائيليين، السياسيين منهم والعسكريين تعقيبًا على اغتيال الشهيد عماد عقل أنها كانت لصالح القائد القسامي وإخوانه أكثر منها إشادة بإنجازات القوات الإسرائيلية التي قتلت أسطورة (غزة). فهذا أحد ضباط القيادة في رئاسة الأركان الإسرائيلية يصف الشهيد القائد بأنه « كان من أخطر الإرهابيين والمطلوبين الذين عملوا في قطاع (غزة).. رجل ميداني بارع لم يخش شيئًا.. كان من الخطورة بمكان، الاصطدام به ليلًا». وعلقت مصادر عسكرية رفيعة المستوى في قيادة المنطقة الجنوبية من جهتها قائلة: «إن هذا يعد أحد أكبر وأهم الإنجازات في الحرب الدائرة ضد المطلوبين.

فقد كان مطلوبًا؛ لقتله (١١) جنديًّا وأحد المستوطنين الإسرائيليين وأربعة فلسطينيين من المتعاونين مع السلطان، وهو أكثر السجلات دموية لأي مخرج فلسطيني». كما اعترف مسئول رفيع المستوى في جيش الاحتلال الصهيوني، رفض كشف اسمه لصحيفة يديعوت أحرونوت معلقًا على اغتيال أسطورة (غزة): «كان علينا القبض عليه قبل انسحابنا من (غزة) وإلا لكنا أصبنا بالإحباط؛ لعدم تمكننا من إنزال العقاب به وهو الذي قتل ١١ إسرائيليًّا». وكان الجنرال أميتان فلينائي قائد المنطقة الجنوبية في الجيش الإسرائيلي الذي يخضع قطاع (غزة) لسلطته العسكرية قد صرَّح هو الآخر قائلًا: «لقد كان لدينا حساب قديم معه قمنا بتصفيته».

وهذه مقارنة ـ مع أنها غير متوازنة ـ بين الشهيد القائد وجيش الاحتلال بما يمتلك من أجهزة وتقنية وأفراد مدربين على كافة أنواع الأسلحة الحديثة.

أما الصحف الإسرائيلية، فقد تناولت حادثة استشهاد البطل القائد عماد عقل بتوسع، واحتلت العناوين الرئيسة في تلك الصحف، بل كانت الحديث والحديث الرئيسي في الأوساط الإعلامية الإسرائيلية التي اعتبرت هي الأخرى عملية قتل القائد القسامي أكبر إنجاز تحققه قوات الاحتلال منذ بداية الانتفاضة.

فقالت صحفية دافار القريبة من حزب العمل بأن «قوات حرس الحدود والمستعربين تمكنت من تصفية المطلوب الأول في الضفة والقطاع: قائد خلايا عِز الدين القسام عماد عقل». وأبرزت صحيفة يديعوت أحرونوت على صدر صفحتها الأولى العنوان التالي: (القضاء على قائد «**حماس**» الذي قتل أحد عشر جنديًّا من جنود جيش الدفاع الإسرائيلي). وتحت عنوان (القضاء على المطلوب رقم واحد في المناطق)، قال المعلق المعروف عمانويل روزن في صحيفة معاريف: «إن قتل عماد عقل يغلق من ناحية جهاز المخابرات ـ الشاباك ـ الدائرة التي افتتحت باعتقال المئات من نشطاء وقادة «حماس» ... إن المعركة ضد «حماس» لا تكتمل إذا لم تتضمن تحقيق نجاحات على صعيد الذراع العسكرية لحركة «حماس»، وهي مجموعة عِز الدين القسام التي تواصل نشاطاتها وضراباتها رغم الضربة القاسية التي وجهت للقيادة الروحية والعسكرية والسياسية لحركة «حماس»». واختتم روزن تعليقه نقلًا عن أحد مسئولي الشاباك: «إن مطاردة عماد عقل كانت من العمليات الصعبة والمعقدة والمحبطة في تاريخ عمليات المطاردة التي قام بها جهاز الأمن

ـ الشاباك ـ منذ تأسيسه».

❑ «إِنَّ لِعِمَادٍ وَصِيَّةً تَرَكَهَا لَنَا لَنْ نَنْسَاهَا»:

في بيانها المُوَجَّه لرئيس الأركان يهودا باراك قالت «حماس»: «ردنا على استشهاد القائد عماد عقل سيكون من نوع آخر وبلون آخر إن شاء الله، والأيام بيننا». وقالت كتائب القسام في بيانها الذي وجهته لرئيس الأركان بارك: «ونذكرك أخيرًا بأن لعماد وصية تركها لنا لن ننساها أبدًا بل حفظناها عن ظهر الغيب» لن ننسى كلمته المشهورة: «إن قتل الجنود الإسرائيليين عبادة نتقرَّب بها إلى الله، ولذلك كله فعليك أيها الصعلوك باراك أن تقف عند أقدام شهيدنا وتؤدي له التحية؛ لأن مدرسته العسكرية أثبتت تفوقها دومًا على جيشكم الجبان».

الجنرال أهودا باراك رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي أخذ التهديد على محمل الجد، وطلب من جنوده مضاعفة الحذر، كما أن حالة الطوارئ قد أعلنت في صفوف الجنود الموجودين في (غزة)، والافتراض الذي يتبناه الجيش هو أن كتائب «حماس» لن تتأخر في استعمال السلاح وذلك كي تبرهن على أن مقتل رجلها لم يؤثر على قوتها العسكرية».

وما هي إلا أيام قليلة، حتى توَّج أبطال القسَّام عمليات الثأر للقائد عماد عقل بقتل العقيد مئير شمعون منتز (٣٦ عامًا) منسق أعمال الوحدات الخاصة وقائد قوات لواء جفعاني في قطاع (غزة) والمقدم عاموس يركوني قائد وحدة الدوريات التابعة لرئاسة الأركان في عملية جريئة نُفِّذت في الرابع والعشرين من ديسمبر ١٩٩٣م.

❑ لِلَّهِ دَرُّكَ أَيُّهَا الْبَطَلُ:

نشرت صحيفة الصنداي تايمز في عددها الصادر يوم الأحد ٢٨ نوفمبر ١٩٩٣م مقتطفات من المقابلة التي أجراها مراسل وكالة رويتر مع الشهيد القائد قبل أسبوعين من استشهاده، هذه المقابلة التي أثارت الرعب والهلع في قلوب جنود الاحتلال. فقد نقلت الصحيفة على لسان القائد القسامي البطل: «نحن نخطف عندما نريد.. نحن نقتل عندما نريد.. نحن نفجر السيارات عندما نريد.. نحن نطعن عندما نريد.. الشباب المتربي في المساجد يحب الموت، هل يستطيع رابين أن يمنع الشباب من الموت؟».

ونشرت صحيفة التايمز البريطانية كذلك مقتطفات من المقابلة الصحيفة لعماد عقل، وأبرزت عباراته الخالدة: «إن قتل الجنود الإسرائيليين عبادة نتقرب بها إلى الله». وتشير صحيفة الديلي تلغراف في عددها الصادر يوم الخميس ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر): «إن مقتل عماد عقل أثار من الجانب الإسرائيلي ضجة واسعة، وخاصة في أوساط الجيش؛ حيث قام رئيس الوزراء إسحاق رابين شخصيًّا بتوجيه تهنئة خاصة للجنود الإسرائيليين الذين قاموا بتصفية عماد عقل، واعتبره رابين إنجازًا ضخمًا وعظيمًا».

وتحت عنوان (قطاع غزة يشتعل من جديد.. خمسة آلاف فلسطيني يسيرون في جنازة عماد عقل ويتوعدون بالثأر)، نشرت صحيفة اللوموند الفرنسية تحقيقًا عن فعاليات الانتفاضة والمواجهة التي أعقبت استشهاد القائد عماد عقل جاء فيه: «إن موت عماد عقل الذي استشهد برصاص وحدة خاصة إسرائيلية قد يكلف المدافعين عن اتفاقية السلام غاليًا.

إضرابات، مظاهرات، قذف حجارة، شتائم، وإطلاق نار. السيناريو معروف وها هو يعود كما كان. والحداد لمدة ثلاثة أيام الذي أعلنته حركة المقاومة الإسلامية «حماس» التي تتبع لها كتائب عِز الدين القسام، قد تم احترامه في كامل قطاع (غزة) وسائر الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقد حدثت اصطدامات مع الجيش الإسرائيلي في بيت لحم، والخليل، ورام اللَّه وسائر الضفة الغربية. التجار أقفلوا أبواب متاجرهم. ولكن المؤكد أن بعض مجموعات فتح ـ ياسر عرفات ـ المؤيدة لتوقيع الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي والخصم المعلن لـ«حماس» قد طلبت من فصائلها ومؤيديها احترام الحداد.

غير أن الغضب بدا أكثر عنفًا في مخيم جباليا الذي ينتمي إليه الشهيد عقل، فبعد الجنازة الرمزية التي شارك فيها خمسة آلاف إسلامي في الصباح انتشرت عدة مئات من الشباب في الشوارع يحرقون الدواليب ويقيمون الحواجز ويبحثون عن صدام مع الجنود الإسرائيليين. وكما في أقصى أيام الانتفاضة راح هؤلاء الجنود الذي لا يحملون أية وسائل تقليدية لمقاومة الشغب يجيبون على الحجارة بقنابل مسيلة للدموع وبإطلاق رصاص حقيقي، والنتيجة عدم سقوط أي جريح من الجنود، وسقوط خمسة وثلاثين من الفلسطينيين؛ اثنان منهما في حالة خطرة والثالث توفي.

فعماد عقل يُعتبَر بطلًا أسطوريًا في أوساط الشباب الفلسطيني.

❑ عِمَادُ قَالَ كَلِمَتَهُ:

قال د.عبدالعزيز الرنتيسي ـ رحمه اللَّه ـ:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين محمد بن عبداللَّه عليه وعلى آله وصحبه الغُرِّ الميامين ... أيها الاخوة الأحباء ماذا عساي أن أقول وقد تكلم من قبلي عماد؟ ماذا عساي أن أقول وقد وقف عماد اليوم خطيبًا بالأمة كلها... تكلم بلغة يفهما الجميع لغة التضحية والفداء... لغة العطاء... لغة الدم... لغة الشهادة... نعم لقد قدَّم عماد ذلك الجندي الأسطورة الذي وقف العرب منه في هلع، في ذعر، في خوف... لقد قزَّمه عماد كيف لا وجنود الاحتلال يبحثون عن ملجأ أو مُدَّخلا أو مغارات ليفرُّوا من سطوة عماد... نعم... ماذا يمكن لأمثالي أن يتحدثوا بعد أن تحدث عاد.. هنيئًا لك يا «حماس» لقد جئت على قدر يا «حماس»... لقد صنعك اللَّه ـ سبحانه ـ في هذه المرحلة الصعبة التي تمر بها أمتنا... مرحلة الذلة والهوان والاستكانة مرحلة المتعبين الذين أصابهم الخور ونال منهم الوهن، نعم... إنها مرحلة الذلة؛ أمة بأسرها تتمرغ هناك وتركع على أعتاب البيت الأبيض... أمة بأسرها لا تأبه بما يفعله نفر من أبناء الشعب الفلسطيني، فيبيعون مسرى رسول اللَّه ﷺ وهم شهود ... ويقف اليوم عماد منتشقًا سلاحه يقول: لا للخضوع، لا للركون، لا للذلة والهوان... ينشق سلاحه؛ ليؤنس الليل البهيم، ليؤنس الأمة بأسرها.

هكذا كان عماد بطلًا عملاقًا ماردًا فارسًا لا يخاف في اللَّه لومة لائم... يكيد وينتقل من مكان لمكان يبحث عن فريسته، ولقد أصاب جنود الاحتلال من الذعر ما أصابهم، فلم يخف رابين هلعه، ولم يخف ذعره. ولم يخف خوفه من عماد عندما أرسل بالتهاني لأولئك الذين نالوا من عماد... وا أسفاه يا أمة الإسلام، وا أسفاه رابين يهنئ جنده بمقتل عماد، وأبو عمار ـ للأسف الشديد ـ يستنكر على أبناء الشعب الفلسطيني أن يقتلوا مزراحي ذلك المستوطن اللعين... فشتان شتان بين الموقفين... ماذا نقول وقد هانوا على أنفسهم، ماذا نقول وقد ترددوا في متاهات وضروب الحلول الاستسلامية، نتحدث اليوم عن بطل المدرسة...مدرسة لكل الأجيال التي ستأتي من بعده، سيتعلمون كيف يكون الطريق إلى الذرى، إلى المجد، إلى الرفعة، إلى السؤدد...

نعم هكذا كان عماد مدرسة.

والآن انتظروا أن يتخرج التلاميذ من مدرسة عماد، لقد آن الأوان لأن يترسم الآلاف خطى عماد، لقد آن الأوان لأن يتقدم الشباب من أبناء المسلمين يحرروا الآن مسرى رسول اللّٰه من دنس اليهود، ليقولوا: لا للحكم الذاتي، لا لـ(غزة) - أريحا أولًا، نعم للسلاح، نعم للجهاد، نعم لمواصلة الطريق التي عبَّدها عماد بدمائه يوم تناثرت هناك في (غزة)، يوم سال الدم الطاهر على ثرى فلسطين يخضبها.

نعم أيها الأخوة الأحباب عماد ذلك العملاق الذي تعملق في زمن تقاعس فيه المتعبون وباتوا يلهثون وراء السراب ويظنون أنهم سيقدمون لأمتهم شيئًا وهم على غير سبيل.

أيها الأخوة الأحباب... كأني بروح عماد تهتف بالجميع أن هَيَّا للجهاد. هَيَّا إلى ساح الوغى. فلا يحرر فلسطين إلا الدم... لا يحرر الأقصى إلا الدم الطاهر الذي يسيل لتروى فلسطين.

أيها الأخوة الأحباب كأني بالشهيد عماد والشهداء من قبله ومن بعده من أبناء «حماس» وكان أخرهم خالد الزير... وكأني لهم يهتفون بهذه الأمة أن انهضي من سباتك، وقومي لساح الوغى، وكأني بهم يقولون: نعم نحن الآن بالفردوس الأعلى، فما بالكم تتقاعسون عن تراب فلسطينِ وأهل فلسطين والمسجد الأقصى... طابت لك الجنة يا عماد، وتزينت لك الحور العين... طابت لك الجنة فهنيئًا لك مرادك، هنيئًا لك الجنة يا عماد، وتزينت لك الحور العين... طابت لك الجنة فهنيئًا لك مرادك هنيئًا لك وقد حققت ما كنت تريد... نلت منهم وأغظتهم وتحملت في ذلك المشاق والصعاب، وكان ذلك كله في سبيل الله، وكأني بالآية الكريمة تتحدث عن أمثالك ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]، نعم لقد تحملت النصب والمخمصة والظمأ في سبيل الله... لقد وطئت موطئًا يغيظ الكفار، ولقد نلت منهم، ولقد اعترفوا بذلك وتبادلوا التهاني بموتك، وما ظنوا أنك حيٌّ عند ربك ترزق، فهنيئًا لك وأنت تسكن الفردوس... هناك مع رسول اللّٰه مع النبيين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا. هنيئًا لك وقد كتب لك اللّٰه الرفعة والخلود والذكرى الحسنة بالدنيا كما سيُكتب لك - بإذن اللّٰه - الفردوس الأعلى يوم

يقوم الحساب... تحية لك من كل أبناء فلسطين، تحية من كل إخوانك المبعدين الذين يرون فيك الأسطورة يرون فيك البطل يرون فيك الرمز الذي يجب أن نترسم خطاه وأن نسير على هداه، فتحية لك يا عماد، وتحية لإخوانك الشهداء، وأنا وإياكم لعلى موعد - بإذن الله - فهي الطريق إلى المجد في الدنيا، وهي الطريق إلى العزة والكرامة يوم يقوم الحساب» اهـ.

* * *

الْقَائِدُ الْفَذُّ أَبُو الْبَرَاءِ يَحْيَى عَيَّاشُ
قَائِدُ مَجْمُوعَاتِ الِاسْتِشْهَادِيِّين

الَّذِي دَوَّخَ الشَّابَاكَ وَرَابِيـنَ(١)

القائد العظيم الذي كان يردد دائمًا: «**بإمكان اليهود اقتلاع جسدي من فلسطين غير أني أريد أن أزرع في الشعب شيئًا لا يستطيعون اقتلاعه**».

ولد بطلنا يحيى عبداللطيف ساطي محمود عياش في رفات بجنين، في يوم الأحد ٦ مارس من عام ١٩٦٦م، ولقي ربه في ١٩٩٦/١/٥م - رحمه الله رحمة سابغة واسعة ..

يحيى عياش الرجل المعنى في زمن تساقطت فيه المعاني عن كثير من الرجال، الطيف العصي الذي لا يُرَى بسهولة، يحيى عياش اليدان اللتان تتقنان صنع الحرائق؛ لتشرق الشمس بلا كآبة على الذرى الفلسطينية، العينان اللتان تصادقان الليل في البحث عن ممر إلى ثغور الغزاة.. القلب الذي يحمله الشاب الهادئ الوادع الذي يتسع لكل فلسطين، بأرضها وسمائها وبحرها وأقصاها وأهلها، كان يعتقد دومًا أنه خُلِق لأجلهم، لأجل عزهم ومستقبلهم.

حصل - رحمه اللَّه - على بكالوريوس الهندسة الكهربائية من جامعة بيرزيت عام ١٩٩١م، وحاول الحصول على تصريح خروج للسفر إلى الأردن لإتمام دراسته العليا فرفضت السلطات الإسرائيلي طلبه، وقد عقَّب على ذلك «يعكوف بيرس» رئيس المخابرات - آنذاك - بقوله: «لو كنا نعلم أن (المهندس) سيفعل ما فعل لأعطيناه تصريحًا بالإضافة إلى مليون دولار. وتزوج بعد تخرجه من ابنة عمه ورزقه اللَّه ولده البكر (البراء)، فيما رزق بولده (يحيى) بتاريخ ١٢/٢٤/ ١٩٩٥م.

اتجه عيّاش لتسخير قدراته العلمية، وتفوقه في مجال الهندسة الكهربائية وتبحره في «الكيمياء» لمحاربة الإرهاب الإسرائيلي، فبرع - رحمه اللَّه - في صنع المتفجرات والعبوات الناسفة، واستطاع

(١) مُستَقَاةٌ من: موقع «المركز الفلسطيني للإعلام»، وموقع «كتائب عز الدين القسّام»، وكتاب «فضائل الشهيد يحيى عياش» لمخلص يحيى برزق.

ابتكار طرق مختلفة للتفخيخ والتفجير [(١)]، وأجاد التحرك والاختفاء، واستطاع من خلال ترؤسه لمجموعات الاستشهاديين في كتائب «عِز الدين القسَّام» أن ينتقم لضحايا الإرهاب الصهيوني الذي يدير منذ أوائل هذا القرن حربًا للقتل والإرهاب والتعذيب والبطش...

تحول قلب عياش بعد مذبحة الحرم الإبراهيمي إلى نار وبارود ولهيب يلفح من ذبحوا شعبه على مرأى ومسمع من العالم الظالم، وأقسم أن يكون هو الرد الذي يوقف زحف الغطرسه والاستعلاء اليهودي، وقد أدرج على قائمة المطلوبين لأول مرة في نوفمبر سنة ١٩٩٢م إثر اكتشاف السيارة المفخخة في رمات إفعال.

❑ أَهَمُّ الْعَمَلِيَّاتِ:

عبقرية القائد يحيى عياش نقلت المعركة إلى قلب المناطق الآمنة التي يدَّعي الإسرائيليون أن أجهزتهم الأمنية تسيطر فيها على الوضع تمامًا. فبعد العمليات المتعددة التي نُفِّذَتْ ضد مراكز الاحتلال والدوريات العسكرية نفذ مقاتلو «حماس» بتخطيط من قائدهم عياش عددًا من العمليات أهمها:

* ٦ نيسان ١٩٩٤م الشهيد رائد زكارنة يفجر سيارة مفخخة قرب حافلة صهيونية في مدينة العفولة مما أدى إلى مقتل ثمانية صهاينة وجرح ما لا يقل عن ثلاثين، وقالت «حماس»: إن الهجوم هو ردها الأول على مذبحة المصلين في المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل.

---

(١) اختلف أهل العلم في حكم العمليات الاستشهادية، فذهب الشيخ ابن عثيمين إلى عدم جوازها. وحرّمها الآن الشيخ الألباني، لكنه جوزها بإذن الخليفة أو القائد المُوَلَّى من قِبله.
وذهب إلى جوازها الشيخ القرضاوي، والدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر السابق، والشيخ حامد البيتاوي رئيس رابطة علماء فلسطين، وعلماء «جبهة علماء الأزهر».
وهناك فتوى للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في «مجموع فتاوى للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» في فتاوى الجهاد أجاز فيها للمقاتلين الجزائريين الذين يخافون الوقوع في الأسر ومعهم معلومات مهمة مثل هذا، فالأمر فيه خلاف فقهي معتبر بين أهل العلم.
وننصح إخواننا من حماس ألا يلجأوا إلى هذه الطريقة إلا عند تعذر غيرها، وبشرط المصلحة الكلية القطعية للمسلمين... ولا يجوز الإنكار عليهم وخاصة أن الخلاف فيها خلاف معتبر.

*١٣ نيسان ١٩٩٤م مقاتل آخر من حركة «حماس» هو الشهيد عمار عمارنة يفجر شحنة ناسفة ثبتها على جسمه داخل حافلة صهيونية في مدينة الخضيرة داخل الخط الأخضر، مما أدى إلى مقتل ٥ صهاينة وجرح العشرات.

*١٩ تشرين أول ١٩٩٤م الشهيد صالح نزال ـ وهو مقاتل في كتائب الشهيد عِز الدين القسام ـ يفجر نفسه داخل حافلة ركاب صهيونية في شارع ديزنغوف في مدينة تل أبيب مما أدى إلى مقتل ٢٢ صهيونيًّا وجرح مالا يقل عن ٤٠ آخرين.

*٢٥ كانون أول ١٩٩٤م الشهيد أسامة راضي ـ وهو شرطي فلسطيني وعضو سري في مجموعات القسام ـ يفجر نفسه قرب حافلة تقل جنودًا في سلاح الجو الصهيوني في القدس ويجرح ١٣ جنديًّا.

*٢٢ كانون ثاني ١٩٩٥م مقاتلان فلسطينيان يفجران نفسيهما في محطة للعسكريين الصهاينة في منطقة بيت ليد قرب نتانيا مما أدى إلى مقتل ٢٣ جنديًّا صهيونيًّا وجرح أربعين آخرين في هجوم وصف أنه الأقوى من نوعه، وقالت المصادر الصهيونية: إن التحقيقات تشير إلى وجود بصمات المهندس في تركيب العبوات الناسفة.

*٩ نيسان ١٩٩٥م حركتا «حماس» والجهاد الإسلامي تنفذان هجومين استشهاديين ضد مواطنين يهود في قطاع (غزة) مما أدى إلى مقتل ٧ مستوطنين ردًّا على جريمة الاستخبارات الصهيونية في تفجير منزل في حي الشيخ رضوان في (غزة) أدى إلى استشهاد نحو خمسة فلسطينيين وبينهم الشهيد كمال كحيل أحد قادة مجموعات القسام ومساعد له.

*٢٤ تموز ١٩٩٥م مقاتل استشهادي من مجموعات تلاميذ المهندس يحيى عياش التابعة لكتائب الشهيد عِز الدين القسام يفجر شحنة ناسفة ثبتها على جسمه داخل حافلة ركاب صهيونية في رامات غان بالقرب من تل أبيب مما أدى إلى مصرع ٦ صهاينة وجرح ٣٣ آخرين.

*٢١ آب ١٩٩٥م هجوم استشهادي آخر استهدف حافلة صهيونية للركاب في حي رامات اشكول في مدينة القدس المحتلة مما أسفر عن مقتل ٥ صهاينة وإصابة أكثر من ١٠٠ آخرين بجروح، وقد أعلن تلاميذ المهندس يحيى عياش من مسئوليتهم عن الهجوم.

❑ عَمَلِيَّاتُ تَفْجِيرٍ مُتَنَوِّعَةٌ:

وفي السادس عشر من أبريل سنة ١٩٩٣م، وفي مفترق (محولا) في الغور نفذ هجوم استشهادي بمحاذاة حافلة ركاب إسرائيل قتل شخص وأصيب تسعة آخرون.

وفي أغسطس ١٩٩٣م بتوجيه من (المهندس) نفذ (علي عاصي ومحمد عثمان) هجومًا نحو موقع للجيش الإسرائيلي قرب مفرق كفر بلوط أسفر عن مقتل جنديين.

وفي يناير ١٩٩٤م، توجه مع (علي عاصي) يحمل عبوة ناسفة محكمة ووضعها في ميدان رماية للجيش الإسرائيلي في منطقة رأس العين، وانفجرت العبوة وأصيب جنديان بجروح خطيرة، وانطلق الشهيد (ساهر تمام) في سيارته المفخخة التي أعدها (المهندس) لتنفجر بجوار حافلة إسرائيلية تقل جنودًا من جيش الاحتلال، وقد أصيب ثلاثين جنديًّا بجراح، ثم انطلق الشهيد الشيخ (سليمان) بسيارته المفخخة وبجوار حافلة يفجرها حيث قُتل شخصان وأصيب ثمانية بجراح. لكن الولادة الحقيقية (للمهندس) وعملياته التدميرية لكيان يهود كانت رصاصات (باروخ جولدشتاين) وهي تنفجر في رءوس الساجدين لله ـ تبارك وتعالى ـ في المسجد الإبراهيمي.

ففي الذكرى الأربعين للمجزرة وبالتحديد في السادس من نيسان ١٩٩٤م كان الاستشهادي (رائد زكارنة) يقل حقيبة (المهندس) وينطلق بها تجاه (العفولة)، وفي حافلة ركاب كان (رائد زكارنة) يتفجر ويمزق معه ثمانية من الأجساد اليهودية ليشربوا من نفس الكأس الذي زرعوه، ويمسح (رائد والمهندس) دمعة أولى عن وجنة فلسطين الغالية، فيما قسم يحيى للثأر ما زال ساري المفعول.

العفولة .. الخضيرة .. القدس .. تل أبيب...

وبعد أقل من أسبوع، وفي الثالث عشر من نفس الشهر، وفي (الخضيرة) يتفجر (عمار عمارنة) لتسقط خمس جثث أخرى في استمرار لمدرسة (المهندس) التي افتتحها.

وفي مواجهة المهندس وعملياته التدميرية لكيان إسرائيل المجرم يكبر الهم الإسرائيلي، ويعجل الجيش الانسحاب بالفرار من (غزة) أولًا مع بداية شهر مايو ١٩٩٤م، وبعد أقل من شهر على عمليتي (العفولة والخضيرة)، وبعد أشهر من المماطلة والتعنت الإسرائيلي، وتنشأ إثر حالة من

الرعب الهستيري، فشبح (المهندس) وحقائبه تطارد كل إسرائيلي في مكان ليلعن اليهود (باروخ جولدشتاين)، ورغم ذلك فمسيرة التفجير لم تكتمل، ففي التاسع عشر من تشرين أول من نفس العام انطلق صالح نزال إلى شارع (ديزنغوف) في (تل أبيب) وهو يحمل حقيبة (المهندس) ليتفجر وتهوي معه جثث اثنين وعشرين يهوديًا، يهرول (رابين) قاطعًا رحلته الخارجية ويعلن عداءه الشخصي مع (المهندس)، ويواجه (أبو البراء) دولة (شعب وجيش وحكومة) فحاصرهم جميعًا وغدا شبحًا يطاردهم، وكابوسًا يؤرق أحلامهم، ومستقبلًا قاتمًا يقذف في قلوبهم الرعب ويشفي صدور قوم مؤمنين، ألم يكن يتسع قلب المهندس لكل آلاف الشعب الفلسطيني؟؟، هذا بالإضافة إلى إطلاق (المهندس) نيرانه، وقتل مستوطن وإصابة اثنين بجراح، إضافة إلى قتل جندي إسرائيلي بطلقة واحدة.

❑ قِطَاعُ غَزَّةَ مَرْكَزٌ لِلنَّشَاطِ:

ونتيجة الملاحقة المكثفة لشبح (المهندس) واعتقال كل من شاهد أو سمع أو علم به، يضيق الخناق حوله خاصة بعد استشهاد رفيقيه (علي عاصي وبشار العامودي)، وينقل (المهندس) مركز نشاط إلى قطاع (غزة)، ونجاح (أبو البراء) في الوصول إلى (غزة) يعد بحد ذاته ضربة قاسية للكيان الصهيوني.

* وفي الخامس والعشرين من كانون الأول ١٩٩٤م يتقدم (أيمن راضي) من خان يونس يحمل حقيبة الرعب ويفجر نفسه قرب حافلة جنود بالقرب من (مباني الأمة) في (القدس) ليقتل شخصًا ويصيب ثلاثة عشر آخرين بجراح.

* وفي التاسع من نيسان ١٩٩٥م تنفجر سيارة (عماد أبو أمونة) قرب (نتساريم) في قطاع (غزة) ثأرًا لدماء (كمال كحيل) وإخوانه.

* وفي الخامس والعشرين من حزيران ١٩٩٥م تنفجر عربة (معاوية روقة) قرب حافلتي جنود في (غزة).

* وفي الرابع والعشرين من تموز ١٩٩٥م تنفجر الحافلة الإسرائيلية في (رمات جان) تقتل ستة إسرائيليين وتجرح خمسًا وثلاثين آخرين، ويعلن تلاميذ يحيى عياش المسئولية، فيما (ايجال عامير) يرقب اسحاق رابين رئيس الوزراء ليقتله كردة فعل لهذه الضربات الموجعة.

* وفي الحادي والعشرين من آب ١٩٩٥م ينفجر الشهيد (سفيان جبارين) في الحافلة المزدوجة في مستوطنة (رمات اشكول) في القدس لتقتل خمسة وتصيب ما يزيد عن مئة آخرين، ويؤكد (تلاميذ يحيى عياش) مسئوليتهم ليصل مجموع ما قتل بيد (المهندس) وتلاميذه إلى ست وسبعين إسرائيليًّا وجرح ما يزيد عن أربع مئة آخرين، وهذا رقم قياسي لم ينازع (المهندس) فيه أحد، ليغدو (المهندس) شجرة باسقة الظلال ومدرسة يأوي إليها النماذج الفريدة من المجاهدين ذوي الهمم العالية.

كان قلب (أبي البراء) الذي وسع كل فلسطين هادئ البال قرير العين، فقد مسح دمع الثكالى والأرامل والأيتام وجفف جرح كل المصابين.

❑ الْمُلَاحَقَةُ مُسْتَمِرَّةٌ:

فيما الملاحقة الهوجاء (للمهندس) مستمرة على أشدها، فتحاصر قريته ويداهم بيته باستمرار، ويقطع عن (رافات) موقع الغرس الكهرباء، ويمنع رصف شوارعها، ويعتقل شقيقاه ووالده ووالدته.

(الحاجة عائشة) يسألونها عن البطل المسافر كيف نشأ في أحشائها... كيف كبر حتى صار بحجم الوطن، يسألونها عن مكانه، يحيى في كل مكان... يحيى في كل زمان... يحيى قنبلة فلسطين التي تحرق كل من مس كرامتها.. أنين أمه يصله عبر الأثير ليصنع منه فتيل قنبلة أخرى، وآهات والده الكهل الذي فقد حاسة السمع (بشكل مؤقت) نتيجة ضربه على يد الجنود الذين يبحثون عن (المهندس) يرحل إليه، ونداء أشقائه (مرعي ويونس) من خلف زنازين القمع يصنع منها قنابل يفجر بها أياديهم التي صبغت بلون دمنا المراق على بوابات الوطن المغصوب... ليغدو (يحيى) شمسًا تشرق كل صباح، وفجرَ كلِّ فلسطين، ونورَ كلِّ حر ثائر، وليلَ كلِّ ظالم فاجر يغدو شبحًا وهاجسًا يطارد الإسرائيليين وأسطورة للفلسطينيين نظموا بشأنها القصائد والأشعار والأنغام، وهاتفته قلوبهم وأرواحهم بالاستمرار، «جهز يا عياش لي شيئًا، يرفعني من أرض الدنيا.. لجنان الفردوس الأعلى، جهز يا عياش لي عبوة توقظني من غفلة قومي، لأعيش حياة أبدية».

❑ شَبَحُ المُهَنْدِسِ:

وتطور الحقد في قلب (رابين) شخصيًّا ليرى (شبح المهندس) عدوًّا خاصًّا، فيما يراه (أبو البراء) بذات العين، ويعتبر نفسه في صراع مباشر مع رئيس الوزراء الإسرائيلي (رابين) والذي اغتيل في الرابع من نوفمبر ١٩٩٥م.

وقد أكد المحللون اليهود القريبون من (رابين) أن (شبح عياش) خيم على حياة (إسحاق رابين) الذي وظف جيشه وأجهزة أمنه وأموالًا طائلة لمطاردة المطلوب رقم واحد، ولكن (عياش) يفلح في الإفلات من الذراع الطويل للجيش الإسرائيلي ولجهاز (الشاباك)، وقام بالتخطيط في أخطر مراحل المطاردة لهجمات وتشكيل خلايا مع أن مطلوبين عديدين من الذين عملوا في محيطه القريب قتلوا أو اعتقلوا، ورغم الوحدات الخاصة التي لاحقته والكمائن في القدس والضفة و(غزة) في الجبال والكهوف ومخيمات اللاجئين والبيوت المهجورة.

وقد لقب رئيس الحكومة الإسرائيلية (إسحاق رابين) (يحيى عياش) (بالمهندس)، وأطلق عليه هذا اللقب في إحدى جلسات المداولة بين (رابين) وقادة أمنه للبحث في قضية (عياش) وسبيل الوصول إليه، وقد أبدى رابين (كما صرح جدعون عزرا رئيس جهاز الشاباك الأسبق) اهتمامًا بكفاءات وقدرات (عياش)، وأخذ يضفي عليه لقب (المهندس) بعد أن علم ما يمتلكه (المهندس) من إمكانيات، وقد كان (رابين) يبدأ كل جلسات الحكومة ومجلسه المصغر ومجلس الأمن بالسؤال عن (المهندس)، وقد صرح (رابين) بهذا اللقب للصحافة أكثر من مرة حتى غدا المقاتل الفلسطيني الفذ أسطورة ملحمية خالدة وشبحًا رهيبًا يطارد إسرائيل، لذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن يختاره جميع الخبراء اليهود والأجانب (كرجل العام ١٩٩٥م)؛ حيث أثر على إسرائيل وحياتها ومستقبلها أكثر مما أثر رابين وحكومته وجيشه.

وقد بثت الإذاعة والتلفزيون الإسرائيلي العديد من البرامج حول هذا الشبح الأسطورة، وهذه أجزاء من ترجمة حرفية لبرنامج بثه التلفزيون عن المهندس في الخامس والعشرين من يناير ١٩٩٥م:

أَرْبَعَةٌ مِنَ الْخُبَرَاءِ:

وقد تحاور في البرنامج أربعة من الخبراء والمستشرقين الصهاينة المتخصصين، وهم: الدكتور (ماتي شتينبرغ)، والدكتور (إبراهيم سيلع) من الجامعة العبرية، وشمعون رومح (من قادة جهاز الشاباك السابقين)، والصحفي اللامع يعاري؛ المتخصص في الشئون العربية، حيث أمطر الصحفي المخضرم (مشعل) مقدم البرنامج ضيوفه بسيل من الأسئلة تمحورت على كيفية عمل (المهندس)؟ من الذي يوجهه؟ من يختار الاستشهاديين؟ لماذا لم تفلح أجهزة الأمن في القبض عليه؟

وبادرهم مشعل بالقول: «المطلوب يحيى عياش في سباق مع الزمن، فمسلسل الهجمات العنيفة التي نفذها جعلت منه هدفًا رئيسيًّا ذا أولوية أولى لجهاز المخابرات الإسرائيلي (الشاباك) الذي درس شخصيته وتركيبته الفسيولوجية بعناية في محاولة للعثور على نقطة ضعف واحدة تقود إلى إلقاء القبض عليه».

(إيهود يعاري) اعتبر «أن لكل مرحلة من مراحل النضال الفلسطيني رموزها، وأنه مثلما شكل (عماد عقل) (رمز العمل العسكري) في حركة «حماس»، فإن (يحيى عياش) يمثل (رمز العمل العسكري الاستشهادي)»، فيما عبر (شمعون رومح) عن إعجابه بالقول: «إنه لمن دواعي الأسف أن أجد نفسي مضطرًّا للاعتراف بإعجابي وتقديري لهذا الرجل الذي يبرهن على قدرات وخبرات فائقة في تنفيذ المهام الموكلة إليه، وعلى روح مبادرة عالية، وقدرة على البقاء، وتجديد النشاط دون انقطاع».

وكان رأي (د. سيلع ود. شتاينبرغ): «أن المشكلة في البيئة العقائدية الأصولية التي يتنفس (المهندس) من رئتها هي التي تبدع وتفرز ظاهرة المهندس، وظاهرة الرجال المستعدين للموت في سبيل عقيدتهم»، وكما هو الحال بالنسبة لكل شخصية أسطورية فإن الهوس الإسرائيلي ينسب له عجائب عدة، فهو صاحب هويات مختلفة، وله حضور في كل مكان يتواجد في (مصر، وإيران، وليبيا، والسودان، وفي خان يونس، و(غزة)، رام الله، قلقيلية، جنين، القدس، تل أبيب) حتى في منزله (برافات)، وهو متنكر بزي يهودي متدين، وأحيانًا (كمستوطن) مسلح ببندقية، وأنه يتجول بشخصية دبلوماسية في تل أبيب، ويقود سيارة ذات لوحات تسجيل إسرائيلية، وأنه يتنكر

بهيئة امرأة، وبهيئة شيخ مسلم، فقد شارك في جنازة الشهيد (كمال كحيل) بهذه الهيئة ولم يكن يعرفه أحد، عياش يبدل هيئته يوميًا، ولا يبيت سوى ليلة واحدة في البيت الواحد.

عَيَّاشٌ الْقَائِدُ:

وعند الفلسطينيين فهو مجاهد قدير يشبهونه (بصلاح الدين الأيوبي) أو (عِز الدين القسام، وأبو جهاد)، ويتندرون بأنه (أبو جلدة) ذلك الرجل الذي نجح في الإفلات من البريطانيين لمدة عشر سنوات.

بلغ الهوس الإسرائيلي ذروته حين قال (رابين): «أخشى أن يكون جالسًا بيننا في الكنيست»، هذا الهوس لم يطل رابين فحسب، بل غدا كابوسًا يتسلل إلى مضاجع الصهاينة، فأكثر من ٨٠٪ من سكان إسرائيل يخافون استخدام المواصلات العامة، واشتكى أكثر من عشرين ألف إسرائيلي من أمراض نفسية نتجت عن عمليات التفجير، وتشاجر يومًا جنديان، فقال أحدهما للآخر: «إن شاء اللَّه تقع في يد (المهندس)».

وفي أحد البرامج التلفزيونية عن المهندس قال المذيع: «إنني أخشى أن يفجر المهندس هذا الاستيديو أمام أعين المشاهدين»، وقد وقف علماء النفس حيارى أمام (ظاهرة المهندسلوجي)، فلا يملكون لها وصفًا أو إدراجًا تحت أبواب العلم المعهودة، فهل هو رجل حقًّا بمفرده، أم هي أمة تنكرت على هيئة رجل له عقلٌ واعٍ مستنير وأصابع ماهرة وقلب يطفح بالإيمان؟ وكلما تحركت يداه جهز النازيون الجدد أكفانهم، وأعدوا لسيول الدمع أجفانهم، وبدأ العد التنازلي لوعد الآخرة، هذا الهوس الإسرائيلي أضفى على (المهندس) حالة من القداسة حتى أعظم قادة إسرائيل كانوا عند ذكره لا يخفون حالة الرعب والخوف.

❑ وزير الأمن اليهودي قال عَيَّاشٌ مُعْجِزَةٌ:

(فإسحاق رابين) رئيس الوزراء السابق يقول: «لا شك أن (المهندس) يمتلك قدرات خارقة لا يملكها غيره، وإن استمرار وجوده طليقًا يمثل خطرًا داهمًا على أمن إسرائيل واستقرارها».

أما (موشيه شاحل) وزير الأمن الداخلي السابق فيقول: «لا أستطيع أن أصف المهندس يحيى عياش إلا بالمعجزة، فدولة إسرائيل بكافة أجهزتها لا تستطيع أن تضع حلًّا لتهديداته».

و(الجنرال أمون شاحاك) رئيس أركان الجيش الإسرائيلي السابق يقول: «إن إسرائيل ستواجه

تهديدًا استراتيجيًا على وجودها إذا استمر ظهور أناس على شاكلة المهندس».

بينما يقر (يعكوف بيرس) رئيس المخابرات الإسرائيلية سابقًا قائلًا: «إنني أقر أن عدم القبض على المهندس يمثل أكبر فشل ميداني يواجه المخابرات منذ إنشاء دولة إسرائيل».

فيما (جدعون عزرا) نائب رئيس المخابرات سابقًا يقول: «إن احتراف المهندس وقدرته تجلت في خبرته وقدرته على إعداد عبوات ناسفة من لا شيء».

إن (عياش) غدا كالسحر يشق الأرض وتبلعه، صاحب أرواح سبعة، إن مجرد ذكر اسم (يحيى عياش) كافيًا لأن يرتعد الإسرائيليون وهم يستعيدون صدى الانفجارات الاستشهادية التي أحرقت وَهْمَ أمنهم على أرض فلسطين، فمهندس الكهرباء الفلسطيني الذي لم تستطع وسائل الإعلام أن تحصل على أكثر من صورة واحدة له استطاع أن ينظم توجيه عدة ضربات موجعة في قلب مواقع قوات الجيش الإسرائيلي، وأن يذهل الأجهزة الأمنية الإسرائيلية برسائله المفخخة التي كانت تصل دومًا من عنوان جديد، وقد فشلت كل المحاولات الإسرائيلية لاقتفاء أثره والوصول إليه برغم كل التدابير الأمنية، فكان حقًّا رمزًا للمقاتل ذي القلب الحديدي المؤمن بالله، في ليالي الإسرائيليين شبحًا مرعبًا قض مضاجعهم، وزرع الرعب في ناقلاتهم.

❑ أَصْعَبُ مِنَ الْوَصْفِ:

هذا هو (يحيى عياش) في نظر الإسرائيليين أصعب من الوصف، وأعقد من الخيال، لا يُرى بالعين فيمسَك، ولا يُسمع بالأذن فيرصد، اختار الخيار الأصعب، وقبل المواجهة الأخطر، وطوال أربع سنوات المطاردة التي عاشها (المهندس) بكل ما تحمل من تحدي وخطورة لم تقف أجهزة الدولة الإسرائيلية عن البحث عنه في كل مكان، فقاموا بتوزيع البيانات في شهر يوليو ١٩٩٣م على أهالي نابلس يحذرونهم مساعدة (المهندس)، إضافة إلى توزيع صوره ومواصفاته على جميع عناصر الجيش الإسرائيلي، بينما صورة بوستر كبيرة بالألوان معلقة للمهندس في المكتب الرئيسي للشاباك، عدا عن نشاط الوحدات المستعربة وأجهزة الرصد والمعلومات إضافة إلى تضيق الخناق على (المهندس) باعتقال كل من كانت له معهم علاقة، ومن ساعدوه حتى غدا وحيدًا، وكانت أبرز محاولات اغتيال (المهندس) تلك التي وقعت في (دير بلوط) في ٦ أغسطس ١٩٩٣م حيث اصطدمت سيارته بحاجز عسكري أسفر عن استشهاد رفيقه (عزيز مرعي) واعتقال (محمد

ريان) بينما تمكن (المهندس) من الفرار.

وفي حي القصبة بنابلس في ١١ تموز ١٩٩٤م تعرض منزل كان يأوي (المهندس) وإخوانه للقصف، وبعد ساعات من الاشتباك استشهد (علي عاصي وبشار العامودي) اللذان غطيا انسحاب المهندس.

❑ الْمَطْلُوبُ رَقَمُ وَاحِدٍ:

إنجازات المهندس التي أنهكت الاحتلال وأجهزته الأمنية جعلته المطلوب رقم (١) للأجهزة الإسرائيلية التي طاردته طوال ٥ سنوات، وسخرت كل إمكانياتها لكشف هذا اللغز، وشكلت وحدة تنسيقية بين كافة الأجهزة الأمنية؛ لتقصي أية إشارة عن تحرك المهندس، ونظموا دراسات عديدة حول شخصية المهندس وأسلوب حياته، وراقبوا أصدقاءه في فترة الدراسة، وأرسلوا وحداتهم الخاصة التي نصبت له الكمائن في الليل والنهار في المدن والمخيمات في الغابات والكهوف حيث لم تعد هناك قرية في الضفة الغربية إلا وداهمتها وحدة مختارة من جنود الاحتلال الإسرائيلي بحثًا عن الأسطورة الجهادية التي ولدتها وأَهَلَّتْهَا «حماس».

مرات كثيرة أنجى اللَّه يحيى عياش قبل وصول الصهاينة بدقائق في حي القصبة في نابلس، وفي حي الشيخ رضوان في (غزة) حيث استشهد رفيق جهاده الشهيد كمال كحيل ومطلوب أخر من «حماس» هو إبراهيم الدعس.

❑ وَيَسْتَرِيحُ الْمُقَاتِلُ الصُّلْبُ:

تمكن الشاباك من الوصول إلى معلومات عن موقع المهندس، والتسلل إلى قطاع (غزة) إلى دائرة الأشخاص الأقرب إلى (أبي البراء)، وكما يروي (أسامة حماد) صديق (المهندس) والشاهد الوحيد على عملية الاغتيال؛ حيث قال: إن (يحيى) التجأ إليه قبل خمسة شهور من استشهاده حيث آواه في منزله دون أن يعلم أحد، وكان (كمال حماد) وهو خال (أسامة) ويعمل مقاول بناء على صلة وثيقة بالمخابرات الإسرائيلية يلمح (لأسامة) بإمكانية زيارة يحيى له في شركة المقاولات وأعطاه جهاز بيلفون لاستخدامه، وكان (كمال) يأخذ جهاز البيلفون ليوم أو يومين ثم يعيده، وقد اعتاد والد المهندس الاتصال مع (يحيى) عبر البيلفون، وقد طلب منه (يحيى) مرارًا الاتصال على الهاتف البيتي، وقد اتفق (يحيى) مع والده على الاتصال به صباح الجمعة القادم على الهاتف

البيتي، وفي صباح الجمعة الخامس من يناير ١٩٩٦م اتصل (كمال حماد) بـ(أسامة) وطلب منه فتح الهاتف المتنقل؛ لأنه يريد الاتصال من إسرائيل، واتضح أن خط هاتف البيت مقطوع، وفي الساعة التاسعة صباحًا اتصل والد يحيى على الهاتف المتنقل الذي أبلغ أسامة أنه لم يستطع الاتصال على الهاتف البيتي، واستلم المهندس الهاتف وقال لوالده: «**يا أبي لا تظل تتصل على التليفون**» حين دوى انفجار، ويسقط المهندس واللحم يتناثر والزجاج يتحطم، وبقع الدم تتناثر، ويتضح أن عبوة ناسفة تزن ٥٠ غرامًا انفجرت في (الهاتف النقَّال)، يهوي الجسد المتعب ليستريح من وعثاء السفر، يستريح المقاتل الصلب بعد سنوات الجهاد، ويصعد إلى العلا والمجد يلتقي هناك بالنبيين والصديقين والشهداء بإذن الله.. هكذا يفوز المهندس في الدنيا والآخرة.

❑ سَقَطَ تَارِكًا أَمَانَةَ الدَّمِ:

لم تنم (غزة) ذلك المساء، فقد كان بانتظارها ليل آخر تسرب في خيوطه الأولى دم ترامى فوق يديها كالشظايا.. (دم يحيى عياش)، في البرهة التي يتكاثر فيها الزبد ويصبح المقاتلون فئة قليلة، في الوقت الذميم الذي تتربص فيه الحواجز والأسلاك الشائكة بالعيون الشاخصة إلى كل بقاع فلسطين، غاب (يحيى عياش)، واحترق نجم فلسطين، هوى على (جباليا) كعباءة منسوجة بورق الزيتون ووجهه مقبل على الصلاة كحدود الشهادة، (يحيى عياش) الرجل المعنى في زمن تساقطت فيه المعاني عن كثير من الرجال الطيف العصبي الذي لا يرى بسهولة.

(يحيى عياش) اليدان اللتان تتقنان صنع الحرائق لتشرق الشمس بلا كآبة، على الذرى الفلسطينية، العينان اللتان تصادقان الليل في البحث عن ممر إلى ثغور الغزاة، الكوفية التي تتشابه خيوطها مع ندوب الأرض المقدسة، كان يدرك كلما وصل (غزة) أن عليه أن يخفي ملامحه، والخفق الفلسطيني في قلبه وبيارات البرتقال في عينيه كي لا يكتشف أحد موقع الانفجار القادم فيما الغدر يتربص به ويكمن في الزوايا والأزقة وتحت أصغر الظلال.

الليلة وبعد أن تسرب دم (يحيى عياش) في هدوء الأمسية، سيصعد صوته من غموض الأشياء القاتمة في فلسطين مثل برج حجري لصوته الشهيد، أنا (يحيى عياش) المولود في حقل فلسطين على أزهاره دم لم أستطع تفسيره طفلًا، ولم أستطع احتماله رجلًا، فبحثت عن أسرار الانفجار، تعلمت كيف أمسح الدم عن المسجد الإبراهيمي بالحرائق.

ليس في فلسطين حجر أو زاوية أو جدار لا يستطيع أن يتهجأ اسمه، ليس هناك جدولًا ولا سنبلة أو شجرة لا تتشابه مع ملامحه، تتشابه مع الرجل الذي أخفى ملامحه لتتضح معالم البلاد.

دم (يحيى عياش) في (غزة) كان يركض في شوارعها كنهر بلا مستقر، كان يرفع صوته ذبيحًا، يحكي قصة المجاهد الأسطوري الذي صوب قلبه إلى الشمس في (قلب) (غزة) هاشم، ولم يتسع له الوقت ليطرق أبوابها واحدًا واحدًا كي يضع أمانة الدم في الدم، فكان أن ترك وصيته على الأرصفة حتى تصافح في الصباح وجوه تلاميذ المدارس وهم يذهبون إلى درس القراءة عن الوطن المحاصر بين الوثائق وسلاح الغزاة، استشهد (عياش) تاركًا أمانة الدم لنا وإشارة صريحة إلى جهة الخرق الإسرائيلي القادم.

وعلى حافتي الطريق يبقى المهرولون أصحاب الدنيا يبحثون عن مكان فوق الطين، فيما يستقبل المهندس الشهادة وهو يرفع الراية في زمن الصعود الصهيوني الأمريكي يبرز الخيار ناصع البياض، فعندما يسقط رأس (يحيى عياش) حينها (يحيى) غير قابل للرثاء ويستعصي على الكلمات، (يحيى) كان قابلًا للانفجار، قابلًا للاشتعال، وقلبه وسع كل فلسطين من بحرها إلى نهرها، فأي لغة يمكن أن تسعه؟!

إن دم (يحيى عياش) قد وضعنا على طرف الخيار، إما أن نغيب أو نُغلب أو نموت على مزاج الأوصياء، وذلك منطق الجنون، جنون السقوط طالما أننا نستطيع الموت على مزاجنا، وبينما يختار المهندس الشهادة والآخرة، يختار قاتله حفنة من الدولارات، ويلقيه الشاباك بعد ذلك جيفة تتسكع في ممرات (تل أبيب).

وما إن انتشر خبر استشهاد المهندس حتى ساد في أنحاء فلسطين خاصة والعالم الإسلامي عامة حالة من عدم الاستقرار، وخرجت الآلاف في شوارع قطاع (غزة) وفلسطين يهيمون على وجوههم بغير وعي، وأعلنت إسرائيل حالة الطوارئ، وأغلقت الضفة و(غزة) ونشرت قوات معززة، ولم تخف فرحتها العظمى بهذا الخبر، حيث صرح (يعقوب بيري) رئيس المخابرات السابق بالقول: «**موت عياش وضع حدًّا لأخطر وأعنف المحاربين الذين عرفناهم**». فيما صرح (موشيه شاحل) وزير الأمن الداخلي بالقول: «**بتنا نتنفس بشكل أفضل بعد إعلان موته**».

فيما سيطر على إسرائيل شبح العمليات الاستشهادية، وفي قرية (رافات) مسقط رأس الشهيد

الأسطورة توجه الآلاف إلى بيت (عياش)، فيما انهمرت الدموع من عيني والديه وأخويه، ويصرح والد المهندس أن استشهاد المهندس ليس النهاية، فيما عبر شقيقه عن مزيج من الفرحة والحزن، وأكد قائلًا: إن «**أخي كان بطلًا**».

وقد نعت «حماس» شهيدها العملاق عبر البيانات ومكبرات الصوت، وأعلنت الحداد الوطني لمدة ثلاثة أيام، وعقدت مؤتمرًا صحفيًّا قرب المنزل الذي صعدت فيه روح (يحيى)، بينما خرج الملثمون التابعون لحركة «حماس» في مختلف أنحاء الضفة الغربية و(غزة) ينعون المهندس الشهيد، وانطلقت مسيرات جماهيرية حاشدة في مختلف أرجاء فلسطين حيث انطلقت مسيرات جماهيرية حاشدة شاركت فيها كل القوى نعت الشهيد في رام اللَّه وطولكرم وجنين ونابلس وأريحا وقلقيلية وفي الخليل وبيت لحم، وعم الإضراب مدينة القدس.

وقد أدانت (السلطة الوطنية) اغتيال (المهندس)، وصدرت الأوامر من الرئيس (عرفات) بتشكيل لجنة تحقيق مشتركة، وتوجه لتقديم واجب العزاء لحركة «حماس» في موقع العزاء للمهندس، وقد أدانت كافة الشخصيات الفلسطينية في الضفة والقطاع ومناطق الـ(٤٨) جريمة الاغتيال خاصة أنها وقعت في ظل التحضيرات الكبيرة لإجراء أول انتخابات للسلطة الفلسطينية. فيما نقلت وكالات الأنباء تنديدات مختلفة من شتى بقاع العالم بحادث الاغتيال الذي أثَّر بشكل ملموس على الجو الهادئ في مناطق السلطة الفلسطينية خاصة بوجود توافق بين السلطة والمعارضة.

❑ السَّادِسُ مِنْ يَنَايِر ١٩٩٦م يَوْمٌ لَا مَثِيلَ لَهُ:

وفي اليوم التالي للرحيل كان الوداع الأخير لنجم فلسطين الأول، فكان يوم السبت السادس من يناير ١٩٩٦م لا مثيل له في تاريخ (غزة)، حيث احتشد ما يزيد عن الربع مليون من شباب قطاع (غزة) وبحضور والد ووالدة الشهيد وزوجه وولديه البراء ويحيى وأقيمت الصلاة على جثمان الشهيد في مسجد فلسطين، وانطلقت باتجاه مقبرة الشهداء، وسار الموكب أربع ساعات متواصلة، الجماهير التي انطلقت بحشودها المتراصة تؤكد أن عياش حس الجماهير وخيارها الأول، فانتخبته في استفتاء قاطع لكل الأوهام، ووقف علماء النفس يلوون شفاههم ما هذا؟ من أين جاء كل هؤلاء لتشييع المهندس، ويوم عرسه الرائع، الأعناق تدوس الأعناق، والرجال تلحق

زاحفة مسافات ومسافات لا تدري من يحملها فوق الأرض، والكل يبغي التمسح بالجسد ولا تواتيه الفرصة ليخضب أصابعه بقطرة من دم الشهيد يضعها على شفتيه فتفوح منها ريح المسك.

القتلة الذين ظنوا خطأً أن عبوة صغيرة في جهاز هاتف متنقل قد أنهت حالة (المهندس) في الشعب الفلسطيني، ولو قدر لصاحب الموساد أن يقف يوم السبت أثناء عرس الشهيد لأدراك أنه فرغ على التو من إعداد ما يزيد عن الربع مليون (مهندس).

ترى كم كان وسع خطوة (يحيى عياش) وهو يغدو بين جنبات الوطن ليتوارى عن أعين الغزاة؟ خطوته حين غادرنا كانت بالكيلومترات... خطوة يحيى عياش صارت بيتًا وسع الشعب كله حين سار في جنازة يحيى.

❑ كُلُّكُمْ يَحْيَى عَيَّاش:

وفي المقبرة اصطفت الآلاف لإلقاء النظرة الأخيرة على الجثمان المسجى، ويطبع آل الشهيد القبلة الأخيرة على جبينه الطاهر، فيما أطلقت كتائب القسام وقوى الأمن الفلسطيني واحد وعشرين طلقة تحية للشهيد، فيما أطلق ولده (البراء) رصاصات التواصل من مسدس في يده.

وتحدث والد الشهيد شاكرًا الجماهير المحتشدة قائلًا: «**كلكم يحيى عياش**»، وإثر مواراة جثمان (أبو البراء) الثرى أقامت (حركة المقاومة الإسلامية) مهرجان تأبين استهل بتلاوة القرآن الكريم، وألقت كافة القوى السياسية بيانات نعي وتنديد ومواساة.

وأقيم إثر ذلك عزاء ضخم للشهيد أمام (مسجد فلسطين)؛ حيث أمه الآلاف من جماهير القطاع والقوى السياسية المختلفة، وأذاعت كتائب القسام بيانات النعي، وأكدت تهديداتها بالثأر لدماء المهندس الغالية.

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من يناير ١٩٩٦م أقيم حفل تأبين ضخم على أرض ملعب اليرموك في وسط مدينة (غزة) ودعت فيه «حماس» وكتائبها شهيدها العزيز، وهتفت الجماهير للراحل الكبير.

ولم يكن بوسع كتائب القسام أن تترك هذا الامتهان الإسرائيلي دون رد، خاصة ودماء جوهرتها الثمينة تنزف على أرض (غزة)، فبعد خمسين يومًا بالضبط من استشهاد (المهندس)، وفي الخامس والعشرين من فبراير ١٩٩٦م بدأت سلسلة هجمات استشهادية في (القدس

والمجدل)، وبعد أسبوع في (القدس وتل أبيب) ليسقط في هذا الأسبوع الدامي ما يقرب من ستين قتيلًا إسرائيليًا، عدا عشرات الجرحى «عمليات الثأر بقيادة القسامي المعتقل حسن سلامة»، وبادرت إثرها قوات الاحتلال الإسرائيلي إلى هدم منزل المهندس وتشريد أهله من بيتهم في (رافات). وهكذا استراح (أبو البراء) في ثرى (غزة) الثائر بعد أن نفذ تلاميذه الدروس التي تلقوها على يديه بمهارة وإتقان فائقين.

(يحيى عياش) في لحظة الولادة كان السَّنْدِيان يشتد، وفي لحظة الشهادة كانت الولادة سنابل تتسلق عتبة الدار لتحاكي ذكرى طفل ترك وراءه حمام البيت ودفترًا فيه أمنيات تنام بهدوء ولا يجزعها المنام ليلًا، يجيء يحيى يفتح باب الدار فيهب النعناع وقلب أمه المطرز بالأقحوان.. لطفل كانت تهدهد له حمام الدار كي ينام .. يدخل وحقيبته الملونة يسندها إلى حائط حجري وينام في حضن أمه، فتعدد الهجرات في جبينه، لقد كبرت يا يحيى... أي لقد عددت الهجرات في كاهلي فوجدتها جنازات، يهرع يحيى إلى المخيم، يركض إلى بحر (غزة).. يلقى مركبه الورقي الصغير.. وينام على شاطئه ويتقلب على رماله، فتكبر الجروح في عينيه كأنها ألف عام.. يكبر (يحيى) ويكبر معه المخيم.. من طفل مشاكس إلى رجل قادم عبر الذكريات والطلقات التي اخترقت صدر المخيم لكنه لم ينحن.

❑ هَكَذَا خَرَجَ يَحْيَى مِنَ الْحَيَاةِ:

تستفيق فلسطين على انفجار، وتخرج البلاد من جرحك النازف قرى وجداول ماءً ونعناعًا، يستفيق الشهداء، يخرجون من جرحك قطرات دم سالت على الجبين الصلب المتغضن، والشهداء يضمدون جرحك النازف، ويدعون طيور الصباح المهاجرة لتتوسد الجسد المسجى بهدوء ملائكي كأنه يخبئ بين ضلوعه انفجارًا قادمًا.

وتخرج (غزة) لتودع (يحيى).. تخرج كل فلسطين لترى الشهيد الذي لم يمت.. تكبر البلاد بولادة (يحيى)... تزغرد أم لطفل قادم في وجهه ابتسامة، وفي يديه دفتر صغير ومركب ورقي، ويركض إلى بحر (غزة) يفتش عن حدوده ويتقلب على رماله ويكتب يحيى لم يمت ولكن شبه لهم.

هكذا يموت الأبطال.. أشجارًا أصلها ثابت وفرعها في السماء.. حبالًا تمر عليها ضربات

السنين، لا يموتون، ينتقلون من حياة إلى حياة، ومن دار إلى دار.. كما الطير يسرح في فضاء لا حدود له. هكذا خرج (يحيى) من الحياة، حياة العنف والكد، خرج بعد أن أدار لها ظهره، وبعد أن نظر إليها نظرة الاستخفاف والسخرية، ما أهونك على من خلقك.

هكذا خرج يحيى من الحياة، بعد أن أودع فيها بدلة الكاكي وقطعة السلاح ورغيف الخبز اليابس والبساط الملوث بالوحل والطين، والملجأ المظلم يحوي فرشة ولحافًا وموقدًا للنار، لم يعد (يحيى) بحاجة إليها فقد استنفذ وقته ورحل... هكذا خرج (يحيى) من الحياة.. بعد أن حفر بكلتا يديه طريقًا للرصاص الممتد من رفح حتى الجليل، ورسم ممرًّا للقنابل تعبر فوق الجسور وتحت الأنفاق، وبعد أن شق جدولًا للدماء يخترق سواحل (غزة) وجبال القدس وروابي الخليل وسهول يافا، حتى إذا بلغ المرج تدفق شلالات تتراقص على لحن بيوت اللاجئين وخيام الفقراء والأطفال الذين انتظروا على قمم الجبال؛ لأنه وعدهم أن يمر ويسلم عليهم.

هكذا خرج يحيى من الحياة، بعد أن عَلَّمَ الأطفال الذين لم يجيدوا نطق الحروف الأبجدية بَعْدُ أن روضة الاستشهاديين ستكون فيها أرجوحتهم ولعبهم ولهوهم.

وهكذا علمهم نطق الألف والباء في حرية الدم وحلاوة المراغمة، ورسم على وجوههم صورة لا تكاد تمحى، إنكم يا صغاري: الأبطال وحدكم، وغيركم: الجبناء أنتم الفرسان تمتطون صهوات المرحلة وغيركم تأبطوا ملفات السياسية المارقة المليئة بأخطاء اللغويات.

هكذا خرج بطلًا في وقت عزَّ فيه الأبطال، وفارسًا في وقت تنادى فيه المتساقطون على وليمة الوطن، ورمزًا في وقت سقطت فيه الشعارات الممجوجة (المقرفة).

❑ مَا أَجْمَلَكَ وَأَنْتَ تَدْخُلُ بَوَّابَةَ الْقَبْرِ!

أهي الحقيقة يا (يحيى)، لن نراك بعد الآن؟ واهًا يا أمة العرب؟ ألن ترقص النساء في مخيم رافات على صوت أقدامك وأنت تهدر في أرضك (المسلوبة) في العفولة والخضيرة وتل الربيع؟ ألن تلقى أباك صاحب العقال لتهمس في أذنيه خلي بالك من براء؟!

(يحيى).. يا أبا البراء لم تمل من المطاردة، ولا حفيت أقدامك من الشوك، ولا ارتجفت مفاصلك من لذع البرد وحرقة الشمس، كنت أعلم أنك تطارد، تجري وراء جيش بأكمله تحاربه وحدك، ويجري وراءك جيوش من السفلة وشذاذ الآفاق، من يهود البقرة، وعرب النفاق الذين

رُبُّوا على النفاق. أخيرًا اصطادوك، أغبياء هم وما أتعسهم، لقد اغتالوا فيك الجسد، لكننا - وقت السقوط - كنا عند رأسك ننتظر روحك نلفها بالحرير والطيب والحناء، وقت السقوط رحلت إلى عليين بإذن الله، لم تشأ إرادة اللَّه أن تطال الأيدي الآثمة والأرجل النجسة منك، يا طهر البحر وطيب السماء.

(يحيى)... ما أجملك وأنت تدخل بوابة القبر وقد اصطفت ملائكة السماء صفوفًا صفوفًا تنثر عليك الرياحين وتغمرك بالطيب، ثم ها هو (عماد عقل) يقف من بعيد ينتظر إلى أن يصل إليه الدور ليطوقك بكلتا يديه الصغيرتين، لم يتغير فيه شيء.

يقبلك من جبينك ووجنتيك، ثم صف الشهداء من الكتائب، يدعونك الآن حتى تستريح من عناء المطاردة، يدعونك تستريح من وعثاء السفر. كانت رحلتك طويلة، آن لهذا الفارس أن يمد قدميه ويلصق ظهره بالأرض ويغمض عينيه وينام.

❑ **لِلَّهِ دَرُّكَ يَا يَحْيَى، مَا أَطْيَبَ كَلِمَاتِكَ[١]:**

قال - رحمه اللَّه -: «**مستحيل أن أغادر فلسطين، فقد نذرت نفسي لله ثم لهذا الدين؛ إما نصر أو استشهاد. إن الحرب ضد الكيان الصهيوني يجب أن تستمر إلى أن يخرج اليهود من كل أرض فلسطين**».

* «**بإمكان اليهود اقتلاع جسدي من فلسطين، غير أنني أريد أن أزرع في الشعب شيئًا لا يستطيعون اقتلاعه**».

* «**لا تنزعجوا، فلست وحدي مهندس التفجيرات، فهناك عدد كبير قد أصبح كذلك، وسيقضون مضاجع اليهود وأعوانهم بعون الله**».

* «**بالنسبة للمبلغ الذي أرسلتموه، فهل هو أجر لما أقوم به؟ إن أجري إلا على اللَّه وأسأله أن يتقبل منا. وأهلي ليسوا بحاجة، وأسأل اللَّه وحده أن يكفيهم وأن لا يجعلهم يحتاجون أحدًا من خلقه. ولتعلموا بأن هدفي ليس ماديًّا، ولو كان كذلك لما اخترت هذا الطريق. فلا تهتموا بي كثيرًا، واهتموا بأسر الشهداء والمعتقلين، فهم أولى مني ومن أهلي**».

---

(١) من كتاب: «فضائل الشهيد يحيى عياش» ص١٤٣. لمخلص يحيى برزق.

* «لا شك بأن العائلة تعاني، ولكن هذا ابتلاء من اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ وهو القائل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، أسأل اللَّه أن يكتبنا في الصابرين».

«إنهم ـ أي السلطة ـ يحاولون بكل جدية اعتقالي أو قتلي، فهم بالنسبة لي لا يختلفون عن اليهود سوى أننا لا نحاربهم؛ لأننا نعتبرهم من بني جلدتنا وهم يحاربوننا بالنيابة عن اليهود».

❑ وَنَخْتِمُ بِمَا قَالَ عَنِ الْيَهُودِ:

«لسه الحبل على الجرار، والله، إن شاء الله، ما أخليهم يناموا الليل ولا يعرفوا الأرض من السماء».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «على الكريم أن يختار الميتة التي يجب أن يلقى اللَّه بها، فنهاية الإنسان لا بد أن تأتي ما دام قدر اللَّه قد نفذ».

❑ مَلْحَمَةُ عَيَّاش:

لله در الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي ـ رحمه اللَّه ـ وهو يقول عن عياش:

عَيَّاشُ حَيٌّ لَا تَقُلْ عَيَّاشُ مَاتْ ... أَوْ هَلْ يَجِفُّ النِّيلُ أَوْ نَهْرُ الْفُرَاتْ
عَيَّاشُ شَمْسٌ وَالشُّمُوسُ قَلِيلَةٌ ... بِشُرُوقِهَا تَهْدِي الْحَيَاةَ إِلَى الْحَيَاةْ
عَيَّاشُ يَحْيَا فِي الْقُلُوبِ مُجَدِّدًا ... فِيهَا دِمَاءَ الثَّأْرِ تَعْصِفُ بِالطُّغَاةْ
عَيَّاشُ مَلْحَمَةٌ سَتَذْكُرُ نَظْمَهَا ... أَجْيَالُ أُمَّتِنَا كَأَغْلَى الذِّكْرَيَاتْ
عَيَّاشُ مَدْرَسَةٌ تَشِعُّ حَضَارَةً ... عَيَّاشُ جَامِعَةُ الْبُطُولَةِ وَالثَّبَاتْ
يَا سَعْدَ أُمٍّ أَرْضَعَتْكَ لَبَانَهَا ... فَغَدَتْ بِيَحْيَى شَامَةً فِي الْأُمَّهَاتْ
الْيَوْمَ يَا يَحْيَى سَتَنْهَضُ أُمَّةٌ ... وَتَثُورُ تَنْفُضُ عَنْ كَوَاهِلِهَا السُّبَاتْ
وَنُعِيدُ مَاضِينَا وَيَهْتِفُ جُنْدُنَا ... النَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ بِالْقَسَّامِ آتْ
فَتَصِيحَ مِنْ دِفْءِ اللِّقَاءِ دِيَارُنَا ... عَادَ الْمُهَاجِرُ مِنْ دَيَاجِيرِ الشَّتَاتْ
عَبَّدْتَ دَرْبًا لِلشَّهَادَةِ وَاسِعًا ... وَرَسَمْتَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ لَهُ سِمَاتْ
وَغَرَسْتَ أَجْسَادَ الرِّجَالِ قَنَابِلًا ... وَكَتَبْتَ مِنْ دَمِكَ الرَّعِيفِ لَنَا عِظَاتْ

فَغَدَتْ جُمُوعُ الْبَغْيِ تَغْرَقُ كُلَّمَا ... دَوَّى بَيَانٌ: مِنْ هُنَا عَيَّاشُ فَاتْ
وَارْتَدَّ بَأْسُهُمْ شَدِيدًا بَيْنَهُمْ ... وَتَفَرَّقُوا بَيْنَ الْحَمَائِمِ وَالْغُلَاةْ
هَذِي الْأُلُوفُ أَبَا الْبَرَاءِ تَعَاهَدَتْ ... أَنْ لَا نَحُوْنَا إِنْ نَجَتْ عُصْبُ الْجُنَاةْ
وَتَآلَفَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَكُلُّهَا ... يَحْيَى فَوَيْلٌ لِلصَّهَايِنَةِ الْغُزَاةْ
يَا ذَا الْمُسَجَّى فِي التُّرَابِ رُفَاتُهُ ... مَنْ لِي بِمِثْلِكَ صَانِعًا لِلْمُعْجِزَاتْ؟
أَنْعِمْ بِقَبْرٍ قَدْ تَعَطَّرَ جَوْفُهُ ... إِذْ ضَمَّ فِي أَحْشَائِهِ ذَاكَ الرُّفَاتْ
آنَ الْأَوَانُ أَبَا الْبَرَاءِ لِرَاحَةٍ ... فِي صُحْبَةِ الْمُخْتَارِ وَالْغُرِّ الدُّعَاةْ
أَبْشِرْ فَإِنَّ جِهَادَنَا مُتَوَاصِلٌ ... إِنْ غَابَ مِقْدَامٌ سَتُخْلِفُهُ مِئَاتْ

* * *

عَاشِقُ الْأَقْصَى الْمُجَاهِدُ الْبَطَلُ الْقَائِدُ مَحْمُود أَبُو هَنُّود «شُولِي»

❑ حَيَاتُهُ وَمُطَارَدَتُهُ:

ولد شهيدنا المجاهد بتاريخ ١٩٦٧/٧/١م، كانت مواصفاته الشخصية: طويل، عريض، عيون خضر، الوجه بيضوي، أبيض البشرة.

أكمل أبو هَنُّود دراسته الثانوية في القرية «**عصيرة الشمالية**»، والتحق في العام ١٩٩٥م بكلية الدعوة وأصول الدين بالقدس المحتلة حيث حصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية.

ومع انطلاق الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧م سارع «**أبو هَنُّود**» للمشاركة في فعالياتها، وأصيب في العام ١٩٨٨م بجراح خطيرة جرَّاء طلق ناري خلال مواجهة مع جنود الاحتلال، وتم اعتقاله لاحقًا لعدة شهور في سجن مجدو، وبعد إطلاق سراحه أصبح أبو هَنُّود عضوًا ناشطًا في حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» في منطقة نابلس في شهر كانون أول عام ١٩٩٢م كان هو

وخمسة آخرين من بلدته «**عصيرة الشمالية**» من بين ٤٠٠ عضو في حركة «**حماس**» والجهاد الإسلامي أبعدوا إلى جنوب لبنان.

❑ نَشَاطُهُ الْعَسْكَرِيُّ:

ولم تكن عملية الإبعاد كافية لثني «**أبو هَنُّود**» عن نشاطاته في الحركة الإسلامية، بل إنه انخرط بعد الإبعاد في النشاط العسكري، وأصبح أحد أعضاء الجهاز العسكري (كتائب الشهيد عِز الدين القسام) البارزين، وإثر استشهاد محي الدين الشريف المطلوب رقم واحد لأجهزة الأمن الإسرائيلية والفلسطينية على حد سواء، حل مكانه «**أبو هَنُّود**» ليصبح على رأس المطلوبين لقوات الاحتلال الإسرائيلي.

وزادت أهمية المطارد «**أبو هَنُّود**» في عام ١٩٩٦م عندما اعتقل إلى جانب نشيطي حماس الآخرين في حملة شنتها أجهزة الأمن الفلسطينية في ذلك الوقت إلا أن «**أبو هَنُّود**» أطلق سراحه، وقيل: إنه فر من السجن في شهر أيار ٩٦.

وبدأت الصحف الإسرائيلية تنشر تقاريرًا خاصة عن «**أبو هَنُّود**»، وأشارت مجلة جيروزلم بوست الإسرائيلية قبل عامين أن على إسرائيل مهمة ملحة جدًّا وهي القبض عليه.

❑ مُحَاوَلَاتُ الِاغْتِيَالِ ثُمَّ الشَّهَادَةُ:

بعد أن وضعت إسرائيل «**أبو هَنُّود**» على رأس المطلوبين لها، بدأت بالعمل الفعلي للتخلص منه، حيث تعرض لمحاولة اغتيال في ٢٦/ ٨/ ٢٠٠٠م، ولكنه أصيب بجراح وتمكن من الفرار بعد أن أجهز على أكثر من ثلاثة من جنود الوحدات الخاصة الإسرائيلية، وأصاب العديد منهم بجراح مختلفة، مما ساهم في زيادة الحنق الإسرائيلي عليه، والسعي أكثر للقضاء على «**أبو هَنُّود**» الذي مرغ أنوف جنود الاحتلال في الوحل.

وكانت المحاولة الثانية للقضاء على «**أبو هَنُّود**» في ٢٠/٥/ ٢٠٠١م، بعدما قصفت طائرات «**إف ١٦**» الإسرائيلية لأول مرة السجن المركزي لمدينة نابلس، حيث تحتجز السلطة الفلسطينية المجاهد «**محمود أبو هَنُّود**» قائد الجناح العسكري لكتائب القسام في الضفة الغربية، وللمرة الثانية يخرج «**أبو هَنُّود**» حيًّا من تحت الأنقاض، وهو لا يزال يمسك بيديه مصحفًا كان يقرأ فيه لحظة

القصف.

هاتان المحاولتان الفاشلتان لم تثنيا قوات الأمن الإسرائيلية عن الجد في طلب القائد العسكري في حماس، وكانت المحاولة الثالثة، والتي استشهد فيها المجاهد (أبو الهَنُّود)، حيث أقدمت طائرات أباتشي الإسرائيلية مساء أمس الجمعة على قصف سيارته بخمسة صواريخ أدت إلى استشهاده هو واثنين من رفاقه.

❑ **لَوْحَةُ شَرَفٍ:**

ويتهم الشهيد «**محمود أبو هَنُّود**» بالوقوف وراء تجنيد الاستشهاديين الخمسة الذين فجروا أنفسهم عام ١٩٩٧م، وتبين أن معظمهم جاء من قرية «**عصيرة الشمالية**» شمال نابلس الخاضعة للسيطرة الأمنية الإسرائيلية، وتشير مصادر أمنية إسرائيلية إلى أن «**أبو هَنُّود**» تمكن من الاختفاء والمراوغة مستغلًّا عيونه الزرقاء وجسمه الأشقر.

❑ **ومن بين العمليات التي تنسب المسئولية عنها إلى خلية «أبو هَنُّود»:**

● تشرين ثاني ١٩٩٥م:	إطلاق نار باتجاه سيارة أحد حاخامات المستوطنين المتطرفين قرب مستوطنة «**كوخاف يعقوب**» مما أدى لإصابة الحاخام بجروح.
● كانون الأول ١٩٩٥م:	إطلاق نار باتجاه سيارة عسكرية إسرائيلية قرب وادي الباذان «**شرق نابلس**» من دون وقوع إصابات.
● آيار ١٩٩٦م:	إطلاق نار على حافلة مستوطنين في مستوطنة بيت إيل مما أسفر عن مقتل مستوطن وإصابة ٣ آخرين بجروح.
● آيار ١٩٩٦م:	إطلاق نار على سيارة عسكرية لقوات الاحتلال في جبل عيبال قرب نابلس مما أدى إلى إصابة ضابط صهيوني بجروح طفيفة.
● آيار ١٩٩٧م:	إطلاق نار على سيارة صهيونية قرب مستوطنة «**الون موريه**» بدون وقوع إصابات.
● تموز ١٩٩٧م:	تفجير عبوة ناسفة «**جانبية**» ضد سيارة جيب تابعة لقوات حرس الحدود الصهيونية على الطريق المؤدي لـ «**مسجد النبي يوسف**» في مدينة نابلس، أسفرت عن إصابة جنديين صهاينة بجروح.

● تموز ١٩٩٧م:	عملية تفجير استشهادية مزدوجة في سوق «**محانيه يهودا**» في القدس الغربية أسفرت عن مقتل ١٦ صهيونيًا وإصابة ١٦٩ آخرين بجروح مختلفة.
● أيلول ١٩٩٧م:	تنفيذ عملية تفجير استشهادية «**مزدوجة**» في شارع بن يهودا أسفرت عن مقتل ٥ صهاينة وإصابة أكثر من ١٢٠ بجروح.
	عملية استشهادية في المركز التجاري الرئيسي وسط القدس الغربية أسفرت العملية عن مقتل خمسة صهاينة وجرح حوالي ١٦٩ آخرين.
● تشرين الثاني ١٩٩٧م	محاولة فاشلة لاختطاف جندي صهيوني.

❑ وَصِيَّةُ مَحْمُود أَبُو هَنُّود:

هذه وصية قائد كتائب عِز الدين القسام الشهيد محمود أبو هَنُّود، كتب وقد أيقنت يوم كتابتي بأن يديَّ تفنى ويبقى كتابها، فإن عملت خيرًا ستجزى بمثله وإن عملت شرًّا عليها حسابها وصيتي للناس عامة وللحركة الإسلامية خاصة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللَّه
وعلى آله وصحبه الخيِّرين ومن تبعهم وسار على دربهم
من المسلمين والمجاهدين بإحسان إلى يوم الدين،

● وبعد:

أيها المسلمون، يا أبناء شعبي الفلسطيني المجاهد الصابر..

يا أبناء مدينتي نابلس جبل النار ومصنع الثوار ومسقط الشهداء.

يا أبناء قريتي الحبيبة «عصيرة الشمالية»، عصيرة الثوار والشهداء، عصيرة القسام، عصيرة معاوية وتوفيق ويوسف وبشار، عصيرة علي سوالمة ومصطفى رواجبه وعوني صوالحة وكل الشهداء والجرحى والأسرى... إليكم جميعًا أوجه تحياتي، وإليكم أشواقي، ومن أجلكم جل

دعواتي، ومن أجلك يا فلسطين تطيب التضحيات، ومن أجلك يا قدس تستلذ الآلام، ولعيونك يا أقصى ترخص النفوس والأرواح.

يا أبناء شعبي الحبيب، الثباتَ الثباتَ، والصبرَ الصبرَ، مزيدًا من التضحيات، مزيدًا من الالتفاف حول راية الجهاد، فمن طلب الحسناء لم يغله المهر، فأرضكم ومقدساتكم وأعراضكم لن يحميها ولم يذبَّ عنها هجوم الأعادي إلا عزائم وهمم أبنائها وفتياتها النشاما الذين شمروا عن سواعدهم ووهبوا أرواحهم رخيصة في سبيل عزة وكرامة ورفعة أمتهم ودينهم وشعبهم.

الحمد لله الذي أكرمني وتفضل عليَّ بأن اختارني بأن أكون في صفوف خير الناس في صفوف المجاهدين، فالحمد لله ربي على نعمك وكرمك بأن جعلتني مجاهدًا في سبيلك، وأسألك يا ربي موتةً في سبيلك تشفي بها صدور المسلمين وتغيظ بها قلوب الكافرين وتسيء بها وجوه المنافقين والمتخاذلين.

إخواني المسلمين، أوصيكم بتقوى الله، أوصيكم بالعودة إلى اللَّه ونهج نبيه وسيرة صحبه المجاهدين الصالحين، أوصيكم بالوحدة تحت راية الدين القويم والاعتصام بحبل اللَّه المتين تستمدون من اللَّه المعين والنصرة، وتلوذون بحماه، وتلجئون إليه إذا ما داهمتكم الخطوب، صلوا وصوموا، واعملوا بأوامر ربكم، وقفوا عند نواهيه، واعملوا على تنشئة أولادكم وذراريكم على الإسلام، وربوهم على القرآن وحب الرسول وعشق الجهاد، أبعدوهم عن كل أسباب الخنا والتعلق بالدنيا، علموهم التمرد على الذل ورفض الواقع السيئ، اخفضوا الجناح لبعضكم البعض، وأحبوا إخوانكم، وتعاونوا على البر والتقوى، وراقبوا أبناءكم واحموهم من كيد العملاء لهم، واحذروا إسقاطهم في مستنقعات الرذيلة والعمالة، طلقوا الدنيا وحبها الذي يورث الجبن.

إياكم واليأس والقنوط من رحمة اللَّه ونصره، ولا تستمتعوا لصوت الجبناء والمتخاذلين والذين يخونوكم ويهددونكم بقوة أمريكا وأوروبا، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

أيها المسلمون، اعلموا أن ما أصاب أمتنا وشعبنا ما كان سببه إلا بعدنا عن منهج ربنا وهدي نبينا ولهثنا وراء الغرب تارة ووراء الشرق تارة أخرى، فما أورثنا ذلك وما زادنا إلا ذلًّا واستعبادًا وفتكًا وفرقةً.

أما أنتم يا أبناء الحركة الإسلامية، يا من اصطفاكم الله من بين خلقه ليحقق بكم قدره، وليجري أسبابه فيعيد على أيديكم قوة دينه، ويعلي رايته ويحقق بكم وعيده بإساءة وجوه بني إسرائيل، فمزيدًا من الرباط والثبات عل نهجه، يا أبناء الحركة الإسلامية تقدموا الصفوف، واحملوا الرايات؛ رايات الجهاد والدفاع عن حياض الدين والوطن، لا تتخاذلوا، ولا تتولوا فيستبدل الله بكم خيرًا منكم.

وإليكم يا خيرة الخير في أرض الله، يا من ترفعون راية الجهاد، ويا من تقدمون التضحيات إلى قادتي وإخواني وأحبتي في كتائب القسام، شرفت بالعمل معكم، عشنا الأيام معًا بحلوها ومرها، أخلصوا النيات لله، وداوموا العمل من أجل دينكم ووطنكم، لا تجعلوا العدو يرتاح في كل موقع على أرض فلسطين، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾

استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

والسلام عليكم ورحمة الله

أخوكم الفقير إلى عفو الله ورحمته

أخـوكم المـحب

محمود بن محمد أبو هَنُّود

كتائب عِز الدين القسام

٢٠٠١/٨/٢٩م

بَيَانٌ صَادِرٌ عَنْ حَرَكَةِ الْمُقَاوَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (حَمَاس)

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

دماء الشهيد القائد «**أبو هَنُّود**» تقول: المقاومة خيارنا...

شعبنا الفلسطيني البطل.. نجم هوى من سماء فلسطين، لكن شظاياه ستحرق قلب صهيون، فبعده من يوقف البحر المدجج باللهب، من يرد أبطالًا علاها الغضب، من يوقف الثأر المخضب

بالدماء ويرد آسادًا إذا ما تلتهب، فكتائب القسّام شمس الضحى بلهيبها يغدو اليهود كما الحطب..

فلئن كان الشهيد القائد محمود أبو هَنُّود الفارس الذي أقض مضاجع الاحتلال وجنوده ومستوطنيه في كل فلسطين فإن تلاميذه قد تعلموا منه كل فنون القتال وتخرجوا من مدرسته بامتياز، وهم يدركون أنه قد جاء دورهم ليلقنوا الصهاينة دروسًا لن ينسوها حتى يعلموا أنه إن سقط منا فارس قام من وراءه فرسان، فشعبنا لا تلين له قناة، ولا تتزعزع له همة، فنحن قدر اللّه الذي سيقذف الرعب في قلوبهم دونما وجل أو تراجع أو وهن.. ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

شعبنا الفلسطيني المصابر.. إن الجريمة النكراء التي أقدم عليها قادة الإرهاب الصهاينة في اغتيال قائد كتائب الشهيد عِز الدين القسام المجاهد البطل الشهيد محمود أبو هَنُّود وإخوانه الأبطال أيمن ومأمون حشايكة لن تمر دون عقاب، وسوف يندمون ـ بإذن اللّه ـ تَعَالَى ـ على الساعة التي أقدموا فيها على اغتيال هؤلاء الأبطال، فلقد بلغ السيل الزبى، وتمادى هذا العدو المتغطرس في إجرامه محتميًا بعباءة المجتمع الدولي، ومعتمدًا على حالة الضعف العربي ومختبئًا وراء ورقة التوت التي تسمى وقف إطلاق النار، التي لم تستر عورة أحد، فهو يرتكب المجزرة تلو المجزرة بحق أبطالنا وأطفالنا وشيوخنا ونسائنا. الأمر الذي يحتم على شعبنا أن لا يلتفت إلى الوعود الكاذبة، التي يطلقها الراعي الأكبر للإرهاب، وأن لا يستمع لدعوات التهدئة المشبوهة التي تنطلق من دول الاستكبار، هذه الدول التي تنشط أيما نشاط إذا ما نال مجاهدونا من العدو الصهيوني، وترفع صوتها عاليًا بالاستنكار وإلقاء تهمة الإرهاب على شعبنا وانتفاضتنا لكنها تخرس تمامًا وهي تشاهد أشلاء أطفالنا ممزقة قبل أن يصلوا إلى مدارسهم..

شعبنا الفلسطيني المجاهد.. إننا في حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**»، ونحن نزف بكل الفخر والاعتزاز والإجلال والإكبار الشهيد القائد محمود أبو هَنُّود وإخوانه في عرس الشهادة التي طالما انتظروها بعد أن دوخ هو وإخوانه الأبطال الاحتلال وجنوده الجبناء وأفشل اللّه ﷻ مؤامراتهم في اغتياله من قبل، لنعاهد اللّه ـ تَعَالَى ـ أن تبقى الأوفياء لدماء الشهيد ولجميع شهداء شعبنا، الأوفياء

لحقنا في المقاومة حتى إنهاء الاحتلال وطرده من أرضنا مسترخصين في سبيل ذلك أرواحنا ودماءنا. وإنه لجهاد نصر أو استشهاد. والله أكبر ولله الحمد.

حركة المقاومة الإسلامية (حماس)

نابلس ـ فلسطين

٢٠٠١/١١/٢٤م

* * *

قَالُوا عَنِ الْبَطَلِ

❑ **الشهيد المجاهد القائد/ محمد أبو الهنود:**

● **أحد أفراد الشرطة الفلسطينية:** ... قُصف السجن واستمر «**أبو هَنُّود**» في صلاته، وامتلأت الغرفة بالغبار ولم يعد أحد منا يرى الآخر.. صرخت فلم يرد عليَّ، ولكن بعد أن انتهى من صلاته أخذ يبحث عني حتى وجدنا بعضنا البعض، وتمكنا من مساعدة الآخرين بالخروج بسلام.

❑ **مَعْرَكَةُ الْبُطُولَةِ وَالْفِدَاءِ:**

معركة بطولية مشرفة خاضها المجاهد محمود أبو هَنُّود أحد قادة كتائب الشهيد عِز الدين القسام في «**عصيرة الشمالية**» الباسلة ـ قضاء نابلس، ضد وحدة خاصة إرهابية تتكون من مئات من جنود العدو الصهيوني معززة بخمس طائرات مروحية وآليات عسكرية، استطاع خلالها ـ بحمد الله وفضله ـ إيقاع ثلاثة قتلى في صفوف جنود العدو إضافة إلى تسعة جرحى أحدهم جراحه خطيرة..

● **قال الأستاذ عبدالخالق النتشة ممثل «حماس» في محافظة الخليل حيث جمعته المحنة معه في مخيم مرج الزهور في جنوب لبنان عام ١٩٩٢، قال:** لقد كان «**أبو هَنُّود**» ـ رحمه الله ـ جنديًّا مجهولًا... لا يحب الظهور هادئ الطبع وصاحب خلق وأدب جم، وكان نعم الشاب الملتزم بدعوته الغيور على دينه كل من عرفه أحبه مجرد ما رآه، ولقد كان تاليًا للقرآن محافظًا عليه، ثم أصبح مجاهدًا باع روحه وهي أغلى ما يملكه المرء دفاعًا عن دينه ووطنه المسلوب.

* * *

بيان صادر عن حماس

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ⑱﴾.

معركة بطولية يخوضها المجاهد محمود أبو هَنُّود ضد قوات الاحتلال الصهيوني.

● **شعبنا الفلسطيني.. أمتنا العربية والإسلامية:**

معركة بطولية مشرفة خاضها المجاهد محمود أبو هَنُّود أحد قادة كتائب الشهيد عِز الدين القسام في «**عصيرة الشمالية**» الباسلة ـ قضاء نابلس، ضد وحدة خاصة إرهابية تتكون من مئات من جنود العدو الصهيوني معززة بخمس طائرات وآليات عسكرية، استطاع خلالها ـ بحمد الله وفضله ـ إيقاع ثلاثة قتلى في صفوف جنود العدو إضافة إلى تسعة جرحى أحدهم جراحه خطيرة..

وقد بدأت التحركات المشبوهة لجيش الاحتلال الساعة ٩,٥٠ دقيقة ليلًا من مساء أمس السبت على بعد أمتار من إسكان «**أبو هنُّود**» الذي يملكه شقيق المطلوب المجاهد محمود أبو هَنُّود، ويوجد قربه منزل أحد أقربائه المواطن نضال دغلس ياسين، توقعت سلطات الاحتلال أن يكون المجاهد «**أبو هنُّود**» موجودًا بداخله، وقد احتل جنود العدو وقناصتهم المنازل المجاورة وتموضعوا في أماكن حساسة فيها، واعتلوا أسطحها؛ ليتمكنوا من إحكام حصارهم.

وأثناء هذا الحصار والحشود كان المجاهد «**أبو هنُّود**» في محيط المنزل ولم يكن بداخله، حيث باغت العدو بفتح نيران سلاحه باتجاه جنوده المذعورين.

وأصابت قوات الاحتلال صاحب المنزل المواطن نضال دغلس بإصابات في الصدر والقدمين، ولم يتمكن من الخروج من المنزل بسبب جراحه البالغة، وبعد ساعتين اقتحم جنود العدو المنزل وأخرجوه وقاموا بجره على الأرض مسافة أكثر من ٥٠ مترًا، وبدءوا بتعذيبه والعبث بجراحه لإجباره على الإدلاء بمعلومات عن المجاهد «**أبو هنُّود**».

وتحول ليل «**عصيرة الشمالية**» إلى نهار لكثرة القنابل المضيئة التي أطلقت في سمائها التي

شاهدها كل من في محيط نابلس، واستمر إطلاق النار والاشتباكات حتى ساعة متأخرة من الليل.

وفي أثناء هذا الحصار العسكري والمواجهات بين المجاهد «**أبو هَنُّود**» وجنود العدو تعالت النداءات والتهليل والتكبير من مآذن المساجد ودعوة الأهالي لكسر حالة منع التجول - التي حاول العدو فرضها - وإسناد المجاهد «**أبو هَنُّود**» ومحاولة فك الحصار عنه، وقد هب أبناء شعبنا نساءً ورجالًا.. صغارًا وكبارًا.. شيوخًا وشبابًا وأطفالًا، واشتبكوا مع جنود العدو، الأمر الذي أدى إلى إرباك العدو.

وقد قام جنود العدو باعتقال خمسة مواطنين بينهم إمام المسجد الشيخ (ضرار حمادنة) ٣٩ عامًا أحد مبعدي مرج الزهور، والجريح نضال دغلس، وأحمد خليل، وشاهر وطاهر وتيسير عبدالله عودة.

وفي هذه الأثناء تمكن المجاهد محمود أبو هَنُّود من الإفلات من طوق جيش الاحتلال بفضل الله والوصول إلى نابلس رغم إصاباته في كتفه وذراعه وظهره وملاحقة قوات العدو وطائراته له، وفي نابلس جرى اعتقاله من قبل أجهزة أمن السلطة الفلسطينية، ولا يزال في حوزتها.

وكان جهاز الأمن الوقائي التابع للسلطة الفلسطينية قد كثف جهوده في الأشهر الأخيرة للبحث عن المجاهد «**أبو هَنُّود**» واعتقال كل من يعتقد أن له صلةً به، والضغط عليهم للإدلاء بأية معلومات يمكن أن تفيد في الوصول إليه.

شعبنا الفلسطيني .. أمتنا العربية والإسلامية:

إننا في حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» وفي أجواء هذه المعركة البطولية غير المتكافئة والتي نالت من جنود العدو ومعنوياته، نؤكد على ما يلي:

إن فشل أكثر من ثلاث مئة جندي صهيوني مدججين بأسلحتهم الآلية وطائراتهم المروحية والاستكشافية وأجهزة الرؤية الليلية وعتادهم العسكري الضخم في اعتقال المجاهد البطل المغوار محمود أبو هَنُّود، وتكبد هذه القوات لثلاثة قتلى والعديد من الجرحى، يؤكد هشاشة ما يسمى بـ«**أسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر**» وأن خيار المقاومة لا يزال قادرًا على إيقاع أفدح الخسائر في صفوف هذا الجيش والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني المستباحة.

إن المنازلة العسكرية التي جرت في «**عصيرة الشمالية**» والتي صمد فيها بطل من أبطال كتائب عِز الدين القسام تعزِّز القناعة لدينا ولدى أبناء شعبنا أن إرادة التصدي للاحتلال عندما تقترن بالإيمان الذي لا يتزعزع بعقيدتنا وثوابتنا قادر بإذن اللَّه ـ تَعَالَى ـ أن يلحق بالاحتلال الصهيوني وأن يدفعه للانسحاب من أراضينا المحتلة، وهو الدرس الذي ينبغي استيعابه جيدًا في هذه المرحلة الحساسة من عمر قضيتنا في ضوء التجربة الناجحة للمقاومة الباسلة في لبنان، خاصة بعد عجز وفشل خيار التسوية في استعادة حقوقنا وأرضنا من العدو، علاوة على ما صاحب التسوية من شروط مذلة ومهينة عبرت عنها نتائج قمة كامب ديفيد الأخيرة.

إن ما جرى من عدوان همجي بربري من قوات الاحتلال ضد بلدة «**عصيرة الشمالية**» أثناء اقتحامها وحصارها ومنع أهاليها من التحرك وهدم أحد البيوت فيها وترك الأخ الجريح الذي تم اعتقاله لأكثر من ساعة دون علاج وغيرها من الممارسات يؤكد من جديد أن الإرهاب والعدوان الصهيوني لا يزال يعبر عن وحشيته ضد شعبنا حتى في ظل ما يسمى بـ«**مسيرة السلام**».

إن تفاعل أبناء شعبنا في كل أماكن تواجدهم في الداخل والشتات وعلى الأخص أهالي «**عصيرة الشمالية**» مع المنازلة العسكرية المشرفة التي جرت هناك يشير إلى أن بوصلة شعبنا البطل لا زالت تشير بوضوح إلى خيار المقاومة والتفافه حولها، ولا تتردد في دعمه بكل الوسائل التي تتاح لها على الرغم من كل أشكال التعتيم والتزييف لإرادة هذا الشعب لخدمة برنامج التسوية الهزيل، ولذلك فإننا ندعو إلى دعم خيار المقاومة على المستوى الرسمي وإطلاق يد الشعوب العربية لدعم هذا الخيار وتكريسه لكي ينجح في دحر الاحتلال عن أرضنا.

إننا في الوقت الذي نوجه فيه التحية لأبناء شعبنا ونخص بها أهالي «**عصيرة**» الفداء والصمود، فإننا نحمل السلطة الفلسطينية مسئولية استمرار اعتقال المجاهد محمود أبو هَنُّود وندعوها وبكل قوة وإصرار لإطلاق سراحه وكل إخوانه المجاهدين والتوقف عن تعطيل وعرقلة برنامج المقاومة لصالح العدو، مؤكدين أن استمرار سياسة الاعتقال بحقه وحق إخوانه المجاهدين إنما هو جريمة وطنية لا تغتفر، ويشكل تحديًا لإرادة شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية والإسلامية، التي هي بأمس الحاجة لهؤلاء الأبطال لقيادة الجهاد والمقاومة دفاعًا عن الأقصى والقدس وفلسطين، كما نحذر من تسليمه أو المساس به.

إننا نهيب بأمتنا العربية والإسلامية في هذه المرحلة الفاصلة من تاريخ القضية، وقد باتت القدس والأقصى العنوان الأبرز لها، أن تتحمل مسئوليتها في مواجهة العدو الصهيوني وممارساته وأطماعه، ودعم حقوق شعبنا وإسناد مقاومته الباسلة والتمسك بالأرض والقدس والمقدسات.

عاشت فلسطين عربية إسلامية.

وكل التضحيات من أجل القدس والأقصى.

والتحية للمجاهدين ولكل أبناء شعبنا، وخاصة لأهلنا في «عصيرة الشمالية» الأبية.

والله أكبر، والنصر لشعبنا وأمتنا.

حركة المقاومة الإسلامية حماس

فسطين

الأحـد:

٢٧ جمادى الأولى ١٤٢١هـ

٢٧ آب (أغسطس) ٢٠٠٠م.

❑ الْبَطَلُ مَحْمُودُ أَبُو هَنُّود:

صورة أخرى مشرفة تبرز بين الأنقاض والقتلى الذين خلفتهم غارات الـ(إف ١٦)، وهي صورة البطل المجاهد محمود أبو هَنُّود المطلوب رقم واحد لدى الصهاينة، والقائد العسكري لكتائب عِز الدين القسام، وبطل عملية قتل ثلاثة من الكوماندوز الصهاينة أثناء محاصرتهم له في قرية «**عصيرة الشمالية**» قرب نابلس، لكنه كسر الحصار بعد قتله للقوة، وتمكَّن من الفرار وسلَّم نفسه للسلطة التي وضعته في زنزانة انفرادية بسجن نابلس المركزي الذي كان هدفًا لضربات الـ(إف ١٦)، والأباتشي الصهيوني بغية قتله وزملائه المسجونين لدى السلطة، لكنه نجا بأعجوبة تجسد آية من آيات الله.

فقد أكد شهود عيان أنهم: شاهدوا «**أبو هَنُّود**» وهو يخرج من تحت الأنقاض وينفض عن نفسه الغبار وبيده مصحف، وباليد الأخرى يساعد في إسعاف المصابين ونقلهم من مكان الحادث. وأكد أحد أفراد الشرطة الفلسطينية أن «**أبو هَنُّود**» لحظة القصف كان يصلي في مكان يسمى «**الإكليل**» داخل سجن نابلس القديم، وهو مبني تم بناؤه في زمن الانتداب البريطاني، وأن الغرفة التي كان بها «**أبو هَنُّود**» سمك الحائط فيها حوالي ثلاثة أمتار ونصف المتر.

وقال: «قُصف السجن، واستمر «أبو هَنُّود» في صلاته، وامتلأت الغرفة بالغبار ولم يعد أحد منا يرى الآخر.. صرخت فلم يرد عليَّ، ولكن بعد أن انتهى من صلاته أخذ يبحث عني حتى وجدنا بعضنا البعض، وتمكنا من مساعدة الآخرين بالخروج بسلام».

«ويتناقل المواطنون قصة «أبو هَنُّود» بنوع من الكرامات، حيث كان يؤدي الصلاة في زاوية غرفة سجنة لحظة الهجوم الصهيوني الغادر الذي استهدفه، ورجع طيرانهم خائبًا ذليلًا بإذن الله».

محمود أبو هَنُّود الذي يعرفه زملاؤه خاصة مبعدي مرج الزهور إلى لبنان عام ١٩٩٢م يعرفونه بالتقوى والخشية من اللَّه وحبه للقرآن الكريم، حيث كان غالبًا ما ينام بين الصخور والمصحف بين يديه.

«ولم يقو العديدون ممن شاهدوا «**أبو هَنُّود**» يخرج من بين الأنقاض وهو مغبر معفر الوجه والجسم من تمالك أنفسهم وبدءوا يبكون ويشكرون اللَّه ـ تَعَالَى ـ على نجاته.

وتركز وسائل الإعلام الصهيونية على قصة نجاة «**أبو هَنُّود**»، ولا تذكره الوسائل الرسمية

الفلسطينية، وتعتبر أن الهدف من الهجوم هو مقار السلطة، الأمر الذي يرفضه عامة الفلسطينيين، ويقولون: إن حماس و«**أبو هَنُّود**» هما الهدف.

❑ رَدُّ الْفِعْلِ عَلَى الْأَحْدَاثِ:

على صعيد ردود الفعل على تلك الحرب الدائرة، التي ازدادت اشتعالًا، شددت حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» على أن هدف العمليات الاستشهادية هو خلق توازن ردع مع القوة العسكرية الصهيونية.

وأكد الدكتور «**عبدالعزيز الرنتيسي**» الناطق بلسان «**حماس**»، أنه في مواجهة العدوان الصهيوني الذي يعتمد على التفوق في العدة العسكرية، يتوجب على الشعب الفلسطيني خلق توازن ردع عبر العمليات الاستشهادية.

ورفض الرنتيسي الادعاءات بأن عملية «**حماس**» الاستشهادية في نتانيا هي التي وفَّرت لشارون المبررات لكي يقوم بمجزرته في نابلس، وتساءل الرنتيسي مستهجنًا: «**هل احتاج شارون لمبررات عندما قام بقتل الرضيعة (إيمان حجو)؟ هل احتاج شارون إلى مبرر عندما أمر جنوده أن يغدروا بأفراد الشرطة الفلسطينية الخمسة؟**

وأكد الناطق باسم «**حماس**» أن الشعب الفلسطيني أصبح على يقين أن خيارات «**حماس**» الجهادية هي الأفضل، متسائلًا: «**ماذا جنى الشعب الفلسطيني بعد ثماني سنوات من المفاوضات؟!**»، وأضاف: اليهود أرباب الفساد في الأرض، ولن ينجح معهم سوى لغة القوة، والقوة فقط.

ودعا الرنتيسي الفلسطينيين إلى التمسك بدينهم والالتفاف حوله من أجل الصمود في وجه العدوان، منددًا بكل الدعوات التي أسماها بـ«**الانهزامية**» التي تسعى إلى تثبيط معنويات الفلسطينيين.

❑ أَبُو هَنُّود أُسْطُورَةٌ فِي عُقُولِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ:

يعتبر «**أبو هَنُّود**» أسطورة فذة في نظر الكثير من الفلسطينيين؛ لتخطيطه لعمليات موجعة ضد أهداف إسرائيلية على مدى السنوات الماضية، ونجاته من محاولتي اغتيال.

ويمثل رحيل «**أبو هَنُّود**» خسارة كبيرة للجناح العسكري لحركة «**حماس**»، فقد كان امتدادًا لجيل الشهيد يحيى عياش الملقب بالمهندس والذي اغتالته إسرائيل بهاتف نقال مفخخ عام ١٩٩٦م وردت حماس على اغتياله ـ في غضون أشهر قليلة ـ بموجة من التفجيرات قتل فيها عشرات الإسرائيليين، وزرعت الرعب في الدولة العبرية.

ونجا «**أبو هَنُّود**» من محاولتين لاغتياله في الماضي، وهو الذي تعتبره السلطة الفلسطينية قائدًا منشقًا، في حين تكرهه إسرائيل؛ لأنه خطط لعشرات العمليات الفدائية ضدها.

ونقل رفات «**أبو هَنُّود**» إلى بلدة جنين بالضفة الغربية بعد أن مزق هجوم صاروخي قرب مدينة نابلس في الضفة الغربية جسده إلى أشلاء هو ونائبه. وأعلنت مكبرات الصوت في المساجد استشهاد «**أبو هَنُّود**»، وجرى تحريض الفلسطينيين على الثأر في أقرب وقت ممكن، في حين أكدت «**حماس**» أنها سترد على اغتياله ردًّا قاسيًا وعاجلًا.

وقال أحد قادة حماس في غزة د. عبدالعزيز الرنتيسي: إن اغتيال أبي هَنُّود ليس مجرد حدث عادي. وأضاف: أن التجربة أثبتت أن الجناح العسكري لحماس يرد دائمًا على جرائم إسرائيل، وقال: «إن شاء اللَّه سيكون هناك رد مؤلم ضد العدو المجرم».

وشنت «حماس» عشرات العمليات الفدائية في السنوات الأخيرة ردًّا على ما تقوم به إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني. كما تلعب الحركة دورًا مهمًّا في الانتفاضة التي اندلعت في سبتمبر من العام الماضي.

وقالت مصادر إسرائيلية: إن «**أبو هَنُّود**» كان قائد كتائب عِز الدين القسام ـ الجناح العسكري لحركة حماس ـ في الضفة الغربية وعضوًا في خلية للحركة في منطقة نابلس. وأضافت المصادر أن إسرائيل اغتالت معظم أعضاء الخلية التي دبرت بعض التفجيرات الأشد فتكًا داخل إسرائيل منذ بدء الانتفاضة. ويتهم الفلسطينيون إسرائيل باغتيال أكثر من ٧٠ فلسطينيًّا منذ سبتمبر من العام الماضي.

* * *

أَبُو هَنُّودٍ .. طَلَّقَ الدُّنْيَا وَارْتَبَطَ بِالْآخِرَةِ[1]

«**اللَّه يعينه على مقارعة اليهود**» قالها جدُّه لوالده عندما بشَّره والد محمود بميلاد حفيده محمود أبو هنود يوم ميلاده في ١/٧/ ١٩٦٧م، ولم يمض في ذلك الوقت على احتلال الضفة الغربية من قبل اليهود إلا خمسة وعشرون يومًا.

وعندما سمع الأب هذه العبارة من أبيه انطلق مهرولًا نحو زوجته وأخبرها بما دار، وهو لا يستطيع منع عقله من التساؤل: هل أصيب والدي في عقله؟ كيف يقول هذا الكلام ومحمود ما زال عمره ساعات؟.. لكن الأيام أثبتت فراسة الجد وبصيرة شيبته في الإسلام، أصبح محمود من أشد «المقارعين» للاحتلال .. بل ذاق الاحتلال على يديه الكثير من الويلات.

* * *

طُفُولَةٌ بِنَكْهَةِ الْبُطُولَةِ!!

لم يكن محمود طفلًا عاديًّا، بل تميز كثيرًا عن رفاقه، لم يمارس ألعاب الأطفال العادية.. كان دائمًا يقود المعارك، وينظم رفاقه في الشارع، تعوَّد على القيادة وملك خصالها، كان يصنع أهدافها من خامات البيئة البسيطة من حوله، ويصوِّب نحوها فيصيبها بكل دقة، يفعل ذلك وهو لا يعلم أن القدر يهيئه ليكون قائدًا في كتائب «**الشهيد عزِّ الدِّين القسَّام**».

كان محمود منذ بواكير صباه متعلقًا بالمساجد دائم الصلة بها، يشهد له المقربون أنه منذ بلوغه السابعة من عمره وهو حريص على صلاة الفجر في المسجد مع والده، ويضيفون: «لم ينقطع عنها طوال ما عرفناه»، يصف أهل قريته أحوال قريتهم قبل أن يثب فيهم البطل ويؤجج حبهم لله قائلين: «كان الجميع نائمًا فأيقظ محمود «**عصيرة الشمالية**»».. وبدأ مع أطفالها وأشبالها يعقد لهم الجلسات الدينية في حفظ القرآن الكريم، والحديث عن أمور الدين حتى ربَّى أجيالًا من المسلمين تعتز بهم «**عصيرة الشمالية**» وما حولها.

---

(١) مصطفى صواف ـ فلسطين ـ الجيل للصحافة ٢٧/١١/٢٠٠١

شَغَبٌ صِبْيَانِيٌّ.. فِي الْحَقِّ دَوْمًا

لا يزال أهله يذكرون كيف كانت تأتيهم الشكاوى من مدرس التاريخ في مدرسته الثانوية، عندما كان مدرس التاريخ يطرد محمود من حصَّته عندما كان يتحدث عن تاريخ الدولة العثمانية والسلطان عبدالحميد، وكيف كان ـ حسب المنهج ـ تاريخًا أسود على الأمة، فكان محمود يقف له ليدافع عن هذا التاريخ، وينعت المنهج المدرسي بأنه «**تاريخ مزور وغير حقيقي**»، لم يكن هذا الأمر يروق للمدرس، فيطرده من الحصة، ويرسل بالشكاوى إلى والده، ويأبى محمود أن يقبل الظلم والكذب.

أَوَّلُ أَجْزَائِهِ السَّابِقَةِ لِلْجَنَّةِ.. بَعْضُ رِئَتَيهِ وَكَبِدِهِ

يقول شقيقه مصطفى: كنت على علاقة قوية جدًّا به، فكنا دومًا معًا، وذات يوم في عام ١٩٨٨م كنت أنا وهو عائدين من المزرعة، وعند البلد قالوا: هناك مواجهات مع قوات الاحتلال، فوجدت «**محمود**» ينطلق كالريح ليشترك في المواجهات، فما كان من أحد الجنود إلا أن أطلق عليه النار فأصابه إصابات بالغة في الكبد والطحال والرئتين أدت إلى استئصال ٢٥٪ من كبده، ومنع جنود الاحتلال سيارة الإسعاف من نقله، وتقدم نحوه جندي وداس بقدمه على رأسه، وقال: «**لازم تموت**»، فرد محمود: «**إذا كان لي عمر سوف أعيش رغمًا عن أنفك**»، ثم بصق في وجه الجندي ودفعه جانبًا.

يقول صديقه الدكتور عبدالوهاب صديق: عندما زرته في المستشفى، وقلت له: «**الحمد لله على السلام**»، أجابني بحزن شديد «**ليتها كانت شهادة**».

لم يتركه اليهود بعد شفائه من الإصابة، فقد جاء اليهود بعد شهر تمامًا من الإصابة واعتقلوه، واعتقلوا معه عشرين طفلًا صغيرًا كل ما يربطهم به أن كان يحفظهم القرآن الكريم، ويشرح لهم أمور دينهم في مسجد «**أبو خليل**»، واستمر اعتقاله ستة أشهر.

* * *

أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَفِي قُلُوبِ أَحْبَابِهِمْ

يقول ناهي ١٧ عامًا ـ أحد تلامذة الشهيد ـ: «**كان عمري تسع سنوات عندما بدأت أتعلم على يد الشهيد محمود القرآن الكريم في مسجد (أبو خليل)، وكان ـ رحمه الله ـ يحدثنا عن أمور الدين، وعن الجهاد، والأعمال الخيرة والشهادة، وكثيرًا ما حدثنا عن حبه للشهادة**»، ويضيف ناهي: «لقد أحببته أنا وكل الأطفال في سني في ذلك الوقت، لقد تعلقنا به كثيرًا، كان يعامل الجميع بكل حب، وكم تمنينا أن نكون مثل محمود!».

لم يكن متزمتًا ولا مكتئبًا، دومًا له روح شفافة تحب الفن منذ صغره، يشارك في فرق التمثيل والإنشاد، يحكي صديقه الدكتور عبدالوهاب عن محمود الصبي ذي الأحد عشر عامًا فيقول: «**ذات مرة أردنا القيام بعمل مسرحية عن إسلام عمر بن الخطاب** ﷺ في المسجد، واحتاج الأمر أن يقوم أحدنا بدور أخت عمر فلم يقبل أحد القيام بهذا الدور وتهربنا منه جميعًا، لكن محمود قال قولة ما زالت تتردد على ألسنتنا كثيرًا: «**وهل لنا أن نكون مثل أخت عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ؟!**»، كان شديد الحب لله ولرسوله وللصحابة، وكان يرى دومًا أنه ليس ثمة ما يمنعنا أن نكون مثلهم؛ فالذي تربَّى عليه الصحابة موجود عندنا؛ أقصد القرآن الكريم.

أَطْفَالٌ وَمَبَادِئٌ وَبَوَاكِيرُ جِهَادِ نَفْسٍ

منذ صغره وهو ذو دم حام وغضب لله؛ فوالدته تذكر عن محمود الطفل وهو ابن عشر سنوات عندما دخل عليها وهو غاضب، وسأل: أين الخوصة؟.. أريد أن أضرب أهل فلان؛ لأنهم يسبون الدين».

وحتى في بيته كان يأخذ بالعزيمة، وله رأي يؤمن به ويدافع عنه. يقول والده: «كان لي بقرتان أرعاهما على الطريق العام، وكان يشاهدني المئات من سائقي السيارات، وكنت حريصًا جدًّا على ألا تدخل بقراتي إلى أرض الناس الخاصة، وذات يوم إذا بمحمود يرفض أن يشرب اللبن، فقلت له: لماذا لا تشرب يا ولدي؟ فقال: لا أريد شرب اللبن هذه الأيام.. أخشى أن تكون هذه البقرات قد رعت في أرض الناس، وأكلت حرامًا، فآكل أنا حرامًا، فربما هذه البقرات دخلت

دون علمك إلى أرض الناس».

ويقول والده وطول فترة الرعي من الأعشاب أثناء الصيف لم يكن محمود يتناول لبن أو جبن هذه البقرات أبدًا، ولكن يعود لأكل ذلك بعد أن تأكل من الطعام الذي نشتريه من الأسواق في فترة الصيف، لقد كان ورعًا، وكان لا يغضب إلا لله، أو إذا رأى حرمات اللَّه تُنتهك.

❑ فِي مَرْجِ الزُّهُورِ يُعِدُّ جِسْمَهُ وَقَلْبَهُ

أبعد محمود في ١٧/١٢/١٩٩٢م إلى جنوب لبنان مع قيادات وعناصر حركة «**حماس**» الـ٤١٥ الذين أبعدتهم قوات الاحتلال، في أعقاب اختطاف الضابط الإسرائيلي «**نسيم خولوداني**»، وقتله على أيدي مجموعة من حركة حماس في ١٤/١٢/١٩٩٢م، واستمر إبعاد محمود ٩ أشهر، أمضاها ـ كما يقول بعض هؤلاء المبعدين ـ «**في بناء جسمه وتسلق الجبال**»، وعند وصوله إلى الأراضي الفلسطينية اعتقله اليهود عشرة أيام في سجن مجدو ثم خرج، ومنذ ذلك الوقت وهو يشرف على خلايا الاستشهاديين، ويدربهم، ويعلمهم، ولم يكن أحد يعلم بذلك حتى عام ١٩٩٥م عندما أطلق جنود الاحتلال النار على سيارة كان يستقلها هو وأربعة من تلاميذه، وهي محملة بالأسلحة فهربوا جميعًا، ومنذ ذلك الوقت ومحمود مطارد ومطلوب لقوات الاحتلال.

كانت المجموعة الأولى التي كان محمود يُشرف عليها مكوَّنة من أربعة شباب ينتمون إلى تنظيمات مختلفة، ولم يكن أحد منهم من حركة حماس، ولكن تمكَّن محمود من تنظيمهم جميعًا في حركة حماس، وصنع منهم استشهاديين، وأعدَّهم للقيام بعمليات استشهادية، وكان الأربعة هم الشهداء: «**معاوية زراعة ـ يوسف الشولي ـ توفيق ياسين ـ بشَّار صوالحة**»، ثم كان الشهيد «**خليل الشريف**» من نابلس.

❑ أَدَّى عُمْرَتَيْنِ وَهُوَ فِي السِّجْنِ!!

يقول والد الشهيد محمود: إنه كان ذات مرة في الأراضي الحجازية، وهناك التقى بقريب لهم، فقال له: لقد شاهدت «**محمود**» في المنام يعتمر ويطوف بالكعبة، ولما سألته: ألست مطاردًا؟ فرد عليَّ: هذه العمرة الثانية.

وعندما عاد الوالد إلى نابلس وزار «**محمود**» في سجن السلطة الفلسطينية، روى له ما قاله قريبهم، فقال لوالده: نعم، لقد دفعت لشهيدين قبل استشهادهما ثمن عمرة، وذهبا واعتمرا، ثم عادا واستُشْهِدا.

❑ مَحْمُودُ وَالثَّعَابِيْنُ .. مَا بَالُكَ بِرَجُلٍ اللَّهُ مَعَهُ؟!

لقد عانى محمود الكثير سواء من السلطة الفلسطينية أو من اليهود، فبَعْد العمليات الاستشهادية التي أشرف عليها أصبح مطلوبًا للسلطة الفلسطينية، ناهيك عن مطاردة قوات الاحتلال له، وعندها رحل من نابلس إلى الخليل، لكنه أراد العودة عام ١٩٩٧م، فركب حمارًا من الخليل إلى نابلسٍ، وهو متنكر في زي رجل مُسِنٍّ، وكان يحمل على حماره سلاحه وزاده وطعامه، ولكن على طريق القدس سقط حماره في حفرة للمياه وسقط معه، وفقد طعامه ونهض وحمل حماره وأخرجه من الحفرة، لكنه أصيب بضربة شمس، ونقله الشهيد «**محيي الدين الشريف**» إلى مستشفى في القدس تحت اسم مستعار، وبعد معافاته ركب حماره وعاد إلى «**عصيرة الشمالية**».

لقد حدث محمود شقيقه «**مصطفى**» عن تلك الليالي التي نام فيها أثناء عودته إلى عصيرة، وكيف كان ينام هو والثعابين في مكان واحد!! ويقول: «**كنت أنام في مواسير المياه القديمة، وذات يوم كنت نائمًا في كهف، وإذا بثعبان ذي صوت يخرج ويقترب نحوي، ثم يعود دون أن يصيبني بأذى، وكنت ألتفت شمالاً ويمينًا، وإذا بالثعابين من حولي وفي كل مكان**».

في ليلة ٢٧/٨/٢٠٠٠م حاولت قوات الاحتلال اعتقال أو قتل محمود، وذلك بعد أن قامت بحصار منزلًا، معتقدة أنه موجود فيه هكذا يقول شقيقه ويكمل: «وهو كان بالفعل موجود، ولكن في المنزل المجاور، ودارت المعركة بين محمود وقوات الاحتلال، والتي لم أكن أبعد عنها سوى خمسين مترًا، وشاهدتها لحظة بلحظة، وإن قلت لك: إن ما يزيد عن عشرة جنود إسرائيليين قُتِلوا في تلك المعركة، لم أكن أبالغ في ذلك، وأصيب محمود وهرب من قوات الاحتلال، وسار مسافة ٢٠ كيلو مترًا في الجبال الوعرة وهو ينزف، حتى وصل مدينة نابلس، ولم يكن يريد تسليم نفسه للسلطة، ولكن الإخوة في المدينة أقنعوه بتسليم نفسه، خاصة وأنه بحاجة للعلاج، وبالفعل اعتُقل في السلطة، وحوكم محاكمة سريعة دون حضور لجنة للدفاع، وأصدر

ضده حكم بالحبس الانفرادي لمدة ١٢ عامًا بتهمة تشكيل خلايا مسلحة وتجهيز مصانع متفجرات.

وصمم محمود على الخروج من حبسه لينضم إلى صفوف إخوانه المجاهدين؛ لشدة رغبته في الشهادة مقاتلًا العدو الصهيوني لآخر لحظة من عمره. فأضرب عن الطعام لمدة ناهزت عشرة أيام؛ ضغطًا على السلطة الفلسطينية لإطلاق سراحه، ولم يلتفت «**أبو هَنُّود**» إلى توسلات أسرته خوفًا على صحته، والعجيب أن محمود أبو هَنُّود كان قد تنبأ بقصف الكيان الصهيوني له في السجن، فقد قال لأهله ذات مرة: «إنه لن يصيبنا إلا ما كتب اللَّه لنا، وإن قصف القوات الإسرائيلية للسجن الذي أنا فيه ليس بالبعيد، وأنا لا أريد أن أموت في السجن، بل أريد أن أموت مجاهدًا مقاتلًا». وخلال تواجده في سجن نابلس حاولت قوات الاحتلال اغتياله عندما قصفت السجن الذي كان فيه، ولكن بحمد اللَّه ورعايته خرج سالمًا ليقبض بعد ذلك شهيدًا.

❑ «عَاشِقُ الْأَقْصَى».. هُوَ يُعَرِّفُ نَفْسَهُ هَكَذَا

ونختم مع «**عاشق الأقصى**» كما سمَّى نفسه بذلك، فقد كان محمود متعلقًا بالأقصى بشكل غير عادي، وكان كثير التردد عليه حتى وهو مطارد، يقول د. عبدالوهاب: إن الشهيد بعد عودته من إبعاد عام ١٩٩٢م، وفي حفل استقبال للمبعدين تم في جامعة النجاح قدَّم نفسه وقال: «**أخوكم في اللَّه عاشق الأقصى محمود أبو هَنُّود**».

«أتمنى أن يكون في كل بيت من الرجال مثل محمود، وأقدمهم جميعًا في سبيل الله، لقد أحببته؛ لأنه طلق الدنيا وأحبَّ الآخرة» بهذه الكلمات ختم والد «**أبو هَنُّود**».

❑ أَبُو هَنُّود خَرَجَ مِنْ تَحْتِ الْأَنْقَاضِ وَبِيَدِهِ مُصْحَفٌ![1]

«**هل** «**أبو هَنُّود**» بخير؟ هل «**أبو هَنُّود**» أصيب؟ كيف المجاهد «**أبو هَنُّود**»؟ قاهر اليهود هل خرج سليمًا؟.. بهذه التساؤلات كان المواطنون ينهالون على المسئولين في الأمن الفلسطيني وقيادات حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**»، بعدما قصفت طائرات «**إف ١٦**» الإسرائيلية لأول مرة السجن المركزي لمدينة نابلس، حيث يُحتجز المجاهد «**محمود أبو هَنُّود**» قائد الجناح

---

(١) فلسطين - الجيل للصحافة - إسلام أون لاين نت، ٢٠٠١/٥/١٩

العسكري لكتائب القسام.

وقد أكد شهود عيان لمراسل «إسلام أون لاين. نت» في فلسطين أنهم شاهدوا المجاهد «**محمود أبو هَنُّود**» وهو يخرج من تحت الأنقاض وينفض عن نفسه الغبار وبيده مصحف، وباليد الأخرى يساعد في إسعاف المصابين ونقلهم من مكان الحادث.

ويقول الشيخ «**حسن يوسف**» أحد قيادات حركة «**حماس**»: إن التحليل العام والتقدير العام من استهداف سجن نابلس هو أنه يستهدف في المقام الأول المجاهد محمود أبو هَنُّود؛ بهدف رفع معنويات الشعب الإسرائيلي المنهارة إثر العملية الاستشهادية التي وقعت في نتانيا وأدت إلى مصرع ستة صهاينة وإصابة ما يزيد عن مئة آخرين، وكذلك النكسات التي أصيبت بها حكومة شارون التي جاءت لترفع شعار الأمن والسلام للشعب الإسرائيلي.

وأضاف: رغم أن كل الشعب الفلسطيني مستهدف بشكل أساسي، ولكن نؤكد على أن هدف قصف السجن هو «**أبو هَنُّود**»، وخاصة بعد فشل محاولة اغتياله التي وقعت العام الماضي؛ وذلك لرفع معنويات الشعب الإسرائيلي.

ويرى «**نبيل أبو عمرو**» وزير الشئون البرلمانية في السلطة الفلسطينية ألا نحمِّل الأمور أكثر مما تحتمل، رغم الجنون في إسرائيل الذي دفعها إلى استخدام طائرات (إف ١٦) لأول مرة لقصف الأهداف الفلسطينية.

وأضاف أن القيادة الإسرائيلية مرتبكة، وأن هذا العدوان الإسرائيلي ناتج عن شعورهم بالفشل، وهم كلما شعروا بالفشل زادوا في العدوان.

وأكدت مصادر في حركة «حماس» أن «**أبو هَنُّود**» لم يُصب بأذى إلا بعض الخدوش أثناء خروجه من تحت الأنقاض، وأنه الآن في مكان آمن.

وتؤكد مصادر فلسطينية ومصادر في حركة «حماس» أن قطاع غزة يخلو من المعتقلين السياسيين، وآخرهم كان الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، وأن سجون السلطة في القطاع تخلو من المعتقلين حتى محمد الضيف قائد الجناح العسكري لحماس لا يوجد داخل السجون الفلسطينية.. وكل ما هو معروف عنه أنه تمكن من الخروج واللجوء إلى مكان آمن.

أما في نابلس فغالبية السجناء خارج السجن منذ بدء القصف الإسرائيلي للمدن الفلسطينية

فيما يسمى «إجازة» حتى تتضح الأمور.. وفي أعقاب القصف لم يعد هناك سجناء.

وتسخر المصادر الفلسطينية من مطالبة شارون لعرفات بسجن قادة الحركات الإسلامية في الوقت الذي تشن فيه الطائرات الإسرائيلية الغارات تلو الأخرى على هذه السجون وتهدمها.

❑ رُدُودُ فِعْلٍ عَالَمِيَّةٌ وَمَحَلِّيَّةٌ وَأَقْوَالٌ كَمَا وَرَدَتْ فِي الْأَخْبَارِ...

رعب وأجواء حرب مستمرة في الكيان الصهيوني إثر ورود إنذارات بوقوع عمليات استشهادية كبيرة.

قدس برس:

أعلنت الأجهزة الأمنية الصهيونية منذ ساعات صباح اليوم عن حالة استنفار قصوى في صفوف أفرادها إثر ورود إنذارات ساخنة عن نية خلية مقاومة فلسطينية شن عمليات هجومية كبيرة ضد أهداف صهيونية منتجة داخل الخط الأخضر.

وقالت مصادر الشرطة الصهيونية: إن الشرطة وحرس الحدود عززت منذ صباح اليوم الحراسة على امتداد خط التماس الفاصل بين مناطق السلطة الفلسطينية والدولة العبرية، لا سيما في منطقة هشارون القريبة من تل أبيب، وذلك في أعقاب ورود إنذارات استخبارية حول نية خلية فلسطينية ارتكاب عمليات في إحدى التجمعات الاستيطانية اليهودية خلال الأيام القليلة المقبلة.

وفي محاولة للتخفيف من روع المستوطنين اليهود الذين يعيشون حالة من الحرب الدائم في كل مكان يستوطنون فيه، فقد أكدت مصادر الشرطة الصهيونية أن إنذارات كهذه أصبحت مؤخرًا أمرًا اعتياديًا، ولا بد من أخذ جميع الإنذارات على محمل الجد.

يذكر أن قوات الاحتلال الصهيونية قالت: إنها اعتقلت الثلاثاء الماضي فلسطينيين من سكان مدينة جنين زاعمة أنهما حاولا التسلل إلى داخل الكيان وبحوزتهما عبوة ناسفة كبيرة الحجم كانت مربوطة بجهاز هاتف نقال، مشيرة إلى أنه تم اعتقال الاثنين في منطقة خط التماس إلى الشرق من مدينة أم الفحم (فلسطين ٤٨).

يشار إلى أن الشرطة الصهيونية أعربت منذ يوم الثلاثاء الماضي، عندما تم تنفيذ عملية العفولة الفدائية التي قتل فيها ثلاثة صهاينة وأصيب نحو ٥٠ آخرين بجروح مختلفة، عن مخاوفها من قيام خلية فلسطينية بشن عملية هجومية ثانية داخل مدينة العفولة.

وأضافت الشرطة تقول في حينه: إن قوات كبيرة من الشرطة وحرس الحدود والأجهزة الأمنية تقوم بعمليات تمشيط واسعة النطاق على امتداد خط التماس، كما نصبت الشرطة الحواجز في مداخل ومخارج المدينة تحسبًا لوجود خلية أخرى تعتزم تنفيذ عمليات استشهادية داخل مدينة العفولة.

❑ اغْتِيَالُ «أَبُو هَنُّود» «يُفَرِّخُ» قَادَةً جُدُدًا لِلْجَنَاحِ الْعَسْكَرِيِّ فِي حَمَاس:

أثبتت التجارب والوقائع على الأرض أن اغتيال القادة العسكريين والنشطاء البارزين في حركة «حماس» لن يوقف خيارها العسكري ونهج المقاومة بعد اغتيال محمود أبو هَنُّود، بل سيفرخ قادة جدد في الجناح العسكري.

أبرز المعطيات التي تدلل على ذلك هو ما حصل عقب اغتيال المهندس الأول في كتائب القسام يحيى عياش في قطاع غزة عام ٩٦ واستلم موقعه المهندس الثاني الشهيد محي الدين الشريف.

ولم يطل المقام كثيرًا بالشريف الذي استشهد لاحقًا، وبرز على الساحة القائد المميز عادل عوض اللَّه الذي استشهد مع شقيقه عماد الذي تمكن من الهرب من سجون السلطة في أريحا، واستشهدا معًا في إحدى قرى منطقة الخليل.

وكان من الواضح أن عمليات الاغتيال في صفوف هؤلاء القادة لن تغلق الباب أمام ميلاد قادة جدد، ولكن بطريقة مغايرة وبأسماء تحت الطاولة وغير معروفين من قبل بنشاطهم في صفوف **«حماس»**.

وتبين ذلك من خلال اعتقال واغتيال الشهيد إبراهيم عبدالكريم بني عودة القادة من الأردن وانكشف أمره بعد فترة من العمل النشط في صفوف الكتائب حتى اعتقاله لدى السلطة الفلسطينية في العام ١٩٩٨م المهندس الثالث أيمن حلاوة فاجأ الجميع عندما تبوأ هذا المقعد بعد خروجه من السجون الصهيونية واختفى عن الأنظار لفترة حتى أصيب بانفجار في إحدى مختبرات عمله العسكري وعولج في مستشفى رفيديا الذي فر منه رغم وجود الحراسة عليه، وظل مطاردًا حتى اغتياله قبل أكثر من شهر بانفجار في سيارة كان يستقلها.

حركة **«حماس»** التي تتسع قاعدتها في الشارع الفلسطيني خاصة في قطاع الشباب والطلبة الجامعيين الذين يشكلون تغذية حية لنشاطاتها المختلفة.

ويصف نشطاء الحركة وضعها العسكري بأنه «**يتحمل الضربات ويمتص الكثير منها ويواصل سيره لكونه من حركة** «**ولود ودود**».

ويؤكد نشطاء الحركة أن حركة قوية ببرنامج كبير يلزمها رصيد من الشهداء والتضحيات والاعتقالات والمحن لمواصلة طريقها».

ساعات دامعة من آباء الشهداء وحناجر خمسين ألفًا من الغاضبين تفيض بذكريات الشهداء... جنين في وداع القائد «**أبو هَنُّود**» ورفاقه: الرد قريب وعاجل والكتائب لن تخذل أبناءها.

وسط آلاف من أهالي جنين قدروا بخمسين ألفًا امتد طول مسيرتهم عدة كيلومترات من مستشفى جنين إلى البلدية محتشدين حول ثلاجة مستشفى جنين الحكومي، قررنا أن ندخل إلى هذه الغرفة المعتمة، الطبيب الشرعي، المدعي العام والد الشهيد محمود أبو هَنُّود، والد الشهيد أيمن ومأمون حشايكة، إخوة الشهداء، صحفيون، ورجال اسعاف، والعملية واضحة، المحاولة قدر الإمكان فصل أشلاء الجثث عن بعضها، وبالأحرى فصل أكوام اللحم عن بعضها، ومحاولة وضع أشلاء كل شهيد في تابوت.

الكيس الأول: الشهيد القسامي مأمون حشايكة.

الطبيب الشرعي لوالده: هل من علامة تميز بها أن هذا هو مأمون؟

الوالد وهو يحمل مصحفًا صغيرًا في يده، وهو ينظر إلى أشلاء لا يوجد بها رأس يعرفه منه وإنما كومة لحم محترقة، نعم هذا هو مأمون. المدعي العام يكتب، ووالده الصبور يقرأ القرآن على جثمانه بكل أنفة، وهو يقول: لا ضير إن اختلطت أشلاؤهم فكلهم أبنائي، وضع في التابوت وسط التكبير ولف بالراية الخضراء وكتب على التابوت: الشهيد مأمون حشايكة وفتح باب الغرفة وعلا صوت التكبير من آلاف الحناجر، وأغلق باب الغرفة ثانية، وفتح باب الثلاجة.

* الكيس الثاني، أشلاء الشهيد محمود أبو هَنُّود، لا جثة، لا أعضاء سليمة، كومة من اللحم المختلط.

الطبيب الشرعي، لوالد الشهيد محمود أبو هَنُّود: هل هذا هو محمود؟

والده يحدق ويفتش في كومة اللحم ليبحث عن علامة واحدة استطاع تمييزه بها، وهي مكان

رصاصة في ظهره وجدت على قطعة جلد في الكيس، هي العلامة الوحيدة الدالة على محمود، وعندها يستدرك ابن عمه فيقول: نعم هذا محمود، إن كومة الشعر هذه شعر محمود، فهو الوحيد بينهم الذي كان شعره طويلًا، وينقل الكيس إلى التابوت، ولم أتوقع للحظة أن يكون هذا الحاج هو والد الشهيد محمود أبو هَنُّود، فقد كان يتحدث بكل طلاقة ورباطة جأش، وكأنه يتحدث عن شخص آخر ليس ابنه، إذ كان يحدثنا أن محمود اعتاد منذ عشر سنوات أن يعيش في الكهوف والجبال، وكان يتنقل بين المدن مشيًا على الأقدام أو راكبًا على حمار، لم يكن يحلو له أن يقضي الشتاء إلا في الجبال والكهوف بعد أن قضى عامًا كاملًا بين صخور مرج الزهور، يفتح الباب ثانية، ويخرج الجثمان وسط تكبير آلاف الحناجر في الخارج، يوصد الباب.

الطبيب الشرعي: الكيس الثالث، يفتح ولم يتبق إلا جثمان الشهيد أيمن حشايكة، يوضع في التابوت وأبوه يقرأ القرآن على جثمانه، وبجواري وجدت حذاءات فرفعته وأنا أخاله فارغًا، وإذ به قدم الشهيد أيمن، فوضعت في التابوت، وبجواري أحد أقارب الشهيد أيمن يحدث عنه عندما اعتقل لدى جهاز الأمن الوقائي قبل عام ونصف، وعذبوه حينها عذابًا شديدًا حتى يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض على محمود أبو هَنُّود، حتى إنه مرة من شدة التعذيب الذي تعرض له على أيديهم، قام بشنق نفسه داخل زنزانته، حتى لا يضطر تحت وطئة التعذيب أن يدلي بمعلومات عن رفيق دربه محمود، حيث كاد أن يفارق الحياة لولا أن وجدوه في حالة غيبوبة وأسعفوه، وعندها اجتمع عليه خمسة من أفراد الأمن الوقائي وبدءوا يضربونه بالعصي، حتى إن أحدًا منهم قال: دعوني أتلذذ بضربه، وبدأ يضربه بعصاة مكنسة، ذكريات طوتها الأيام، وبعد ذلك يفتح باب الغرفة ويخرج آخر، خرجت من الغرفة، وإذا بأهالي جنين والقضاء جميعًا قد احتشدوا لوداع القادة، فالكل يريد أن يشاهد جثمان هذا الاسم الذي اعتاد سماعه كل نشرة أخبار عندما تنفذ كتائب القسام عملية، ولا إخال إلا أن كل من استطاع أن يصل المدينة قد جاء لحضور هذا الموكب المهيب، فكانت أكبر جنازة أشاهدها في مدينة جنين، الرايات الخضراء في كل مكان، الأعلام الفلسطينية تزين المكان، الجيبات المزينة بصور «**أبو هَنُّود**» ورايات «**حماس**»، مسلحون من «**حماس**» ومختلف التنظيمات في كل زاوية، الآلاف يتدافعون لينالوا شرف حمل الجثامين الطاهرة، والساعة عندئذ العاشرة والربع.

زخات من الرصاص، وحناجر ما ملت الهتاف، «**يا** «**أبو هَنُّود**» هات هات.. سيارات مفخخات» شعار ظل يتردد في جنازة «**أبو هَنُّود**».

❑ وَالِدَةُ «أبو هَنُّود»: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي[1]

«اللَّه يرضى عليه وييسر أمره، والحمد لله الذي شرفني باستشهاده، له سنوات يطلب الشهادة، ولم يمُت خسيسًا وعمل كل ما في جهده». بهذه الكلمات بدأت والدة الشهيد «**محمود أبو هَنُّود**» القائد العسكري لكتائب الشهيد عِز الدين القسام، الذي اغتالته قوات الاحتلال الإسرائيلي مساء الجمعة ٢٠٠١/١١/٢٣م حديثها لمراسل «**إسلام أون لاين. نت**»، مؤكدة أن الأمر الذي أزعجها أن محمودًا استُشهد اغتيالًا، ولم يكن في مواجهة حقيقية مع قوات الاحتلال.

وقالت: «الذي آلمني أن محمودًا راح اغتيالًا، فكنت أتمنى أن يُستشهد في مواجهة حقيقية مع جنود الاحتلال، الذين واجهوه ثلاث مرات وخرجوا خاسرين ومكسوفين».

وأضافت أم «**أبو هَنُّود**» بصوت مليء بالشموخ والكبرياء قائلة: «**إن ابني مات شهيدًا، وهذا الأمر يكفي**»، وحمَّلت والدة «**أبو هَنُّود**» العملاء الأمر، طالبة أن يتم إخراج هؤلاء العملاء وإعدامهم في الميادين العامة؛ لأنهم هم الذين يقفون وراء استشهاد محمود.

وأشارت والدة «**أبو هَنُّود**» إلى أن ابنها قتل بالصواريخ الأمريكية في ظل وقف إطلاق النار. وقالت: «**انظر كم شهيدًا سقط أمس وأول أمس فقط!!**»، وأضافت: «**هؤلاء اليهود هم الإرهابيون**».

أما والد «**أبو هَنُّود**» الحاج أبو أحمد فرغم عظم المصيبة فإنه كان راضيًا باستشهاد فلذة كبده، مؤكدًا اعتزازه وافتخاره باستشهاد نجله محمود، وهو يحمد اللَّه ﷻ الذي شرفه والعائلة باستشهاده بعد أن أوجع المحتلين الصهاينة.

ويقول الحاج أبو أحمد: إن هذه الميتة مشرفة، وكان يسعى محمود لها، حتى يلحق بربه شهيدًا، كما يدعوه للفخر والاعتزاز أن محمودًا سبقه للجنة، وأنه استُشهد ولم يتمكن

---

(١) فلسطين - الجيل للصحافة - إسلام أون لاين نت،

الإسرائيليون من لمس جسده كما كان يتمنى.

❑ **بِالزَّغَارِيدِ اسْتَقْبَلْنَا الْخَبَرَ!!**

وأوضحت شقيقته المحامية «**أريج أبو هَنُّود**» لمراسل «**إسلام أون لاين. نت**» أن عائلة «**أبو هَنُّود**» - بل الحي الذي تعيش فيه العائلة - استقبلوا خبر استشهاد المجاهد محمود بالزغاريد، التي عمت البلدة فور سماع نبأ الاستشهاد.

وتقول أريج: «**كنا في صلاة التراويح عندما سمعنا دوي انفجارات، وخرجنا إلى الشوارع، وشاهدت الصواريخ والرصاص وهو يتساقط، وخرج الشباب لمعرفة الحقيقة**».

وحول التعرف على الشهيد محمود، خاصة أن رصاص الطائرات الأباتشي قد حول جسده إلى أشلاء قالت أريج: «**لم يتمكن أخي من التعرف على الشهيد محمود إلا من خلال ندب في ظهره ناتج عن عملية جراحية نتيجة إصابته بثلاث رصاصات من قوات الاحتلال في الانتفاضة الأولى**».

وأضافت أريج أن شهود عيان أكدوا لها أن محمودًا عند قصف السيارة حاول الفرار والالتجاء إلى جبل قريب من موقع الحادث، ولكن طائرة لاحقته وأخذت تطلق عليه الرصاص من النوع الثقيل؛ وهو ما حول جسده إلى أشلاء لم يبق منها إلا الجزء الخلفي من الرأس وبعض القطع من جسده.

وأكدت أريج أبو هَنُّود أن فور سماع والدها للرصاص خرج من المسجد إلى الشارع، ولديه يقين أن هذه الرصاصات قد طالت ابنه محمودًا، مشيرة إلى أنه لم يعد بعد إلى البيت منذ خروجه الليلة الماضية ولم تشاهده.

رحم الله محمود أبو هَنُّود الذي أحبه ملء شغاف قلبي وأسأل الله أن يجعلني أنا وهو ممن هم على سرر متقابلين.

* * *

«بِطَاقَةُ تَهْنِئَةٍ بِعُرْسِ الشَّهَادَةِ»

إِلَى الشَّهِيدِ الْبَطَلِ/ مَحْمُودِ أَبُو هَنُّود (أَسَدِ عَيْبَال)
وَالْقَائِدِ الْعَسْكَرِيِّ لِكَتَائِبِ الشَّهِيدِ «عِزِّ الدِّينِ الْقَسَّامِ»(١)
وإلى رفاقه الشهداء الميامين «أيمن ومأمون رشيد حشايكة»
رحمهم اللّه جميعًا وأسكنهم فسيح جناته:

«يَا صِيدُ» حُزْنًا وَدِّعِي «مَحْمُودَا» ... فَوْقَ الْأَكُفِّ وَعَاهِدِي «هَنُّودَا»
سَقَطَ الْغَضَنْفَرُ فِي حِمَاكَ مُخَضَّبًا ... كَالنَّسْرِ طَاحَ وَهَامُهُ مَمْدُودَا
«يَا صَيْدُ» لِلْحَدَثِ الْعَظِيمِ تَزَلْزَلَتْ ... عَزَفَتْ بِلَحْنِ النَّائِبَاتِ نَشِيدَا
«يَا صَيدُ» أَفْقَدَهَا الْمُصَابُ صَوَابَهَا ... وَتَصَدَّعَتْ وِدْيَانُهَا تَرْدِيدَا
وَتَفَجَّرَ الْبُرْكَانُ لِلْغَضَبِ الَّذِي ... غَمَرَ الْبِلَاءَ هَوَاتِفًا وَبَرِيدَا
عُذْرًا «عُصَيْرَةُ» فَالْفَقِيدُ مُبَجَّلٌ ... «لِكَتَائِبِ الْقَسَّامِ» كَانَ عَمِيدَا
هَذَا التَّبَادُلُ لِلشَّهَادَةِ مَاثِلٌ ... فَلَدَيْكِ «أَمْجَدُ» مِنْ بَنِي «مَسْعُودَا»
«مَحْمُودُ» مُذْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ رَاضِيًا ... طَفِقَ الْيَهُودُ بِإِثْرِهِ مَقْصُودَا
بَطَلُ الْمَسِيرَةِ رَاحَ يَجْهَرُ مُؤْذِنًا ... سُنَنُ الْجِهَادِ لِكَيْ يَؤُولُ شَهِيدَا
«مَحْمُودُ» رُكْنٌ فِي انْتِفَاضَتِنَا الَّتِي ... قَلَبَتْ كَيَانَ الْغَاصِبِينَ جَلِيدَا
رَفَعَتْ لَهُ كُلُّ الْفَصَائِلِ رَايَةً ... طُولَ الْبِلَادِ وَعَرْضَهَا تَمْجِيدًا
تَبَّتْ فِعَالُ الْخَائِنِينَ لِدِينِهِمْ ... وَتَجَاوَزُوا حُمْرَ الْخُطُوطِ حُدُودَا
مَاذَا جَنَى السُّفَهَاءُ غَيْرَ نَذَالَةٍ ... نَفَخُوا الْجُيُوبَ وَفِي الْحِسَابِ رَصِيدَا

(١) الشاعر العربي : لبيد بن ربيعة الكنعاني ، يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤٢٢هـ ، ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١م.

فُضِحَ الْعَمِيلُ وَإِنْ تَوارَى خِسَّةً ... بِالْخِزْيِ ضَلَّ إِلَى الْخَفَاءِ بَلِيدَا
يَا «أُمَّ مَحْمُودٍ» الصَّبُورَةَ ثَابِرِي ... رُشِّي الْحَبِيبَ مَعَ الْعُطُورِ وُرُودَا
وَتَقَبَّلِي سَيْلَ التَّهَانِي وَاهْنَئِي ... حَضَرَ الْعَرِيسُ فَأَطْلِقِي الزَّغْرُودَا
أَزِفَ الرَّحِيلُ إِلَى الْعَرُوسِ تَزُفُّهُ ... وَالْغَارُ فَوْقَ جَبِينِهِ يَبْرُودَا
لَا تَأْلَمِي بِاللَّهِ يَوْمَ فِرَاقِهِ ... تَرَكَ الدُّنَا فَمَصِيرُنَا مَحْدُودَا
بُشْرَاكِ دَارُ الْخَالِدِينَ مَقَرُّهُ ... جَنَّاتُ عَدْنٍ بَارَكَتْ «مَحْمُودَا»
فَهُنَاكَ حُورُ الْعِينِ حِينَ تَهَيَّأَتْ ... طَرْفُ الْحِسَانِ بَدَا لَهُنَّ سَعِيدَا
فِي صُحْبَةِ الْأَبْرَارِ يَنْهَلُ كَوْثَرًا ... مِنْ حَوْضِ «أَحْمَدَ» بَلْ يَنَالُ مَزِيدَا
يَا خَالَتِي «مَحْمُودُ» لَيْسَ كَمِثْلِنَا ... كَاللَّيْثِ رَغْمَ يَفَاعِهِ جُلْمُودَا
أَغْدَقْتِ مِنْ لَبَنِ السِّبَاعِ بِجَوْفِهِ ... أَرْضَعْتِ شِبْلَكِ مُنْذُ حَلَّ وَلِيدَا
«مَحْمُودُ» فِي عُمْرِ الزُّهُورِ تَأَلَّقَا ... يَمْضِي إِلَى حُسْنِ الْمَقَامِ مَجِيدَا
لَا ضَيْرَ يَا «مَحْمُودُ» أَنْتَ غَمَامُنَا ... فِي جَنَّةِ الرِّضْوَانِ فُزْتَ شَهِيدَا
هَيْهَاتَ أَنْ يُوفِيكَ حَقَّكَ شَاعِرٌ ... مَهْمَا رَثَاكَ وَإِنْ يَكُونُ «لَبِيدَا»
«مَحْمُودُ» فِي رَحِمِ الْقَضِيَّةِ ضَيْغَمٌ ... زَرَعَ الدِّيَارَ صَلَابَةً وَصُمُودَا
ذَاكَ الْفَتَى الْوَسِمِيُّ فِي أَقْرَانِهِ ... يَوْمَ الْوَغَى بِفِعَالِهِ مَشْهُودَا
أُمُّ الْمَعَارِكِ يَوْمَ كَانَ حِصَارُهُ ... جَمَعُوا له جُنحِ الظَّلَامِ حُشُودَا
وَتَقَاطَرَتْ تِلْكَ السَّرَايَا خِلْسَةً ... بِالْمَرْكَبَاتِ الْمُثْقَلَاتِ جُنُودَا
فَتَحَتْ عَلَيْهِ الْقَاذِفَاتُ لَهِيبَهَا ... بَابَ الْجَحِيمِ أَوَارَهَا وَرُعُودَا
«مَحْمُودُ» كَالطُّوفَانِ زَمْجَرَ غَاضِبًا ... فَكَأَنَّمَا مُلِئَ الْعَرِينُ أُسُودَا
وَارْتَدَّ مِنْ خَلْفِ الْجِدَارِ مُهَاجِمًا ... ضَغَطَ الزِّنَادَ وَأَشْعَلَ الْبَارُودَا

رَشَقَ الْقَنَابِلَ لِلْعَدُوِّ بِخِفَّةٍ ... فَتَمَزَّقَتْ إِرَبَ الْكِلَابِ ثَرِيدَا
أَرْدَى ثَلَاثَتَهُمْ بِأَوَّلِ زَخَّةٍ ... وَتَجَنْدَلَتْ جِيَفُ الْعُلُوجِ حَصِيدَا
أَضْحَى اشْتِبَاكُ النَّارِ بَيْنَ صُفُوفِهِم ... بَارَاكُ بَاتَ لِسَانُهُ مَعْقُودَا
فَتَسَارَعَ الْإِسْعَافُ يَغْسِلُ عَارَهُمْ ... حَمَلَ الْمُشَاةَ إِلَى الْجَحِيمِ طُرُودَا
جَيْشُ الدِّفَاعِ إِلَى الْوَرَاءِ تَقَهْقَرُوا ... لِيُطَارِدُوا مِمَّنْ أَتَوْهُ طَرِيدَا
«مَحْمُودُ لِلْقَسَّامِ» خَيْرُ خَلِيفَةٍ ... وَرَسَمْتَ نَهْجًا لِلْجِهَادِ أَكِيدَا
وَعَقَدْتَ عَزْمَكَ لَنْ تَمُرَّ فُلُولُهُمْ ... صِدْقُ الْمَبَادِئِ أَنْ تَظَلَّ فَرِيدَا
وَصَنَعْتَ نَصْرًا رَغْمَ كَثْرَةِ جُنْدِهِمْ ... هَذَا لَعَمْرُكَ فِي السِّجِلِّ خُلُودَا
وَأَدَرْتَ مَعْرَكَةَ الْإِبَاءِ بِعِزَّةٍ ... وَتَرَكْتَ أَجْلَافَ الْيَهُودِ قُرُودَا
يَنْسَابُ مِنْ عَنَتِ الْحِصَارِ بِجُرْحِهِ ... خَرَقَ الْكَمِينَ إِلَى «السُّرَيْجِ» وَحِيدَا
زَحَفَ الْأَبِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ عَنْوَةً ... فَتَسَابَقَتْ لِجِرَاحِهِ تَضْمِيدَا
حَقَدُوا عَلَيْهِ وَطَارَدُوهُ بِقَسْوَةٍ ... كَمْ أَهْرَقُوا لِلْمُخْبِرِينَ نُقُودَا
قَصَفَتْ لَهُ الْمِيرَاجُ فِي ثُكُنَاتِهِ ... فِي السِّجْنِ كَانَ دَمَارُهُ مَنْشُودَا
فِي الْمَرَّتَيْنِ نَجَا بِقُدْرَةِ خَالِقٍ ... بِالشُّكْرِ خَرَّ «لِرَبِّهِ» تَوْحِيدَا
نَاجَى «إِلَهَ الْكَوْنِ» صَلَّى خَاشِعًا ... مُتَبَتِّلًا فَضْلَ الدُّعَاءِ سُجُودَا
رَصَدُوا «لِمَحْمُودٍ» الْمَنَافِذَ تَارَةً ... مِنْ رُعْبِهِمْ قَدْ جَرَّدُوا الطُّورَبِيدَا
يَا لَيْتَهُمْ قَدْ وَاجَهُوه مُحَارِبًا ... بَلْ غِيلَةً وَسِلَاحُهُ مَغْمُودَا
لَكِنْ وَقَدْ حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى الْفَتَى ... وَجَدَ السَّبِيلَ أَمَامَهُ مَسْدُودَا
إِنَّ الَّذِي جَلَبَ الْجُنَاةَ مُخَادِعٌ ... بِخِيَانَةٍ بَاعَ الضَّمِيرَ حُقُودَا
عَصَفَتْ صَوَارِيخُ الْأَبَاتْشِي رَكْبَهُ ... بِالطَّائِرَاتِ وَفَجَّرُوا الْعُنقُودَا

فَتَفَحَّمَ الْبَاصُ الصَّغِيرُ كَكُتْلَةٍ صَمَّاءَ فِي طَرْفِ السِّيَاجِ حَدِيدَا
وَتَهَالَكَتْ مِنْهُ الْقُوَى مُتَأَرْجِحًا ثُمَّ انْحَنَى صَوْبَ الْجُنُوبِ قُعُودَا
وَتَدَفَّقَ الرَّشَّاشُ يَنْهَكُ جِسْمَهُ فَهَوَى النَّحِيلُ عَلَى التُّرابِ قَدِيدَا
وَتَنَاثَرَتْ أَشْلَاؤُهُ بِفَظَاعَةٍ عَجَبًا يَصِيرُ بِلَحْظَةٍ مَفْقُودَا
شَرَفُ الشَّهَادَةِ مَنْ يَنَالُ وِسَامَهَا ضِمنَ النَّعِيمَ لِأَهْلِهِ وَخُلُودَا
وَرَدَ «الْحَشَايِكَةُ» النُّمُورُ حِيَاضَهَا أَرْوَاحُهُمْ نَحْوَ السَّمَاءِ صُعُودَا
وَتَعَانَقَ الأَخْوَانِ «أَيْمَنُ» جَاثِيًا «مَأْمُونُ» طَارَ مِنَ الزُّجَاجِ بَعِيدَا
عَبِقَتْ دِمَاءُ الطُّهْرِ طَابَ رَحِيقُهَا «هَنُّودُ» صَاهَرَ فِي النَّجِيعِ «رَشِيدَا»
عُمْقُ التَّلَاحُمِ فِي الْفِدَاءِ هَدِيَّةٌ وَلِشَعْبِنَا بِنِضَالِهِ مَعْهُودَا
هَذَا هُوَ الْقَدَرُ الْمَنُوطُ بِأَرْضِنَا عَبْرَ الزَّمَانِ وَفِي الرِّبَاطِ شُهُودَا
لِوَدَاعِهِ الآلَافُ حَيْثُ تَوَافَدَتْ جمع الفصائل قَدْ ذُهِلْنَ شُرُودَا
«عِيبَالُ» يُؤْلِمُهُ وَيَحْزَنُ كَوْنَهُ لِلسِّجْنِ سِيقَ وَفِي الْيَدَيْنِ قُيُودَا
وَ«الْقُدْسُ» تَعْشَقُهُ يَصُونُ عَفَافَهَا «هَنُّودُ» هَامَ بِعِشْقِهَا مَشْدُودَا
فِي «الْقُدْسِ» مَعْرَكَةُ الْبَقَاءِ نَخُوضُهَا وَبِهَا نَعُودُ إِلَى الْيَقِينِ وُجُودَا
يَا أُمَّتِي فِيمَ التَّخَاذُلُ وَالْخَنَا لَمْ تُضْمِرِينَ الشَّجْبَ وَالتَّنْدِيدَا
هُبِّي «حَمَاسُ» فَدَمِّرِي لِكَيَانِهِمْ لَا تَعْقِدِينَ مَعَ الْغُزَاةِ عُهُودَا
ضُمِّي «الْجِهَادَ وَفَتْحَ» وَلْتَتَحَالَفُوا ضِدَّ الْيَهُودِ كَتَائِبًا وَفُهُودَا
شَرَكٌ سَلَامُ الزَّيْفِ لَا تَتَوَهَّمُوا لِبَنِي الْقُرُودِ تُوَثِّقُونَ عُقُودَا
رُدِّي بِتَفْجِيرِ الْقَنَابِلَ وَاتْرُكِي صِيغَ الْبَيَانُ وَنَفِّذِي التَّهْدِيدَا
مُوفَازُ لَا يَكْفِي وَعَازَرَ بَادِرِي صُبِّي عَلَى خُبْثِ الْقِرَادِ أَسِيدَا

شَـارُونَ يَسْـفِـكُ لِـلـدِّمَـاءِ غَـزِيـرَةً عَـاثَ الْـفَـسَـادَ بِـإِفْـكِـهِ نَمْرُودَا

فَـلْـتَـقْـتُـلُـوهُ لَـعَـلَّ نَـزْفَ جِـرَاحِـنَـا تَشْـفَـى إِذَا طَـمَـسَ الْهَلَاكُ يَهُودَا

وَلْـتَـحْـرِقُـوا الْحَاخَامَ يَهْـذِرُ حُمْقَـهُ لَاوِي الْـبَـغِـيـضُ وَظِـئْـرَهُ عُـوفِـيدَا

«مُوسَى» كَلِـيـمَ اللَّهِ قَبَّحَ فِعْلَهُمْ مُـذْ حَـرَّفُـوا الْأَلْـوَاحَ وَالـتُّـلْـمُـودَا

مَـنْ يَـقْـتُـلُـونَ الْأَنْـبِـيَـاءَ تَـلَـطَّـخُـوا بِـالْمُـنْـكَـرَاتِ يَـصُـوغُـهَـا دَافِـيدَا

قَـسَـمًـا بِـأَمْـرِ اللَّهِ سَوْفَ نُـبِـيـدُهُـمْ وَنِـسَـاؤُهُـمْ بَـيْـنَ الْحُـقُـولِ عَـبِـيـدَا

عُـمَـلَاءُ «إِسْـرَائِـيـلَ» فَـلْـيَـتَـجَـرَّعُـوا سُـمَّ الـزُّعَـافِ وَيَـلْـعَـقُـونَ مُـبِـيـدَا

يَـا «آلَ هَـنُّـودَ» الْـكِـرَامَ عَـزَاءَنَـا بَـالـدَّمِّ نَـنْـظُـمُ لِـلـشَّـهِـيـدِ قَـصِـيـدَا

* * *

الْبَطَلُ التَّقِيُّ الْخَفِيُّ
دُكْتُور إِبْرَاهِيمُ الْمَقَادِمَة

وُلِد المقادمة عام ١٩٥٢م في مخيم جباليا بعد أربع سنوات من تهجير أهله إلى قطاع غزة من قريته «**بيت دراس**» على يد المغتصبين الصهاينة عام ١٩٤٨م، إلا أن الحقد الصهيوني لاحق والده، وأجبره على الرحيل، فانتقل للعيش في مخيم البريج وسط قطاع غزة، وذلك عام ١٩٧٠م يوم أن كان إريل شاورن حاكمًا لغزة، وانتهج يومها سياسة تدمير المنازل للقضاء على ثورة الشعب الفلسطيني المقاوم للاحتلال.

حصل المقادمة على الثانوية العامة، وكان الأول على مدرسته، ثم التحق بكلية طب الأسنان في مصر، وكان في ذلك الوقت قد التحق بجماعة الإخوان المسلمين؛ فكان إلى جانب تحصيله للعلم يقوم بمهام الدعوة مع الإخوان المسلمين؛ فكان أحد أهم المسئولين عن النشاط الطلابي الإسلامي الفلسطيني في الجامعات المصرية.

أنهى المقادمة عام ١٩٧٦م بكالوريوس طب الأسنان، وعاد إلى قطاع غزة بعد أن تزوج من ابنة عمه المقيمة في مصر، وفور عودته عُينّ في مديرية الصحة زمن الاحتلال الإسرائيلي، وعمل في قسم الأشعة بمستشفى العريش الذي كان تحت الاحتلال الإسرائيلي قبل أن يعود إلى مصر، ثم انتقل للعمل في مستشفى النصر للأطفال والشفاء بغزة.

في مخيم جباليا عاد المقادمة وفتح عيادة لطب الأسنان حتى يقدم خدمة لأهل مخيمه الذي عاش سنين طفولته وشبابه فيه، ورغم النجاح الذي حققه في عمله، فإنه تفرغ فيما بعد لعمله الإسلامي ودعوته التي وهب لها عمره.

❑ إِلَى فِلَسْطِينَ.. مَرْحَلَةٌ جَدِيدَةٌ

عندما عاد المقادمة عام ١٩٧٦م إلى قطاع غزة التحق بقيادة الإخوان المسلمين، وكان على مقربة من الشيخ أحمد ياسين الذي أحبه حبًّا لا يوصف، وشكَّلا معًا القيادة الفاعلة لحركة الإخوان في فلسطين، كما شكَّل المقادمة مع الشهيد القائد شحادة وبعض الكوادر الأخرى النواة الأولى للجهاز العسكري للإخوان المسلمين في قطاع غزة، وعمل على إمداد المقاتلين بالأسلحة،

وفي عام ١٩٨٣م، اعتقل مع الشيخ أحمد ياسين بتهمة الحصول على أسلحة، وإنشاء جهاز عسكري للإخوان المسلمين في قطاع غزة، وحكم على الشيخ أحمد ياسين بثلاثة عشر عامًا، وعلى المقادمة بثماني سنوات. بعد أن أنهى فترة عقوبته حكم عليه بستة أشهر إضافية «**إداريًا**» (أي بدون محاكم) بعد أن كتب حول اتفاقية أوسلو ومخاطرها على القضية الفلسطينية، وعندما خرج عام ١٩٩٢م علقت الصحف العبرية بأنه تم الإفراج عن «نووي «حماس»» في غزة، واصفةً إياه بأنه أخطر المعتقلين على إسرائيل.

نشط الدكتور المقادمة في الفترة الأخيرة من حياته في المجال الدعوي والفكري لحركة «**حماس**»، وكان يقوم بإلقاء الدروس الدينية والسياسية والحركية بين شباب «**حماس**» وخاصة الجامعيين منهم، وكان له حضور كبير بينهم.

❑ الْخَفِيُّ التَّقِيُّ

حرص المقادمة على عدم نشر صوره؛ فكان يعمل في صمت.. عملًا يريده خالصًا لوجه الله؛ فقد كان المقادمة من أكثر الشخصيات القيادية في حركة «**حماس**» أخذًا بالاحتياطات الأمنية، قليل الظهور أمام وسائل الإعلام، ويستخدم أساليب مختلفة في التنكر والتمويه عبر تغيير الملابس والسيارات التي كان يستقلها، وكذلك تغيير الطرق التي يسلكها، حتى عُرف عنه أنه كان يقوم باستبدال السيارة في الرحلة الواحدة أكثر من مرة.. وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات فإن قدر اللَّه في اصطفائه واتخاذه شهيدًا كان هو الغالب.

❑ الشَّهِيدُ وَاتِّفَاقُ أُوسْلُو

لم يمنعه السجن والتعذيب من مواصلة المسيرة الجهادية.

كان المقادمة من أشد المعارضين لاتفاق أوسلو، وكان يرى أن أي اتفاق سلام مع العدو الصهيوني سيؤدي في النهاية إلى قتل كل الفلسطينيين وإنهاء قضيتهم، وأن المقاومة هي السبيل الوحيد للاستقلال، حتى لو أدى إلى استشهاد نصف الشعب الفلسطيني.

وقد عبَّر الشهيد الدكتور عن مرارة نفسه عندما تم توقيع الاتفاق الذي فرط في ٨٠٪ من أرض فلسطين، في كتاب أسماه «**اتفاق غزة أريحا.. رؤية إسلامية**».

ونتيجة لموقفه هذا تم اعتقاله في سجون السلطة الفلسطينية، ثم فصله من وزارة الصحة الفلسطينية، وداخل السجن تعرض للتعذيب الشديد من الضرب وصنوف العذاب حتى انخفض وزنه نتيجة للتعذيب أكثر من ٤٠ كيلو جرامًا، وكُسرت أضلاعه، ونقل إلى مستشفى الشفاء سرًّا بين الموت والحياة مرات عديدة.

ورغم كل ذلك كان المقادمة حريصًا على الوحدة الوطنية الفلسطينية، وعدم الانجرار إلى الحرب الأهلية، حريصًا على توجيه الرصاص فقط إلى صدور الأعداء الصهاينة، وتحريم توجيهه إلى صدور أبناء الشعب الفلسطيني الصابر المجاهد. ويصف إسماعيل هنية أحد قادة «**حماس**» تلك الفترة من حياة الشهيد بقوله: «**كم كان ذلك الوقت مخزيًا ومؤلمًا أن يكون الدكتور المقادمة يضرب بالسياط حتى لا يستطيع الوقوف على قدمه، في حين كان هو يوقف العدو الصهيوني على قدميه.. كم هي مفارقة عجيبة!!**».

كان الشهيد المقادمة يرى أن الجهاد هو الحل.. يقول أحد القريبين منه: «**كان ـ رحمه الله ـ متحمسًا لمواصلة الجهاد، مهما بلغت العقبات؛ فكان يردد: لا بد من الرد على تضحيات الجهاد بمزيد من الجهاد**»، كما كان المقادمة يرى أن يعيش السياسي بروح الاستشهادي، حتى يكون قويًّا اجتماعيًّا فاعلًا؛ فكان يصف الذين يريدون جهادًا بلا دماء وأشلاء وتضحيات بأنهم أصحاب «**جهاد الإتيكيت**».

الْمُقَادِمَةُ مُفَكِّرًا..

كان المقادمة مفكرًا للحركة الإسلامية في فلسطين.

يعتبر الدكتور إبراهيم المقادمة أحد مفكري الإخوان المسلمين وحركة «**حماس**» في فلسطين؛ حيث أكسبته قراءاته واطلاعه على شتى التخصصات ثقافة ووعيًا، حتى وصفه كل من عرفه بأنه كان عالمًا في كل شيء، ولكن ظروف حياة المقادمة الصعبة وقضبان السجن الطويلة لم تمكنه من طباعة الدراسات التي أعدها والكتب التي ألفها والمحاضرات التي كان يلقيها.

وقد اضطر المقادمة ـ لظروف السجن ـ أن يصدر عدة كتب ودراسات بأسماء مستعارة، ككتابه الشهير «**الصراع السكاني في فلسطين**» الذي أَلَّفَهُ في سجن عسقلان في عام ١٩٩٠م

تحت اسم الدكتور «**محسن كريم**».

يتناول المقادمة في هذا الكتاب بالتفصيل عمليات الهجرة اليهودية في فلسطين منذ عام ١٨٨١م وحتى عام ١٩٩٠م، ودوافعها وآثارها، ثم عرج على النمو السكاني الطبيعي عند اليهود والفلسطينيين، ثم ينتهي إلى الحديث عن مسئولية الحركة الإسلامية في إدارة الصراع السكاني.

بالإضافة إلى دراساته: «**معالم في طريق تحرير فلسطين**»، و«**الصراع السكاني في فلسطين**»، وكتب عن أوسلو وعن الجهاد وعن الأمن، وعن أحكام التجويد... وغيرها من القضايا، إضافة إلى حرصه على كتابة مقالات أسبوعية في الصحف والنشرات والمواقع الإلكترونية الإسلامية.

وفي كتابه الأكثر أهمية «**معالم في الطريق إلى فلسطين**» يوجِّه المقادمة حديثه إلى الشباب المسلم في كل مكان؛ فكان يقول: «إن عليهم يرتكز الأمل في تفهم أبعاد القضية الفلسطينية، والانطلاق بها في الطريق الصحيح».

ويضيف: «إن واقعنا تعيس إذا ما قيس بقوة أعدائنا وما يدبرونه لنا من مؤامرات، غير أن لي في اللَّه أملًا أن يتولى دينه وينصر جنده ويخذل الباطل وأهله.. وبشارات القرآن الكريم وأحاديث رسول اللَّه ﷺ تجعل هذا الأمل يقينًا راسخًا أراه رأي العين».

ويكمل: «ولي أمل في شباب الحركة الإسلامية أن يقوموا وينفضوا عن أنفسهم غبار النوم والكسل، ويواصلوا العمل ليل نهار جهادًا في سبيل اللَّه وتضحية بكل ما يملكون من جهد ونفس ومال ووقت، ويخلصوا توجيه هذا الجهد لله ـ سبحانه ـ، ويوطدوا العزم على السير على طريق الإسلام، متحدين على طريق الإسلام لتحرير فلسطين وكل الأرض من رجس الطاغوت».

كما كتب عشرات المقالات، وقام بإلقاء مئات المحاضرات في مختلف المساجد والمعاهد والجامعات، فأصدر عدة أشرطة كاسيت تتضمن بعض محاضراته، منها: سلسلة «**بناء الشخصية**»، و«**حسن المعاملة**» و«**الأخوة الإسلامية**»، و«**العمليات الاستشهادية والروح الجهادية**»، «**أساس الدعوة**»، و«**توبة كعب بن مالك**»، و«**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**».

ومن مقالاته الأخيرة «**الدور الأمريكي وخارطة الطريق**»، و«**عن المبادئ والمصالح**»، و«**أين الجماهير العربية؟**»، و«**استعينوا باللَّه واصبروا**»، و«انفراد «حماس» بالمقاومة لا يعني العزلة»، و«**طلابنا والثقافة**»، و«**فرصة الذبابة وفلسفة المقاومة**». وكان آخر ما كتب المقادمة «**الحل**

الأمريكي الصهيوني أسوأ من الحرب».

نَظَّارَةُ الدُّكْتُورِ الْمَقَادِمَةِ

مقادمة اليوم.. وعمر المختار الأمس، والدرب واحد يحتاج من يسير عليه غدًا... جاء طفل إلى إسماعيل هنية أحد قادة «**حماس**»، وأحضر له نظارة المقادمة من مسرح الجريمة، كما أحضر ذلك الطفل الليبي قديمًا نظارة الشيخ عمر المختار من مسرح إعدامه، وهكذا فنظارة المختار ما زالت باقية، وكلمات المقادمة ما زالت باقية «**لن نستسلم.. سنقاتلكم حتى النصر أو الشهادة**».

مُقْتَطَفَاتٌ مِنْ شِعْرِ الْمَقَادِمَةِ..

أَنَا لِلْجَنَّةِ يَا إِلَهِي
فِي سَبِيلِ الْحَقِّ فَاقْبِضْنِي شَهِيدًا
وَاجْعَلِ الأَشْلاَءَ مِنِّي مَعْبَرًا
لِلْعِزِّ.. لِلْجِيلِ الْجَدِيدْ

....

يَا إِخْوَتِي يَا رَهْطَ خَيْرِ النَّاسِ يَا نُورَ الْمَشَاعِلْ
يَا إِخْوَتِي يَا مَلْحَ هَذِي الأَرْضِ يَا نَسْلَ الْبَوَاسِلْ
يَا إِخْوَتِي يَا بَدْرَ هَذَا اللَّيْلِ لِلظَّلْمَاءِ قَاتِلْ
صُونُوا أُخوَّتَكُمْ وَأَحْيُوا لَيْلَكُمْ فَالظُّلْمُ زَائِلْ
يَا فِتْيَةَ الْقَسَّامِ هَذَا دَرْبُكُمْ شَوْكُ الصِّعَابْ
دَرْبُ الْقَنَابِلِ وَالرَّصَاصُ سَبِيلُنَا وَهُوَ الْخِطَابْ
لَنْ يُنْقِذَ الْبَاغِي الْفِرَارُ وَلَوْ تَعَلَّقَ بِالْحِسَابْ

....

قَدْ تَنَاثَرَ
فِي انْشِطَارِ لَا نهائي تكاثر

فِي قُلُوبِ النَّاسِ أَلْقَى خِصْبَهُ
أَشْعَلَ النُّورَ وَسَافَرْ
غَدَتْ أَشْلَاؤُهُ لَمَّا تَنَاثَرْ
لِقَوَافِلِ الشُّهَدَاءِ فِي الدُّنْيَا منائِرْ
وَرَمَى النُّورُ ضِيَاءً فِي قُلُوبِ الْعَاشِقِينْ

إِبْرَاهِيمُ الْمَقَادِمَةُ.. فَيْلَسُوفُ الشُّهَدَاءِ(١)

❑ الْمَقَادِمَةُ التَّقِيُّ الْخَفِيُّ:

«عشرون حمامة تحلق فوق الجثمان، وتقترب رويدًا رويدًا من جسده الطاهر في ملابسه المنداة بدمه.. تقترب الطيور إلى مستوى رءوس المشيعين بالقرب من الجثمان، ثم ترتفع، ربما تبشره بما رأت من منزله الجديد.. أو كأن الفضول قادها لتشاهد هذا الذي تستقبله السماء بكل هذا الفرح.. طوَّفت الحمامات في جو معبق برائحة المسك الفوَّاح.. هذه الرائحة التي تسابق المشيعون إلى تنسمها من الجثمان، بل ووضع المناديل على الجسد القوي علَّها تتشبع ببعض من ريح الجنة.

لم تُروَ هذه الكرامات في أحد كتب السلف الصالح، ولا هي جزء من التراث الصوفي، وإنما شهدها ربع مليون فلسطيني في جنازة أحد رجالهم الأفذاذ..

ما كان ذلك المسجَّى على الأعناق إلا الدكتور إبراهيم المقادمة في مشهد عرسه الذي امتد إلى مسيرة الـ ١٠٠ ألف في البريج والمنطقة الوسطى، ومسيرات حاشدة في اليمن وسوريا ولبنان والسودان؛ لتحيي ذكرى القائد المقادمة، ولترفع علم الجهاد والمقاومة..

إنه نفس الرجل الذي تعود جيرانه أن يروه في المسجد الملاصق لمستشفاه، ممسكًا بمسَّاحة لتنظيف أرضية الحمامات، رافضًا بإصرار شديد أن يقوم واحد من الشباب بتحمل هذا العمل عنه.

(١) لأسامة عامر - مصطفى الصواف - ٢٠٠٣/٣/٣٠م.

وهو ذاته الذي فقد ولده الأكبر أحمد عام ١٩٩٠م أثناء وجوده في سجون الاحتلال، ولم تفتَّ هذه المحنة في عضده؛ فحين أبلغه أحد المعتقلين بالنبأ الحزين، واقترح أن يفتحوا بيتًا للعزاء في السجن طلب منه المقادمة تأجيل ذلك لحين إتمام درسه اليومي الذي يلقيه بعد صلاة المغرب.

❑ مَنْ هُوَ؟

الدكتور إبراهيم أحمد المقادمة، العقل المفكِّر لحركة الإخوان المسلمين في فلسطين، القائد المؤسس لحركة المقاومة الإسلامية «**حماس**»، القائد الأول للجهاز الأمني لحركة المقاومة الإسلامية «**حماس**»، وهو القائد لكتائب الشهيد عزِّ الدِّين القسَّام عام ١٩٩٦م، الذي أجبر العالم على الاجتماع في شرم الشيخ؛ لينقذ الكيان الصهيوني من ضربات القسَّام التي أعقبت استشهاد القائد المهندس يحيى عياش.

لم يكن إبراهيم المقاومة مجرد شخصية عسكرية أو سياسية فحسب، وإنما كان له من العلم نصيبُ الذين فتح اللَّه عليهم.. في العقيدة كان عالمًا، وفي التفسير كان مجتهدًا، وفي الحديث له نظرات، ومع الفقه له وقفات، كما كان شاعرًا (طالع بعض شعره) ومفكرًا، وصاحب نظرية في التربية، رغم أنه حاصل على بكالوريوس في طب الأسنان!!

لذلك كله اغتالته قوات الاحتلال الصهيوني أثناء توجهه إلى عمله في مدينة غزة، مع ثلاثة من مرافقيه صبيحة يوم السبت ٨ مارس ٢٠٠٣م» ا.هـ.

أَسْرَى «حَمَاسٍ» فِي سِجْنِ النَّقَبِ الصَّحْرَاوِيِّ يَرْثُونَ الْقَائِدَ الدُّكْتُورَ إِبْرَاهِيمَ الْمَقَادِمَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

باسم أبناء حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» في جميع سجون ومعتقلات العدو الصهيوني الغاصب، وخاصة معتقل النقب الصحراوي، نتقدم بأحر التعازي والتهاني إلى أهالي شهدائنا الأبرار، وأبناء شعبنا المعطاء، في قطاعنا المغوار، قطاع الصمود والتحدي، قطاع غزة الحبيب... تعازينا إليهم؛ لأننا نودع اليوم علمًا من أعلام هذه الأمة، بل منارة من مناراتها... وتهانينا إليهم بأن اصطفاه الله من بيننا شهيدًا كريمًا إلى هناك، حيث دار الخلود إن شاء الله...

نقف اليوم لنرثي رجلًا، بل أسدًا مغوارًا عجزت أرحام النساء أن تلد مثله، رجلًا طالما قدم الكثير لخدمة دينه ودعوته، مواجهًا أسوأ الظروف والعوائق، فكان صبره وصموده وإصراره حاجزًا تتكسر عليه كل العوائق والعقبات.

نقف اليوم في حفل زفاف شهيدنا القائد، شهيدنا المغوار، شهيدنا الحبيب الدكتور/ إبراهيم المقادمة «**أبو أحمد**» فتعجز لغتنا بأحرفها، وأقلامنا بمدادها أن توفيك شيئًا من حقك يا شهيدنا.

فمن أين نبدأ؟! وعن ماذا نتحدث؟! أنتحدث عن دينك؟! أم نتحدث عن خلقك وأدبك؟ أم نتحدث عن تواضعك وزهدك؟! أم نتحدث عن علمك فأنت البحر الخضم؟! لا ندري ماذا نقول وعن ماذا نتحدث...

ولكن تخرج آهاتنا وزفراتنا التي ملأت علينا صدورنا لتسطر قصيدة نطيّرها إلى روح دكتورنا المجاهد، الشهيد القائد «**أبو أحمد**» نطيّرها إلى روحه الطاهرة بجناحين، جناح من الألم والحزن على فراقك، والجناح الآخر من الشوق والحنين لتعانق روحك الطيبة التي لألأت كأسطع نجم في سماء الشهادة والخلود... فسلام اللَّه عليك يا شهيدنا.

أَتَمْضِي وَلَمَّا يَبْلُغِ الشَّوْطَ خَيْلُنَا ... وَلَا الْقُدْسَ مِنْ رِجْسِ الْمُغِيرِينَ طَهَّرُوا

فَمَنْ يَحْشُدُ الأَبْطَالَ بَعْدَكَ لِلْفِدَا ... وَمَنْ لِلْجِهَادِ الْحَقِّ فِيهَا يُذْكَرُ؟

تَمَهَّلْ قَلِيلًا.. فَالْمَعَارِكُ مَا انْتَهَتْ ... وَرِيحُ الْمَعَالِي فِي الْمَيَادِينِ تَزْأَرُ

أَيَا بَطَلًا هَزَّ الْجِهَادَ افْتِقَادُهُ ... هُوَ الْبَحْرُ يَصْفُو تَارَةً... ثُمَّ يَهْدِرُ

سَطَعْتَ بِسَاحَاتِ الْجِهَادِ مَنَارَةً ... لَوِ انْطَفَأَتْ كُلُّ الْمَصَابِيحِ تَزْهَرُ

وَحُزْتَ أَفَانِينَ الْمَعَالِي كَأَنَّهَا ... مَدَارَاتُ أَفْلَاكٍ لَهَا أَنْتَ مِحْوَرُ

أَهَالِي فِلَسْطِينَ احْتَسُوا كُئُوسَ الشَّجَى ... وَجُرْحُ «حَمَاس» فِيكَ مَا عَادَ يَضْمُرُ

سَتَبْكِيكَ أَعْدَادُ الْجِهَادِ بِحَسْرَةٍ ... وَيَالَ أَسَاهَا حِينَمَا تَتَذَكَّرُ

يَرَاعًا جَرَى الْوَقْتُ الطَّوِيلُ فَلَمْ يَفُهْ ... بِسُوءٍ وَلَمْ يَفْرَحْ بِمَا خَطَّ مُنْكِرُ

فَمَا أَوْهَنَتْهُ مِنْ قُوَى الشَّرِ غَارَةٌ ... وَلَا مِنْهُ فِي كَفِّ الأذىٰ لَانَ عُنْصُرُ

وَخَمْسُونَ عَامًا عُمْرُهُ الْغَضُّ ظَهْرُهَا ... بِمَا حَمَلَتْ مِنْ فَادِحِ الْعِبْءِ مُوقَرُ

تَمُوجُ هُمُومُ الْمُسْلِمِينَ بِصَدْرِهِ ... وَفَوْقَ شَبَا إِيمَانِهِ تَتَكَسَّرُ

لَهُ أُمْنِيَاتٌ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهَا ... لِتَحْقِيقِهَا فِي الأَرْضِ يَرْسُو وَيَبْحَرُ

يَكِلُّ جَنَاحُ النَّسْرِ دُونَ بُلُوغِهَا ... وَفِي دَرْبِهَا الْخَيْلُ الأَصِيلَةُ تَعْثُرُ

إِذَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى خُطُوَاتِهِ ... فَفِي صَدْرِهِ دُنْيَا مِنَ الْكَوْنِ أَكْبَرُ

وَإِنْ سَكَبُوا فِي دَرْبِهِ اللَّيْلَ وَالأَذَى ... فَفِي الْفِكْرِ بَدْرٌ مِنْ هُدَى اللَّهِ نَيِّرُ

وَإِنْ كَبَّلُوا يَوْمًا عَنِ السَّيْرِ رِجْلَهُ ... فَمَا كَانَتِ الرُّوحُ الطَّلِيقَةُ تُؤْسَرُ

وَيُزْرِي بِهِ أَهْلَ الشِّقَاقِ فَيُزْدَرَى ... وَيَشْتُمُهُ النَّذْلُ الْحَقِيرُ فَيَسْخَرُ

الحمد لله واللَّه أكبر ولله الحمد .. وإنه جهاد نصر أو استشهاد

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته

إخوانكم
في سجن النقب الصحراوي

قلعة الشهيد جمال منصور

الْبَطَلُ مُهَنَّدُ الطَّاهِرُ ..

مُهَنْدِسُ كَتَائِبِ الْقَسَّامِ الرَّابِعُ(١)

عشق الشهادة منذ الصغر.. بحث عن دروبها ووجد الإجابة، ونالها بعد أن وصل إلى القمة، لكنه لم يهبط، بل بقيت روحه في عنان السماء يراقب الأرض التي أحب، والأقصى الذي عشق، والإخوان الذين امتزجت أرواحهم تحت سقف هدف واحد «**نريدك حرة يا فلسطين تحت راية الله أكبر**».. إنه الشهيد الحي مهند الطاهر.

لم تكن طفولة مهندس المتفجرات ومولد الاستشهادي مهند الطاهر بالطفولة العادية، فقد فتح عينيه ـ كما تقول والدته (أم محمد) ـ على قراءة القرآن والالتحاق بدروس الوعظ في المساجد، وتشابكت خطوط هذه الطفولة مع اندفاع كبير لدى الشعب الفلسطيني لمقاومة المحتلين في انتفاضة فلسطين الكبرى عام ١٩٨٧م، حينها كان مهند في الحادية عشرة من عمره.

وفي هذه الانتفاضة تعلَّم مهنَّد رماية الحجارة، وأتقنها حتى إنه كان يُحسد من أقرانه على مهارته في إصابة دوريات الاحتلال الإسرائيلي والجنود الذين يطلقون الرصاص في كل الاتجاهات. ولم يكن مهند ـ ذلك الطفل الصامت الهادئ ـ يعلم أن يد القدر تعدُّه لمستقبل كبير، وأن الحجارة ليست إلا السلاح الأول الذي أريد له التدرب عليه ليتدرج بعدها، خلال فترة قصيرة لم تتعدَّ عشر سنين، لقنص عشرات الجنود والمستوطنين.

وفي فترة الطفولة تنقل مهند ـ المدلَّل، أصغر إخوته الخمسة ـ بين مدارس مدينة نابلس، حيث درس المرحلة الابتدائية في مدرسة عمرو بن العاص، ومن ثم أكمل دراسة المرحلتين الإعدادية والثانوية في مدرسة قدري طوقان ليلتحق بعدها بجامعة النجاح الوطنية في نابلس ليدرس فيها الشريعة الإسلامية، ولم يكن يتبقى له على التخرج سوى ساعات قليلة.

❑ تَرَبَّى فِي أَحْضَانِ الْمُقَاوَمَةِ

لم يكن عمر مهند الطاهر قد تجاوز الـ١٨ عامًا حينما انتمى إلى إحدى خلايا «**كتائب عزِّ**

---

(١) لأسامة عامر ـ مصطفى الصواف، ٢٠٠٣/٣/٣٠

الدِّين القسَّام» الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية «**حماس**»؛ ليصبح في أقل من أربع سنوات «**المهندس الرابع**» لكتائب القسَّام، وليكتب تاريخ حياته القصيرة عمرًا بسجلات المجد والخلود لمستقبل لا ينتهي إلا بانتهاء الحياة.

ففي عام ١٩٩٦م انتمى مهند الطاهر لخلية عسكرية تابعة لحركة «**حماس**»، والتي أنشئت من قبل «**محمود أبو هَنُّود**» و«**خليل شريف**»، بدأ عمله العسكري داخل الحركة؛ ليصبح خبيرًا في صناعة المتفجرات حتى إن البعض أطلق عليه «**منتج الاستشهاديين**».

تقول والدة مهند ـ ٦٠ عامًا، أرملة تعيل أولادها محمد، والشهيد مهند، وثلاث شقيقات: إنها لم تتخيل يومًا أن يتحول أصغر أبنائها الهادئ الذي ولدته عام ١٩٧٦م في مدينة نابلس إلى بطل عظيم يُعَدُّ ضمن ثلَّة قليلة استطاعت أن تتسبب في موت هذا العدد الكبير من الصهاينة.

واعتبرت أم مهند أن ما سمعته من تصريحات إسرائيلية عن ابنها. وآخرها تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي بأن ابنها كان المسئول عن مقتل ١١٧ إسرائيليًّا ـ شهادة فخر واعتزاز لها كأم استطاعت أن تربِّي أولادها على حب الوطن والشهادة بعد أن رحل والدهم عن الحياة قبل خمس سنوات.

وتضيف الأم الفلسطينية الصابرة بأن نجلها المطارد منذ عامين ونصف أوصاها في جميع لقاءاته معها بألا تصرخ جزعًا عند سماعها بخبر استشهاده.. وألا تبكي عليه.

وتابعت قائلة: «**لقد طلبت منه أكثر من مرة الزواج والاستقرار، لكنه رفض بشدة، وقال لي: أريد أن أتزوج من الحور العين يا أمي**».

❑ قَتَلَ ١١٧ إِسْرَائِيلِيًّا

وكانت قصة استشهاد مهنَّد قد بدأت مساء الأحد ٣٠/٦/٢٠٠٢م خلال هجوم شنه الجيش الإسرائيلي على منزل في حي المساكن الشعبية على المدخل الشمالي الشرقي لمدينة نابلس، واستشهد معه رفيق دربه وحبيبه المقرب «**عماد الدين نور الدين دروزة**» شقيق أكبر قادة حركة المقاومة الإسلامية في الضفة الغربية الذي اغتيل في شهر حزيران ٢٠٠١م «**صلاح دروزة**»، كما أصيب في ذات الحادثة عمَّار رزق المصري ـ ٣٦ عامًا ـ وهو صاحب المنزل.

وقالت مصادر متطابقة: إن الهجوم الذي شاركت فيه طائرتا أباتشي وعدد كبير من الدبابات

والمجنزرات الصهيونية استهدف مهندًا ورفيقه في الساعة الخامسة عصرًا حتى الساعة العاشرة والنصف ليلًا، حيث تم استقدام جرافات ضخمة وقامت بهدم المنزل المكون من طابقين.

وبموجب أقوال المصادر العسكرية الإسرائيلية فقد وصلت قوة خاصة إسرائيلية إلى المكان بغية اعتقال مهنَّد، وبعد ذلك وقع تبادل لإطلاق النار في مكان قريب من بيته، أسفر عن استشهاده وعماد دروزة.

وتنسب الحكومة الإسرائيلية إلى مهند المسئولية عن العملية التي وقعت في مفرق «**باب**» في القدس، والتسبب بمقتل ١١٧ صهيونيًّا، ووصفته بأنه كبير المطلوبين من حركة «**حماس**» في منطقة «**نابلس**»، حتى إن الحكومة الإسرائيلية عقدت مؤتمرًا صحفيًّا صباح الاثنين ٢٠٠٢/٧/١م اعتبر فيه وزير الدفاع الإسرائيلي «**بنيامين بن أليعازر**» اغتيال مهند الإنجاز الأكبر الذي قام به الجيش الإسرائيلي في حملة «**الطريق الحازم**» التي احتل فيها الجيش الإسرائيلي مختلف مدن الضفة الغربية، متهمًا إياه بالمسئولية عن مقتل ١١٧ إسرائيليًّا.

أما رئيس الوزراء الإسرائيلي «**إريل شارون**» فقد اعتبر أن اغتيال مهند الطاهر كان أولوية إسرائيلية؛ لأنه المفكِّر والمدبِّر لكبرى العمليات الاستشهادية داخل إسرائيل، واعتبره «**عملية مهمة للغاية**» ـ كما يقول ـ للتخلص من «**قاتل ارتكب أبشع الجرائم**». وقال متبجحًا: إن إسرائيل تمارس «**حقها**» في الدفاع عن النفس بقتل الطاهر.

وتوقع شارون أن يشكِّل اغتيال مهند لطمة كبيرة لحركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» معتبرًا العملية نصرًا عسكريًّا وإنجازًا كبيرًا.

❑ الْمُهَنْدِسُ الرَّابِعُ لِكَتَائِبِ الْقَسَّامِ

يُعَدُّ مهند المهندسَ الرابع في كتائب القسَّام بعد المهندس يحيى عيَّاش مهندس حركة المقاومة الإسلامية الأول، وعادل عوض اللَّه المهندس الثاني، ومحمود أبو هنود المهندس الثالث.

أمضى مهند ٣ سنوات في سجن جنيد معتقلًا لدى السلطة الفلسطينية، وأفرج عنه بُعيد اندلاع انتفاضة الأقصى، ومنذ تلك اللحظة ـ منذ عامين ونصف العام ـ أضحى مطاردًا، وسبق ذلك بقاؤه لمدة شهرين في التحقيق في سجون الاحتلال.

وفي صباح يوم الاثنين ٢٠٠٢/٧/١م نشرت وسائل الإعلام الإسرائيلية ما يسمَّى «**قائمة**

الموت» الخاصة بمهند الطاهر التي تنسب له فيها المسئولية عن عشرات العمليات المسلحة التي أدت إلى مقتل ١١٧ إسرائيليًا، وقالت فيها: إن مهندًا مطلوب لإسرائيل منذ تشرين الثاني ١٩٩٩م، ويعتبر خبيرًا بتحضير العبوات الناسفة.

❑ وَصِيَّتُهُ: أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ بِجَانِبِ جَمَال مَنْصُور

وفي الوصية التي تركها مهند الطاهر الذي كان قد تبقى على تخرجه من جامعة النجاح الوطنية في نابلس من كلية الشريعة ساعات معدودة.. اعتبر مهند أن روحه في أي وقت يستشهد فيه هي هدية لفلسطين وللأقصى الشريف.

وتمنى مهند على من يبقى خلفه بأن يتم دفنه إلى جانب أستاذه ومعلمه الأول جمال منصور كبير قادة حركة المقاومة الإسلامية الذي اغتيل مع ستة آخرين من رفاقه في التاسع والعشرين من تموز ٢٠٠١م.

* * *

أَبُو حَمْزَةَ الْبَطَلُ الْهُمَامُ مُصَمِّمُ الْقَسَّامِ «٢»
«سَائِد عَوَّاد»
مِنْ «الدفاشة إلى القسام ٢»

«لم يخطر ببال الحاجة «**أم حسين**» وهي تزجر حفيدها «**سائد**» ذا الأعوام الست عن العبث بالأجهزة المنزلية، فهو لا يلبث أن يفكك قطع الراديو ويعطله حتى يتوجه صوب الترانس «**المحول الكهربي**» فيأتي عليه عن آخره، وإن سلم منه هذا وذاك تجده يعبث بمجموعة ألعابه المفضلة «مفكات، وشاكوش، وزردية، وبعض الأدوات الميكانيكية...»، أمام هذا كله لم يخطر ببال أم حسين أن هذا الولد اللعوب ما هو إلا نواة للبطل القادم، وأن هذا العبث و«الشقاوة» ما هي إلا بداية الابتكار، وأن هذا الصغير الذي غادرها منذ سنوات هو اليوم صانع «**القسَّام ٢**» أول صاروخ فلسطيني الصنع والابتكار والإطلاق.

❑ فِي أَزِقَّةِ «الشَّابُورَةِ»!!

في حواري وأزقة مخيم «**الشابورة**» للاجئين في رفح على الحدود مع جمهورية مصر العربية، وتحديدًا في السابع والعشرين من آذار/ مارس عام ١٩٧٧م خطا «**سائد حسين عوَّاد**» خطواته الأولى، وفي أحضانه عاش مراحل طفولته، وفي أحد بيوته المتواضعة المصنوعة من الأسبستوس، تحدثنا جدته أم حسين ذات السبعين عامًا، وقد ارتسمت على وجهها كل ملامح فلسطين بدءًا بالنكبة والهجرة من بلدتهم الأصلية في فلسطين ٤٨، ومرورًا بالانتفاضة الأولى، وليس انتهاء بالانتفاضة الحالية، سرحت ببصرها بعيدًا قبل أن تبدأ حديثها عن الحفيد الغالي سائد، وقبل أن تفر دمعة من عينها قالت: «لقد كان جميلًا، رشيقا، وكان لا يحب الظلم أبدًا، ولا يحب أن يعتدي على أحد، ولا أحد يعتدي عليه، وكان مطيعًا لأهله ووالده منذ صغره»، وتتابع وهي تشير إلى مسجد المخيم القريب، وتقول: «كان رغم صغر سنه يذهب إلى مسجد الفاروق في المخيم مع أبيه وأعمامه، وكان يقضي جميع الإجازات المدرسية في المخيمات الصيفية في المسجد، وكان معروفًا

عنه أنه طفل يحب النظام والالتزام».

وترتسم ابتسامة على شفتيها كأنها تذكر مشهدًا جميلًا وتضيف الحاجة أم حسين: «كان سائد يحب أن يكون قائدًا منذ صغره، فكان يلعب مع أصحابه، ويقودها ويوزع الأدوار عليهم، وكان دائمًا متصدر اللعبة يجمعهم ويفرقهم، ويلتفون حوله، سائد الذي يدعوهم للعبة، وهو الذي ينهيها، وهو الذي يقسمها، ويعي لكل واحد من أصحابه دوره وموقعه».

ولم يكن هذا هو الهم الأكبر الذي شغل الطفل سائد عوَّاد رغم صغر سنه، فهو وإن كان يلعب مع الأولاد وهو قائدهم، إلا أنه كان متميزًا بألعابه ومقتنياته، حيث يقول عمه عبدالهادي أحمد عوَّاد: «كان سائد نشيطًا ولعوبًا في طفولته الأولى، فقد كان يحب تصليح الأجهزة الكهربية القديمة كالراديو والمحول الكهربي «**الترنس**»، وكانت لعبته المفضلة منذ صغره المفكات والأدوات الميكانيكية (كالشاكوش، والزردية) وما شابه

وكان مما يشغل باله وهو طفل لم يتجاوز السنوات الست قبل رحيله مع أسرته إلى الضفة الغربية عام ١٩٨٣م تقريبًا، هو فك وتركيب وتجميع الأجهزة والأسلاك الكهربية»، ويتابع عم الشهيد سائد وهو يتذكر طفولته: «أذكر أنه تعرض للزجر من والده أكثر من مرة؛ لأنه تسبب في عطل بعض الأجهزة كالراديو، والساعة المنبه، وما شابه».

❑ الدَّفَّاشَةُ: أُولَى الِابْتِكَارَاتِ!!

وإن كان الشهيد سائد كثير العبث في كل ما يقع تحت يده أدوات وأجهزة، إلا أن هذا العبث لم يكن فارغًا أو بلا نتائج، فرغم طفولته إلا أن عقله كان منذ البداية ينبئ عن مبتكر مبدع، حيث يحدث عمه عبدالهادي عن هذه الابتكارات في هذه السن المبكرة، فيضيف: «لقد كان سائد يتفنن في تصنيع لعبة الأطفال التي تطلق النار بصوت عال، والمعروفة في قطاع غزة باسم «**إستاكوزا**»، وهو أول من نقلها إلى الضفة الغربية، وتعرف عندهم باسم «**الدفاشة**»، وهي عبارة عن آلة يدوية كان في بدايتها يضع مسمارًا في مفتاح يتم تعبئته بالثقاب ويضربها بقوة، فتحدث صوتًا عاليًا مرتفعًا مزلزلًا كالألعاب النارية، ولم يتوقف الشهيد سائد عند ذلك فقد عمد إلى تطوير هذه الآلة، حيث جاء بماسورة طويلة وثبتها على خشبة مستوية، وجعل لها ضاغطًا عبارة عن قضيب من الحديد موصول بزنبرك «**زمبلك**»، بحيث يتمكن بها من إطلاق رصاصة واحدة

في كل ضربة.

قَائِدُ أَشْبَالِ «حَمَاس»

هذه الملامح والشقاوة التي ميَّزت سائد في مراحل حياته الأولى في مخيم «**الشابورة**» في رفح انتقلت معه إلى مخيم طولكرم في الضفة الغربية، حيث أنهى المرحلة الابتدائية والإعدادية في مدارس وكالة الغوث في المخيم، ثم اضطر لترك الدراسة مبكرًا ـ كحال الآلاف من الفلسطينيين هنا؛ ليتفرغ لمساعدة والده في تحصيل الرزق.

ومع اندلاع الانتفاضة الأولى كان سائد في مقدمة الصفوف رغم صغر سنه آنذاك، وكان له دور متميز، حيث اعتقل على خلفية فعاليات الانتفاضة وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، وأخضع للتحقيق، ولم يكن منه إلا الصمود وعدم الاعتراف، وخرج من السجن منتصرًا رافعًا الرأس.

وبرزت ملامح شخصيته القيادية أكثر من مطلع التسعينيات، حيث قاد مجموعة من الأشبال في العام ١٩٩١م في حركة «**حماس**»، في مخيم طولكرم، وعملوا معًا في إلقاء الزجاجات الحارقة وإطلاق النار على نقاط الجيش المتمركزة فوق أسطح المنازل، مستخدمين ما يصنعه من «**دفاشات**»، وهو ما أدى إلى إصابته ذات مرة بعيار ناري في قدمه، لكن هذا لم يثنه عن مواصلة نضاله وجهاده ومقاومته للاحتلال، ولكن بأساليب أقوى ووسائل أنجح.

مِنْ سُجُونِ الاحْتِلَالِ إِلَى سُجُونِ جِنِيد

هذه الأساليب وتلك الوسائل وجدها عوَّاد سائدة في صفوف الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية «**حماس**»، فانخرط في صفوفها، مقاتلًا شرسًا، لكنه لم يلبث أن اعتقل في العام ١٩٩٤م لمدة أربع سنوات على خلفية تزعمه لخلية من كتائب «**عزِّ الدِّين القسَّام**» في منطقة طولكرم، وفي السجن كان ـ أيضًا ـ مثالًا للصابر المحتسب عند الله رغم شدة الأساليب والوسائل التي استخدمتها أجهزة المخابرات لانتزاع اعتراف منه، وأحبه كل من سجن معه، ولم ينسوا ذلك الشاب الرقيق الرفيق حتى بعد أن تركهم وخرج من السجن.

ولم يكد سائد يخرج من سجون الاحتلال في العام ١٩٩٨م، حتى يعتقل مرة أخرى لدى

أجهزة السلطة الفلسطينية ليحقق معه مرة أخرى بكل ما تحمله القسوة والبشاعة من معنى، حيث أعيد بعد ذلك إلى سجن جنيد في نابلس؛ ليلقى أحبة له الآن هم إخوانه في الشهادة، بل سبقوه إليها، إنهم الشيخان والقائدان الشيخ جمال منصور، والشيخ يوسف السركجي، وصديقه الشهيد البطل محمد ريحان.

وهناك أحسّ سائد باقتراب موعده الذي طالما انتظره، حيث ينقل عنه أحد إخوانه تلك المقولة التي كان يرددها دائمًا حينما يسأل عن اعتقاله لدى السلطة في جنيد فيقول: «**من دخل سجن جنيد وخرج منه فليستعد للشهادة، فالتنسيق الأمني لا يرحم**».

وصدقت مقولة سائد، حيث إن أكثر من ٧٠٪ ممن كانوا معه في سجن جنيد أصبحوا إما مطاردين أو سجناء لدى اليهود، أو لقوا اللَّه شهداء جراء تعرضهم للاغتيال بعد خروجهم من هذا السجن المشئوم خلال هذه الانتفاضة.

❑ مَعَ الْقَسَّامِ (٢)!!

بعد خروج سائد من سجون السلطة بعد اعتقال دام ١٣ شهرًا، تزوج مع مطلع عام ٢٠٠١م، ورزق بطفل سمَّاه (حمزة)، لكن هذا الزواج لم يشكل عائقًا أمام استمرار سائد في النضال والجهاد خلال هذه الانتفاضة، فلقد تعرض للإصابة مرة أخرى بعيار ناري وهو يدافع عن مدينة طولكرم مع بدء الانتفاضة في عام ٢٠٠١م.

لكن رجم الحجارة والسير في المسيرات الاحتجاجية لم يقنع أبا حمزة، فلقد كان فكره مشغولًا باستمرار كما كان منذ صغره، يفكر في كل طريقة ووسيلة تساهم في خلع هذا المحتل من أرضه الطاهرة إلى أن هُدِي لتطوير وتصنيع وتصميم صواريخ القسام ٢ المتطورة عن صواريخ قسَّام ١ التي أرقت الكيان الصهيوني وأقضت مضاجعه في غزة وفي مدن الضفة الشماء لتصل بمداها إلى قلب الكيان المنبوذ، وهو ما جعلهم يهددون بالعمل على إيجاد حزام أمني على طول حدود الأراضي الفلسطينية، بل التهديد بالرد بقسوة في حال إطلاق أي من هذه الصواريخ.

وفي الصفحة التالية جدول بأهم الفروقات بين صاروخي القسام ١ والقسام ٢:

أهم المواصفات	القسّام ١	القسام ٢
طول الصاروخ	٧٠سم	١٨٠سم
مدى الإطلاق	٢ إلى ٣ كم	٧ إلى ٩ كم
حمولة الرأس من مادة **TNT** المتفجرة	٦٠٠جم	٥ إلى ٦ كجم
قطر الصاروخ	٨سم	١٢سم

وكما في صاروخ القسَّام ١ فإن القسَّام ٢ لم يُجر تطويرًا أو تغييرًا على طريقة الإطلاق، إلا ملاءمة القاذف ليكون مناسبًا للحجم، ولا يمكن التحكم فيه أو في توجيهه بعد إطلاقه.

وكانت المصادر الأمنية الإسرائيلية قد ذكرت لصحيفة يديعوت أحرونوت أن صواريخ من طراز «**القسَّام ٢**» تتم صناعتها في ورش في مدينة نابلس، وحسب تحليلهم للمواد التي صنعت منها الشحنة التي ألقي القبض عليها فإن صناعتها تمت بأنابيب فولاذية، ثبت في أحد طرفيها جناحًا الصاروخ، أما من الطرف الآخر فقد ثبت فيها رأس مدبب فولاذي يغطي الرأس الحامل للمتفجرات. ويحمل هذا الصاروخ في داخل أنبوبة مواد متفجرة تصل إلى خمسة كيلو جرامات، وأما في جزء الأنبوب السفلي فقد ثبت خليط من المواد المتفجرة لإحداث قوة دفع تلقي بالصاروخ إلى مسافة عشرة كيلو مترات.

بينما قال قائد القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية الجنرال «**جرشون يتسحاك**» عقب ضبط شاحنة الصواريخ بين مدينتي نابلس وجنين: خلافًا للتقديرات المسبقة التي أشارت إلى مدى ثمانية كيلو مترات، فإن مدى الصواريخ يقدر الآن بحوالي عشرة إلى اثني عشرة كيلو مترًا، وذلك حسب كمية المادة المتفجرة وشكل الصاروخ.

وكان سائد يعلم يقينًا أنه ولا بد ملاحق من قبل قوات الاحتلال في كل مكان، فعليه أن يكون أسرع منهم إلى نشر هذه التقنية لدى أكبر عدد ممكن لئلا تنتهي باستشهاده أو موته، فلجأ إلى طريقة مبتدعة، حيث كان ينتقي عناصره الفعَّالة في كل مدن الضفة ويعلمهم كيفية التصنيع والإطلاق مبتدئًا بمخيم بلاطة في نابلس، ومن ثم إلى جنين القسَّام، ومن ثم إلى طولكرم، ومنها إلى طوباس وغيرها من المدن والقرى، حيث أودع سر القسَّام ٢ عند كثير ممن علمهم، الأمر الذي أكدته بيانات كتائب القسَّام فيما بعد.

ذَهَبَ سَائِدُ وَبَقِيَ الْقَسَّامُ ٢!!

❏ صَوَارِيخُ الْقَسَّامِ (٢):

انضم سائد لصفوف مقاتلي القسَّام يصارع المحتل في مخيم بلاطة في الاقتحام الأول موقعًا فيهم الإصابات، ولم ينسحب من المخيم إلى أن انسحبوا دون النيل منه ومن إخوانه المجاهدين في كتائب القسَّام، وبعدها انتقل إلى جنين؛ ليتمترس من هناك، ويبقى بصحبة مهندس عمليات القسَّام هناك في جنين القائد «**قيس عدوان أبو جبل**» المطلوب لدى جيش الاحتلال.

واقترب يوم اللقاء برب العزَّة حين اقتحمت قوات الاحتلال مخيم جنين للمرة الثانية بعد تلك العملية في مدينة أم خالد «**نتانيا**»، فواجههم هو وإخوانه ببسالة شهد لها أبناء جنين القسَّام، فأصيب منهم من أصيب، استشهد منهم من استشهد؛ لينتقل بعدها بصحبة خمسة من إخوانه إلى طوباس ـ إحدى ضواحي جنين ـ يتمترسون ويعدون للعدو ما يخشاه.

وفي صبيحة يوم الجمعة، الخامس من إبريل ٢٠٠٢م، وتحديدًا في بيت الشهيد البطل «**أشرف دراغمة**» في طوباس حاصرتهم القوات الصهيونية الخاصة فأبوا الاستسلام، واشتبكوا مع تلك القوة التي عززت بالدبابات والطائرات ومئات الجنود لأكثر من «**٥ ساعات**»؛ لتغرب شمس ذلك اليوم على ستة أشلاء مزقتها صواريخ الطائرات الأمريكية الصنع، بعد أن سطَّروا أروع ملاحم البطولة، لينتقل مهندس القسَّام «**سائد حسين عواد**» إلى جوار ربه بصحبة الشهيد قيس عدوان (أبو جبل)، والشهيد مجدي محمد سمير، والشهيد محمد أحمد كميل، والشهيد أشرف حمدي دراغمة، والشهيد منقذ محمد صوافطة. ذهب (سائد) بلا رجعة، لكنه ترك ما يذكرنا به، وما يذكر الصهاينة بيأسه، ذهب سائد لكنه ترك القسَّام «**٢**»[1].

---

(١) فلسطين ـ مها عبد الهادي ـ النجاح للصحافة ٢٠٠٢/٧/٣.
فلاح الصفدي، عادل زعرب ـ فلسطين ـ مكتب الجيل للصحافة ٢٠٠٢/٥/٩، إسلام أون لاين نت.

الْبَطَلُ الْمُهَنْدِسُ إِسْمَاعِيلُ أَبُو شَنَب

مِنَ الْمِيلَادِ إِلَى الِاسْتِشْهَادِ.. رِحْلَةٌ جَمَعَتْ بَيْنَ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ وَالنِّقَابِيِّ وَالْأَكَادِيمِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ

يعتبر المهندس إسماعيل أبو شنب ـ القيادي في حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**»، الذي اغتالته الخميس القوات الصهيونية بقصف سيارته بغزة ـ من القلائل الذين جمعوا بين العمل السياسي والنقابي والأكاديمي وتفوّق في هذه المجالات بشكل كان ملفتًا للنظر، كما كان اجتماعيًّا محبوبًا في أوساط الفلسطينيين الذين بكوه بحرقة بعد إعلان استشهاده.

❑ إِطْلَالَةٌ عَلَى حَيَاتِهِ:

الشهيد المهندس إسماعيل حسن أبو شنب، أحد قياديي حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» البارزين، وهو من مواليد غزة عام ١٩٥٠م، تعود جذوره لبلدة جودة المجدل داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م.

حصل أبو شنب على بكالوريوس الهندسة من جامعة المنصورة بمصر بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى في عام ١٩٧٧م.

ثم عمل مهندسًا في وكالة غوث اللاجئين، فرئيسًا لقسم الهندسة في الوكالة.

حصل على ماجستير الهندسة المدنية من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، وكان يعمل حتى استشهاده محاضرًا في كلية الهندسة بالجامعة الإسلامية بغزة، وعميد كلية المهن التطبيقية بنفس الجامعة.

وأبو شنب هو أحد قادة ومؤسسي «**حماس**» البارزين، وقضى عشر سنوات كاملة في سجون الاحتلال بتهمة قيادة التنظيم السياسي لـ«**حماس**» خلال الانتفاضة الأولى عقب اعتقال الشيخ أحمد ياسين زعيم «**حماس**» المؤسس، وتعتبره بعض المصادر الرجل الثاني في الحركة، ويعمل مديرًا لمركز أبحاث المستقبل بغزة.

وكان شخصية نقابية بارزة؛ إذ تولى منصب نقيب المهندسين مرتين عقب خروجه من

السجن، وممثلًا لحركة «**حماس**» في لجنة المتابعة العليا للقوى والفصائل الوطنية والإسلامية.

❑ مِيلَادُهُ وَنَشْأَتُهُ:

ولد المهندس إسماعيل حسن محمد أبو شنب «**أبو حسن**» في مخيم النصيرات للاجئين وسط قطاع غزة عام ١٩٥٠م وذلك بعد عامين من هجرة عائلته من قرية «**الجيّة**» والتي تقع جنوب شرق المجدل وعسقلان حيث استقرت أسرته في نفس المخيم.

نشأ أبو شنب نشأة السواد الأعظم من أبناء فلسطين الذي هُجِّروا من ديارهم في نكبة عام ١٩٤٨م، فالمخيم هو عالمهم، والفقر هو القاسم المشترك الذي يجمعهم. وكان والده «**حسن**» أميًّا ولكنه كان يستطيع قراءة القرآن الكريم. وكان حريصًا على تعليم أبنائه خاصة القرآن الكريم، فما إن فتحت بعض مراكز تعليم القرآن الكريم أبوابها حتى سارع بإشراك إسماعيل - وهو طفل صغير - فيها، وقد قدِّر له أن يحفظ حوالي نصف القرآن الكريم وهو ما يزال في المرحلة الابتدائية من تعليمه.

قضى معظم دراسته الابتدائية في مدرسة وكالة الغوث في النصيرات، وكان ذلك ما بين عامي ١٩٥٦م و١٩٦١م حيث تأثر كثيرًا حينها بتوجُّهات ورعاية الأستاذ حماد الحسنات أحد الدعاة في منطقة النصيرات «**وهو من قادة حركة «حماس»**».

كان والده جادًّا مجدًّا في السعي على عياله يفلح الأرض عند بعض الناس، حيث أخرج من أرض في «**الجيَّة**» حانوتًا صغيرًا يبيع فيه بعض الحاجيات لسكان منطقته من اللاجئين في المخيم ومن البدو الذي يقطنون بالقرب منه.

وتوفي الوالد والأطفال لا يزالون صغارًا، أكبرهم كان إسماعيل، والذي كان ما يزال في المدرسة الابتدائية، وتولى رعاية العائلة بعض الأقارب، الذين رأوا أن تنتقل عائلة إسماعيل إلى مخيم الشاطئ للاجئين غرب مدينة غزة، حيث يقطن العديد من أقاربهم هناك.

وبعد أن أكمل (أبو شنب) المرحلة الإعدادية من دراسته في مدرسة غزة الجديدة التابعة لوكالة الغوث في عام ١٩٦٥م انتقل إلى مدرسة فلسطين الثانوية، وكان دائمًا من الطلاب المتفوقين في صفه.

❑ دِرَاسَتُهُ:

وضعت حرب عام ١٩٦٧م أوزارها.. وقد أَنْهَى إسماعيل الصف الثاني الثانوي، وفي أول أعوام الاحتلال تقدم إسماعيل مع من تقدَّم من الطلاب لامتحان الثانوية العامة وذلك في صيف عام ١٩٦٧م، وحصل على شهادة الثانوية العامة، والتي لم تعترف بها أي من الدول العربية في ذلك الوقت.

فالتحق بمعهد المعلمين برام اللَّه ليدرس اللغة الإنجليزية ومدة الدراسة في هذا المعهد سنتان، حيث يتخرَّج الطالب ويصبح مؤهلًا ليكون معلمًا في مدارس الوكالة.

وفي عام ١٩٦٩م جرت ترتيبات مع الحكومة المصرية، عن طريق منظمة اليونسكو واللجنة الدولية للصليب الأحمر لإجراء امتحانات الثانوية العامة في قطاع غزة بإشراف وزارة التربية والتعليم المصرية حتى يمكن لطلاب القطاع أن يحصلوا على شهادات مصدقة وموقعة من جهة عربية، كي يتمكَّنوا من إكمال دراستهم العليا.

تقدم أبو شنب إلى هذا الامتحان إلى جانب دراسته بمعهد المعلمين ونجح فيه، ثم تقدم يطلب لمكتب تنسيق القبول للجامعات المصرية وتم قبوله فعلًا، ترك إسماعيل الدراسة في المعهد رغم أنه لم يبق على تخرجه منه إلا أشهرًا معدودات، فقد كان طموحًا أكثر مما يمكن أن تقدِّمه له الدراسة في المعهد.

وفي شهر شباط عام ١٩٧٠م وصل طلاب القطاع إلى مصر، وفي تلك الفترة كان من الصعب على الكثير منهم الانتظام في الدراسة، وقد مضى ثلثا العام الدراسي وأمامهم تقف مشكلات في التأقلم مع ظروف الحياة المصرية في المدن والتي يختلف جوُّها كثيرًا عن أجواء المخيمات الفلسطينية في ذلك الوقت.

قرَّر أبو شنب أن يتقدَّم لامتحان الثانوية العامة للمرة الثانية، وأن يستثمر الأشهر القليلة الباقية في الدراسة علَّه يحصل فرصة أفضل تمكِّنه من دخول كلية الهندسة، وفعلًا تم له ذلك أخيرًا، فقد قبل في المعهد العالي الفني «**بشبين الكوم**»، وانتقل في السنة التالية إلى المعهد العالي الفني بالمنصورة والذي تحوَّل فيما بعد إلى جامعة المنصورة، وتخرَّج من كلية الهندسة بجامعة المنصورة عام ١٩٧٥م بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف، وكان الأول على دفعته.

الْعَوْدَةُ إِلَى الْوَطَنِ:

وقد عرض عليه أحد أساتذته في الجامعة أن يتم تعيينه «**معيدًا**» في الكلية ولكنه فضَّل أن يعود إلى قطاع غزة ليعمل هناك، وفعلًا عاد واشتغل مهندسًا للمشاريع في بلدية غزة لمدة خمس سنوات، عرفه خلالها زملاؤه، ومن احتك به، مهندسًا متميزًا سواء في الناحية الأخلاقية أو المهنية، ويشهد بذلك الكثير ممن عرفه.

وفي تلك الفترة اعتزمت جامعة النجاح الوطنية بنابلس أن تفتح كلية الهندسة فيها، فأعلنت عن توفير بعثات دراسية للمهندسين، لاستكمال دراستهم العليا ليعودوا مدرسين في كلية الهندسة، وتقدَّم أبو شنب بطلب للانبعاث للدراسة، وتم اختياره لهذا الغرض فاستقال من عمله في بلدية غزة وسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل على درجة الماجستير في هندسة الإنشاءات من «**جامعة كالورادو**» عام ١٩٨٣م.

وعاد أبو شنب إلى جامعة النجاح ليدرِّس فيها، ثم سنحت له فرصة إكمال دراسته مرة أخرى، فرجع إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٣م، حيث بدأ الدراسة للحصول على درجة الدكتوراة، ولكن جامعة النجاح استدعته لحاجتها الماسة له ولأمثاله للتدريس في الجامعة، فقطع دراسته وعاد إلى الجامعة، وعين قائمًا بأعمال رئيس قسم الهندسة المدنية في عام ١٩٨٣م - ١٩٨٤م، وظلَّ يدرس في الجامعة حتى أغلقتها سلطات الاحتلال مع اشتعال الانتفاضة أواخر عام ١٩٨٧م.

وَضْعُهُ الِاجْتِمَاعِيُّ وَالنِّقَابِيُّ:

أبو شنب من القلائل الذين استطاعوا التوفيق والجمع بين إبداعهم في مجال تخصُّصهم وبروزهم ومشاركتهم الواضحة في الحياة العامة وحمل هموم الأهل والوطن؛ حيث كان لا يدع فرصة للخير صغيرة كانت أم كبيرة إلا ويحاول أن يكون له فيها نصيب، وكان هذا - بالإضافة إلى قدراته الشخصية ومواهبه - سببًا في أن يكون أحد الشخصيات الاجتماعية المرموقة في القطاع.

وكان له دور مهم خلال الأحداث المؤسفة التي وقعت بين التنظيمات الفلسطينية في عام

١٩٨٦م في قطاع غزة حيث تداعت المؤسسات والهيئات الأهلية في القطاع لوأد الفتنة، وتم اختيار المهندس إسماعيل أبو شنب عضوًا في لجنة الإصلاح المنبثقة عن هذا التجمُّع، وقد أدَّت اللجنة دورًا طيبًا في تصفية الأجواء وتهدئة الخواطر.

وفي المجال الاجتماعي الخيري العائلي كان أقرباؤه وجيرانه يلجئون إليه عند الخلاف والنزاع فيبذل جهده لنصحهم وحلِّ مشكلاتهم والتوفيق بينهم، وكان جيرانه وأهالي الحي الذي يسكن فيه حاليًا «**حي الشيخ رضوان بمدينة غزة**» يعرفونه شخصًا مؤديًا للواجب بل مبادرًا إليه، وكان أهل الخير في الضفة وغزة يلجئون إلى مكتبه الهندسي لعمل التصميمات الهندسية وأخذ الاستشارة لبناء المشاريع الخيرية والمساجد وغيرها مجانًا ودون أن يتقاضى عليها أجرًا.

❑ نَقِيبُ الْمُهَنْدِسِينَ:

أما في مجال العمل النقابي فيعتبر أبو شنب رائدًا في هذا المجال، فهو من مؤسسي جمعية المهندسين الفلسطينيين في قطاع غزة عام ١٩٧٦م، وكان عضوًا في مجلس إدارتها من عام ١٩٧٦م وحتى عام ١٩٨٠م، ثم انتخب رئيسًا لمجلس إدارتها ونقيبًا للمهندسين في نفس العام، حيث ترك هذا المنصب لسفره للدراسة في أمريكا ومصر، وبعد عودته من هناك تم انتخابه عضوًا لدورتين متتاليتين، وجرى اعتقاله في عام ١٩٨٩م، وهو يحمِل هذه الصبغة، وبعد الإفراج عنه في عام ١٩٩٧م، أعيد انتخابه رئيسًا لمجلس إدارة الجمعية ونقيبًا للمهندسين حتى اللحظة.

وأثناء عمله في التدريس في جامعة النجاح كان له دور بارز في توجيه الحركة الطلابية والنقابية في الجامعة لتكون في موقع الريادة للمجتمع الفلسطيني في مواجهة المحتلين.

وبعد عام تقريبًا من إغلاق الجامعة مع بداية الانتفاضة استقال من الجامعة في أواخر عام ١٩٨٨م، وعمل مهندسًا في وكالة الغوث حيث مارس عمله النقابي هناك حتى اعتقاله في أيار (مايو) لعام ١٩٨٩م.

أبو شنب هو عضو مؤسس للجمعية الإسلامية بغزة عام ١٩٧٦م، والتي واكبت ظهور المجمع الإسلامي والذي كان له دور رئيسي في استقطاب الشباب الفلسطيني وإنقاذهم من وحل الاحتلال الذي كان يحاول أن يدمِّر أخلاقهم الأمر الذي اعتبر رافدًا هامًّا من روافد اندلاع الانتفاضة المباركة؛ حيث كان للجمعية نشاطات اجتماعية وثقافية ورياضية .. إلخ، وهو كان

حتى استشهاده محاضرًا في كلية الهندسة بالجامعة الإسلامية بغزة، ورئيس كلية العلوم التطبيقية في الجامعة.

❑ عَمَلُهُ الْكِفَاحِيُّ:

تأثَّر أبو شنب بالشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة «**حماس**» منذ كان صغيرًا، حيث كان يسكن في نفس مخيم الشاطئ الذي يقطن فيه الشيخ ياسين آنذاك؛ حيث كان الأخير ورغم إعاقته الجسدية دائب الحركة والنشاط، وكان له تأثير واضح وكبير في الحياة الاجتماعية والثقافية للمخيم، وفي نهاية الستينيات تعرَّف على العمل الإسلامي من خلال الشيخ ياسين؛ حيث قويت هذه الروابط حينما ساهم أبو شنب بتأسيس الجمعية الإسلامية التي كانت امتدادًا للمجتمع الإسلامي الذي كان يرأس إدارته الشيخ أحمد ياسين في ذلك الوقت.

ولعب أبو شنب ـ خلال الانتفاضة الأولى ـ دورًا مميزًا في قيادتها منذ الشرارة الأولى لاشتعالها، وظلت بصماته واضحة عليها؛ حيث ـ ومنذ اليوم الأول الذي اندلعت به الانتفاضة ـ كلَّفه الشيخ أحمد ياسين بمسئولية قطاع غزة في تفعيل أحداث الانتفاضة، وكان نائبًا للشيخ ياسين، وقد عمل أبو شنب منذ اليوم الأول في الانتفاضة على متابعة كافة الأحداث التي تقوم بها «**حماس**»، وعمل على تقوية هذه الثورة من خلال عوامل كثيرة وتطوير أساليبها حتى لا تقتصر على الحجر فحسب.

أيضًا عمل على تنظيم الأجهزة المتعددة للحركة وترتيبها، وتفرَّد كلُّ جهاز بعمله الخاص حتى اعتقل في إطار الضربة التي وجهتها المخابرات الصهيونية لحركة «**حماس**»، وكان ذلك بتاريخ ١٩٨٩/٥/٣٠م، وقد أفرج عنه بتاريخ ١٩٩٧/٤/٢م.

❑ دَاخِلَ السِّجْنِ:

ولم يتوقَّف أبو شنب عند اعتقاله عن العمل، فهو ـ ومنذ اللحظة الأولى لاعتقاله ـ أدرك أنه انتقل إلى مرحلة جديدة في العمل الجهادي، وهيَّأ نفسه جيدًا لهذه المرحلة، وكان مدركًا تمامًا أن البداية ستكون صعبة جدًّا، وفعلًا أخضع للتحقيق من قبل المخابرات الصهيونية في سجن الرملة، وعذِّب عذابًا قاسيًا لمدة ثلاثة شهور، وبعد هذه الفترة من التعذيب تم نقله إلى زنازين العزل في نفس السجن ظلَّ فيها مدة ١٧ شهرًا لم ير النور فيهم، ومن ثم وفي عام ١٩٩٠م وبعد انتهاء فترة

العزل أصبح ممثلًا للمعتقل في الرملة، وقد شكَّل داخل المعتقل قيادة حركة «**حماس**»، وذلك بعد انتقاله من سجن الرملة إلى سجن عسقلان؛ حيث أمضى بعد ذلك باقي مدة الحكم عليه البالغة ثماني سنوات، قاد خلال هذه الفترة حركته بصورة رائعة، حيث لم تشهد الحركة الأسيرة قائدًا مثل أبي شنب؛ حيث خاض وإخوانه المعتقلون إضرابين كان لهما أثرٌ بالغٌ على تحسين حياتهم داخل السجن، وحققوا من خلالهما إنجازات عظيمة، وذلك في عام ١٩٩٣م، وفي عام ١٩٩٥م.

ولعب أبو شنب ـ بعد الإفراج عنه ـ دورًا مهمًّا كقائد سياسي في الحركة؛ حيث كان يمثل الحركة في الكثير من اللقاءات مع السلطة والفصائل، وكان يُعرَف بآرائه المعتدلة، وهو يرأس مركز المستقبل للدراسات، واستشهد اليوم الخميس في قصف سيارته مع اثنين من مرافقيه في مدينة غزة.

❊ ❊ ❊

بَيَانَاتٌ وَتَصْرِيحَاتٌ حَوْلَ عَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ الْقَائِدِ السِّيَاسِيِّ فِي حَرَكَةِ «حَمَاس» الْمُهَنْدِسِ إِسْمَاعِيلَ أَبُو شَنَبٍ

❑ بَيَانُ حَرَكَةِ الْمُقَاوَمَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ـ «حماس»:

- **دماء المهندس ورفاقه لن تذهب هدرًا.**
- **يا جماهيرنا المجاهدة..**

ها هم قادة العصابات الصهيونية يقدمون على ارتكاب مجزرة بشعة ذهب ضحيتها رمز من رموز الأمة الإسلامية، وقائد من قادة الشعب الفلسطيني: الشهيد القائد المهندس إسماعيل حسن أبو شنب (أبو حسن) **«من بلدة الجية»** أحد القادة السياسيين لحركة المقاومة الإسلامية **«حماس»** ورفيقاه الأخ المجاهد/ مؤمن محمد بارود **«من بلدة بيت دراس»**، والأخ المجاهد/ هاني ماجد أبو العمرين **«من بلدة حمامة»** والعشرات من الجرحى.

وعلى إثر هذه الجريمة النكراء والعمل الإرهابي الجبان فإن حركة المقاومة الإسلامية **«حماس»** تعلن بأن مبادرتها التي أطلقتها بتعليق العمليات العسكرية قد انتهت، ويتحمل شارون وقادة العصابات الصهيونية المسئولية التامة عن ذلك.

وإن حركة **«حماس»** إذ تزف للأمة العربية والإسلامية ولشعبنا الفلسطيني المرابط شهداءها الأبرار فإنها تؤكد أن دماءهم الطاهرة لن تذهب هدرًا.

وإن ردنا على هذه الجريمة النكراء سيكون مزلزلًا بإذن اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

وإنه لجهاد؛ نصر أو استشهاد.

حركة المقاومة الإسلامية «حماس» ـ فلسطين
الخميس ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ
الموافـــق ٢١ أغسطـــس ٢٠٠٣م.

بَيَانُ كَتَائِبِ الشَّهِيدِ عِزِّ الدِّينِ الْقَسَّامِ

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

• بيان عسكري صادر عن كتائب الشهيد عِز الدين القسام •

الصهاينة يجهزون على الهدنة، والرد القسامي قادم لا محالة ـ بإذن الله ـ.

• يا جماهير شعبنا الفلسطيني المجاهد، يا أمتنا العربية والإسلامية:

إن ما أقدمت عليه قوات العدو الصهيوني ظهر اليوم الخميس ٢٣ جماد الآخرة ١٤٢٤هـ، الموافق ٢١/٨/٢٠٠٣م، من جريمة اغتيال القائد السياسي الشهيد القائد المهندس/ إسماعيل أبو شنب، والشهيد المجاهد/ مؤمن بارود، والشهيد المجاهد/ هاني أبو العمرين قد وضع حدًّا لقرار وقف العمليات العسكرية التي لم يحترمها الصهاينة.

وإن كتائب الشهيد عِز الدين القسام إزاء جريمة الاغتيال البشعة التي استهدفت القائد السياسي إسماعيل أبو شنب ومرافقيه، تؤكد على التالي:

أولًا: إن الصهاينة لم يحترموا في يوم من الأيام قرار وقف العمليات العسكرية الذي أعلنته فصائل المقاومة الفلسطينية، وعليه فهي تتحمل كامل المسئولية عن انتهاء هذه الهدنة، وعليه فإنهم يتحملون كامل العواقب.

ثانيًا: ندعوا كافة خلايانا المجاهدة في فلسطين بالرد السريع بقوة، واستهداف جميع أركان الدولة العبرية.

ثالثًا: ندين الصمت العالمي الفاضح إزاء الممارسات الصهيونية، وصمتهم المشبوه على الخروقات اليومية التي مارسها الصهاينة خلال فترة الهدنة.

وإنه لجهاد؛ نصر أو استشهاد.

كتائب الشهيد عِز الدين القسام.
اليوم الخميس ٢٣ جماد الآخر ١٤٢٤هـ،
الموافق ٢١/٨/٢٠٠٣م

الْبَطَلُ الْقَسَّامِيُّ: أَبُو إِبْرَاهِيمَ: مَسْلَمَةُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَعْرَجُ

رَاهِبُ اللَّيْلِ وَفَارِسُ النَّهَارِ يَقْتُلُ فِي الْمَعْرَكَةِ عالم نووي يهودي «باروح سينكر» أحد أكبر عشرة علماء في إسرائيل

حبيبي في الله، الذي لم أره، والذي نوَّه بكتابي «**صلاح الأمة في علو الهمة**» أول ما كتب في وصيته... شقيق نفسي ابن العشرين ربيعًا، الصوام القوَّام.

بعد موته يرسل إليَّ رفقاء دربه ترجمته الخاصة في كتاب بعنوان «**مسلمة الأعرج**»، ويكتبون إليَّ «**نهدى لك هذا الكتاب الغالي على قلوبنا، وهو كتاب سيرة أحد إخواننا؛ إنه الشهيد الشاب العابد مسلمة إبراهيم الأعرج ـ رحمه اللَّه ـ تَعَالَى ـ، وهو الذي عرَّفنا عليك، وحَبَّبَنَا فيك حينما كان يحثنا ليل نهار على قراءة كتبك ويرتلها علينا في كل مجلس حتى غدت كلماتك منهجه الخاص**».

والله، إن هذا لشرف لي لا أستحقه أن يكتبني ذلك العملاق في وصيته ويدعو لي بالمعافاة، وإني لأرجو من ربي الكريم أن يعافيني في الدنيا والآخرة بدعوة الحبيب مسلمة الأعرج وإخوانه القسَّاميين.

ولد مسلمة في بلدة آل حميد بمحافظة (أبها) بالسعودية في اليوم الثامن من الشهر الثامن لعام ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨م، وبلدته الأصلية هي قرية (بيت جرجا) بغزة. وفي مدينة (القنفذة) بالسعودية أتم تعليمه الثانوي بمعدل ٩٦ ٪ والتحق بالجامعة الإسلامية بغزة بكلية الهندسة ثم تركها وهو في السنة الثالثة ليلحق بكلية الشريعة.. وكان بها متفوقًا، وفي يوم ذكرى بدر؛ يوم الأحد السابع عشر من رمضان ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/١٢/٢م في تمام الساعة الثامنة والنصف كان عرس البطل، وقتله شهيدًا ـ إن شاء اللَّه ـ في معركة بينه وبين اليهود. سماه والده بهذا الاسم تيمنًا باسم البطل مسلمة بن عبدالملك بن مروان.

لقد كان ـ رحمه اللَّه ـ متشوقًا للقاء ربه، مؤثرًا ما عنده، وإني لأرجو أن يكون قد عاش حميدًا وذهب شهيدًا.

قال عنه والده: «كان ـ رحمه اللَّه ـ متميزًا في كل شيء؛ في دراسته، في سلوكه، في خلقه، في علاقته بأهله، وأستطيع القول إنه كان يغلب عليه طابع الجدِّ منذ أن وعى الدنيا في مراحله الأولى. كان محبًّا لدينه منذ طفولته، محافظًا على صلاة الجماعة حيث كنت أصطحبه مع إخوته إلى المسجد، كان متأثرًا بتاريخ الصحابة وشباب الإسلام على مر الزمان ومدار التاريخ، وما زلت أتذكر كيف كان يبدو عليه التأثر عندما كنت أحدثه ـ وهو صغير ـ عن مصعب بن عمير وخالد بن الوليد، ومسلمة بن عبدالملك، ولقد ظلت صور هؤلاء الأبطال وتضحياتهم عالقة في ذهنه وفي قلبه إلى أن شب وكبر، فكانت إحدى الروافد التي دفعته إلى كتائب الجهاد كتائب القسَّام».

وتقول عنه أمه ـ بعد استشهاده ـ: «**الحمد لله الذي شرَّفني وشرَّف زوجي وأبنائي وبناتي باستشهاد ولدي وحبيبي مسلمة، وبذلك فزنا بأعلى وأعظم الألقاب فأصبحنا نلقب بأسرة الشهيد.. الحمد لك ربنا حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك.**

شجعه والده على حفظ القرآن الكريم، فكلما حفظ جزءًا أعطاه مكافأة مالية.. حافظ على صلاة الفجر منذ أن كان صغيرًا وتعلق قلبه بالمساجد.. حدث مرة أن استيقظ في منتصف الليل.. فرأى الدنيا منورة .. قام فتوضأ وفتح الباب وذهب للمسجد كان يومها صغيرًا.. وفي الطريق لم يرَ أحدًا ووجد المسجد مغلقًا، رجع إلى البيت فوجدنا سهرانين... قال: ألم يؤذن للفجر؟ قلنا: لا.. قال لقد ذهبت فوجدت المسجد مغلقًا.. قلنا: بارك اللَّه فيك يا مسلمة...

كنت فخورة به جدًّا، كنت دائمًا أحمد اللَّه أن وهبني هؤلاء الشباب، فواحد مثل مسلمة بألف رجل.. أي واللَّه بألف رجل. كان إذا رآني حزينة يجلس أمامي وبكل أدب واحترام يسألني: ماذا بك يا حبيبتي؟ فأقول: دعني يا مسلمة وهمومي، فلا يقوم من عندي إلا إذا أفضيت له بما في نفسي، فيهون عليَّ بالضحك مرة وبكلامه الحلو مرة أخرى. فأقول: جزاك اللَّه خيرًا يا ولدي، لقد أرحتني. كنت أوقظه لصلاة الفجر منذ الأذان الأول.. أجلس بجانبه وأقول له: يا مسلمة، فيقول: نعم ثم يضحك، وهو نائم ولكنه يضحك، فأقول: استيقظ لصلاة الفجر. ويقول: حاضر، ويغط في نوم عميق. يا ولدي، قم. فيقول وهو يضحك: يا أمي اذكري اللَّه لا إله

إلا الله. يا ولدي: استيقظ، فيقول: صل على النبي ـ اللهم صل على سيدنا محمدٍ، وأصبر حتى يصحو، وعندما يرجع من الصلاة يجدني في انتظاره فيسلم عليّ، ويقول: اللَّه يصبحك بالخير يا أمي، ثم يأخذ يدي ويقبلها.

كان صادق الوعد إذا قال: إنني سأرجع في الساعة كذا فإنه لا يتأخر عن موعده. وعندما أصنع لهم الطعام دائمًا يجاملني ويقول: الله.. ما أزكى طعامك يا أمي. وإذا اجتمعنا إلى الطعام لا يمد يده إلى الصحن قبلي، وعندما يفرغ يلعق و(يلحس) أصابعه ويقول: «**الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول لي ولا قوة**».

كان مسلمة يساعدني في تنظيف وترتيب البيت، عندما أكون وحيدة، فيشغل المسجل على أنشودة «**يا أمي**» ويقول: اسمعي.. اسمعي يا أمي هذه لك وينشد مع المسجل...

لو النجمات تسكب نورها أماه شلالاً

كل حناجر الأطفال لو غنتك موالا

لو الأنسام طافت في رحايك تنشر العطرا

ونحبس دمعنا كي لا بروضك تذبل الزهرا

ما وفتك يا أماه.. يا أماه.. ما وفتك مثقالا

وترميني سهام الشوق تبكيني لا ترمي

فؤادًا نبضه يشدو حنيني فاض يا أمي.. يا أمي.

وتبتسمين رغم المر تحتسبينه أجرًا.

إذ ما الصبر مل الصبرا قلت له: ألا صبرا

حنانك إنها الأيام إن كانت لتنسينا

طفولتنا مع الأحلام نورًا ماضيًا فينا

فدرينا وضمينا.. فدرينا وضمينا نعود إليك أطفالاً..

أطفالاً نعود إليك أطفالاً

دعيني ألثم الجنات تسكن تحت أقدامك

وأشعل مقلتي شمعًا تنير دروب أيامك

وأحيا فيك عبدًا ما يطيق لنفسه عتقًا

دربك جنتي أماه بُعدك كان لي رقًا

أتكفي الروح.. أتكفي الروح. لو نشرت على أكتافها شالا.

رحمك اللَّه يا حبيبي.. ففي كل حركة لك ذكرى، وفي كل مكان لك ذكرى.. وكيف لا! وأنت أنشودة البيت.. وأنت نور البيت.. رحمك اللَّه يا زهرة عمري.. ويا غربة سنيني.

كان مسلمة يستغل كل مناسبة حتى يخفف من همومي، ينسق مع إخوته وأخواته ويفاجئني في الليل بسهرة حلوة وهدايا جميلة.. كان يفتتح الحفل... وينشد... ويقدم ونحن نضحك.

كان يحب النوم بجانبي ولا ينام قبلي.. وإذا كان متعبًا يجلس وهو ينعس فأقول له: نم يا ولدي، فيقول: طيب نامي يا أمي حتى أنام.

أي بر بالوالدين أكثر من بر مسلمة. وأي احترام للوالدين أكثر من احترام مسلمة، واللَّه إن الكلمات لتقف عاجزة حيرى.. واللَّه إن القلب حزين وكل شيء حزين على فراق مسلمة.. البيت حزين.. الأرض حزينة.. الجدران حزينة.. حتى الهواء حزين.. الكلمات الآهات. الدموع. الضحكات. كلها حزينة. لقد انتهى الحزن فلا حزن بعد مسلمة.

كان مسلمة يصوم الاثنين والخميس، ويصوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر، يصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم قبلها أو يوم بعدها، وكان يصوم تسعة أيام من ذي الحجة، وكان يكثر من التنفل كان يصوم أيامًا متتالية.

كان يقوم الليل ويتلو القرآن الكريم، وكان ينام على الحصير وبدون فرشة، وينام على الأرض وبدون فرشة، وبدون وسادة يضع يده تحت رأسه وينام في أي مكان متجهًا إلى القبلة.

ومع أنني كنت أعلم علم اليقين أن هذه الأعمال كلها سنن إلا أنني كنت أشفق عليه.. كان إذا شرب الماء يستقبل القبلة ويجلس ويشرب على ثلاث جرعات.. كان يلبس البنطلون القصير..

وكان لا يأخذ من لحيته أبدًا، كنت أمازحه فأقول له: سأهذِّب لحيتك وأنت نائم. فيقول: إياك يا أمي.

حتى الجوال كان يرن على أصحابه ثلاث رنات فإذا لم يرد يغلق الجوال.. كنت ألاحظ أفعاله بكل فخر واعتزاز. مازحه بعض الأصدقاء قائلًا: والله بدك صورة وأنت تلبس البنطلون القصير، وبكل ثقة واعتزاز بالنفس أجاب: أنا على استعداد أن ألبس البنطلون الطويل إذا عملت أنت بسنة الرسول الكريم ﷺ، وتركت لحيتك تطول.. استمعت إلى رده الهادئ المقنع، فحمدت الله وشكرت فضله.

وكان يحب الخروج مع رجال الدعوة.. ويغيب معهم عن البيت ثلاثة أيام.. وكان يلبس الثوب الأبيض ويضع على رأسه طاقية.

كان يصلي التراويح إمامًا في مسجد خالد، وبعد أن يرجع يجلس معنا ويسعدنا بوجوده بيننا، فهو الكبير في البيت، كان يتحمل همومنا ويعطي كل واحد من إخوانه الجزء الأكبر من وقته. فعندما يجلس مع مصعب - وكان يلازمه كثيرًا ويحبه كثيرًا - تحس أنهما لا يفترقان. وإذا جلس مع معاذ ينصحه أحس بأنه أبوه وأخوه وصديقه في وقت واحد.

كان يتفقد أخواته في مكان العمل، وإذا حدث شيء أخذ سيارة ليرجعها إلى البيت.. كان شمعة تحترق من أجلنا لتضيء، وإذا نظرت إلى وجهه لم تر عليه أي أثر أو أي تعبير يدل على الضيق. على العكس كان ضحوكًا متفائلًا دائمًا. كنت عندما أخرج معه لزيارة أو لشراء شيء من السوق يعطيني ذراعه لأرتكز عليه وفعلًا أضع ذراعي في ذراعه وأمشي معه وأنا فخورة به، فخورة جدًّا جدًّا، أحس بأنني أمتلك العالم كله، وطيلة الطريق يرد السلام على من يعرف ومن لا يعرف. كنت في بعض الأحيان أراقبه من الشباك فأرى أطفال الجيران يلتفون حوله ويقولون: عمُّ مسلمة، وهو يمسح على رءوسهم بكل حنان...

الكل يحب مسلمة.. ومسلمة يحب الجميع... الصغير والكبير.. القريب والبعيد.. لم أسمعه يتكلم على أحد بسوء قط. كان كبيرًا في كل تصرفاته. عاليًا عن كل توافه الأمور.. كان زاهدًا في الدنيا.. زاهدًا في الأكل.. وفي اللبس، كان لا يحب لبس البنطلونات الضيقة ولا لبس البلايز الضيقة، وفي الفترة الأخيرة كان لا يحب أن يمسك الأشياء الساخنة.. كان يصب كاسة الشاي

إلى النصف.. وكان يمسك الرغيف الساخن فيفتحه وينتظر حتى يبرد. ويقول: «**اللهم قنا وجنبنا نار جهنم**». كان في بعض الأوقات يمازحني ويقول: يا أمي هل ما زلت عند كلامك؟؟ فأقول: وأي كلام يا مسلمة؟؟ قال: كنا ونحن صغار دائمًا تقولين لنا: عندما تقوم الحرب بيننا وبين اليهود سأرسلكم أنتم وأباكم للحرب ومن يرجع سأكسر له رجله. قلت: نعم ولكن ليس الآن. قال: اعترفي هل تراجعت؟ قلت: لا.. ولكن ليس الآن، لما يرجع أبوك ويلتئم شمل الأسرة. قال: نفرض أن أبي تأخر لسنة.. لسنتين. قلت: حربنا مع اليهود ليست حرب يوم أو يومين وإنما هي حرب طويلة وطويلة جدًّا. والله يا مسلمة إن إشرافك على إخوتك وتعليمك لشباب المسلمين وتنشئة الشباب الصغار، والله إنه جهاد يا ولدي.. كنت أضم مسلمة إلى صدري بشدة، وهو يضمني كذلك ثم أمسح وجهي في لحيته. وأشمه.. أشمه بعمق، وأقبله من وجهه، من لحيته، من صدره، من أكتافه وأبكي، لماذا؟ لا أدري. وأقول له: والله يا ولدي لو صار لك شيء سأموت بعدك، فينظر إليَّ ضاحكًا ويقول: سلامتك يا أمي.. فيقول الأولاد: يا أمي أنت بتحبي مسلمة أكثر واحد، فأقول: نعم إنني أحبه أكثر واحد.

❑ قَبْلَ اسْتِشْهَادِهِ:

قبل استشهاد مسلمة بيومين جاء عنده أصدقاؤه ليختاروا بعض الكتب، فقال: يا أمي، أصدقائي سينامون عندي الليلة.. وأريد أن توقظينا للسحور الساعة الثالثة إن شاء الله. قلت: حياهم الله. سهر مع أصدقائه.. نام أصدقاؤه وبقي مسلمة ساهرًا يصلي ويتلو القرآن، وفي تمام الساعة الثالثة سمعت وقع أقدامه تتجه نحوي، قلت: لا إله إلا الله. قال: هل أنت مستيقظة ياأمي؟ قلت: نعم يا حبيبي. وقمت لإعداد السحور من أجلهم. تناولوا السحور، ثم قاموا للصلاة قبل أذان الفجر.. لم يكن مسلمة الإمام وإنما أحد الأصدقاء.. كان صوته جميلًا جدًّا جدًّا، وسمعته يتلو آيات عن الجهاد.. وسمعت مسلمة يبكي.. أحسست بأن قلبي انخلع من مكانه. وقمت وذهبت بالقرب منهم. ونشيج مسلمة يعلو.. اللهم اجعله خيرًا. ما بال مسلمة هكذا!! ثم رجعت إلى مكاني، ولكني بقيت واقفة لا أدري ماذا أفعل.. فجاءني مسلمة وقال: سنذهب لنصلي يا أمي. فقلت: يا مسلمة ما بك يا ولدي؟ لماذا تبكي كل هذا البكاء؟ نظر إليَّ بعينيه الجميلتين ثم خرج هو وأصحابه، وكنت لا أعرف أحدًا من أصحابه.

وفي يوم السبت ١٦ رمضان ١٤٢٢هـ، اليوم الأخير له بيننا، صَلى الفجر.. ورجع فوجدني جالسة في انتظاره. قال: السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، اللَّه يصبحك بالخير يا أمي وأخذ يدي وقبلها ووضع نفسه في الفراش، نام نومًا هادئًا وعميقًا، ولكن جواله الرجّاج لم يتركه ينام ونمت. سمعته يتكلم مع أصحابه من مجلس الطلاب بالجامعة ويقول: متى تريدونني أن أحضر؟ قال: إن شاء اللَّه سأكون عندكم الساعة الثامنة، أشفقت عليه. وأخذت الجوال وأبعدته لأتركه ينام، ونمت أنا وهو. وصحوت فإذا الساعة العاشرة صباحًا. قلت: استيقظ يا حبيبي، الساعة العاشرة. إذا كنت تريد أن تذهب للجامعة لا تتأخر. وأعطيته جواله. وقلت: يا مسلمة أنا ومصعب سنذهب للتسوق .. قال: هل تريدين أن أذهب معك؟ قلت: بارك اللَّه فيك يا حبيبي.. سيذهب معي مصعب. تسوقت ورجعت للبيت وأخذت في تجهيز طعام الإفطار، وحضر مسلمة إلى البيت في العصر فوجد أخته المتزوجة عندي فسلم عليها وحضنها وقبلها واتصل بأخته الثانية في العمل وقال لها: منورة يا أم إبراهيم، هو كان يلقبها ويناديها بهذا الاسم، قالت: يا مسلمة كفاك يا أخي هل أنت ناظر إليّ على الجوال؟ قال: نعم واللَّه إني ناظر إليك.

وقبل الأذان بنصف الساعة تقريبًا وأنا أجهز الإفطار قال: يا أمي أريد أن أفطر عند أصدقائي وأرجع بسرعة.. قلت: لا، ولمن هذا الأكل؟ قال: سآكل معهم لقمة صغيرة وأعود لآكل معكم. قلت: لا، إن شاء اللَّه تفطر معنا.. قال: اللَّه يرضى عنك يا أمي، وظل يرجوني وأنا أرفض بشدة، فقال: لماذا أنت غاضبة مني؟ قلت: نعم. قال: واللَّه سأنفذ كل ما تريدين.. اطلبي يا أمي واللَّه إني لا أقدر على غاضبك، وظل يترجاني، قلت: أريد أن تنسحب من مجلس الطلاب. قال: نعم في نهاية هذا الأسبوع سيتم إن شاء الله. قال: هل أذهب؟ قلت: لا يا مسلمة لا تخرج. قال: ماذا تريدين أيضًا يا أمي؟ قلت: اللَّه يرضى عليك ويسهل عليك ويوفقك. فقال: لن أتأخر عليك يا أمي، وخرج مسرعًا.. مسرعًا جدًا.

وتناولنا طعام الإفطار وانتظرت رجوع مسلمة ولكنه انتظار طويل.. طويل.. الساعة أصبحت بعد العاشرة وبعد الثانية عشرة وبعد الثانية صباحًا.. يا مصعب.. مسلمة لم يرجع، اتصل به يا ولدي. اتصل مصعب ولكن الجوال كان مغلقًا، قال: جوال مرحبًا. انتظرت حتى يعود وصبرت نفسي ولكن لم يعد . يا مصعب اتصل يا ولدي.. الخط مغلق ويقول: جوال مرحبًا. قال

مصعب: يا أمي يمكن يكون معتكفًا. صلينا الفجر. قلت: يا أولاد أخوكم لم يرجع.. اتصلنا على جواله، الجوال مغلق، أحسست أن شيئًا قد وقع على رأسي وأن هموم الدنيا كلها جثمت فوق صدري، ولكني على يقين أنه سيرجع في الصباح فهو لا يكذب وحلف على المصحف أنه سيرجع. وانتظرت.. خرج الأولاد وبقي معي مصعب، فلم يستطع أن يتركني لوحدي ومسلمة هذا حاله.

فتحت التلفاز على شاشة وطن. وتقريبًا في الساعة التاسعة وإذ بخبر عاجل: شمال غزة: اشتباك مسلح وإطلاق نار يستمر ساعة إلا خمس دقائق.. واستشهاد منفذي العملية. قلت: يا مصعب خبر عاجل وقرأت له الخبر، وكان بعيدًا عني.. قلت: واللَّه إنه مسلمة، واللَّه إنه مسلمة. قال: يا أمي وحدِّي الله. قلت: لا إله إلا الله، وخرجت في البلكونة وأنا أقول: لا إله إلا الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، لا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلفني خيرًا منها، لا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم... واللَّه إنه مسلمة.. قال مصعب: يا أمي وحدي الله. وإذا بهم يعلنون... وإليكم أسماء منفذي العملية. وقبل أن يكمل وقعت عيني على اسم مسلمة.. رأيته مشعًّا برَّاقًا وكأن حرف السين منه كتب بالذهب. قلت: إنه مسلمة يا مصعب. إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد ذهب مسلمة.. لقد ذهب مسلمة. لم أصرخ.. ولم أعمل أي شيء يغضب وجه اللَّه ولكنه الفراق... إنه الفراق... فراق الأحبة.. إن الأمر عظيم.. إن الأمر جلل.. إن الأمر تتفتت له القلوب. فبأي قلب أودعك يا مسلمة!، وبأي دموع أبكيك يا حبيبي، لقد رحلت عني وأنت تطلب مني الدعاء والرضا.. لقد رحلت عني وأنا في أشد الحاجة إليك، ولكنك وكما قلت في وصيتك لي: «**واللَّه يا أمي إنه ليعز عليَّ فراقك.. ولكن لقاء اللَّه أعز.. ولما ناداني ديني وواجبي الوطني فلا بد أن ألبي النداء. فاصبري واحتسبي ولا تجزعي**» بكيت وبكيت وبكيت، وأحسست أن الحياة توقفت، فلا حياة بعد مسلمة.

بكيت وحزنت حزنًا لا مثيل له، ولكنه الحزن الممزوج بالفخر والعزة. لقد أحسست بأن اللَّه أكرمني ورفعني باستشهاد مسلمة، وأن مسلمة قد فتح لي طريقًا إلى الجنة.

أحمدك اللهم حمد الشاكرين الصابرين على أن ابني قدم نفسه رخيصة من أجل إعلاء كلمتك في الأرض، وأنه أقدم على عمله بوازع ديني انتقامًا من هؤلاء الأنذال الجبناء.. أحمدك

اللهم أن وفقته ودخل المستوطنة وقتل من قتل.. وأدى واجبه وهو صائم مكبر اللَّه أكبر.. اللَّه أكبر .. أحمدك اللهم وأحتسب مسلمة عندك شهيدًا.

أحمدك اللهم على هذا الشرف الذي نلته في الدنيا.. وقد تعبت من أجله. فنشَّأت أبنائي وبناتي على حب اللَّه ورسوله.. وعلمتهم معنى الإيمان باللَّه ومعنى حب الوطن.

أحمدك اللهم حمد الشاكرين الصابرين على اصطفائك ولدي مسلمة ليكون شهيدًا ولنكون أسرة الشهيد ولأكون أم الشهيد.

أحمدك اللهم حمدًا كثيرًا وأرجو من ربي أن ينفعني به يوم العرض العظيم وأن يجعله اللَّه وصحبه في الفردوس الأعلى مع الأنبياء والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقًا.

ولا يسعني في نهاية كتابة هذه الكلمات عن حبيبي مسلمة إلا أن أحمد اللَّه حمدًا كثيرًا على أن مسلمة لقي ربه مقبلًا غير مدبر، وأنه اختار يوم السابع عشر من شهر رمضان ليلقى وجه ربه في يوم غزوة بدر.

وأنه كان فخري في الدنيا، وإن شاء اللَّه يكون فخري في الآخرة.

الحمد لله الذي شرفني باستشهاد مسلمة، وأرجو من ربي أن يجمعني به في مستقر رحمته وأن يجزل له ولإخوانه العطاء وأن يجعلهم في عليين، اللهم آمين. آمين.

والدة الشهيد (أم محمد)

❑ مَسْلَمَةُ بِقَلَمِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ:

كتب أخوه الأكبر :

إلى كل القلوب المؤمنة بأن المستقبل لهذه الأمة المؤمنة بنصر اللَّه العزيز الحكيم، المضحية بكل غالٍ ونفيس لهذا الدين.

وأبعثها إلى من ملك عليَّ قلبي وسكن فؤادي وسلب روحي.

إلى قرة عيني وريحانة نفسي.

إلى صاحب الهمة العالية علو الجبال، بل أعلى وأرفع.

إلى صاحب العزيمة المتقدة التي تنكسر عليها الصعاب.

إلى صاحب القلب الكبير والخلق الرفيع.

إلى من علمني العزة والإباء.

إلى من علمني المحبة والوفاء.

إلى من علمني الرقة والإخاء.

إلى من علمني الرجولة والصبر على الإيذاء.

إلى من علمني البذل والعطاء.

إلى من علمني التجرد والفداء.

إلى من علمني الحياة والحياء.

إلى من انتصب راية للدعاة يعلمهم بدمائه الإخلاص والعمل الصادق وعلو الهمة.

إلى أخي المجاهد الشهيد أبي إبراهيم/ مسلمة إبراهيم الأعرج.

نحسبه كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا.

كم كانت سعادتنا غامرة وفرحتنا كبيرة بتلك المكالمات التي كنا نتلقاها أنا وأبي - حفظه اللَّه - من أبي إبراهيم - رحمه اللَّه - وهو يطلب منا أن نكثر من الدعاء والترضي عليه، وأن نعفو عن زلاته، وأن نستغفر له، ويلح على أبي أن يصفح عنه ويرضى عنه، ولم نكن نعلم أنه كان يودعنا، رحمه الله.

وكم كان - رحمه اللَّه - آية في الرحمة والرقة والأخلاق وعلو الهمة والترفع عن الصغائر، وكان كثير النصح للقريب والبعيد، شديد التمسك بسنة رسول اللَّه ﷺ، وكم كانت اتصالاته عليَّ كالبلسم والدواء الشافي، فلا يحادثني إلا ويذكرني بالله، ويسألني عن مدى صلتي بالله، ويحدثني على أهمية القراءة عامة، وعن كتب ابن القيم ابن الجوزي خاصة.

وكان من سماته: كظم الغيظ وعدم الانتصار لنفسه، وكان كثير الصمت والوقار والمهابة محبًا للعلم وأهله، وكم صرف ماله واستدان ليتحصل على العلم الشرعي. وما زلت أذكر ذلك اليوم الذي تلقيت فيه خبر استشهاده فلم أعد أميز بين البكاء والفرح، ولكن سيطر عليَّ شعور بأن اللَّه اصطفاه وفضله واختاره بفضله وإحسانه، وعاد بي شريط الذكريات إلى أيام الطفولة والشباب فجلست أتذكر كل كلمة من كلماته وأفتش في صوره فتذكرت ذلك الشاب الوقور،

جميل المحيا، المجتهد الذي كان دائمًا يحصد المركز الأول على كل المحافظة، وهذا دأبه متفوقًا في كل حياته، ومنظمًا في لبسه، وفي مأكله ومشربه، وحريصًا على رضى أمه وأبيه، وكان مهابًا في مدرسته وفي بيته وبين أقرانه، وكان محبًا للخير، شجاعًا، وكان شعاره (ربنا واجعلنا للمتقين إماما)، وكان دائم الحرص على التصدي لكل عظيم بالرغم من صغر سنه، وكان موضع احترام مدرسيه وإخوانه وأصحابه، وكان كثير البر بأمه، يقوم بخدمتها في كل أعمالها، وكان مواظبًا على صلاته، لا يتردد في قول الحق، وكان كثير العطف على إخوانه حريصًا على تربيتهم على كل خلق فاضل، وكان شديد التواضع، صاحب قيام وصيام مع شدة حرصه على كتمان ذلك، وصاحب قرآن، لا يحب المزاح، كثير التأثر بأحوال الأمة.

وكم سعى جاهدًا لرفع راية اللّٰه فوق أرضه، فلم يجد أغلى من دمه يقدمه لهذا الدين، ولئن رزئت بفقده فعزائي أن اللّٰه اختاره بالشهادة واصطفاه.

وما زالت دماؤه تصيح بنا يا لثارات الأنبياء، وتبعث رسالة إلى الشباب الظامئ للمجد التليد فتقول: هنا الهداية والرشاد، هنا الحكمة والسداد، هنا نشوة البذل ولذة الجهاد. ولا أملك أخي الحبيب، إلا أن ابتهل إلى اللّٰه أن يتقبلك في الشهداء، وأن يرفع من منزلتك ويُعلي درجتك، وأن يسبغ عليك من عظيم فضله ورحمته، ويجعل ذكراك عطرًا فواحًا أخاذًا ينشر شذاه على البشر، واللّٰه أسأل أن يجعل استشهادك دافعًا إلى الجهاد والعمل لنصرة دينه، ويجعلك قدوة إلى كل خير، واللّٰه يرحمك ويجزك لك العطاء يا زهرة العطاء والمحبة.﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

محمد إبراهيم الأعرج

قِصَصٌ عَنِ الْعَابِدِ مَسْلَمَةَ الأَعْرَج

❑ احْتِسَابُهُ لِأَعْمَالِهِ وَإِخْلَاصِهِ:

يقول أخوه: «بعدما انتهينا من قراءة كتاب «شرح العقيدة الواسطية» بشرح الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه اللَّه ـ، أنا وأخي أبو إبراهيم، إذا به يقترح عليَّ أن نبدأ بقراءة صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، حيث كان مسلمة حريصًا على طلب العلم الشرعي وقراءة الكتب.

قلت له: وما السبب في اختيار هذا الكتاب دون غيره؟

قال: فيه أحاديث النبي ﷺ التي تجعلنا نعيش سيرته ونقتفي أثره.

قلت: وما السبب في اختيار شرح النووي؟

قال: لأن الإمام النووي عابد زاهد، وشرحه يميل إلى الصفاء والرقة أكثر من ميله إلى المصطلحات الحديثة، مما يجعل قلوبنا تزيد إيمانًا وسكينة باستشعار أحاديث النبي ﷺ.

ولما كان لقاؤنا الثاني بعدما اتفقنا على قراءة هذا الكتاب، إذا به يبادرني القول: ما النوايا التي ترغب في تحصيلها من قراءتك لهذا الكتاب؟ فقد كان من عادته أنه يسجل في بداية الأعمال التي يقوم بها النيات التي يرغب في تحقيقها.

قلت: أقرأ هذا الكتاب تقربًا لربي، وطلبًا للعلم، وشغلًا لوقت فراغي.

قال ـ بعدما أخرج من جيبه ورقة قد سجل عليها قائمة من النيات لهذه القراءة، أذكر منها أنه قال: أتقرب بهذه القراءة لربي حتى يتقبلني شهيدًا، ومنافسة لإخواني الذين سبقوني بالشهادة، وطلبًا للعلم وتعليمه الناس.

ثم خاطبني بصوته الهادئ، وبوجهه المنير قائلًا: ما الأعمال التي تحب أن تتقرب بها إلى اللَّه قبل البدء بأول درس لنا في هذا الكتاب، حتى يوفقنا اللَّه لإكمال القراءة والثبات عليها، وخاصة أن هذا الكتاب هو من أمهات الكتب.

قلت: نصوم في أول درس لنا ذلك اليوم.. قال: ونقوم تلك الليلة وندعو اللَّه بالتوفيق، ثم نتطيب قبل الإتيان إلى الدرس ونستاك، ثم وضع ـ رحمه اللَّه ـ جدولًا لأول درس نجلسه، بقراءة بعض من آيات القرآن ودعاء إلى اللَّه ـ تَعَالَى ـ بالتوفيق والسداد ثم نبدأ بالقراءة من هذا الكتاب».

❑ إِخْلَاصُهُ:

كان - رحمه اللَّه - يخفي أعماله، وهذه صفة بارزة في صفاته، كان يخفي صدقته، فذات مرة وهو يسأل عن إخوانه كعادته، تبين له أن أحدهم بحاجة إلى مال لدفع رسوم الجامعة، فما كان منه إلا أن أحضر مئة دينار ودفعها للذي أخبره بحاجة أخيه ليوصلها له، وأوصاه بأن لا يخبره أنها منه، ولم يعلم ذلك الشاب الذي وصلت إليه النقود أنها من مسلمة إلا بعد استشهاده.

وأذكر له موقفًا آخر في هذا الباب أنه ذات يوم رأى أحد إخوانه غير مهتم بمظهره الخارجي، فما كان منه - رحمه اللَّه - إلا أن ذهب إلى السوق واشترى ملابس لذلك الأخ، وأرسلها مع أحد الشباب موصيًا إياه بأن لا يُعلمه أنها منه، وفعلًا وصلت الملابس لذلك الأخ، ولم يعلم أنها من مسلمة إلا بعد استشهاده - رحمه اللَّه -.

❑ وَيُخْفِي - حَتَّى - بُكَاءَهُ:

فيذكر أحد إخوانه أنه كان كثيرًا ما يصلي بجانبه في صلاة الفجر، وأثناء الصلاة كان يهتز جسد مسلمة من كثرة بكائه، لكنه كان لا يحب أن يشعر أحدًا ببكائه، فتراه يضع الحطة على رأسه حتى لا يرى أحد دموعه، بل زيادة على ذلك كان يظهر السعال عند البكاء حتى لا يشعر أحد من المصلين ببكائه، وكان - رحمه اللَّه - إذا صَلى النافلة أمام الناس تراه يخفف في الصلاة، أما إذا ما اختلى في بيته بينه وبين خالقه - سبحانه - فإنه كان يقوم بالأجزاء الطوال كما يحدث أهله عنه، بل وزيادة على ما سبق أنه - رحمه اللَّه - كان يحفظ القرآن الكريم ولم يعلم أحد من أهله أو إخوانه إلا بعد استشهاده.

❑ حِرْصُهُ عَلَى الْعِلْمِ:

قليل من الناس هم الذين يهتمون بالعلم الشرعي، وحتى من هذا القليل قليل هم الذين يقرنون العلم بالعمل ويتبعون القول بالفعل، فقليل من هذا القليل هم الذين تسبق أعمالُهم أقوالَهم، وتسبق جوارحهم مواعظهم، وما مسلمة إلا واحدًا من هذا القليل القليل، نحسبه كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا.

يقول أحد الدعاة في مقالة له بعنوان (شاب من السلف عاش بيننا ثم مضى) وهو زميل لمسلمة

في كلية الشريعة: «انظر، ما أروع مسلمة تلميذًا ملتزمًا مطيعًا.. تلمس فيه السمت الإيماني الخاشع والاستماع للدرس بكل جوارحه، وبعد ذلك الالتزام بالتطبيق والانتفاع العملي، فلا تجده يفوت فائدة. لقد كان ـ رحمه اللَّه ـ نعم الطالب للعلم الشرعي، والمتشرب للتزكية والتربية، فلا تجده يفوت مجلس علم نافع، فإذا به ينتقل من مسجد لآخر يلملم الفوائد من أفواه الدعاة والعلماء، وما أروع التزامه العملي بالعلم الذي حصله وبالسنة النبوية المطهرة... وفي المواقف التالية ما يبيِّن حرص مسلمة على طلب العلم الشرعي.

❑ مِنَ الْهَنْدَسَةِ إِلَى الشَّرِيعَةِ:

أتم مسلمة ـ رحمه اله ـ دراسته الثانوية بامتياز حيث حصل على معدل ٩٦٪ ثم درس الهندسة بالجامعة الإسلامية ولمدة ثلاث سنوات، وكان نعم الطالب في كليته، فكان محبوبًا بين إخوانه، ومتفوقًا في دراسته فقد كان معدله التراكمي في الهندسة ٨٩٪، ثم من حرصه على طلب العلم الشرعي وبعد استخارة اللَّه ـ تَعَالَى ـ عزم على التحويل إلى كلية الشريعة، وأثناء وقوفه في صالة التسجيل في الجامعة حدث حوار بينه وبين مسجل كلية الهندسة، هذا الحوار يدل على حرص مسلمة على العلم الشرعي وتفضيله إياه على غيره من العلوم. حيث إنه لما طلب من المسجل التحويل من كلية الهندسة إلى كلية الشريعة نظر إليه المسجل مستغربًا وقال له: أتريد أن تحول من كلية الهندسة ـ وأشار بيده إلى الأعلى ـ إلى الشريعة ـ وأشار بيده إلى الأسفل ـ وكأنه يشير إلى أن دراسة الهندسة هي أفضل من دراسة الشريعة ومقدمة عليها، فما كان من مسلمة ـ رحمه اللَّه ـ إلا أنه أجاب إجابة المعتز بدينه المقتنع بفعله قائلًا: بل أريد أن أحول من الهندسة ـ وأشار بيده إلى الأسفل ـ إلى الشريعة ـ وأشار بيده إلى الأعلى ـ كأنه يقول للمسجل: إن دراسة الشريعة هي أفضل وأعلى من دراسة الهندسة وغيرها من العلوم.

❑ إِلَى أَخِي فِي اللَّهِ:

وَقَائِلَةٍ أَنْفَقْتَ فِي الْكُتُبِ ... مَا حَوَتْ يَمِينُكَ مِنْ مَالٍ فَقُلْتُ دَعِينِي
لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهَا كِتَابًا يَدُلُّنِي ... لِآخُذَ كِتَابِي آمِنًا بِيَمِينِي

هذا لسان حال مسلمة مجيبًا على والدته عندما تقول له: يا بني لقد أنفقت في شراء الكتب

كل ما معك من مال!!!، وذلك من كثرة شرائه للكتب وحرصه على اقتنائها، فلقد كان يملك كمًّا كبيرًا من الكتب والأشرطة، حيث كان كثير القراءة والمطالعة، وكثير سماع الأشرطة.

ولقد ذهبت مع مسلمة في إحدى المرات إلى المكتبة لشراء بعض الكتب، وإذ بنا نفاجأ بأن صاحب المكتبة قد أحضر كمًّا كبيرًا من الكتب من مصر، وبعضها ينشر لأول مرة في غزة، فإذا بمعالم السرور والبهجة ترتسم على وجه مسلمة عندما رأى هذه الكتب، وانكب عليها يفتشها ويفتح الصناديق المغلقة يتعرف على ما بداخلها من كتب، ويجمع في صناديق ما يريد شراءه منها، ويطول علينا الوقت وهو على حاله تلك، حتى إذا ما انتهى من مشاهدته للكتب وجمعه ما يريد شراءه منها إذا به يجمع كمًّا كبيرًا منها، ولما جلس هو وصاحب المكتبة لحساب ثمن هذه الكتب وبعد فترة طويلة من تقييمها بلغ ثمنها ألفي شيكل (٢٠٠٠ ش)، وهذا الثمن بعد مراعاة صاحب المكتبة لمسلمة في ثمنها، وكنت أنظر إلى مسلمة مستغربًا من كثرة شرائه للكتب وعدم اكترائه من هذا الثمن، ثم حصل الصناديق وغادر بها إلى بيته، وقال لي ونحن في طريق العودة: إن لم أتمكن من قراءة هذه الكتب جميعًا، فلا أقل مني أنه إذا طلب مني أحد الأخوة كتابًا أن يجده عندي، ولقد علمت بعد ذلك من والدة الشهيد ـ رحمه اللَّه ـ أنه كان يدفع ثمن هذه الكتب بالتقسيط، وأحيانًا كان يعمل في بعض الأشغال لسداد دينه، رحمه الله.

❑ مُحَافَظَتُهُ عَلَى السُّنَنِ:

ما أروع التزام مسلمة العملي بالعلم الذي حصله وبالسنة النبوية المطهرة؛ فتجده قد أعفى لحيته، قصر ثوبه، وأدام استعمال السواك، وتجده حريصًا على صلاة الضحى، وركعتي الوضوء، وصيام الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وغيرها من النوافل.

❑ مُجَابُ الدَّعْوَةِ:

«لم أكن أعرف بعد من هو مسلمة... إلى أن تعرفت عليه أو بالأحرى تعرف هو علي، وقد بادرني بالسؤال عن اسمي وأخباري وأوضاعي. ومن أول لقاء حدثني عن المحبة في اللَّه وأجر المتحابين، ثم انصرف، وبعد فترة تعمقت هذه العلاقة وقويت أواصرها وأبو إبراهيم ما زال يرسم لي معالم جديدة ويفتح أمامي آفاقًا متنوعة، وأحاديثه ما كانت لتمل، وكلماته ما كانت لتنسى وهو ينسجها بأسلوب العذب ويوقع عليها بابتساماته الصافية..

كنت أتردد كثيرًا عليه أبث له مشاكلي وهمومي حيث أجد البلسم... كان يخفف عني أحزاني ويبعث في قلبي الحياة من جديد.. يذكرني بالله، ويسرد على مسامعي قصص الصالحين التي تعينني على نوائبي..

ذهبت إليه في إحدى الليالي والوقت متأخر، وقد أحس بي مهمومًا محزنًا.. نزل إلي مسرعًا وكنت لحظتها أبكي.. أبكي بشدة.. كنت أصرخ كمدًا وألمًا لما آلت إليه حياتي خاصة أن أبي وأمي يعيشون في بلد آخر... ضمني أبو إبراهيم إلى صدره وكأنه والدي وقبلني من جبهتي ثم أجلسني، وبدأ يسرد علي قصص الصحابة ـ رضوان اللَّه عنهم ـ والتي تناسب حالي.. ثم رتل بصوته بعض الآيات من كتاب الله.. رتلها بخشوع وإيمان حتى اطمأنت نفسي وهدأت.. ثم ذكرني بأجر الصابرين والمحتسبين..

تكرر ترددي على مسلمة ـ رحمه اللَّه ـ وفي كل مرة كنت أحمل إليه مشكلة جديدة وهمًّا آخر، فقد جعلني أحس أن أهلي معي ليسوا مغتربين عني بل وعندما تحدثت أمي معه على الجوال طلبت منه أن يجعلني في عينيه، ولم يقصر أو يبدي أي تذمر أو ضجر، بل على العكس تمامًا كان يعرض عليّ جواله لأتحدث معها على حسابه الخاص..

في أحد الأيام جئته وقد وصلت مشاكلي إلى حد لا يمكن تحملها وقد بينتها لمسلمة وقلت إني طردت من البيت.. وكعادته أخذني بابتسامته وشملني بعطفه وحبه لكنه في هذه المرة قال إنه سيدعو لي اللَّه ﷻ لكي يفرج عني... بعد الفجر ذهبت إلى البيت وكأن معجزة قد حدثت فقد انقلبت الأمور؛ إذ بمن أخرجني من البيت يطلب مني أن أسامحه وأنسى ما كان، وأن أدعو له... تجلت صورة مسلمة لحظتها أمامي وتذكرت دعاءه، وعلمت لحظتها أنني أمام إنسان صادق مع اللَّه سخر حياته من أجل إخوانه فلا يهدأ ويقر له بال وأحباؤه في قلق وضيق.

❑ مَسْلَمَةُ الْهَاضِمُ لِنَفْسِهِ:

يقول أحد إخوانه: «خرجت مع أهلي من فلسطين.. واستقر بنا الحال في بلد أجنبي... عشت هناك أكثر من سنة... كنت أتابع أخبار المجاهدين وعملياتهم الجهادية والاستشهادية وقلبي يحن شوقًا لأكون في وطني أمارس واجبي وعملي هناك... وما إن أتت الفرصة حتى عدت والتحقت بالجامعة الإسلامية للدراسة، وفيها كنت على موعد للتعرف ولقاء مسلمة... وما أدراكم من

مسلمة... أخي وقرة عيني ونور قلبي ومهجتي... لكن لم أتمكن من ملازمته سوى خمسة أشهر... كانت سريعة لم تمهلني لأتعرف عليه أكثر.. فقد رحل مودعًا الدنيا وأهلها فلم يكن هو من أهلها.. قلت له يومًا: «أين أنت وأين نحن منك؟ قلتها مازحًا ويا ليتني لم أقلها فدموعه لم تجعلني أنهي كلامي ونحيبه أسكتني ثم قام من عندي وغاب عشرة دقائق وعاد بعدها مبتسمًا، ولا أدري أهي ابتسامة اعتذار أم شفقة أم جواب على تلك المزحة... وما زلت إلى اليوم أذكر ذلك الموقف وعيناي تترقرق بالدموع وأنا أقول: هل ما زال بين أيدينا من يستحقر أعماله رغم كثرتها تذللا لله... وما زلت أناجي نفسي بأن خمسة أشهر كانت من أغلى أيام عمري».

❑ مَسْلَمَةُ وَبِرُّهُ بِوَالِدَيْهِ:

إن بر الوالدين باب من أبواب الجنة، وكيف يغفل عن هذا الباب طلاب الفردوس، الذين تجد همهم وشغلهم الشاغل في هذه الحياة سلوك طرقها والولوج في سبلها، فها هو عاشق الشهادة وطالب الفردوس الأعلى (مسلمة الخير) ترى فيه الأسوة الحسنة والقدوة المباركة في بره لوالديه.

فكان ـ رحمه اللَّه ـ لا يبدأ بالطعام حتى تكون والدته هي أول من يأكل، ولا ينام حتى تنام إليه، وكان يحب أن ينام بجانبها، ولقد كنت أراه إذا أفطر معنا في المسجد بعد صلاة الضحى، يمسك الرغيف ويقطع منه كسرات صغيرة جدًّا ويأكلها، فكان يوهم إخوانه أنه يأكل وهو لا يأكل معهم إلا القليل ثم يذهب يكمل فطوره مع والدته، فكان ـ رحمه اللَّه ـ بارًّا بإخوانه، بارًّا بأمه، ويحب أن يوفق بين بر أمه ومحبة إخوانه، ولك أن تستغرب من خلال هذه المواقف في بره لوالديه.

❑ إِلَى هَذَا الحَدِّ يَا مَسْلَمَةُ!!

لربما يظن البعض من خلال قراءته لسيرة الشهيد أن هناك بعض المواقف مبالغ فيها وأنها من نسج الخيال، لكن القريب من الشهيد العارف بأحواله يعلم بصدق هذه المواقف وأن هناك من المواقف التي كان يبطنها الشهيد في حياته أعظم مما ذكر؛ وذلك لشدة إخفاءه لأعماله، ولقد حرصنا في هذا الكتاب على التوثيق الدقيق في النقل، وذلك بجمع هذه المعلومات من أفواه أهله وإخوانه الثقات الذين حدثت معهم هذه المواقف شخصيًّا.

ومن هذه المواقف المباركة أنه ـ رحمه اللَّه ـ لا يصعد سطح منزلهم وأمه موجودة في الطابق

السفلي برًّا بها واحترامًا لها، ولا أدري أهذه كانت صفة ملازمة له أم أنها كانت في بعض الأحيان، فيذكر أحد الشباب الثقات أنه ذهب ذات مرة لزيارة مسلمة في بيته، فنادى عليه، فإذا بمسلمة يرد عليه السلام، وكان حينها فوق سطح منزلهم، فلما نزل إليه، قال له الشاب: ما لي أراك تجلس فوق السطح، وأنت الذي حدثتني أنك لا تصعد سطح المنزل وأمك موجودة في البيت، فرد عليه مسلمة قائلًا: لا تقلق فإن والدتي ليست في البيت فقد خرجت لقضاء مصلحة، لهذا صعدت إلى السطح، فما كان من هذا الشاب لما سمع هذه الإجابة التي تدل على بره الكبير لوالدته إلا أنه ابتسم معجبًا وقال: إلى هذا الحد يا مسلمة.

❑ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً:

تقول والدة الشهيد: إن مسلمة كان نعم البار بي، فكان كلما رآني محزونة خفف عليَّ همومي، فلا يقوم من عندي إلا وأنا مسرورة فرحة، وكان يضمني إلى صدره ويقبل يداي، وينام بجانبي، فكنت دائمًا أحمد الله ـ تَعَالَى ـ على أن رزقني هذا الولد البار، وكان لا يتأخر عن الوقت الذي يحدده لعودته إلى البيت، إلا مرة واحدة، تأخر فيها لكنها كانت تأخرًا طويلًا طويلًا، كانت تأخرًا إلى الأبد.. لا ليس إلى الأبد بل إلى عمر هذه الدنيا الفانية، فالملتقى هناك إن شاء الله، ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾

❑ اقْتِضَاءُ الْعِلْمِ الْعَمَلَ:

قال أحد إخوانه: «كان أبو إبراهيم يعلمنا على منهج النبي ﷺ والسلف الصالح، وقبل أن يحثنا على أمر أو يعلمنا شيئًا كان يسبقنا إلى أدائه بل ويزيد فيه..

بعد فجر أحد الأيام ذكرنا بأوجه متنوعة من الخير.. وقد أخذنا بحديثه وكلامه إلى أن قال: إليكم هذه النصائح الثلاث:

١ـ المحافظة على الصلوات في المسجد مع الحرص على الصف الأول.

٢ـ المحافظة على قيام الليل ولو بجزء واحد.

٣ـ المحافظة على الرياضة والاستعداد البدني الجيد.

إذ لا بد أن يأتي دور للشباب أن ينخرطوا بعمل يحتاج إلى قوة.. ولذا وجب أن يكونوا على

أهبة الاستعداد إذا ما دعوا إلى الجهاد. قلت مازحًا: وهل تلعب أنت الرياضة.. قلتها مازحًا؛ لأن جسمه كان فيه بعض السمنة.. رد عليَّ.. أتظنني أنصحك بشيء وأنا لا أفعله.. فبحمد الله إذا نصحتكم بقيام الليل بجزء واحد فأنا أقوم بجزئين، وإذا ذكرتكم بالرياضة والقوة نزلت قبلكم إلى الميدان إلى أن أنهي حديثه وقد تمنيت لحظتها لو أني ما مازحته، فقد غلبني.

❑ أَبْكِي لِبُكَائِهِ:

كان مسلمة ـ رحمه اللَّه ـ، في أغلب الأحيان يمكث بعد صلاة الفجر يردد أذكار الصباح ثم يدعو، ومن بعدها يجلس يُعلِّم إخوانه التلاوة حتى الشروق.

فيذكر أحد إخوانه أنه في إحدى المرات وبينما كان مسلمة رافعًا يديه إلى الحنَّان المنَّان ويتضرع إليه بعد صلاة الفجر، جئت وجلست بجواره، فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان الدموع، فلما جلسنا نقرأ القرآن، إذا بالدموع تذرف من عيني وأنا أقرأ القرآن، ولا أدري لماذا أبكي غير أني تأثرت ببكاء مسلمة.

ويتابع هذا الأخ فيقول: كنت كثيرًا ما أذهب مع مسلمة لصلاة التراويح، وكان يؤم الناس في أحد المساجد، فكان كثيرًا ما يبكي في قنوته ويُبكي جميع أهل المسجد خاصة وأن صوته كان جميلًا وجهوريًّا.

❑ سَكْبُ الْعَبَرَاتِ:

كنت أحس بالفرق الكبير بيني وبين مسلمة، وخاصة في رقة قلبه ودموع عينيه، فكنت أشاهده أحيانًا في صلاة الفجر ودموعه على خديه وقد وضع الحطة على رأسه حتى لا يُرى بكاؤه، وفي نفس الوقت أنظر إلى حالي فأجد قسوة عظيمة في قلبي، فأتحسر على ذلك الحال..

وفي إحدى المرات دفعتني الجرأة إلى أن أذهب إليه، وأشكو إليه قسوة قلبي، وجفاف عيني، فما كان منه ـ رحمه اللَّه ـ إلا أن أحضر كتابًا اسمه «**سكب العبرات في الموت والقبر والسكرات**» لسيد العَفَّاني، وقرأ عليَّ منه بعض الأحاديث المرققة وأعطاني الكتاب لأقرأه في خلوتي، فلما جن عليَّ الليل قرأت منه في غرفتي، ولكني لم أشعر بخشوع قلبي وتغير حالي، فلما كان الغد أخبرته أني قرأت منه لكني لم أر أثر القراءة على خشوع قلبي، فقال لي: لا تستعجل وسترى النتيجة بعد

ذلك إن شاء الله، فاقرأ منه في الليلة القادمة وادعُ اللّٰه قبل نومك بأن يرقق قلبك، فعملت بوصية أخي ودعوت اللّٰه وتضرعت إليه أن يذيقني حلاوة الخشوع والبكاء من خشيته، فلما كنت أصلي الفجر من صبيحة تلك الليلة ومع نسيم آيات اللّٰه التي يرتلها الإمام بصوته الندي إذا بي أحس بلذة عظيمة في قلبي وإذا بدموعي تتساقط من عيني، فشعرت في تلك الصلاة ولأول مرة بلذة البكاء والخشوع لله ـ سبحانه وتعالى ـ، فتمنيت أن تكون حياتي كلها بكاء وخشوعًا؛ لما شعرت من لذة البكاء والخشوع.

❏ قِيَامُهُ لِلَّيْلِ:

إن أعظم الطاعات بعد المفروضات قيام الليل، وهو شرف المؤمن، وبهجة الدنيا ولذتها، ولكم تحلو مناجاة المحبين لربهم في عتمة الليل يدعونه تضرعًا وخفية، وقيام الليل دأب الشهداء وصفتهم المشتركة، أمثال أسامة حلس وإسماعيل المعصوابي، وعثمان الرزاينة، وإياد البطش وغيرهم من الشهداء. وكان على نهجهم مسلمة الأعرج الذي كان يحيي ليله بالنحيب وبالقيام بالأجزاء الطوال، وانظر معي إلى هذه المواقف من قيامه: ـ

❏ وَهُوَ ابْنُ اثْنَيْ عَشَرَ:

لقد عرفه الليل ساجدًا قانتًا بين يدي ربه ومولاه ولم يبلغ من عمره الثانية عشرة بعد، فتحت أروقة مسجد الهندي بالسعودية كان مسلمة ينتظر فراغ المصلين من صلاة العشاء ليختلي بزاوية من زوايا المسجد، فيصف قدميه بين يدي ربه ومولاه مصليًا له راكعًا وساجدًا وقانتًا، هكذا كان مسلمة منذ صغره يعرفه الليل راهبًا عابدًا.

❏ بِجُزْءٍ سَبَقَنِي:

لم يمض على عملية استشهادية أكثر من نصف ساعة حتى جاءني مسلمة حاملًا بشرى استشهاد أسامة قائلًا: هنيئًا لنا جميعًا، فالأمير أبو صهيب قد نفذ عملية وتمت بنجاح ونال الشهادة وهي كل مراده ومبتغاه... نزل الخبر علي كالصاعقة لكن لم أر مسلمة سعيدًا لمثل تلك اللحظة حتى بادرني... ما بالك قد حزنت كيف لو كنت أنا الشهيد؟؟ ثم قال.. اتصل بأبي صهيب على الجوال وإن رد عليك سأعطيك ما تريد.. حاولت ولكن دون جدوى وأبو إبراهيم

ينظر إلى نظرة الواثق بالخبر... كانت في عيونه كلمات كثيرة توحي بفرحه ورضاه، ثم قال: اللّه أكبر ما أجمل شباب الكتائب.. كنا نسير وهو يردد هذه الكلمة ثم يقول: هذا يوم بألف يوم عندي... ثم يعاود الاتصال بأبي صهيب الذي كان جواله مغلقًا، ولكنها الثقة والتسليم بأمر الله... كنا نسير وهو يهنئ كل من يراه ويتصل بإخوانه يبشرهم، ثم يعاود الاتصال على جوال أسامة حتى وصل عدد مرات اتصاله به ٢٥ مرة... عدنا بعدها أدراجنا إلى بيت مسلمة، وعند وصولنا بدأ ببكاء حار ونحيب شديد وقال: سبقني أسامة بجزء واحد.. لم أفهم ماذا يعني، لكنه في اليوم التالي وضح لي مراده بعد أن ألححت عليه..

قال: في الأيام الماضية قمت الليالي بخمسة أجزاء من القرآن أما أسامة فإنه يوم استشهاده قام بستة أجزاء وهذا هو الجزء الذي سبقني به... ثم يستشهد مسلمة بعد أيام، وأتساءل مع نفسي كيف عوض مسلمة ما فاته وهل خمسة أجزاء كانت قليلة!!!؟؟

فِي اللَّيْلِ رُهْبَانٌ وَعِنْدَ جِهَادِهِمْ لِعَدُوِّهِمْ مِنْ أَشْجَعِ الشُّجْعَانِ

❑ حِرْصُهُ عَلَى الأَذْكَارِ:

قد كان مسلمة ـ رحمه اللّه ـ يعلم بحديث النبي ﷺ:

«**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**» قالوا: بلى. قال: «**ذِكْرُ اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ**»[(١)]. فتجده يرطب لسانه بذكر الله، ويصونه عن الوقوع في الغيبة أو أعراض المسلمين، فترى المسبحة لا تفارق يده، يسبح اللّه بها، وكم كان حريصًا على ترديد الأذكار وخاصة أذكار الصباح والمساء كما سيتبين لك ذلك.

❑ أَلْقَاكَ بَعْدَ الأَذْكَارِ:

كان مسلمة ـ رحمه اللّه ـ حريصًا على الأذكار، لا يمنعه شاغل من ترديد ورده من هذه الأذكار، فتراه يجلس بعد صلاة الفجر يردد أذكار الصباح، ولا يمنعه التعب أو النعس من ترديدها، فإذا كان نعسًا من طول السهر فيمسك مسبحته بيده ويسير بين أعمدة المسجد يردد

---

(١) الترمذي ٥/٥٩ وابن ماجه ٢/١٢٤٥.

الأذكار حتى لا ينام ويفوته ورده منها، وكان يعتذر لمن يريد أن يكلمه في وقت ورده حتى إن أحد الشباب جاء من منطقته ليزور مسلمة في مسجده في وقت قراءته للأذكار فسلم عليه مسلمة وقال له: ألقاك بعد الأذكار، فكان لا يدعها مطلقًا.

❑ اذْكُرِ اللَّهَ حَتَّى يُقَالَ عَنْكَ مَجْنُونٌ:

بهذه العبارة: «**اذكر اللَّه حتى يقال عنك مجنون**» كان مسلمة ـ رحمه اللَّه ـ يوصي إخوانه، فلقد ذكر لي أحد الأخوة أن مسلمة كلما رآني يقول لي: «**اذكر اللَّه حتى يقال عنك مجنون**»، وهذا الموقف يذكرني بأبي مسلم الخولاني الذي كانت شفتاه تتمتم بذكر اللَّه دائمًا حتى قال له بعض الناس: أمجنون أنت؟!. قال لهم: ولم؟! قالوا: نرى شفتيك تتمتم بكلام لا نسمعه، قال لهم: أنا لست مجنونًا بل عندي دواء للمجانين الذي إذا قاله المجنون شُفي بإذن الله، عندي ذكر الله... هذا أبو مسلم الخولاني هو الذي قذفه مسيلمة الكذاب في النار فكانت عليه بردًا وسلامًا مثلما كانت على الخليل إبراهيم عليه السلام.

❑ مَسْلَمَةُ وَالدَّعْوَةُ

كلمة الدعوة إلى اللَّه لها معنى كبير عند مسلمة، فهو الذي كان يطوف المساجد من أجلها.. وهو الذي يقضي أطايب وقته في خدمتها.. وهو الذي يتحمل الأذى من أجل رفعتها.. فكان بحق الرجل الداعية.

ولقد تعددت أعماله في مجال الدعوة إلى اللَّه فتراه في بيته ناصحًا لأهله خادمًا لهم.. وتراه في مسجده معلمًا لطلابه مربيًا لهم.. وتراه في جامعته أميرًا لإخوانه مرشدًا لهم.. فقد كان ـ رحمه اللَّه ـ أميرًا للجنة الثقافية في مجلس طلاب الجامعة الإسلامية، وأميرًا للكتلة الإسلامية في منطقته، ومرشدًا دعويًا لبعض المدارس الثانوية، ومربيًا للأشبال في مسجده، ومعلمًا التلاوة لإخوانه فيه، إضافة إلى دعوته الفردية، فقد كان يحسن دعوة الصغار والكبار إلى الالتزام بدين الله، وما أجمل ذلك المشهد يوم تراه يحمل بعضًا من الحلوى يوزعها على الأطفال وهو في طريقه إلى المسجد ويحثهم على الصلاة، حتى وجدنا بعضهم يوم استشهاده وهو جالس بجانب بيته يبكي بكاء الكبار، وقد كتب على يده «**مسلمة حبيبي**».

فلله درك يا مسلمة حبيبًا للصغار والكبار، إضافة إلى أنه كان يعظ الناس في بعض المساجد

حتى إنه في فجر اليوم الذي سبق استشهاده قد ألقى موعظة في أحد المساجد.

❑ شَوْقُهُ لِلشَّهَادَةِ:

كثيرًا ما اشتاق أبو إبراهيم للشهادة... شوقًا ملأ عليه حياته وهو يستشرف قول الرسول ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»** هذا الشوق لم يكن حديث نفس يكتفي به ليرفع العذر عن نفسه.. بل كان حديثًا مقرونًا بعمل متواصل حتى يحققه لقول رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ»**. ومسلمة لم يكن يرضى لنفسه أن تعيش في الأحلام والأماني فقط... بل إنه كان يعبر عن شوقه للشهادة واللحاق بإخوانه من خلال مشاركاته المتعددة التي تقرب الشهادة إليه أكثر، فكان يشارك في أعراس الشهداء ويتناول الحلوى احتفاء بهم، ويجلس في بيوت أفراحهم، ويكثر من الحديث عنهم بشكل مستمر... وهو بهذه الأعمال إنما يوضح بعضًا مما يجول في نفسه من شوق وحرقة... وكم بكى وذرف الدموع... وكم صَلى وأطال الركوع والسجود، ولكم دعا وناجى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقه الشهادة ولا يؤخرها عنه... بل إنه كان يحدث نفسه أنه ليس أهلًا لها خاصة إذا حظي بالشهادة من يعرفه. من هنا... كثيرة كانت المواقف التي ترددت على ألسن الشباب تبرز شوقه الحار للشهادة حتى أن أحدهم قد وجد في مذكراته الخاصة أحاديث كثيرة عن الجهاد والشهداء وفضلهم ومناجاة ودعاء خالصًا يطلب فيه الشهادة.. سطرها لتذكره دومًا بها فلا يتخلل نفسه القعود أو الركود.

❑ شَوْقٌ وَإِعْدَادٌ:

الإصرار والتفاني والإخلاص معالم بارزة في شخصية أبي إبراهيم.. إصرار على الشهادة والفوز بها بإخلاص من أجل أن يتقبل اللَّه عمله... هكذا كنت أرى أبا إبراهيم تنبض حياته وجوارحه ومشاعره بالشهادة.. حتى بدأ يعد نفسه إعدادًا لذلك اليوم الذي طالما حلم به.. فأعد نفسه إعدادًا إيمانيًّا عميقًا وأعد جسمه إعدادًا متينًا قويًّا.. وصار يبحث عن الشهادة ويطرق بابها في كل مكان ويستغل كل فرصة متاحة لينالها ويحظى بها... وكلما طال به الأمد شعر بتقصيره وعدم أحقيته بها... فيستغفر أكثر ويتقرب إلى اللَّه بالطاعات والعمل الصالح علَّ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ ينظر إليه نظرة رحمة فيختاره ويصطفيه... حتى وصل من تذللَه بين يدي اللَّه أنه لا ينام

إلا على الحصير... وإذ شعر أن التأخر يزداد زاد في تواضعه وصفائه وتضحياته وخدمته لإخوانه.. مصرًّا على المضي على طريق الجهاد وصولًا لرضى الله... وبرغم هذا الإعداد كان يرى أن الشهادة أمنية بعيدة عنه... فأين هو وأعماله وصفاته من صفات وأعمال الشهداء.. ولكنه في النهاية وصل وأخذ ما سعى إليه مقبلًا غير مدبر.

❏ مَوْعِدُ الْحَلْوَى:

كلما سقط شهيد وارتفع إلى العلياء... وكلما تفتحت أبواب السماء لاستقبال شهيد، وكلما سُجِّيَ جسدٌ بنور الإيمان وحلاوة الجهاد... كلما كان فرح مسلمة يزداد، فلا شيء يجعل قلبه يعانق السماء بشرًا وسعادة سوى أن يرى أحد إخوانه قد حظي بالشهادة. لهذا كان يرى في ذلك مناسبة طيبة للاحتفال والسرور وأكل الحلوى... نعم أكل الحلوى حتى تمنيت لو أن كل يوم ارتفع شهيدٌ حتى ينادينا مسلمة لنحتفي ونستمتع معه.

وكثيرة كانت مثل هذه المناسبات.. فبعد استشهاد حسين أبو نصر ـ رحمه الله ـ ذهبت معه وقد كان سعيدًا جدًّا لدرجة أنه أخذ كيسًا كبيرًا من الحلوى لأهل بيته وكأنه قد عاد من عرس لأهل الأرض، فقد كان يرى أن الشهيد الآن يستقبله أهل السماء بحلة جديدة وموكب ملائكي فينبغي أن نشاركهم ولو بأكل الحلوى. كانت الحلوى بحق جزءًا من يوميات مسلمة الجهادية، يتمتع وهو يعبر بصدق عن شوقه، ويوم استشهاد أبي صهيب أسامة حلس كاد أن يحلق في السماء فرحة على ما حققه من انتصار وشهادة... جاءني قائلًا: لنأكل شيئًا من الحلوى والسبب (حلوان العملية).. اشترى كمية كبيرة وأخذ يطعم كل من يرى من إخوانه وصحبه، وقد راح في سعادة ما بعدها سعادة، وبعد خمسة أيام من ذلك تناولنا حلوى ولم يكن مسلمة هو المشتري ولم يشاركنا في أكلها... فقد غادرنا ورحل تاركًا لذكراه الطيبة مكانًا في قلوبنا.

❏ مِنْ خِلَالِ الشَّاشَةِ:

حديثه معي لا يخلو من ذكر الشهداء... حديث لا يمل لسانه من الترنم والتغني به على الدوام، وأمنيته أن يلتحق بركب المجاهدين فلا يكتب عليه أنه كان من القاعدين المتقاعسين.. وكثير هم الشهداء الذين عرفهم مسلمة وربطته بهم وشائج قوية من المحبة الصادقة في اللَّه ... كان دائمًا يتنسم عبيرهم وشذا أرواحهم المحلقة في عليين... وكلما ارتفع شهيد أو لاح طيفه أمام ناظريه

بكى بكاء حارًّا يستر خلفه حرقة الفراق والبعد والشوق... قال لي يومًا: رأيت أخي إبراهيم ريان (شهيد قسامي سبقه) على شاشة الكمبيوتر حاملًا سلاحه.. نظرت إليه واقتربت نحوه فواللَّه لقد قبلته من خلال الشاشة. مر عام وأبو إبراهيم بيننا يقوي عزمنا وعزمه، ويشد على أيدينا للعمل حتى نصل إلى أحبائنا... وعندما رحل لم يعد بحاجة لشاشات أو دموع فقد تركها لنا.

❑ أُنْشُودَةٌ أَبْكَتْهُ:

كان الشباب يحدثونني حديثًا مستمرًّا عن شوق مسلمة للشهادة... شوقه للقاء أحبته الذين سبقوه.. كان لا يترك مناسبة إلا وتذكرهم رحل بفكره إليهم... صليت يومًا معه الفجر وجلسنا مع الشباب نقرأ القرآن بعد الصلاة، ولما انتهينا طلب مسلمة من أحد الجالسين أن ينشد فأنشد:

النُّورُ مِلْءُ عُيُونِي وَالْحُورُ مِلْكُ يَمِينِي
وَكَالْمَلَاكِ أُغَنِّي فِي جَنَّةٍ وَعُيُونِ

توقف المنشد لم يستطع أن يكمل إنشاده رفقًا بأبي إبراهيم الذي راح في بكاء شديد ونحيب كبير... وكأنه يستحضر الشهداء واحدًا واحدًا... وقد أُنعم عليهم بنعمة عظيمة وأجر كبير في جنة اللَّه وفردوسه... لقد وجد في كلمات هذه الأنشودة ما يذكره بأحبته وقد ذاق طعم الحياة معهم، ولم يملك في شوقه للشهادة إلا أن يبكي ويدعو: اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى حتى تعبد حتى تعلو راية الحق... وما هي إلا أشهر حتى رحل.

❑ يَوْمُ الْعَمَلِيَّةِ.. وَلَحَظَاتُ الشَّهَادَةِ:

اقتربت ساعة الصفر المنتظرة، واقترب الرحيل ومسلمة يقترب منه أكثر وقت، مكث ٢٣ عامًا في انتظارها وقد كان خلالها خير من حمل الأمانة، وأودع فيها كل خلجات فؤاده ونبضات قلبه التي تؤذن كل يوم بالوداع على درب العطاء من أجل فجر مشرق رغيد.

اقتربت ساعة الصفر المنتظرة ومسلمة ما زال متمسكًا بطريق ذات الشوكة يحترق شوقًا للقاء اللَّه ﷻ ويرى أن كل ما سيقوم به إنما هو مهر بسيط لجنة عرضها السماوات والأرض... وفي كل يوم كانت كفاه إلى السماء ترفع، ولسانه بدعاء خافت يتمتم، يبتهل إلى اللَّه أن يسدد رميته ويرزقه الشهادة في سبيله مقبلًا غير مدبر.

يوم الرحيل أشرق. وفجر السابع عشر من رمضان الموفق ٢٠٠١/١٢/٢م يرسم خطوطه النورانية البيضاء الأولى ونيران الثأر لاغتيال أبي الهَنُّود تضرم في فؤاد مسلمة اللهيب المتقد للثأر يدفعه قدمًا للانطلاق، وطيف أبي الْهَنُّود يتراءى أمام ناظريه.. فشد الرحال في صبيحة هذا اليوم الأغر كي يقتحم ويفجر ويكبل الأيدي التي هاجمت ويهشم الرؤوس التي حاصرت.

بعدما لبس لأمة الحِرب، وقد امتشق سيف القسام، وتوشح براية التوحيد، وانطلق مع أخيه جهاد نحو الهدف الذي رسم لهما بثقة قوية وإيمان لا يتزعزع، والقلب ما زال يتضرع واللسان ما زال يلهج بأن يحفه اللَّه برحمته وينزل من عنده مدده ونصره.

وصل مسلمة إلى الهدف مع جهاد، واختبئا خلف ساتر ينتظران الصيد، وجهاز الاتصال بحوزتهما. ويتذكر القائد صلاح شحادة ـ رحمه اللَّه ـ ما دار من حديث مسلمة وجهاد قبيل لحظة الشهادة عبر هذا الجهاز.. أيها القائد هل تسمعنا هذه جيب مصفح ولم نطلق النار. أيها القائد هذه سيارة قادمة نحونا ولم نطلق النار.. أيها القائد هل تسمعنا.. هذا جيب قادم سنطلق سنطلق.. وفعلًا تقدم البطلان، ومن نقطة الصفر أطلقت النيران من بنادقهما لتستقر الرصاصات في جسد أحد المستوطنين الذي علم فيما بعد أنه البروفسور باروخ سنكر ٥٣ عامًا ويعمل في مفاعل ناحل سوريك الذري وهو أحد أكبر عشرة علماء متخصصين في دولة الكيان... ثم يخرج ناطق باسم الجيش الصهيوني ويعلن عن العملية وأن خمسه آخرين قد أصيبوا.. ويستمر الاشتباك عند خنادق للتدريب، فقد وصل مسلمة وجهاد إليها بعدما اخترقوا كل الاحتياطات الأمنية .. وتستمر المعركة والمجاهدان ينتظران الشهادة بشغف كبير فما خرجا إلا لها .. ثم تنطلق قذيفة دبابة نحو مسلمة ولسانه ما زال مكبرًا مهللًا.. وتفصل رأسه عن باقي جسمه ويسقط الجسد الطاهر المسجى بنور الأيمان وحلاوة الجهاد تغمره أنفاس القسام.. وتصعد الروح الشفافة المعطاءة إلى بارئها في لحظة طال انتظارها وقد تحقق الخيار الوحيد بالشهادة .. وتقر عين مسلمة بالثأر لأبي الهنود ولكل الشهداء، ثم يتبعه جهاد مع فرسان الثأر في هذا اليوم الأغر نبيل حلبيه وأسامة عيد وماهر حبيشة.

ويرحل مسلمة إلى عليين... إلى الملأ الأعلى ـ إن شاء اللَّه ـ مع الصحب والأحباب في جوار اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

❑ إِلَى مَقْبَرَةِ الشُّهَدَاءِ

طار خبر العملية والاستشهاد سريعًا.. وكان الجميع قد تهيأ لسماعه.. أمه التي قرأت من عينيه بأنه خارج ولن يرجع.. وإخوانه الذين ودعهم واحدًا تلو الآخر دون أن يعلموا بأنه السلام الأخير معهم.

ويخرج بيان القسام يزف إلى الحور العين الشهيدين مسلمة الأعرج وجهاد المصري.. (تعلن كتائب القسام مسئوليتها عن الهجوم المسلح على سيارات المستوطنين وجيش الاحتلال، فقد داس مجاهدونا بأقدامهم أسطورة الأمن...) قرأ البيان وكبرت المساجد إيذانًا بانطلاق عرس قسامي جديد.. ويشيع جثمان مسلمة بانطلاق مسيرة حملته فوق الأكتاف يشارك فيها أكثر من خمسة آلاف مشيع يمرون عبر شوارع وميادين غزة بالرغم من إعلان حالة الطوارئ يومئذ. ويُرفع الشهيد المسجى بآيات الجهاد والانتصار وقد فاحت رائحة المسك منه وعبقت في كل مكان لمسه جسده الطاهر.. ثم يصلى على الشهيد في المسجد الكبير ويلقي الشيخ أحمد بحر كلمة جهادية يعدد فيها مناقب مسلمة ويرغب بالشهادة ثم يسخر من أولئك الذين يحلمون بغير الجهاد لاسترداد ما ضيع. وينطلق موكب للشهيد وقد علت أصوات التكبير والتهليل وتجديد البيعة، وعلت رايات التوحيد خفاقة نحو مقبرة الشهداء.. كان الموكب يسير ودموع الفراق تتساقط من عيون المحبين والمشتاقين حتى ووري الجثمان الثري... وتطوى صفحة قسامي جديد سار على الدرب دون أن يحيد، وقد كان نعم المجاهد المؤمن نحسبه كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا.

وعبر الهاتف ينعى شقيق الشهيد أخاه مسلمة من السعودية قائلًا: إن مسلمة لم يكن الأخير في الحرب المتواصلة مع بني صهيون... ثم يدعو اللَّه أن يتقبله عنده شهيدًا.

ويجتمع أحباء الشهيد وإخوانه حول سرادق الفرح يتناولون حلوى الانتصار كما عودهم مسلمة.. كانت العيون تملؤها دموع الفرح والحزن واحتفاء بالعرس القسامي، فقد تم تصوير الشهيدين وهم في سعادة غامرة قبل تنفيذ العملية.. ويوجه مسلمة رسالة إلى الشباب المسلم وإلى الأمة التي تقف خلف أسلاك العجز والهوان بأن لا يتراجعوا عن حقهم.. ثم قال: إن الشهداء زيت سراج للتمكين فوق هذه الأرض.. وإن أشلاءنا ودماءنا هي طريق السالكين نحو النور المتوهج المنبثق من قلب المؤمنين.

شَهَادَةٌ فِي رَمَضَانَ

أن يصطفي اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ أحدًا من عباده ويتخذه شهيدًا عنده ذاك هو منتهى الفوز وغاية الظفر... وكيف لا تكون الشهادة في سبيل اللَّه هي منتهى الفوز وللشهيد عند ربه ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلية الإيمان، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه.

وكيف لا تكون الشهادة هي منتهى الظفر؟؟ وهي أفضل ما أعطى اللَّه أحدًا من الصالحين؛ حيث سمع النبي ﷺ: رجلًا يقول: اللهم أعطني أفضل ما أعطيت أحدًا من الصالحين. فقال له النبي ﷺ: «**إِذَنْ يُعْقَرُ جَوَادُكَ وَتُسْتَشْهَدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» فنيل الشهادة هو من أعظم الكرامات وخير الأعطيات.

ولقد فاز شهيدنا ـ رحمه اللَّه ـ بهذه الكرامة العظيمة؛ كرامة الشهادة والاصطفاء، بل كانت هذه الشهادة في شهر مضاعفة الحسنات ورفعة الدرجات، في ذكرى غزوة بدر الكبرى ويوم ملحمة القسام العظمى يوم السابع عشر من شهر الجهاد والشهادة شهر رمضان المبارك، فقد لاقى ربه شهيدًا وهو صائم مجاهد. فكفى بهذه منقبة، وأنعم بها من كرامة.

وَفِي اقْتِحَامِهَا كَرَامَةٌ:

معلوم كم هي تلك التحصينات العسكرية والأمنية التي تحاط بالمغتصبات الصهيونية الجاثمة على أرضنا المقدسة... من أراض تم تجريفها حول المغتصبات... إلى أبراج مراقبة إلى مناظير ليلية.. إلى أسلاك شائكة... وأخرى إلكترونية.. إلى كلاب حراسة بشرية وأخرى حيوانية إلى آليات مصفحة ... إلى ... إلى ...

والناظر بعين البصيرة إلى هذه التحصينات الصهيونية. وإلى اقتحام المجاهدين لتلك المغتصبات يقر بشيء واحد. هو أن اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ هو وحده الذي يمكن المجاهدين من الاقتحام يعمي أعين أعدائهم عنهم... ومن هؤلاء المجاهدين المقتحمين كان شهيدنا مسلمة ورفيق دربه جهاد حمدي المصري اللذين كانا يزحفان إلى مغتصبة إيلي سيناي وهما يرددان قول اللَّه ـ تَعَالَى ـ:

﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾ فأكرمهما الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالدخول لتلك المغتصبة، فقد دخلا لتطهير تلك البقعة من دنس الصهاينة، بعدما أدخلا الرعب في قلوب الأعداء، ليس ذلك فحسب بل تكتمل الكرامة الربانية عندما فجرا ذلك الدماغ الذي لطالما اشتغل في تطوير الأسلحة الكيميائية لمحاربة دين الله، «**فاروخ سنكر**» ـ الذي صرعه مسلمة ورفيق دربه جهاد ـ هو أحد عشرة متخصصين في علم الذرة في دولة الكيان المسخ.

❑ عِطْرٌ فَوَّاحٌ مِنْ جَسَدِ الْبَطَلِ وَنَعْشِهِ:

عندما كنت أسير في جنازة الشهيد مسلمة ـ رحمه الله ـ رجعت بالذاكرة إلى كتاب قرأته بعنوان: «**آيات الرحمن في جهاد الأفغان**» للشيخ عبدالله عزام يتحدث فيه عن كرامات الشهداء في أفغانستان، فيذكر أن بعضهم كان يخرج منه النور إلى السماء، وبعضهم تتخرق ثيابه من الرصاص وهو لا يصاب بشيء منها، وبعضهم كانت تخرج منه رائحة المسك يشمها القريب والبعيد، وكنت أستغرب حينها وأنا أقرأ في ذلك الكتاب من تلك الكرامات. استرجعت بالذاكرة لهذه الكرامات لأني قد وجدت بعضًا منها ها أنا أعاينه بذاتي، فالرائحة العطرة الفواحة والتي تشبه رائحة دعاء الجنة تنبعث من جسد الشهيد المسجى على النعش ويَشْتَمُّهَا الحاملون للنعش ومن حولهم، حتى أن بعض الشباب كان يأخذ من دم الشهيد ويطيب به وجهه ولحيته وبعضهم كان يضعه على ثيابه، وكذلك فإن التابوت الذي حُمل عليه الشهيد ظل محتفظًا بتلك الرائحة العطرة إلى فترة من الزمن.

يقول أحد الشباب الثقات: لقد شاركت في تشييع الكثير من الشهداء، وكنت أحرص على حمل جثامين الشهداء، فوجدت من بين هؤلاء الشهداء الذين شيعتهم ثلاثة تنبعث منهم رائحة عطرة تشبه رائحة دعاء الجنة وهم: الشهيد مسلمة الأعرج، والشهيد نبيل أبو القرع، والشهيد بلال شحادة رحمهم الله جميعًا.

فليس غريبًا أن تظهر بعض الكرامات لأولياء الله وشهدائه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصِيَّةُ الشَّهِيدِ الْقَسَّامِيِّ مَسْلَمَةَ إِبْرَاهِيم الْأَعْرَجِ (أَبُو إِبْرَاهِيم)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، ومن سار على دربه ونحا نحوه إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

- **إلى إخواني الأحباب: أحييكم بتحية الإسلام، تحية أهل الجنة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم أما بعد:**

لا أدري ماذا أكتب لكم، وماذا أقول وقد غمرتموني بعطفكم وحبكم طيلة فترة حياتي معكم في الدنيا.

لا أدري ماذا أقول وقد كنت لا أتكلم أمام الكثيرين منكم خجلًا من عظمتكم. ولكن هي الوصية سنة رسول الله ﷺ ودأب عليها الشهداء من قبلي، فاسمحوا لي بأن أهمس بأذنكم هذه وصيتي فاقبلوها: عليكم يا إخواني وأحبائي في كل مكان ومسجد، وخاصة (مسجد اليرموك ومسجد حطين ومسجد الخلفاء الراشدين ومسجد أمان):

أولًا: بإتباع دقائق السنة الواردة في الصحيح عن رسول الله ﷺ من سواك أو تقصير للثياب أو تغطية للرأس أو إطالة للحية أو ركعتي الوضوء أو تحية المسجد وغيرها التي يصعب حصرها في مثل هذه الوصية ولكن ذكرت بعضها على سبيل المثال لا الحصر لأدلل على ما أقول. وذلك أنه لا يجادل مجادل في صحة سنية تقصير الثوب أو السواك أو غيرها عن رسول الله ﷺ مع أن العلماء اختلفوا في حكم الإطالة للحية من وجوب إطلاقها أو تحريم الأخذ منها طولًا وعرضًا أو كراهة ذلك، لكن أحدهم لم يقل بعدم سنية الفعل فهي سنة مأجور من يفعلها عندهم كلهم.

ثانيًا: بالتمسك الشديد بالعلم الشرعي سواء كنت ـ أخي وحبيبي ـ طالبًا في الجامعة في كلية علمية مثل الهندسة والعلوم والطب أو أدبية أو شرعية، أم كنت طالبًا دون سن

التوجيهي فهناك دروس علمية يلقيها مشايخنا مثل: د/ نزار ريان حفظه اللَّه ـ تَعَالَى ـ ونفع به، د/ سلمان الداية نفع اللَّه ـ تَعَالَى ـ به، د/ إبراهيم المقادمة نفع اللَّه ـ تَعَالَى ـ به وغيرهم من العلماء الموجودين هنا في غزة الجهاد. أنصحكم بحضورها والحرص عليها وخاصة دروس: التفسير ـ الحديث ـ والعقيدة؛ لأنها أس البناء الصحيح.

ثالثًا: بتعلم آداب الأخوة ليس نظريًا من الكتب الناصة على ذلك وإن كانت مفيدة، ولا من خلال المحاضرات فحسب بل من خلال إخوة أفاضل يمتازون بذلك، فما أظن أن أحدنا يعدم أن يجد من فيه خصال وخلال الخير وآداب الصحبة الصالحة والأخوة الإيمانية من رقة وأدب ورد للسلام وتحمل للأخطاء والتماس للأعذار وعفو عن كثرة الزلات وغير ذلك من عظائم وواجبات الأخوة والمحبة.

ومما يعين على هذا التعلم ألا تتكلف في تعاملك مع إخوانك، فكن أنت في البيت مع أهلك ووالديك وأشقائك، وأنت أنت في الشارع مع الناس، وأنت أنت في المسجد، وهذه أهم العلاقات، وكذلك أنت أنت في محل دراستك أو عملك.

رابعًا: يا يحيى خذ الكتاب بقوة... إخواني يا من أحبهم كثيرًا في اللَّه ـ تَعَالَى ـ.. إن مشكلة أغلب الشباب الملتزم أنه لا يأخذ الإسلام كله مع أن رسول اللَّه ﷺ كانت حياته كلها صفحة مقروءة للإسلام، فلم لا نكون كذلك وقد كان الرسول ﷺ أسوة للناس؟ وأنت تعد نفسك أسوة كذلك لكثير من الناس واللَّه ـ تَعَالَى ـ يقول: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾.

خامسًا: مما يعين على الوصية الرابعة: إنكار المنكر أي منكر حتى لو حصل ممن هو أكبر منك في المكانة أو العلم أو العمر، وعدم التهاون بذلك والدليل اسمعه مني: كان رسول اللَّه ﷺ كما ورد عنه في الصحيح ـ أنه ما ترك خيرًا إلا ودل الأمة عليه، وما ترك شرًّا إلا ونهانا عنه.

وكذلك فإن تعريف السنة.. هي ما أثر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية. وبالجمع بين هذين نجد أنه ﷺ كل نفس من أنفاسه كان لله وفي اللَّه ـ تَعَالَى

ـ، وكان دعوة فإما منكرًا أو مقرًّا أو داعيًا إلى أمر طيب أو خلق فضيل، فكن كذلك ولا تضيع وقتك وفرصتك.

سادسًا: لا أنسى في وصيتي أن أذكرك بدورك في بيتك وخاصة مع والدك وخاصة مع والدتك؛ لأنهما بابان تدخل بهما إلى الجنة، وأنت تغفل عنهما. وكذلك سجل وصيتك كما أمر بذلك ﷺ في سنته وضعها دومًا تحت مخدتك.

سابعًا: عليك بصيام الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، والأفضل صيام داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقيام الليل بالأجزاء الطويلة، ولا تعتبر أنك قد تحمَّلت على نفسك حين تقوم بركعتين خفيفتين وتستيقظ تحدث بهما عند أول حديث لك مع إخوانك أو حتى مع من يأخذ عنك، ولكن عالج الأمر بليل وإخفاء.

ثامنًا: قدِّروا أهل العلم ومن هم أقدم في الدعوة ومن يكبروننا سنًّا، وارجعوا إليهم، وكونوا دومًا مع الصادقين، وتقديرك إياهم يقتضي أن تحترمهم وترجع إليهم قبل أن تنطلق لأي عمل.

تاسعًا: إياكم والغيبة والنميمة والكذب، فواللَّه مدمرات هذه الثلاثة، تسفك بالعمل سفكًا وتقتله قتلًا. وصدقوني يا إخواني قليل من الشباب الملتزم من يخلو حديثه من الغيبة والكذب، فاحذروا ونقوا كلامكم، وحاسبوا أنفسكم وزنوها قبل أن توزن عليكم. وقديمًا قال الشهيد عبداللَّه عزام: قليل من الرجال الذين يحملون مبادءهم من هذا الدين، وقليل من هذا القليل الذين ينفرون من الدنيا من أجل تبليغ هذه المبادئ، وقليل من هذا القليل الذين يضحون بأجسادهم وأرواحهم من أجل نصرة هذا الدين، فهم قليل من قليل من قليل، ولن يوصل إلا عبر هذا الطريق.

عاشرًا: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ أخي الحبيب كن دومًا معهم ـ أي الدعاة ـ (إخوانك من هم

معك، ولربما يكون أحدهم أصغر منك سنًّا ولو قيل لك أن تصنفه مع الدعاة إلى اللَّه ـ تَعَالَى ـ لما استطعت؛ لما تظن به من بساطة الحال أو قلة العلم أو غير ذلك) فلا تطلب أنت فراق هؤلاء، ولكن انتظر المجلس حتى ينفض أو ينتهي بانتهاء وقت أحدكم، فلقد ورد عنه ﷺ أنه لم يكن يترك يد من يصافحه حتى يتركه هو.

(واصبر نفسك) يعني اصبر عليهم وعلى تحمل أخطاء بعضهم وتحملهم وأحسن الظن، وهذا يعيدنا إلى الوصية الثالثة.

الحادي عشر: قول ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ ـ تَعَالَى ـ: **«المؤمن لا يعاقب ولا يطالب ولا يضارب»** ضع حبيبي هذا نصب عينيك ولا تنساه مهما حصل، ومن عمل عليه ـ صدقوني إخواني ـ هو الذي سيكسب وسيجد العزة بين إخوانه، ولن توجد العزة بين الإخوان إلا بالتذلل بينهم كما علمنا بذلك شيخنا / نزار ريان ـ حفظه اللَّه ـ تَعَالَى ـ.

الثاني عشر: **«من تواضع لله رفعه»** أقسم عليها ﷺ في حديثه الصحيح، ألم تسمع قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وبالحصول على الشق الأول من المعادلة يحصل الشق الثاني من المعادلة ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وبارك اللَّه فيكم وأعانكم على الجهاد.

الثالث عشر: يوجد في قلبي خواطر تجيش لكم، فأدرك بعضها والآخر لا أدركه، ومن أهمها هو أن تهتم حبيبي بهذا العنوان (اعتماد فكرة التربية سواء مع أخيك الذي هو أصغر منك أو أكبر منك) وإليك شرح ذلك: لا تسمح بخطأ ولا معصية ولا بصواب أو حسنة تمر من بين يديك إلا ووضعته موضعه وتنزله منزله حتى لو حصل ممن تأخذه عنه ويكبرك سنًّا. يعني أنكر المنكر وصوب واشكر من فعله، فلا يُعقل أصلًا أن أنكر على من فعل خطأً ولا أشكر وأدع له بالخير حين يقوم بتصليح الخطإ أو إمرار صوابه.

الرابع عشر: لا يفوتني أن أوصيكم بأن تزهدوا في الدنيا ـ ازهدوا في الملابس ـ في الفراش ـ في الركوب ـ في الطعام ـ في كل شيء وإن توفرت نعمة اللَّه ـ تَعَالَى ـ عليك وكثرت فاحمد اللَّه ـ تَعَالَى ـ ولكن لا تنغمس فيها كثيرًا، وليكن مَثَلَكَ في هذا أبو عبدالرحمن عبداللّه بن المبارك ـ كان يُطعم الناس في رحلة الحج التي يقيمها على

نفقته أفضل الطعام من الفالوذج وغيره، ويأكل هو خبز الشعير، وقد خُيِّرَ ﷺ بين أن يكون ملكًا نبيًّا وبين أن يكون نبيًّا، فاختار الثانية ورفض الأولى.

ولقد كان ﷺ يمر عليه الثلاثة أهلَّة ولا يوجد في بيته غير التمر والماء، وكان يعلِّم في جنبه ﷺ الحصير، وكان يلبس ﷺ الصوف، وفي القصة التي ثبت سندها لما جاءه الأعرابي وشد تلابيبه علَّم فيه وفي رقبته ﷺ.

الخامس عشر: إخواني الأحباب مررت على القرآن فتأثرت بمجموع من الآيات أذكر لكم بعضها، إليكم هي:

١ـ قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦].

انظر أخي الحبيب كيف يصف اللَّه ـ تَعَالَى ـ معادلة النصر في الآية (١٤٧)، فلقد وصف ـ سبحانه ـ أن (الربيون) (الربانيون) الذين قاتلوا معه ما كان طلبهم من اللَّه إلا:

أ ـ غفران الذنوب فإذا ما غفر اللَّه ـ تَعَالَى ـ ذنوب امرئ فإنه يرضى... ثم

ب ـ ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ يعني بعد الغفران والرضى منك يا رب، فأكرمنا حتى حسن الختام بالثبات على الطاعات والصبر عليها والنتيجة أن:

ج ـ ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ في الختام يهبهم اللَّه ـ تَعَالَى ـ ما أرادوا، وزادهم من عنده، واللَّه غفور رحيم.

٢ـ قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ هذه الآية نزلت في الإخلاص، ويا اللَّه ما أصعب الإخلاص ... لذا فإني إلى الآن أخاف هذه الآية. ومما يخيفني من الآيات مثلها: آية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم﴾... ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ فكنت أخشى ما أخشاه هو أن أسلك طريقًا ثم يجعله اللَّه عليّ وبالًا وأكون فرحًا به وأنا لا أدري أن اللَّه يمكر لي به. فكنت دومًا أغيِّر طريقي في التعامل مع الشباب ومع حياتي وأفكر في هدف وغاية أعيش من أجلها وأتفكر ما هو صحيح هل أنا اتبعته أم بعد.

٣ـ قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ هذه الآية كلما مررت بها تخيفني دقة الوزن فيها فأخاف وأرتق.

فأمزجها برحمة الله ـ تَعَالَى ـ إلى أن أفتح لنفسي باب الرجاء فيها.

فأجد أني قد زال عني بعض الهم، لكن سرعان ما تعود ذاكرتي لتتذكر معانيها فأعود أخاف من شدة الشطر الثاني منها، والله الذي يرحمنا برحمته ويغفر لنا، والله على كل شيء قدير.

٤ـ قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ هي نفس المعاني في سورة الزلزلة.

٥ـ قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾. هذه كنت كثيرًا ما أحاول الابتعاد عن قراءتها خشية أن تركن نفسي لها فيضعف عزمي، فلا أجد لي بعد ذلك عزمًا، ولكن الله ـ تَعَالَى ـ برحمته كان يعرضها لي بين الفينة والأخرى حتى ترتاح نفسي وحتى أشد الهمة من جديد، والله غفور رحيم.

السادس عشر: ولقد سمعت هذا البيت من إخوة لي وقرأته فعلمت أنه للمجاهد أبي عبدالرحمن عبدالله بن المبارك، وإني كلما سمعته هز أحاسيسي وقلب مشاعري، وإليكم هو يعبر عن حال الشباب الذين يودون لو يخرجون للجهاد:

بُغْضُ الحَيَاةِ وَخَوْفُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنَا

إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلَا وَاللَّهِ مَا اتَّزَنَا

وهنا يسعدني في هذه المحطة أن أنصح إخواني بما نصحهم من قبلي الشهيد عبدالله عزام بالخروج مع إخواننا في جماعة الدعوة والتبليغ.

السابع عشر: لا أريد أن أوصيكم على الأدعية والإلحاح فيها وخاصة أذكار الصباح والمساء سواء مما تحفظون مما جمعه الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ تَعَالَى ـ أو ما جمعه غيره من العلماء كذاك الذي جمع في كتاب (حصن المسلم) لسعيد بن علي بن وهف القحطاني عافاه الله ـ تَعَالَى ـ.

وإن أجمل ما سمعت من الدعاء، والذي يعبر عن حال التائب الصادق لهو دعاء «**سيد الاستغفار**» فعليك به.

الثامن عشر: أجمل ما قرأت من الكتب: (صلاح الأمة في علو الهمة) لصاحبه فضيلة الشيخ الدكتور سيد بن حسين العفاني عافاه اللَّه ـ تَعَالَى ـ وأحلى باب فيه هو باب: «**علو الهمة في الحياء**» وأحلى ما فيه هو ما ينقل عن ابن قيم الجوزية ـ رحمه اللَّه ..

وكتاب «**تهذيب مدارج السالكين**» الذي هذبه الراشد حفظه اللَّه ـ تَعَالَى ..

وكتاب «**المنطلق والعوائق والرقائق**» للراشد كذلك حفظه اللَّه ـ تَعَالَى ..

وكتاب «**طريق الهجرتين ودار السعادتين**» لابن قيم الجوزية ـ رحمه اللَّه ـ تَعَالَى ..

وكتاب «**مذكرات في منازل الصديقين والربانيين**» لفضيلة الشيخ سعيد حوى ـ رحمه اللَّه ـ تَعَالَى ..

وكُتُب عائض القرني حفظه اللَّه ـ تَعَالَى ـ وخاصة كتاب «**لا تحزن**».

وإني إذ أذكر الكتب هذه لأذكرها ليقرأ إخواني ولا يبخلوا على أنفسهم بالعلم وهو أهم ما يهتمون به.

التاسع عشر: أجمل ما سمعت من الأشرطة:

١ـ محاضرات عائض القرني كلها.

٢ـ محاضرات إبراهيم الدويش كلها.

٣ـ محاضرات محمد العريفي.

٤ـ القرآن بصوت مشاري العفاسي.

٥ـ القرآن بصوت الشهيد أحمد العجمي.

٦ـ القرآن بصوت الغامدي.

٧ـ محاضرات علي القرني.

جزاهم اللَّه كلهم خيرًا.

٨ـ أناشيد المجلة الإسلامية، وخاصة رقم (٣).

٩ـ أناشيد قوافل الشهداء من (١ ـ ٥).

العشرون: وفي ختام وصيتي لا يسعني إلا أن أشكركم على تربيتكم لي وصبركم عليَّ وحبكم لي، وأسألكم أن تسامحوني وتغفروا لي زلاتي وأخطائي وأن ترضوا عني وتهتموا بإخواني من بعدي ما استطعتم إلى ذلك سبيلًا.. وأن تعرض وصيتي هذه بنقاطها على شكل موعظة في حلقات الدروس في المساجد لمن كان يقوم بهذا الدور في المساجد من مرب للأشبال والناشئين والبراعم، وذلك ليس لأهمية صاحبها بل لما حوته من حكم قد شقيت أنا في لملمتها من أفواه إخواننا ودروسهم وحكم ومعاني جلساتهم، وما أدعي صحتها فإن أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فمن اللَّه ـ تَعَالَى ـ والفضل لإخواني الذين صبروا علي حتى وجدوا هذه الزهور في بستاني، وبارك اللَّه ـ تَعَالَى ـ فيكم، وجزاكم اللَّه ـ تَعَالَى ـ خيرًا.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه ـ تَعَالَى ـ وبركاته.

أخوكم المحب
أبو إبراهيم
مسلمة إبراهيم الأعرج
٢٠٠١/١١/٢٨م

رِثَاءٌ.. لِأَحَدِ أَحِبَّتِهِ

السلام عليك يا أخي، السلام عليك يا بطل.

يا من سبقتنا بالأفعال، وتركتنا نخوض حروب الكلمات.

وشتان شتان ما بين الوجهتين، ما بين من ترجل مفارقًا ملذات الحياة، وتاركًا لنا نضرتها وآمالها، متوجهًا إلى ساحات الجهاد، قاصدًا القتل للأعداء وبين من أمسك بالقلم يريد أن يجسد ذلك الموقف وهو يحتسي فنجانًا من الشاي. لا يستويان عملًا، ولا يستويان مكافأة، ولا يستويان أجرًا. فيا من سبقت إلى اللقاء، يا من سبقت إلى اللقاء.

أخي أبا إبراهيم:

يَا زَهْرَةً نَبَتَتْ تَسَامَتْ ... بَيْنَ أَوْرَاقِ الشَّجَرْ

وَأَرِيجُ عِطْرِكَ يَا أَخِي ... مَلَأَ الصَّحَارِي وَالْحَضَرْ

وَجَمِيلُ ذِكْرِكَ فِي الْحَيَاةِ ... كَأَنَّهُ رَيَّا انْتَشَرْ

يَا مَنْ تَرَكْتَ لَنَا الْحَيَاةَ ... لِتَرْتَدِي ثَوْبَ السَّفَرْ

سَفَرٍ طَوِيلٍ زَادُهُ ... الْقُرْآنُ فِي دُنْيَا الْعِبَرْ

وَتَرَكْتَ فِينَا لِلْجِنَانِ ... مَشَاعِلًا تَهْدِي النَّظَرْ

يَا بْنَ الْكَتَائِبِ طَابَتْ ... الْأُخْرَى نَعِيمًا مُنْتَظَرْ

يَا مَنْ تَقَدَّمْتَ الصُّفُوفَ ... وَسِرْتَ لَا تَخْشَى الْخَطَرْ

أَنْتَ الْأَصِيلُ وَمَا سِوَاكَ ... النَّسْخُ فَالْكُلُّ صُوَرْ

يَا مَنْ خَرَجْتَ بِلَيْلَةٍ ... هِيَ لِلْأَعَادِي كَالشَّرَرْ

وَتَعَاهَدَ الْأُسْدَانِ رَغْمَ ... الضَّيْمِ قَدْ حَانَ الظَّفَرْ

وَتَقَدَّمُوا نَحْوَ السِّيَاجِ ... لِيَنْزَعُوهُ بِلَا خَوَرْ

وَتَوَغَّلَ الْأَبْطَالُ فِي ... الْأَرْضِ الْكَرِيمَةِ فِي حَذَرْ

وَهُنَاكَ قَدْ كَمَنُوا فَإِذَا بِصَيدٍ قَدْ ظَهَرْ
بَرَزُوا لَهُ فَإِذَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ انْتَحَرْ
وَتَنَبَّهَ الأَعْدَاءُ فَاتَّجَهُوا يَقْفُونَ الأَثَرْ
وَتَقَاوَلُوا وَتَرَاجَعَ الأَعْدَاءُ مِنْ هَوْلِ الْخَبَرْ
أَمَّا الْكَتَائِبُ قَدْ مَضَوْا إِمَّا الْمَمَاتُ أَوِ الظَّفَرْ
وَتَطَايَرَتْ فِي الأُفْقِ أَشْلَاءٌ وَجَيشٌ يَنْدَحِرْ
وَتَجَدَّدَتْ طُولَ الْمَسَاءِ مَعَارِكٌ يَا لَلْقَدَرْ
حَتَّى إِذَا بَزَغَ الصَّبَاحُ إِذِ الدُّمُوعُ تَنْحَدِرْ
وَإِذَا الْمُسَجَّى بَيْنَنَا عَالَ عَلَى كُلِّ الْبَشَرْ
وَإِذَا الشَّهِيدُ مُخَضَّبٌ بِدِمَائِهِ مثل الْقَمَرْ
وَبِكَفِّهِ تُرْبُ الْبِلَادِ فَإِنَّهُ أَغْلَى الدُّرَرْ
فَلَكُمْ مَدِيحِي خَالِصًا يَا سَابِقِينَ إِلَى الظَّفَرْ
فَلَقَدْ أَنَرْتُم فِي السَّمَاءِ تَأَلُّقًا مِثْلُ الْقَمَرْ

* * *

شُقَيِّقَ نَفْسِي وَحَبِيبِي فِي اللَّهِ الَّذِي لَمْ أَرَهُ:
«اشْفَعْ لِي عِنْدَ رَبِّكَ»

❑ حبيبي مسلمة:

لو لم يكن لأحمد ياسين غرسٌ سواك فقد والله أحسن الغرس..

حبيبي: كتبتني في وصيتك، وهذا ـ والله ـ شرف يقصر عملي عنه، فاشفع لي عند ربك.

يعلم الله كم أبكتني كثيرًا ترجمتك.

يَا وَيْحَ نَفْسِي وَمَا ارْتَفَعَتْ بِنَا هِمَمٌ ... إِلَى الْجِنَانِ وَتَالِي الْقَوْمِ أَوَّابُ
إِلَى كَوَاعِبِ لِلْأَطْرَافِ قَاصِرَةٍ ... وَظِلِّ طُوبَى وَعِطْرِ الشَّذْوِ يَنْسَابُ
إِلَى قَنَادِيلِ ذَهَبٍ عُلِّقَتْ شَرَفًا ... بِعَرْشِ رَبِّي لِمَنْ قُتِلُوا وَمَا غَابُوا

❑ حَبِيبِي مَسْلَمَةُ:

أُوَدِّعُكُمْ بِدَمْعَاتِ الْعُيُونِ ... أُوَدِّعُكُمْ وَأَنْتُمْ لِي عُيُونِي
أُوَدِّعُكُمْ وَفِي قَلْبِي لَهِيبٌ ... تَجُودُ بِهِ مِنَ الشَّوْقِ شُجُونِي
أَرَاكُمْ ذَاهِبِينَ وَلَنْ تَعُودُوا ... أَكَادُ أَصِيحُ إِخْوَانِي خُذُونِي
فَلَسْتُ أُطِيقُ عَيْشًا لَا تَرَاكُمْ ... بِهِ عَيْنِي وَقَدْ فَارَقْتُمُونِي
أَلَا يَا إِخْوَةً فِي اللَّهِ كُنْتُمْ ... عَلَى الْمَأْسَاةِ لِي خَيْرَ مُعِينِ
وَكُنْتُمْ فِي طَرِيقِ الشَّوْكِ وَرْدًا ... يَفُوحُ شَذَاهُ عِطْرًا مِنْ غُصُونِ
إِذَا لَمْ نَلْتَقِ فِي الْأَرْضِ يَوْمًا ... وَفَرَّقَ بَيْنَنَا كَأْسُ الْمَنُونِ
فَمَوْعِدُنَا غَدًا فِي دَارِ خُلْدِ ... بِهَا يَحْيَا الْحَنُونُ مَعَ الْحَنُونِ

يا راحلين عن الحياة، يا راحلين عن الحياة وساكنين بأضلعي. هل تسمعون، هل تسمعون توجعي وتوجع الدنيا معي؟

* * *

أَسَدُ غَزَّةَ.. الْبَطَلُ الدُّكْتُورُ عَبْدُالْعَزِيزِ الرَّنْتِيسِيُّ(١)

عبدالعزيز علي عبدالحفيظ الرنتيسي، ولد في ١٩٤٧/١٠/٢٣م في قرية يبنا (بين عسقلان ويافا)، لجأت أسرته بعد حرب العام ١٩٤٨م إلى قطاع غزة، واستقرت في مخيم خان يونس للاجئين، وكان عمره وقتها ٦ شهور.

نشأ الرنتيسي بين ٩ أخوة وثلاث أخوات.

التحق عبدالعزيز الرنتيسي في سن السادسة بمدرسة تابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، وقد اضطرته ظروف عائلته الصعبة إلى العمل وهو في سن السادسة؛ ليساهم في إعالة أسرته الكبيرة.

وقد كان متميزًا في دراسته؛ حيث أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٦٥م، وتوجه إلى الإسكندرية ليلتحق بجامعتها ويدرس الطب.

أنهى دراسته الجامعية بتفوق، وتخرج عام ١٩٧١م، وعاد إلى قطاع غزة؛ ليعمل في مستشفى ناصر المستشفى الرئيسي في خان يونس، وبعد أن خاض إضرابًا مع زملائه في المستشفى احتجاجًا على تعمد إدارة الصحة منعهم من السفر لإكمال دراستهم العليا فقد تمكن من العودة إلى الإسكندرية؛ ليحصل على درجة الماجستير في طب الأطفال، وفي العام ١٩٧٦م عاد إلى عمله في ناصر.

متزوج، وأب لستة أطفال (ولدان وأربع بنات)، وجد لعشرة أحفاد.

شغل الدكتور الرنتيسي عدة مواقع في العمل العام؛ منها: عضوية هيئة إدارية منتخبة في المجمع الإسلامي، وعضو الهيئة الإدارية المنتخبة لعدة دورات في الجمعية الطبية العربية بقطاع غزة إلى أن اعتقل عام ١٩٨٨م من قوات الاحتلال الصهيوني، وهو عضو في الهلال الأحمر الفلسطيني.

عمل محاضرًا في الجامعة الإسلامية في مدينة غزة منذ عام ١٩٨٦م، وذلك بعد إقصائه تعسفيًا

---

(١) انظر موقع الرنتيسي وكتائب القسام.

من قبل الاحتلال عن عمله في المستشفى عام ١٩٨٤م، ولم يسمح له بالعودة إلى المستشفى ثانية، وقد كتب ضابط ركن الصحة الصهيوني على ملفه (لا يسمح له بالعودة إلا بكتاب خطي من وزير الدفاع).

اعتقل الرنتيسي عام ١٩٨٢م بسبب رفضه دفع الضرائب لسلطات الاحتلال، وذلك بعد أن خاضت الجمعية الطبية إضرابًا استمر لمدة ثلاثة أسابيع، وذلك احتجاجًا على الضريبة المضافة، وكان الرنتيسي أحد قادة هذا الإضراب عام ١٩٨١م، وقد حدثت انتفاضة فلسطينية في قطاع غزة خلال هذه الفترة تضامنًا مع الأطباء، وقد فرضت عليه الإقامة الجبرية خلال فترة الإضراب.

لقد انتسب الرنتيسي إلى جماعة الإخوان المسلمين ليصبح أحد قادتها في قطاع غزة ويكون أحد مؤسسي حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» في غزة عام ١٩٨٧م.

وكان أول من اعتقل من قادة الحركة بعد إشتعال حركة الانتفاضة الفلسطينية الأولى في التاسع من ديسمبر ١٩٨٧م، ففي ١٩٨٨/١/١٥م جرى اعتقاله لمدة ٢١ يومًا بعد عراك بالأيدي بينه وبين جنود الاحتلال الذين أرادوا اقتحام غرفة نومه، فاشتبك معهم لصدهم عن الغرفة، فاعتقلوه دون أن يتمكنوا من دخول الغرفة.

وبعد شهر من الإفراج عنه تم اعتقاله بتاريخ ١٩٨٨/٣/٤م حيث ظل محتجزًا في سجون الاحتلال لمدة عامين ونصف العام؛ حيث وجهت له تهمة المشاركة في تأسيس وقيادة «**حماس**» وصياغة المنشور الأول للانتفاضة بينما لم يعترف في التحقيق بشيء من ذلك، فحوكم على قانون «**تامير**»، ليطلق سراحه في ١٩٩٠/٩/٤م، ثم عاد الاحتلال اعتقاله بعد مئة يوم فقط بتاريخ ١٩٩٠/١٢/١٤م؛ حيث اعتقل إداريًا لمدة عام كامل.

وفي ١٩٩٢/١٢/١٧م أبعد مع ٤١٦ مجاهدًا من نشطاء وكوادر حركتي «حماس» و«الجهاد» الإسلامي إلى جنوب لبنان، حيث برز كناطق رسمي باسم المبعدين الذين رابطوا في مخيم العودة في منطقة مرج الزهور؛ لإرغام سلطات الاحتلال على إعادتهم وتعبيرًا عن رفضهم قرار الإبعاد الصهيوني، وقد نجحوا في كسر قرار الإبعاد والعودة إلى الوطن وإغلاق باب الإبعاد إلى يومنا هذا.

اعتقلته سلطات الاحتلال فور عودته من مرج الزهور، وأصدرت محكمة صهيونية عسكرية

عليه حكمًا بالسجن لمدة ثلاث سنوات ونصف السنة، ليفرج عنه في ١٩٩٧/٤/٢١م بعد انتهاء مدة الحكم.

وخرج من المعتقل ليباشر دوره في قيادة «**حماس**» التي كانت قد تلقت ضربة مؤلمة من السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٦م، وأخذ يدافع بقوة عن ثوابت الشعب الفلسطيني وعن مواقف الحركة الخالدة، ويشجع على النهوض من جديد، ولم يَرُق ذلك للسلطة الفلسطينية التي قامت باعتقاله بعد أقل من عام من خروجه من سجون الاحتلال، وذلك بتاريخ ١٩٩٨/٤/١٠م، وذلك بضغط من الاحتلال كما أقر له بذلك بعض المسئولين الأمنيين في السلطة الفلسطينية، وأفرج عنه بعد ١٥ شهرًا بسبب وفاة والدته وهو في المعتقلات الفلسطينية، ثم أعيد للاعتقال بعدها ثلاث مرات ليفرج عنه بعد أن خاض إضرابًا عن الطعام، وبعد أن قصف المعتقل من قبل طائرات العدو الصهيوني وهو في غرفة مغلقة في السجن المركزي في الوقت الذي تم فيه إخلاء السجن من الضباط وعناصر الأمن خشية على حياتهم، لينهي بذلك ما مجموعه ٢٧ شهرًا في سجون السلطة الفلسطينية.

لقد حاولت السلطة اعتقاله مرتين بعد ذلك ولكنها فشلت بسبب حماية الجماهير الفلسطينية لمنزله.

الدكتور الرنتيسي تمكن من إتمام حفظ كتاب اللَّه في المعتقل وذلك عام ١٩٩٠م بينما كان في زنزانة واحدة مع الشيخ المجاهد أحمد ياسين، وله قصائد شعرية تعبر عن انغراس الوطن والشعب الفلسطيني في أعماق فؤاده، وهو كاتب مقالة سياسية تنشرها له عشرات الصحف.

ولقد أمضى معظم أيام اعتقاله في سجون الاحتلال، وكل أيام اعتقاله في سجون السلطة في عزل انفرادي.

والدكتور الرنتيسي يؤمن أن فلسطين لن تتحرر إلا بالجهاد في سبيل الله.

من: إسلام أون لاين.

❑ الْبِدَايَةُ:

نشأ عبدالعزيز الرنتيسي ابن يبنا القرية المهجرة (بين عسقلان ويافا)، والمولود في ١٠/٢٣/ ١٩٤٧م قبيل الهجرة في أسرة ملتزمة ومحافظة في مخيم خان يونس للاجئين الفلسطينيين. لم

يمنعه صغر سنه من العمل لمساعدة عائلته المكونة من ١١ فردًا؛ حيث اشتغل وهو في عمر ست سنوات، فلم يلهو مع أقرانه، ولم يعش شقاوات الطفولة، كان هناك أكبر من ذلك شغل تفكيره، وعالمه الصغير.

أنهى الرنتيسي دراسته الثانوية عام ١٩٦٥م، وتوجه إلى مدينة الإسكندرية المصرية ليلتحق بجامعتها ويدرس الطب؛ حيث أنهى دراسته الجامعية بتفوق، وتخرج عام ١٩٧٢م وعاد إلى قطاع غزة، لم تقف أحلامه عند هذا الحد على الرغم من صعوبة الظروف التي عاشها وأفراد أسرته الأحد عشر.

لمع نجم الرنتيسي في العديد من المجالات سواء على الصعيد العلمي أو العملي أو الدعوي وكذلك الجهادي؛ فقد حصل على درجة الماجستير في طب الأطفال من مدينة الإسكندرية، بعد أن خاض إضرابًا مع زملائه في المستشفى محتجًّا على منعهم من النهل من معين العلم، والسفر إلى أرض الكنانة، وعمل بعد أن عاد في مستشفى ناصر في خان يونس، وذلك عام ١٩٧٦م.

شغل الدكتور الرنتيسي العديد من المواقع في العمل العام؛ منها: عضوية هيئة إدارية في المجمع الإسلامي والجمعية الطبية بقطاع غزة، والهلال الأحمر الفلسطيني. وعمل في الجامعة الإسلامية بمدينة غزة منذ افتتاحها عام ١٩٧٨م محاضرًا يدرس علم الوراثة والطفيليات.

❑ الِاعْتِقَالُ الْأَوَّلُ:

• نَجَاةُ الرَّنْتِيسِيِّ مِنْ مُحَاوَلَةِ الِاغْتِيَالِ الْأُولَى:

كان أحد قيادي حركة الإخوان المسلمين السبعة في «**قطاع غزة**» عندما حدثت حادثة المقطورة، تلك الحادثة التي صدمت فيها مقطورة صهيونية سيارة لعمال فلسطينيين، فقتلت وأصابت جميع من في السيارة، واعتبرت هذه الحادثة بأنها عمل متعمد بهدف القتل مما أثار الشارع الفلسطيني؛ خاصة أن الحادثة جاءت بعد سلسلة من الاستفزازات الإسرائيلية التي استهدفت كرامة الشباب الفلسطيني؛ خاصة طلاب الجامعات الذين كانوا دائمًا في حالة من الاستنفار والمواجهة شبه اليومية مع قوات الاحتلال. وقد خرجت على إثر حادثة السير المتعمدة هذه مسيرة عفوية غاضبة في (جباليا) أدت إلى سقوط شهيد وعدد من الجرحى، فاجتمع قادة الإخوان المسلمين في قطاع غزة وعلى رأسهم الرنتيسي على إثر ذلك، وتدارسوا الأمر، واتخذوا

قرارًا مهمًّا يقضي بإشعال انتفاضة في قطاع غزة ضد الاحتلال الصهيوني. وتم اتخاذ ذلك القرار التاريخي في ليلة التاسع من ديسمبر ١٩٨٧م، وتقرر الإعلان عن «**حركة المقاومة الإسلامية**» كعنوان للعمل الانتفاضي الذي يمثل الحركة الإسلامية في فلسطين، وصدر البيان الأول موقعًا بـ«**ح. م. س**». هذا البيان التاريخي الذي أعلن بداية الانتفاضة، والذي كتب لها أن تغير وجه التاريخ، وبدأت الانتفاضة من المساجد، واستجاب الناس، وبدأ الشعب الفلسطيني مرحلة من أفضل مراحل جهاده.

وفجأة بعد منتصف ليلة الجمعة الخامس عشر من يناير ١٩٨٨ ـ أي بعد ٣٧ يومًا من اندلاع الانتفاضة ـ إذا بقوات كبيرة جدًّا من جنود الاحتلال تحاصر منزل الرنتيسي، وتسور بعض الجنود جدران فناء البيت، بينما قام عدد آخر منهم بتحطيم الباب الخارجي بعنف شديد محدثين أصوات فزع بسببها لأطفاله الصغار الذين كانوا ينامون كحمل وديع.

انتهى الاقتحام باعتقال الدكتور ليكون هذا بداية مسيرة الاعتقالات، وبداية مسيرة الجهاد والإبعاد.

❑ رَهِينُ الْمُعْتَقَلَاتِ:

لم يكن فقط رهين المعتقلات الإسرائيلية بل والفلسطينية أيضًا؛ فقد اعتقل أربع مرات في سجون السلطة الفلسطينية، كان آخرها لمدة ٢١ شهرًا بسبب مطالبته السلطة الفلسطينية بالكشف عن قتلة الشهيد محي الدين الشريف في مارس «**آذار**» ١٩٩٨م.

❑ مَرَارُ الْغُرْبَةِ:

● مُقَاتِلُو «حَمَاس» يُحِيطُونَ بِالرَّنْتِيسِيِّ:

وفي ١٧/١٢/١٩٩٢م أبعد مع ٤٠٠ من نشطاء وكوادر حركتي «**حماس**» والجهاد الإسلامي إلى جنوب لبنان؛ حيث برز كناطق رسمي باسم المبعدين الذين رابطوا في مخيم العودة في منطقة مرج الزهور؛ لإرغام سلطات الاحتلال على إعادتهم، وتعبيرًا عن رفضهم لقرار الإبعاد.

واعتقلته سلطات الاحتلال فور عودته من مرج الزهور، وأصدرت محكمة إسرائيلية عسكرية عليه حكمًا بالسجن؛ حيث ظل محتجزًا حتى أواسط عام ١٩٩٧م.

وتمكن الرنتيسي من خلق جبهة معارضة قوية لانخراط الحركة في أي مؤسسة من مؤسسات السلطة، أو دخول الحركة في انتخابات تحت سقف اتفاق (أوسلو) الذي قامت بموجبه السلطة الفلسطينية. وقد أدت مواقفه هذه إلى تعرضه لعدة عمليات اعتقال، وأفرج عنه العام قبل الماضي ٢٠٠٢م، بشرط عدم الإدلاء بأي تصريحات تعبئ الشارع الفلسطيني، إلا أن مواقف د.الرنتيسي - خصوصًا بعد عرض خريطة الطريق - أثارت حنق إسرائيل؛ فقد أعلن الرنتيسي معارضته للخريطة ولأي حل سلمي أو مفاوضات مع العدو الإسرائيلي.

❑ اسْتِشْهَادُ الرَّنْتِيسِيِّ:

وبعد أن اغتالت يد الغدر الإسرائيلية الشيخ القعيد القائد أحمد ياسين بايعت الحركة الدكتور الرنتيسي خليفة له في الداخل، ليسير على الدرب حاملًا مشعل الجهاد؛ ليضيء درب السائرين نحو الأقصى، إلى أن تمكنت منه يد العدوان، فاستشهد مع ٣ من مرافقيه في غارة جوية إسرائيلية استهدفت سيارته في شارع الجلاء بمنطقة الغفري شمال مدينة غزة مساء السبت ١٧/٤/٢٠٠٤م.

❑ النَّشْأَةُ السِّيَاسِيَّةُ:

وعن بداية مشواره مع الحركة الإسلامية يقول الرنتيسي: إنه تأثر أثناء دراسته بمصر كثيرًا بالشيخين محمود عيد وإبراهيم المحلاوي، وكانا يخطبان في مسجدي السلام وإبراهيم باشا في الإسكندرية.

وأضاف الرنتيسي: «كانت الخطب سياسية حماسية؛ فمحمود عيد كان يدعم القضية الفلسطينية، وكان يواجه السادات بعنف في ذلك الوقت؛ وهو ما ترك أثرًا في نفسي، فلما عدت من دراسة الماجستير بدأت أتحسس طريقي في الحركة الإسلامية مقتديًا بأسلوبه ونهجه»، موضحًا أن أول مواجهة له مع الاحتلال الإسرائيلي كانت عام ١٩٨١م؛ حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية، ثم اعتقل على خلفية رفضه دفع الضرائب لسلطات الاحتلال.

❑ تَأْسِيسُ «حَمَاسٍ»:

وكان الدكتور الرنتيسي أحد مؤسسي حركة **«حماس»** السبعة عام ١٩٨٧م، ويقول عن قصة

إنشاء الحركة: «كنت مسئولَ منطقة خان يونس في حركة الإخوان المسلمين، وفي عام ١٩٨٧م قررنا المشاركة بفاعلية في الانتفاضة، وكنا سبعة..؛ الشيخ أحمد ياسين، وعبدالفتاح دخان، ومحمد شمعة، وإبراهيم اليازوري، وصلاح شحادة، وعيسى النشار، وقد اخترنا اسمًا للعمل الحركي هو حركة المقاومة الإسلامية، ثم جاء الاختصار إلى «**حماس**»».

وقد بلغ مجموع فترات الاعتقال التي قضاها الرنتيسي في سجون الاحتلال سبع سنوات بالإضافة إلى سنة قضاها مبعدًا في مرج الزهور بأقصى جنوب لبنان عام ١٩٩٢م، وكان أول قيادي في «**حماس**» يعتقل بتاريخ ١٥/١/١٩٨٨م، وأمضى مدة ثلاثة أسابيع في المعتقل ثم أفرج عنه ليعاد اعتقاله بتاريخ ٥/٣/١٩٨٨م، ويقول مستذكرًا تلك الأيام: «منعت من النوم لمدة ستة أيام، كما وضعت في ثلاجة لمدة أربع وعشرين ساعة، لكن رغم ذلك لم أعترف بأي تهمة وجهت إليّ بفضل الله».

❑ «فَوَائِدُ» السَّجْنِ:

ويشير الرنتيسي إلى فترة السجن فيقول: «أعظم فائدة هي إتمام حفظ كتاب اللَّه في السجن، كما أنه يصقل الإنسان، ويعوده الصبر والجلد، ويهذب النفس؛ فالسجن مصنع الرجال».

كما اعتقل الرنتيسي في سجون السلطة الفلسطينية ٤ مرات، وبلغ مجموع ما قضاه في زنازينها ٢٧ شهرًا معزولًا عن بقية المعتقلين.

❑ حَفْرِيَّاتٌ فِي ذَاكِرَتِي:

بقلم الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي

أينما وليت شطر ذكريات مرت بخيرها وشرها وحلوها ومرها؛ وجدت أن المعاناة الناجمة عن احتلال فلسطين تصبغ كل شيء في حياتنا كشعب فلسطيني، وأجدني مضطرًا إلى العودة إلى أحداث من تلافيف الماضي البعيد، التي حتمًا ستسلط بعض الضوء على حجم الكارثة التي حاقت بالشعب الفلسطيني، الذي لم يكن له من ذنب إلا أنه شعب فلسطيني مسلم.

وقد غلف اليهود جرائمهم بحق شعبنا المعذب على أيديهم بغلاف توراتي أسطوري، ولقد حفرت بعض المآسي أخاديد عميقة في الذاكرة؛ فلا يمكن نسيانها، ومنها: مذبحة خان يونس

على يد اليهود عام ١٩٥٦م.

في عام ١٩٥٦م إبان العدوان الثلاثي على مصر احتل الصهاينة قطاع غزة، وارتكبوا مجازر بشعة كعادتهم، ولكن هذه المرة في مدينة (خان يونس)؛ حيث كنت أقيم في مخيمها منذ أخرجت مع أسرتي من قريتي (يبنا) التي تقع بين (اسدود) و(يافا) وأنا ابن ستة أشهر؛ لأجد نفسي في معسكر (خان يونس) للاجئين الفلسطينيين، لقد ارتكبت المجازر بحق المدنيين الفلسطينيين، حيث كان اليهود يقتحمون البيوت ويقتلون كل من فيها من رجال أمام أزواجهم وأبنائهم، وكان لي عم يدعى «**حامد الرنتيسي**»، ولم يكن لأبي إخوة غيره، ولقد اقتحم اليهود بيته كما اقتحموا بيوت الجيران، وكان يجلس مع زوجته وأبنائه، فصوبوا عليه السلاح، فما كان من ابن عمي «**موفق**» ابن التسع سنوات إلا أن ألقى بنفسه على والده، ولكن القتلة اليهود لم يكترثوا لهذا المشهد، ولم يترددوا في إطلاق رصاص بنادقهم؛ فقتلوا الوالد وأصابوا الطفل بجراح متوسطة في ساعده، وبعد أن اقترفوا جريمتهم تلك انتقلوا إلى البيت المجاور بيت آل «**السعدوني**»؛ حيث كان أربعة إخوة، فأمروهم بالوقوف ووجوههم إلى الجدار، ثم أطلقوا عليهم الرصاص فحصدوا أرواح ثلاثة منهم، وقفز الرابع فوق الجدار فأصابوه في قدمه، ولكنه تمكن من الفرار ليبقى شاهدًا على المجزرة حتى يومنا هذا، وهو السيد «**خميس السعدوني**».

لقد قتل الصهاينة في مذبحة (خان يونس) بدم بارد ٥٢٥ فلسطينيًا، جميعهم من المدنيين الأبرياء، ولقد تعفنت جثثهم في شوارع المخيم، وكان الأمر لا يطاق. فحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

الفقر الذي عاشه الفلسطينيون إحدى جرائم الاحتلال.

لقد كنا في وطننا نعيش حياة كريمة ميسورة؛ بيت جميل في (يبنا) لا زال قائمًا حتى يومنا هذا وقد ولدت فيه، وبستانًا واسعًا يحيط بالبيت من كل جانب، ولكن الصهاينة الذين اغتصبوا الوطن وشردوا أهله وضعونا بين فكي الفقر يطحننا طحنًا، مما اضطر أخي الذي يكبرني مباشرة إلى أن يترك دراسته ليتعلم حرفة يستطيع من خلالها الإنفاق علينا، وكان الوالد قد توفي عام ١٩٦٢م؛ ليصبح أخي رب الأسرة، ولكن دخله من هذه الحرفة وهي «**الحلاقة**» كان زهيدًا جدًا، فأخذ يرنو إلى الذهاب إلى السعودية وهو ابن العشرين من العمر عله يجد عملًا ينقذنا به من براثن الفقر، وفي عام ١٩٦٤م عقد العزم على السفر، وفي هذا العام كنت أشق طريقي إلى الثانوية

العامة؛ فخرجنا لوداعه بعد صلاة الفجر مباشرة نسير على أقدامنا متجهين إلى محطة القطار، وبينما نحن نسير إذا بالوالدة ـ رحمها اللّه ـ تقول لي: يا بني أعط حذاءك لأخيك؛ حتى لا يذهب إلى السعودية حافي القدمين، وأما أنت فسيرزقنا الله، ونتمكن من شراء حذاء لك قبل بداية العام الدراسي ـ الذي كان فعلًا على الأبواب ـ، وقد فعلت وأعطيت أخي الحذاء الذي كنت قد اشتريته من الأحذية المستخدمة بملاليم قلائل، وعدت إلى البيت حافيًا.

الاحتلال والضريبة المضافة:

لقد دمر الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة البنية التحتية للشعب الفلسطيني، وانصب اهتمام العدو على نهب ثروات هذا الشعب واستنزاف اقتصاده بالرغم من الضعف الشديد في البنية الاقتصادية للشعب الفلسطيني، ففضلًا عن أن مرتبات الموظفين الفلسطينيين في مختلف الوظائف لا تصل إلى ثلث مرتبات نظرائهم من اليهود مع أن الظروف المعيشية واحدة، إلا أن العدو الصهيوني كان يفرض ضرائب باهظة على الفلسطينيين، من بينها ضريبة الدخل، وكذلك الضريبة المضافة التي تصل إلى ١٨٪ من مجمل الدخل، ولقد لاحق العدو الصهيوني العديد من الأطباء عام ١٩٨١م بهدف استنزافهم ضريبيًا، مما اضطررنا معه كقيادة منتخبة للجمعية الطبية العربية الفلسطينية والتي كانت بمثابة «**نقابة الأطباء**» إلى إعلان الإضراب العام عن العمل؛ فلا نستقبل إلا حالات الطوارئ، ولقد خضنا إضرابنا الطبي ضد الضريبة المضافة، ثم اتسع الإضراب ليشمل نقابة المحامين، وجمعية المهندسين، وبلدية (غزة)، وبلدية (خان يونس)، وباقي الجمعيات والبلديات، وتحول الأمر إلى انتفاضة شعبية استمرت لمدة ثلاثة أسابيع، وقد سقط فيها شهيدٌ واحد وعددٌ من الجرحى، ثم تحركت الضفة الغربية بإرسال الوفود وإصدار بيانات الدعم والتأييد، وكادت أن تتسع رقعة الإضراب لتشمل الضفة أيضًا، ولكننا بعد ثلاثة أسابيع اضطررنا لوقف الإضراب بقرار ذاتي دون إلغاء الضريبة المضافة، وذلك رأفة بالوضع الصحي للشعب الفلسطيني، ولقد واصل الأطباء تحديهم من خلال قيامنا بجمع توقيعاتهم على مذكرة يرفضون فيها دفع الضريبة المضافة، وأثناء الإضراب اتخذ العدو الصهيوني قرارًا بفرض الإقامة الجبرية عليَّ، مما حال بيني وبين ذهابي إلى مقر الجمعية الطبية في مدينة (غزة) لعدة أيام، وذلك لأنني كنت مقيمًا في مدينة (خان يونس).

وبعد فترة زمنية تصل إلى العام تقريبًا بدأت ملاحقتي من قبل الصهاينة الذين يعملون في الضريبة المضافة، حيث استدعيت إلى مقر الضريبة وطلب مني دفع المستحقات فرفضت ذلك؛ فقاموا بعدها بمداهمة عيادتي الخاصة واستولوا على جميع محتوياتها، وأخذوا يساومونني على دفع الضريبة أو أنهم سيقومون ببيع العيادة في المزاد العلني، وكانت محتويات العيادة أغلى ثمنًا من الضريبة المطلوبة، ولكني رفضت لمبدأ القضية، فرفض الضريبة في واقع المر يعتبر رفضًا للاحتلال، ولو تمرد الشعب الفلسطيني عن دفع الضريبة وطور الأمر إلى عصيان مدني؛ لضاق الاحتلال بذلك ذرعًا، ولقد حاول الصهاينة بعد ذلك الذهاب إلى بيتي لأخذ ما يمكن أخذه من ثلاجة وغسالة وتلفاز، ولقد حضروا إلي وقت دوامي في عيادتي الخاصة، حيث استمر عملي بها دون إعادة إعدادها بأجهزة وأثاث ذي قيمة، وطلبوا مني الذهاب إلى البيت فرفضت؛ لأنهم لم يكونوا على علم بعنوان البيت كرجال ضريبة، وقلت لهم متذرعًا: «**لن أسمح بالذهاب إلى البيت حتى تحضروا إذنًا من الشرطة بتفتيش البيت**»، ولكنهم والحمد لله رفضوا، وكان هدفي إخلاء البيت من أجهزة منزلية يمكنهم أخذها، واقتادني الجند إلى سيارة خاصة بالضريبة بينما هم ساروا خلفها بسيارتهم العسكرية، وأخذوا يسألون عن بيتي في الأحياء الراقية في مدينة (خان يونس)، ولم يخطر ببالهم أنني أسكن في بيت متواضع في المخيم، وكانوا يطرقون أبواب البيوت ويسألون الناس عن بيتي فيقول لهم الناس: «**لا نعرف أين يقع بيت الدكتور**»، وبينما هم يبحثون في الشوارع استوقفوا شابًا كان يسير على قدميه في السابعة عشرة من عمره تقريبًا، وهذا الشاب كان جارًا لي فسألوه أين منزل الدكتور الرنتيسي؟ فنظر الشاب فرآني معهم؛ فقال لهم: «**لا أعرف المنزل**»، فحاولوا إرهابه؛ إلا أنه أبى أن يدلهم على المنزل، وبعد ساعتين من البحث عن البيت تبادلنا خلالها الشتائم ذهبوا بي إلى الشرطة، وهناك احتجوا لدى مدير الشرطة متهمين إياي بأنني أعطل عملهم، فقلت لمدير الشرطة: هذا قول غير صحيح؛ لأنني طلبت منهم أن يحضروا إذنًا من الشرطة فرفضوا، وسأل مدير الشرطة مسئول الضريبة: هل طلب منك ذلك؟ فقال له: نعم، فلامه على عدم استجابته، وبينما نحن كذلك إذ همس في أذني شرطي فلسطيني من (خان يونس) قائلًا: «**إن البيت قد تم تنظيفه**»، وهنا قلت لمدير الشرطة: إذا أذنت لهم فلا مانع لدي من الذهاب إلى البيت، وفعلًا ذهبنا إلى البيت وعادوا بخفي حنين، ثم بيعت العيادة في المزاد العلني، وقدر اللَّه ـ سبحانه ـ أن يشتري محتويات العيادة رجل فاضل وهو ابن الداعية والمحسن

الكبير الحاج «**صادق المزيني**»، فلما علم أنها لي اتصل بي، ورد محتويات العيادة إلي، وأقسم أيمانًا مغلظة ألا يأخذ المبلغ الذي دفعه للمزاد، وفعلًا لم يأخذ شيئًا رغم إلحاحي الشديد، فجزاه اللَّه من كريم خيرًا.

ثم فوجئت باستدعائي للمحكمة العسكرية، وذلك بتهمة استنكافي عن دفع الضريبة المضافة، ولقد أكدت أمام القاضي العسكري رفضي دفع الضريبة المضافة لقوات الاحتلال، وطعنت في شرعية المحكمة، وبعد ثلاث جلسات حكم القاضي عليّ بدفع الضريبة بالإضافة إلى عقوبة تمثلت بدفع غرامة مالية خلال شهرين أو الاعتقال لمدة ستة أشهر بدلًا من الغرامة، وانقضت المدة الزمنية ولم أدفع الغرامة، وعندها قاموا باستدعائي إلى مركز الشرطة ومساومتي على أن أدفع مبلغًا رمزيًّا لكي لا أعتقل، وكانوا يخشون أن يحرض اعتقالي على التمرد على دفع الضريبة، فكان همهم كسر إرادتي ولو بتقليص المبلغ إلى شيء رمزي، ولكني رفضت مما اضطرهم إلى اعتقالي بعد إعطائي مهلتين إضافتين للتفكير ولكن لم يتغير رأيي، ودخلت المعتقل وتعرفت هناك على شباب مسلم مجاهد قد شكلوا نواة لحركة إسلامية في معتقلات العدو، فالتقيت في غرفة رقم (٦) قسم (ب) بالمجاهد (جبر عمار) والمجاهد (محمد نصار) وغيرهم من الإخوة الأفاضل، وبعد دخولي المعتقل حاولوا مرارًا أن يثنوني عن موقفي لكي أغادر إلى البيت، ولكني رفضت، وقد سمحوا لوفود من الجمعية الطبية بزيارتي بهدف إقناعي بدفع المبلغ إلا أني أبيت ذلك، وفوجئت في اليوم التاسع بالإفراج عني، وعندما خرجت اكتشفت أن الجمعية الطبية قامت بدفع الغرامات المالية دون إذن مني.

الاحتلال وكلية التمريض:

لقد عمل الصهاينة على إفساد مهنة التمريض في قطاع غزة، وكان ضابط ركن الصحة يحرص على تعيين مدراء أقسام التمريض ممن اشتهروا بأخلاقهم الهابطة إلا ما رحم الله، ولقد فكرنا في إنشاء كلية التمريض في الجامعة الإسلامية، وكنت والدكتور «**محمود الزهار**» من وراء هذه الفكرة، ولكن الأمر لم يرق لليهود الذين لا يريدون أن ينهض التمريض نهضة أخلاقية قيمية، فبدأت المعركة التي استمرت خمسة وأربعين يومًا، بدأت باستدعائنا من قبل مكتب الحاكم العسكري الصهيوني كل في مدينته، فبينما كنت أقيم في (خان يونس) كان الدكتور

(الزهار) يقيم في مدينة «غزة» ليطلبوا منا عدم فتح هذه الكلية، وعندما قوبل هذا الطلب بالرفض القاطع، أرسل العدو الصهيوني قوة عسكرية لتحاصر عيادتي الخاصة في (خان يونس) وكذلك عيادة الدكتور (الزهار) في (غزة)، ويستمر الحصار طوال ساعات العمل، وأثناء الحصار كانوا يرهبون المرضى ويطالبونهم بإظهار البطاقات الشخصية، ومن لم يكن حاملًا بطاقته الشخصية كالنساء مثلًا؛ يردونه ويمنعونه من دخول العيادة، وبما أنني طبيب أطفال فمعظم الحضور كانوا من النساء بأطفالهن، فكانوا يردونهن وأطفالهن رغم أن عددًا كبيرًا منهن كان يأتي من مدن أخرى كمدينة (رفح) مثلًا، أو من قرى بعيدة نسبيًّا عن (خان يونس)، وعند نهاية العمل اليومي في العيادة كنت أركب سيارتي عائدًا إلى المنزل؛ فتقوم القوة العسكرية المحمولة بسيارة عسكرية ناقلة للجنود بمتابعتي حتى أصل البيت، ورغم أنني كنت أشعر بضيق لا يعلمه إلا الله؛ إلا أنني والدكتور (الزهار) لم نستسلم، وبعد حوالي الشهر من هذه المضايقات اليومية استدعيت من قبل الحاكم العسكري الذي قال لي بأن هذه المضايقات لن تتوقف إلى أن تغلق كلية التمريض، فقلت له بأنني لا أريدها أن تتوقف، فيكفيني أن الناس وهم يرون ما تفعلون بي يرفعون أكفهم قائلين: اللهم انصر الدكتور عليهم، وبعد قولي هذا توقفوا لمدة ثلاثة أيام شعرت خلالها أن كابوسًا قد أزيح عن صدري، ولكنهم عادوا ثانية إلى ما كانوا يقومون به من مضايقات؛ فكانت عودتهم أشد همًّا وكربًا إلا أننا صبرنا حتى فشلوا في حملتهم وانتهت دون أن يحققوا هدفهم، ولا زالت كلية التمريض قائمة حتى يومنا هذا، والحمد في ذلك لله وحده.

ومن عجائب القدر أن ضابطًا يهوديًّا كان يعمل في شرطة (خان يونس) قد مرضت ابنته، وعالجها داخل الكيان الصهيوني ولكن لم يُكتب لها الشفاء، فنصحه ضباط الشرطة الفلسطينيون الذين يعملون معه أن يذهب بها لعيادتي الخاصة قائلين له: ليس لهذا الأمر إلا الدكتور «**الرنتيسي**»، وعندما وصلتُ إلى مدخل عيادتي في ذلك اليوم رأيت ضابطًا صهيونيًّا شرطيًّا يقف على قارعة الرصيف المقابل للعيادة، فقلت في نفسي: ربما تريد الشرطة الصهيونية أن تنضم إلى عملية الحصار التي يقوم بها الجنود، خاصة أنه كان يقف وحده أي لم تكن معه طفلته، ولكن بعد قليل دخل العيادة موظف مسئول في دائرة إصدار البطاقات الشخصية في الداخلية وهو فلسطيني من عائلة كبيرة في (خان يونس)، وأخبرني أن في الخارج ضابط شرطة صهيوني

ابنته مريضة، ولقد عالجها لدى أطباء صهاينة ولكن عبثًا، فقلت له: ألم تر كيف يحاصر الجنود العيادة ويحرمون أطفال المسلمين من العلاج؟ فكيف أعالج أطفالهم في الوقت الذي يحرمون فيه أطفالنا من العلاج؟! ورفضت بشدة، وألح علي إلا أنني أبيت، فخرج ولكن لم يكن راضيًا، وبعد حوالي نصف الساعة جاءني ضابط فلسطيني يعمل في الشرطة وهو رجل دمث الخلق ومواظب على الصلاة في المسجد الذي أصلي فيه، وطلب مني أن أعالج الطفلة فرفضت؛ فألح علي فأبيت، فأقسم ألا يخرج من العيادة حتى أعالجها، فلم أستطع المقاومة، وقلت له: اذهب فأحضرها ولا تحضر والدها معها، وقدر اللَّه أن يكتب لها الشفاء في أقل من ٢٤ ساعة والحمد لله. وبعد خمسة وأربعين يومًا توقف الجند عن الحصار فجأة، وانتصرت الإرادة، وانكشفت الغمة وبقيت كلية التمريض والحمد في ذلك لله وحده.

الاعتقال الأول:

كنت أحد قياديي حركة الإخوان المسلمين السبعة في (قطاع غزة) عندما حدثت «**حادثة المقطورة**»، تلك الحادثة التي صدمت فيها مقطورة صهيونية سيارة لعمال فلسطينيين فقتلت وأصابت جميع من في السيارة، واعتبرت هذه الحادثة بأنها عمل متعمد بهدف القتل مما أثار الشارع الفلسطيني، خاصة أن الحادثة جاءت بعد سلسلة من الاستفزازات الصهيونية التي استهدفت كرامة الشباب الفلسطيني، خاصة طلاب الجامعات الذين كانوا ـ دائمًا ـ في حال من الاستنفار والمواجهة شبه اليومية مع قوات الاحتلال، وقد خرجت على إثر حادثة السير المتعمدة هذه مسيرة عفوية غاضبة في (جباليا) أدت إلى سقوط شهيد وعدد من الجرحى، فاجتمعنا نحن قادة (الإخوان المسلمين) في قطاع غزة على إثر ذلك، وتدارسنا الأمر واتخذنا قرارًا هامًّا يقضي بإشعال انتفاضة في قطاع غزة ضد الاحتلال الصهيوني، وتم اتخاذ ذلك القرار التاريخي في ليلة التاسع من ديسمبر ١٩٨٧م، وقررنا الإعلان عن «**حركة المقاومة الإسلامية**» كعنوان للعمل الانتفاضي الذي يمثل الحركة الإسلامية في فلسطين، وصدر البيان الأول موقعًا بـ«**ح. م. س**» هذا البيان التاريخي الذي أعلن بداية انتفاضة سيكتب لها أن تغير وجه التاريخ بإذن الله، وبدأنا الانتفاضة انطلاقًا من المساجد، واستجاب الناس، وبدأ الشعب الفلسطيني مرحلة من أفضل مراحل جهاده، ولقد كنت مقيمًا في مخيم «**خان يونس**» في ذلك الوقت.

وفجأة بعد منتصف ليلة الجمعة الخامس عشر من يناير ١٩٨٨م - أي بعد ٣٧ يومًا من اندلاع الانتفاضة - إذا بقوات كبيرة جدًّا من جنود الاحتلال تحاصر البيت، بعض الجنود تسوروا جدران فناء البيت، بينما عدد آخر منهم أخذوا يحطمون الباب الخارجي بعنف شديد، محدثين أصواتًا فزع بسببها أطفالي الصغار، وقد كانوا في غرفة مجاورة لغرفتي، فنهضت على الفور من الفراش، وخرجت من غرفة النوم لأتترس ببابها كي أمنع الجند من الدخول إلى الغرفة، ولما حاول ثلاثة من الجنود اقتحام الغرفة عنوة وحاولوا الاعتداء علي لإبعادي عن بابها دخلت معهم في اشتباك بالأيدي جرح على أثره أحد الجنود، وهنا ارتفع صوت الضابط وهو يأمرهم بالابتعاد عن الغرفة والإقلاع عن الاشتباك، ثم طلب مني ارتداء ملابسي ففعلت، وخرجت معهم، فعصبوا عيني وكبلوا يدي من الخلف بعنف شديد تورمت على أثره يداي، وفقدت الإحساس في أجزاء من يدي لمدة زمنية طويلة، وكان ضابط الأمن الصهيوني الملقب بـ(أبي رامي) - وهو اسم أمني حركي - يعاني من جنون العظمة، فبعد اعتقالي تناقل الناس فيما بينهم أنني ضربت أبا رامي ضربًا مبرحًا؛ فكان يتحرك في الشارع برفقة جنوده المدججين بالسلاح ويقول للناس: انظروا إليَّ؛ فأين آثار الضرب وأنتم تزعمون بأن الدكتور قد ضربني؟.

والواقع أنه كان بعيدًا عندما اشتبكت مع الجنود، ولم يشارك في العراك؟!.

كرامات في المعتقل:

كنا في المعتقل الصحراوي في النقب وذلك عام ١٩٨٨م، وكنا في فصل الصيف حيث الحرارة الشديدة، وفي آخر ليلة من رمضان استيقظنا لتناول السحور فإذا بالحرارة لا تطاق، وشعرنا بأننا أمام يوم صعب، وانتظمنا في صلاة الفجر، وصلى بنا إمامًا طالبٌ من طلاب الجامعة الإسلامية، وقد حباه اللَّه - سبحانه - صوتًا نديًّا في تلاوة القرآن، وبعد القيام من ركوع الركعة الثانية رفع إمامنا أكف الضراعة باكيًا يدعو اللَّه ونحن نؤمِّن من خلفه، وألهمه اللَّه فقال في دعائه: «**اللهم سق إلينا الغمام، واسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين**»، وألح في الدعاء وكان الواحد منا يقول في نفسه: «**ومن أين سيأتي الغمام في يوم من أيام الصيف كهذا اليوم، وفي مكان صحراوي كصحراء النقب؟!**»، وتنفس الصباح، واشتعلت الأرض، إن دخلنا الخيام فكأنما حمامات شمسية، وإن خرجنا من الخيام شعرنا كأن جهنم تحيط بنا من كل جانب، وما هي إلا

لحظات بعد ارتفاع الشمس قليلًا؛ فإذا بغيمة تتهادى من بعيد لتستقر فوق المعتقل مظللة جزءًا من خيام المعتقلين فلم نصدق عيوننا، ثم تبعتها أخرى، ثم جاء الغيم تباعًا حتى ظل المعتقل كاملًا ومساحة حوله، فكنا نشاهد على الأرض حدود ظلال الغيوم من حولنا وبعدها تبدو أمام ناظرينا شمس تلفح سطح الأرض، ثم تساقط المطر، وتساقطت معه دموع المعتقلين الذين اعتبروا ذلك آية ورحمة من اللَّه سبحانه!، وخرجنا على الفور من الخيام، وأخذت أدعو اللَّه ويؤمِّن المعتقلون من خلفي، ثم تناوب الإخوة الدعاء والحمد والتسبيح، تغمرنا فرحة استجابة اللَّه لدعائنا في صلاة الفجر.

ثلاثة أشهر في زنزانة انفرادي

العقلية السادية الصهيونية أو جنون العظمة:

في عام ١٩٩١م كنت في معتقل النقب أقضي حكمًا إداريًّا لمدة عام، وكان المعتقلون منذ افتتاح هذا المعتقل عام ١٩٨٨م حتى الوقت محرومين من زيارات ذويهم، ومع إلحاح المعتقلين واحتجاجاتهم المتكررة بدت هناك استعدادات لدى إدارة المعتقل بالسماح للأهل بالزيارة، وقام مدير عام المعتقل وهو صاحب رتبة عسكرية رفيعة ويدعى «**شلتئيل**» بطلب عقد لقاء مع ممثلي المعتقلين، ولقد اجتمع ممثلون عن مختلف الفصائل في خيمة من خيام المعتقل في أحد أقسامه لتدارس الأمر قبل انعقاد اللقاء مع الإدارة، وأحب المعتقلون أن أرافقهم وقد فعلت، وأثناء لقائنا في الخيمة سمعت بعض الشباب يحذر من (شلتئيل) ويضخم من شأنه ويخشى من غضبه، فشعرت أن له هيبة في نفوس بعض الشباب، وهذا لم يرق لي، ولكني لم أعقب بشيء، ثم جاءت حافلة في يوم اللقاء لتقلنا إلى ديوان (شلتئيل)، وأخذت وأنا في الحافلة أفكر في استعلاء هذا الرجل وهيبته في نفوس الشباب وكيفية انتزاع هذه الهيبة من نفوسهم، ولقد وطنت نفسي على فعل شيء ما ولكني لا أعلمه، ولكن كان لدي استعداد تام أن أتصدى له إذا تصرف بطريقة لا تليق، ووصلت الحافلة، ودخلنا ديوانه، فكان عن يميننا داخل القاعة منصة مرتفعة حوالي ٣٠ سنتيمتر عن باقي الغرفة، وعليها عدد من الكراسي، وعن شمالنا كانت هناك عدة صفوف من الكراسي معدة لنا، فجاء رؤساء الأقسام المختلفة وجميعهم من الحاصلين على رتب عسكرية في الجيشِ،

ومن بينهم مسئول أحد الأقسام قد كان في الماضي نائب الحاكم العسكري لمدينة (خان يونس) وكان يعرفني مسبقًا، وكان نائب «**شلتئيل**» أيضًا يجلس على المنصة مع رؤساء الأقسام، وجلس المعتقلون الممثلون لكافة الفصائل على الكراسي المعدة لهم وجهًا لوجه مع رؤساء الأقسام، تفصلنا عنهم مسافة لا تزيد على مترين، ولقد جلست في الصف الأول في الكرسي الأول الأقرب إلى باب الديوان، ثم بعد وقت قليل دخل «**شلتئيل**» وكان رجلًا طويل القامة ضخم الجثة؛ فالتفت بطريقة عسكرية إلى المنصة وأشار بيده يدعوهم إلى القيام له فقاموا، ثم التفت إلينا بطريقة عسكرية وأشار بيده فوقف الشباب وبقيت جالسًا، وكان هذا اللقاء هو اللقاء الأول بيني وبينه فلا يعرفني، فاقترب مني، وقال: لماذا لا تقف؟، فقلت له: أنا لا أقف إلا لله، وأنت لست إلهًا، ولكنك مجرد إنسان، وأنا لا أقف للبشر، فقال: يجب عليك أن تقف، فأقسمت بالله يمينًا مغلظًا ألا أقف، فأصبح في حالة من الحرج الشديد ولم يدر ما يفعل، حاول التدخل أحد قادة (فتح) في المعتقل وهو العقيد «**سامي أبو سمهدانة**» ليخبره أنني إذا قررت لا أتراجع؛ فرفض الاستماع إليه وأصر على موقفه، ولكني أبيت بشدة، فقال نائبه: يا دكتور هنا يوجد بروتوكول يجب أن يُحترم، فقلت له: ديني أولى بالاحترام، ولا يجيز لي الإسلام أن أقف تعظيمًا لمخلوق، فقال: وما الحل؟ قلت: إما أن أبقى جالسًا أو أعود إلى خيمتي، فقال «**شلتئيل**»: عد إذًا إلى خيمتك؛ فخرجت من الديوان ولم يخرج معي إلا الأخ المهندس «**إبراهيم رضوان**» والأخ «**عبدالعزيز الخالدي**»، وكلاهما من «**حماس**»، وبعد أيام قلائل كان قد مضى على اعتقالي تسعة أشهر ولم يتبق إلا ثلاثة أشهر فقط للإفراج عني، فإذا بهم يستدعونني ويطلبون مني أن أجمع متاعي، وهذا يعني في مفهوم المعتقلات ترحيل ولكن لا ندري إلى أين، وكانت تنتظرني حافلة، فما أن ارتقيتها حتى وجدت كلا الأخوين فيها وقد أحضروا من أقسامهم؛ فأدركت أنها عقوبة ولا يوجد عقوبات سوى الزنازين، وانطلقت بنا الحافلة إلى معتقل «**سبعة**» حيث توجد خمسون زنزانة، وما إن وصلنا حتى تسلمنا مسئول الزنازين ويدعى «**نير**» الذي أخبرنا وهو ممتعض بأننا معاقبون بوضعنا في زنازين انفرادية لمدة ثلاثة أشهر، وتبين لنا فيما بعد أن سبب امتعاضه اعتباره أن العقوبة كانت لأسباب شخصية، أي أنه لم يرق له أن ينتقم «**شلتئيل**» لنفسه بهذه الطريقة، خاصة أن أقصى عقوبة من العقوبات اليومية الروتينية لا تصل إلى سبعة أيام، ولذلك لم يكن سيئًا في استقبالنا كما يفعل مع الشباب، وربما أن السن والدرجة العلمية لعبت دورًا في التأثير عليه،

وأخذنا إلى الزنازين المخصصة لنا، كل في زنزانته وحيدًا، وكنا نخرج يوميًا لمدة ساعة ما عدا يوم السبت في ساحة محاطة بالأسلاك الشائكة حيث الدورة والحمامات؛ لأن الزنازين لم تكن بها دورة مياه ولا حمام، وبدأنا رحلتنا مع القرآن، أما أنا فأراجعه بعد أن مَنَّ اللَّه علي بإكمال حفظه من قبل عام ١٩٩٠م حيث كنت والشيخ (أحمد ياسين» في زنزانة واحدة في معتقل «**كفاريونة**»، وأما المهندس فبدأ بحفظ القرآن في الزنزانة، وكان رجلًا ذكيًا جدًّا ويجيد العبرية بطلاقة، وقد تمكن من حفظ القرآن قبل انقضاء الثلاثة أشهر، والحمد لله رب العالمين.

❑ من الطرائف التي حدثت في رحلتنا مع الزنزانة:

● عندما يستجاب الدعاء:

لقد أحاط الصهاينة المعتقل بخيامه وزنازينه بمكبرات صوت وضعت على أعمدة، من فوائدها سماع نشرة الأخبار، وإن كان ذلك من مذياع العدو الصهيوني الذي ينقل بعض الصورة أو ينقل الصورة مشوهة، إلا أننا كنا نتعرف على بعض ما يجري خارج أسوار المعتقل في الضفة الغربية وقطاع غزة، خاصة أننا حرمنا من زيارة الأهل، وأما من شرور مكبرات الصوت أنها معظم الوقت تنقل إلى مسامعنا أغاني صارخة، مصحوبة بموسيقى صاخبة، مما كان يؤذي مسامعنا إذا قمنا إلى الصلاة أو أخذنا في مراجعة القرآن، خاصة أن الصوت كان يعبر من نوافذ الزنازين إلى داخلها فيحدث ضجيجًا هائلًا لا نستطيع معه النوم ولا التلاوة، فما كان منا إلا أن فزعنا إلى الدعاء كي يخلصنا اللَّه من هذه المكبرات، وما هي إلا أيام قائل وبينما كنت واقفًا مع المهندس «**إبراهيم**» في الساحة خارج الزنزانة أثناء الساعة المقررة لنا، وكنا نصغي إلى نشرة الأخبار، فإذا بمدير هذا القسم من المعتقل يشاهدنا، فسأل «**نير**» ونحن نسمعه ماذا يفعل الدكتور والمهندس، قال له «**نير**»: يستمعون إلى نشرة الأخبار، فغاظه ذلك وقال له: اقطع أسلاك مكبرات الصوت المقابلة للزنازين ظنًّا منه أننا سنأسف لذلك وأنه سيؤلمنا، ففعل (نير»، واستجاب اللَّه دعاءنا، وأراحنا من الضجيج، مع العلم أننا كنا نتمكن من سماع الأخبار عن بعد من خلال مكبرات الصوت في الأقسام المجاورة.

وذات يوم سمعنا صراخًا ينطلق من إحدى الزنازين، فنظرت من نافذة الزنزانة، لعلي أرى مصدر الصوت فإذا بأحد الحراس واسمه «**عمير**» يخرج من إحدى الزنازين ويقوم بتمثيل أمام

«نير» كيفية ضرب الشاب في الزنزانة، لقد كان مزهوًّا وهو يمثل الدور مما أثار مدامعنا، لقد كان الشاب يصرخ ويستغيث، ولا نستطيع أن نفعل له شيئًا، ثم قدر لنا أن نرى هذا المشهد الذي قام به «عمير» وهو لا يعلم أننا نراه، فانصرفت لأصلي ركعتين ودعوت اللَّه أن ينتقم من «عمير»، وفوجئت بعد ذلك مباشرة أن «عمير» قد تغيب لعدة أسابيع، وظننا أنه قد تم نقله، ولكنه جاء بعد ذلك وفي مشيته عرج، فسألته هل بساقك ألم؟ فقال: لا ولكن هناك شيء برأسي، وهذا يعني ورمًا خبيثًا في المخ، فحمدت اللَّه على استجابته للدعاء، ولا غرابة في ذلك والرسول ﷺ يقول ـ: **«اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»**.

❑ ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾

لقد مضت الثلاثة أشهر، وجاءت الليلة الأخيرة في المعتقل، وفي بعض الزنازين الغير ملاصقة لزنازيننا كان عدد من العملاء الذين فروا من المعتقل وسلموا أنفسهم لإدارة المعتقل بعد أن انكشف حالهم للمعتقلين، وفوجئت في آخر ليلة بمجيء «نير» إلى زنزانتي ليقول: يا دكتور سيتم غدًا الإفراج عنك، ثم قال: لقد طلب مني «المفوكسين» ـ وهو مصطلح كان يطلقه المعتقلون على العملاء ـ أن يسلموا عليك؛ فماذا تقول؟ ففكرت قليلًا وجال بخاطري أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وقلت: لعل موافقتي بالسلام عليهم توقظ ضمائرهم؛ فيحدثوا توبة، فقلت له: موافق، فتغير وجهه وقال: يا دكتور هؤلاء «زبل» كيف تسلم عليهم؟، فقلت بعفوية: لعل اللَّه يهديهم، فقال: تفضل، وفتح باب الزنزانة حيث كان يتحدث إليَّ من كوة في الباب، وخرجت لنسير حوالي أربعين مترًا ـ المسافة بين زنزانتي وزنزانتهم ـ، وفجأة توقف «نير» في منتصف الطريق وقال: يا دكتور هؤلاء «مفوكسين»، هؤلاء «زبل» كيف تسلم عليهم؟ ولكني عزمت فمضى حتى إذا وصلنا إلى زنزانتهم فتح كوة صغيرة في أعلى الباب، وطلب منهم أن يمدوا أيديهم للتسليم عليَّ ففعلوا، ثم طلبوا منه أن يدخلني عندهم وكانوا من النصيرات، وهنا لم يترك كلمة سيئة في القاموس إلا قالها لهم رافضًا فتح الباب، ثم عدت إلى زنزانتي لأغادر المعتقل في الصباح بعد أن أمضيت عامًا كاملًا بدون محاكمة في اعتقال يطلق عليه **«اعتقال إداري»**.

❑ **مع الشيخ أحمد ياسين:**

في معتقل غزة المركزي استيقظت ذات يوم، وكان آخر يوم في شهر رمضان على رؤيا؛

فأخذت أقصها على الإخوة في غرفة رقم «**٣**» قسم «**ب**»، وقلت لهم: لقد رأيت أني أركب حافلة متجهة صوب الشمال، وبينما أقص عليهم الرؤيا إذا بصوت الميكروفون ينادي قائلًا: «**عبدالعزيز الرنتيسي عليه أن يلملم أمتعته وينزل إلى ساحة السجن**»؛ ففعلت، وإذا بهم يأخذونني إلى سجن «**الرملة**» حيث يوجد قسم الانتظار والعبور من معتقل إلى آخر، ومدينة الرملة تقع بالنسبة إلى قطاع غزة في اتجاه الشمال، وقسم المعبر هذا كان تحت الأرض، وهو عبارة عن صف طويل من زنازين ضيقة تنتهي إلى غرفة جعلوني فيها، وفي صباح اليوم التالي صباح عيد الفطر وجدت نفسي في الغرفة وحيدًا، فأخذت بالتكبير للعيد ثم صليت العيد منفردًا، وانتابتني مشاعر غريبة جدًّا، فهذه هي المرة الأولى التي أصلي فيها العيد وحدي، وقد كنت أسمع أصوات إخواني في الزنازين وهم يكبرون ولكن لا أراهم، ثم أخرجوهم ليصلوا العيد في الفورة، وبقيت في غرفتي المعزولة عنهم وحيدًا، وبعد يومين تم نقلي إلى سجن «**كفاريونا**» المطل على مفترق «**بيت ليد**» حيث زنزانة الشيخ «**أحمد ياسين**»، ولأن الشيخ لا يستطيع أن يحرك يدًا ولا قدمًا حيث يعاني من شلل رباعي؛ فإنه دائمًا بحاجة إلى اثنين من المرافقين على أقل تقدير، وعندما ارتقيت سيارة نقل السجناء التقيت بالأخ الفاضل المهندس «**نزار عوض الله**»، وقد أحضر من أحد المعتقلات ليكون شريكي في خدمة الشيخ، وفي غرفة الاستقبال في سجن «**كفاريونا**» التقينا بالأخوين الحبيبين: «**يحيى السنوار**»، و«**روحي مشتهى**»، اللذين أنهيا مرافقتهما للشيخ وسينقلان إلى سجن آخر، وبعد إتمام الإجراءات صعدنا إلى زنزانة الشيخ ومعنا شرطي، وصدمت عندما وصلت باب الزنزانة، وذلك لأن الباب كان موصدًا بالمزلاج وفوق ذلك عليه ثلاثة أقفال، فقلت للشرطي: الشيخ لا يستطيع الحركة، فلماذا كل هذه الأقفال؟ فقال: إنها الأوامر، (نعم إنها الأوامر البلهاء حقًّا!)، ودخلنا على الشيخ وكان لقاءً حارًّا جدًّا وممتعًا، وبدأنا رحلتنا مع الشيخ، وقد توليت إطعامه وحمامه وكل شيء من أمور حياته، فهو لا يستطيع أن يساعد نفسه حتى في حك جلده، وقد عكفنا في هذه الفترة بالذات على إتمام حفظ القرآن، وقد وفقنا الله لذلك، والحمد لله.

ومن الطرائف التي حدثت في هذه الفترة أنه بينما كنا ننقل الشيخ ذات يوم إلى الفورة، قابلنا وجهًا لوجه على الدرج أحد السجناء الجنائيين اليهود، وكان يرافقه أحد عناصر الشرطة، فما كان من السجين إلا أن التقط يد الشيخ أحمد ياسين وقبلها، ثم قال لي: فعلت ذلك لإغاظة الشرطي،

والشرطي يسمع، وهؤلاء السجناء رغم أنهم يهود إلا أنهم كانوا يحقدون على إدارة السجن، ولذا كانوا يتعاطفون معنا؛ لأن عدونا وعدوهم واحد، وهو إدارة السجن.

وبعد حضوري إلى هذا المعتقل بيومين، صرخ عليَّ أحد السجناء اليهود، ويدعى «**يعقوف**» قائلًا باللغة الإنجليزية: عليك أن تأخذ حذرك، فلم يحضروك عند الشيخ إلا ليتصنتوا عليكم، فلا تتحدثوا في أمور يمكن أن تؤدي إلى مخاطر، واعلموا أنهم ربما وضعوا لكم أجهزة في الزنزانة أثناء وجودكم في الفورة، فشكرته على ذلك.

ومن الطرائف التي حدثت في هذه الفترة أن شرطيًا يهوديًا رآني أحمل القرآن وأتصفحه، فسألني يا دكتور: ماذا في كتابكم؟ فقلت أمور كثيرة، قال: ماذا يقول أنكم فاعلون بنا؟، قلت له يقول: إننا سنذبحكم بعد أن تتجمعوا في بلادنا، فقال: متى يكون ذلك؟ فقلت له: لا أدري، ربما يكون خلال أربعين سنة، وكنا في عام ١٩٩٠م، فأخذ يحسب ثم همهم قائلًا: «**ليس مهمًا، بالتأكيد سأكون ميتًا**»، فقلت له وماذا تقول التوراة؟ فقال: نفس الشيء فتجمعنا هنا نهايته الذبح، ثم استدرك قائلًا: ولكن عندما نفسد، فقلت: سبحان الله! كأنكم لم تفسدوا بعد؟!.

ومن الطرائف ـ أيضًا ـ أن محامينا كان يزورنا باستمرار، وكان يجلس معنا على انفراد في غرفة معدة لزيارة المحامين، فقال لنا ذات مرة: هل يسمحون لكم بشراء المشروبات الغازية مثل الكوكاكولا؟ فقلت له: لا، فقال: إذًا سأحضر لكم في الزيارة القادمة ثلاث علب من الكوكاكولا، وفعلا في الزيارة التي تلت الوعد أحضر في حقيبته ثلاث علب من الكوكاكولا، ففتح الشنطة، وقال: ها قد أحضرت، فقلت له: دعنا نشربها الآن، فقال: أخشى أن يراكم الشرطي، قلت: إذًا نأخذها معنا إلى الزنزانة، فقال: أخشى أن يتم تفتيشكم، فقلت له: نخفيها في عربة الشيخ فهم لا يفتشونها، فقال: أخشى أن يكتشفوا العلب الفارغة في القمامة، فقلت: دعنا نستأذن من الشرطي، فقال: أخشى أن يضيقوا عليَّ الزيارات القادمة، وفي النهاية تركنا ومعه الكوكاكولا، وكان هذا المحامي من أكثر المحامين خدمة للسجناء، ولا أريد أن أذكر اسمه خشية ألا يروق له تدوين الحادثة في المذكرات.

وبعد أربعة أشهر ونصف ودعت الشيخ، وتم نقلي إلى السجن «**الرملة**» ومنها إلى سجن «**المجدل**» لأقضي هناك آخر أيام الاعتقال، حيث قد كان الحكم سنتان ونصف، وكنت قد أمضيت المدة، ولم يتبق إلا تسعة عشر يومًا قضيتها مع الحبيب الشهيد الدكتور «**إبراهيم المقادمة**»!.

اللَّحَظَاتُ الْأَخِيرَةُ فِي حَيَاةِ أَسَدِ فِلَسْطِينَ كَمَا يَرْوِيهَا نَجْلُهُ مُحَمَّدُ!!

غَزَّةُ ـ تَقْرِيرٌ خَاصٌّ

بعد جولة من العمل المضني طوال النهار والليل لخدمة حركته وقضيته التي عاش من أجلها عاد الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي قائد حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» في قطاع غزة حوالي الساعة الثالثة فجر يوم السبت ١٧ نيسان الجاري إلى منزله؛ لأن أخاه صلاح قادم من خان يونس لرؤيته والسلام عليه.

المنزل الذي يقع في حي الشيخ رضوان بمدينة غزة لم يدخله صاحبه منذ أكثر من أسبوع «يقول نجله محمد (٢٥ عامًا) الذي بدأ متماسكًا قويًّا ويضيف: «أختي إيناس ـ أيضًا ـ كانت تريد رؤيته، وطلبنا منه عدم الخروج يومها وقضاء ساعات معنا، فقد كان يأتي إلى المنزل قرب منتصف الليل ويغادره قبل الفجر، وبعد إلحاحنا وافق وأرسل في طلب أختي الثانية أسماء لرؤيتها».

وقال محمد: إن والده قضى الليل يتحدث مع العائلة المشتاقة إليه ولا تراه إلا قليلًا بسبب ملاحقة جيش الاحتلال لوالده لا سيما بعد فشل محاولة اغتياله في حزيران ٢٠٠٣م واغتيال الشيخ ياسين في شهر آذار الماضي، وأضاف «جلس يتحدث عن زواج أخي أحمد الذي أصيب خلال محاولة الاغتيال، وذلك بعد أن حصل على قيمة مدخراته من الجامعة الإسلامية التي كان يحاضر فيها ووزع قيمة مدخراته حيث سدد ما عليه من ديوان واقتطع مبلغًا من المال لزواج أحمد (٢١ عامًا)، وقال لنا: الآن أقابل ربي نظيفًا لا لي ولا علي!!».

استيقظ الرنتيسي (أسد فلسطين) كما يصفه نشطاء «**حماس**» واغتسل ووضع العطر على نفسه وملابسه، وقال محمد: «أخذ أبي ينشد على غير عادته نشيدا إسلاميًّا مطلعه: (أَنْ تُدْخِلَنِي رَبِي الْجَنَّةْ هَذَا أَقْصَى مَا أَتَمَنَّى»)، وأضاف «التفت إلى والدتي وقال لها: إنها من أكثر الكلمات التي أحبها في حياتي!!».

مرافقه أكرم منسي نصار (٣٥عامًا) ـ لم يتصل بالدكتور الرنتيسي منذ مدة طويلة تصل إلى أسبوعين، وإنما كان ينسق بعض تحركاته وفق شفرة معينة لبعض التنقلات، وزارنا يوم السبت في

المنزل بعد العصر وتحدث مع والدي قليلًا واتفقا على الخروج!!.

فعلًا قبل أذان العشاء بقليل خرج الرنتيسي برفقة نجله أحمد الذي كان يقود السيارة من نوع سوبارو ذات نوافذ معتمة كما هو متفق عليه من منزلهم متنكرًا بلباس معين وأوصله إلى مكان محدد في مدينة غزة متفق عليه سابقًا، وبعد دقائق وصل إلى المكان سيارة سوبارو أخرى يستقلها أكرم نصار ويقودها (أحمد الغرة) الذي يعمل بشكل سري ضمن صفوف كتائب القسام، بهدوء انتقل الرنتيسي من سيارة نجله إلى السيارة الأخرى التي انطلقت به مسرعة إلى هدف لم يحدد لكن صاروخين من طائرات الأباتشي الإسرائيلية كانت أسرع من الجميع.

محمد كان على علم بما هو مخطط لخروج والده، وقال: «عندما سمعت صوت القصف اتصلت سريعًا بأخي أحمد لأطمئن ورد علي وهنا اطمأنيت قليلًا، ولكن يبدو أن أحمد كان يدرك ما حدث وانتظر حتى يتأكد من الأمر حيث عاد إلى المكان وشاهد السيارة المشتعلة تحولت إلى ركام، وأيقن بما جرى».

وأضاف محمد: أسرعت إلى مكان القصف وعندما شاهدت السيارة علمت أن والدي بين الشهداء رغم ما حاوله البعض من التخفيف بالقول إنه جريح.

زوجة الرنتيسي (أم محمد) ربما لا تقل عن زوجها في النشاط الإسلامي استقبلت النبأ بكل قوة وعزيمة، وقال محمد: «والدتي قالت بعد سماع الخبر: الحمد لله، وأخذت بالتسبيح والتهليل، شقيقتي أجهشت في البكاء، لكننا جميعًا متماسكون، هذا قدرنا ونحن راضون بقضاء الله».

وللدكتور الرنتيسي ولدان؛ هما: محمد الذي يدرس حاليًا في كلية التجارة بالجامعة الإسلامية بعد منعه من قبل قوات الاحتلال من السفر لإكمال تعليمه في اليمن بعد مشاكل أثارها حزب البعث الحاكم آنذاك في العراق؛ حيث كان يدرس الطب في جامعة المستنصرية في بغداد لمدة عامين ونصف وتزوج منذ حوالي العام، وشقيقه أحمد أصيب بجراح بالغة خلال محاولة الاغتيال الأولى وبدأ يتماثل للشفاء، واعتبر سببًا رئيسيًا في نجاته في المرة الأولى بعد قدر الله؛ فقد كان سائق السيارة ولم يتوقف رغم إطلاق الصواريخ باتجاهه فيما تمكن والده من القفز منها.

وله - أيضًا - أربعة بنات؛ هن: إيناس، وسمر، وآسيا، وأسماء.

وتعكس اللحظات الأخيرة من حياة الشهيد القائد الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي حرصه على

اتخاذ إجراءات وتدابير أمنية عالمية في تحركاته، ولم يستخدم الاتصالات الهاتفية أو اللاسلكية، لكن ما تتمتع به دولة الاحتلال من تكنولوجيا وعيون ورصد على مدار الساعة يجعل من الصعوبة بمكان الإفلات من المصير.

ويرى محمد أن والده سيترك فراغًا كبيرًا في منزله، فقد كان مرجعًا للكبير والصغير، وقال: إن الصورة التي في أذهان الناس عن والدي هو الثوري، لكنه داخل الأسرة صاحب الحنان الكبير والقلب الرءوف الهادئ، وإذا أصررنا على شيء ربما لا يريده كان ينزل عند رغبتنا ويراضينا، خطابه المتشدد في الإعلام لم يكن في المنزل، وأكثر حنانه ومحبته كانت لأحفاده، فقد كان يحب الأطفال».

لم يترك الرنتيسي قصورًا وشركات وحسابات في البنوك تزعم الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا تجميدها، بل ما تركه قائمة تفصيلية بما له وما عليه من أموال على المستوى الشخصي ومستوى حركة «**حماس**».

ويقول محمد: «علمنا والدي أن نكون رجالًا منذ الصغر، وأذكر أنه عند اعتقاله إبان الإبعاد إلى مرج الزهور في الجنوب اللبناني كان عمري حينها حوالي (١١ عامًا) واقتحم جنود الاحتلال المنزل لاعتقاله.. نظر إليّ وقال: الآن أصبحت رجل البيت وتستطيع أن تعتني بأمك وأخواتك.. المشوار هذه المرة في الاعتقال يبدو طويلًا».

قضى الرنتيسي في الإبعاد عام ١٩٩٢م مدة عام كامل مع ٤١٧ من كوادر حركة «**حماس**» بعد اختطاف مجموعة من كتائب القسام جنديًا صهيونيًا، وبعد عودته من الإبعاد اعتقلته قوات الاحتلال حتى عام ٩٧ حتى أفرج عنه، وخضع للاعتقال عدة مرات من قبل السلطة الفلسطينية نتيجة مواقفه السياسية التي لا تعرف المهادنة.

ويقول محمد: أنا لست قلقًا على حركة «**حماس**» بتاتًا. وقال: «»**حماس**» حركة ربانية، ولن يكون فيها فراغ أو ضعف، وستخرج الكثيرين من القادة أمثال والدي وغيره، ولن تتوقف المسيرة، وكان والدي يتوقع اغتياله في أي لحظة، وأعتقد أنه غادرنا مطمئنًا على «**حماس**»».

زَوْجَةُ الرَّنْتِيسِيِّ وَابْنَتُهُ تَحْكِيَانِ عَنِ الْقَائِدِ الشَّهِيدِ د. عَبْدِالْعَزِيزِ الرَّنْتِيسِيِّ

«**أن تدخلني ربي الجنة.. هذا أقصى ما أتمنى**» كلمات رددها الشهيد الرنتيسي أمام أسرته قبل دقائق من استشهاده!!

غزة ـ خاص

«**كان سعيدًا جدًّا على غير عادته، وطوال جلسته معنا قبل دقائق من اغتياله كان يردد الأنشودة التي تقول: «أن تدخلني ربي الجنة هذا أقصى ما أتمنى»**، وحدثنا عن رغبته بالشوق للشهداء» بهذه الكلمات وصفت السيدة (أم محمد) الرنتيسي اللحظات الأخيرة من حياة الشهيد الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي الذي اغتالته قوات الاحتلال مع اثنين من مرافقيه بثلاثة صواريخ أطلقتها مروحيات الأباتشي باتجاه سيارته قرب شارع الجلاء بغزة.

وأضافت أم محمد: قبل دقائق من اغتياله كان الشهيد الدكتور أبو محمد معنا، وكانت ترتسم على وجهه علامات فرح غريبة، جعلتني أوقن أن القصف الذي حدث بعد خروجه مباشرة نال منه، وأيقنا بعدها أنه استشهد قبل أن يذاع الخبر وتؤكده وسائل الإعلام».

وأضافت (أم محمد) أن زوجها الراحل عبدالعزيز الرنتيسي كان مصدر قوة لحركة «**حماس**»، لكن حين يكتب اللَّه نهاية أجله فإنه لن يضيع حركة «**حماس**»، «وذكرت أنها كانت تتوقع اغتيال زوجها مثلما كان ـ رحمه اللَّه ـ يتوقع ذلك في كل لحظة». وأضافت أن استشهاده لم يفاجئنا لا أنا ولا أبنائه؛ لأنه ـ رحمه اللَّه ـ هيأنا ليوم استشهاده وهو المتيقن لمدى الاعتداءات الإسرائيلية التي طالته دائمًا مضيفة «بأن اعتداءات قوات الاحتلال المستمرة ضد الأرض والشعب كانت تجبر زوجها على التشدد في آرائه»، وقالت زوجة زعيم «**حماس**» الراحل: إن زوجها الشهيد كان ـ دائمًا ـ مع أسرته رغم حذره الشديد من محاولات النيل منه فقد كان يتوقع أن تطاله صواريخ الاحتلال في أي وقت»، مؤكدة أن رحيل زوجها عبدالعزيز وقبله الشيخ أحمد ياسين لن يضعف المقاومة بل سيزيدها قوة وثباتًا.

وتابعت (أم محمد) قائلة: «**الحمد لله الذي منح زوجي ما كان يتمناه**»، وأضافت: هنيئًا لك

يا أبا محمد الشهادة، هنيئًا جوارك مع النبي ﷺ ومع الشيخ أحمد ياسين ومع المجاهدين، وعبرت زوجة الشهيد الرنتيسي عن فخرها واعتزازها بالشرف الذي ناله زوجها، وقالت: إنني أقف اليوم موقف فخر واعتزاز في عرس زوجي؛ حيث يزف إلى ٧٢ حورية من الحور العين، وتمنت من اللَّه أن تلحقه بالوقت القريب.

ورددت زوجة الشهيد الرنتيسي - وقد ارتسمت على وجهها ملامح والتأثر على فراق زوجها - المقولة التي أطلقها النبي ﷺ عند موت ولده إبراهيم، وقالت: «**إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا على فراقك يا أبا محمد لمحزونون**»، وتمنت أن يلهمها الصبر وأولادها وبناتها وكل الشعب الفلسطيني والمسلم، وأن يرزق اللَّه حركة «**حماس**» بقائد مثله أو خير منه، معتبرة أنه كان مصدر قوة لحركة «**حماس**»، ولم تنس زوجة الشهيد الرنتيسي أن توجه حديثها إلى المجرم شارون قائلة: «**افرح قليلًا، ولكن لن تكتمل فرحتك، وستبكي كثيرًا أنت وشعبك حينما ينقض عليك الشعب الفلسطيني بأكمله ليس فقط القساميون، بل واللَّه إن الشعب الفلسطيني بأكمله سيثأر لدماء الياسين والرنتيسي**».

وأكدت أن الخيار الوحيد لهذا الشعب هو المقاومة لنيل حقوقه؛ موضحةً أن دماء الياسين والرنتيسي زرعت في شعبنا آلاف ياسين وآلاف الرنتيسي.

أما ابنة الشهيد «**آسيا**»، وهي متزوجة، ولديها أربعة أبناء، فقد عبرت عن فخرها بالمكانة والدرجة التي حظي بها والدها الشهيد، وقالت: «**هنيئًا لك يا أبي الشهادة، فقد نلت ما تمنيته**».

وأضافت أن استشهاد والدها وخروج المئات من الآلاف من المواطنين في جنازته أكد أن شعبنا مصمم على خيار المقاومة. وأضافت أن شهادته - بإذن اللَّه - ستكون بداية النصر؛ موضحة أن والدها الشهيد ربى جميع أبنائه وبناته على حب الجهاد، وقالت: كان يشفي غليلنا بمواقفه القوية؛ مضيفة أنه كان نعم الأب لا يفرق بين أحد من أبنائه.

وقالت: إن والدها الشهيد زرع في أسرته حب الدين والوطن، ورغم انشغالاته الدائمة لم نشعر بأنه بعد عنا، وكانت حياتنا الأسرية سعيدة. وأضافت: كان دومًا يعبر عن رغبته في الاستشهاد، ويتمنى الشهادة منذ كنا أطفالًا، مضيفة أن فقدانه خسارة للأمة وللشعب الفلسطيني.

وقد أم بيت العزاء - الذي أقيم في منزل الشهيد الرنتيسي - الآلاف من النسوة اللائي قدمن من

كل حدب وصوب من قطاع غزة للمشاركة في تقديم التهاني لزوجة الشهيد باستشهاد قائد حركة «**حماس**» الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، وقد رفعن صوره وصور الشيخ ياسين، فيما اعتمرت عدد منهن الكوفية الخضراء المزينة بشعار التوحيد التي تعود الرنتيسي على وضعها على رأسه.

وفي غمرة انشغالها باستقبال وفود المهنئات كانت زوجة الشهيد تخصص جزءًا من وقتها للحديث مع ممثلي وسائل الإعلام المختلفة، كانت قوية ومتماسكة ومحتسبة عند اللَّه مصيبتها في زوجها رغم علامات التأثر التي بدت على وجهها.

❑ مُدِيرُ تَحْرِيرِ صَحِيفَةٍ عَرَبِيَّةٍ أَدَّى «الْعُمْرَةَ» عَنِ الدُّكْتُورِ الرَّنْتِيسِيِّ قَبْلَ اسْتِشْهَادِهِ:

رام اللَّه ـ خاص

يتضح من رسالة نشرتها صحيفة (الحقائق) الصادرة في لندن في موقعها على الانترنت أن مدير التحرير فيها تلقى رسالة إلكترونية من الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي قبل شهر من اغتياله يشكره فيها على أدائه مناسك العمرة عنه.

وقالت الصحيفة على موقعها **www. Alhaqaeq.net:** إن الدكتور الرنتيسي ـ رحمه اللَّه ـ وعد مدير تحرير صحيفة (الحقائق) الأستاذ عادل أبو هاشم ـ وهو صحفي فلسطيني يقيم في الرياض ـ بأن يشفع له يوم القيامة بإذن اللَّه إذا رزقه اللَّه الشهادة.

وفيما يلي نص الخبر الذي نشرته (الحقائق) على موقعها مرفقًا برسالة الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي ـ رحمه اللَّه وأسكنه فسيح جناته ـ:

الرنتيسي: عهدًا إن رزقت الشهادة بإذن اللَّه أن أشفع لك يوم القيامة:

في السابع عشر من شهر مارس/ آذار ٢٠٠٤م، تلقى الأستاذ/ عادل أبو هاشم، مدير تحرير صحيفة «**الحقائق**» رسالة إلكترونية من الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، عاهد فيها الدكتور الرنتيسي اللَّه أن يشفع للأستاذ أبو هاشم يوم القيامة إن رزق الشهادة، وتحققت أمنية الدكتور الرنتيسي بالشهادة التي طالما تمناها وسعى إليها يرحمه الله، بعد انقضاء ٣٠ يومًا على استلام هذه الرسالة، وفيما يلي نص الرسالة دون حذف أو إضافة:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل الحبيب/ عادل أبو هاشم ـ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته

إني لأحمد اللَّه ـ سبحانه ـ أن تفضل علي بأخ فاضل كريم مثلك، ويشهد اللَّه أن السعادة قد غمرتني وأنا أقرأ رسالتك التي تحمل ما تفضلت به من أداء للعمرة نيابة عني، وإني لأسأل اللَّه أن يتقبل منك العمرتين وأن يجزيك عنا خير الجزاء، وعهدًا إن رزقت الشهادة بإذن اللَّه أن أشفع لك يوم القيامة، فيعلم اللَّه أن لك مكانة خاصة في قلبي رغم أننا لم نلتق، ولكن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولقد أحببناك في الله.

أخي الحبيب.. سأحاول الاتصال بك عندما أتمكن من ذلك، فأنا لا أستخدم الهاتف ولا الجوال؛ حتى لا يُعرف المكان الذي أقيم فيه، ولكن عندما أخرج من المكان إلى مكان عام أتمكن من الاتصال بإذن الله، ولا يوجد لدي إلا تليفون بيت حضرتكم الذي ينتهي بـ٤٤ فإن كان لديك هاتف نقال فأرسل إلي رقمه؛ ليسهل عليَّ الاتصال بك بإذن الله.

أخي الحبيب.. نسأل اللَّه أن يجمعنا بك وقد تحرر الوطن من دنس الصهاينة بإذن اللَّه ـ تَعَالَى ـ..

أخوكم

عبدالعزيز الرنتيسي

مِنْ شِعْرِ الرَّنْتِيسِيِّ

حَدِيثُ النَّفْسِ

النفس:

ماذا دهاك يطيب عيشك بالحَزن؟!

تشري النعيم وتمتطي صهو الصعاب

ماذا عليك إذا غدوت بلا وطن

فانعم ترى ذا العيش في ظل الشباب.

هو:

يا هذه يهديك ربي فارجعي

القدس تصرخ تستغيثك فارجعي

والجنب مني بات يجفو مضجعي

فالموت خير من حياة الخُنَّعِ

ولذا فشدى همتي وتشجّعي

النفس:

ها أنت ترسف بالقيود بلا ثمن

وغدًا تموت وتنتهي تحت التراب

وبنوك واعجبى ستتركهم لمن

والزوج تسلمها فتنهشها الذئاب

هو:

القيد يظهر دعوتي يومًا فعي

وإذا قُتِلْتُ ففي الإله مصرعي

والزوج والأبناء مذ كانوا معي

في حفظ ربي لا تثيري مدمعي
وعلى البلاء تصبري لا تجزعي

النفس:

إني أخاف عليك أن تنفى غدا
ويصير بيتك خاويًا يشكو الخراب
وتهيم بحثًا عن خليل مؤتمن
يبكي لحالك أو يشاطرك العذاب

هو:

إن تصبري يا نفس حقًّا ترفعي
في جنة الرحمن خير المرتع
إن الحياة وإن تطل يأتي النعي
فإلى الزوال مالها لا تطمعي
إلا بنيل شهادة فتشفعي

النفس:

إني أراك نذرت نفسك للمحن
وزهدت في دنيا الثعالب والكلاب
وعشقت رملًا يحتويك بلا كفن
ورجوت ربي أن تكون على صواب

هو:

أنا لن أبيت منكسًا للألمعي
وعلى الزناد يظل دومًا إصبعي
ولئن كرهت البذل نفسي تصفعي
من كل خوار ومختال دعي

إذا بذلت الغالي مجدًا تصنعي..

النفس:

إني أعيذك أن تذل إلى وثن

أو أن يعود السيف في غمد الجراب

فاقض الحياة كما تريد فلا ولن

أرضي حياةً لا تظللها الحراب

إلى العلا بلا حساب

إلى العلا بلا حساب

إلى العلا بلا حساب

زَوْجَةُ الرَّنْتِيسِيِّ مَعَكُم لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ

١٤٢٥/٣/١هـ - ٢٠/٤/٢٠٠٤م

حوار: إبراهيم الزعيم:

- علمنا أن طريق الجهاد هو الطريق الوحيد الموصل لمرضاة اللَّه والسعادة الأبدية في الدارَيْن.
- طلبتُ منه أن يبلغ سلامي إلى الرسول ﷺ.
- الشعب الفلسطيني كله إن لم يكن «**حماس**» فهو يقف خلف «**حماس**» في مواجهتها للعدو.

حزن أصاب الشعب الفلسطيني والعالم أجمع بعد اغتيال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي قائد حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» في قطاع غزة، ولكن بعد أن رأى العالم ذلك الوجه المبتسم، والدماء التي لا زالت تنزف، واشتم من كان حول ذلك الجثمان الطاهر تلك الرائحة الزكية، تمنى كل فرد أن تكون خاتمته كخاتمة الرنتيسي، وقد قام موقع (الإسلام اليوم) بالتواصل بالأخت (أم محمد) زوجة الدكتور الشهيد، وقدمنا لها في البداية التعازي باسم فضيلة الشيخ سلمان بن فهد العودة المشرف العام على المؤسسة وجميع العاملين فيها، وكان لنا معها هذا الحوار..

❑ **كيف تصفين لنا الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي؟**

● إذا أردت أن أصف الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي فأصفه بأنه الإنسان الذي يتمثل الإسلام في شموليته: العبادات، والمعاملات، والأخلاق، والسياسة والجهاد.. هذا هو الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي.

❑ **كيف تصفين لنا الساعات الأخيرة التي قضاها بصحبتكم؟**

● كانت ساعات جميلة، فقد عودنا الدكتور أنه عندما كان يدخل البيت يترك كل الهموم والمشاغل خارجًا، ويتفرغ لأهل بيته؛ فقد كان يتحدث معنا في الأمور الأسرية، حيث إنه لم ينس أن يوفينا حقنا.

❑ **الدكتور انشغل عنكم في الفترة الأخيرة بشكل كبير، هل كنتم تؤيدونه في ذلك؟**

● بلا شك؛ فذلك الطريق الذي سار فيه زوجي لمدة ٣٠ عامًا مجاهدًا في سبيل الله.. علمنا خلال هذه السنوات أن هذا هو الطريق الوحيد الموصل لمرضاة اللَّه والسعادة الأبدية في الدارين الدنيا والآخرة، وهذا الطريق عرفنا أنه ليس مفروشًا بالورود، وذلك من خلال إسلامنا، ومن خلال تضحيات الدكتور؛ لقد ضحى بالغالي والنفيس، ضحى بالمال والنفس وحتى بالراحة، وذلك في سبيل أن يصل إلى مرضاة الله، وغيابه في الفترة الأخيرة بعض من التضحيات في هذا الطريق، وذلك لم يؤثر علينا.

❑ **كيف ربَّى الدكتور أبناءه؟**

● أشهد أنه كان يتمثل أخلاق الإسلام في كل حياته؛ في حله وترحاله، في كلامه وأفعاله...، وبذلك كان يمثل القدوة لهم.

❑ **هل كان يحدثهم عن الجهاد وحب الشهادة في سبيل الله؟**

● حياته بذاتها رسالة ووصية، فلا حاجة لأن يتحدث لنا عن ذلك.

❑ **حينما نظرت إلى زوجك وهو يبتسم بماذا شعرتِ؟**

● إذا أردتني أن أصف شعوري، فعندما رأيته أيقنت أن الذي أمامي هو مجرد جسد فقط، رغم الكرامات التي بدت واضحة: الابتسامة، الدم الذي كان ينزف رغم مضي ساعات على استشهاده، ودفء جسده مع أنه كان في الثلاجة، والرائحة الطيبة.. كل هذه الكرامات، ولكني حينما نظرت إليه شعرت أن هذا جسد، والروح عند بارئها. ولذلك ما كان مني إلا أن بدأت بالتكبير وخاطبته أن عشت طيبًا، ولقيت اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ شهيدًا، وأساله ـ سبحانه ـ أن ينزلك في الفردوس الأعلى.

❑ **بعد اغتيال الدكتور ومن قبله الشيخ ياسين، في رأيك هل نجح الاحتلال في القضاء على المقاومة، أو أن المقاومة من الممكن أن تنتهي؟**

● هل انتهت الدعوة بموت الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ، وبالتأكيد فإن الشيخ ياسين والدكتور الرنتيسي ليسا في منزلة النبي، وأنا أقول؛ بل الواقع يقول: إن «**حماس**» بقيادتها وجنودها تقف صفًّا واحدًا في مواجهة الأعداء، بل وأقول: إن الشعب الفلسطيني كله إن لم يكن «**حماس**» فهو يقف خلف «**حماس**» في مواجهتها للعدو.

وهذه رسالة لشارون: «**إنك قد خسرت، ومهما قتلتَ منا فلن تزيدنا إلا قوة**».

❑ **كيف تقيمين الوقفة الجماهيرية في العالم أجمع استنكارًا لهذه الجريمة؟**

● هذه الوقفة ليست لاغتيال الدكتور، أقول: لقد بدت الصورة واضحة؛ لأن كل الخيارات التي طرحت منذ السنوات الطويلة الماضية تأكد فشلها، أما الأمر الثاني إذا دل على شيء فإنما يدل على مدى وعي الشباب المسلم والمجتمع المسلم واعتقاده بأن الجهاد والمقاومة هي الطريق الصحيح، حيث إنه أصبح يفرق بين الغث والسمين.

❑ **يعتقد البعض أن اغتيال الشيخ والدكتور هو بداية النهاية لدولة الاحتلال؟**

● لا شك في ذلك؛ لأن العدو الصهيوني يتصرف الآن بحماقة. متى يبطش الإنسان؟ عندما يكون في قمة الضعف فإنه يبطش بعمى، وهذا ما يفعله العدو، فهو يقدم على ارتكاب أفعاله دون تخطيط، فلو كان يملك شيئًا من التخطيط لما أقدم على اغتيال الشيخ ياسين، ثم بعد أن رأى النصر الذي ظهرت به حركة «**حماس**» وخيار الشعب الفلسطيني بعد استشهاد الشيخ، أقدم على اغتيال الرنتيسي للقضاء على «**حماس**»؛ فكان هذا التصرف أحمق ودون تخطيط؛ لأنهم واهمون؛ لأن تكاتف الجميع بعد اغتيال الشيخ يدلل أن الحركة أقوى بكثير من وجود الرنتيسي.

❑ **ما هي رسالتك للأمة الإسلامية تجاه الشعب الفلسطيني؟**

● أنا أوجه رسالة إلى الأمة أن استيقظوا وكفاكم ذلة ومهانة، وعودوا إلى مصدر كرامتكم وعزتكم، عودوا إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ، هذا ما أستطيع أن أقوله، فإذا عادوا للإسلام استطاعوا نصرنا.

* * *

لِقَاءٌ شَامِلٌ لِلدُّكْتُورِ عَبْدِالْعَزِيزِ الرَّنْتِيسِيِّ مَعَ شَبَكَةِ الْفُرْسَانِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ

تَحَدَّثَ فِيهِ عَنْ عِدَّةِ جَوَانِبَ
مِنْهَا الشَّخْصِيُّ وَالثَّقَافِي وَالْإِعْلَامِيُّ وَالْأَدَبِيُّ وَالْحَرَكِيُّ وَالسِّيَاسِيُّ

❑ أُجْرِيَ هَذَا اللِّقَاءُ بِتَارِيخِ ٢٠٠٤/١/٥م

* **شبكة الفرسان**: الحمد لله والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وعلى آله وصحبه الكرام.. إخوة الإسلام نقدم لكم من خلال هذا المنبر الثقافي الإسلامي حوار خاصًّا مع المجاهد الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي ـ حفظه اللَّه ـ عضو قيادة حركة «**حماس**» الباسلة، وهو غني عن التعريف.. حوارنا معه حوار متميز من ناحية المضمون، حاورناه على أنه ابن من أبناء فلسطين الحبيبة، وعلى أنه مثقف وصاحب موقع إلكتروني وكاتب مقالات رائعة، وكذلك كعضو قيادي في حركة رائدة، وطليعة من طلائع الأمة.. وبهذه المناسبة نحيي كل قادة الجهاد والمجاهدين بغض النظر عن أسمائهم ومسمياتهم وأينما كانوا وتعينوا.. حوارنا مع الدكتور ليس حوار أهل الإعلام مع شخصية مهمة، ولكننا حاورناه حوار الأبناء وهو والدنا ومعلمنا؛ لأننا نحن القائمون على هذا الموقع لسنا من أهل الإعلام أو لسنا من أهل الصحافة، ولكننا من المساهمين في نشر الثقافة والوعي الإسلامي.. نشكر الوالد والأخ والحبيب الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي على سعة صدره وصراحته وصبره معنا..

نبدأ بالجانب الشخصي والثقافي:

د. الرنتيسي: عندما أنهيت دراستي وعدت إلى قطاع غزة عام ١٩٧٢م مع ثلة من الزملاء كتبنا رغباتنا في نماذج تم تقديمها لمديرية الصحة، وكانت رغبتي التخصص في جراحة العيون، ولقد دونت ذلك في كتاب طلب الوظيفة، ولكن قدر اللَّه فاختير أحد الزملاء لجراحة العيون بينما وجدت أن اسمي قد أرسل إلى مستشفى الشفاء وهو مستشفى عام ولا يوجد فيه جراحة العيون

بالطبع، وهناك تم تقديم طلب جديد لإبداء الرغبات، فكانت رغبتي إما جراحة عامة أو جراحة الأطفال، ففوجئت أنهم قد أرسلوا اسمي إلى قسم الأطفال، ولم تلب رغبتي للمرة الثانية، فانتابني شيء من الغضب؛ لأنني شعرت بالظلم، وأدركت أن الأمور تجري وفق الأهواء والمحسوبية والواسطة فرضيت بما اختاره اللَّه لي وأنا أشعر بالمرارة والألم، وذهبت إلى قسم الأطفال، ولذا أستطيع القول: إن الاختيار تم بالإكراه وليس بناء على رغبتي الشخصية.

شبكة الفرسان: هل تستطيع التوفيق بين مهنتك كطبيب وبين اهتماماتك الأخرى مثل الشئون السياسية والجهادية والحركية وغيرها في هذا الوقت بالذات؟

د. الرنتيسي: لقد كنت أعمل في مهنة الطب حتى بداية الانتفاضة الأولى؛ حيث بدأت رحلتي مع المعتقلات، فقد أمضيت في المعتقلات ما يزيد على عشر سنوات، وعندما خرجت منها وجدت أنه لم يعد هناك مجال للعمل في مهنة الطب، فتفرغت للعمل الجهادي والسياسي في الوقت الذي كنت أمارس فيه عملي كمحاضر في الجامعة الإسلامية بغزة في كلية التمريض.

شبكة الفرسان: الشيخ أحمد ياسين ـ حفظه اللَّه ـ ماذا يمثل بالنسبة لك هذا الرجل؟

د. الرنتيسي: هو القدوة والقائد والأب والمعلم، فيه من الخصال ما لا يمكن أن ترى لها مثيلًا في غيره، فهو القائد المقعد، ولم يحدثنا التاريخ عن قائد لحركة جهادية بينما كان يعاني من شلل رباعي، وهو صاحب ذاكرة قوية تكاد لا تعرف النسيان، وقد أخبرني ذات مرة ونحن في زنزانة واحدة أنه لا يعرف كيف ينسى الناس، كما أنني أشهد أنه أصبر من عرفت، ومن أراد أن يعرف معنى الصبر الجميل فعليه أن يصاحب هذا الرجل، فهو على ما أصابه من بلاء لا يشكو أبدًا بثه وحزنه إلا اللَّه ـ سبحانه ـ، وهو الرجل المبدع صاحب الحكمة حتى إذا ادلهم الخطب، وحزبنا أمرٌ مَا وجدنا الرأي السديد عند الشيخ أحمد ياسين، ومن عجيب خصاله أنه أنشط من عرفت، يعمل بطاقة عشرة من الرجال، ولا يشعر بالملل ولا بالتعب، وهو الرجل القرآني، رجل يحمل القرآن في حنايا صدره، وقد حفظه عن ظهر قلب في زنزانته في المعتقل بينما كنت رفيقه في زنزانته، لقد قلت في مقال خصصته له بأنه **رجل بأمة أو أمة في رجل.**

شبكة الفرسان: بتوفيق من اللَّه تمكنت من إتمام حفظ القرآن الكريم (وهذه نعمة من اللَّه) وأنت في المعتقل، كيف ترى نفسك بعد حفظه؟

د. الرنتيسي: أفضل نعم الله على الإنسان أن يمكنه الله من حفظ كتابه، فحفظة كتاب الله يرون فيه جديدًا في كل تلاوة يتلونها، فهو يتجدد في قلوبهم بحلاوته ومعانيه وأسراره، قد تتذوق فيه شيئًا جميلًا في كل تلاوة جديدة لم تكن قد تذوقته من قبل، كما أن حفظ القرآن يقرب المسلم من ربه ويجعله يعيش الآخرة وكأنه يراها رأي العين، وهو سياج يحفظ صاحبه من الزلل إلى درجة عالية، كما أنه يبعث الهمة في صاحبه، فلا عجب أن ترى حفظة كتاب الله ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ﴾.

شبكة الفرسان: مسقط رأسك في قرية يبنا وهي بين عسقلان ويافا هل يمكنك أن تحدثنا عن هذه القرية وماذا تمثل بالنسبة لك هذه القرية؟

د. الرنتيسي: لقد أُخرجت من قريتي يبنا وأنا ابن ستة أشهر، ولكن حبها ترعرع في قلبي كلما ترعرعت، فكم كنت أتوق إليها رغم أنني لم أرها بعين الإدراك حين أخرجت منها، ولقد زرتها عدة مرات بعيد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة وذلك قبل الانتفاضة الأولى، وكنت في كل مرة أزورها أذهب إلى بيتي الذي ولدت فيه وهو بيت من طابقين يقع وسط أشجار البرتقال، تغتصبه أسرة يهودية قدمت من اليمن، إنه بيت جميل كان يسكنني ولا أسكنه، يقع في وسط القرية، وعلى مقربة منه مدرسة البلدة والتي كان يؤمها التلاميذ من القرى المجاورة، وأيضًا على مقربة من البيت يوجد مقام لأحد الصالحين يطلقون عليه في القرية مقام أبي هريرة، عندما زرت البيت فوجئت أن هناك لا تزال بعض أشجار البرتقال التي غرسها والدي بيده - رحمه الله - يتخلل القرية الطريق العام القديم الذي يصل شمال فلسطين بجنوبها، بينما الطريق الجديد يمر ملامسًا حدودها الغربية، ولا تزال في القرية آثار البيوت المدمرة، وكذلك المسجد وقد أصابه الدمار ولم يبق إلا بقية من مئذنته، وقريبًا من المسجد تقع مقبرة القرية حيث يرقد فيها أجداث الأجداد، ومن جانبي لم أزل أرقب اليوم الذي أعود فيه إلى قريتي وبيتي، وأنا على ثقة بأننا سنعود إليها، ولكن لا أدري إن كنت سأكحل عيني برؤيتها وقد علا مئذنتها هتاف الله أكبر، أم أنها ستنهض عزيزة وقد احتوش الثرى جسدي.

شبكة الفرسان: وأنت في السنة السادسة الابتدائية اضطررت للعمل لتساهم في إعالة أسرتك الكبيرة، هل يمكنك أن تحدثنا عن هذه المرحلة من عمرك؟ وعن حياتك في مخيم خان

يونس للاجئين (بإيجاز إن أمكن)؟

د. الرنتيسي: لم يكن هناك دخل للأسرة الكبيرة إلا ما نتلقاه من تموين من وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة، مما اضطررت معه أنا وإخوتي أن نبحث عن عمل وإن كان يسيرًا، وكان العمل أحيانًا لا يتناسب مع العمر والقدرة، فقد كنت أعمل في البيع أبيع فاكهة متواضعة تسمى «**الجميز**» لأعود في نهاية اليوم في معظم الأحيان بقرش واحد أو نصف القرش من ذلك، ثم عندما كبرت قليلًا عملت في ري الشجر في البيارات، كما عملت في البناء أنقل الحجارة وغير ذلك، ثم عندما أصبحت في المرحلة الإعدادية كنت أذهب إلى البيارات، كما عملت في البناء أنقل الحجارة وغير ذلك، ثم عندما أصبحت في المرحلة الإعدادية كنت أذهب إلى مدينة «**العريش**» في سيناء لأحضر من هناك الصابون وبعض المواد الأخرى بكميات قليلة كانت تحقق قليلًا من الربح، وهناك مجالات عديدة أخرى عملت بها ولم تكن في مجملها تتناسب مع حداثة سني.

شبكة الفرسان: ما المواد التي كنت تقوم بتدريسها في الجامعة الإسلامية بغزة؟ وكيف هي معاملتك مع الطلبة؟

د. الرنتيسي: لقد قمت في الجامعة الإسلامية بتدريس مادة الكيمياء الحيوية وكذلك مادة الإسعافات الأولية، والروح التي كانت تسود بيني وبين طلابي هي روح الأخوة، وكانوا يشعرون بهذه الروح ويتعاملون معي كصديق لهم، وكثيرًا ما كنت أداعبهم، وكذلك أذكرهم بالله وبالدور المنوط بهم في هذه الحياة الدنيا خاصة أن الوطن محتل وأنهم يشكلون العمود الفقري للشعب الفلسطيني، كما يشكلون أمل الأمة وعدتها وهم في سن الشباب.

شبكة الفرسان: طيب.. في الوقت الراهن كيف تتابع محاضراتك؟

د. الرنتيسي: بعد استهدافي بمحاولة الاغتيال الفاشلة لم يعد من السهل علي أن أتابع محاضراتي في الجامعة في ظل الإجراءات الأمنية المشددة التي تتخذها اليوم، وذلك عملًا بقول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾، ولذلك فقد توقفت عن مواصلة التدريس في الجامعة إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

شبكة الفرسان: قضيت سنوات وشهور في معتقلات العدو الصهيوني والسلطة الوطنية،

ما إيجابيات وسلبيات هذه الفترة التي قضيتها في السجون؟ وهل أثرت على تفكيرك وأسلوبك في الحياة؟

د. الرنتيسي: ما من شك أن في الاعتقال الكثير من الإيجابيات، وعلى رأس هذه الإيجابيات أن الاعتقال يهيئ الإنسان لتحمل الأعباء الجسام في المستقبل، وهكذا تم إعداد سيدنا يوسف عليه السلام للمهمة الأكبر إذ قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد خروج سيدنا يوسف من المعتقل: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، والاعتقال مدرسة الصبر، كما أن المعتقل يجد وقتًا كافيًا للعلم والثقافة، وأيضًا الاعتقال فرصة جيدة للتواصل مع الشباب، وعلى رأس الإيجابيات أنني تمكنت من حفظ كتاب الله عز وجل.

وأما السلبيات فتنحصر في أن الإنسان في المعتقل يفقد القدرة على الحركة الواسعة التي تعود بالنفع على القضية والشعب والأهل، وإذا كان من أثر على تفكيري بعد الاعتقال فأستطيع القول: إن تعلقي بالدنيا قد فتر كثيرًا، فلا غرابة أن ترى معظم الشباب الذين استشهدوا كانوا قد أمضوا فترات من حياتهم في المعتقلات.

❑ نأتي للجانب الإعلامي والأدبي أو الثقافي:

شبكة الفرسان: لديك موقع على شبكة الإنترنت، ما أهداف الموقع؟ وكم عدد زواره يوميًا؟ حدثنا عنه وعن تواصلك مع الزوار.

د. الرنتيسي: أهم أهداف الموقع تتمثل في طرح الموقف الإسلامي من القضية الفلسطينية، ووضع المتابع للموقع أمام آخر المستجدات، ونقل أفضل ما يكتب عن القضية الفلسطينية من مقالات وأشعار للمتابعين للموقع، أيضًا طرح الموقف الإسلامي من القضايا التي تهم الأمة العربية والإسلامية، وفضح أعداء الله وما يدبرون لهذه الأمة من كيد، أما عدد زواره فيزور الموقع قرابة الألف يوميًا وأحيانًا أكثر من هذا العدد بكثير، هناك صفحة لاستقبال رسائل الزوار وهؤلاء تنشر رسائلهم على الموقع، كما أن هناك عنوان بريدي أستقبل من خلاله العديد من الرسائل التي أطالعها وأقوم بالرد عليها، وعادة أتلقى ردودًا على الردود يعبر فيها أصحابها عن سعادتهم قائلين بأنهم لم يكونوا يتوقعون هذه السرعة في الرد، وأحيانًا بسبب الظروف الأمنية الصعبة أتأخر في الرد على رسائل الزوار، وعندما أتمكن من الرد عليهم أعتذر لهم لما حدث من تأخير في الرد.

شبكة الفرسان: هل أنت بنفسك تقوم بتحديث الموقع؟

د. الرنتيسي: في معظم الأحيان نعم أقوم بنفسي بتحديث الموقع، ولكن في الظروف الأمنية الصعبة يقوم بعض الشباب بهذا الأمر.

شبكة الفرسان: نريد أن نعرف وجهة نظرك في كيف يمكن لأبناء أمتنا الإسلامية الاستفادة من شبكة الإنترنت؟

د. الرنتيسي: الواقع أن شبكة الإنترنت هي عبارة عن باب معرفي واسع ييسر وصول المعلومات إلى القراء، كما أن الإنترنت يشكل فرصة أمام الشباب للوصول في المعلومات الصحيحة عبر المواقع الموثوقة وما أكثرها، كما أن الإنترنت يشكل فرصة طيبة للتواصل بين أبناء الأمة الواحدة والعقيدة الواحدة وتبادل الأفكار والمعلومات، كما أن هناك مواقع عديدة غنية بالمعلومات الدينية التي تشبع حاجات الشباب المسلم المتعطش لهذه المعلومات وهو يعود عودًا حميدًا إلى عقيدته وأصوله وهويته.

شبكة الفرسان: هناك من يقول: إن شبكة الإنترنت هي بمثابة الإعلام البديل في المستقبل القريب، ما تعليقك؟

د. الرنتيسي: هذا الأمر متوقع خاصة أن نسبة عالية من أبناء الأمة لا يجدون اليوم حاجتهم عبر الوسائل الإعلامية الأخرى التي أغلقت أبوابها في وجه الإسلاميين، ولكن شبكة الإنترنت تفتح الباب واسعًا أمام المحرومين من المسلمين أن يجدوا متنفسًا لألمهم فيها، ففي الوقت الذي يجد الشباب موقعًا على شبكة الإنترنت لحركة «**حماس**» وكتائب القسام فلن يجدوا لهما محطة بث تلفزيوني؛ لأن الباب موصد في وجه الحركة.

شبكة الفرسان: أنت كاتب مقالات متميز، ولله الحمد مقالاتك منشورة في عدة مواقع وصحف. هل يمكننا أن نعرف ما الأجواء الملائمة لك لكتابة المقالات؟ وخاصة أن مقالاتك مواكبة للأحداث.

د. الرنتيسي: أفضل الأجواء للكتابة الوحدة والهدوء، وأفضل المحفزات الأحداث التي تبعث في النفس السرور أحيانًا، وأحيانًا أخرى تبعث الألم خاصة تلك التي تمس القضية الفلسطينية وقضايا أمتنا العربية، ومن هنا فإن المقالات عادة تأتي مواكبة للأحداث.

❏ نأتي للجانب السياسي والحركي:

شبكة الفرسان: الإخوان المسلمون هي التي انبثقت منها حركة المقاومة الإسلامية «حماس» عام ١٩٨٧م. وفي الحقيقة تعاني من التباس هل ممكن أن توضح لنا ما العلاقة بين الحركة وبين جماعة الإخوان؟ حدثنا عن فكر ومنهج الحركة مقارنة بالإخوان المسلمين.

د. الرنتيسي: حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» هي حركة الإخوان المسلمين في فلسطين، في عام ١٩٨٧م عندما قررت قيادة الإخوان المسلمين ـ وكنت أحد عناصر القيادة ـ أن تشعل الانتفاضة في فلسطين اخترنا اسمًا للحركة الميدانية التي تمثل فعاليات الانتفاضة في الشارع الفلسطيني التي تقوم بها حركة الإخوان المسلمين فوقع اختيارنا لهذا العنوان «**حركة المقاومة الإسلامية**»، فأعضاء حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» عندما يعطون البيعة يعطونها لحركة الإخوان المسلمين.

شبكة الفرسان: متى يكون الإرهاب محمودًا؟ ومتى يكون مذمومًا؟

د. الرنتيسي: الإرهاب كمصطلح متعارف عليه الآن في العالم أصبح أمرًا مذمومًا؛ لأنه لم يعد اسم المصدر للفعل أرهب، ولو أنه بقي في هذا الإطار لأصبح محمودًا إذا كان إرهابًا للمعتدين والطغاة والظلمة، كما جاء في كتاب الله ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ ، ولأصبح مذمومًا إذا كان إرهابًا للشعوب الآمنة المطمئنة وعدوانًا عليها، وإرهابًا للمستضعفين في الأرض، فإن ما يقوم به العدو الصهيوني من احتلال وعدوان على الشعب الفلسطيني هو الإرهاب بعينه وفق المصطلح الدولي، وما يقوم به الشعب الفلسطيني من إرهاب للمحتلين هي المقاومة المشروعة للاحتلال وفق كتاب الله، فإن أطلقوا على هذه المقاومة الفلسطينية مصطلح الإرهاب فهو عندئذ إرهاب محمود كما يقول الشاعر:

لَا عَدْلَ إِلَّا إِنْ تَعَادَلَتِ الْقُوَى ... وَتَصَادَمَ الْإِرْهَابُ بِالْإِرْهَابِ

ولفظ الإرهاب في هذا البيت المعبر عن المقاومة يأتي من باب المشاركة اللفظية.

شبكة الفرسان: كيف تؤثر عليكم الحرب الإعلامية عندما يصفون الأبطال الأشاوس بالإرهاب؟ وكيف تحاربون هذه الحركة الإعلامية ضد جهادكم المقدس؟

د. الرنتيسي: لم يعد لهذا المصطلح أية قيمة؛ لأنه لا يعكس الصورة الحقيقية للإرهاب المقصود من هذا المصطلح، ولذا لم يعد له أي تأثير على الشعوب حتى الشعوب الغربية؛ لأن الشعوب العربية والإسلامية تدرك حقيقة العداء الصليبي والصهيوني لأمته العربية والإسلامية، وبالتالي لا تحترم هذه المصطلحات ولا تحترم من يقف وراءها، فكما تعلمون فإن استطلاعات الرأي في أوربا قد أثبتت أن الشعوب الأوربية تدرك تمامًا طبيعة هذا العدو الصهيوني عندما أكدت الأغلبية أن هذا الكيان الصهيوني يشكل الخطر الأكبر على الأمن في الكرة الأرضية.

شبكة الفرسان: ألا ترى أن هناك خلط وتناقض بين ما تريده الحكومة الفلسطينية عبر إعطاء التنازلات للعصابة الصهيونية العنصرية وبين مطالب حركات الجهاد والمقاومة الفلسطينية الباسلة؟

د. الرنتيسي: التناقض كبير بين الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني التي تتبناها وتتمسك بها حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين وبين ما تمارسه السلطة الفلسطينية من انحدار سياسي خطير أدى إلى التنازل عن معظم الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، بل إن هناك تناقضًا بين الأسس والقواعد والثوابت التي قامت عليها منظمة التحرير الفلسطينية عندما أنشئت، والمواقف المتردية الانهزامية التي تتبناها منظمة التحرير الفلسطينية اليوم ممثلة في السلطة.

شبكة الفرسان: ما النقاط الرئيسة التي يتمسك بها الفلسطينيون شعبًا وحكومة وحركات مقاومة في صالح القضية الفلسطينية؟

د. الرنتيسي: عدم التنازل عن شبر من فلسطين من البحر إلى النهر وإن كنا لا نستطيع أن نحررها اليوم، عدم التنازل عن حق العودة والتعويض للفلسطينيين الذي أخرجوا من ديارهم، عدم التنازل عن المقدسات، قيام دولة فلسطينية كاملة السيادة دون التنازل بالمقابل عن باقي الوطن، هذه النقاط التي تتمسك بها الحركة الإسلامية في فلسطين، وهذه تمثل الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني، ولكن النقاط التي تتمسك بها السلطة غير واضحة؛ لأن السلطة تغير مواقفها باستمرار لتتأقلم مع ما يريده العدو الصهيوني، وكلنا سمعنا بوثيقة جنيف التي أجهزت على ما تبقى من حقوق وطنية.

شبكة الفرسان: قتل المدني الإسرائيلي بل والجندي الإسرائيلي عملية إرهابية ممنوعة لا

تسكت عنها العصابة الصهيونية وتقوم حكومة فلسطين أحيانًا باستنكارها وإدانتها، فمن للضحايا الفلسطينيين من أطفال ونساء وشيوخ، وبعبارة أخرى كيف يتعامل الإعلام العربي مع القتيل المدني للصهاينة والشهيد المدني العربي الفلسطيني؟

د. الرنتيسي: إذا كانت كلمة مدني تعبر عمن لا يحمل السلاح فهناك مدنيون صهاينة لا ننكر ذلك، ولكن الذي ننكره أنهم مدنيون أبرياء، لا لشيء إلا لأنهم شركاء في احتلال الوطن وطرد الشعب الفلسطيني من أرضه وإقامتهم فيها بالقوة دون إذن من أهلها، وأنه لا يمكن إخراجهم من فلسطين وإعادة أهلها إليها بقتالهم وطردهم منها بالقوة، فإدانة العمليات التي تستهدف المحتلين في واقع الأمر تعبر عن ضعف من أطلق الإدانة، ولا تعبر عن حقيقته، وإنه لمن المؤسف أن يتعامل الإعلام مع قتلى المحتلين على أنهم مدنيون وفي نفس الوقت لا يسلط الضوء بقوة على جرائم الاحتلال التي تستهدف الأطفال والنساء والشيوخ والشباب من أبناء فلسطين وتدمر الحياة الفلسطينية بتدمير الحجر والشجر.

شبكة الفرسان: ما هي نظرة «حماس» الباسلة فيما يجري من محاولات لإجراء السلام عبر خارطة الطريق؟

د. الرنتيسي: خارطة الطريق لا يمكن أن تقود إلى سلام، فأول بنود هذه الخارطة البنود المتعلقة بضرب المقاومة الفلسطينية وتصفيتها لصالح الاحتلال، أو قل: إشعال حرب أهلية داخل الشارع الفلسطيني، وأنا أعتقد أن الحرب الأهلية الفلسطينية هي الهدف الأول والأخير من وراء خارطة الطريق، ومن ظن غير ذلك أو من اعتقد أن هناك أهدافًا سلمية من وراء هذه الخارطة فهو غارق في الوهم، فهي غير قابلة للتطبيق، وإن قدر لها أن تطبق فستقتصر على تدمير الشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة. فطريق السلام معروف لمن أراد أن يسلكه ويتمثل في إعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة، ووضع حد لمأساته التي بدأت عام ١٩٤٨م ولا زالت مستمرة إلى يومنا هذا.

شبكة الفرسان: على الرغم من الدور الخطير الذي يلعبه الجواسيس خاصة الذي يعملون ضمن مواقع قيادية في الشعب الفلسطيني إلا أننا نلاحظ أن حركة «حماس» تكف يديها عنهم فكيف يمكنكم تفسير هذا الموقف لأصدقائكم وأعدائكم؟

د. الرنتيسي: كما تعلم لدينا في فلسطين حكومة قائمة، ومتابعة الجواسيس وملاحقتهم ينبغي

أن تكون من أولى واجبات هذه الحكومة، فإذا قامت حركة «**حماس**» بهذا الدور ستعتبر الحكومة الفلسطينية أن «**حماس**» تطرح نفسها بديلًا عن هذه الحكومة، أو أن «**حماس**» تعمل على تشكيل حكومة موازية، أو أن «**حماس**» تأخذ القانون بيدها، وكل ذلك شأنه أن يؤدي إلى توتر في الشارع الفلسطيني، وقد يتخذ ذريعة للقيام بالدور الذي تريده أمريكا ويريده العدو الصهيوني من السلطة الفلسطينية والمتمثل بضرب الحركة الإسلامية، من هنا تقتصر حركة «**حماس**» في هذه المرحلة على رصدهم ومتابعتهم.

شبكة الفرسان: كيف تفسرون مطالبة العصابة الصهيونية بأن ينخرط العرب الفلسطينيين الذين يعيشون داخل ما يسمى بإسرائيل في الخدمة العسكرية كتعبير عن انتمائهم لدولة إسرائيل الهشة والمزعومة؟

د. الرنتيسي: هذه المطالبة هي مقدمة لممارسة التضييق على الفلسطينيين الذين حافظوا على هويتهم وانتمائهم، ومقدمة لخلق الذرائع من أجل حرمانهم مما تبقى من حقوقهم المدنية، والصهاينة يدركون انتماء أهلنا في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨م، ولكنهم لا يريدون احترام هذا الانتماء في الوقت الذي يجيزون فيه لأنفسهم الدفاع عن اليهود في جميع أرجاء المعمورة، وما تبنيهم لليهود الإيرانيين الذين اتهموا بالتجسس ضد دولتهم إيران عنا ببعيد.

شبكة الفرسان: ما الأمور التي ترى أن الشعب الفلسطيني في أمس الحاجة إليها في هذا الوقت الراهن؟

د. الرنتيسي: الشعب الفلسطيني الآن في أمس الحاجة أن يرى دعمًا حقيقيًّا وبكل الوسائل من قبل الشعوب العربية والإسلامية؛ لأن الشعب الفلسطيني اليوم يقف في الخندق المتقدم دفاعًا عن كرامة الأمة، ومن حقه على هذه الأمة أن تشكل رافعة لجهاده حتى يواصل صموده في وجه هذا العدوان الصهيوني الغاشم الذي لا يوجد له مثيل في التاريخ سواء في شدة بطشه أو في لا أخلاقيته.

شبكة الفرسان: ما طلباتكم للمواقع العربية والإسلامية عبر شبكة الإنترنت لتخدم قضية المسلمين الكبرى قضية فلسطين الجريحة؟

د. الرنتيسي: نطالبهم بإبراز جرائم العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني أمام العالم، وأن

يقوموا بتحريض الأمة للقيام بدورها في مواجهة هذا العدوان ومساندة جهاد شعب فلسطين، وأن يسلطوا الأضواء على عدالة القضية الفلسطينية، وعلى تاريخ فلسطين، وجذور المأساة الفلسطينية.

شبكة الفرسان: ما موقف حركة المقاومة الإسلامية «حماس» من الحرب الصليبية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ضد المسلمين في شتى أنحاء العالم؟ وما دور الحركة في صد هذا العدوان؟

د. الرنتيسي: الواقع أن هذه الحرب المجنونة التي يقودها الغرب الحاقد هي حرب موجهة أولا وأخيرًا ضد الإسلام فكرًا وحضارة وعقيدة وقيمًا، وحركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» هي في المقام الأول حركة إسلامية، ومن هنا فإنها تهتم بقضايا المسلمين في كل مكان، فما يجري من العدوان الأمريكي على أهلنا في العراق تتأثر له كثيرًا حركة «**حماس**»، كما أن المقاومة الإسلامية الباسلة في العراق لها تأثيرها الإيجابي على القضية الفلسطينية وعلى حركة المقاومة الإسلامية.

مِنْ شِعْرِ الرَّنْتِيسِيِّ

التَّحَدِّي

أحيوا ضمائركم أما بقيت ضمائر ... فتجارة الأوطان من كبرى الكبائر
عودوا إلى أطفال غزة تسمعوا ... عن مولد الإصباح من رحم الدياجر
عودوا إلى القسام يسلخ من ظلا ... م الليل بالأكفان مجدًا للأواخر
وتراه يغزل في الدجى المسكون بال ... آهات من خيط الأصيل مدى الخناجر
عودوا إلى المشلول ياسين العلا ... بحماسه دارت على البغي الدوائر
من جوف بطن النون يهتف غاضبًا ... لا سلم أو يجلو عن الأقصى الكوافر
عودوا إلى الخنساء تكظم غيظها ... لتثور بركانًا يزلزل كل خائر
عودوا إلى الرشاش تحضنه اللحى ... بخنادق الإخوان تزهو صور باهر
عودوا إلى يبنا إلى يافا إلى ... بيسان ترقب من يزف لها البشائر
للمجدل المحزون يسكب في الدجى ... عبراته الحرَّى على أطلال عاقر
لجبالنا الشماء ترفع هامها ... لمروجنا الخضراء تنتظر الحرائر
عودوا إلى آثارنا آبارنا ... جناتنا الغناء في مرج بن عامر
عودوا إلى مرج الزهور لتعلموا ... أن المبادئ لا تذل إلى مكابر
يا زمرة الأقزام كيف ترونها ... أرضًا بلا شعب فتعسًا للصغائر
فلمن فلسطين الرباط؟ ومن له ال ... مسرى؟ وحتى النصر أين؟ وأين ثائر؟
أين الشعارات التي قد خدرت ... منا الألوف وزيفت فيض المشاعر
كم أزكمت منا الأنوف ترى وكم ... قد بح من فرط النباح بها حناجر

النصر آت!!! أين هو؟ فالعين لا تعمى ولكن يا لها تعمى البصائر
فالنصر يهدى للتقاة تفضلًا والله لا يعلي سنام النصر فاجر
يا أيها المهزوم لم يسلم لنا وطن وما بقيت تلملمنا أواصر
لكنني والحق يشهد أنني لست القَنُوطَ فذاك من شيم الكوافر
فغدًا تعود لنا الديار تبثنا أشواقها ونقيل في ظل البيادر
لنكحل العينين من أطيافها ونردد التسبيح مع رنات طائر

اللَّيْلُ آذَنَ بِالرَّحِيلِ

أنَّى التفتُّ وجدت أن الليل آذن بالرحيلْ
فالكل من حولي يسوق بشائر المجد الأثيل
الماء والأزهار والأطيار والظل الظليل
والجنة الغناء والأفياء والنسم العليل
وتمايل الأغصان مثل الغيد في دلٍّ تميل
والفجر وَصْوَصَ من قريب يرقب الصبح الجميل
والبدر يحكي في العلا شممًا بطولات الرعيل
والقلب وشوشني بأن الظلم أوشك أن يزول
فانظر إلى الفرسان في القسام إن تبغ الدليل
أرواحهم تهفو إلى العلياء جيلًا بعد جيل
بالعزم بالإيمان بالإصرار بالصبر الجميل
ألحانهم عند اللقاء رنين قعقعة الصليل

وسنابك الأجياد صائلة وحمحمة الصهيل
وانظر إلى الطوفان بعد الطل يجتاح الفلول
لكأنه الضعفاء لما أقبروا الصمت الذليل
أعناقهم لما أطلوا خلتها جيد النخيل
نظراتهم كالبرق تفضح من تستر بالوحول
واكتن في جيب الظلام يروم مأوى أو سبيل
كم لاحق الشرفاء معتصمًا بأوكار الدخيل
كم ألهبت أسواطه ظهرًا لأستاذ جليل
كم مزقت أنيابه جسدًا لمغوار أصيل
كم من سليم بات من ركلاته أبدًا عليل
كم لطخ الشرف الكريم لعفة كانت بتول
كم من فتى ألقاه في حسك الجوى يبكي الخليل
للسهد للآهات للعبرات للقد النحيل
يبكي يئن يصخ آذان الهجوم بلا عويل
من جرع الزغب الأسى من أورث الزهر الذبول
من هيج العبرات جمرًا تلهب الخد الأسيل
من فجر الآهات نارًا تلفح الجوف الغليل
واليوم تبحث عن مجير بعدما أزف الأفول
أيجار من أبكى المآذن في المثلث والجليل
أغواك أن لقبت إفكًا صاحب الباع الطويل

فأخذت تفتك بالبراعم والحرائر والكهول
وولغت في نشر الرذيلة والدعارة والكحول
وتظن إذ أعماك غيك أنك الرجل الرجيل
واليوم أُبت وقد علاك ذباب صمصام صقيل
وبدا لك الحق المتوج في الفيافي والسهول
وعلمت أنك لم تكن إلا رويبضة هزيل
فذهلت من وهج الحقيقة حين لا يغني الذهول
إذ أخرس الحق المبين رجيع أصداء الطبول
فاستبشر الضعفاء أن الحق باق لا يزول

* * *

قُمْ لِلْوَطَنِ

قم للوطن وادفع دماك له ثمن ... واطرح بعيدًا كل أسباب الوهن
فالموت أهون من غبار مذلة ... فلرب ذل دام ما بقي الزمن
أفمن يذوق الموت كأسًا واحدًا ... يجلو كما الترياق أوصاب البدن
أمن يعيش العمر ميتًا يشتهي ... طعم البلى فيرد كلا لا ولن
قم واصنع التاريخ واسلل غيظه ... قد لطخ التاريخَ صناعُ الوثن
خل البكاء إلى النساء مطية ... واربأ بنفسك أن تسربل بالحزن
وارق الشدائد ترق أسباب العلا ... ودع الخضوع فمن يهن أبدًا يهن
مزق إهاب الليل وانزع ثوبه ... واخطف عيون الفجر من حجب الوسن

من للبلاد وقد تدنس قدسها	إن لم يكن صيد الرجال إذن فمن
من ينقذ المسرى ويمسح همه	أسد الشرى أم صب خضراء الدمن
قولوا لخيبر إذ تعود لغدرها	وتقيم ما ابتدع اليهود من السنن
لا طاب عيش إن نجوت فأبشري	بكتائب الفرسان خلف أبي الحسن
وهناك ذا القعقاع ينثر رمسه	ويحل من بعد الرقاد عرى الكفن
وكذا المهندس قام يسرح خيله	ما عاد يخمد غيره نار الفتن
إن جردت أسد الكتائب سيفها	سهل البلاد وغورها أبدًا يصن
أما إذا صار التخاذل شرعة	كلا وربك لن يقوم لنا وطن

* * *

❑ الرَّنْتِيسِيُّ فِي آخِرِ حَدِيثٍ لَهُ قَبْلَ اغْتِيَالِهِ بـ«٢٤» سَاعَةً

«الِاسْتِشْهَادُ هُوَ خِيَارُنَا الْوَحِيدُ»

قبل اغتياله بـ(٢٤ ساعة)، وتحديدًا بعد صلاة المغرب يوم الجمعة (١٦/٤/٢٠٠٤م) ألقى الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي كلمة بين جموع أنصاره من حركة «**حماس**» في المسجد الكبير بخان يونس حثهم فيها على الجهاد ومواصلة طريق المقاومة؛ فهي السبيل الوحيد لتحرير فلسطين ودحر المحتل الصهيوني، وقد حصلت «**آفاق عربية**» على التسجيل الصوتي لهذه الكلمة ننشرها كاملة في السطور التالية:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المجاهدين وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.. يا شبابنا يا شباب الإسلام وشيوخه، أيها الشباب الذين وقفتم صخرة في وجه هذا العدو المجرم.. أحبتنا في الله أنتم مستقبل هذه الأمة

الواعد، أنتم الذين ستحيون ماضي هذه الأمة وتحافظون على حاضرها ومستقبلها، فأنتم في جهاد.. في جهاد العمل لله، وعليه أتوجه إليكم بحديثي وأحييكم بتحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيها الإخوة الأفاضل:

في هذا الزمن الصعب الذي تكالبت فيه علينا الأمم واستضعفت فيه أمتنا التي تعثرت في خطاها على يد من تنكبوا السبيل وابتعدوا عن المنهج القويم. اليوم أنتم تخوضون الغمار في هذا الزمن الصعب، وأنا على ثقة من أنكم ستنتصرون.. ستنتصرون؛ لأنكم أبناء محمد ﷺ؛ لأنكم المؤمنون بما جاء في أمانته، والله وعد المؤمنين بالنصر ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]. فأبشروا.. أبشروا أيها الأحبة، فوالله إني لأرى النصر قد اقترب، ونحن نرى أن قُطَّاع الطرق أولئك القتلة من اليهود الصهاينة الذين قال الله فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢]... أمثال أولئك الصليبيين الذين يقتحمون على الأهل في العراق فيقتلون ويدمرون ويخربون ويفسدون تمامًا كما يفعل القتلة من الصهاينة اليهود في فلسطين.

ولكن ألا تروا معي - أيها الأحبة - أن المقاومة تزداد في فلسطين وفي العراق، وقد أذاقت أولئك القتلة رغم ما يملكون من آلة الدمار.. أذاقتهم الويل والثبور والدمار.. أذاقتهم الذلة والهوان؟! ولذلك هذه هي بشائر النصر بإذن الله الذي قد لاح في الأفق ولاح لنا مع الفجر.. الفجر قادم والنصر قد اقترب.

أحبتنا في الله..ولكن نحن في حاجة إلى صبر.. صبر الرجال الذين لا يستكينون، ولا يشينون، ولا يذلون رغم الصعاب.. الشباب الذين يقفون كالشُّمِّ الرواسي في وجه العواصف الموحشة، الذين لا يعرفون انتكاسة ولا ارتجافة، الذين يصرون على خيارى الجهاد والاستشهاد حتى وإن عصفت بهم الأنواء﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].. أحبتنا في الله وأنا أقول لكم ذلك أؤكد لكم أن خيار الجهاد والاستشهاد هو الخيار، وأن المقاومة مستمرة، وأننا

سنضرب العدو في كل مكان حتى ولو خرج من قطاع غزة، وأن الرد على جريمته الأخيرة باغتيال الشيخ أحمد ياسين قادم وسيكون قويًا بإذن الله، ولن يكون ردًّا واحدًا ولكن سلسلة من الردود..

أيها الأحبة.. نحن لا ننسى دماء شهدائنا فكيف ننسى دماء شيخنا؟! تلك الدماء الطاهرة التي سالت قربة إلى اللَّه على يد القتلة من أمثال: شارون وموفاز؟!.. الرد قادم بإذن الله.. لكن الأمر يحتاج إلى قليل من الصبر..

أحبتنا في الله.. نحن قد عاهدنا اللَّه على هذا الخيار، ولكننا في نفس الوقت نفتح أيدينا وقلوبنا لإخوتنا على اختلاف مشاربهم حتى يكونوا معنا في نفس المركب حتى يقفوا معنا في نفس الخندق.. نحن ندعو إلى شراكة، ولكن لن تكون على حساب خيار المقاومة، لن تكون على حساب الحقوق، ولن تكون على حساب المذابح، ولن تكون على حساب ما اعتصمت به حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» من استراتيجيات، ولن تكون على حساب كل ذلك .. نحن ندعو الجميع أن يكونوا معنا في خندقنا في خندق المواجهة في خندق الجهاد في خندق المقاومة في خندق الشيخ أحمد ياسين.. هذا هو الذي نسعى من أجله، ولذلك لا تسمعوا لأقوال تبدد جهودكم هنا وهناك، ولكن انتبهوا بأن حملة اللواء من بعد الشيخ أحمد ياسين هم نفس حملة اللواء في زمن الشيخ.

أحبتنا في الله.. إذًا معركتنا طويلة، ولكن لنا ـ بإذن اللَّه ـ نصر أكيد نحن الذين لن نعرف الهزيمة ولكنها إنما تحل في النفوس، فأولئك الذين يخرجون علينا في كل يوم بنواطيع ذليلة مهينة ممتهنة.. أقول: هؤلاء هم أصفار أو هم على هامش الحياة الأبية لأبناء شعب فلسطين، هؤلاء لا نلتفت لهم ولا نقيم لهم وزنًا، ونقول لكل من تسول له نفسه أن يتصدى لخيار الجهاد والاستشهاد: إنه سيندم.. سيندم ندمًا كبيرًا.. فنحن لا نفرط في خياراتنا، ولا نفرط بحقوق أمتنا وشعبنا.. نحن الذين دفعنا ثمنًا باهظًا من أجل الحفاظ على هذه الحقوق، ألا ترون أننا دفعنا دم شيخنا وقائدنا وحبيبنا الشيخ أحمد ياسين؟! لذلك لن نسمح أبدًا بالتفريط في حق من حقوقنا أو في شبر من أرضنا، ونقول بوضوح: إن الجهاد والاستشهاد ماض بإذن اللَّه حتى نحرر آخر شبر من أرضنا ونحرر آخر أسير من أسرانا، ونعيد آخر لاجئ من شعبنا إلى أرضه التي أخرج منها وحتى نطرد آخر يهودي صهيوني غاصب من ثرى فلسطين.

جهادنا متواصل، ومقاومتنا متواصلة بل متصاعدة بإذن الله، ولن ننسى مع هذا العدو المجرم المختبئ وراء الجدر ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ [الحشر: ١٤] أما القرى المحصنة فتلك المغتصبات التي اقتحمناها حاليًا مرارًا وتكرارًا وأذقناهم داخلها الموت، وأما الجدر فهو السور الذي أقامه في قطاع غزة فلم يحمه، وعملية أشدود شاهد ودليل على أن كتائب القسام تستطيع أن تخترق هذه الجُدر، وتستطيع أن تخترق المغتصبات، وتستطيع أن تخترق الأمن الصهيوني.

فلذلك ـ أحبتنا ـ أبشروا فاللَّه معنا ولن يترنا أعمالنا، اللَّه معنا لأننا معه، اللَّه معنا لأننا بإذن اللَّه نعمل في سبيله، نعمل لله، لا نعمل لأغراض الدنيا، ولذا تخلصوا أحبتنا من أغراض هذه الحياة الدنيا، انظروا فقط إلى ما كان ينظر إليه شيخكم وهو يقول: أملي أن يرضى اللَّه عني، هذا هو أمله، وهذا هو أملنا، وهذا ينبغي أن يكون أملكم بإذن الله.

أحبتنا في الله.. نحن ـ والحمد لله ـ اليوم نمثل قوة بحركتنا حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**»: قوة أخلاقية، قوة عسكرية، قوة سياسية، قوة اجتماعية، قوة دعوية؛ لأننا نحن المستقبل، نعم نحن المستقبل لهذا الدين الذي نحمله في قلوبنا في حنايا صدورنا، هذا الدين الذي من أجله نعمل ومن أجله نحيا ومن أجله نموت: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

لذلك ـ أيها الأحبة ـ أبشروا وتوكلوا على اللَّه واعتصموا بحبل اللَّه ووطنوا النفس على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، واعلموا أن اللَّه سيحقق لكم الغايات، وسيذلل لكم الصعاب، وسيبني لكم المجد التليد الذي تنظرون إليه، المستقبل واعد قريب واللَّه معنا ولن يترنا أعمالنا.

ولكن أحبتنا علينا أن نتذكر قول اللَّه ﷻ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة: ١٤]، ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦] علينا تذكر ذلك، ولا نلتفت إلى ما يقال هنا وهناك، ولا نلتفت إلى مَنْ يحاولون أن يسوءوا هذه الصورة النقية الجهادية.

سنتحدث ملء أفواهنا عن الحوار وسندعو لهذا الحوار، ولقد تجاورنا مرارًا وتكرارًا.. هل تخلينا

عن البندقية؟! هل أُغمد السيف أو أدخل الجراب؟! ألم يبق السيف مشرعًا؟! ألم تستمر المقاومة والجهاد؟! ألم نضرب رغم الحوار العدو الصهيوني في عقر ما اغتصب من فلسطين؟! لذلك سنحاور ولكن من أجل جذب الآخرين إلى موقعنا إلى خندقنا إلى مبادئنا إلى أهدافنا، وسنعمل على ذلك كيفما فعل الحبيب المصطفى وقد حاور المشركين وأهل مكة ولم يتخل عن مبادئه وثوابته: «**والله يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته أبدًا حتى يظهره الله أو أهلك دونه**»(١) .. لا أقول: لا أريد الحوار، ولكن أنا أجاور وأبقى - بإذن الله - ثابتًا على مبادئي، مثلي، عقيدتي، حقوقي.. هذا ما سنفعله بإذن الله.. سنحاور الجميع ولكن لا نتخلى عن مبادئنا.. سنحاور الجميع ولكن لن ندخل تحت عباءات مختلفة هنا وهناك؛ فعباءتنا معروفة وواضحة هي عباءة الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.. من أراد أن يكون معنا فأهلًا وسهلًا سنُرحب به ونفتح له قلوبنا.. أحبتنا في الله أهلنا في خان يونس الحبيبة التي أصبحت أشتاق إليها أتوق إليها وأتمنى لو أكحل عيني منها قبل أن أفارق هذه الحياة الدنيا أستودعكم الله وأتمنى لكم التوفيق، وأسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يقدر النصر على أيديكم فأنتم أهل لذلك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

* يقول الدكتور محمد سليم العوّا في مقال له بعنوان «رؤيا الشيخ ياسين».

يحكي عبدالعزيز الرنتيسي في كلمته التي ألقاها يوم استشهاد الشيخ أحمد ياسين أن الشيخ أخبره أنه «رأى في المنام أنه قام يمشي، فأمسكت - أي الرنتيسي - بيده ومشينا معًا، والجماهير الغفيرة مشت خلفنا. قال الرنتيسي: وأوّل الشيخ هذه الرؤيا بأنه سيلقى ربه قريبًا ثم ألحق به»(٢) .

لله دركما من قلبينْ موصولينْ بالله وأنتما أولى الناس بما قاله الرنتيسي في يحيى عياش:-

عــيّــاش حـــيٌّ لا تــقــل عــيّــاش مــات!

أو هــل يــجــفّ الــنــيــل أو نــهــر الــفــرات؟

---

(١) حديث ضعيف.

(٢) جريدة الأسبوع العدد (٣٨٠) - ٢٠٠٤/٦/٢١م - مقال للدكتور محمد سالم العوّا بعنوان «رؤيا الشيخ ياسين».

عيـاش شـمـس والـشـمـوس قـلـيـلـةٌ

بـشـروقـهـا تـهـدي الحيـاة إلـى الحيـاة

أَبـشِـرْ فـإن جـهـادَنـا مـتـواصـلٌ

إِنْ غـاب مـقـدامٌ سـتـخـلـفـه مـئـات

* * *

هذا الطريق(١)

❑ في رثاء أسد غزة الدكتور عبد العزيز الرنتيسي - رحمه اللَّه -

هذا الطريق .. أبا محمدْ
فاستقبل العلياء باسم الله
واصعدْ
هذا الطريق لمن على
جمر المواقف قد تعوَدْ
في اللَّه تسعده المواجعُ
بل بلا تلك المواجع ليس يسعدْ

* * *

هذا طريق الصادقين
وليس مفروشًا بوردٍ
أو معبَّدْ
درب عليه الأنبياء مضوْا
فمن نوحٍ مداه محمدْ
درب الشهادة ليس بالدرب
الممّهد
درب تُروّيه الدماءُ سخيةً
وعلى الدماء زكيةً.. ممتدْ
لم يدر ما طعم الشهادةِ

(١) للدكتور عبد الغني أحمد التميمي، أستاذ مشارك في الحديث الشريف، مجلة البيان، العدد (٢٠٠)، ص ٨٦ - ٨٧.

مَنْ ترتّدْ

* * *

هذا الطريق .. أبا محمد
ما كان كرسيًّا يدورُ
ولا مياثر من حريرٍ
بُثَّ في صرحٍ ممرَّدْ
هذا الطريق ومن هنا
كان المرورُ
وسلْ به مرج الزهور
عرفتك من أزهارها
غصنًا بنضرته تورّدْ
عرفتك من أسيافها
سيفًا بلا غمد تجرّدْ
عرفت لديك صخورها
قلبًا تُدق به الصخور
إذا تمرّدْ

* * *

هذي الزعامة لا شعاراتٌ
بلا قيم تُردَّدْ
من كلّ قوّالٍ رويبضة
إذ ما سيم خسفًا
أو تهدَّدْ
كانت إجابته العظيمةُ أنه

أرغى وأزيد
في مجال القول مشاءٌ
ولكن في مجال الفعل مُقعدْ

* * *

أواه إحسَاسُ قومٍ
كالحجارة قد تجمّدْ
هتفت بشجبهم الحناجرُ
والخناجر في ظهور الأهلِ
تغمدْ
وقرارهم عفنٌ من الإهمال دوّدْ
طاف القرار ببيت أمريكا
فَعاد وقد تَأَمْرَك أو تهوَّدْ
والأبيض البيت الكريهُ
بكل فاضحةٍ يُسَوّدْ
عبد العزيز.. أبا محمد
يا أيها الملك المتوّج بالفخار
عليك تاج أحمر الإكليل
يُعقدْ
وعصائب الأبطال حمرْ
في بهاءٍ تتوقّدْ
وكذاك مدرسة الجهاد
فزيّها زِيٌّ موحّدْ

* * *

لله، كم حسد النهار جبينه
والقائمَ الأسحارِ بالقرآن
يُحسدْ
يا من رحلت إلى العزيز
وفي فؤادك جمرة للحزن
تُوْقَدْ
أسفًا على آمال أمتك الجريحة
كيف توأدْ
ظلم القريب وغدره جرّبته
في السجن مظلومًا تُقَيَّدْ
وتناولت أيديهم نتفًا للحيتك
الكريمة.. صابرًا ويداك تجلدْ
ورأيت أجناد الصليب وجيشه
في أيٍّ عاصمة يجنّدْ
يزهو بهتك نسائنا
في مشهدٍ يُدمي القلوب
وأيَّ مشهدْ
في أرضنا جيشُ الصليب
وقد تكوّف أو تبغددْ
ما يزرع الطاغوت من زرعٍ
أليس بمنجل الطاغوت يُحصدْ

* * *

دار الخلافة تستباح

بها طقوس الكفر تنشدْ
لا جيش معتصم هنا؛
ولا الرشيد هنا توعّدْ
عادَ المغول وعادت
الأصنام والأوثان تعبدْ
ويطأطئ الرأسَ النخيلُ
ويرفع القاماتِ غرقدْ
وجيوش أمتنا الأبيَّة
في أوان الشدّ تُفقدْ
إن هاجم الأعداء قطرًا
فهي للجيران تُحشدْ

* * *

عَظُمَ البلاء.. أبا محمد
واليوم غادرتَ العناء
إلى نعيم بعد فضل الله
باق ليس ينفدْ
نم كالعروس منعّمًا
وعلى ثرى أرض الرباط
يدًا توسّدْ
ضيفًا على الملك الكريم
وضيفه يرقى ويسعدْ

* * *

الْبَطَلَةُ الْمُجَاهِدَةُ
رِيمُ الرَّيَّاشِي

أَوَّلُ قَسَّامِيَّةٍ اسْتِشْهَادِيَّةٍ
وَأَوَّلُ اسْتِشْهَادِيَّةٍ فِي قِطَاعِ غَزَّةَ

«ريم الرياشي.. تاج فلسطين.. قنبلة بشرية قسَّامية، انفجرت كالبركان في وجه الأعداء»... ياسين يقول.. **«النساء مخزون استراتيجي للمقاومة»**.

«من جديد تسمو نساء القسام بعمل إبداعي جديد.. وجرأة وتضحية عالية وغالية عندما تحولت الاستشهادية القسامية (ريم) إلى قنبلة بشرية قسامية... لتنفجر كالبركان في وجه الأعداء... وبهذا تكون ريم الرياشي الاستشهادية السابعة منذ انتفاضة الأقصى.

❑ **جَدِيدٌ فِي الْمُقَاوَمَةِ:**

وفي تصريح له قال الشيخ أحمد ياسين، مؤسس وزعيم حركة «**حماس**»: إنه «**لأول مرة استخدمت** «**حماس**» مجاهدة فلسطينية لتنفيذ عملية ضد إسرائيل، وإن هذا تطور جديد في المقاومة ضد العدو». وأضاف: «**إن المقاومة ستتصاعد ضد العدو إلى أن يرحل عن أرضنا ووطننا**».

❑ **جُرْأَةٌ عَالِيَةٌ:**

(ريم) تمتعت بجرأة عالية ليس فقط في تنفيذ العملية بل لأنها الأولى المتزوجة وأم لطفلين (محمد) وعمره عام و(ضحى) عامان، وقد أنهت (ريم) التعليم الثانوي العام، وقالت إحدى بنات عمومتها: إن خبر تنفيذ (ريم) للعملية كان مفاجأة كبيرة وغير متوقعة بالنسبة للعائلة، فيما أكد شقيق الاستشهادية أن والديه وأسرة (ريم) تلقوا نبأ استشهادها بصبر، محتسبيها عند الله، وقال: لقد زارتنا قبل أسبوع فيما يشبه زيارة الوداع دون أن يظهر عليها شيء؛ لأنها كانت كتومة جدًّا ولم تتحدث عن مشروعها الاستشهادي لأي أحد.

جدير بالذكر أن (ريم) ترعرعت في بيت مسلم متدين، كذلك الحال عندما انتقلت لبيت زوجها وهو ما حفز لديها روح الاستشهاد.

وكانت العملية الاستشهادية الأخيرة نفذتها الشهيدة هنادي جرادات من جنين في مدينة حيفا يوم السبت ٤ تشرين أول ٢٠٠٣م، وبهذا تكون ريم الرياشي الاستشهادية السابعة منذ انتفاضة الأقصى، حيث سجلت كتائب شهداء الأقصى السبق في الانتفاضة وأرسلت ٤ استشهاديات في حينِ أرسلت سرايا القدس استشهاديتين.

❑ تَفَاصِيلُ مُثِيرَةٌ عَنِ الْعَمَلِيَّةِ:

ونقلًا عن جريدة (السبيل) الأردنية: كشف مصدر في الجناح العسكري لحركة «**حماس**» تفاصيل جديدة عن العملية الاستشهادية التي نفذتها ريم صالح الرياشي ٢٢ عامًا صباح الأربعاء ١٤/١/٢٠٠٤م في معبر إيرز شمال قطاع غزة، وأسفرت عن مقتل ٤ جنود إسرائيلين على الأقل وإصابة عشرة آخرين وتبنتها كتائب القسام وشهداء الأقصى.

وأوضح المصدر أن تنفيذ العملية كان صعبًا للغاية، نظرًا للمكان المستهدف والذي يعد أكثر الأماكن تحصينًا ويتواجد فيه المئات من جنود الاحتلال.. إلا أن مخططو المقاومة تمكنوا من خداع مخابرات الاحتلال، وتلقينهم درسًا لن يسنوه أبدًا.

وقال: «يعتبر تنفيذ مثل هذه العملية من الصعوبة بمكان، كونها في منطقة عسكرية محكمة الإغلاق، إلا أن توفيق اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ ثم التخطيط الدقيق المحكم كان له دور هام في نجاح العملية».

وأشار إلى أن المرأة الاستشهادية ارتدت حزام ناسف شديد الانفجار، كان ملتفًا على ساقها ووسطها، وكانت تمشي على (عكازين).

وأضاف المصدر في القسام أن الفتاة نجحت في تخطي الجهاز الإلكتروني الذي تستخدمه قوات الاحتلال لتفتيش العمال والمسافرين عن طريق خطة ذكية للغاية، فشلت قوات الاحتلال في اكتشافها.

وقال: «عندما وصلت إلى مركز التفتيش أخبرت الجنود الإسرائيليين بأن ساقها مكسور، وبه مسامير بلاتين من شأنها أن تجعل جهاز الفحص يطلق صفارة الإنذار، فاستجاب لها الجنود، ولم

يدخلوها على جهاز التفتيش، وتم تحويلها إلى غرفة تفتيش مركزي للتأكد من خلوها لأي معدن آخر غير البلاتين».

وأكمل: «فور نقلها إلى هناك، ومجيء خبراء متفجرات من الجيش الإسرائيلي لتفتيشها، فجرت نفسها لتوقع أربعة قتلى وتصيب أكثر من عشرة آخرين من الجنود، أحدهم في حالة حرجة جدًّا».

❑ صِرَاعُ الْأَدْمِغَةِ بَيْنَ كَتَائِبِ الْقَسَّامِ وَمُخَابَرَاتِ الِاحْتِلَالِ:

وأكد المصدر ذاته أن صراع الأدمغة بين كتائب القسام ومخابرات الاحتلال سـ«يتواصل، وأن الكتائب ستنجح ـ بإذن اللَّه ـ في تكبيد العدو من الخسائر عن طريق تنفيذ عمليات نوعية».

في تعليقه على تنفيذ أول امرأة تنتمي لكتائب عِز الدين القسام ـ الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) ـ لعملية استشهادية، أعلن الشيخ أحمد ياسين مؤسس الحركة الأربعاء ١٤/١/٢٠٠٤م أن حركته تعتبر النساء «**مخزونًا إستراتيجيًا**» للمقاومة، وأنها لم تعارض يومًا تنفيذهن لعمليات استشهادية ضد الاحتلال الإسرائيلي، كما شدد على أن هذه العملية تؤكد رفض «**حماس**» لوقف إطلاق النار مع الاحتلال الإسرائيلي.

جاءت هذه التصريحات في حديث خاص لشبكة «**إسلام أون لاين. نت**» بعد قليل من تنفيذ الفلسطينية «**ريم صالح الرياشي**» ـ ٢٢ عامًا، من كتائب القسام ـ عملية استشهادية مشتركة مع كتائب شهداء الأقصى المحسوبة على حركة فتح صباح الأربعاء ١٤/١/٢٠٠٤م قرب معبر إيريز شمال قطاع غزة، أسفرت عن مقتل ٤ جنود إسرائيليين وإصابة العشرات الآخرين بجراح.

وقال ياسين: «هذه العملية تؤكد أن هناك تطورًا في كتائب عِز الدين القسام بأن تشارك امرأة في عملية استشهادية للمرة الأولى في عملية نوعية جديدة»، مضيفًا أنه «سيكون للمرأة دور بارز بالمعركة في المستقبل، لكن الوقت هو الذي يحدد هذه المسألة».

❑ لَا يُوجَدُ تَغْيِيرٌ اسْتِرَاتِيجِيٌّ:

ونفى ياسين أن يكون استخدام فتاة فلسطينية في تنفيذ عملية استشهادية تغييرًا إستراتيجيًا في عمليات الحركة، موضحًا أن «**هذا ليس تغيرًا، إنما هو عبارة عن إدخال عنصر جديد في**

المقاومة. **كانت «حماس»** تعتبر المرأة جيشًا احتياطيًّا في المعركة، وعندما وجدت أنها قادرة على تنفيذ عملية عن طريق المرأة نفذتها».

ورأى أن «**الباب مفتوح منذ زمن للنساء للانضمام لكتائب القسام الجناح العسكري لـ«حماس»**، لكن هناك مجالًا واسعًا للرجال».

واعتبر ياسين أن عملية معبر إيريز «**رسالة للأطراف التي تطالب «حماس»** بالهدنة»، مؤكدًا أن موقف الحركة واضح وهو معارضة وقف إطلاق النار في هذه المرحلة.

وقال: إن «**حماس**» ليست وحدها الرافضة لوقف إطلاق النار، مضيفًا أن «كل الفصائل الفلسطينية تعمل في الميدان بما فيها كتائب شهداء الأقصى (المحسوبة على) فتح التي تطالبنا بوقف المقاومة».

وأكد ياسين أن عملية الأربعاء المشتركة تشير إلى أن التعاون بين «**حماس**» وبقية الأجنحة المسلحة مستمر، وأن هذا التعاون دليل على توحد الفصائل الفلسطينية على خيار المقاومة.

وحول إمكانية إقامة غرفة عمليات مشتركة بين الأجنحة العسكرية للفصائل الفلسطينية قال مؤسس «**حماس**»: «نفذنا سابقًا عمليات إستراتيجية لتحقيق الأهداف وتحرير الأرض الفلسطينية، كذلك اجتمعنا على رفض أشكال الهدنة التي تفرض على شعبنا من أجل الاستسلام للعدو الإسرائيلي».

❑ الْعُدْوَانُ لَا يَحْتَاجُ مُبَرِّرَاتٍ:

وعن رد الفعل الإسرائيلي المتوقع على العملية الاستشهادية، قال ياسين: «**إن إسرائيل لا تحتاج لمبررات لشن عدوانها؛ فهي ضربت في رفح ونابلس وجنين ورام الله والخليل وفي كل مكان**».

وأضاف: «**بكل تأكيد سيهاجم الاحتلال الفصائل الفلسطينية وعلى رأسها «حماس»** ردًّا على هذه العملية، ونعرف أن المعركة سيكون لها ثمن».

ورفض ياسين اعتبار أن اختيار «**حماس**» لتنفيذ العملية الاستشهادية قرب معبر إيريز شمال قطاع غزة يمثل نهجًا جديدًا للحركة توقف بمقتضاه عملياتها داخل أراضي ١٩٤٨م المحتلة، وحصرها في الضفة وقطاع غزة، موضحًا: «هذا كلام غير صحيح، «**حماس**» تعتبر كل فلسطين

«**القطاع والضفة وأراضي ٤٨ المحتلة**» أرضًا للمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي».

وقال: «نستمر في نهجنا إن شاء الله، وتخلف العمليات في مكان ما يرجع للظروف الميدانية للكتائب».

❑ الشَّعْبُ الْفِلَسْطِينِيُّ عَلَى جَاهِزِيَّةٍ كَبِيرَةٍ:

وفي تصريح صحفي «**وجَّه الأستاذ محمد نزَّال عضو المكتب السياسي لـ«حماس»** التهنئة إلى أسرة وعائلة الاستشهادية ـ ريم صالح الرياشي مثمنًا ما فعلته مشيرًا إلى أنها تمثل فخرًا وقدوة لكل النساء والرجال كذلك» أ. هـ.

❑ «ريم الرياشي» الإستشهادية الأولى في كتائب القسَّام «ولدينا المزيد».

أربعة قتلى وعشرات الجرحى من الصهاينة في عملية استشهادية لكتائب القسام والأقصى تقرير خاص:

ويتواصل العطاء القسامي ويستمر الزحف الاستشهادي المقاوم، ولترتفع راية لا إله إلا اللَّه خفاقة مع راية مجاهدي القسام المغاوير لتنير سماء فلسطين، وتزيل العتمة، لتثأر لدماء استشهادي واستشهاديات أبناء القسام لآهات أمهاتنا ولدماء شهدائنا الأبطال.

كتائب الشهيد عِز الدين القسام تؤكد من جديد أن قتال الصهاينة فرض عين على كل مسلم ومسلمة في هذه الأرض الطيبة الطاهرة المباركة؛ فقد زفت صباح هذا اليوم الأربعاء ١٤/١/ ٢٠٠٤م «إلى الجنة» مجاهدة قسامية خرجت تلبي نداء اللَّه ﷻ لتقتحم حصون المحتلين الصهاينة وتفجر جسدها الطاهر في جموعهم وتقتل ـ حسب اعتراف الصهاينة ـ أربعة جنود وتصيب العشرات.

فقد أعلنت كتائب الشهيد عِز الدين القسام وكتائب شهداء الأقصى الجناح العسكري لحركة (فتح) مسئوليتهما رسميًّا عن العملية الاستشهادية البطولية التي وقعت صباح اليوم الأربعاء في المنطقة الصناعية «**إيرز**» شمال قطاع غزة.

❑ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ

وذكر بيان مشترك «**أنه بحمد اللَّه وقوته وتوفيقه مكن اللَّه لمجاهدي كتائب الشهيد عِز الدين**

القسام وكتائب شهداء الأقصى من تنفيذ عملية استشهادية ضد أعداء الله والإنسانية المجرمين الصهاينة فيما يسمى بمعبر «إيرز» الفاصل بين قطاع غزة وأراضينا المحتلة عام ٤٨.

وأضاف البيان أنه في تمام الساعة ٣٧: ٩ من صباح اليوم الأربعاء ٢١ ذو القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ١٤/١/٢٠٠٤م تقدمت أولى استشهاديات كتائب الشهيد عِز الدين القسام الشهيدة القسامية/ ريم صالح الرياشي - ٢٢ عامًا - من حي الزيتون بمدينة غزة وهي أم لطفلين؛ حشدًا من جنود العدو الذين يمارسون الإذلال اليومي بحق عمال وأبناء شعبنا الفلسطيني، تقدمت أولى استشهادياتنا لتنتقم من المجرمين القتلة ثأرًا لنابلس الشموخ، وجنين القسام، ورفح المقاومة، ثأرًا لأطفالنا ونسائنا وشيوخنا الذين يقتلهم العدو كل يوم على حواجزه وبرصاصة وطائراته وثأرًا لشهداء القسام وكتائب الأقصى في ضفتنا الغربية وشهداء سرايا القدس وعلى رأسهم الشهيد القائد مقلد حميد في غزة.

وزفت كتائب القسام وكتائب شهداء الأقصى الاستشهادية القسامية الأولى من قطاع غزة، مؤكدين على استمرار مسيرة الجهاد والمقاومة حتى يندحر الاحتلال عن أرضنا ومقدساتنا، مؤكدين أن وحدتنا الحقيقية في مقاومة الاحتلال والتخندق في مواجهة العدو الغاشم.

❑ رَدًّا عَلَى جَرَائِمِ الِاحْتِلَالِ:

من جانبه أكد سعيد صيام القيادي في حركة «**حماس**» في تصريحات صحفية أن هذه العملية تأتي في «سياق المقاومة المشروعة للشعب الفلسطيني والدفاع عن النفس في وجه الاحتلال وجرائمه المستمرة بحق الفسطينيين خاصة في رفح ونابلس وجنين وطولكرم حيث هدم البيوت والاغتيالات والاعتقالات».

وردًّا على سؤال لإسلام أون لاين عمَّا إذا كانت هذه العملية تدل على تبني «**حماس**» لاستراتيجية جديدة، قال صيام: «**العمل الجهادي والمقاوم يغلب عليه الطابع التكتيكي، والجهاد فرض عين وليس حكرًا على الرجال دون النساء، طبيعة الظروف تحتم أحيانًا تقديم شيء على شيء أو تأخيره**».

واعتبر صيام أن هذه العملية تؤكد من جديد «**كذب المزاعم التي قالت: إن حركة «حماس»** أوقفت عملياتها في الفترة الأخيرة»، وقال: «**المقاومة مستمرة ما بقي الاحتلال**».

الاِسْتِشْهَادِيَّاتُ الْفِلَسْطِينِيَّاتُ؟؟

ومن جهة ثانية فقد كانت المجاهدة عطاف عليان أول فلسطينية تحاول في يوليو ١٩٨٧م تنفيذ عملية استشهادية بسيارة ملغومة في القدس إلا أن العملية لم تنجح لتعتقل على أثرها، وصدرت ضدها أحكام مجموعها ١٥ عامًا قضت منها ١٠ سنوات في السجن الإسرائيلي.

وخلال انتفاضة الأقصى نفذت وفاء إدريس عمليتها في مدينة القدس يوم ٢٨/١/٢٠٠٢م؛ فقتلت أحد الجنود وجرحت مئة وأربعين آخرين. ثم أعقبتها «**دارين أبو عيشة**» التي نفذت عمليتها في حاجز عسكري إسرائيلي شمال الضفة الغربية في ٢٧/٢/٢٠٠٢م؛ وهو ما أدى إلى إصابة ٣ جنود إسرائيليين.

وقامت «**آيات الأخرس**» من مدينة بيت لحم بعمليتها في ٢٩/٣/٢٠٠٢م بأحد أسواق القدس الغربية، وهو ما أدى إلى مقتل إسرائيليين وإصابة العشرات.

ثم نفذت «**عندليب طقاطقة**» من مدينة بيت لحم أيضًا عمليتها يوم الجمعة ١٢/٤/٢٠٠٢م، وأسفرت عن مقتل ستة إسرائيليين، وإصابة ٨٥ وذلك في مدينة القدس.

أما هبة عازم دراغمة ابنة بلدة «**طوباس**»، قرب جنين الطالبة بجامعة القدس المفتوحة فقامت بتفجير نفسها في مدينة «**العفولة**» شمال فلسطين المحتلة يوم الاثنين ١٩/٥/٢٠٠٣م، مما أسفر عن مقتل ٣ إسرائيليين، وجرح نحو ٤٥.

ونفذت الاستشهادية **هنادي جرادات** ـ ٢٨ عامًا أقوى العمليات الاستشهادية التي تنفذها فتيات حينما فجرت نفسها في مطعم إسرائيلي بحيفا بتاريخ ٤/١٠/٢٠٠٣م فقتلت ١٩ إسرائيليًّا وجرحت العشرات.

ضَلَّلَتِ الْجُنُودَ!!!

وفور وقوع العملية، هرعت قوات كبيرة من الجيش الصهيوني وشرعت في إجراء التحقيقات وتمشيط المكان. وأكدت مصادر صحفية صهيونية أن الانفجار ألحق أضرارًا جسيمة بالمكان.

وقال قائد الفرقة العسكرية الصهيونية في قطاع غزة، العميد غادي شيمني: إن «**منفذة عملية معبر** «**إيريز**» ضللت الجنود، أثناء الفحوصات الأمنية، عندما ادعت أن قطعة من البلاتين مزروعة

في ساقها، لذا لم يكن بالإمكان عبورها في جهاز الكشف الأمني الخاص».

وأضاف شيمني أن «**منفذة العملية استغلت فرصة انشغال الجنود في الاستعداد لإجراء فحص أمني خاص بها، في مثل هذه الحالات، وقامت فجأة بالتقدم نحوهم وبتفجير نفسها**».

وأفادت مصادر أمنية صهيونية أن رئيس الحكومة، أريئيل شارون، تلقى نبأ وقوع عملية «**إيريز**» أثناء اجتماع عقده في مكتبه، في مدينة القدس، مع وزير الدفاع، شاؤول موفاز ورئيس هيئة الأركان العامة للجيش الصهيوني، موشيه (بوغي) يعلون.

❑ كَتَائِبُ الْقَسَّامِ تَقْصِفُ مُغْتَصَبَةَ نِتْسَارِيم

ومن جهة ثانية فقد أعلنت كتائب الشهيد عِز الدين القسام عن قصفها ما تسمى بمغتصبة نتساريم اليهودية جنوب مدينة غزة بصاروخين قسام ١ وإطلاق قذيفتي هاون على مغتصبة نفيه دكاليم.

وذكرت في بيان لها صباح اليوم أنها تمكنت بعون اللَّه ـ تَعَالَى ـ وتوفيقه من مواصلة قصفها لمواقع العدو الصهيوني صباح الأربعاء حيث كانت المهمات «**قصف ما تسمى بمغتصبة نتساريم اليهودية جنوب مدينة غزة بصاروخين قسام ١ وذلك في تمام الساعة ٦:٣٠. صباحًا**». و«**إطلاق قذيفتي هاون على ما تسمى بمغتصبة نفيه ديكاليم غربي مخيم خان يونس، وذلك في تمام الساعة ٤٥ : ٥ صباحًا**.

❑ الِاسْتِشْهَادِيَّةُ الْقَسَّامِيَّةُ الْأُولَى رِيمُ الرَّيَّاشِيُّ:

الأم الفلسطينية المجاهدة التي اخترقت أكثر الثكنات العسكرية تحصينًا بقوة الإيمان ـ تقرير صحفي:

تبوأت الأم الفلسطينية الشابة ريم صالح الرياشي (٢٢ عامًا) رأس قائمة الاستشهاديات الفلسطينيات من قطاع غزة، ومن حركة «**حماس**» إجمالًا. فمنفذة عملية بيت حانون الفدائية المدوية صباح الأربعاء، والتي أدت إلى مصرع أربعة من جنود الاحتلال الصهيوني، وجرح عشرة آخرين، هي الاستشهادية الأولى التي ترسلها كتائب عِز الدين القسام الذراع العسكري لحركة «**حماس**» والاستشهادية الأولى من قطاع غزة أيضًا، وبهذه العملية النوعية، والتي تبنتها بشكل

مشترك كتائب القسام وكتائب شهداء الأقصى الجناح العسكري لحركة «**فتح**»؛ تكون المقاومة الفلسطينية قد افتتحت العام ٢٠٠٤م بعملية نوعية، هي الأولى التي تنفذها امرأة من قطاع غزة، والسابعة في الأراضي الفلسطينية خلال انتفاضة الأقصى.

❑ ضَلَّلَتْ جُنُودَ الِاحْتِلَالِ وَاخْتَرَقَتِ الْمَعْبَرَ!!

ويعتبر معبر بيت حانون «**إيريز**» الذي يربط قطاع غزة بالخط الأخضر منطقة عسكرية يصعب، إلى درجة الاستحالة، على غير العمال الذين يحملون تصاريح خاصة عبوره أو حتى الاقتراب منه، إلا أن الفدائية الراشي اخترقت كل الحواجز ونقاط التفتيش، وتمكنت من تضليل جيش الاحتلال، فدخلت هذه الثكنة العسكرية الحصينة بشدة وهي تحمل عبوة ناسفة كبيرة، وفجرتها وسط جنود الاحتلال، موقعة بينهم أربعة قتلى وعشرة جرحى.

❑ أُولَى اسْتِشْهَادِيَّاتِ «حَمَاس»؟؟

وبدأ الإعلان عن أن منفذة العملية المشتركة هي من كتائب القسام بمثابة مفاجأة لدى بعض المراقبين، كون حركة «**حماس**» كانت لا تفضل إرسال أي استشهاديات لتنفيذ عمليات فدائية، على الرغم من أنها تؤكد في الوقت ذاته «**أَنَّ الجهاد فرض عين على كل مسلم مسلمة**»، حيث توقع الجميع أن تكون الفدائية من كتائب شهداء الأقصى.

وقال الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**»، الذي استهدفته محاولة اغتيال صهيونية محكمة قبل أربعة أشهر: إنه «**لأول مرة استخدمت «حماس» مقاتلة فلسطينية**» لتنفيذ عملية ضد الاحتلال، مشيرًا إلى أنَّ «**هذا تطورًا جديدًا في المقاومة ضد العدو**»، وقال: «**إنَّ المقاومة ستتصاعد ضد العدو إلى أن يرحل على أرضنا ووطننا**».

وفي تعليق الشيخ سعيد صيام أحد قادة حركة المقاومة الإسلامية «**حماس**» على أنَّ منفذة العملية من كتائب القسام، قال: «**إنَّ المقاومة حق مشروع لكل أبناء الشعب الفلسطيني ضد المحتل وهي ليست حكرًا على الرجال دون النساء؛ لأن الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة**»، حسب تأكيده.

وأضاف صيام في رده على سؤال حول سبب عدم تبكير «**حماس**» في إشراك النساء في

العمليات الفدائية من هذا النوع؛ قائلًا: «**إنَّ هذه الأمور تعود للظروف المنوطة بالجهاز العسكري للحركة، والمعلومات الميدانية لديهم، التي تتيح استغلال الفرص لإيقاع أكبر قدر من القتلى في صفوف الاحتلال**»، على حد تعبيره.

وأشار صيام إلى أنَّ هذه العملية تأتي في سياق رد المقاومة الفلسطينية على مجازر الاحتلال في نابلس ورفح وجنين، وعمليات الاغتيال بحق المقاومين الفلسطينيين، كما قال.

❑ الْمَوْقِفُ الإِسْلَامِيُّ مِنْ مُشَارَكَةِ الْمَرْأَةِ فِي الْعَمَلِيَّاتِ الاِسْتِشْهَادِيَّةِ:

وكان الدكتور يوسف القرضاوي قد سُئل في وقت سابق عن مشاركة النساء في العمليات الاستشهادية، فقال: «**إن العمليات الاستشهادية من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، يقوم بها شخص يضحي بروحه رخصيةً في سبيل الله، وينطبق عليه قول الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾**، والمنتحر يائس من الحياة بسبب فشل ما، ويريد أن يتخلص من حياته، أما الاستشهاد فهو عمل من أعمال البطولة»، وقال: «**معظم علماء المسلمين يعتبرونه من أعظم أنواع الجهاد**».

وأضاف الشيخ القرضاوي قوله: «عندما يكون الجهاد فرض عين، كأن يدخل العدو بلدًا من البلدان؛ تطالب المرأة بالجهاد مع الرجل جنبًا إلى جنب، وقال الفقهاء: إذا دخل العدو بلدًا وجب على أهله النفير العام، وتخرج المرأة بغير إذن زوجها والولد بغير إذن أبيه والعبد بغير إذن سيده والمرءوس بغير إذن رئيسه؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولأن العام يتقدم على الخاص، فإنه إذا تعارض حق الأفراد وحق الجماعة يتقدم حق الجماعة؛ لأنه لتحقيق مصلحة الأمة»، وأكد أنه يرى «**المرأة تستطيع أن تقوم بدورها في هذا الجهاد بما تقدم عليه، وقد يستطيع المنظمون لهذه العملية الجهادية أن يوظفوا بعض النساء المؤمنات في هذه القضية، وقد تستطيع المرأة أن تصل إلى ما لا يصل إليه الرجال**»، على حد تقديره.

❑ عَمَلِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ فِي مَسِيرَةِ الْمُقَاوَمَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ:

وإذا كانت أهمية العملية مرتبطة بكونها جاءت تطورًا نوعيًا لسياسة العمليات المشتركة بين قوى المقاومة الفلسطينية؛ فإنه من الواضح ـ أيضًا ـ أن يوم الأربعاء الرابع عشر من كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٤م لن يكون يومًا عابرًا في مسيرة المقاومة الفلسطينية، إذ سيذكر الجميع أنَّ أمًّا

فلسطينية اسمها ريم الرياشي، كانت أولى استشهاديات «**حماس**»، والتي تبوأت رأس قائمة استشهاديات قطاع غزة أيضًا.

وتعتبر ريم صالح الرياشي سابع استشهادية فلسطينية تنفذ عملية ضد الاحتلال الصهيوني، وهي الأولى في «**كتائب الشهيد عِز الدين القسام**»، والأولى من قطاع غزة أيضًا. وقد ارتبطت ظاهرة الاستشهاديات بانتفاضة الأقصى، وتضم هذه القائمة كلًا من وفاء إدريس، ودارين أبو عيشة، وآيات الأخرس، وعندليب طقاطقة، وهبة عازم ضراغمة، وهنادي جرادات، علاوة على أحدث الاستشهاديات ريم الرياشي.

والشهيدة الرياشي متزوجة وأم لطفل، وطفلة، هي إحدى ناشطات حركة «**حماس**» في منطقة تل الهوا بمدينة غزة، وتحديدًا في مسجد المصطفى على شاطئ بحر غزة.

وعلاوة على زمان العملية الذي جاء تجديدًا لروح المقاومة في مطلع عام جديد، فإنَّ مكانها هو بجدارة واحد من أكثر حصون الاحتلال وثكناته مناعة من الهجمات، لكن المقاومة واستشهادياتها برهنت هذه المرة ـ أيضًا ـ على قدرتها على تحطيم أساطير التفوق الأمني الصهيوني» اهـ.

* * *

سَلَامُ اللهِ يَا رِيْمُ

رِيْمُ الـرِّيَـاشِـي سَـلَامُ الـلـه يَـا رِيْمُ ... تَـهْـفُـو لِمِثْلِكَ فِي الْجَنَّاتِ تَـسْـنِـيـمُ

أَنْـتِ الْمُرُوءَةُ وَالإِقْـدَامُ قَـدْ جُـمِـعَـا ... يَـحْـلُـو بِـذِكْـرِهِـمَـا شَـذْوٌ وَتَـرْنِـيـمُ

أَنْتِ الـرُّجُـولَـةُ لَمَّا ظَـنَّ مُـنْـبَـطِـحٌ ... أَنَّ الـرُّجُـولَـةَ إِذْعَـانٌ وَتَـسْـلِـيْـمُ

أَنْتِ الزَّعَامَةُ لَمْ تَـخْـضَـعْ لِوَاقِعِهَا ... وَكُلُّ مَنْ فِي كَرَاسِي الْحُكْمِ مَزْعُومُ

أَنْتِ اللُّغَاتُ الَّتِي فِي صِدْقِ نَبْرَتِهَا ... هُدًى إِذَا ضَلَّ مَخْبُولٌ وَمَرْجُومُ

هَـذَا بَـيَـانُـكِ مَـحْـمُـودٌ بِمَـسْـمَـعِـنَـا ... أَمَّا الْبَيَانُ الَّذِي أَلْقَوه مَذْمُومُ

حَدِيْثُكِ الشَّهْدُ كَمْ نَشْتَاقُ فِي شَغَفٍ ... لِمِثْلِهِ فَـحَـدِيْـثُ الْقَوْمِ مَـسْـمُـومُ

وَأَنْـتِ صَـقْـرٌ عَـلَـى رَايَاتِ أُمَّتِنَا ... وَالْمُرْجِـفُـونَ هُـمُ الْغِـرْبَـانُ وَالْـبُـومُ

أَنْـتِ الـتَّـوَحُّـدُ وَالأَشْـلَاءُ قَـادَتُـنَـا ... هُمْ فِي الشَّتَاتِ إِرَادَاتٌ وَتَصْمِيْمُ

هَـذَا يَـجِـيءُ وَقَـدْ غَـابَـتْ عَـزِيْمَـتُـهُ ... وَذَاكَ غَابَ وَمَا يُخْفِيْهِ مَعْلُومُ

هَذَا تَـخَـلَّـى حَدِيْثًا عَنْ شَـجَاعَتِهِ ... فَلْيَتَّعِظْ مِنْهُ مَخْدُوعٌ وَمَوْهُوْمُ

إِذَا تَـسَـحَّـبَ لَمْ نَـعْـرِفْ لَـهُ هَـدَفًا ... وَلَا لِمَاذَا أَتَـى وَالـدَّرْبُ مَـرْسُـومُ

أَنْتِ انْـتِـصَارٌ عَلَى الدُّنْيَا وَزِيْنَتِهَا ... مَنْ ضَنَّ بِالرُّوحِ فِي الْمَيْدَانِ مَهْزُومُ

أَنْتِ الأَمَامُ وَأَنْتِ الْقِمَّةُ ارْتَفَعَتْ ... مَا دَامَ فِي الْعُرْبِ إِعْلَاءٌ وَتَقْدِيْمُ

أَنْتِ الْقَرَارَاتُ لَا مَا خَطَّ مُؤْتَمَرٌ ... فِيْهِ الْـعَـمِـيـلُ وَرِعْـدِيْـدٌ وَمَـأْزُومُ

قُولُوا مَعِي أُمَّتِي فِي وَجْهِ مَنْ عَجَزُوا ... كَـأَنَّمَا الْـعَـجْـزُ مَقْسُومٌ وَمَحْتُومُ

رِيْمُ الـرِّيَـاشِـي سَـلَامُ الـلـهِ يَـا رِيْمُ ... تَهْفُو لِمِثْلِكَ فِي الْجَنَّاتِ تَسْنِيمُ(١)

---

(١) للشاعر وحيد حامد الدهشان ـ جريدة آفاق عربية، عدد ٦٦٠

وبعد:

هذه نقطة من بطولات شهداء حماس، وأدعو الله القدير أن يَمُنّ عليّ بجمع تراجم القسّاميين ـ الذين ذهبوا إلى ربهم وسطروا أروع البطولات ـ في مجلد كامل أو مجلديْن عَلّنا أن نوفيهم معشار حقهم علينا.. وما أظننا بالغين من ذلك إلا أقلّ القليل ما ضرّهم ما أصابهم جبر الله لهم بالجنة ـ إن شاء الله كل مصيبة.



فهرس الموضوعات

للمجلد الأول



فهرس المحتويات

الباب الثاني
شَذَا الرَّيَاحِينْ
عِبَرٌ وَعِظَاتٌ مِنْ حَيَاةِ الشَّيْخِ يَاسِينْ

الباب الرابع
الشَّيْخُ يَاسِينُ لَا يَعْرِفُ الْعَيْشَ إِلَّا حُسَامًا ولا الموت إلا شهادة

الباب الخامس
مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ

تم بحمد الله تعالى . المجلد الأول

ويليه المجلد الثاني وأوله الباب السابع (عِطْرُ الْيَاسَمِين مِنْ كَلَامِ شَيْخِ الْقَسَّامِيِّين)